مسلمو أهل الكتاب

وأثرهم في الدفاع عن

القضايا القرآنية

تأليف

الدكتور محمد بن عبد الله السحيم

المجلد الأول



بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى: ﴿ قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنّا مسلمون ﴾

سورة آل عمران ، الآية ٦٤ .

وقال تعالى : ﴿ الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذى يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحلّ لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التى كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزّروه ونصروه واتبعوا النور الذى أنزل معه أولئك هم المفلحون﴾

سورة الأعراف ، الآية ١٥٧

وقال تعالى : ﴿ ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم وقولوا آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون ﴾

سورة العنكبوت، الآية ٤٦ .

بسم الله الرحمن الرحيم

مدخل :ـ

الحمد لله الذى لم يتخذ ولداً، ولم يكن له شريك فى الملك، ولم يكن له ولىٌ من الذل، وكبّره تكبيراً.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الأحد الفرد الصمد، الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد. وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، خاتم أنبيائه وخيرته من خلقه، وأمينه على وحيه فصلوات ربى وسلامه عليه ما تعاقب الليل والنهار، أما بعد :ـ

فإن أعظم نعمة لله على العبد هى هدايته لهذا الدين القويم الذى ارتضاه الله لخلقه، وأشهد عليه ملائكته فقال:﴿ شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائماً بالقسط[1] ﴾وبعث به أفضل رسله فقال:﴿ هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون[2] ﴾وقال عز من قائل:﴿ وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصري قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين[3] ﴾. وأنزل إليه أعظم مننه وأفضل كتبه؛ إذ هو المصدق لها والمهيمن والشاهد عليها فقال تعالى:﴿ وأنزلنا إليك

---

(١) سورة آل عمران ، الآية ١٨.

(٢) سورة الصف ، الآية ٩.

(٣) سورة آل عمران ، الآية ٨١.

الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه[1] ﴾وقال عز وجل : ﴿ وهذا كتاب أنزلناه مبارك مصدق الذى بين يديه ولتنذر أمّ القرى ومن حولها[2] ﴾، وبهذا الكتاب كمل الدين، وتمت النعمة، وتحقق رضا ربنا لنا بهذا الدين فقال :﴿ اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام ديناً[3] ﴾.

وهذه الأمة بعد أن دانت بالإسلام ورضيته قولاً واعتقاداً وعملاً؛ أصبحت خير أمة أخرجت للناس تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، ولذلك جعلها الله شاهدة على الأمم فقال :﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً[4] ﴾ وجعل سبحانه رسولها شاهداً على البشرية يوم القيامة فقال :﴿ فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك علىِ هؤلاء شهيداً[5]﴾ .

وإن من أعظم ما يُلتمس به رضا المنعم وتحقيق شكره ـ الدعوة إلى صراطه المستقيم، والتحذير من مخالفته، وفق المنهج الذى رسمه لنا فى كتابه الكريم حيث قال:﴿وأن هذا صراطى مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون[6]﴾ .

وقال سبحانه وتعالى:﴿ ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتى هى أحسن إلا الذين ظلموا منهم وقولوا آمنا بالذى أنزل إلينا وأنزل إليكم وإلهنا

---

(١) سورة المائدة ، الآية ٤٨.
(٢) سورة الأنعام ، الآية ٩٢.
(٣) سورة المائدة ، الآية ٣.
(٤) سورة البقرة ، الآية ١٤٣.
(٥) سورة النساء ، الآية ٤١.
(٦) سورة الأنعام ، الآية ١٥٣.

وإلهكم واحد ونحن له مسلمون[1]﴾ وإنى أسأل الله أن يكون هذا البحث وفق هذا المنهج، وأستغفر ربى من الزلل والخطأ والتقصير فما أنا إلا طالب علم مبتدئ يبحث له عن موطئ قدم على هذا الطريق الشريف الشاق؛ طمعاً فى الفوز برضا الله ، ومحاولة متواضعة أُأَمل منها أن تكون لبنة فى بناء صرح هذه الأمة التى تعانى فى هذا العصر من نوعين من البلاء : بلاء داخلى متمثل فى سلبية أبنائها إلا ما رحم ربى. وبلاء خارجى متمثل فى هذا الصلف الكافر، والهجوم الفكرى الشرس، وهذا الاستحواذ الاقتصادى المريع...

وواجب الأمة فى هذه المرحلة ـ وكل مرحلة ـ جهاد الأعداء، ومجالدة الخصوم، وقد أخبرنا الله سبحانه وتعالى أنه يحب أن يرى صف المجاهدين متراصاً متكاتفاً ، لا يجد الشيطان فيه مدخلاً ولا العدو طريقاً فقال تعالى:﴿ إن الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص[2]﴾ فلو أن كل فرد من أفراد هذه الأمة استشعر حال أمته وما يجب عليه تجاهها، وأيقن تمام اليقين أنه مجاهد فى سبيل الله فى أى موضع من مواضع العمل والعطاء والبناء، وأنه على ثغرة من ثغراتها ـ لاستعادت الأمة بفضل الله مكانتها ، وتسلمت قيادتها، وأرغمت أعداءها على طلب ودها وكسب رضاها .

وبعد مناقشة هذا البحث وإقراره ومنحه الدرجة التى استحقها من قبل لجنة المناقشة – أعدت النظر فيه، واستعرضت ملاحظ لجنة المناقشة فما

---

(١) سورة العنكبوت ، الآية ٤٦.

(٢) سورة الصف ، الآية ٤.

وجدته حقاً أثبته، وما وجدته غير ذلك صرفت النظر عنه، ثم رجعت البصر مرة ثانية فاستدركت ما رأيت استدراكه، وأضفت ما تجب إضافته، وحذفت ما تبين لى عدم فائدته ... فحينئذ تذكرت ما رقمه الثعالبى فى يتيمته حينما أعاد النظر فيها حيث قال : (وحين أعرته [أي كتاب يتيمة الدهر] على الأيام بصرى، وأعدت فيه نظرى؛ تبينت مصداق ما قرأته في بعض الكتب : أن أول ما يبدو من ضعف ابن آدم أنه لا يكتب كتاباً فيبيت عنده ليلة واحدة إلا أحب فى غدها أن يزيد فيه أو ينقص منه، هذا فى ليلة واحدة فكيف فى سنين عدة)[1] .

وهذا الكتاب كغيره من عمل البشر فمهما بُذل فيه من جهد، ومهما استفرغ فيه من وسع ، ومهما تردد فيه النظر فلا يزال يحمل الخطأ، ويتضمن النقص، ويحتوي على الخلل ... ﴿ ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً[2] ﴾فأسأل الله أن يوفق كل مطلع على عملي هذا أن يستر العثار، ويواري الزلل، ويسدد الخلل، ويصلح ما تجاوزه البصر، وقصر عنه الفهم، وكما قال الأول : ما على المؤلف إلا جهده .

المؤلف

د. محمد بن عبد الله السحيم

الرياض

(١) يتيمة الدهر فى محاسن أهل العصر ، تأليف عبد الملك الثعالبي ، تحقيق د . مفيد قميحة ، الطبعة الأولى، جـ١ ، ص ٢٧.

(٢) سورة النساء ، الآية ٨٢.

شكر وتقدير

أشكر الله سبحانه وتعالى على ما يسر وأعان من مواصلة الخطى ومصاحبة الأخيار فى هذا الطريق المشرف، ولقد قال ﷺ: (من لا يشكر الناس لا يشكر الله[1]) فأشكر الوالد الكريم الذى كان له الفضل والسبق فى مؤازرتى نحو تحقيق ما تطمح إليه النفس من طلب للعلم ومواصلة للبحث. وأثنّي بالشكر على هذه الجامعة المباركة ـ جامعة الإمام محمد ابن سعود الاسلامية بالرياض ـ التي تعهدتنى منذ نعومة أظفارى؛ فنهلت من مواردها العذبة، وتتلمذت على مشايخها، وتأدبت بآداب روادها. وأثلّث بالشكر والامتنان والعرفان لمن غمرنى فضله، وأطاف بى إحسانه فضيلة الأستاذ فى كلية أصول الدين بالرياض الشيخ الدكتور: زاهر بن عواض الألمعى الذى أفاض عليّ بالنصح والتوجيه، وأحاطنى بالرعاية، وشملنى بالعناية رغم كثرة مشاغله، وتعدد مسؤلياته، فجزاه الله عني خير الجزاء، وضاعف له المثوبة، وأعظم له الأجر .

كما أشكر صاحبى الفضيلة الأستاذين الكريمين فى كلية الدعوة والإعلام، وهما : الأستاذ الدكتور مصطفى بن أحمد أبو سمك ، والدكتور فضل الهي بن ظهور إلهي أشكرهماعلى قبول مناقشة هذه

(١) رواه الإمام أحمد فى مسنده نشر دار الفكر ، ط ٢ ، عام ١٣٩٨هـ. جـ ٢، ص ٢٥٨. ورواه أبو دادو فى سننه ، فى كتاب الأدب ، باب في شكر المعروف . والترمذي في سننه ، في أبواب البر والصلة ، باب ماجاء في الشكر لمن أحسن إليك ، وقال هذا حديث صحيح.

الرسالة وتقويمها[1] مضحين بثمين وقتهما، رغم ما تحملوا من مهام علمية وتعليمية ودعوية، فجزاهم الله عني وعن العلم خير الجزاء، وأحسن المثوبة، وأعظم الأجر ... على ما بذلوا من خالص النصح، وجليل النفع، ودقيق الاستدراك الذى أفدت منه عند طبع هذه الرسالة .

كما لا أنسى أن أشكر كل من أسدى إلي نصحاً، أو قدم معروفاً، أو أعان على إخراج هذه الرسالة فى هيئتها الحاضرة. والله أسأل أن يجعل أعمالنا وأعمالهم خالصة لوجهه الكريم، وأن يتقبل أعمالنا وأعمالهم، وأن يتجاوز عن سيئاتنا وتقصيرنا إنه جواد كريم .

(١) تمت مناقشة هذه الرسالة فى يوم ١٤١٤/٧/٢٦هـ.

المحتويات:

قسمت هذه الرسالة المتواضعة إلى مدخل وتمهيد فمقدمة ثم جعلت صلب الرسالة فى أربعة أبواب وخاتمة وهذه الأبواب كالتالى :ـ

الباب الأول : التعريف بالمهتدين من أهل الكتاب . وينقسم إلى فصلين هما:

الفصل الأول: التعريف بالمهتدين من اليهود .

الفصل الثاني : التعريف بالمهتدين من النصارى .

الباب الثاني: القضايا القرآنية التى درسها هؤلاء المهتدون فى كتبهم.

وينقسم إلى ثلاثة فصول هي:

الفصل الأول : التوحيد.

الفصل الثانى : إثبات نبوة نبينا محمد ﷺ.

الفصل الثالث : تحريف التوراة والإنجيل .

الباب الثالث: المقارنة بين مناهجهم التى سلكوها فى كتبهم . وينقسم إلى ثلاثة فصول هي:

الفصل الأول: المقارنة بين مناهج المتقدمين فيما بينهم .

الفصل الثانى: المقارنة بين مناهج المعاصرين فيما بينهم .

الفصل الثالث: المقارنة بين مناهج المتقدمين ومناهج المعاصرين .

الباب الرابع : الأثر العلمي والدعوى لمسلمي أهل الكتاب . وينقسم إلى أربعة فصول هي:

الفصل الأول: استفادة الدعاة منهم فى إثراء الحجج والبراهين على قوة الإسلام .

الفصل الثاني : أثرهم على العلماء المسلمين فى مجال التأليف فى مقارنة الأديان .

الفصل الثالث: أثرهم في إزالة الشبهات .

الفصل الرابع : أثرهم في دعوة غير المسلمين .

الخاتمة : وفيها بيان أهم النتائج التي توصل إليها البحث .

التمهيد : ويشتمل على :ـ

أولاً : التعريف بالدراسة :

التعريف ببعض مسلمي أهل الكتاب، وعرض أدلتهم التي قدموها في المسائل التي هي محل النزاع مثل ما افتراه اليهود والنصارى بحق الله سبحانه وتعالى من وصفه بصفات هو منزه عنها مثل قولهم: إنْ الله فقير. وقولهم : يد الله مغلولة... وقولهم : ندم الله على فعله . وكذلك نسبة الولد والصاحبة إليه سبحانه وتعالى، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً. وكذلك ما افتروه بحق أنبياء الله ورسله، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وكما جحد الفريقان نبوة نبينا محمد ﷺ مع أنه مذكور في كتبهم في أماكن متعددة ولكن جحدوها كفراً وعلواً. وإنكار اليهود والنصارى لتحريف كتبهم، وكذلك إنكارهم لكثير من الشرائع التي افترضها الله عليهم واستبدلوها بغيرها؛ تحقيقاً لنزواتهم، وإرضاءً لشهواتهم. مع بيان أثرهم العلمي والدعوي وسيكون بياني لأثر هؤلاء المسلمين المهتدين من حيث دراسة الأدلة التي استدلوا بها، والحجج التي أقاموها، والبراهين التي أثبتوها؛ تبياناً للحق، وإرغاماً للباطل، وإفحاماً لخصومهم، مقارناً بين هذه الأدلة ومبيناً الجديد فيها، وما هي الأدلة التي لم يسبقوا إليها، وموضحاً المناهج التي سلكوها في كتاباتهم الجدلية التي هى موضع الدراسة.

وسيكون تناول هذه القضية ـ إن شاء الله ـ من حيث :ـ

١ ـ استعراض مجموعة من المهتدين من أهل الكتاب ممن كان لهم دور بارز في حياتهم قبل الإسلام، وبعد إسلامهم لعبوا دور المناضل والمجادل عن هذا الدين القويم، معرفاً بحياتهم تعريفاً شاملاً يتطرق إلى الترجمة عن حياتهم وبيان آثارهم العلمية التي خلفوها.

٢ ـ دراسة هذه الآثار العلمية من ناحية استقصاء أدلتهم العلمية وبراهينهم المنطقية، وحججهم العقلية .

٣ ـ بيان مناهجهم في هذه المصنفات حتى تكون نبراساً لمن أراد أن يقتفي أثرهم في الرد على أهل الكتاب، مع بيان أن كل طائفة منهم قد استخدمت منهجاً مغايراً لمنهج الطائفة الأخرى.

٤ ـ بيان أثرهم في المصنفات الإسلامية في مجال مقارنة الأديان، وتأثر العلماء في النقل عنهم والإفادة منهم .

ثانياً : التساؤلات التي يسعى البحث للإجابة عنها :ـ

يسعى الباحث من خلال هذا البحث إلى الإجابة عن الأسئلة التالية:ـ

أ ـ التساؤلات المطروحة عن هؤلاء المهتدين قبل دخولهم في الإسلام :

١ ـ هل كان لتربيتهم السابقة أثر في اعتناقهم الإسلام ؟

٢ ـ ما العقبات التي واجهتهم عند دخولهم في الإسلام ؟

٣ ـ ما الأمر الذي دعاهم للدخول في الإسلام ؟

هل هو غموض ديانتهم؟ أم أن نور الإسلام قدأضاء لعقولهم طريق الحق؟ أو أن إسلامهم كان رد فعل لحدث معين ؟

ب ـ التساؤلات المطروحة عن هؤلاء المهتدين بعد إسلامهم :

١ ـ ما الدافع لهم لتأليف هذه الكتب ؟

٢ ـ ما البراهين والأدلة التي قدموها على فساد ديانتهم ولم تكن معروفة لدى المسلمين؟

٣ ـ ما القيمة العلمية لهذه المصنفات ؟

٤ ـ ما العقبات التي واجهتهم بعد إسلامهم ؟

جـ - التساؤلات المطروحة عن القضايا التي ناقشوها والمناهج التي سلكوها

١ ـ ما القضايا التي تناولوها بالدراسة والبحث ؟

٢ ـ ما القضايا التي درسوها ولم يتطرق لها علماء الإسلام من قبل؟

٣ ـ ما المناهج التي سلكوها في دراسة هذه القضايا ؟

٤ ـ ما الأصول التي اعتمدوا عليها في دراستهم ؟

٥ ـ ما النتائج التي توصلوا إليها ؟

د ـ التساؤلات المطروحة عن مدي الإفادة منهم .

١ ـ ما أثر هؤلاء في الدفاع عن القضايا القرآنية ؟

٢ ـ ما مدى استفادة الدعاة من آثارهم التي خلفوها ؟

٣ ـ ما النتائج المرجوة من عرض تجاربهم العلمية في هذا المجال؟

ثالثاً : أسباب اختيار الموضوع :ـ

١ ـ قال تعالى:﴿ ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتى هى أحسن إلا الذين ظلموا منهم[1] ﴾ وإن عرض هذا الموضوع بهذه الصورة من أفضل طرق مجادلة أهل الكتاب بالتى هى أحسن؛ إذ يستطيع الداعى المسلم من خلال مناقشته لأهل الكتاب أن يقدم بين يدى دعوته الأدلة القاطعة والبراهين الدامغة مدعّمة بالمثال القائم المشاهد المحسوس، وذلك من خلال كتب أولئك المهتدين مما يكون له أبلغ الأثر في إلزام الخصوم الحجة، وبيان الحق مما لا يدع مجالاً لمعارض .

٢ ـ أن هذا الموضوع متفرق في آثار العلماء العاملين والباحثين، ولم أجد من جمعه في سفر واحد يلم أطرافه، ويجمع متفرقه، ويربط بين أجزائه، ويبين العبرة من أوبتهم إلى الحق، ويوضح دورهم ودفاعهم عن القضايا القرآنية باسلوب علمي، ولما آمل من الفائدة إن شاء الله لي ولمن اطلع عليه من بعدى؛ سعيت إلى دراسة هذا الموضوع وتقديمه للقارئ ؛ رغبة في الفائدة وطمعاً في الأجر، إذ هو نتيجة لمجموعة تجارب إيمانية علمية، تصور لنا ذلك الواقع، وتتسم بالمنطق والموضوعية، وتهدف إلى إحقاق الحق وبيانه، وكشف الزيف وبطلانه .

---

(١) سورة العنكبوت ، الآية ٤٦ .

٣ ـ أن دعاة الأمة الإسلامية بحاجة إلى كل ما يعينهم ويهيئ لهم السبل في انفاذ دعوتهم وشمولها للمدعوين بقسميهم، ولذلك يتعين عليهم استخدام كافة السبل المشروعة التي تبين الحق وتدعو إليه، وتفضح الزيف وتعريه، ومما لا شك فيه أن الاستعانة بآثار مسلمي أهل الكتاب في دفاعهم عن الإسلام ومواجهة قومهم بها لهو أكبر عامل مساعد في دعوة أهل الكتاب إلى الحق الذى بين أيدينا ، طالما أن الداعين إليه والمدافعين عنه هم من أهل الكتاب، هذا من جانب، ومن جانب آخر يستطيع الداعي من خلاله أن يبين للمدعوين من المسلمين أن هؤلاء الرجال كانوا يهوداً ونصارى ثم تحولوا إلى الإسلام لما تبين لهم أنه الحق فأولى بهذا الحق المسلمون الذين لم يبلغوا من الإسلام درجة الكمال .

٤ ـ كثيرون هم كتاب وعلماء الغرب الذى افتروا على الإسلام وأكثروا من ذلك محرفين الكلم عن مواضعه؛ يبتغون بذلك : اطفاء نور الله ، وتشويه الإسلام، ووقف نموه، والحيلولة دون انتشاره، وايجاد حاجز يحول بين الإسلام ومن يريد أن يدرس الإسلام دراسة علمية منطقية للاقتناع به ومن ثم اعتناقه، وكل بناء هذا الحاجز ـ الذي سلف ذكره ـ هو عبارة عن مفتريات وشبه ليس لها أساس من الصحة، وأن طرح هذا الموضوع وإثارته ولمّ أطرافه أكبر عون للداعي المسلم في تنقية صفحة الإسلام مما

دنست به من قبل أعداء الله، كما أنه معول هدم بيده يهدم به هذا الحاجز الذي صنعه علماء الغرب للحيلولة دون وصول الإسلام صافياً نقياً إلى من يبحث عن الحق ويحاول الوصول إليه، كيف لا والداعي المسلم يقدم بين يديه شهادات مسلمي أهل الكتاب وردودهم على قومهم، وإلزامهم بالصواب من خلال كتبهم المعتمدة وأصولهم المتبعة .

٥ ـ أن في جمع هذا الموضوع في سِفْر واحد يهيئ للداعي المسلم أكبر قدر من الحجج والبراهين التي يستعين بها على المعاندين من أهل الكتاب فيلزمهم بها كما ألزمهم بها هؤلاء المسلمون من بيان للحق؛ فتلزمهم الحجة بعد بيان الحق لهم، أو أن الداعي المسلم يكون في حل من أمرهم بعد أن بين لهم فيعذر إلى الله منهم .

٦ ـ كل مهتد من أهل الكتاب إلى الدين الإسلامي يمثل تحوله وثيقة إدانة لدينه المحرف يستطيع الداعي المسلم أن يواجه بها أهل الكتاب فيرشدهم إلى الحق ويهديهم إلى الصواب بإذن الله مقدماً بين يديه الحجة الدامغة المدعمة بالتجربة الناجحة؛ فتكون أدعى للقبول من أنفس تبحث عن الحق وتلتمس الطريق إليه .

٧ ـ ازدياد اليقين بهذا الدين بقراءة هذه التجارب الإيمانية العلمية التي يقدمها البحث، ولقد سجل القرآن الكريم في سورة الأحقاف هذا الدور حين شهد عبدالله بن سلام رضى الله عنه للرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه وآمن به فقال تعالي : ﴿ قل أرأيتم إن كان من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد من بنى إسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم إن الله لا يهدي القوم الظالمين[١] ﴾.

٨ ـ أن البحث يناقش القضايا الرئيسة التي هى محل النزاع بين الإسلام واليهودية والنصرانية مما يحتم بذل الجهد له ، واستفراغ الوسع فيه .

رابعاً : أهمية الدراسة والجديد فيها :ـ

أ ـ تأتي أهمية هذه الدراسة من عدة جوانب هي :ـ

أولاً : أن هذه الدراسة ستعمل إن شاء الله على استكمال الجوانب المهملة في الدراسات السابقة لهذا الموضوع .

ويؤكد ذلك : أن السموءل بن يحيى المغربى مؤلف كتاب « إفحام اليهود » لما أثنى على جهود العلماء المسلمين في الرد على اليهود قال:(على أن الأئمة ـ ضوعف ثوابهم ـ

(١) سورة الأحقاف ، الآية ١٠ .

قد انتدبوا قبلي لذلك، وسلكوا في مناظرة اليهود أنواع المسالك؛ إلا أن أكثر ما نوظروا به ﴿يعني اليهود﴾ يكادون لا يفهمونه أو لا يلتزمونه[1]) .

كما أن المهتدي الطبري ذكر أن من ألّف في هذا الفن ممن سبقه لم يوفق للإحاطة بالأدلة الملزمة لكافة الخصوم وبكافة الحجج، وأنه ألف كتابه ذلك حتى يستكمل النقص ويسد الثغرات، ويخاطب كافة المعارضين والمعاندين[2] .

وقد أشار المهتدي الترجمان مؤلف كتاب «تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب» إلى أن سبب تأليفه لكتابه هو أن أغلب من كتب في الرد على النصارى جادلهم في أمور ليست محل اتفاق[3] .

ثانياً : ذكر الدكتور الفاضل محمد الشرقاوي في دراسته التي بعنوان :«المهتدون إلى الإسلام من علماء اليهود والنصارى» أن هذه الدراسة تحتاج إلى إعادة بحث؛ لأنها لم تلق عناية الباحثين والدارسين، وأنها تستحق دراسة

---

(١) إفحام اليهود ، تحقيق د. محمد الشرقاوي نشر الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد ، الرياض ، ١٤٠٧هـ ، ص ٨٦.

(٢) انظر الدين والدولة ، تحقيق عادل نويهض، نشر دار الآفاق الجديدة، بيروت ، ط٤ ، ١٤٠٢هـ ص ٣٥.

(٣) انظر تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب ، تحقيق عمر وفيق الداعوق، نشر دار البشائر الإسلامية ، ط١ ، ١٤٠٨هـ ، ص ٥٥.

أكاديمية متخصصة تكشف بواعث هذه الكتابات ونتائجها وآثارها .

ثالثاً : أن الحاجة ماسة إلى بيان أثر هؤلاء في مجال دفاعهم عن الإسلام، وأثرهم على العلماء المسلمين في هذا المجال، وتأثيرهم على غيرهم في الدعوة إلى الإسلام .

الجديد في هذه الدراسة :ـــ

فى الحقيقة أن هذه الدراسة جديدة في هذا المجال بكل ما تحمله هذه الكلمة من معنى؛ ولا أدل على ذلك من أننى لم أجد من الدراسات التي تناولت هذا الموضوع سوى دراسة واحدة تقع في خمس صفحات.

ومن الجديد فيها أيضاً الإفادة من الأدلة السمعية والبراهين العقلية والحجج المنطقية التي أوردوها في كتبهم والتى اتسمت بالوضوح والمباشرة.

ومن الجديد فيها أيضاً أن هؤلاء الكتاب بالإضافة إلى تمكن أكثرهم من اللغة العربية فإن لديهم معرفة تامة باللغات التي كتبت بها التوراة والإنجيل؛ فهم أقدر الناس على ترجمة نصوص هذه الكتب مما يعطينا أدلة دامغة وجديدة في هذا المجال .

وإن الجديد فيها هو طرح أثر هؤلاء الكتاب وتجربتهم في ميدان البحث والدراسة والتحليل والإفادة منها في مجال مقارنة الأديان .

خامساً : حدود البحث :ـــ

سـأتناول ـ إن شـاء الله ـ في هذه الدراسـة أثر المهـتـدين إلى الإسلام من أهل الكتاب ومدى الفائدة من دفاعهم عن الإسلام والدعوة إليه، ولما كان عدد هؤلاء كبير جداً ولن أتمكن من الإحاطة بهم كلهم؛ رأيت أن أختـار منهـم طائفة[1] تمثّل أغلب المشـهورين منهم في الماضي والحاضر، والذى دفعني إلى هذا الاختيار أن المهتدين منهم في الماضي يمثلون نقطة البداية لهذه الفئة، ومحور الانطلاق في هذا الميدان، وبما أن المهـتـدين في الماضي لم يتطرق لهم باحث فـيـدرس آثارهم، ويوضح أدلتـهم، ويبين القـيـمة العلمـيـة لمؤلفـاتهـم؛ رأيتُ لزاماً عليّ أن أجعلهم ضـمن هذه الدراسـة، ولو أنني اقـتـصـرت على المعـاصـرين لكانت هذه الدراسة مبتورة الصلة عن ماضيـهـا، بعيدة عن الشمـول في بابها؛ لأنها تطرقت إلى نزر يسير معاصر .

وأمر آخر دعـاني إلى الاقـتـصـار على هذه الشـخـصـيات لأنهـا في العـمـوم الغـالـب استـغـرقت في كـتـاباتهـا أهـم القـضـايا محل النزاع بين الإسلام واليهودية والنصرانية. ولهذا وذاك رأيت أن البحث سيقتصر على الشخصيات التالية :ـ

---

(١) ومستندى فيما ذهبت إليه منهجياً ما ذكره د. أحمد بدر في كتابه «أصول البحث العلمي ومناهجه» ص ٣٣٦ حيث يقول : (لما كان من العسير بل من المستحيل في كثير من الأحيان القيام بالبحث على جميع مفردات المجتمع الأصلى (أى مجتمع الدراسة) لذا فإن اختيار العينات لتمثيل هذا المجتمع مع أقل قدر من التحيز أمر مرغوب فيه). أ. هـ.

١ ـ السموءل بن يحيى المغربى في كتابه «إفحام اليهود» .
٢ ـ سعيد بن الحسن الإسكندرانى في كتابه «مسالك النظر في نبوة سيد البشر» .
٣ ـ على بن ربّن الطبري في كتابه «الدين والدولة في إثبات نبوة نبينا محمد ﷺ» .
٤ ـ نصر بن يحيى المتطبب في كتابه «النصيحة الإيمانية في فضيحة الملة النصرانية» .
٥ ـ عبد الله بن عبد الله الترجمان في كتابه «تحفة الأريب في الرد على عباد الصليب» .
٦ ـ زيادة النصب رأسى في كتابه «البحث الصريح في أى ماهو الدين الصحيح» .
٧ ـ عبد الأحد داود في كتابيه «الإنجيل والصليب» ، و«محمد في الكتاب المقدس» .
٨ ـ محمد زكي الدين النجار في كتابه «المنارات الساطعة في ظلمات الدنيا الحالكة» .
٩ ـ إبراهيم خليل أحمد في كتابيه: «محمد ﷺ في التوراة والإنجيل والقرآن» ، و «الغفران بين الإسلام والمسيحية» .
١٠ ـ محمد مجدي مرجان في كتابيه: «الله واحد أم ثالوث؟» ، و «المسيح إنسان أم إله؟» .

١١ ـ محمد فؤاد الهاشمي في كتابيه: «الأديان في كفة الميزان»، و«سر إسلامي» .

١٢ ـ روجيه جارودي في كتابه «الإسلام دين المستقبل» .

١٣ ـ موريس بوكاى في كتابيه:« القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف العلمية الحديثة»، و «ما أصل الإنسان» ؟.

وهذا الاختيار لم يكن عبثاً أو عشوائياً؛ بل لعدة اعتبارات هي :

١ ـ أنني لم أختر أحداً من مسلمي أهل الكتاب وأجعله ضمن هذه الدراسة إلا إذا توفر فيه شرطان

أ ـ أن يكون عالماً بدينه قبل إسلامه.

ب ـ أن يكون له كتاب أو أكثر في نقد دينه السابق أو في تأييد الإسلام .

٢ ـ أنه ليس بالإمكان دراسة كل من أسلم وألّف في نقد اليهودية والنصرانية؛ لأنهم كثير والحمد لله، ورأيت أن في اختيار هؤلاء البارزين غنية إن شاء الله تعالى .

سادساً : قصور البحث :ـ

مهما أوتي الإنسان ـ أى إنسان ـ من قدرة على الإبداع، أو تفنن في التأليف فلا بد أن يقع منه التقصير، ويبدر منه الخطأ من حيث لا يشعر﴿ ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً[1]﴾وهذا البحث عمل بشري مطبوع بطابع البشر من الضعف والاختلاف، والتسرع والعجلة ﴿خلق الإنسان من عجل[2]﴾وقال تعالى: ﴿وكان الإنسان عجولاً[3]﴾هذا جانب من القصور الطبعي، بالإضافة إلى قصور لم يكن في وسعي استدراكه أو تفاديه من مثل عدم الإحاطة بكل من أسلم من أهل الكتاب، أو دراسة مصنف كل من صنف في هذا الفن؛ نظراً لكثرتهم وتعدد مؤلفاتهم، وضياع الكثير منها قبل أن تصل إلى يد المتلقي، وكذلك لا أدّعي أنني أحطت بهذه المصنفات ـ موضع الدراسة ـ لكنني بذلت جهدي، واستفرغت وسعي في استخراج ما اشتملت عليه من درر وفوائد، وقد يخونني الفهم، أو أتجاوز عبارة لم أر الاستشهاد بها وتكون هي الدليل في نظر المؤلف

(١) سورة النساء ، الآية ٨٢.
(٢) سورة الأنبياء ، الآية ٣٧.
(٣) سورة الإسراء ، الآية ١١.

سابعاً : المناهج المستخدمة في هذا البحث :ـ

طلباً لمزيد من المعلومات المهمة والتحقيقات الدقيقة إن شاء الله رأيت أن أنسب المناهج التي سأسير عليها في هذا البحث هي مايلي:ـ

١ ـ المنهج التأريخي : وأقصد به جمع المادة العلمية عن هؤلاء المهتدين وآثارهم العلمية ومناقشتها وإعادة تصنيفها حسب الموضوع الخاص بها، وسأتولى إن شاء الله شرح ما يحتاج إلى شرح، أو تفسير ما أراه غامضاً على القارئ، ومن ثم جمع هذه المعلومات وتنسيقها، ومحاولة الوصول من خلالها إلى النتائج المرجوة، مراعياً في كل ذلك الأمانة العلمية والدقة المنهجية .

وحيث إن الخطوة الأولى من خطوات هذا المنهج هى نقد الوثيقة خارجياً وداخلياً فإننى لن أتعرض لنقد هذه الوثائق خارجياً؛ لأنها تنقسم إلى قسمين هما :ـ

القسم الأول: مخطوطات حققها أساتذة فضلاء وأثبتوا صحة نسبتها إلى أصحابها وزمان كتابتها، وقارنوا بين نسخها وشرحوا غامضها .

القسم الثانى : مؤلفات كتبها أصحابها في العصر الحاضر وما زالوا أحياء واشتهرت عنهم هذه الكتب فلا داعي لنقد هذه الوثائق نقداً خارجياً .

أما نقد هذه الوثائق داخلياً فإنني سأكتفي بدراستها وتحليلها، وإن عرض لي خلال هذه الدراسة خطأ كاتبها في أمر فإنني سأنبه إلى هذا

الخطأ في المآخذ على الكتاب، وفي حين الاقتباس منه إذا تضمن هذا الاقتباس مجانبة الصواب .

٢ ـ المنهج التحليلي : سأتولي إن شاء الله من خلال هذا المنهج تحليل النصوص المستشهد بها، والمضامين العلمية لهذه الكتب للخروج منها بالنتائج المتوقعة .

٣ ـ المنهج المقارن : سأتولي من خلال هذه المنهج المقارنة بين الأدلة للقضية الواحدة وبيان من انفرد منهم ومن اتفق .

وقد حرصت خلال تدوين هذه الرسالة على اتباع ما يلى :

١ ـ اعتمدت في تخريج الأحاديث النبوية الشريفة على الإحالة إلى الصحيحين أو أحدهما إذا ورد الحديث فيهما، وأكتفى بذلك عن تتبع الحديث في كتب المسانيد والسنن، وليس ذلك عجزاً عن تتبعه وإيراد موقعه، وإنما اتبعت هذا المنهج ـ بعد موافقة فضيلة المشرف عليه ـ لعدة أسباب هى :ـ

أ ـ أن الهدف توثيق الحديث وكفى بالصحيحين توثيقاً، كما أنني عندما أشير إليه في البخاري أو مسلم فإنني لا أستقصي جميع أماكن وروده فيهما؛ بل أحيل القارئ على الكتاب والباب أو رقم الحديث الذي ورد فيه اللفظ المستشهد به .

ب ـ أن في تتبع الحديث في كتب السنة النبوية ـ عدا ماذكر ـ إثقالاً لهامش الرسالة .

جـ ـ أن أغلب الأحاديث المستشهد بها وردت للاستئناس بها، ولم ترد لتقرير قضايا عقدية أو شرعية محل خلاف .

أما إذا لم يرد الحديث في الصحيحين أو أحدهما فإني استفرغ وسعي في تتبعه عبر مصادره والإحالة عليها .

٢ ـ عندما استشهد بنص من نصوص كتب العهدين فإني أورد النص بالصيغة التي وردت عند الأقدم من هؤلاء المهتدين وإن خالفت الطبعات الحديثة لهذين العهدين؛ لأن الحجة فيما نقلوه لا فيما حرفه أولئك القوم، مع الإحالة في الهامش إلى مكان وجوده أو وجود مايقاربه في الطبعات الحديثة ـ إن رأيت أن الحاجة تقتضي ذلك ـ موضحاً اسم السفر ورقم الإصحاح وأحياناً رقم الفقرة. ولم أخالف هذا المنهج إلا مرة واحدة كان النص المستشهد به المتأخر من المهتدين أقوى دلالة وأوضح عبارة من النص الذي استشهد به المتقدم؛ فاعتمدت النص المتأخر، وبينت ذلك في الهامش .

٣ ـ قد ترد بعض العبارات مثل «الأبوة» و «البنوة» و «خلق الله على صورة الإنسان» سبحانه وتعالى عما يقولون علواً كبيراً . فهذه العبارات وأمثالها وردت من باب الإلزام، أو سوق الدليل الملزم؛ لا أن القائل يعتقد ما تدل عليه .

٤ – ستجد في هذا البحث عبارات مثل : قال الله لداود . وقال المسيح . وقال دانيال وقال يحيى عليه السلام .... وأشباه ذلك – فهذه العبارات لا نعتقد أنها صدرت عمن نسبت إليه يقينا ، ولكن لا نصدقها ولا نكذبها ، وإنما أوردتها هنا من باب الإلزام.

٥ ـ اضطررت عند صياغة هذا البحث المتواضع إلى عدم التقيد بالكم على حساب الكيف خاصة فيما يتعلق بحجم الأبواب وعدد الفصول والمباحث والمطالب؛ بل إنني اطلقت للقلم العنان فيما رأيت أن المادة العلمية التي توافرت لديّ تستدعى هذا الاطلاق، واقتضبت عن الاستطراد حينما تنضب المادة العلمية في فصل ما أو باب ما .

ولست الأول في هذا المضمار؛ إذ أن المنهجية الإسلامية تراعى الكيف قبل الكم، وخير قدوة لنا في هذا مدونات كتب السنة النبوية تجد أن المؤلف يجعل الكتاب الواحد يشتمل على عدد وفير من الأبواب، في حين تجد كتاباً آخر لا يحتوي إلا على بضعة أبواب وقارن مثلاً كتاب التوحيد وكتاب أخبار الآحاد من صحيح البخاري، وانظر كذلك كتب العقائد والفقه والتأريخ تجد ما ذكرته واضحاً لا لبس فيه .

ثامناً : الدراسات السابقة لهذا الموضوع :ـ

من خلال تتبع هذا الموضوع عبر الدراسات التي تناولته أو تناولت أحد جوانبه؛ تبين لي أن المؤلفات أو الدراسات التي تطرقت إليه هي مايأتي :ـ

القسم الأول: المؤلفات التي تناولت قصص الذين أسلموا وهي : كتاب «لماذا أسلم هؤلاء»، ترجمة مصطفى جبر، وكتاب «رجال ونساء أسلموا» ، تأليف عرفات كامل العشي، في عشرة أجزاء من الحجم المتوسط، وكتاب «لماذا أسلم هؤلاء»، تأليف أحمد حامد، وكتاب «كيف ولماذا اعتنقوا الإسلام» ، تأليف د. محمد بن إبراهيم الحسن ، ود. إبراهيم ابن صالح المعتاز، ومجموعة مقالات بعنوان (اخترت الإسلام) للأستاذ أنور الجندي، نشرت في مجلة حضارة الإسلام .

وهذه الدراسات أو المؤلفات رغم أنها قدمت للقارئ والباحث والداعي المسلم مادة علمية جيدة، ورصداً لبعض الصور المعاصرة للتحول نحو الإسلام؛ إلا أنه يلاحظ عليها مايلي:ـ

١ ـ أنها أساساً لم تكن موجهة لعلماء أهل الكتاب؛ بل إن هذه المؤلفات تروي قصة أيّ داخل في الإسلام سواء كان عالماً أم عامياً أم رجل سياسة أم رجل دين .

٢ ـ أن هذه المؤلفات لم تقتصر على أهل الكتاب؛ بل جمعت بين دفتيها اليهودي والنصراني والوثني والمجوسي والبوذي .

٣ ـ أن هؤلاء الذين رويت قصص إسلامهم لم يكن لهم نتاج فكري أو جهد علمي كما لهؤلاء الذين ستتناولهم هذه الدراسة إن شاء الله .

٤ ـ أن هذه المؤلفات خلت من تحليل هذه القصص ودراسة أسباب دخولهم في الإسلام، والخروج منها بنتائج هامة يمكن الاستفادة منها في دعوة غير المسلمين، وبيان العبرة من هذه التجارب الإيمانية .

القسم الثاني : دراسات قُصرت على شخصيات : ويندرج تحت هذا القسم :ـ

١ ـ دراسة عثمان الخشت عن روجيه جارودي التي بعنوان «لماذا أسلمت؟ نصف قرن من البحث عن الحقيقة» . وهذه الدراسة لم تكن دراسة عن آثاره وجهوده العلمية والعملية؛ وإنما هى دراسة عن تطور فكره خلال سنوات عمره، وانتقاله من النصرانية إلى الماركسية، ثم إلى الإسلام .

٢ ـ دراسة د. محمد يحيي عن المهتدية مريم جميلة التي بعنوان (رحلتي من الكفر إلى الإيمان قصة إسلام الكاتبة الامريكية) فهي في الحقيقة لم تكن دراسة بل عرض عن كتابها «الإسلام في مواجهة أهل الكتاب...الماضي والحاضر» الذى كتبته المؤلفة باللغة الإنجليزية، ويلاحظ على هذه الدراسة أنها استعراض للكتاب المذكور فقط. وهذه الدراسة افتقرت إلى مقارنتها

بدراسات مماثلة وحالات مشابهة بغية الخروج منها بنتائج متوقعة.

وهذا القسم وفّر على طلبة العلم هذه المعلومات المهمة عن هذه الشخصيات إلا أنها لم تتجاوز هذه العينات إلى ماسواها من مهتدي أهل الكتاب .

والدراسة الوحيدة التي وجدتها مباشرة في هذا الموضوع هي للدكتور محمد الشرقاوى تحت عنوان «المهتدون إلى الإسلام من علماء اليهود والنصارى وكتاباتهم الجدلية» وقد أدرجها ضمن تقديمه للكتاب الذي حققه بعنوان « النصيحة الإيمانية في فضيحة الملة النصرانية» وقد انتهت هذه الدراسة ـ رغم أنها وجيزة جداً إذ تقع في خمس صفحات ـ إلى النتائج التالية :ـ

١ـ أن أظهر مايميز هؤلاء : سعة ثقافتهم، وامتلاؤهم العلمي إذ كانوا راسخين في ديانتهم السابقة، وعلى دراية بالعلوم الرياضية والطبية والمنطقية .

٢ ـ حرصهم على البرهان، واحتفاؤهم بالدليل، وبعدهم عن التقليد للأسلاف والمشايخ، ودأبهم على النظر والتمحيص .

٣ ـ أنهم درسوا الإسلام دراسة واعية متثبتة ودراسة لغته والتضلع منها، وامتلاك ناصية البيان منها .

٤ ـ ظهر في كتاباتهم قوة الجدل، وبراعة الاحتجاج، مما يرفع قيمة هذه الرسائل في علم مقارنة الأديان.

٥ ـ تميزت هذه الكتابات بعدم تجاهل المنقول، فقد أفاض أصحابها في نقل الأدلة السمعية والنصوص النقلية من الكتب القديمة ومجادلة القوم بها .

٦ ـ أنهم من خلال مؤلفاتهم فتحوا أعين الدارسين، واسترعوا انتباههم إلى هذه النصوص ومقارنتها بالكتاب والسنة، فهم أرباب هذا المنهج .

٧ ـ أن مما يميز كتاباتهم أيضاً أن كثيراً من نقولهم لنصوص الكتاب المقدس– لدى اليهود والنصارى –كانت ترجمة ذاتية مباشرة منهم؛ فإنهم كانوا إلى جانب تفوقهم في لغة الضاد أصحاب معرفة واسعة باللغات التي دونت فيها هذه الأسفار، وهذا التمكن اللغوي جعل ترجماتهم مشرقة وبعيدة عن الركاكة والغموض.

٨ ـ أنهم كانوا حريصين على نقل الهداية والنور الذي غمرهم إلى الناس جميعاً .

بالإضافة إلى هذه النتائج فإن هذه الدراسة طرحت بعض الفروض التالية:

١ ـ أن الدارسين لم ينتبهوا إلى هذه الظاهرة، ولم يقفوا على أهمية كتبها، وأثرها على ما كتبه علماء كبار مثل الغزالي وابن تيمية وابن القيم وعبد الجبار الهمذاني، وأن الحكم على ماكتبه المسلمون في هذا الحقل لا يكون صحيحاً إلا بعد كشف هذه النصوص التي كتبها المهتدون وتحقيقها ومقابلتها.

٢ ـ أن هذا التحقيق المشار إليه آنفاً سيعدل أو سيغير أحكاماً كثيرة سابقة في بعض المؤلفات ولدى بعض المؤلفين .

ويلاحظ على هذه الدراسة مايأتي :ـ

١ ـ أنها اقتصرت على العلماء المهتدين في العصور الماضية ولم تتطرق إلى العلماء المهتدين المعاصرين .

٢ ـ أنها نظرت إلى آثارهم من الناحية العلمية وما تميزت به، ولم تستكمل بيان أثرهم في الدفاع عن الإسلام .

٣ ـ أنها دراسة وجيزة جداً إذ تقع في خمس صفحات فقط. وإلي جانب هذه الملاحظات فهناك أمور تميزت بها وهي :ـ

أ ـ أنها أول دراسة تناولت هذا الموضوع حسب ما تيسر لي الوقوف عليه من المصادر.

ب ـ أنها رغم قصرها فقد توصلت إلى كثير من النتائج والفروض .

جـ ـ أنها دعت إلى إعادة بحث هذا الموضوع لاستكمال السير في هذا المجال .

خلاصة استعراض الدراسات السابقة :ـ

تبين لى أن هذه الدراسات رغم التفاوت فيما بينها أهملت الجوانب التالية:ـ

الجانب الأول: أن هذه الفئة تعد ظاهرة في تأريخ علم مقارنة الأديان، فقد اشتهرت مؤلفاتها وتناقلها طلبة العلم من رواد هذا المجال لما اشتملت

عليه من نقدٍ لليهودية والنصرانية اعتمد على الدليل الواضح، والبرهان الساطع، والحجة القوية، ولما احتوت عليه من استنطاق للكتاب المقدس المزعوم ، وجمع مروياته المؤيدة للحق الذي يدعون إليه، ومقارنة نصوصه المحرفة ليظهر من هذه المقارنة العبث البشري بهذه النصوص... ورغم هذه الأهمية التي تبوأتها، والمكانة العالية التي تسنمتها فلم يكن لها النصيب الذي تستحقه من الدراسات الأكاديمية التي تؤلف بينها وتجمع متفرقها، وتستخلص من أدلتها ما يكون عوناً للباحث وزاداً لطالب العلم .

الجانب الثاني : اشتملت مؤلفات هذه الفئة على مناهج علمية متعددة ومتنوعة في نقد التوراة والأناجيل المتداولة ورغم أهمية هذه المناهج التي أسسوها في هذا الفن، وشرعوها لغيرهم ممن أتى بعدهم؛ فإنها لا تزال بحاجة إلى من يبرزها إلى ساحة البحث، ويبين أصولها التي اعتمدت عليها، وغاياتها التي توصلت إليها .

الجانب الثالث : رغم أن الجهود التنصيرية قائمة على أشدها في العالم الإسلامي، وتطبع وتوزع سنوياً مئات الآلاف من نسخ العهدين بكل اللغات الممكنة، ورغم أن مؤلفات هؤلاء المهتدين في هذا المجال تعتبر من أمضى الوسائل في صد هذه الجهود التنصيرية، وكشف زيفها؛ إذ هي أساساً موجهة لنقد كتابهم ، ورغم حاجة الأمة الإسلامية إلى كل مايعينها في هذا المجال ، وإن مما يعينها دراسة هذه المؤلفات عبر دراسات متعددة تجعل من هؤلاء وآثارهم محور دراساتها ومحل التحليل والاستنتاج .

ورغم كل هذه المبـررات السـابقـة فـإن هذا الموضـوع لـم يلق عناية تتناسب مع حـجـمـه وأهمـيتـه، وأسـأل الله أن تكون هذه الدراسـة نواة لدراسات مماثلة تستكمل النقص، وتسد الثغرة، وتقوي الضعف .

المقدمة

وتشتمل على :

أولاً ـ وحدة المصدر بين هذه الكتب الإلهية: التوراة، والإنجيل، والقرآن، وأنها كلها منزلة من الله تعالى.

خلق الله سبحانه وتعالى آدم عليه السلام، ثم استخرج ذريته من ظهره على أمثال الذر، وأخذ عليهم العهد والميثاق على الإقرار بربوبيته كما أخبر بذلك سبحانه وتعالى فقال: ﴿وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين[1]﴾ولعظيم حكمته، وواسع رحمته، وحتى لا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل؛ أرسل الله الرسل مبشرين ومنذرين، وأنزل معهم الكتب فقال سبحانه وتعالى:﴿ إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده وأوحينا إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وعيسى وأيوب ويونس وهرون وسليمان وآتينا داود زبوراً. ورسلاً قد قصصناهم عليك من قبل ورسلاً لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليماً. رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزاً حكيماً[2]﴾.

وهذه الرسالات الإلهية تشتمل على التوحيد الخالص، والتصديق للرسول المبلّغ، والإيمان بالملائكة، والإيمان باليوم الآخر، والعمل بالشرع

---

(١) سورة الأعراف ، الآية ١٧٢ .

(٢) سورة النساء ، الآيات ١٦٣-١٦٥ .

المنزل. وتتفق كل هذه الرسالات في أمور منها: الإيمان بالله والدعوة إليه، والإيمان بالرسول المرسَلِ، والإيمان بالملائكة، والإيمان باليوم الآخر قال تعالى:﴿ شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه كبر على المشركين ما تدعوهم إليه الله يجتبي إليه من يشاء ويهدي إليه من ينيب[1]﴾وتختلف هذه الشرائع فيما بينها فيما يتعلق بالعبادات والمعاملات حسبما يرتضيه لها رب البرية، وفق ما يصلح أحوالها ويقيم أودها قال تعالى:﴿ لكلٍ جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً[2]﴾.

وهؤلاء الرسل الكرام صلوات الله وسلامه عليهم منهم من ذكره الله في كتابه كنوح وإبراهيم وموسى وعيسى ، ومنهم من لم يذكره كما دلت على ذلك آية النساء السابقة، وكذلك الكتب الإلهية المنزلة عليهم منها ما ذكره الله في كتابه كصحف إبراهيم وموسى والتوراة والإنجيل والزبور، ومنها ما لم يذكره، وهذه الكتب المنزلة هي كتب إلهية أوحى الله بها إلى أنبيائه ورسله، وهي وحي الله وكلامه وشرعه وخبره، لا يجوز أن يقال هي : معني كلام الله أو عبارة عن كلام الله ولا غير ذلك من الألفاظ المخالفة .

(١) سورة الشورى ، الآية ١٣ .
(٢) سورة المائدة ، الآية ٤٨ .

وينبغي تجاه هذه الكتب التي أنزلها الله: الإيمان بها والتصديق لها، فما ذكره الله في كتابه نؤمن به كما ذكره، ونعتقد أنه كتاب من كتب الله أنزله على رسولٍ من رسله، وأنه في زمنه هو الشرع المتبع الذي لا يجوز لمن نزّل إليهم مخالفته أو الخروج عليه أو المروق منه، قال تعالى: ﴿والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون[1]﴾وقال تعالى:﴿ نزّل عليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه وأنزل التوراة والإنجيل. من قبل هدي للناس وأنزل الفرقان إن الذين كفروا بآيات الله لهم عذاب شديد والله عزيز ذو انتقام[2]﴾. كما نعتقد أن هناك كتباً أخرى أنزلت على رسل آخرين ولم تذكر لنا هذه الكتب؛ فنؤمن بها على وجه الإجمال قال تعالى:﴿ يا أيها الذين آمَنوا آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذى نزّل على رسوله والكتاب الذى أنزل من قبَل ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالاً بعيداً [3]﴾.

واستمرت هذه الرسالات والكتب تتنزل على البشرية:﴿وإن من أمة إلا خلا فيها نذير[4]﴾حتى إذا أراد الله سبحانه وتعالى أن يأذن بانتهاء تَنَزْل هذه الرسالات جعل الله الرسالة الخاتمة شاهدة على ماسبقها من

(١) سورة البقرة ، الآية ٤.
(٢) سورة آل عمران ، الآيتان ٣ ، ٤.
(٣) سورة النساء ، الآية ١٣٦.
(٤) سورة فاطر ، الآية ٢٤.

رسالات، وجعل القرآن الكريم شاهداً ومهيمناً على الكتب الإلهية السابقة قال تعالى:﴿ وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه[1] ﴾وضمنه كل ما تحتاج إليه البشرية في دينها ودنياها وفى عاجل أمرها وآجله قال تعالى :﴿ ما فرطنا في الكتاب من شئ[2]﴾وقال تعالى : ﴿ ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شئ[3] ﴾.

(١) سورة المائدة ، الآية ٤٨.
(٢) سورة الأنعام ، الآية ٣٨.
(٣) سورة النحل ، الآية ٨٩.

ثانيـاً : سلامة القرآن الكريم من التحريف والتبديل، وإثبات تحريف التوراة والإنجيل :ـ

تحدثت في الفقرة السابقة عن أن الله سبحانه وتعالى جعل الرسالة المحمدية خاتمة الرسالات والمهيمنة عليها، والشاهد لها، وأنه سبحانه جمع فيها كل ما تحتاج إليه البشرية في الدين والدنيا والآخرة، وجعل ميثاق هذه الرسالة القرآن الكريم، وكتب له ولها الاستمرار والدوام إلى ماشاء الله حتى يأذن الله برفعه في آخر الزمان كما ذكر ذلك الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود حيث قال :(ليسرين على القرآن ذات ليلة، ولا يترك آية في مصحف ولا في قلب أحد إلا رفعت)[1]، فمن المسلّم به عقلاً ونقلاً أن يُحفظ ويحرس هذا الكتاب ويسلم من التغيير والتبديل إذا كان بهذه المنزلة العالية؛ لأنه لم يكن كتاباً إلهياً أنزل ليعمل به لفترة محدودة ثم ينتهي أمره بانتهائها، ولذلك لم يَكِلِ الله سبحانه وتعالي أمر حفظه إلى البشر بل تولى حفظه بنفسه فقال :﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون[2]﴾وحماه وحرسه من كل تبديل أو تغيير أو تحريف فقال: ﴿ لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد[3]﴾في حين أن الكتب الإلهية السابقة التي لم يشأ الله لها الدوام والاستمرار لم يتكفل بحفظها؛ بل استحفظها أهلها كما أخبر بذلك سبحانه وتعالى

(١) سنن الدرامي باب في تعاهد القرآن ، جـ ٢ ، ص ٣١٥.

(٢) سورة الحجر ، الآية ٩.

(٣) سورة فصلت ، الآية ٤٢.

في قوله:﴿ إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والأحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شـــهــداء[1]﴾ فلذلك حدث فيها التغيير والتحريف والتبديل قال تعالى: ﴿أفتطمعون أن يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ماعقلوه وهم يعلمون﴾ إلى أن قال :﴿فويل للذين يكتبون الكتـــاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً [2]﴾وقال تعالى:﴿ يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظاً مما ذكروا به[3]﴾ هذا كتابنا ينطق عليهم بالحق، ويشهد عليهم بالتحريف. ليس هذا فحسب؛ بل إن علماءهم الذين هداهم الله للإسلام شهدوا على كتبهم أنها لم تبق على هيئتها الأولى التي أنزلها الله عليها؛ بل تدخلت فيها اليد البشرية وعبثت بها فأنتج ذلك العبث تحريفاً وتناقضاً، ولا يزال هذا العبث مستمراً إلى يوم الناس هذا تلمسه في كل طبعة جديدة لهذه الأسفار .

---

(١) سورة المائدة ، الآية ٤٤.
(٢) سورة البقرة ، الآيات ٧٥-٧٩.
(٣) سورة المائدة ، الآية ١٣.

ثالثاً: نبذة موجزة عن الأسباب التي تدعو أهل الكتاب إلى الدخول في الإسلام

مقدمة :

إن المتتبع لقصص أولئك المهتدين الذين دخلوا في دين الإسلام ليَقِف من خلالها على الأسباب الدافعة لهم لاعتناق الإسلام ـ سيلاحظ عدة أمور :ـ

١ ـ أن كل واحد من هؤلاء حين وجد في الإسلام ماكان يفتقده في دينه السابق جعله الدافع له لاعتناق الإسلام؛ فمن وجد فيه وضوح المعتقد وقربه فيه من الله، وبعده عن الوسائط، وخلوه من الطقوس الجامدة؛ فقد جعل ذلك داعيه إلى الإسلام . وكذلك من كان يفتقد الموضوعية في دينه السابق ووجدها هنا فإنه يراها هي السبب الذي دعاه إلى الانضواء تحت لواء محمد ﷺ.

٢ ـ كثيراً ما يصادف الباحث صعوبة استنتاج السبب المباشر الذي دعا هذا المهتدي أو ذاك إلى الإسلام؛ ومرجع ذلك: إما لعجزه عن التعبير عما في نفسه، أو لورود السؤال عليه عن سبب إسلامه بعد مضي مدة طويلة على ذلك؛ فيكون قد نسي السبب المباشر ورأى هذا الدين كلاً متكاملاً فلا يميز السبب .

٣ ـ أنني عولت في اختيار السبب وتدوينه ضمن هذه الأسباب على

اللفتة الأولى التي حركت في هذا المهتدي أساس فطرته ورفعت عن عينيه غشاوة الظلام فدفعته إلى البحث عن الإسلام .

٤ ـ المنهجية العلمية تضطر الباحث إلى عدم تتبع كل سبب يدعو أهل الكتاب إلى الدخول في الإسلام من خلال البحث في ذات هذا الدين ومنهجه القويم، وأن يقتصر على الأسباب التي أوردها أولئك المهتدون، ورأوها هي الدافع لهم. وهذه الأسباب هي مايلي : ـ

١ ـ الهداية والعناية الإلهية [١] :ـ

إن من أدركته هداية الله بلطفها فقادته إلى نور الإسلام فقد أفلح وفاز في الدنيا والآخرة، ومن حرمها فقد حرم الخير كله، وارتكس في دركات الكفر فهو يتخبط فيها، يلحظ ذلك كل من له أدنى اطلاع على سير أولئك المهتدين إلى الإسلام ـ منذ بزوغ فجره ـ كيف كان يعيش الفرد منهم شطراً من عمره أو أكثر يتخبط في دياجير الظلام، ثم تحيط به الرحمة الإلهية، ويغشاه نور اليقين، فلا يملك إلا أن يأنس لهذه الرحمة،

(١) ليس القصد من هذا العنوان أن من لم يذكر هداية الله ضمن الأسباب التي دفعته إلى الإسلام ، وإنما ذكر غيره من الدوافع كالوحدانية فى الإسلام ، ورؤية شعيرة من شعائر الإسلام... أن هؤلاء لم تشملهم الهداية الإلهية. وإنما الغرض من ذكر هؤلاء تحت هذا العنوان أنهم لم يذكروا سبباً مباشراً ملموساً ، ولم يجدوا ما يعللون به إسلامهم إلا هداية الله لهم. ولذلك صدرت هذه الفقرة بهذا العنوان. وإلا فكل بحث أو اجتهاد أو نظر خلا من هداية الله ولطفه ينقلب وبال على صاحبه.

وينقاد لهذا النور قال تعالى:﴿فإن الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء[1]﴾. وقال تعالى:﴿ فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام[2]﴾. ولما سئل القس دافيد بنجامين «عبد الأحد داود» كيف صرت مسلماً؟ قال: (إن اهتدائي للإسلام لا يمكن أن يعزي لأي سبب سوى عناية الله عز وجل، وبدون هداية الله فإن كل القراءات والأبحاث ومختلف الجهود التي تبذل للوصول إلى الحقيقة لن تكون مجدية[3]) .وإلى ماذهب إليه هذا الباحث من الإشارة إلى هذا السبب يقول أحد المهتدين[4]:(إن الله تعالى هو الذي هيأ له هذه الصدفة التي يعتبرها بادرة من بوادر عناية الله به[5]) .

٢ ـ قراءة القرآن الكريم أو قراءة ترجمة معانيه:ـ

لقد أخبرنا الله في محكم تنزيله أن هذا القرآن لو أنزل على جبل

---

(١) سورة فاطر ، الآية ٨.

(٢) سورة الأنعام ، الآية ١٢٥.

(٣) محمد في الكتاب المقدس ، تأليف عبد الأحد داود ، ترجمة فهمي شما، نشر رئاسة المحاكم الشرعية في قطر ، ط١ ، ص ١.

(٤) لم أشأ أن أذكر اسم كل من استشهدت بمقاله في هذه النبذة اليسيرة من الأسباب ، لأن الذي يعنينا من هذه القصص هو موضع الشاهد منها ، ولا يعنينا بحال من الأحوال ذكر اسم من وقع منه الحدث، وهذا منهج قرآني تلمسه فيما قصه الله علينا من قصص القرآن الكريم ، فلم يذكر في هذه القصص من الأسماء إلا ما تعلقت بذكره مصلحة ، أو كان الأمر يتطلب ذكر اسمه ، كما ذكر اسم نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومريم عليهم السلام وزيد رضي الله عنه ، أما ما عدا ذلك فتذكر القصة مجردة من الأسماء ، كقصة أصحاب الكهف وأصحاب الأخدود، ومؤمن آل فرعون.

(٥) جريدة المسلمون عدد ٣٨، عام ١٤٠٢هـ ص ٣٨، وانظر أيضاً لشهادات مماثلة : النصيحة الإيمانية في فضيحة الملة النصرانية، تأليف نصر بن يحيى المتطبب، تحقيق د. محمد الشرقاوي، نشر دار الصحوة، ١٤٠٦هـ، ص ٤٩ .

لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله[١]، فكيف إذا صادف قلباً خالياً من تعنت الجهل وصلف الكبر، باحثاً عن الحق، منقاداً إلى دليله؛ فإنه حقاً سيذعن لهذا القرآن ولما تضمنه من منهج متكامل، ولا أدل على ذلك إلا هذه الملايين المصدقة به من يوم نزوله إلى الآن وإلى أن يشاء الله .

وبعض هؤلاء المهتدين الذين اطلعوا على القرآن الكريم أو على ترجمة معانيه[٢] قادهم ذلك إلى الإيمان بما تضمنه مما يجب على العبد معرفته والإقرار به نحو ربه وخالقه، ونحو نفسه ومجتمعه، وما ينتظره في يوم القيامة من نعيم أبدي إذا أحسن، أو عذاب سرمدي إذا هو تنكب الصراط السوي .

وأستطيع أن ألحظ ماذكر آنفاً من قول أحد المهتدين بعد أن وصلت حالته إلى أسوأ حال إذ يقول:(عثرت على كتاب فيه بعض الآيات القرآنية المترجمة فقرأتها فكانت هذه نقطة تحولي، وبدأت أبحث عن كل كتاب يتحدث عن الدين ودرست كل الأديان عن عمق وعقل وفهم ومقارنة.. وبعد دراسة عشر سنوات اقتنعت عقلياً وروحياً بالدين الإسلامي ... والحقيقة أنني وجدت في الدين الإسلامي أشياء عظيمة كثيرة، وإن كنت

(١) إشارة إلي ما ورد في سورة الحشر الآية ٢١ .

(٢) ومعلوم أن الترجمة مهما أوتي صاحبها من علم بكلتا اللغتين فلن يستطيع أن ينقل من خلالها روح النص المترجم، كيف والمترجم هو كلام الله الذى تحدى الله البشر أن يأتوا بمثله أو بسورة من مثله أو بآية، وقد شكا كثيرون من المهتدين من فساد الترجمات . انظر رجال ونساء أسلموا، تأليف عرفات كامل العشي، نشر دار القلم فى الكويت، ط٣ ،جـ٢ ص١٦ ففيها إشارة إلى هذا .

وجدت في الأديان الأخرى بعض الحق؛ فلقد وجدت في الإسلام كل الحـق[1]) . وبتعبير أدق يتضح من خلاله مدى التأثير الذي يحدثه القرآن لدى المتأمل فيه، وما يترك في نفسه من انجذاب نحو الإسلام تتحدث إحدى المهتديات بعد أن وقعت في يدها نسخة من ترجمة معاني القرآن الكريم باللغة الألمانية فتقول:(فقرأتها باهتمام وأحسسـت بانجـذاب غير عادي تجـاه الإسلام[2]) .

ويؤيد مـاذهبت إليـه من أن القـرآن كـان ولا يزال دافعـاً قـوياً لإيمان الكثير الكثير من الناس في القديم والحديث؛ لما احتوى عليه من وضوح في المعتـقـد، وشـمـول في التـشـريع، واستـمـرار في مطابقـة كـثيـر من الاكتشافات العلمية لما تضمنه من إشارات ودلالات على ما في الكون من سنن ونوامـيس، ومـا في الأرض والأنفس من آيات ـ قـول أحـد المهـتـدين مـوضـحاً هذا الجانـب:(أما مـركـز الثقل والعـامل الرئيس في اعتناقي للإسلام ـ فهو القرآن، بدأت قبل أن أسلم في دراسته بالعقلية الغربية المفكرة الناقدة ...ثم قال : إن من بين آيات هذا القرآن الذي أوحى به الله منذ أكثر من ثلاثة عشر قرناً ما يحمل نفس النظريات التي كشفت عنها أحدث الأبحاث العلمية [3]) . وهذه شهادة أخرى من مهتدٍ آخر يبين من خلالها مدى إعجابه باسلوب القرآن وطريقة عرضه للتعاليم الإسلامية،

---

(١) لماذا أسلم هؤلاء ، تأليف أحمد حامد ، نشر مطبوعات الشعب بمصر عام ١٩٧٦م ، ص ١٤٢-١٤٣ .

(٢) جريدة المسلمون عدد ٤٢ ، عام ١٤٠٢هـ ، ص ٧٠-٧١.

(٣) لماذا أسلمنا مجموعة مقالات ، ترجمة مصطفى جبر ، نشر الرئاسة العامة لإدارت البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد ، الرياض ١٤٠٤هـ ، ص ٨١.

ويصف في شهادته هذه الروح العظيمة التي يثيرها القرآن في نفوس معتنقيه فيقول في وصفه للقرآن ومدى تأثره به:(أخذ مني الإعجاب كل مأخذ؛ لما رأيته في هذا القرآن من أسلوب عقلي رائع في نفس الوقت الذي يفرض فيه التعاليم الإسلامية، كما أدهشتني تلك الروح الثائرة الوثابة العظيمة التي أثارتها وأذكتها هذه التعاليم في قلوب المسلمين الأوائل[1]).

٣ ـ الإيمان بوجود إله واحد :ـ

قال تعالى:﴿وماكان الناس إلا أمة واحدة فاختلفوا..[2]﴾ وقال تعالى : ﴿فأقم وجهك للدين حنيفا فطرت الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم﴾ [3]وقال رسول الله ﷺ:(ألا إن ربي أمرني أن أعلمكم ماجهلتم مماعلمني يومي هذا: كل مال نحلته عبداً حلال. وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم، وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن

(١) المصدر السابق ، ص ٩٤. وانظر لمزيد من هذه الشهادات المصدر السابق ، ص ١٤٥ ، ٢١٩ ، ٢٢٦ ، ورجال ونساء أسلموا جـ١ ص ١٧١ ، وجـ ٢ ص ١٢٨ ، وجـ ٣ ص ٩٨ ، وجـ ٤ ص ٤٥، ٨٠، وجـ ٥ ص ٣٥ ، ١٢١ ، جـ ٦ ص ٩ ، وجـ ٧ ص ٤٨. ولماذا أسلم هؤلاء ، ص ٣٠ ، ١٤٥ ، وكيف ولماذا اعتنقوا الإسلام ، تأليف د .محمد إبراهيم الحسن ، ود .إبراهيم المعتاز ، نشر دار المريخ – الرياض ، ط ؟ ، ١٤٠٩هـ. ص ٩٦ ، ١٠٤ ، ١٢٦ ، وجريدة المسلمون عدد ١٦ عام ١٤٠٢هـ ص ٥٧ ، وعدد ٢ . عام ١٤٠٢هـ ص ٥٧.

(٢) سورة يونس ، الآية ١٩.

(٣) سورة الروم ، الآية ٣٠.

دينهم، وحرمت عليهم ماأحللت لهم، وأمرتهم أن يشركوا بي مالم أنزل به سلطاناً ..»[1] يتبين مما سبق أن الأصل في الاعتقاد التوحيد، والأصل في البشر أن يكونوا حنفاء لله؛ لكن لحكمة أرادها الله سبحانه وتعالى انقسم الناس إلى موحدين في اعتقادهم ، وإلى عباد أصنام وأوثان على اختلاف أشكالها. ومهمة الرسل التي بعثوا بها، وشرفوا بأدائها هي دعوة الناس إلى توحيد الله وإفراده بالعبادة، فما من رسول بعث إلى قوم إلا قال لهم:﴿ ياقوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره[2]﴾ وحذرهم من الشرك والكفر بالله. ومهمة الشيطان التي يسعى لتحقيقها في هذه الدنيا هي ماذكرها الله في محكم تنزيله مخبراً عنه أنه قال:﴿ لأتخذن من عبادك نصيباً مفروضاً. ولأضلنهم[3]﴾. بل جميع الكتب الإلهية أكدت هذا الجانب، ودعت إليه، وبينت أن الله واحد في ذاته، وواحد في أسمائه وصفاته، وواحد في أمره ونهيه وخلقه، وهذا الأمر كما تقرره هذه الكتب يقرره المنطق العقلي الوارد في قوله تعالى:﴿ لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا فسبحان الله رب العرش عما يصفون[4]﴾، وفي قوله تعالى : ﴿ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذاً لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون﴾ [5] وترغب إليه النفس

(١) رواه الإمام مسلم في صحيحه في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، حديث ٢٨٦٥.
(٢) سورة الأعراف ، الآية ٥٩.
(٣) سورة النساء ، الآيتان ١١٨-١١٩.
(٤) سورة الأنبياء ، الآية ٢٢.
(٥) سورة المؤمنون ، الآية ٩١.

الإنسانية السوية؛ لأنها مفطورة عليه: ﴿ فطرت الله التي فطر الناس عليها[1] ﴾.

ولقد اشتمل القرآن الكريم على أمثال عدة ضربها سبحانه وتعالى ليبين من خلالها ـ لرواد هذا المنهل العذب ـ شناعة من يعبد معه آلهة متعددة، وإليك بعضاً منها :ـ

أ ـ قال تعالى : ﴿ ضرب الله مثلاً رجلاً فيه شركاء متشاكسون ورجلاً سَلَماً لرجل هل يستويان مثلاً[2] ﴾ فشبه الله في هذه الآية من يعبد آلهة متعددة بعبد فيه شركاء متشاكسون، ومن يعبد الله وحده بعبد مملوك لرجل واحد، فهذا غايته واحدة، وطريقته واحدة، وأوامره المُطَالب بتنفيذها لا تتعدد ولا تتبدل؛ فهو يعيش في أمن واستقرار نفسي؛ لأنه قادر على تحقيق رضا سيده، وبلوغ غايته فهو على منهج واحد مستقيم مستقر.

أما الآخر فغايات المتشاركين المتشاكسين فيه متباينة، وتكاليفهم له مختلفة، ومطالبهم متفاوتة، إن أرضى هذا أغضب ذاك؛ فمن العسير عليه تحقيق أطماعهم وأداء تكاليفهم فضلاً عن أن ينال رضاهم، وكذلك من شتت نفسه بين آلهة متعددة .

ب ـ قال تعالى : ﴿ وضرب الله مثلاً رجلين أحدهما أبكم لا يقدر على شيء وهو كَلٌّ على مولاه أينما يوجهه لا يأت بخير هل يستوي هو

---

(1) سورة الروم ، الآية ٣٠.

(2) سورة الزمر ، الآية ٢٩.

ومن يأمر بالعدل وهـو علـي صـراط مستقيـم[1]﴾. فالمعبود من دون الله سواء كان صنماً أو غيره هو كالعبد الأبكم الذي لا يقدر على شيء ـ أي شئ ـ وبالإضافة إلى هذا العيب المانع من الاستفادة منه فهو كَلٌّ على مولاه مهما بذل معه من وجوه المحاولة للاستفادة منه فإنه لا يأتي بخير.

فلا ريب أن تجد كثيراً من المهتدين إلى هذا الدين قادهم نور التوحيد في الإسلام إلى اعتناقه، والإشارة بأن هذا الجانب المضيء هو الذي انتشلهم من ظلمات الشرك والكفر، يؤكد ذلك أحد المهتدين قائلاً : (لقد وجدت في الإسلام ثلاثة فروق جوهرية بين الإسلام والمسيحية ـ

أ ـ أن المسيحية في الوقت الذي تعترف فيه بكافة الأنبياء تجرد عيسى من النبوة وترفعه إلى مرتبة الألوهية، كما تنكر نبوة محمد ﷺ .

ب ـ أنها تنادى بأن عيسي ابن الله، وأنه طرف في التثليث المقدس، وبذلك يكون عيسى إلهاً، وابن إله في وقت واحد مما يتعذر فهمه .

جـ ـ أن المسيحية تجعل الكنيسة وسيطاً بين الناس وبين ربهم ولقد وجدت تصويباً لهذه الفكرة المضحكة وتصحيحاً لها في الإسلام [2].

وهذا مهتد آخر من هولندا اسمه «ملما» وهو عالم في تأريخ الأجناس البشرية لما سئل عن أجمل ماوجده في الإسلام ؟ أجاب إجابة تؤكد ماذهبت إليه من أن نور الوحدانية في الإسلام له بريق خاص لا يملك

---

(١) سورة النحل ، الآية ٧٦.

(٢) رجال ونساء أسلموا، جـ١ ، ص ٦٧-٦٨.

من أشرق له هذا النور أن يتركه إلى سواه ـ فقال:(الإيمان بوجود إله واحد له السلطان المطلق فكرة تقتنع بها كل العقول المفكرة، وأنه الله الذي يحتاج إليه الخلق جميعاً، لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد، وأنه متصف بأكمل الكمال في الحكمة والقوة والجمال؛ ليس لبره ورحمته حدود[1]) .

٤ ـ الصلة المباشرة بين الخالق والمخلوق :ـ

من أوضح الأمور وأجلاها في الإسلام علاقة الإنسان بربه قال تعالى:﴿ وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون[2] ﴾ وقال تعالى : ﴿وقال ربكم ادعوني استجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين [3] ﴾ فهي علاقة مباشرة بين العبد وربه، فلا واسطة ولا شفيع بينهما، فلا يحتاج الإنسان إذا أراد أن يعبد ربه وفق المنهج الإسلامي أن يبحث له عمن يشفع له لدى ربه لقبول عبادته، أو أن يبحث كذلك عمن يتقبل قرابينه منه ويتكفل له بمحو سيئاته لدى ربه .

في هذا المنهج الرحب المتكامل يكفي الإنسان أن يتجه إلى ربه مباشرة فيعبده مخلصاً له من قلبه، أو يدعوه ليغفر له أو ليهبه مايشاء من

(١) لماذا أسلمنا ، ص١١٠ ، وانظر لمزيد من هذه الشهادات كتاب «رجال ونساء أسلموا» جـ ٤ ص ٧٣ ، جـ ٦ ص ٢٠ ، ٤٦ ، ١٢١ ، وجـ ٨ ص ٣٩ ، ٧٠.

(٢) سورة البقرة ، الآية ١٨٦ .

(٣) سورة غافر ، الآية ٦٠.

رحمته ولذا شنع المولى سبحانه على من اتخذ من دونه شفعاء فقال تعالى: ﴿ويعبدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله[1] ﴾وقال تعالى : ﴿ والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى إن الله يحكم بينهم في ما هم فيه يختلفون إن الله لا يهدي من هو كاذب كفار[2] ﴾ وقال عز وجل : ﴿ أم اتخذوا من دون الله شفعاء قل أولو كانوا لا يملكون شيئاً ولا يعقلون. قل لله الشفاعة جميعاً له ملك السموات والارض ثم إليه ترجعون[3]﴾وقال عز شأنه :﴿ ولقد جئتمونا فرادي كما خلقناكم أول مرة وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم أنهم فيكم شركاء [4]﴾.

هذا مايتعلق بالمنهج الإسلامي فيما يختص بعلاقة العبد بربه، أما علاقة العبد بربه من خلال العقيدة النصرانية الصحيحة فقد كانت هي نفس العلاقة في الإسلام. وغير خاف على المطلع على الدين النصراني وماشابَهُ من تحريف وتغيير أثقله ما أضيف إليه من عقائد وثنية، وأفكار إلحادية، وأساطير يونانية؛ جعلت العبد في هذا المنهج أبعد مايكون عن ربه، ومنحت الكنيسة من خلاله سلطات ومزايا هي في الأصل لله وحده

(١) سورة يونس ، الآية ١٨.
(٢) سورة الزمر ، الآية ٣.
(٣) سورة الزمر ، الآيتان ٤٣ ، ٤٤.
(٤) سورة الأنعام ، الآية ٩٤.

مثل غفران الذنوب، وتحليل الحرام، وتحليل الحلال، قال تعالى :﴿ اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إلهاً واحداً لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون[1]﴾.

وفي الإنجيل مما افتراه الكاذبون مايؤيد الذي ذهبت إليه فقد ورد في إنجيل متى الإصحاح الثامن عشر أن المسيح عليه السلام قال للحواريين: (كل ماتربطونه على الأرض يكون مربوطاً في السماء. وكل ماتحلونه على الأرض يكون محلولاً في السماء[2]) وبالتأكيد هم ليسوا بأنبياء حتى تمنح لهم هذه المزية بوحي من الله بعد إذنه لهم بهذا الأمر؛ إذاً فهذا النص يتبين من خلاله مدى إسراف رهبان النصارى في منح أنفسهم حق التحليل والتحريم، وهذا المضمون وماشابهه تجده مبثوثاً في كتب العهدين هنا وهناك .

ولقد أخبرنا الله في كتابه الكريم عن تطاول اليهود والنصارى على مقام الألوهية فحدثنا أن اليهود جعلت عزيراً ابن الله، والنصارى جعلت الله ثالث ثلاثة، ومنحت المسيح عليه السلام كل صفات الألوهية والربوبية فجعلت كل العبادات متجهة إليه، كما فوضت إليه الإحياء والإماتة والخلق والتدبير، وخولت له الحساب يوم الحساب .

وهذه التجاوزات والتعديات على مقام الألوهية في دين أهل الكتاب ـ سلبت من أتباعه القناعة بهذا الدين ؛ فتركوه إلى غيره باحثين عن دين

---

(١) سورة التوبة ، الآية ٣١.

(٢) متى ١٨ :١٨.

يجدون فيه العلاقة المباشرة بين العبد وربه، ويهربون من كهنوت فرض عليهم عبادة العباد بدلاً من عبادة رب العباد. يقول أحد المهتدين مبيناً السبب الذي دعاه إلى الإسلام وأنه الصلة المباشرة بين العبد وربه:(الصلة بين خالق الكون ومخلوقاته التي ميز الله الإنسان عليها صلة مباشرة؛ فلا يحتاج المؤمن إلى وساطة، كما لا يحتج الإسلام إلى كهنوت، ومن تعاليم الإسلام أن الصلة بالله ترجع إلى الإنسان نفسه، وأن على الإنسان أن يعمل في حياته الدنيا لحياته الأخرى، وأنه مسئول عن عمله، ولن تكفر ذنوبه تضحية نفس أخرى بريئة[1]) .

٥ ـ الاستدلال على أسماء الله الحسنى :ـ

قال تعالى :﴿ ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في أسمائه سيجزون ماكانوا يعملون[2]﴾ لكن الصورة التي رسمتها اليهودية المبدلة، والنصرانية المحرفة لله سبحانه وتعالى صورة مزرية مشينة مشابهة تماماً للعقلية التي تفتقت عنها، فقد وصفته اليهودية بأن يده مغلولة ـ غلت أيديهم ـ وأنه فقير وهم أكمل منه إذ هم أغنياء كما ورد ذلك حكاية عنهم في القرآن، وأنه غير حكيم إذ يندم على تصرفاته[3] ... إلى آخر ما وصفته به اليهود ـ عليهم لعائن الله ـ مما أتعفف عن

---

(١) لماذا أسلمنا ، ص١١٠ ، ولمزيد من الشهادات حول هذا الجانب انظر رجال ونساء أسلموا جـ١ ص ٦٧-٦٨ ، و جـ٥ ، ص ١٨.

(٢) سورة الأعراف ، الآية ١٨٠.

(٣) انظر إفحام اليهود ، ص ١٢٤ وما بعدها.

الاستطراد في ذكره وأكتفي بمحل الشاهد منه .

ووصفته النصرانية بأنه ثالث ثلاثة، وبأنه ذو ولد، وأنه ضحّى بابنه لتكفير ذنوب خلقه، وأن هذا الابن خلق السموات والأرض ، وأمامه يتم حساب الخلائق يوم القيامة[1] ... فكل صفات الله سبحانه وتعالى خلعتها النصرانية على المسيح عليه السلام. وهذه الصورة التي رسمتها اليهودية والنصرانية والتى سبق بيان بعض ملامحها تأنف منها النفوس السوية الزكية، والفطر السليمة؛ ذلك لأن النفس البشرية تطلب الكمال وتأنف من النقص في مثيلاتها، وتراه عيباً مشيناً ونقصاً مخلاً. فكيف ترضى بإله هذه صورته؟ إنها حقاً لن ترضى وستبحث عما يتناسب مع فطرتها ويليق بعبوديتها للإله الحق سبحانه .

فلا غرو إن وجدت من المهتدين من دخل في الإسلام بعد معرفته لبعض أسماء الله الحسنى؛ ذلك لأن الاطلاع على أسماء الله من أعظم نعمه على خلقه، فإن الإنسان عندما يعرف أن من أسمائه المؤمن الذي أمّن أولياءه من خزي الدنيا وعذاب الآخرة، وأنه العفو الغفور الذي يعفو ويغفر لخلقه مهما أذنبوا إذا سلموا من الشرك وتابوا إليه وأصلحوا، وأنه الحكيم فلا يأمر أو ينهي أو يخلق إلا لحكمة، وأنه الرقيب المطلع على كل مايجرى في هذا الكون، وأنه المنتقم شديد العقاب لأعدائه ـ يزداد معرفة بالله سبحانه وتعالى، ويزداد قرباً منه؛ لأن كل اسم من أسمائه

---

(٤) انظر متى ٢٨ : ١٩ ولوقا ١ : ٣٥ ، ورؤيا يوحنا ٣ : ١٤ ، ورسالة بولس الأولى إلى تيموثاوس ٦ : ١٥.

تعالى يدل على صفة من صفاته، ومعرفة أى صفة من صفاته تفيد العبد ماينبغي عليه عمله، وهذا الكم الهائل من المعرفة المتاحة من خلال الاستدلال على هذه الأسماء وماتدل عليه من صفات قد لا يُقدّر قيمته ولا يعرف قدره إلا من حرم منه شطر عمره .

وفى نفحة من نفحات رحمة الله يقع على مايدله على هذا النبع الثر المتدفق من العلم الرباني فيشرح له صدره ويقوده إلى الإسلام. تقول إحدى المهتديات :(لا أذكر أنني سمعت في أي يوم من أيام طفولتى أي ذكر لاسم الله، ولم أكن مقتنعة ببعض المبادئ الرئيسة في الديانة المسيحية) وعندما سئلت عن الذي شد انتباهها وهي تسمع إلى حديث زوجها المسلم وبعض رفاقه أجابت :(أن الله واحد ليس له ثان، وأن له أسماء عديدة، وكان هذا فاتحة الدراسة والاهتمام، وأحسست أنني وجدت ماكنت أبحث عنه، وماكانت نفسي تتوق إليه، ليلة أن عرفت أن الله سبحانه وتعالى له تسعة وتسعون اسماً لم أنم حتى الصباح، وصرت أقرأ وأتمعن في هذه الأسماء التي هى صفات له عز وجل[1]) .

---

(١) جريدة المسلمون عدد ٤٣ ، ذو القعدة عام ١٤٠٢هـ ، ص ٧٠-٧١.

٦ ـ الإيمان بالغيب : ـ

هو أحد الفوارق الرئيسة بين المؤمن والمنافق، فالمؤمن يؤمن في الغيبة والشهود، في السراء والضراء، والمنافق يؤمن حال المشاهدة والمعاينة، ويكفر إذا خلا إلى شيطانه ويلجُّ في طغيانه، يؤمن في اليسر، ويعتصم في نفاقه إذا حلّت الضراء واقترب البأس .

هو الأمل الذي يحدو المؤمنين إلى سلوك المنهج الرباني وتطبيقه بحذافيره، فلا يغادرون أمراً إلا أطاعوه ولا نهياً إلا اجتنبوه، وهو الدافع لهم على بذل الأنفس رخيصة في سبيل الله رجاء ماوُعِدوا به في عالم الغيب من لقاء ربهم والأنس برؤيته والتنعم بجنته .

هو الموعود المنتظر الذي جعل الأنبياء والصالحين يتحملون مشاق الجهاد ومواجهة المناوئين مهما تكبدوا في سبيله من تضحيات، وهو الذي دفع إبراهيم عليه السلام إلى أن يسلّم لأمر ربه ويقدم ابنه قرباناً لوجهه تعالى، وبسببه أقدم موسى عليه السلام على البحر الخضم وضربه بعصاه فإذا هو طريق يبس، وهو الذي منح نبينا محمداً ﷺ الجرأة والشجاعة ـ وهو في قلة قليلة من الناس ـ ليواجه قريش، وفيهم القوة والمنعة الحسية قائلاً لهم كما أخبر الله عنه : ﴿ قل إنما يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد فهل أنتم مسلمون، فإن تولوا فقل آذنتكم على سواء وإن أدري أقريب أم بعيد ما توعدون . إنه يعلم الجهر من القول ويعلم ما تكتمون . وإن أدري لعله فتنة لكم ومتاع إلى حين [1]﴾ وقال تعالى مخبراً عن حاله مع قومه:

(١) سورة الأنبياء ، الآيات ١٠٨-١١١

﴿ الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل [1]﴾ وعنه تلقى أصحابه رضوان الله عليهم هذا المبدأ العظيم فتسابقوا على الموت شهادة في سبيل الله تسابق الجبناء على استبقاء الحياة[2].

والإيمان بالغيب يثمر في حياة صاحبه أموراً عديدة لا يمكن أن أحصيها في هذه التقدمة اليسيرة لهذا السبب ولكن أذكر منها :ـ

١ ـ إنه يحدو صاحبه إلى الإيمان بالله ابتغاء مرضاته .

٢ ـ إنه يهون عليه مصائب الدنيا فيتقبلها بنفس راضية؛ لأنه يعلم أنها مكفرة لذنوبه قبل لقاء ربه .

٣ ـ يمنح صاحبه في هذه الدنيا ميزاناً وسطاً يزن به أفراح الدنيا وأتراحها انطلاقاً من قوله تعالى:﴿ ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير. لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم[3] ﴾.

٤ ـ أن المؤمن به يستثمر عقله فيما خلق له أصلاً، فلا يحمّله مالا

---

(١) سورة آل عمران، الآية ١٧٣

(٢) يؤيد ذلك ما رواه الإمام البخاري في صحيحه قال :(.. عن أنس رضي الله عنه أن عمه غاب عن بدر ، فقال : غبتِ عن أول قتال النبي ﷺ لئن أشهدتني الله مع النبي ﷺ ليرينَّ الله ما أجد، فلقي يوم أحد فهزم الناس، فقال : اللهم إني اعتذر إليك مما صنع هؤلاء - يعني المسلمون - وأبرأ إليك ما جاء به المشركون ، فتقدم بسيفه فلقي سعد بن معاذ، فقال : ياسعد إني أجد ريح الجنة دون أحد. فمضى فقتل. فما عرف ! حتى عرفته أخته بشامة أو ببنانه وبه بضع وثمانون : من طعنة، وضربة، ورمية بسهم) كتاب المغازي ، باب ١٧ .

(٣) سورة الحديد ، الآيتان ٢٢ ، ٢٣ .

قبلَ له به من تخيّل وتحليل ومقايسة لما وراء المحسوس .

إذاً فلا غرو أن يكون هذا الأمر معلماً يستقطب الناس إلى الإسلام وشاهد هذه المسألة قول أحد المهتدين :(أعتبر أن الإيمان بعالم الغيب وماوراء المادة هو الذي جعلني أدين بالإسلام [1]) .

٧ ـ الفطرة :ـ

خلق الله الخلق وجعل لهم في هذه الدنيا غاية كبرى ـ وهي عبادة الله عز وجل ـ توصلهم إلى نتيجة عظمى إن هم حققوا تلك الغاية وهي الفوز والفلاح في الدنيا والآخرة .

ومن رحمته تعالى بعباده، وعظيم حكمته، أنه لما خلق آدم عليه السلام مسح ظهره فاستخرج منه ذريته وأخذ عليهم العهد والميثاق أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً قال تعالى: ﴿ وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين[2]﴾. وتتميماً لهذه الرحمة وامتداداً لهذه الحكمة فطر خلقه كلهم على هذا الدين ـ أي الإسلام ـ فمن سلم من مؤثرات الإرث والبيئة والتنشئة، وأدركته رحمة الله وبلغته دعوة الحق..انقاد لها استجابة لنداء الفطرة المفطور عليها يقول تعالى:

(١) لماذا أسلمنا، ص ٨٠.
(٢) سورة الأعراف ، الآية ١٧٢ .

﴿فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرت الله التي فطر الناس عليها لاتبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون[1]﴾. وفي الحديث المتفق على صحته أن رسول الله ﷺ قال:(مامن مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء. ثم يقول أبو هريرة رضي الله عنه: فطرة الله التي فطر الناس عليها) .وفى رواية أخرى للإمام مسلم تؤكد أن الفطرة الواردة في هذا الحديث هي الإسلام حيث قال :(وفى رواية أبي بكر عن أبي معاوية :(إلا على هذه الملة حتى يبين عنه لسانه[2]) .

إذاً فلا عجب إن وجدت من يستجيب لفطرته ويعلن أن سبب إسلامه هو الوئام بين الإسلام وفطرته، يقول أحد المهتدين في هذا الصدد:(وكم كانت سعادتي عظيمة حين اكتشفت أنه الدين الوحيد الذي يستطيع تحقيق الوئام بين الإنسان و فطرته، وبينه وبين بيئته وثقافته ونشأته[3]) وهذا مهتد آخر ذكر أن سبب إسلامه هو تناقض عقيدته السابقة مع فطرته، وأنه بفطرته يؤمن بإله واحد فيقول:(فلم يعد في مقدورى أن أومن أن المسيح عليه السلام هو ابن الله، إذ أنني كنت

(١) سورة الروم ، الآية ٣٠.

(٢) رواه البخاري فى صحيحه في كتاب الجنائز ، باب ٨٠. ومسلم في صحيحه كتاب القدر ، حديث ٢٦٥٨. وقد بحث شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله مسألة – أن كل مولود يولد على الفطرة – وأكد أن هذه الفطرة هي الإسلام وذلك في كتابه الرائع «درء تعارض العقل والنقل» تحقيق د. محمد رشاد سالم. نشر جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، جـ ٨، ص ٣٥٩ – ٤٦٨.

(٣) رجال ونساء أسلموا جـ ٦ ، ص ٦٥.

بفطرتي أؤمن بإله واحد لاشريك له[1]) .

٨ ـ رؤية شعيرة من شعائر الإسلام :ـ

جعل الله سبحانه وتعالى شعائر هذا الدين على قسمين :ـ

القسم الأول : شعائر باطنة يؤديها العبد دون أن يشعر به أحد .

القسم الثاني : شعائر ظاهرة لايمكن أداؤها إلا ظاهرة كالأذان والصلاة والحج والجهاد؛ حتى تتحقق بعض الحكم التي أرادها الله من إقرار هذه العبادات بهذا المظهر قال تعالى:﴿وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد[2]﴾. وقال تعالى:﴿ واركعوا مع الراكعين[3]﴾ وقال عز من قائل: ﴿إذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع[4]﴾ وقال سبحانه وتعالي: ﴿وأذّن في الناس بالحج يأتوك رجالاً[5]﴾. فهذه العبادات الظاهرة تظهر الإسلام في حياة الأمة والفرد على حد سواء، وتدعو إليه من خلال إقامة هذه الشعائر .

ويتبين من خلال تأملك لهذه العبادات أنها تصوير للإسلام في بعض مظاهره في كل زمان ومكان؛ ولهذا لايبيح الشارع الحكيم للمسلم الذي

---

(١) المصدر السابق ، جـ ٨ ، ص ٤٣ - ٤٤ ولمزيد من الشهادات التى تؤكد ما ذهبت إليه انظر المرجع السابق جـ٢ ، ص ٨٠ ، ٨٤ ، ٩٨ و جـ٤، ص١٤٥، وجـ٥ ، ص ١٣ ، ٤٢ ، ١٢٢ ، ومجلة حضارة الإسلام عدد ١-٢ لعام ١٣٩١هـ ، ص ٣٢ ، ٣٥.

(٢) سورة الأعراف ، الآية ٢٩.

(٣) سورة البقرة ، الآية ٤٣.

(٤) سورة الجمعة ، الآية ٩.

(٥) سورة الحج ، الآية ٢٧.

لا يستطيع أن يظهر دينه بين الكفار أن يبقى بينهم فلا بد له أن يهاجر عنهم إلى بلد يمكنه أن يظهر دينه فيه، وهنا نلمس جانباً من جوانب الحكمة الإلهية في مطالبة المسلم بأداء هذه الشعائر أداءً ظاهراً حتى يكون داعياً لدينه مظهراً له على سائر الأديان قال تعالى: ﴿ هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون[1]﴾. ذكر سبحانه أن غاية إرسال النبي محمد ﷺ هي إظهار دينه على الدين كله .

وهذا القسم ـ أعني الشعائر الظاهرة ـ هو الذي تبين لي من خلال دراستي أنه محل اهتمام المهتدين وأحد الأسباب المؤثرة فيهم والداعية لهم إلى الدخول في الإسلام، تقول إحدى المهتديات :(ولو أن أحداً سألنى عن أهم جانب في الإسلام اجتذبني؟ لأجبت إنها الصلاة[2]) . وهذا آخر يقول:(ورأيت المسلمين مصطفين للصلاة وقوفاً كالملائكة، سمعت في نفسي صوتاً ينادينى بقوله: هذه هى الجماعة التي أنبأ بها الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين... ثم قال: واقتنعت في نفسي بأني خلقت لأكون مسلماً[3]) . هذه الصلاة هى شعار المؤمنين والفارقة بينهم وبين المنافقين، يقول أحد المهتدين:(وكانت رؤيتي لعبادتهم أول ما كانت للصلاة التي لفتت نظري فهي بكل مافيها لون من العبادات غير موجودة في الديانات

(١) سورة الصف ، الآية ٩.

(٢) لماذا أسلمنا، ص ١٣٦.

(٣) رجال ونساء أسلموا ، جـ٥ ، ص ٧٢.

الأخرى، ولفت نظري الطريقة الواحدة في أداء الصلاة[1]).

وهناك مهتدون آخرون أسرهم صوت المؤذن يردد كلمات التكبير والتوحيد داعياً للصلاة، ومنادياً للفلاح، معلناً على الملأ «الله أكبر» الله أكبر من كل شيء ، من كل مَلَك ومُلك، وأكبر من كل منصب، وأكبر من كل شغل يؤخر صاحبه عن إجابة هذا النداء الرباني، فهذا مهتد يبرهن على ماسبق بقوله:(إنني لأول مرة سمعت فيها صوت المؤذن الرخيم الناصع خامرني شعور من الشجن لا يوصف[2]).

٩ ـ قبول العقل للإسلام ونفوره من غيره :ـ

خلق الله الإنسان وزوده بالعقل، وأرسل إليه الرسالات، وأنزل عليه الكتب، وشرع له الدين؛ فمادام أن الخالق واحد وهو الله وهو المنعم بالعقل والمتفضل بالرسالات، وهو أعلم بما اشتملت عليه النفس الإنسانية:﴿ ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير[3]﴾. فكان تفضلاً منه سبحانه أن يتفق المنهج ووسيلة إدراكه، وأن يتفقا ولا يختلفا، وغاية هذا المنهج ـ الدين ـ أن يهدي الإنسان إلى سواء السبيل الموصل إلى جنة ربه

---

(١) لماذا أسلم هؤلاء ، ص ٨١.

(٢) المصدر السابق ، ص ١٠٢ ، ١٠٧ ، وذكر مجموعة من المهتدين كان سماع الأذان سبباً في دخولهم في الإسلام ، وانظر لمزيد من شهادات مماثلة لهذا السبب المصدر السابق ، ص١٤٣ – ١٤٤ ، وكتاب رجال ونساء أسلموا ، جـ ١ ، ص ٢٤ ، وجـ ٣ ، ص ٤٥-٤٧ وكتاب لماذا أسلمنا ، ص ٢٠٨-٢٠٩ ، وكتاب كيف ولماذا اعتنقوا الإسلام ، ص ١١٣ ، وجريدة المسلمون عدد ٣٨ ، ص ٣٨، ومجلة حضارة الإسلام عدد ١ ، ٢ ، ص ٣٤ ، والمجلة العربية عدد ٦ ، ص ٦٠-٦٢.

(٣) سورة الملك ، الآية ١٤.

ورضوانه، وأن يبعده عن مهاوي الردى والضياع، وينقذه من كيد الشيطان ويحذره من خطواته، فإذا عاشت الأجيال في فترة من الرسل واندثرت تعاليمها وحرفت كتبها وتدخلت يد البشر تملي عليها من رغبات الشهوة والشبهة ماتراه مناسباً لها؛ عندئذ ينشأ في الناس اعتقادات وعبادات لاتمت إلى الوحي بِصِلَة، فتنفر منها الفطر السليمة، وتأنف منها العقول الصحيحة، وتأخذ تبحث يمنة ويسرة عن الحق، وتلتمس الهدى، وأنى لها أن تجده وقد اندثر الأثر أو كاد...

بعد ذلك أنعم الله سبحانه وتعالي على البشر فأكرمهم ببعثة محمد ﷺ، وأنزل عليه القرآن وتكفل بحفظه إلى حين رفعه في آخر الزمان، وضمنه منهجاً متكاملاً يصل العبد بربه، ويلبي حاجات الروح والجسد في وقت واحد، متفقاً مع العقل لأنه هو الفطرة السوية بعينها، ولقد ذكر الله سبحانه وتعالى آيات كثيرة في القرآن الكريم الهدف منها بعث العقل من رقدته، وفكاكه من أسره، وعبوديته لغير خالقه، ودعوته إلى التفكر فيما يعرض عليه من أمر النبوة، قال تعالى: ﴿ قل إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا مابصاحبكم من جنة إن هو إلا نذير لكم[1] ﴾. قال سيد قطب معلقاً على هذه الآية:(إنها دعوة إلى القيام لله بعيداً عن الهوى، بعيداً عن المصلحة، بعيداً عن ملابسات الأرض، بعيداً عن الهواتف والدوافع التي تشتجر في القلب فتبعد به عن الله، بعيداً عن

---

(١) سورة سبأ، الآية ٤٦.

التأثر بالتيارات السائدة في البيئة، والمؤثرات الشائعة في الجماعة، ودعوة إلى التعامل مع الواقع البسيط، لا مع القضايا والدعاوى الرائجة[1]) .

وبعد أن أثر القرآن أثره وتحرر العقل من لوثة الوثنية رفض زيف التشريع البشرى في جميع جوانبه، واستجاب لهذا النداء الخالد في داخله: أن لا استكانة ولا استسلام في ظل هذه الديانات المحرفة، بحث عن منهج يجد فيه استسلام النفس لخالقها فوجده في الإسلام، ومما يؤيد ذلك قول أحد المهتدين:(لا أعرف ديناً آخر يقبله العقل ويجذب الناس إليه، وله من المؤمنين به مثل هذه الجموع الضخمة، ويبدو لي أنه مامن طريق أقرب منه ـ أي الإسلام ـ إلى الاقتناع العقلي والرضا بالحياة، ولا أعظم منه أملاً للنجاة في الحياة الآخرة بعد الموت[2]) .

وهذه مهتدية أخرى تحكي أن سبب نفورها من النصرانية: الغموض ومخالفة المعقول والألغاز المحيرة فتقول:(فقد كان الغموض يكتنف الديانة النصرانية، وكانت فكرة قتل المسيح عليه السلام بالقوة لإنقاذ الآخرين غير معقولة في نظري، وأقل مايمكن قوله: هو أن الديانة النصرانية كانت لغزاً محيراً بالنسبة لي؛ فهجرت الكنيسة[3]) .

ومما يؤيد ماذهبت إليه ـ من أن التدخل البشري في صياغة النصرانية كان سبباً في تخلي أتباعها عنها واتجاههم نحو الإسلام ـ قول أحد المهتدين:(بدأت أرتاب في حقيقة كثير من معتقدات الكنيسة، كعقيدة

(١) في ظلال القرآن ، تأليف سيد قطب ، نشر دار الشروق ، ط ٧ ، ١٣٩٨هـ ، جـ ٥، ص ٢٩١٤.

(٢) لماذا أسلمنا ، ص ١٢٠.

(٣) رجال ونساء أسلموا ، جـ ٤، ص ٩٤.

التثليث، وربوبية عيسى والخطيئة الأولى، ومبدأ الغفران؛ لأنها بدت لي غير معقولة بل ضارة في الآثار التي تحدثها أحياناً، ولا تبرهن على صحتها حتى الأناجيل والكتب المقدسة ذاتها[1]) .

هذا المهتدي لم يكن حالة شاذة بين هؤلاء المهتدين الذين شملتهم الدراسة[2]، وإليك نموذجاً منهم فقد قالت إحدى المهتديات:(الواقع أن هناك عدداً كثيراً من الأفكار التي لم يطمئن إليها عقلي، ولم يقبلها فكري[3]) . قريباً من قولها قال مهتد آخر:(لم أكن أبداً مقتنعاً في قرارة نفسي بأن عيسى هو ابن الله؛ إن دراستي وقراءاتي يؤكدان كذب هذا الادعـــــاء[4]) . وأكتفي بهذه النماذج خوف الإطالة؛ لأن الهدف الاستشهاد لا الاستطراد .

١٠ ـ الشمول :ـ

لما أراد الله سبحانه وتعالى بحكمته البالغة أن يكون الإسلام هو خاتم الرسالات، ومحمد ﷺ هو خاتم الأنبياء؛ جعل الله الإسلام منهجاً شاملاً،

---

(١) المصدر السابق ، جـ ٤ ، ص ٦٩.

(٢) انظر مزيداً من الشهادات المماثلة واعترافات هؤلاء بما يؤيد ما ذهبت إليه – المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص٣٠ ، ١٠٥–١٠٧ ، وجـ ٤ ، ص ٦٢–١١٩,٦٣ ، ١٣٧ ، ١٤٣ وجـ ٥ ، ص ٢٩ ، ٤٢ ، ٤٦ ، وجـ ٦ ، ص ٦ ، ٤١ ، وجـ ٧ ، ص ٣٦ ، ٣٧ ، ١١٥ ، وجـ ٨ ، ص ١٢ ، ٧١ ، وكتاب كيف ولماذا اعتنقوا الإسلام ص ١١٨ ، ١٢٣ ، ١٣٧ ، ١٤٦ ، ١٥٧ ، وكتاب لماذا أسلمنا،ص٨٠، ١٣٤ ، ١٣٧ ، ١٤٣ ، ١٤٤ ، ١٤٩ ، ١٥٩ ، ١٦٠ ، ٢١٣ ، ٢٢٤ ، وجريدة المسلمون عدد ٤٣ ، ص ٧٠ ، وعدد ٦ ، ص ٥٢ ، وعدد١٢ ، ص٣٧ ، ومجلة حضارة الإسلام ، عدد ١ ، ٢ ، ص٣٧.

(٣) رجال ونساء أسلموا ، جـ ٥ ، ص ١٦.

(٤) كيف ولماذا اعتنقوا الإسلام ، ص ١٢٦.

ونظاماً متكاملاً؛ حتى يتمكن أتباعه من عمارة الأرض، وإقامة الحق والعدل فيها .

فهذا المنهج بشموله أحاط السموات والأرض، والدنيا والآخرة، والدين والدنيا، والجنة والنار، والجن والإنس والدواب والطير...فأخبر سبحانه عن خلق السموات ومافيها من أفلاك ومجرات، ومافوق السماء من ملائكة وجنة وكرسي وعرش، وأخبر أن الله فوق ذلك كله سبحانه وتعالى، كما ذكر خلق الأرض ومراحل تكوينها وماتحتها، وأنبأ عن هذا الإنسان ومراحل خلقه ورحلته من السماء إلى الأرض، ثم بين المنهج الذي ينبغي أن يسير عليه الإنسان في هذا الكون، وكيفية تعامله مع غيره على ضوء هذا المنهج الرباني، ثم المصير الذي هو صائر إليه من جنة أو نار .

هذا المنهج كما تضمن قضايا الاعتقاد والتشريع والتعامل احتوى ـ أيضاً ـ على التربية والتزكية للفرد والمجتمع وعلي آداب الطعام والسلام والكلام وقضاء الحاجة ...يقول تعالى مؤكداً شمولية هذا الدين: ﴿مافرطنا في الكتاب من شئ[1]﴾. ويقول أيضاً عز شأنه: ﴿ ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شئ وهدي ورحمة وبشري للمسلمين[2]﴾ ويقول : ﴿وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس مانزل إليهم[3]﴾.

ويقول أبو ذر رضي الله عنه حاكياً هذا الشمول في هذا الدين :

(١) سورة الأنعام ، الآية ٣٨. قصدت من الاستدلال بهذه الآية الرأي القائل بأن «الكتاب» هو القرآن الكريم.
(٢) سورة النحل ، الآية ٨٩.
(٣) سورة النحل ، الآية ٤٤.

(لقد تركنا محمد ﷺ ومايحرك طائر جناحيه في السماء إلا ذكر لنا منه علماً[1]) . إذا كان هذا في الطير يقلب جناحيه في السماء فما ظنك بمادونه أو فوقه مما يمس حياة الفرد والمجتمع؟؟ .

إذاً فلا غرو أن رأينا نفوساً تهفو إلى هذا البناء الشامخ المتكامل تتفيأ ظلاله، وترتضيه مستقراً وملاذاً يعصمها بإذن الله من ريبة الشبهة ونار الشهوة .

ويؤكد ذلك أحد المهتدين بقوله :(إنه المجموع المتكامل المتناسب والمتماسك من هذه التعاليم الروحية من جانب، والتى ترسم برنامجاً علمياً للحياة من جانب آخر[2]) . وهذا مهتد آخر يذكر أن سبب اعتناقه للإسلام هو شموله فيقول:(يجب أن اعترف بأنني لا أعرف جواباً شافياً. لم يكن الذي جذبني تعليماً خاصاً من التعاليم، بل ذلك البناء المجموع العجيب والمتراص بما لانستطيع له تفسيراً من تلك التعاليم الأخلاقية إلى منهاج الحياة العملية، ولا استطيع أن أقول أى النواحي قد استهواني أكثر من غيرها، فإن الإسلام ـ على مايبدو لي ـ بناء تام الصنعة، وكل أجزائه قد صيغت ليتمم بعضها بعضاً[3]) إن هذه الشمولية في الإسلام لا تقف عند حد الإعجاب بها ممن اطلع عليها بل تشده إلى الإسلام شداً يؤكد

---

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده ، نشر دار الفكر ، ط ٢ ، ١٣٩٨هـ جـ ٥، ص ١٥٣ ، ١٦٢.

(٢) لماذا أسلمنا ، ص ٥٩.

(٣) مجلة حضارة الإسلام ، عدد ١، ٢ ، عام ١٣٩١هـ ، ص ٢٥.

ذلك قول أحد المهتدين:(لو أن أحداً سألني عن أهم شيء أعجبني وشدني إلى الإسلام؟ فلا بد أن أجيب قائلاً: إنني معجب بتعاليم الإسلام الكاملة، فيالها من تعاليم واضحة ومنطقية! فالإسلام يمنحنا منهج حياة كامل يشمل كافة الجوانب الروحية والمادية جميعاً[1]) .

١١ ـ سيرة الرسول ﷺ :ـ

هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب القرشي، تربى في مكة، وترعرع في قريش صاحبة السادة والقيادة والزعامة. نشأ يتيماً كريماً أميناً حتى غدا هذا الوصف منطبقاً عليه قبل تلقيه الوحي وتشريفه بالرسالة، وهو بعد ذلك رسول الله ﷺ، وخاتم الأنبياء والمرسلين عليهم صلوات الله وسلامه أجمعين، أشاد الله بذكره فقال:﴿ وإنك لعلي خلق عظيم[2]﴾ وأكرمه الله فقرن ذكره بذكره فلا تذكر شهادة أن لا إله إلا الله إلا مقرونة بشهادة أن محمداً رسول الله ﷺ، وأخذ الله العهد والميثاق على كل نبي لئن بعث محمد وهو حي ليؤمنن به .

هذا الرسول ﷺ هو دعوة إبراهيم عليه السلام كما أخبر الله عنه في كتابه أنه قال: ﴿ ربنا وابعث فيهم رسولاً منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم

---

(١) رجال ونساء أسلموا، جـ ٤ ، ص ٦٥ ، وإن أردت استقصاء مزيد من الشهادات حول هذا الأمر فانظر المصدر السابق جـ ٢ ، ص ٩٣ ، ٩٥ ، وجـ ٤ ، ص ٣١ ، وجـ ٥ ، ص ٧٣ ، وجـ ٦ ، ص ٢٠ ، وكتاب لماذا أسلم هؤلاء ، ص ١٥٢-١٥٤ ، وكتاب كيف ولماذا اعتنقوا الإسلام ، ص ٩٢-٩٣.

(٢) سورة القلم ، الآية ٤.

الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم[1]﴾، ونبوة الأنبياء السابقين عليه بنص كتبهم[2]، وأكد ذلك في القرآن فقال تعالى مخبراً عن عيسى عليه السلام أنه قال: ﴿يابني إسرائيل إني رسول الله إليكم مصدقاً لما بين يدي من التوراة ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين[3]﴾ .

هذا الرسول ﷺ جمع الله له من الفضائل والمكارم والشمائل مالم يجتمع مثله لغيره من الأنبياء، فأكرمه الله بالرسالة الخاتمة، واتخذه خليلاً، وعرج به إليه فوق السموات السبع، وكلمه ربه، وفرض عليه الصلوات الخمس، واتحفه بالمعجزة الخالدة والحجة البالغة القائمة إلى أن يشاء الله ـ وهي القرآن الكريم ـ وتكفل الله بحفظه إلى أن يرفعه الله في آخر الزمان. وجعله سيد ولد آدم، وحامل لواء الحمد بيده في الآخرة، آدم ومن دونه تحت لوائه، وهو الشافع المشفع يوم الحشر، وصاحب الحوض المورود والمقام المحمود، وهو أول من يستفتح باب الجنة فيفتح له ....

أكرم الله هذه الأمة بمبعثه؛ فأعزها بعد الذل، وجمعها بعد الفرقة، ودعاها إلى النور بعد الظلمة...فاستجابت ولبّت فكانت خير أمة أخرجت للناس تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، دُكّت على يدها عروش الظلم

---

(١) سورة البقرة ، الآية ١٢٩.

(٢) انظر بشارات الأنبياء السابقين على نبينا محمد ﷺ في الفصل الخاص بها من هذا البحث، ص ٥١١.

(٣) سورة الصف ، الآية ٦.

والاستبداد، وأبيدت أمامها إمبراطوريات الكفر، وأقامت مكانها خلافة راشدة سعدت البشرية بها حيناً من الدهر، ولا تزال طائفة من أمته على الحق منصورة إلى قيام الساعة لا يضرها من خالفها .

هذا الرسول ﷺ لم يكن محط إعجاب أصحابه وتلامذته فقط؛ بل كان محط إعجاب واهتمام محبيه وأعدائه في القديم والحديث[1]، وما هذه الشهادات التالية ـ التي تؤكد أن اطلاع أصحابها على سيرته ﷺ هو السبب في دخولهم الإسلام ـ إلا غيض من فيض في هذا المجال، يقول أحد هؤلاء المهتدين:(كنت مولعاً بقراءة سِيَر الشخصيات العالمية التي أثّرت في التأريخ، وعند شخصية محمد ﷺ كان إعجابى الشديد بهذه الشخصية العظيمة ..أن محمداً ﷺ شخصية فريدة من نوعها في هذا الوجود؛ لأنها أقامت الدنيا وأقعدتها بثورة[2] مازالت حتى اليوم بدليل من يدخلون في الإسلام...وكذلك شدني من صفاته أنه كان أمياً وعلّم أمته كل شئ، وكذلك صبره على المكاره في سبيل نشره الدين الإسلامي الحنيف، كما أنه جاء بأعظم رسالة سماوية[3]) . وهذه مهتدية أخرى تنضم إلى هذا الركب المبارك فتعرب عن سبب دخولها الإسلام فتقول:(كنت شديدة الإعجاب بمحمد ﷺ الذي كان بعيداً عن الشهوات والنزوات ... ولهذا كان الإسلام طريقه إلى قلبي وعقلي سريعاً؛

(١) لم أشأ أن أثقل حاشية هذه التقدمة اليسيرة بذكر المصدر لكل جزئية وردت هنا. فضلا عن أن ماذكرته هنا هو مما استفاض واشتهر ولعل في شهرته ما يغني عن الإحالة إليه.

(٢) لا أتفق مع هذا المهتدي في وصف الإسلام بالثورة ، فالإسلام دعوة وليس ثورة.

(٣) لماذا أسلم هؤلاء ، ص ١٠٩-١١٢.

فأقبلت عليه غير هيّابة[1] .

١٢ ـ يسر الإسلام :ـ

إن اليسر في الإسلام هو من أوضح خصائصه وأجلي سماته ﴿يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر[2]﴾ ويتضح من عدة جوانب هي :ـ

يسر في المنهج، ويسر في الدخول فيه، ويسر في التطبيق، ويسر في العقوبة، ويسر عند الموت، ويسر في المحاسبة ـــ إن شاء الله ـــ وإليك تفصيل ذلك :ـ

اليسر في المنهج : هذا الدين ماهو إلا استمرار لدين الله الذي ارتضاه لخلقه وشرّف أنبياءه بحمله، فكان الامتداد في جانب العقيدة، وهو تخفيف الإصر الذي كان في شرع من قبلنا ﴿ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم[3]﴾. ومن جانب آخر فإن هذا اليسر يتأتى من كون الإسلام متفقاً مع الفطرة، متسقاً مع العقل، متناغماً مع الروح.

اليسر عند الدخول فيه : الدخول في هذا الدين لا يتطلب من صاحبه سوى النطق بالشهادتين واعتقاد معناهما وبعدها يكون مسلماً له ما للمسلمين وعليه ما على المسلمين، فلا يتوقف دخوله في الإسلام على

(١) المصدر السابق ، ص ١٢٥-١٢٩ ، وانظر أيضاً لمزيد من هذه الاعترافات المصدر السابق ، ص ١٥٠-١٥١ ، وكتاب لماذا أسلمنا ، ص١٥٤ ، وكتاب كيف ولماذا اعتنقوا الإسلام ، ص١٦٥ ، وكتاب رجال ونساء أسلموا جـ ٤ ، ص ٩٠ ، وجريدة المسلمون عدد ١٢ ، عام ١٤٠٢هـ ، ص ٣٨.

(٢) سورة البقرة ، الاية ١٨٥ .

(٣) سورة الأعراف ، الآية ١٥٧ .

تقديم قرابين أو إدلاء باعترافات عن ماضيه السابق؛ فالإسلام يجبُّ ما قبله، الداخل فيه يفتح صفحة جديدة بيضاء مع الله .

اليسر في التطبيق : لو لم يكن في هذا إلا قوله تعالي:﴿ فاتقوا الله ما استطعتم[1]﴾وقوله ﷺ : (فإذا نهيتكم عن شئ فاجتنبوه، وإذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم[2]) ـ لكان ذلك كافياً؛ وذلك لأنه لم يرد نهي إلا والمصلحة متحققة في اجتنابه لصالح العبد نفسه، أما الأمر فمتفاوت الدرجات، منه ما كان ركناً، ومنه ما كان سنة، فعلي قدر الاستطاعة تكون الاستجابة. فهذه الصلاة الركن الثانى في الإسلام تؤدى في أي مكان أدركت المسلم فيه الصلاة، ويؤديها المريض على أى وضع يستطيعه، قائماً أو قاعداً أو على جنب، والمسافر له قصرها وجمعها على الكيفيات المذكورة في كتب الفقه، والنائم والناسي يقضيها إذا ذكرها ليس له كفارة إلا ذلك .

اليسر في العقوبة الدنيوية : ذلك أن العقوبة التي فرضها الله في الدنيا على المذنب مكفرة لذنبه الذي ارتكبه، وهى إما أن تكون حقاً لله أو لعباده؛ فإن كانت لله فتقام على صاحبها حماية لنفسه من عذاب

(١) سورة التغابن ، الآية ١٦.

(٢) رواه البخاري في صحيحه واللفظ له في كتاب الاعتصام بالسنة، باب٢، ومسلم في صحيحه كتاب الحج، حديث ١٣٣٧.

الآخرة، وحماية له من الاستمرار في هذا المسلك والاستزادة من عقابه، وردعاً له قبل ذلك عن الوقوع فيها، وحماية لمجتمعه من تفشي الفساد والانحلال .

ولا تتحقق هذه العقوبة إلا في أضيق نطاق بسبب القيود التي فرضها الشارع الحكيم على إقامة الحدود من الاعتراف أو البينة، أما إذا لم تتيسر هذه ولا تلك فأمامه التوبة ترفع زلته، وتكفر سيئته، وتعيده عضواً سوياً إلى أفراد الجماعة المؤمنة .

أما إن كانت هذه العقوبة بسبب بعض الجنايات في حقوق المخلوقين فهي متروكة لهم للمطالبة بها أو العفو عنها، وقد رغّب الشارع المعتدى عليه بصنوف الترغيبات التي تعينه على العفو رجاء الثواب المضاعف من الله ﴿ وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفا وأصلح فأجره على الله[1]﴾ وقوله تعالى :﴿ فمن عُفي له من أخيه شيء فاتباع بالمعروف[2]﴾ .

اليسر عند الموت : الموت هو قدر كل مخلوق، فهو في حياة المسلم نقلة من دار العمل إلى دار النعيم، وتحول عن دار النصب والكبد إلى دار الراحة والسرور، وهو خروج من سجن الدنيا إلى جنة الخلد. وهو في حياة الكافر أمر آخر مغاير تمام المغايرة، فهو خروج من جنة الدنيا إلى سجن سرمدي أبدي يلقي فيه صنوف العذاب وألوان العقاب، قال تعالى:﴿ الذين

(١) سورة الشورى، الآية ٤٠ .

(٢) سورة البقرة ، الآية ١٧٨ .

تتوفاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون[1] ﴾وقال تعالى: ﴿ إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون[2]﴾ وقال سبحانه في وصف حال موت الكفار والفجار:﴿ ولو ترى إذ يتوفى الذين كفروا الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم وذوقوا عذاب الحريق[3]﴾. وقد ذكر رسول الله ﷺ حال الموت لكلا الفريقين وفصّله تفصيلاً طويلاً[4]. فانظر تمام اليسر هنا ، وتمام العسر هناك .

يسر المحاسبة في الآخرة : لو لم يذكر في هذه الجزئية إلا هذا الحديث القدسي الذي رواه الإمام أحمد في مسنده عن رسول الله ﷺ وهو قوله:(يقول الله عز وجل: من عمل حسنة فله عشر أمثالها أو أزيد، ومن عمل سيئة فجزاؤها مثلها أو أغفر، ومن عمل قراب الأرض خطيئة ثم لقيني لايشرك بي شيئاً جعلت له مثلها مغفرة[5]) لكان ذلك كافياً، فأي يسر أعظم من هذا؟؟.

هذا الدين هو اليسر بعينه، وهو الرفق كله، كيف لا وهو شرع أرحم الراحمين الذي قال: ﴿ فإن مع العسر يسراً. إن مع العسر يسرا[6]﴾. هذا

---

(١) سورة النحل ، الآية ٣٢.

(٢) سورة فصلت ، الآية ٣٠.

(٣) سورة الأنفال ، الآية ٥٠.

(٤) انظر هذا الحديث بطوله في مسند الإمام أحمد ، جـ ٤ ، ص ٢٨٧ ، ٢٩٥ – ٢٩٦.

(٥) المصدر السابق ، جـ٥ ، ص ١٥٣ ، ١٥٤ ، ١٥٥ ، ١٦٧ ، ١٦٩ ، وسنن الترمذي ، تحقيق عبد الرحمن محمد عثمان ، نشر دار الفكر بيروت ، ١٤٠٠هـ ، في أبواب الدعوات ، جـ ٥ ، ص ٢٠٨.

(٦) سورة الشرح ، الآيتان ٥ ، ٦.

هو ـ والله ـ اليسر وماعداه هو العسر؛ عسر يؤدي بصاحبه إلى التشتت والضياع، ويدفعه إلى القلق والحيرة والتعاسة في الدنيا والآخرة، فمن استغنى عن الإسلام كله فله العسر كله، ومن ترك جزئية منه لقي من العسر بقدر ماترك من يسر الإسلام .

إذاً فلا تستبعد إذا رأيت أفواجاً تدخل في دين الله راغبة في يسره، لائذة به من عسر الكفر والضلال، يقول أحد المهتدين:(هذه أهم الجوانب في الإسلام التي أثّرت في نفسي أولاً : بساطة تعاليمه وطريقة الحياة البسيطة المستقيمة التي يحياها المسلمون المتمسكون بتعاليم الإسلام[1]) . وأشفع ذلك بشهادة مهتد آخر رأى في الإسلام سهولته ويسره إذ يقول:(لقد لفت نظري بساطة العقيدة الإسلامية وسهولتها؛ فليست هناك أسرار ولا ألغاز[2]) .

١٣ ـ التوفيق بين المادة والروح :ـ

خلق الله الإنسان من سلالة من طين[3]، ونفخ فيه من روحه، فتكوّن من طبيعتين، وخُلق من عنصرين، فالجانب المادى فيه يميل إلى ثقلة الأرض ومافيها من متعة وشهوة، والجانب الروحي يسمو إلى السماء طلباً

(١) رجال ونساء أسلموا ، جـ ٤، ص ١٤٢ ، وانظر بقية هذه الجوانب فى هذه الصفحة المشار إليها.

(٢) المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ٩٤، وانظر أيضاً المصدر السابق جـ ٤ ، ص ١٢١ ، ١٢٧ ، ١٤٤ ، وكتاب لماذا أسلمنا ، ص ٦٢ ، ١٠٢.

(٣) إشارة إلى قوله تعالى : ﴿ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين﴾ سورة المؤمنون ، الآية ١٢ .

للّطائف العلوية، ثم أرسل الله إليه الرسل وأنزل إليه الكتب، فكانت هذه الرسالات من لدن نوح إلى محمد صلي الله عليهما وسلم الصادرة من الحكيم الخبير الذي أحسن كل شئ خلقه فقدر له مايناسبه من تشريع وتنظيم، فكانت هذه الشرائع تلبى متطلبات الجسد المنتسب إلى سلالة الطين، كما أنها تروى الجانب الروحى؛ فهى تبيح له مايقوم به أود هذا الجسد من مطعم ومشرب وملبس وشهوة ممافيه استمراره وتناسله، وحفظه وتماسكه، وتحرم عليه كل مافيه ضررة وعطبة مما يلحق بالفرد والنوع الإنساني بصفة عامة الضرر والنقص والانحطاط .

كما تبين له المنهج القويم والصراط المستقيم الذي يضمن للروح أن ترفرف بين جنبات البدن في فرح وحبور؛ ذلك لأنها عرفت طريقها إلى بارئها ومنشئها، فتجد في لذة القرب ومناجاة الرب الغذاء الكامل الذي يضمن لها الاستمرار على هذا المنهج والاستزادة منه رغبة في اشباع الجانب الروحي في الإنسان .

لكن يوم أن ابتعدت البشرية عن منهج الله، سواء كان هذا الابتعاد قبل الرسالة الخاتمة حين اعتمدت في عباداتها ونظام حياتها على منهج محرف تدخلت فيه اليد البشرية فصرفته عن وجهته أم كان هذا الابتعاد في وقتنا الحاضر حين عبد الإنسان نفسه واتبع هواه فشرع البشر للبشر، وتسلط البشر على البشر ـ ولأن الإنسان خلق ضعيفاً عاجزاً ـ فكان تشريعه هو العجز والضعف والقصور بعينه؛ فأنتج إلحاداً وقلقاً، وأثمر إجراماً بدّد سكون الأمن، وتكبدت البشرية الشقاء، وحصدت التعاسة، وجنت

الخذلان، هذا من جهة، ومن جهة أخرى تغلّب الجانب المادي في حياة البشر ـ إلا من عصم الله ـ على الجانب الروحي؛ فعطلت الشرائع الربانية، وعدمت الأواصر الإنسانية، وطغت المحسوسات على الأمور الغيبية، فشقيت الإنسانية شقاءً لا يرفعه عنها إلا الانضواء تحت لواء الإسلام والاهتداء بهديه والعمل بمنهجه .

وأحياناً أخرى يطغى الجانب الروحي ـ على غير هدى ـ على الجانب المادي؛ فيحدث رهبانية مقيتة، وتصوفاً مذموماً يعطل الجسد ويقتله، وانعزالاً عن المجتمع، واعتصاماً بالأديرة ورؤوس الجبال؛ رغبة في إرواء الروح وتعذيب الجسد ظناً منهم أن في ذلك خلاصاً للروح وارتقاء بها وتهذيباً لها، وهو في الحقيقة انتكاس وارتكاس وانحطاط .

لقد جاء الإسلام ومن قبله الرسالات السابقة بالاعتدال في هذا المسلك، واعتبر الروح والمادة أو الغيب والشهادة كجناحي طائر لايستغنى أحدهما عن الآخر، ولقد أخبر كثيرون ممن فقدوا هذا التوازن في حياتهم- أنهم وجدوا في الإسلام بغيتهم، يقول أحدهم معبراً عن ذلك:(لقد وجدت في الإسلام الإجابات الشافية عن هذه الأسئلة، فعلمت أن للجسد حقاً علينا كالروح تماماً، وأن الحاجات الجسدية هي في نظر الإسلام غرائز طبيعية تستحق الإشباع، وليست أموراً شريرة مستقذرة، بل لابد من إشباعها من أجل أن يعيش الإنسان قوياً منتجاً فعالاً، إلا أن الإسلام قد وضع قواعد أساسية لإشباع هذه الحاجات على أسس سليمة

تحقق الرضا للنفس بأوامر الله[1]) . وهذا مهتد آخر ذكر عدة أمور أعجبته في الإسلام أذكر منها مايتعلق بهذا السبب،إذ يقول:(ثالثاً:مايحققه ـ أي الإسلام ـ من تآلف بين الناحيتين المادية والروحية في الحياة البشرية[2])

١٤ ـ الأخوّة في الإسلام :ـ

هذا المظهر من أبرز المظاهر التي تميز الجماعة المسلمة عن سائر الجماعات؛ ذلك لأنه مؤصل في أفرادها، مؤثر في كيانها، يظهر من خلاله بعض عناية الله بهذه الأمة: ﴿ واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمت الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا [3]﴾. إذ جعل الرابط بينهم ديناً مستمراً يتقربون إلى الله باستمراره، ويجنون ثماره في هذه الحياة الدنيا وفى الآخرة .

هذه الأخوة بين المسلمين لاتجد لها مثيلاً فى أي أمة من الأمم السابقة أو اللاحقة؛ ذلك لأن الطريق إليها هو الإسلام، والموثق بينها هو السلام:(أولا أدلكم على شئ إذا فعلتموه تحاببتم؟ افشوا السلام بينكم[4]) ، ولأنها أخوة بين المتعاصرين، وأخوة بين السابقين واللاحقين تتميز بعض مظاهرها بينهم باستبشار السابقين باللاحقين:﴿ ويستبشرون

---

(١) رجال ونساء أسلموا ، جـ ٨ ، ص ١٩.

(٢) لماذا أسلمنا ، ص ١٩٥.

(٣) سورة آل عمران ، الاية ١٠٣.

(٤) رواه مسلم في صحيحه ، كتاب الإيمان ، حديث ٩٣.

بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون[1]﴾وبدعاء اللاحق للسابق:﴿ ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان[2]﴾ذلك لأن العلاقة بينهم ليست علاقة نسب أو دم محدودة بإطار الرحم أو القبيلة، ولا علاقة مصلحة أو منفعة تنفصم عراها بانتهائها وزوالها؛ بل هي علاقة إيمانية بين بعضهم وبعض، وعلاقة إلهية بينهم وبين الله:(حقت محبتي للمتحابين في[3]) .

هذه الأخوة لاتنتهي بانتهاء الدنيا بل هي مستمرة ـ أيضاً ـ في الآخرة قال تعالى مخبراً عن هذه الأخوة في الآخرة:﴿ ونزعنا ما في صدورهم من غل إخواناً على سرر متقابلين[4]﴾ وليست كالأخوة بين المجرمين والكفار التي يكون الرابط فيها المصلحة والمنفعة، ونتيجتها في الآخرة يوضحها قوله تعالى :﴿ ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضاً[5]﴾.

ولقد تمثلت هذه الأخوة في حياة الصحابة أصدق تمثيل، ولعل أجلى مظاهرها المؤاخاة التي تمت بين المهاجرين والأنصار. ومازالت هذه الأخوة تتوارثها الأجيال المسلمة إلى يومنا هذا وستستمر ـ إن شاء الله ـ إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، هذه الأخوة الظاهرة بين المسلمين

(١) سورة آل عمران ، الآية ١٧٠.
(٢) سورة الحشر ، الآية ١٠.
(٣) رواه الإمام أحمد في مسنده، جـ ٥ ، ص ٢٣٦ ، ٢٣٧ ، ٢٣٩ ، ٢٤٧.
(٤) سورة الحجر ، الآية ٤٧.
(٥) سورة العنكبوت ، الآية ٢٥.

استهوت الكثيرين من غيرهم لما لمسوا نتائجها فتتبعوا مصدرها فوجدوه الإسلام الذي يؤلف بينهم؛ فأعلنوا إسلامهم رغبة في الاستظلال بظله الوارف، والتمتع بهذه المزية التي لاتوجد في غيره، يقول أحد المهتدين موضحاً هذا الجانب:(كان الترابط الذي كان عليه هؤلاء فريداً من نوعه، عجيباً غريباً لم أره في حياتي من قبل ... ورحت أتعرف على الدين الذي ينادى بهذا الترابط والتعاون ... فعرفت أنه من شيم المسلمين، وبدأت أتعرف على الإسلام حتى اقتربت منه... وأصبحت مسلماً[(١)]) ويؤكد مهتد آخر أثّرت الأخوّة في إسلامه فيقول:(لقد تركتْ روح الأخوّة التي غمرت هذا الجمع من الناس على اختلافهم أثراً لا يمكن أن يزول من نفوسنا[(٢)]) . ولما سئل أحد المهتدين عن الشئ الذي اجتذبه للإسلام؟ ذكر ست نقاط اجتذبته للإسلام، وكان من بينها الأخوّة إذ يقول:(مبدأ الأخوّة في الإسلام يمتد ليشمل البشرية عامة بغير اعتبار للون أو الجنس... وينفرد الإسلام بين كل الأديان في أنه الوحيد الذي طبق هذا المبدأ عملياً[(٣)]) .

---

(١) لماذا أسلم هؤلاء ، ص ٣٨-٣٩.

(٢) لماذا أسلمنا ، ص ٢٠٩.

(٣) المصدر السابق ، ص ١١١. وانظر أيضاً لماذا أسلم هؤلاء ، ص١٢٥ ، ١٢٩، وكيف ولماذا اعتنقوا الإسلام ، ص ١١٣ ، ورجال ونساء أسلموا جـ ٢ ، ص ١١١، جـ ٤ ص ١٢٩ ، جـ ٦ ، ص ١٢٤.

١٥ ـ المساواة في الإسلام :ـ

خلق الله هذه البشرية من سلالة رجل واحد وامرأة واحدة، فتكاثرت ذرياتهم، وتناسلت أجيالهم فكانت شعوباً وقبائل، فجاءتهم الشياطين فأوحت إلى أمة منهم أن فيكم آلهة وفيكم عبيداً، وإلى أمة ثانية أنكم أبناء الله ، وإلى أمة ثالثة أنكم وسائر بني قومكم تتكونون من خمس طبقات أعلاها مخلوق من رأس الإله وأدناها طبقة المنبوذين، وإلى أمة رابعة بأنهم يجري في عروقهم دم خاص، وأنهم الشعب المختار.. وآخرين أوحت لهم شياطينهم بأن للون مزية وللقبيلة والطائفة تميز ومكانة بذاتها؛ فاضطهدت هذه الأمم والطوائف من دونها ـ في نظرهم ـ واستعبدتهم، وسنت القوانين ونظمت الأنظمة التي تعطي هذه الفئة أو الطبقة كل الحقوق، وتبيح لها أن تسلب وتعاقب وتهلك من تشاء من غيرها، وتوارثت هذه الطبقية الأمم، وتعاقبتها الأجيال كأنها سنة من سنن الله في الكون، أو كأنها مسلّمة من مسلمات التأريخ لاتقبل النقاش، بل تجاوز الأمر ذلك وأصبحت هذه الطبقية مدعاة فخر واعتزاز تفاخر بها القبيلة، وتذم من لم يلحق بها ممن دونها ـ كأن هذا الانتساب من صنعها وإرادتها ـ ولقد صور رسول الله ﷺ هذه الحال التي كانت في الجاهلية فقال:(أربع في أمتى من أمر الجاهلية لايتركونهن : الفخر في الأحساب، والطعن في الأنساب...[1]) .

(١) رواه مسلم في صحيحه ، كتاب الجنائز ، حديث ٩٣٤.

ولقد غاب عن هؤلاء جميعاً أن مقياس التفاضل والاعتبار ليس بالانتساب إلى أمة أو قبيلة؛ إنما هو بالتقوى والصلاح، كما غاب عنهم أمر آخر وهو أن هذه البشرية كلها ذرية رجل واحد فلا تميز ولا تفاضل من حيث الانتساب، كما غاب عنهم أيضاً أن الولادة في هذه الأمة أو القبيلة ليس من صنع الإنسان واختياره حتى يفخر به؛ إنما هي إرادة الله.

ولما جاء الإسلام كان من مبادئه العظام المساواة الكاملة، فلا اعتبار للون أو جنس أو نسب أو مكان ، ولا فرق بين أبيض و أسود، ولا بين عربي وأعجمي، ولا فضل لقرشي على غيره، كما أنه لافرق بين غني وفقير أو أمير وحقير؛ لأن جميع أفراد هذه البشرية التي تدعى الطبقية هم أبناء رجل واحد هو آدم، وآدم من تراب، فالكل أمام شرع الله سواء، وفي الحديث الشريف:(إنما أهلك من كان قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها[1]) وكذلك هم سواء أمام عدل الله في اعتبار الجزاء الأخروي قال تعالي:﴿ ومن يعمل من الصالحات من ذكر أوأنثي وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة [2]﴾ إذا فالاعتبار بالعمل الصالح بعد الإيمان، وقال تعالى :﴿ إن أكرمكم عند الله أتقاكم[3]﴾.

هذه المساواة في الإسلام عندما تلوح إلى فرد أو أفراد من غير

---

(١) رواه البخارى في صحيحه واللفظ له في كتاب الأنبياء ، باب ٥٤ ، ومسلم في صحيحه كتاب الحدود حديث ١٦٨٨.

(٢) سورة النساء ، الآية ١٢٤.

(٣) سورة الحجرات ، الآية ١٣.

المسلمين يرونها شيئاً غريباً، وبناء فريداً، وتنظيماً بديعاً؛ فتسترعى انتباههم لأول وهلة، ثم تستقطبهم إلى مصدرها وهو الإسلام فيدخلون فيه أفواجاً، يعبر عن هذا أحد المهتدين قائلاً:(ولم أعرف كيف يصلي المسلمون، ولكن عندما رأيتهم معاً في صف واحد، شاهدت المساواة في أجلى معانيها فالأبيض والأسود واقفان معاً كتفاً بكتف، والجميع يسجدون ويركعون في وقت واحد، ليس هناك سادة ولا عبيد؛ كانت تلك اللحظات التي أمضيتها في المسجد نقطة تحول خطير في حياتي[1]) . وهذا مهتد آخر يعزز ذلك بقوله: (أعظم ماعرفت في الإسلام دعوته للمساواة وحب الناس، فلا فرق بين أبيض وأسود، وغني وفقير، الكل سواسية عند الله[2]) .

١٦ ـ تقدير الإسلام للعقل :ـ

العقل في كل الشرائع الإلهية هو مناط التكليف وموضع التقدير، وإذا سُلب من صاحبه رفعت عنه الأمانة، وسقطت عنه المحاسبة، وتساوي مع سائر العجماوات، وهو أحد الوسائل الثلاث[3] الهامة التي امتن الله بها على عباده؛ ليتمكنوا من خلالها من السعي في هذه الأرض على نور من ربهم، وكثيراً مايذكرهم بها سبحانه ويدعوهم إلى شكره عليها قال تعالى:﴿ قل هو الذي أنشأكم وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلاً ماتشكرون[4]﴾ .

---

(١) كيف ولماذا اعتنقوا الإسلام ، ص ١١٣.

(٢) المصدر السابق ، ١٣١ . ولمزيد من الاعترافات انظر لماذا أسلمنا ، ص ١١١.

(٣) هذه الوسائل الثلاث هي : السمع والبصر والفؤاد (العقل) .

(٤) سورة الملك ، الآية ٢٣.

لكن يوم أن تخلى الإنسان عن وحي ربه ومصدر هدايته وسعادته، واكتفى بما توارثه عن آبائه من عبادة خرافية، وعقيدة إسطورية، أو اعتمد في عبادته على كتب دونتها يد الإنسان بعد أن تلاعب بها الشيطان ـ ولما رام هذا الإنسان التعبد على ضوئها والاهتداء بهديها؛ قادته في حين إلى دياجير الظلمة ودركات الهلاك، وفي حين آخر إلى تناقض وقلق وحيرة، يطلب منها الهداية وتمنحه الضلال، ويبتغي منها السعادة فتورثه الشقاوة .

هنا حصل الشقاق والافتراق بين أصحاب العقول وأولي الألباب وبين أتباع هذه الأديان المحرفة والوضعية؛ فيهيم الفرد منهم على وجهه يلتمس مايتوافق مع عقله، وتقبله فطرته، فيتقلب من دين إلى آخر ومن نحلة إلى أخرى حتى يدركه أجله أو يجد ضالته، وأيم الله لن يجدها إلا في الإسلام الذي قدر العقل حق قدره، واعتبره موضع التكليف، ومحل التكريم، فلم يكن الإسلام كاليهودية التي ادعت أن البشر أغنى من الله[1]ـ تعالى الله عما يقولون علوا كبيراً ـ ولا كالنصرانية التي ادعت أن الله دخل في رحم مريم ومكث تسعة أشهر وخرج كما يخرج الأطفال، وعاش صغيراً ونشأ وترعرع ...إلخ تعالى الله عن هذا الإفك .

وتقدير الإسلام للعقل تجده في كتاب ربنا مبثوثاً في ثناياه إذ تكررت

---

(١) قال تعالى مخبراً عن افتراء اليهود على مقام الألوهية : ﴿لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء﴾ ، سورة آل عمران ، الآية ١٨١ .

لفظة «يعقلون» و «تعقلون» في القرآن في ستة وأربعين موضعاً، كما تكررت لفظة «يتفكرون» و «تتفكرون» و«يفقهون» عدة مرات، وكل هذه الأفعال مكانها العقل ومردها إليه، هذا من جانب، ومن جانب آخر فإنك لاتجد في هذا الشرع المطهر أمراً أو نهياً إلا والعقل يؤيده ويدعو إليه، فضلاً عن أن يعارضه أو ينفر منه .

إذاً فلا غرو أن وجدنا من هجر دينه ونحلته إلى غير رجعة وظل يبحث عن منهج يجده متفقاً مع عقله، مستجيباً لفطرته، وحين اهتدى إلى الإسلام أعلن بكل صراحة وتجرد أن هذا الدين هو ماكان يبحث عنه، ويأمل أن يأوي إليه، يقول أحد المهتدين عن هذا الجانب في الإسلام : (من روائع الإسلام أنه يقوم على العقل، وأنه لايطالب أتباعه أبداً بإلغاء هذه الملكة الربانية الحيوية، فهو على النقيض من الأديان الأخرى التي تصر على أتباعها أن يتقبلوا مبادئ معينة دون تفكير ولاتساؤل حر[1]). ومهتدية أخرى اجتذبها نحو الإسلام احترامه للعقل تقول:(وكنت قد بدأت قراءة ترجمة معاني القرآن الكريم باللغة الألمانية، وكانت هذه القراءة الأولي سبباً كافياً لاعتناقي الإسلام؛ فهو دين يحترم العقل، وليس به أى فرض أو أية نقطة غير واضحة، أو تؤخذ على علاتها كما في الديانات الأخرى[2]) .

---

(١) رجال ونساء أسلموا ، جـ ٧ ، ص ٦.

(٢) كيف ولماذ اعتنقوا الإسلام ، ص ١٦١ ، وانظر أيضاً لماذا أسلمنا ص١١١.

١٧ ـ تحريم الخمر ولحم الخنزير :ـ

في هذا العصر الذي سادت فيه صناعة الآلة، وشملت كثيراً من مناحي الحياة، ودخلت كل بيت، وحلّقت في كل سماء، وغاصت في كل بحر ـ صاحب ذلك عرف تجاري وهو ضرورة وجود «دليل التشغيل» مع كل جهاز له شأن ـ وهذا الدليل صنفه مخترع هذا الجهاز الخبير بما يصلحه ومايضره ـ يتضمن كيفية التشغيل وعوامل بقاء هذا الجهاز، وتحذيرات الاستخدام، وطريقة الصيانة...فإذا امتلك الفرد جهازاً من هذه الأجهزة سارع لتفحص هذا الدليل المشار إليه وحاول تطبيقه بغاية العناية، وأن يضع هذه التحذيرات الواردة فيه موضع الاهتمام؛ حرصاً منه على بقاء هذا الجهاز، وطلباً لاستمراره واستدامته، وبعداً عن عطبه وخرابه، وقد يكون ثمن هذا الجهاز دراهم معدودة إذا تعرض للتلف[1] .

ضربت هذا المثل للتقريب ـ ولله المثل الأعلى ـ فالله سبحانه وتعالى خلق هذا الإنسان وزوده عبر الرسالات والكتب بمنهج حياة متكامل تضمن دلالة العبد إلى خالقه، وكيفية تعبده له، وبين له من خلاله طريق الخير ليسلكه، وطريق الشر ليجتنبه، ووضح له مواطن العطب ليبتعد عنها، ومواطن السلامة ليطلبها، كماحذره من مغبة الوقوع في المحظورات، ورغبه في طلب المأمورات قال تعالى:﴿ وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه

(١) قريب من هذا المثل ذكره العلامة سيد قطب في ظلاله ، جـ ١ ، ص ١٥.

ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون[1]﴾؛ وذلك حماية لروحه وجسده من العطب والهلاك في الدنيا والآخرة .

ولكن الإنسان كثيراً ما يحرص أشد الحرص على اتباع التعليمات المتعلقة بجهاز تافه لا يساوي مثقال ذرة أمام جسده نفسه، ويهمل أوامر ربه ونواهيه المتعلقة بجسده وروحه الذي إذا عطب فقد عطب وتلف، ولا يمكن اكمال المسيرة بدونه؛ وعند ذلك يجني ثمرة ذلك التصرف الأهوج والتهاون الأرعن ـ أمراضاً فتاكة في هذه الحياة، وقلقاً وحيرة وصراعاً نفسياً قد يؤدى به إلى الجنون والانتحار، وفي الآخرة عذاب شديد وسخط من الله .

والأدهى من ذلك أن تستعيض الإنسانية عن كتاب ربها ومنهج حياتها بمنهج بشري وكتاب دنيوي لاتفتأ من حين لآخر تعيد صياغته واستبداله بمماثل له؛ لأنها لم تجد فيه السلامة من العطب، ولا الراحة من النصب .

وحينما يواجه بعض أفراد هذه الإنسانية المعذبة رجالاً لديهم من الأوامر والزواجر مالم يألفوه في سالف أيامهم؛ فينشأ لديهم تساؤل عن مصدر هذه الأوامر فتأتيهم الإجابة: بأن لدينا المنهج الرباني المتكامل الذي بعض أحكامه هى:﴿ يأأيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب

---

(٢) سورة الأنعام ، الآية ١٥٣.

والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون[1]﴾ ﴿وحرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير[2]﴾. فلا يسعهم حينئذ إلا الإذعان له والتسليم بموجبه، والدخول تحت لوائه .

يتحدث أحد المهتدين عن الرجل الذي كان سبباً في هدايته ـ بعد الله ـ فيقول:(لفت انتباهي حين امتنع عن قبول كأس من الخمر...غلب عليّ حب الاستطلاع؛ فلم أر قبله إنساناً يمتنع عن شرب الخمر... ولكنها هداية الله سبحانه التي ثبتت في نفسي هذه الرغبة العارمة في الذهاب إليه والتعرف عليه، أخبرني أنه لايشرب الخمر لأن دينه يحرمها ...سألته عن دينه وماذا يأمر به؟ وماذا يحرم؟ فأجاب عن كل أسئلتي في سعادة بالغة ...حتى شرح الله قلبي للإسلام[3]) . ومهتدية أخرى كانت تعمل موظفة لدى رجل مسلم فتقول:(دعي إلى حفل وكنت مرافقته، وعرض عليه الخمر فرفض[4] وسألته؟ فقال: إن ديني الإسلام يحرم الخمر، ثم عرض عليه أكلة فيها لحم خنزير فرفضه؛ لأن دينه يحرم عليه لحم الخنزير.) .. ثم تكاثرت أسئلتها حول الإسلام وتعلقها به ووجدت فيه ضالتها ثم أسلمت[5] .

---

(١) سورة المائدة ، الآية ٩٠.

(٢) سورة المائدة، الآية ٣.

(٣) كيف ولماذا اعتنقوا الإسلام ، ص ١٥٥.

(٤) هذه التصرفات كمرافقة النساء الأجنبيات وحضور موائد الخمر لا تليق بمسلم.

(٥) لماذا أسلم هؤلاء ، ص١٣١ ، ١٣٤ ، وانظر ص ٤٣ منه، وانظر لمزيد من الشهادات : كيف ولماذا اعتنقوا الإسلام، ص ١٢٦ ، ١٥٤ ، ورجال ونساء أسلموا ، جـ ٦، ص ١٢٥ ، ولماذا أسلمنا ، ص ١٣١ ، ١٣٤.

١٨ ـ الطهارة والنظافة :ـ

إذا انقطع الإنسان عن الوحي؛ ارتكس في حيوانيته وساوى البهائم والأنعام، بل قد يكون أضل؛ فيتصرف حسبما توحي إليه غرائزه وشهواته، ويأنف من كل تصرف يخالف ذلك أو يفارقه، سواء كان هذا التصرف اعتقاداً أو سلوكاً؛ يؤيد ذلك أن الجاهلية السابقة والمعاصرة ترفض الجانب الاعتقادي الناصع الذي دعت إليه الرسالات الإلهية، وتنزلت به الكتب قال تعالى عن المشركين:﴿ كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسول إلا قالوا ساحر أو مجنون[1]﴾. وماموقف الشرق والغرب اليوم عن هذا ببعيد .

أو كان هذا التصرف سلوكياً كالبعد عن المحرمات والتطهر من النجاسات؛ فإن الجاهلية في كل عصورها ترفضه، ويدل لذلك موقف قوم لوط منه إذ قالوا كما أخبرنا الله سبحانه وتعالى في محكم تنزيله:﴿وماكان جواب قومه إلا أن قالوا أخرجوهم من قريتكم إنهم أناس يتطهرون[2]﴾. وهذا الموقف تقفه الجاهلية في كل أطوارها من المتطهرين .

لكن الرسالات الإلهية والإسلام على وجه الخصوص قد عنيا عناية فائقة بالطهارة الحسية و المعنوية، وبعبارة أدق طهارة الروح وطهارة الجسد، وتكون طهارة الروح بتنقيتها من أوحال الشرك، وأوضار المعصية، والتحليق بها في أجواء إيمانية ربانية؛ ولا أدل على هذا المعنى من قوله تعالى لنبيه

(١) سورة الذاريات ، الآية ٥٢.

(٢) سورة الأعراف ، الآية ٨٢.

ﷺ في ثاني سورة أنزلت عليه ـ بل هي السورة التي أرسل بها ـ وهي سورة المدثر :﴿ وثيابك فطهر[1]﴾. وقوله تعالى:﴿ إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً[2]﴾. وطهارة الجسد بتنقية مايلامسه من الملابس والفرش، وتطهيره عن النجاسة عموماً والغسل من الجنابة والوضوء من موجبه؛ وقد رتب الشارع على هاتين الطهارتين الحسية والمعنوية أموراً نذكر بعضاً منها:

١ ـ الطهارة من الشرك تورث مغفرة الله ورضوانه، والدليل قوله تعالى: ﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء[3]﴾. وقوله ﷺ فيما يرويه عن ربه:(ثم لقيني لا يشرك بي شيئاً جعلت له مثلها مغفرة[4])

٢ ـ الطهارة من النجاسة الحسية رتب عليها الشارع مغفرة الذنوب والخطايا والدليل قوله ﷺ فيما رواه مسلم عن عمرو بن عبسة السلمي رضي الله عنه أنه قال: فقلت يانبي الله! فالوضوء حدثني عنه؟. قال: مامنكم رجل يقرب وضوءه فيتمضمض ويستنشق فينتثر؛ إلا خرّت خطايا وجهه وفيه وخياشيمه[5]..) .

---

(١) سورة المدثر ، الآية ٤.

(٢) سورة الأحزاب ، الآية ٣٣.

(٣) سورة النساء. الآية ٤٨.

(٤) انظر تخريج هذا الحديث فى السبب الثانى عشر من هذه الأسباب ص٧٦

(٥) رواه الإمام مسلم في صحيحه في كتاب صلاة المسافرين ، حديث ٨٣٢.

٣ ـ التميّز يوم القيامة بين الأمم؛ وذلك بظهور الغرة والتحجيل، قال ﷺ: (إن أمتي يدعون يوم القيامة غراً محجلين من آثار الوضوء[١]) .

وهذا الجانب العظيم في الإسلام ـ الذي يعتبر تصرفاً مغايراً لما اعتاده أهل الكتاب ـ كان سبباً في دخول بعض المهتدين في الإسلام يقول أحد المهتدين: (إن الإسلام هو الدين الوحيد الذي يبدأ بالطهارة قبل الصلاة، وهي شرط أساسي قبل الوقوف بين يدي الله[٢]) ومهتد آخر يذكر أن سبب إسلامه هو سكوت دينه السابق سكوتاً تاماً عن الطهارة قبل أداء الشعائر الدينية ـ الأمر الذي دفعه إلى ترك دينه واعتناق الإسلام[٣] .

١٩ ـ العفو : ـ

رغب الله سبحانه وتعالى في العفو وحث عليه ووعد بالأجر الجزيل عليه في الآخرة فقال تعالى:﴿وإن تعفوا وتصفحوا وتغفروا فإن الله غفور رحيم[٤]﴾ وقال تعالى: ﴿ وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفا وأصلح فأجره على الله[٥]﴾؛ وذلك لعظيم أثره في تأليف القلوب، وتراص الصفوف،

(١) رواه الإمام البخاري في صحيحه ، كتاب الوضوء ، باب ٣.
(٢) رجال ونساء أسلموا ، جـ ٨ ، ص ٣٩.
(٣) المصدر السابق ، جـ ٦، ص ٦، ٧.. وانظر لمزيد من الاعترافات كيف ولماذا اعتنقوا الإسلام، ص ١٦٥ .
(٤) سورة التغابن ، الآية ١٤.
(٥) سورة الشورى ، الآية ٤٠.

ورفع الإحن والأحقاد بين أفراد الأمة المسلمة، بل جعله الله من صفات المؤمنين المحسنين فقال تعالى: ﴿ الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين[1]﴾.

هذا العفو الذي رتب له سبحانه هذا الأجر العظيم، وجعله من صفات المحسنين ليس مقصوراً على أفراد الأمة المسلمة؛ بل يتعدى ذلك حتى يكون براً بغير المسلم قال تعالى: ﴿ لاينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم[2]﴾. وفي الحديث الذي رواه البخاري في صحيحه عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها(قالت: قدمت عليّ أمي وهي مشركة في عهد رسول الله ﷺ فاستفتيت رسول الله ﷺ قلت: إن أمي قدمت وهي راغبة أفأصل أمي؟ قال:نعم صلي أمك)[3] .

هذه الآيات والأحاديث التي تقدمت لابد أن يكون لها أثر ظاهر في حياة الأمة المسلمة يلحظه كل من يتعامل معها على وجه العموم، أو يتعامل مع فرد من أفرادها؛ فيؤثر فيه هذا التعامل فيدخل في الإسلام طائعاً مختاراً، يعبر أحد المهتدين الذي لمس هذا الجانب في الإسلام في أكثر من صعيد إذ يقول:(لقد راعني حقاً تلك السماحة التي يعامل بها الإسلام مخالفيه: سماحة في السلم، سماحة في الحرب، ولين مع أهل الكتاب[4]) .

(١) سورة آل عمران ، الآية ١٣٤.

(٢) سورة الممتحنة ، الآية ٨.

(٣) كتاب الهبة . باب ٢٩ ، واللفظ له، ورواه مسلم في صحيحه في كتاب الزكاة حديث ١٠٠٣.

(٤) رجال ونساء أسلموا ، جـ ٧ ، ص ١٠ .. وانظر لمزيد من ذلك لماذا أسلمنا ، ص ٧٤ ، ١١٠.

٢٠ ـ احترام المرأة في الإسلام :ـ

رفع الإسلام شأن المرأة وأعلى قدرها حيث قرر أن النساء شقائق الرجال فقال ﷺ :(إنما النساء شقائق الرجال[١]) ، ومراعاة لفطرة المرأة وطبيعة تكوينها أوصى بها الرجال، فقال ﷺ :(استوصوا بالنساء؛ فإن المرأة خلقت من ضلع ، وإن أعوج شئ في الضلع أعلاه فإن ذهبت تقيمه كسرته، وإن تركته لم يزل أعوج فاستوصوا بالنساء[٢]) وقال أيضاً: (لايفرك مؤمن مؤمنة إن كره منها خلقاً رضى منها آخر أو قال غيره[٣]) . وألزم الشارع الزوج بالنفقة على زوجته وإن كان فقيراً قال تعالى: ﴿لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله[٤]﴾ .

وساوي بين الرجل والمرأة في الوصف الدنيوى والجزاء الأخروى فقال تعالى:﴿ إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات...﴾ إلي قوله تعالى: ﴿ أعد الله لهم مغفرة وأجراً عظيماً [٥]﴾، واعتبرها الإسلام درة مصونة وجوهرة مكنونة، وأمرها بالقرار في البيت فقال تعالى : ﴿وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى[٦]﴾فلا تخرج منه إلا لحاجة؛ فإذا احتاجت الخروج أمرها أن تستتر وتحتجب قال تعالى:﴿يا أيها النبي قل

(١) رواه الإمام أحمد فى مسنده، جـ ٦ ، ص٢٥٦ ، ٣٧٧.

(٢) رواه البخاري في صحيحه ، كتاب الأنبياء، باب ١ واللفظ له ، ومسلم في صحيحه كتاب الرضاع ، حديث ١٤٦٨.

(٣) رواه مسلم في صحيحه ، كتاب الرضاع ، حديث ١٤٦٩.

(٤) سورة الطلاق ، الآية ٧.

(٥) سورة الأحزاب ، الآية ٣٥.

(٦) سورة الأحزاب ، الآية ٣٣.

لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن[1]﴾، وأبعدها عن مواطن التهم ومزالق الأقدام فقال تعالى: ﴿ وإذا سألتموهن متاعاً فاسألوهن من وراء حجاب ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن[2]﴾.

هذه بعض جوانب احترام الإسلام للمرأة، فلننظر كيف اعتبرتها الأديان الأخرى: لقد سلبتها الديانة البرهمية حريتها ولم تجعل لها من أمرها شيئاً، سواء كانت بنتاً أو زوجة أو أماً، ومن تشريعاتهم بهذا الخصوص:(تعيش المرأة وليس لها خيار، سواء كانت بنتاً صغيرة أم شابة أم عجوزاً؛ البنت في خيار أبيها، والزوجة في خيار بعلها، والأرملة في خيار أبنائها، وليس لها أن تستقل أبداً[3]) . أما الديانة اليهودية فنظرت إليها نظرة ازدراء واحتقار[4] . واعتبرتها الديانة النصرانية شيطاناً رجيماً، وروحاً نجساً، واختلفوا حولها هل لها روح أم لا ؟. وبعد ذلك ترى الغرب اليوم ينتهك المرأة انتهاكاً تاماً، ويعتبرها متاعاً يتمتع به حال نضرته ثم يتخلص منه بعد ذلك، وسلبها عفافها وحريتها؛ فليس لها أن تمتلك التملك التام، مع أن اسمها يلحق اسم زوجها بعد الزواج، وفى نهاية أمرها لا تجد من يحفل بها من ولد أو زوج؛ فتكون رهينة الملاجئ وأسيرة المصحات. فإذا تربي الفرد في بيئة تنظر للمرأة هذه النظرة وتحكم عليها هذا الحكم، ثم صادف ديناً يحمل بين طياته هذا الاحترام للمرأة؛ فإنه

---

(١) سورة الأحزاب ، الآية ٥٩.

(٢) سورة الأحزاب ، الآية ٥٣.

(٣) مقارنة الأديان ، تأليف د. أحمد شلبي ، نشر مكتبة النهضة المصرية ، ط ٦ ، ١٩٨١م جـ - ٤ ، ٧٣.

(٤) انظر المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ٣٠٨-٣١٠.

يأوى إليه فرحاً مسروراً، تعبر عن ذلك إحدى المهتديات بقولها:(اكتشفت أن الإسلام هو الدين الوحيد الذي أجد فيه حلاً جذرياً لمشكلتي؛ إنه هو الدين الذي يرد للمرأة إنسانيتها، ويعترف لها بكرامتها التامة، ويحترمها ويمنحها كافة الحقوق[1]) وهذه مهتدية أخرى تقول:(على أنني بعد أن قررت أن أنضم إلى ركب المسلمين وجدت أن هناك أسباباً أخرى كثيرة.. ثم ذكرت منها: هذا الإقرار الرائد بتقرير حق الملكية للمرأة[2]) .

٢١ ـ رؤية الرسول ﷺ في المنام :ـ

الرؤيا حق، وأصدقها رؤيا الأنبياء؛ لأنها من الوحي، ومصداق ذلك ماروه البخاري في صحيحه عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها أنها قالت:(أول مابدىء رسول الله ﷺ من الوحى الرؤيا الصالحة في النوم، فكان لايرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح[3]والرؤيا على ثلاثة أضرب: ـ

١ ـ رؤيا صالحة فهذه بشرى من الله .

٢ ـ رؤيا تحزين من الشيطان .

٣ ـ رؤيا مما يحدث المرء نفسه[4].

وإذا أراد الله بعبد خيراً وفقه للصدق فلا تكون رؤياه إلا حقاً قال ﷺ

(١) رجال ونساء أسلموا ، جـ ٧ ، ص ٩٩-١٠٠.

(٢) لماذا أسلمنا ، ص ١٠٢.

(٣) صحيح البخارى ، كتاب بدء الوحي ، باب ١ .

(٤) انظر صحيح مسلم ، كتاب الرؤيا ، حديث ٢٢٦٣.

(أصدقكم رؤيا أصدقكم حديثاً[1]) ورؤيا المؤمن جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة[2] .

ورؤيا غير الأنبياء ليست وسيلة من وسائل تلقي العلم الشرعي كما جعلها الصوفية والمبتدعة؛ لكن إن رؤيت في أمر خير من رجل صالح أو لرجل صالح فيستأنس بها؛ لأنها حينئذ تكون من المبشرات فقط، ومن هذه المبشرات رؤية النبي ﷺ في المنام، فإن من رآه في المنام فقد رآه حقاً إذا علم من هذه الرؤيا أنها تتماثل مع ماعرف عنه ﷺ من الصفات الظاهرة، إذ الشيطان لايتمثل به ﷺ حيث يقول:(من رآني في المنام فقد رآني؛ فإن الشيطان لايتمثل في صورتي[3]) . فمن أراد الله به خيراً وفقه لرؤيته مناماً؛ حتى تكون سبباً في اقتفاء سنته، والاهتداء بهديه، والسير في ركابه[4] .

٢٢ ـ مخالطة المسلمين :ـ

كانت إحدى غايات هذه الرسالة الخاتمة إتمام مكارم الأخلاق

(١) المصدر السابق ، كتاب الرؤيا ، حديث ٢٢٦٣.

(٢) انظر نفس الحديث السابق.

(٣) رواه البخاري في صحيحه واللفظ له في كتاب العلم ، باب ٣٨ ، ومسلم في صحيحه ، كتاب الرؤيا حديث ٢٢٦٦.

(٤) انظر المراجع التالية التى ذكرت خبر من كانت رؤيته ﷺ سبباً فى إسلامهم ، وهي : إفحام اليهود ، ص ٦٠-٦٩ ، ولماذا أسلمنا ، ص ٨٧-٨٩ ، وكتاب كيف ولماذا اعتنقوا الإسلام ، ص ١٤٠ ، ورجال ونساء أسلموا ، جـ ٢ ، ص ٦٤ ، جـ ٤ ، ص ٢٥ ، جـ ٨ ، ص ٨٥-٨٦ ، ومجلة حضارة الإسلام عدد ١ ، ٢ عام ١٣٩١هـ ، ص ٣٠-٣١ ، والمجلة العربية ، عدد ٥٤ عام ١٤٠٢هـ ، ص ١٥ . وقد آثرت الإحالة إليها رغبة في الإيجاز ، لأن أغلب هذه الرؤى طويلة جداً.

قـال ﷺ : (بعـثت لأتمم حـسن الخلق[1]) والارتقـاء بالنفس البـشرية والمجتـمعـات الإنسـانيـة التي تنضـوي تحت لوائهـا إلى مصـاف الأوليـاء والصـالحين :(إن من أحـبكم إليّ وأقـربكم منى مـجلسـاً يوم القـيـامـة أحاسنكم أخـلاقـاً[2])تلقي ذلك الرقي الروحي والسـمو النفسي الصحابة رضـوان الله عليـهـم عن رسـول الله ﷺ وأورثوه أبناءهم وأحـفـادهم اتبـاعـاً لأمره ﷺ حيث يقول :(مانحل والد ولده أفضل من أدب حسن[3]) . فكان علو الخلق سجيتهم، ومكارم الأخلاق غايتهم، وأصبحت نفوسهم خيّرة لاتفرز إلا خيراً؛ فما دخلوا بلداً إلا وأثروا في نفوس أهله فأحبوهم وأحبوا مامعهم من الخير، وانتشر الإسلام بهذا السبب أكثر من انتشاره بالجهاد، بل لقد أسلمت أمم بفعل تأثرها بالمسلمـين النازحـين إليها لغرض الدعوة والتجارة أو لغيرهما من الأغراض .

واستـمـر هذا التأثيـر الإيجابي من قبل المسلمين في غيرهم إلى يوم الناس هذا؛ فـمايحل فـرد أو مـجمـوعـة من المسلمين في بلد إلا وترى أثر ذلك في أهل تلك البلد من إقبال الناس على الإسلام؛ وذلك لمايرون من المسلمين من سلامة دينهم، واتفاقه مع الفطرة ومايأمر به أتباعه من مكارم الأخلاق كالبر والإحسان والصدق...

(١) رواه مالك في الموطا ، نشر دار النفائس بيروت ، عام ١٤٠٠هـ ، ص ٦٥١ ، وأورده العجلوني وقال : (قال ابن عبد البر هو متصل من وجوه صحاح عن أبي هريرة وغيره. انظر كشف الخفاء ، نشر مؤسسة الرسالة ، جـ ١ ، ص ٢٤٤.

(٢) رواه الإمام أحمد في مسنده ، جـ٢ ، ص١٨٥ ، والترمذي في سننه جـ ٣ ، ص ٢٤٩.

(٣) رواه الإمام أحمد في مسنده ، جـ ٣ ، ص ٤١٢ ، جـ ٤ ص ٧٧ ، ٧٨ والترمذي في سننه ، جـ ٣ ، ص ٢٢٧.

ولقد تبين أن هناك أعداداً كثيرة دخلت في الإسلام بسبب تعاملهم مع فرد أو أفراد من المسلمين، يعبر عن هذا أحد المهتدين قائلاً (عن صديقه الفرنسي عندما عاد من تركيا مسلماً: قارنت بين حاله الجديده وحاله قبل أن يعتنق الإسلام؛ ورأيت بوناً شاسعاً، وأحسست في قلبي ارتياحاً واطمئناناً بعد أن شاهدت تغيّر أحواله خلقياً وعملياً، فقد صار يحتذي السنة، وتبدو عليه السكينة... ثم سافرت إلى تركيا واجتمعت مع بعض المسلمين وتأثرت بإكرامهم ورأيت آثار الإيمان بادية على وجوههم وتأثرت بحالهم؛ وخرجت من عندهم وقد تغيّر قلبي[1]) ولقد صرح أحد المهتدين بأن هدايته ترجع ـ بعد الله ـ في المقام الأول إلى سلوك المسلمين الذي أثار إعجابه الشديد[2]. وهذا مهتد آخر كانت زيارته لإحدى الدول الإسلامية سبباً في إسلامه إذ يقول:(قمت بزيارة لماليزيا؛ فرأيت عالماً آخر مختلفاً تماماً عن العالم الغربى الذي أتيت منه، فالناس ـ رغم فقرهم ـ كانوا سعداء، وكانت المودة سائدة بينهم، وكانوا يقدمون العون دون مقابل، رائدهم القناعة ورضى النفس.. كان لتلك الزيارة أثر كبير في نفسي؛ فقد تغيرت كل مفاهيمي عن الحياة والدين[3]) . وخوفاً من الإطالة في سرد هذه الشواهد ـ وهي كثيرة جداً ـ رأيت أن أعزوها

(١) المجلة العربية ، عدد ٥٤ ، عام ١٤٠٢هـ ، ص ١٥ – ١٦.
(٢) كيف ولماذا اعتنقوا الإسلام ، ص ١٤٣.
(٣) المصدر السابق ، ص ١١١.

إلى مصادرها إذ فيه الغنية والكفاية[١] .

٢٣ ـ المناظرة والمجادلة : ـ

أرشد الله المسلمين في كتابه الكريم إلى كيفية الدعوة إلى الإسلام، وبين لهم أساليبها، كما أوضح لهم أصناف المدعوين، وبين لهم أن من بينهم «أهل الكتاب» ؛ وأرشد سبحانه إلى أن من الأساليب التي تتبع معهم لدعوتهم إلى الإسلام ـ المجادلة بالتي هى أحسن قال تعالى:﴿ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هى أحسن[٢]﴾؛ وذلك لأن في المجادلة عرضاً للحق، وبياناً لأدلته، ودفعاً للشبهة عنه، ودعوةً للمعارض إلى الحق، ونقضاً لأدلته، وفضحاً لزيفه، وبياناً لخطل اعتقاده، وزلله في مساره، وكشفاً لعواره .

ولقد جادل النبي ﷺ وفد نصارى نجران وخبر هذه المجادلة مشهور[٣] . واستمرت المناظرات تقع بين المسلمين وأهل الكتاب، ولعل من أشهرها في العصر الحديث تلك التي وقعت في الهند بين الشيخ رحمة الله

---

(١) انظر رجال ونساء أسلموا ، جـ ١ ، ص ٥٩ ، ٦٠ ، جـ ٢ ص ٤٥ ، ١٠٩، جـ٣، ص ٨ – ٩ ، ٢٢ ، ٧٠ ، ١٠٦ ، جـ ٤ ، ص ١٢١ ، جـ ٥ ص ٥٥ ، جـ ٦ ، ص ٧٠ ، جـ ٧ ، ص ٢٥ ، ١٠٦ ، جـ ٨ ، ص ٢٠ ، ٤٥ ، ٥٦ – ٥٧ ، وكيف ولماذا اعتنقوا الإسلام ، ص ١٠١ ، ١١٥ ، ١١٩ ، ١٢٦ ، ١٣٠ ، ١٣٤ ، ١٣٨ ، ١٤٦ ، ١٤٧ ، ولماذا أسلم هؤلاء ، ص ٦٨ ، ٧٣ ، ١٣٦ ، ولماذا أسلمنا ، ص ٩٤ ، ١٢٢ ، ١٥٣ ، ١٦٤ ، ٢٢٤ ، وجريدة المسلمون عدد ٢٠ ، ص ٥٧ ، ومجلة النور ، عدد ٤٩ ، عام ١٤٠٨هـ ، ص ٣٣.

(٢) سورة العنكبوت ، الآية ٤٦ .

(٣) انظر صحيح البخاري ، كتاب المغازي ، باب ٧٢.

الهندي الله والقسيس فندر عام ١٢٠٧هـ[١]، وكذلك المناظرة التي تمت في السودان بين جماعة من العلماء المسلمين ، وجماعة من القساوسة النصاري، في عام ١٤٠١ هـ[٢]، وقد انتهت مداولات هذه المناظرة بإسلام هؤلاء القساوسة، ومما يؤيد ماذهبت إليه أن المهتدى عبدالأحد داود ذكر أن سبب إسلامه بعد عناية الله يرجع إلى مواجهات عديدة مع بعض علماء الإسلام انتهت باعتناقه الإسلام[٣] .

٢٤ ـ البحث العلمي :ـ

يفد الإنسان إلى هذه الدنيا طفلاً ضعيفاً لا يميز بين حق وباطل، ويتلقى عن أبويه دينهما سواء كان هذا الدين هو الصحيح المرضي عند الله أم كان غير ذلك... حتى إذا شب عن الطوق بدأ يعيد النظر في حياته ويقوّم ما ورثه؛ فإما أن يجده هو الهدى فيحمد الله ويثني عليه، وإما أن يجده أمراً مألوفاً فلا يتعداه قيد أنملة، ولا يعرضه على عقله ليتبين له الحق؛ خوفاً من انتقاد المجتمع وذهاب الريح والمكانة، وإما إن يتبين له أن ما هو عليه ليس له أساس من الحق؛ فعند ذلك يركب كل سهل وعسير

---

(١) انظر وقائع هذه المناظرة فى كتاب المناظرة الكبرى ، تأليف رحمة الله الهندي ، وتحقيق د . محمد عبدالقادر خليل.

(٢) نشرت مداولات هذه المناظرة من قبل الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد في كتاب «مناظرة بين الإسلام والنصبرانية» عام ١٤٠٧هـ.

(٣) انظر محمد في الكتاب المقدس ، ص ٢٨ ، وانظر لمزيد من الشهادات رجال ونساء أسلموا ، جـ ٥ ، ص٢٢ – ٢٣.

للبحث عن الحق في مظانه، فينتقل من ملة إلى أخرى، ويجرب هذه النحلة ويتعداها إلى غيرها حتى يدركه أجله دون إدراك مناه، أو تدركه عناية الله فيتخذ من الأسباب مايوصله إليه، ولعل من أبرز هذه الأسباب البحث العلمي والاستقصاء .

ولقد تبين لي أن كثيرين ممن شملتهم هذه الدراسة المتواضعة دفعهم إلى اعتناق الإسلام : إما كتاب اطلعوا عليه يتحدث عن الإسلام أو يتطرق إلى سيرة الرسول ﷺ، أو محاضرة استمعوا إليها ترشد الناس إلى الحق وتبين لهم سبيله، يذكر أحد المهتدين تجربته في تعرفه على الإسلام قائلاً: (إن اعتناقي للإسلام لم يكن عن ضلالة أو نزوة خاطئة أو انقياد أعمى أو اندفاع عاطفي؛ لكنه كان وليد دراسة دقيقة فاحصة أمينة غير متأثرة برأي أو ميل سابق[1]) . وقد قارن أحد المتخصصين الآيات المرتبطة بتخصصه بما تعلمه فوجد الاتفاق والتطابق؛ فقاده ذلك إلى إعلان إسلامه، إذ يقول:(تتبعت كل الآيات التي لها ارتباط بالعلوم الطبية والصحية والطبيعية والتي درستها في صغري وأعلمها جيداً؛ فوجدت هذه الايات منطبقة كل الانطباق على معارفنا الحديثة،فأسلمت؛ لأنني أيقنت أن محمداً ﷺ أتي بالحق الصراح من قبل أن يكون معلماً أومدرساً، ولو أن كل صاحب فن من الفنون أو علم من العلوم قارن كل الآيات القرآنية المرتبطة بما تعلم جيداً كما قارنت لأسلم بلا شك، إن كان عاقلاً خالياً من الأعراض

(١) لماذا أسلم هؤلاء ، ص ٩٢.

والأمراض[1]) . ويشهد لما تقدم مهتد آخر إذ أكد أن الدراسة كانت سبب هدايته فيقول: (إنني اتخذت هذا الدين سبيلاً لحياتي ، لأنني ـ بعد دراسات طويلة ـ وجدته خير الأديان، وأنه الدين الوحيد بينها الذي يلبي الاحتياجات الروحية للجنس البشري[2]) .

٢٥ ـ القلق : ـ

لم يخلق الله هذا الإنسان عبثاً، ولم يتركه سدى، بل خلقه لحكمة، وشرفه بخلافة، وبلغه رسالة، وحمّله أمانة؛ فإذا انقاد العبد لأمر ربه تكفل له بالأمن والطمأنينة والتسديد والهداية قال تعالى: ﴿ الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدن[3]﴾ وقال تعالى ﴿فمن آمن وأصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون[4]﴾، وجعل له من كل ضيق مخرجاً: ﴿ومن يتق الله يجعل له مخرجاً[5]﴾.

وإذا عصى العبد ربه وتنكب صراطه، واستغنى عن هدايته؛ أبدله

(١) المصدر السابق ، ص ٥٥.

(٢) لماذا أسلمنا ، ص ٦٦ ، ولمزيد من أقوال هؤلاء المهتدين تعبيراً عن هذا الجانب ، انظر المصدر السابق ، ص ٥١ ، ٧٠ ، ١٥٠ ، ١٧٠، وكيف ولماذا اعتنقوا الإسلام ، ص ٩٢ ، ١٢٣ ، ١٥٢ ، ١٦٦ ، ورجال ونساء أسلموا جـ ٤ ، ص ١٨ ، جـ ٨ ص ٨ ، ٦٦ ، ولماذا أسلم هؤلاء ، ص ٣٠ ، ٤٩ ، ٧٨، ٩٧ ، ١٢٠ – ١٢٢ ، ١٤٦ ، ومجلة النور ، عدد ٥١ ، عام ١٤٠٨هـ ، ص ١٣ – ٢٠ ، ومجلة حضارة الإسلام ، عدد ١ ، ٢ . ص ٣٣ ، ٣٥ ، ٣٧ ، وجريدة عكاظ ، عدد ٨٨٤٦.

(٣) سورة الأنعام ، الآية ٨٢.

(٤) سورة الأنعام ، الآية ٤٨.

(٥) سورة الطلاق ، الآية ٢.

بالأمن خوفاً، وبالطمأنينة فزعاً وقلقاً، وبالهداية غواية وضلالاً، وبالتسديد تشتتاً وضياعاً، وبسعة الرزق معيشة ضنكاً، قال تعالى:﴿ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكاً[1]﴾ يعيش في حيرة وقلق، قلق على النفس، وقلق على المستقبل، وقلق على الذرية ، وقلق على المصير، وخوف من المجهول، وتتشتت روحه في أودية الدنيا فلا يقر له قرار، ولا يهنأ له بال، تطارده همومه، ويفزع من هم إلى هم ـ كالمستجير من الرمضاء بالنار ـ كما عبر أحد المهتدين بقوله:(كنت أحس دائماً بأنني على وشك الاختناق، ولم تفلح الرات النادرة التي ذهبت فيها إلى الكنيسة في انقاذي من هذا الشعور[2]) .

وهل يطمح من جهل غايته من هذا الوجود، ولم يعلم بالمنهج الذي ينبغي له السير عليه أن تفلح مساعيه، وأن يجني السعادة والطمأنينة. لايمكن أن يتحقق له ذلك؛ لأنه كمن يسير في ليل مظلم حالك الظلمة وهو لا يدري أين يتجه، ولا ماذا سيصادفه من عقبات الطريق وأهواله، قال تعالى :﴿ والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة ...﴾ إلى أن قال: ﴿أو كظلمات في بحر لجّي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل الله له نوراً فماله من نور[3]﴾ .

---

(١) سورة طه ، الآية ١٢٤.

(٢) كيف ولماذا اعتنقوا الإسلام ، ص ١٣٧.

(٣) سورة النور ، الآيتان ٣٩ ، ٤٠.

ثم من يشأ الله أن يخرجه من هذه الظلمات إلى النور فإنه ييسر له أسبابه، وهذه مجموعة من أقوال هؤلاء المهتدين أذكر بعضاً منها للاستشهاد وأحيل القارئ إلى بقيتها في مصادرها، يقول أحد هؤلاء المهتدين :(كنت أعيش في دوامة نفسية قاسية وفراغ روحي ممل يكاد يعصف بكياني كله[1]) ويقول آخر:(ظللت ضائعاً أحيا بجسدي فقط، أما روحي ونفسي فقد كانتا في واد آخر[2]) .

٢٦ ـ التناقض في النصرانية :ـ

يشكو كثير من المهتدين من أهل الكتاب من التناقض في العقيدة النصرانية، وهذا لا يحتاج إلى تأكيد؛ لأن من تربوا على هذه العقيدة شهدوا بذلك، هذا من جانب، ومن جانب آخر فإن تعليماتها المبثوثة في كتب هذه الديانة تنطق بالتناقض والتضارب، فهي تعترف بثلاثة أقانيم، كل أقنوم له صفاته الخاصة به،وله أعماله المنوطة به-على حد زعمهم- ثم تدعي أن هذا المجموع المتنافر إله واحد. وكذلك التناقض والاختلاف بين فرقها في أمور عديدة منها: الاختلاف حول طبيعة المسيح عليه السلام هل هى لاهوتية أم ناسوتية أم مكونة منهما معاً؟ وهل خلق قبل

---

(١) رجال ونساء أسلموا ، جـ ٥ ص ٢٩.

(٢) كيف ولماذا اعتنقوا الإسلام ، ص ١٦٤ ، ولمزيد من هذه الاعترافات انظر المصدر السابق ، ص ٢٩ ، ٩٥ ، ١١٣ ، ١١٨ ، ١١٩ ، ١٥٠ ، ١٥٩ ، ورجال ونساء أسلموا ، جـ ٥ ، ص ٧٨ ، جـ ٧ ، ص ١٩ ، ١١٦ ، ولماذا أسلمنا ، ص ٦٩ ، ولماذا أسلم هؤلاء ، ص ١٢٠ ، ومجلة حضارة الإسلام ، عدد ١ ، ٢ ، ص ٢٩.

العالم أو خلق في زمنه الذي خرج فيه؟ وكذلك اختلافهم في زمن حلول الروح القدس عليه هل كان ذلك وهو في بطن أمه أو عند بلوغه الثلاثين، وكذلك اختلافهم حول الكتب المعتمدة وعدد إصحاحاتها ...

وهذا أمر طبيعي؛ لأنه نتيجة للتدخل البشري في صياغة هذه العقيدة وتدوين مصادرها قال تعالي:﴿ ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً[1]﴾. وهذا التناقض والتضاد لن يكون مقبولاً لدى النفس السوية، فلا بد أن تفر منه، وتستعيض به بدلاً عنه إذا عثرت على ماهو خير منه .

ولقد تبين لي أن هذا التناقض في الديانة النصرانية دفع الكثير من النصارى إلى الفرار منها واعتناق الإسلام، يقول أحد المهتدين:(كان يثور في نفسي شك يصحبه قلق شديد طوال الأعوام السابقة على إسلامي، وهذا الشك كان يدور دائماً حول ادعاء المسيحيين «أن المسيح ابن الله» فكيف يكون لله ولد؟؟ وكيف يكون المسيح ابن الله[2]) وهذا مهتد آخر يزيد الأمر وضوحاً إذ يقول:(استرعى انتباهي وأنا في المدرسة الابتدائية أن هناك فرقاً كبيراً بين مانتعلمه في دروس الدين، ومايقال لنا

(١) سورة النساء ، الآية ٨٢.

(٢) كيف ولماذا اعتنقوا الإسلام ، ص ١٤٠.

في دروس العلـوم الدنيـوية الأخرى كـالحسـاب. مثـلاً في حـصـة الدين تعلمنا أن ٣ = ١. ولا يقـال هذا في درس الحـسـاب، وتنبـهت إلى هذا الخطأ[١]) .

(٢) المصـدر السـابق ، ص ٩٥ . وانظر لمزيد من أقوال هؤلاء في هذا الجانب ، المصـدر السابق ، ص ١٣٣ ، ورجال ونساء أسلموا جـ ٦ ، ص ٧١ ، جـ ٧ ، ص ١١٦ ولماذا أسلم هؤلاء ، ص ١٤٤ - ١٤٥ ، ولماذا أسلمنا ، ص٧٠.

البَابُ الأوّل

التعريف بالمهتدين من أهل الكتاب

ويشتمل على فصلين :

الفَصل الأوّل

التعريف بالمهتدين من اليهـــود.

الفَصل الثاني

التعريف بالمهتدين من النصارى.

الفَصْلُ الأوّل

التعريف بالمهتدين من اليهـــود

ويشتمل على :

١ – السمـــوءل .

٢ – الإسكندراني .

مقدمة :

شهدت الساحة الإسلامية منذ فجر الرسالة الإسلامية تحولاً مباركاً نحو الإسلام من أبناء الأمم الأخرى، وكان لأهل الكتاب من ذلك النصيب الأوفر؛ إذ يمثلون أغلبية سكان المناطق المجاورة للمدينة المنورة البلدة التي انطلق منها نور الإسلام نحو الآفاق .

وحيث إن اليهود والنصارى لا يزالون يحتفظون بكتب دينية منسوبة إلى الأنبياء عليهم السلام؛ فكان إسلام العالم منهم في فجر الرسالة يعد تحولاً إيجابياً يحسب في صالح الإسلام .

ولما لهذا التحول من ثمار ملموسة في مجال الدعوة والمقارنة والمجادلة فقد خصصت هذه الدراسة المتواضعة لدراسة ثلة من هؤلاء المهتدين في الماضي والحاضر، ولم يكن هذا الاختيار عشوائياً بل عمدت إلى وضع بعض الضوابط التي تحدّد من ينبغي أن تشملهم هذه الدراسة، وهذه الضوابط هي :-

١ ـ أن يكون المهتدي عالماً بدينه قبل إسلامه .

٢ ـ أن يؤلف بعد إسلامه كتاباً في نقد دينه أو في نصرة الإسلام وتأييده.

ثم وجدت أنه يندرج تحت هذه الضوابط جم غفير من هؤلاء المهتدين، وليس في الإمكان الإحاطة بهم؛ فرأيت أن اقتصر منهم على مجموعة مشتهرة تمثل هذه الطائفة المهتدية في الماضي والحاضر، ولعل

أسباب اقتصاري على هؤلاء تنحصر في :ـ

١ - أن هؤلاء الأشخاص الذين تم اختيارهم كانوا هم الروّاد في هذا المنهج، بل هم طلائع التصنيف والتأليف في هذا الباب أعني الرد على أهل الكتاب من قبل مسلمي أهل الكتاب .

٢ - أن مؤلفات هؤلاء الرواد استغرقت قضايا النزاع بين المسلمين وأهل الكتاب .

٣ - أن مؤلفات هؤلاء كان لها أكبر الأثر وأعظم النصيب في الإشادة بها والتأثر بها والإفادة منها .

٤ - ليس في الإمكان الإحاطة بكل من ألّف في هذا الباب، كما أن الهدف من هذه الدراسة يتحقق في دراسة هذه الفئة التي تم اختيارها.

٥ - كثيرون منهم أسلموا وألفوا في هذا المضمار، ولم تصلنا مؤلفاتهم؛ فليس من حق أي دارس لهذه الظاهرة أن يزعم الاستقصاء أو الإحاطة .

المبحث الأول : السموءل

المطلب الأول : نسبه ومولده ونشأته :

اسمه : أبو نصر السموءل[1] بن أبي البقاء يحيى بن عباس المغربي، هذا اسمه بعد إسلامه باللغة العربية ، أما اسمه قبل إسلامه باللغة العبرية فهو: شموائيل[2]

ولد لأبوين يهوديين تجمعهما صفة التمكن من التوراة، والاطلاع على علومها، والتفقه فيها، والتمكن من الكتابة بالقلم العبري، ويختلفان

(١) انظر ترجمته في عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، تأليف : ابن أبي أصيبعة ، نشر دار الثقافة ، ط ٢، سنة ١٩٨١م جـ ٣ ص ٤٦ - ٤٧ . وإخبار العلماء بأخبار الحكماء ، للقفطي ، طبع مطبعة السعادة بمصر ، ص ١٤٢ ، وتاريخ الحكماء للزوزوني ، نشر مكتبة المثنى ، ص ٢٠٩ . والوافي بالوفيات ، تأليف صلاح الدين الصفدي ، اعتناء بيرند راتكه ، نشر دار النشر فرانز شتانير ١٣٩٩هـ ، جـ ١٥ ، ص ٤٥٣ - ٤٥٤ ، وكشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، تأليف حاجي خليفة ، طبع وكالة المعارف عام ١٣٦٠ ، ص ١٣٢ . وموجز تاريخ الرياضيات ، تأليف هاشم الطيار ، ويحيى عبد سعيد ، طبع جامعة الموصل ، ص ١٨٢ - ١٨٧ . وتراث العرب العلمي فى الرياضيات والفلك ، تأليف قدري طوقان ، نشر دار الشروق ، بيروت ، ص٣٧١ - ٣٧٢. وانظر دراسة الدكتور محمد الشرقاوي عنه في أول كتاب إفحام اليهود ، ومقال الأستاذ رشدي راشد عن تاريخ الجبر ضمن أبحاث الندوة العالمية لتاريخ العلم عند العرب ، المنعقد في جامعة حلب ٥ - ١٣٩٦/٣/١٢هـ ، نشر معهد التراث العلمي، جامعة حلب ، ط ١، ١٩٧٧. والمجلة العربية ، عدد ٥٥ ، شهر شعبان ، ١٤٠٢هـ، ص ١٠٢- ١٠٣.

(٢) مستندي في هذا ما كتبه عن نفسه في سيرته الذاتية الملحقة بكتاب «إفحام اليهود» وقد غلط فى اسمه بعض من ترجم له ، فقال القفطي في «إخبار العلماء بأخبار الحكماء» : السموأل بن يهوذا ، أما الصفدي في كتابه «الوافي» فقد أبدل بعض الأحرف في اسم جده فقال : ابن عياش ، وسلم ابن أبي أصيبعة من التحريف فأورده صحيحاً.

من حيث بلد النشأة؛ إذ أبوه من يهود فاس[1] بالمغرب، وهو من أعلم أهل زمانه بعلوم التوراة، وأقدرهم على التوسع في الإنشاء، والارتجال لمنظوم العبراني ومنثوره.[2]

وأمه من يهود البصرة، واسمها أم شموائيل، إحدى بنات إسحاق بن إبراهيم البصري الليوي، ويصفها ابنها بأنها إحدى الأخوات الثلاث المنجبات في علوم التوراة، اتصل بها أبوه ببغداد، وبقيت معه مدة لاترزق ولداً، حتى استشعرت العقم، ثم رأت في منامها رؤيا [3] فاستبشرت بها خيراً وحملت به بعد ذلك .[4]

تاريخ مولده : رغم أنه كتب سيرته الذاتيه بيده، وأورد فيها كثيراً مما يهم الباحث، لكنه أغفل فيها تاريخ مقدم والده من المغرب إلى المشرق، كما أغفل أيضاً تأريخ مولده، ولم أر من أرّخ لمولده فيما بين يدي من المصادر، لكن يتضح من خلال التراجم التي تحدثت عنه أنه ولد في أوائل القرن السادس الهجري .

نشأته : نشأ في بيت علم وديانة يهودية[5]، تعهده أبوه منذ نعومة أظفاره بطلب العلم والعناية به ، فشغله أولاً بالكتابة بالقلم العبري، ثم

---

(١) خلافاً للقفطي إذ يقول : أظنه من بلاد الأندلس . إخبار العلماء ، ص ١٤٢ .

(٢) السيرة الذاتية للمؤلف المطبوعة مع إفحام اليهود ، ص ٤٦ .

(٣) انظر تفاصيل هذه الرؤيا في المصدر السابق ، ص ٤٧ .

(٤) خلاف ما ذكره القفطي في إخبار العلماء ، ص ١٤٢ من أنه قدم هو وأبوه من الأندلس .

(٥) كما سبق في صدر ترجمته من هذا البحث .

بعلوم التوراة وتفاسيرها، حتى أحكم علم ذلك عند إكمال السنة الثالثة عشرة من مولده، كما يقول ذلك عن نفسه .[1]

طلبه للعلم ونبوغه فيه : كان مشغوفاً في صباه بالقراءة وطلب العلم؛ إذ اطلع في سن مبكرة على كثير من كتب التاريخ والسير والأساطير والأخبار؛ وأورثه ذلك بلاغة وفصاحة، ولما ظهرت لأبيه علامات نبوغه ـ إذ أحكم الكتابة بالقلم العبري ودرس التوراة وتفسيرها في سن الثالثة عشرة ـ أراد أن يوسع اهتماماته العلمية ؛ فشغله بتعلم الحساب والفلك والطب والهندسة والجبر ممارسة وتعلما، وذلك على أيدي العلماء المشهورين في بلده؛ يحدوه إلى ذلك الشغف بهذه العلوم ، والتأله في سبيلها مما شغله عن المطعم والمشرب إذا فكر في بعضها .[2]

وقد ظهرت علامات نبوغه وتفوقه في شبابه ، إذ يقول عنه أحد معاصريه وهو موفق الدين عبد اللطيف البغدادي :(هذا السموءل شاب بغدادى كان يهودياً ثم أسلم ومات بمراغة، وبلغ في العدديات مبلغاً لم يصله أحد في زمانه ، وكان حاد الذهن جداً ، وبلغ في الصناعة الجبرية الغاية القصوى...)[3] وممايؤكد ذلك أنه لما استوعب ما عند النقاش والدسكري في الهندسة والجبر، بقي عليه بعض كتاب «أقليدس» ، وكتاب «الواسطي» ، وكتاب «البديع» في الجبر والمقابلة ولم يجد من يعرف منها

---

(١) إفحام اليهود ، ص ٤٧.

(٢) المصدر السابق ، ص ٥٠ - ٥١.

(٣) عيون الأنباء ، جـ ٣ ص ٤٦ .

شيئاً، عند ذلك قرر الخلوة بنفسه في أحد البيوت مدة من الزمان حتى يتمكن من دراستها وتحليلها، حيث يقول عن نفسه: (فخلوت بنفسي في بيت مدة ، وحللت جميع تلك الكتب وشرحتها ، ورددت على من أخطأ من واضعيها ، وأظهرت أغلاط مصنفيها، وعزمت على ما عجزوا عن تصحيحه وتحقيقه ، وأزريت على«أقليدس» في ترتيب أشكال كتابه، بحيث أمكنني إذا غيرت بعض أشكاله ، أن استغني عن عدة منها لا يبقى إليها حاجة)[1]

ومما يؤكد ذلك أيضاً أنه ابتدأ في التأليف في سن الثامنة عشرة، واشتغل بالطب وأوجد أدوية لأمراض كثيرة لا علاج لها .[2]

وقد ارتحل في طلب العلم إلى الشام وأذربيجان وكوهستان ، وأثمرت رحلاته أن استخرج علوماً كثيرة ، واخترع أدوية كثيرة .كما يقول ذلك عن نفسه [3] ولكنه لم يذكر مشايخه في تلك البلاد .

ولقد أسهب بعض العلماء في مدحه والثناء عليه ، إذ يقول القفطي عنه:(قرأ فنون الحكمة ، وقام بالعلوم الرياضية وأحكم أصولها وفوائدها ونوادرها ، وكان عددياً هندسياً حقيقياً ...)[4]. وقال عنه الصفدي (كان يتوقد ذكاء، وكان حاد الذهن جداً، بلغ في صناعة الجبر الغاية)[5]

---

(١) سيرته الذاتية ، ص ٥٠.
(٢) المصدر السابق ، ص٥٠ - ٥١.
(٣) المصدر السابق ، ص ٥١.
(٤) إخبار العلماء ، ص ١٤٢.
(٥) الوافي بالوفيات ، جـ ١٥ ص ٤٥٣ - ٤٥٤.

مصنفاته : قال الصفدي في كتابه الوافي : (ورأيت بعضهم قد كتب في هامش الترجمة في تاريخ ابن النجار قال : رأيت بخطه وقد ضبط اسم جده ... وفى آخر رسالة بخطه ـ أي السموءل ـ في ذكرمصنفاته وعدتها خمسة وثمانون مصنفاً في الحساب والمساحة والجبر والهندسة والنجوم والطب والأدب وغير ذلك ...)[1] .

وهذه الكتب على كثرتها ، وعلى تنوع الفنون التي دونت فيها ؛ لم نجد بين أيدينا وفى ثنايا التراجم إلا النزر اليسير منها ، وهي[2] :ـ

١ – المفيد الأوسط في الطب ، صنفه سنة ٥٦٤ هـ في بغداد للوزير مؤيد الدين إسماعيل ابن الحسن .

٢ – القوامي في الحساب الهندى ، ألفه سنة ٥٦٨ هـ.

٣ – إعجاز المهندسين ، صنفه لنجم الدين أبى الفتح شاه غازي ملك شاه بن طغرل بك، وفرغ من تصنيفه سنة٥٧٠ هـ.

٤ – المثلث القائم الزاوية ، صنفه لرجل من أهل حلب يدعى: الشريف.

٥ – المنبر في مساحة أجسام الجواهر المختلفة لاستخراج مجهولها .

٦ ـ الباهر في الجبر .

٧ ـ الزاهر في الجبر .

٨ ـ شرح كتاب « ديو فانتس » .

---

(١) المصدر السابق جـ ١٥ ، ص ٤٥٣ – ٤٥٤.

(٢) تم استقصاء أسماء هذه الكتب من الكتب التي ترجمت له ، ولم أرد أن أذكر المرجع الذي ذُكر فيه كل كتاب مخافة الإطالة.

٩ ـ رسالة إلى ابن خدود في مسائل حسابية .

١٠ ـ رسائل في الجبر والمقابلة يرد فيها على ابن الخشاب .

١١ ـ كتاب في المياه .

١٢ ـ الرد على اليهود وهو المسمى «إفحام اليهود » . وهو الذي سيكون موضع البحث والدراسة من بينها .

وبإلقاء نظرة على المواضيع التي تناولها المؤلف في هذه المؤلفات، تعطي الدلالة على موسوعية علمه وشموليته، وأنه ليس مقلداً؛ لأن هذه العلوم تعتمد على التجربة والاختبار والملاحظة، وتستند على المقابلة والمقارنة،كما تستدعي كدح الذهن، واستدامة النظر، والاعتناء بالدليل والبرهان .

المطلب الثاني: البيئة التي نشأ بها : ـ

ولد وترعرع في حواضر الخلافة العباسية ، وتفيأ ظلالها ، وتلقى العلم في رحابها، فقد عاصر العهد العباسي الثاني الذي يعتبر من الناحية السياسية بداية الضعف الذي أصاب المسلمين واستمر مدة طويلة ؛[١] وذلك لضعف سلطة الخلافة ، وظهور الدويلات في العالم الإسلامي ، وأصبح فيه ميزان القوى السياسة متذبذباً ؛ إذ أفل نجم سلاطين بنى بويه،

(١) انظر التاريخ الإسلامي ، تأليف محمود شاكر ، نشر المكتب الإسلامي ، بيروت ، ط : ١ ، ١٤٠٥هـ ، جـ ٦ ص ٥.

واشـرق في الجـانبين الشـمـالي والشـرقي من أقـاليم الخـلافـة سلطان السـلاجقـة،[1] وكـانت الخلافة العباسية تخبو تارة وترتفع أخرى، حسب من يتولى قيادتها، وخطب الخليفة ود السلاجقة؛ لضمان السلامة، واقتصرت سيطرته على العراق تقريباً، (وكانت العلاقة بين الخلفاء العباسيين وسلاطين السلاجقة مغايرة للتي كانت بينهم وبين البويهيين، ويذكرالمؤرخون أن أهم سبب لذلك هو الاتفاق المذهبي، فهؤلاء وأولئك يدينون بالمذهب السني، مما يسر التعاون بين الجانبين، ومما دفع السلاجقة إلى إجلال الخلفاء واحترامهم احتراماً عميقاً، ومن هنا كان تصرفهم تجاه الخلفاء؛ فكانوا يظهرون لهم الولاء، ويدينون لهم بالطاعة والاحترام)[2]

هذا الود والاحـتـرام المتـبـادل لم يدم طويلاً، ولم يكن هو الصـبـغـة الرسمية للعلاقة بينهما ، بل كانت تحدث بينهما المصادمات ، وتشتعل الحروب ، بل تجاوز الأمر إلى محاصرة الخليفة وأسره وعزله؛ ففي عام ٥٢١ هـ حدث خلاف بين الخليفة المسترشد بالله والسلطان السلجوقي محمود بن محمد بن ملكشاه، انتصر فيها السلطان على الخليفة ودخل بغداد ونهبت عساكره دار الخلافة ، كما حدث خلاف آخر بين الخليفة المسترشد بالله والسلطان مسعود السلجوقي أسفر عن دخول جيش السلطان إلى بغداد ، وأسرالخليفة عام ٥٢٩هـ.

---

(١) انظر تاريخ العراق ، تأليف فاروق عمر فوزي ، نشر مكتبة النهضة ، بغداد ، ط ١ ، ١٩٨٨م ص ٣١٩-٣٤٠.

(٢) موسوعة التاريخ الإسلامي ، تأليف : د . أحمد شلبي ، نشر مكتبة النهضة المصرية ، ط ٧ ، ١٩٨٢م ، جـ ٣ ص ٤٣١.

وبعد تولي الخليفة الراشد بالله حدث خلاف آخر بينه وبين السلطان مسعود، إذ طالبه بما تعهد له به الخليفة السابق إبان الأسر من دفع مبلغ ٤٠٠,٠٠٠ دينار التزم دفعها حين أسره، ولكن الخليفة رفض ذلك، فداهمه السلطان بجيش كثيف وخلعه عام ٥٣٠ هـ.[١]

وهذا التفوق والنفوذ الذي أحرزه السلاجقة في بداية القرن السادس الهجري، لم يكتب له الاستمرار والنجاح ؛ إذ استعادت الخلافة مكانتها نسبياً في ظل حكم كل من المستنجد بالله ٥٥٥هـ ـ ٥٦٦هـ والمستضيء بأمر الله ٥٦٦هـ ـ ٥٧٥هـ ، وبدأ يضعف سلطان السلاجقة حتى إذا (بويع الخليفة الناصر لدين الله عام ٥٧٥ هـ أحيا هيبة الخلافة، وأعاد لها مجدها من النفوذ والقوة، ودام حكمه ٤٦ عاماً[٢] وتصدى لإنهاء تسلط السلاجقة في إيران ، ووضع حداً لطلباتهم ... وفى عام ٥٨٢ هـ سيّر الخليفة جيشاً عظيماً للقضاء على السلاجقة، ولكن سلطانهم لجأ إلى أذربيجان، وفى عام ٥٩٠هـ تحالف الخليفة مع ملك الدولة الخوارزمية وأمده بجيش قوى للقضاء على زعيم السلاجقة ؛ فتم له ذلك وقتل عام ٥٩٠ هـ ، وبهذا انتهت سلطتهم نهائياً .)[٣]

---

(١) انظر التاريخ الإسلامي ، جـ ٦ ص ٢٧٣ . وتاريخ العراق ، ص ٣٣١ . والعراق في التاريخ ، تأليف جماعة من المؤلفين ، ١٩٨١م ، ط دار الحرية ، ص ٤٤٣ – ٤٦٤ . ولمزيد من التوسع انظر البداية والنهاية ، لأبي الفداء ابن كثير ، نشر دار الفكر بيروت ، جـ ١٢ ، ص ١٨٠ وما بعدها.

(٢) انظر التاريخ الإسلامي ، جـ ٦ ص ٣١٣ . والعراق في التأريخ ، ص ٤٥٧ – ٤٥٩.

(٣) المصدر السابق ، ص ٤٥٧ – ٤٥٩.

ومع هذا التذبذب في مركز الخلافة ، وفى مكانة السلاطين ، وهذا الصراع بينهما، فقد شهد القرن السادس حركة علمية ونهضة فكرية (وضع أساسها نظام الملك، فقد أشاد هذا الوزير العالم شبكة من المدارس التي أخذت اسمها من اسمه فسميت النظامية، وكانت في البلاد التالية: بغداد، بلخ، نيسابور، هراة، أصفهان، البصرة، مرو ...وكان له في كل مدينة بالعراق وخراسان مدرسة) [1] .

ولعل وجود السموءل في هذه البيئة التي تغير وجهها بقدوم الإسلام عليها ، من رسوخ في التقليد ، وتبعية للماضي ، وارتكاس في الجمود ، إلى تجرد عن التبعية والعبودية إلا لله ، وإلى اعتماد على الدليل ، واحتفاء بالبرهان ، وتقدير للعقل ، وتجديد من خلال الاجتهاد ـ مع النظر إلى تربيته السابقة التي كانت تسلم لتراث القرون الماضية على علاته، من غير تمحيص وتدقيق ـ كل ذلك أدى به إلى إعادة النظر فيما توارثه عن آبائه وأسلافه ، وعرضه على العقل ، ورفض مالم يسنده الدليل ، وطلب الحق فيما وراء ذلك، حتى إذا تيقن منه واستمسك به، راودته نفسه حيناً من الدهر هل يعلنه ويتحمل مايواجهه من عقبات وتبعات ؟ أو يظل حبيس صدره ودفين فكره ؟ ولكن أراد الله له الهداية ويسر له أسبابها فأسلم.

---

(١) موسوعة التأريخ الإسلامي ، جـ ٣ ، ص ٤٤٣ . وانظر أيضاً العراق في التأريخ ، ص ٣٥٦ – ٣٥٨ .

المطلب الثالث : الدوافع التي دفعته إلى الإسلام : ـ

لقد تيقن المؤلف قبل إعلان إسلامه في سنة ٥٥٨ هـ بزمن طويل أن الإســلام هو الحق، وأن ﷺ هو خاتم المرسلين ، وهو المبشر عنه في التوراة ، إذ يقول: (إن انتقالي من مذهب اليهود إنما كان بدليل وبرهان وحجج قطعية عرفتها، وإني كنت أخفي ذلك ولا أبوح به مدة ؛ مراقبة لأبي وبراً به)[١]

ولسائل أن يسأل ما الذي دعاه إلى تأخير إعلان إسلامه ؟

والجواب على هذا السؤال كالتالي :ـ

أولاً : أن الانتقال من دين ورثه عن آبائه وأسلافه ، وتربى عليه بين قومه وعلى أنظار مجتمعه، إلى دين آخر ـ ليس بالأمر السهل، بل هو الأمر الصعب والاختيار العسير؛ نظراً لما يترتب عليه من عوائق وعقبات اجتماعية وسياسية .

ثانياً : أن الأدلة والبراهين على صحة أمر أو زيفه قد لاتـظهر للمرء دفعة واحدة ، وإنما تكون مثل ولوج النهار في الليل شيئاً فشيئاً؛ يظهر النور ويتوارى الظلام، وهكذا البراهين والأدلة قد تبدو في أول الأمر

---

(١) السيرة الذاتية للمؤلف ، ص ٧٣.

ضعيفة متوارية ، تعوقها الشبهة ، ويدفعها الإلف والعادة، حتى إذا تكاثرت وتعاضدت أزهقت الباطل وجلت ظلمات الكفر عن قلب صاحبه .

ثالثاً : أنه كان باراً بأبيه ، وكان يراقبه وكره أن يفجعه في نفسه تذمماً من الله تعالى إذ يقول : (وذلك أمر أوقعه الله في نفسى بالإلهام والفكر ودليله العقلي وبرهانه ، قد كنت قديماً أعرفه ودليله في التوراة ؛ إلا أني كنت أراقب أبي وأكره أن أفجعه في نفسي تذمماً من الله تعالى [1]) لهذا السبب مكث مدة طويلة لاتنحل عنه هذه الشبهة ولايُفتح له وجه الهداية ، حتى إذا حالت الأسفار بينه وبين أبيه، وبعدت داره عن داره، وأدرك أن إعلان إسلامه ليس فيه عقوق لأبيه، ولاخفر لذمته ـ رأى لزاماً عليه أن يعلن إسلامه (فحينئذ أظهرت قصة المنامين وأوضحت أنهما كانا موعظة من الله ، وتنبيهاً على مايجب تقديمه، ولايحل تأخيره بسبب والد أو غيره .)[2]

ولكن ماهي الدوافع التي دفعته للإسلام وقادته إليه ؟

هناك عدة عوامل استنبطتها من خلال سيرته الذاتية التي كتبها بنفسه ، وهى كالتالي :

---

(١) المصدر السابق ، ص ٧٠.

(٢) المصدر السابق ، ص ٧٣ ، وانظر أيضاً ص ٥٩ منه.

١ – العناية الإلهية والهداية الربانية : قال تعالى ﴿إنك لاتهـدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء ﴾[١] ويقول السموءل معبراً عن هداية الله له وعنايته به وتوفيقه إياه :(إن العناية الإلهية لتسوق من تسبق ـ في علم الله ـ هدايته حتى يوجد منه الاهتداء في الوقت الذي سبق في علم الله تعالى وجوده منه فيه ...وليعلم متأمله أن اللطف الإلهى أخفى من أن يحاط بكنهه ؛ فإن الله يختص بفضله من يشاء ، ويؤتي الحكمة من يشاء، ويهديه صراطاً مستقيماً.)[٢] .

٢ – قراءة القرآن : هذا القرآن الذي قال الله فيه : ﴿ الم . ذلك الكتاب لاريب فيه هدى للمتقين ﴾[٣] وقال أيضاً : ﴿ ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً ﴾[٤]وقال عز من قائل : ﴿ لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله ﴾[٥] ـ هو كلام الله عز وجل ضمّنه هداية البشرية، وسبيل إسعادها، فيه خير دنياها ومآلها، استمع إليه الجن فتعجبوا منه وآمنوا به ، وذهبوا إلى قومهم منذرين ، فلا غرو أن يؤمن به البشر ويذعنوا له ، وقد كان المشركون ـ رغم عداوتهم للرسول ﷺ ـ يستمعون له ويتعجبون منه، وشهدوا بعلو بيانه، وأنه يعلو ولايعلى عليه،كما هو مشهور في كتب

---

(١) سورة القصص ، الآية ٥٦.

(٢) السيرة الذاتية للمؤلف ، ص ٤٥.

(٣) سورة البقرة ، الآيتان ١ – ٢.

(٤) سورة النساء ، الآية ٨٢.

(٥) سورة الحشر ، الآية ٢١.

السيرة ، وهذا العالم اليهودي الذي هداه الله إلى الإسلام، اعترف أن أحد عوامل هدايته للإسلام تتمثل في قوله :(فشاهدت المعجزة التي لاتباريها الفصاحة الآدمية في القرآن ؛ فعلمت صحة إعجازه)[1] .

٣- الاطلاع على سيرة الرسول ﷺ وسيرة الخلفاء الراشدين : هذا المهتدى شغف كغيره في سنى شبابه بمطالعة الأخبار والحكايات ، وأخبار الأمم الماضية والملوك السابقين ، وبعد طول مدارسة لها تبين له أن أكثرها من تأليف المؤرخين ، فطلب الأخبار الصحيحة ، ومالت همته إلى التواريخ، فقرأ كتاب «تجارب الأمم »، و «تاريخ الطبرى » وغيرهما من كتب التواريخ: (فكانت تمر بى - في هذه التواريخ - أخبار النبى ﷺ وغزواته، وما أظهر الله له من المعجزات، وماخصه به من الكرامات، وحباه به من النصر والتأييد في غزوة بدر وغزوة خيبر وغيرهما، وقصة منشئه في اليتم والضعف ... ثم سياسة أبى بكر وعمر رضى الله عنهما، وعدلهما وزهدهما)

٤ - قيام الدليل القاطع على نبوته ﷺ: لما استعرض هذا المهتدي رحمه الله استناد اعتقاده في إثبات نبوة موسى عليه السلام؛ وجد أنه التواتر، ثم وجد أن التواتر أيضاً موجود لعيسى ومحمد صلى الله عليهما وسلم، كوجوده لموسى، فخرج من ذلك بنتيجة يقينية وهي : إذا كان التواتر يفيد تصديقاً، فالثلاثة صادقون، ونبوتهم صحيحة...

---

(١) السيرة الذاتية للمؤلف ، ص ٥٤ .

ثم استعرض دليلاً آخر، وهو النقل وتقليد الناقلين، وأنه لم ير موسى عليه السلام بعينه، ولم يشاهد معجزاته ولا معجزات غيره من الأنبياء عليهم السلام، ولولا النقل وتقليد الناقلين؛ لما عرفنا شيئاً من ذلك، فعلم أنه لا يجوز لعاقل أن يصدق بواحد ويكذب بواحد، بل الواجب عقلاً إما تصديق الكل، وإما تكذيب الكل .(فصح عندي بالدليل القاطع، نبوة المسيح والمصطفى صلى الله عليهما وسلم وآمنت بهما)[1]

٥ – استخدام العقل[2] : أنعم الله على بني آدم بالعقل، وجعله مناط التكليف، ومحل التكريم ، فينبغي على العبد أن يعرض عليه ما توارثه عن آبائه وأجداده، فإن وجده متفقاً مع تعاليم الله ، وآياته المبثوثة في كتابه وفي الكون من حوله ، أخذه وحمد الله على ذلك، وإن وجده مخالفاً لذلك ؛ وجب عليه رفضه والبحث عن الصواب في مظانه .

اكتسب هذا المهتدي من خلال دراسته للعلوم الرياضية ـ ولاسيما الهندسة وبراهينها ـ تهذيباً للعقل، واحتفاءً بالدليل، فراجع نفسه في اختلاف الناس في الأديان والمذاهب، وكان أكبر المحركات والدوافع له في البحث عن ذلك، أنه طالع كتاب « كليلة ودمنة» فعلم أن العقل حاكم يجب تحكيمه في كليات أمور عالمنا هذا(ونحن إذا حكمنا العقل على

(١) المصدر السابق ، ص ٥٩ ، وانظر أيضاً ص ٥٨ ، ٧٠ ، ١٨٨ منه .

(٢) قد يقول قائل : وأين الاحتكام إلى الشرع ؟ فأقول إن النقل مقدم على العقل ، والعقل تابع للنقل ، والنقل الصريح والعقل الصحيح لا يتعارضان أبداً . ولكن هذا المهتدى – قبل إسلامه – لم يكن لديه نقل صريح ولا صحيح يستند إليه ، ويهتدي بهديه فلم يكن أمامه إلا الاهتداء بما يمليه عليه عقله ، وتسوقه إليه فطرته ، فجعل عقله حاكماً على ما بين يديه ، فدله عقله الصحيح إلى متابعة النقل الصريح الصحيح الذى جاء به محمد ﷺ ، فأسلم .

مـانقلناه عن الآباء والأجـداد ؛ علمنا أن النقل عن السلف ليس يوجب العقلُ قبوله من غيرامتحان لصحته)[1].

٦ - رؤية النبى ﷺ مناماً : أخبر النبي ﷺ أن الشيطان لا يتمثل فى صورته ، فمن رآه فى المنام ، فقد رآه حقاً لقوله ﷺ : (...من رآني في المنام فقد رآني ؛ فإن الشيطان لايتمثل في صورتي)[2] ولكـن ينبغى لمن رأى فى منامه أنه رأى رسول الله ﷺ أن يتأكد أن ما رآه فى منامه يتفق مع صورة النبي ﷺ التي نقلتها كتب السنة والسيرة ، حتي يعلم يقيناً أن الذي رآه هو رسول الله ﷺ . وهذه الرؤية ليست من مصادر الوحى ، ولكن يستأنس بها على صلاح من وقعت له ، ولقد حصل لهذا المهتدي أنه رأى النبي [illegible] في ليلة الجمعة، تاسع ذي الحجة، سنة ثمان وخمسين وخمسمائة للهجرة، في مراغة وبعد محادثة تمت بينهما في المنام، استيقظ واستغفر الله وصلى على النبي ﷺ ، وقام وتوضأ وصلى عدة ركعات، وهو في غاية الفرح والسرور، ثم جلس متفكراً ، فغلبته عينه فنام، ثم رأى النبي ﷺ مناماً، وتمت بينهما محادثة وشهد بأنه رسول الله حقاً، ثم استيقظ وهو فرح مسرور، وقام وتوضأ وصلى الفجر وهو شديد على إظهار إسلامه، ثم حضر صلاة الجمعة وارتفع التكبير من جماعة المسجد حين أشرف عليهم .[3]

(١) المصدر السابق ، ص ٥٤ - ٥٥ .

(٢) سبق تخريجه انظر ص ٩٨من هذا البحث .

(٣) انظر خبر هذه الرؤيا واقتصاص السموءل لها في سيرته الذاتية ، ص ٦٠ - ٧٤.

ولكن هل كان هذا المنام باعثاً له على ترك دينه ؟ يجيب السموءل على هذا السؤال بقوله: (فليعلم الآن من يقرأ هذه الأوراق ، أن المنام لم يكن باعثاً على ترك المذهب الأول، فإن العاقل لايجوز أن ينخدع عن أحواله بالمنامات والأحلام ، من غير برهان ولادليل؛ لكنني كنت قد عرفت قبل ذلك بزمان طويل الحجج والبراهين والأدلة على نبوة سيدنا محمد ﷺ).(1)

ولم يقص خبر هذا المنام إلا بعد إسلامه واشتهار كتابه « الإفحام » بأربع سنين ، وقد ذكر أن سبب تأخير اقتصاصه هو :

١ ـ كراهيته أن يذكر أمراً لايقوم عليه برهان .

٢ـ كراهيته أن يصل خبر المنامين إلى من يحسده .

العوائق التي واجهته بعد إسلامه :ـ

رغم كتابته سيرته بنفسه، وتضمينها جلّ ما يتطلبه الباحث ـ رغم أنه كتبها بعد إسلامه ـ إلا أنه غفل عن أمور مهمة تستدعي الوقوف عندها، لأخذ العبرة منها، ولعل من أهمها العقبات التي واجهته بعد إسلامه .

إلا أن الباحث يستطيع أن يتلمس بعضها من خلال ما كتبه، أومن خلال الكتابات التي كتبت ضده ، ومن تلك العقبات: –

(١) المصدر السابق ، ص ٧٣ .

١ ـ **عنايته بأبيه** : وذلك لأن أباه كان شديد الحدب عليه، والاهتمام به والرعاية له، وكره أن يفجعه في نفسه، وأن يخفر ذمته، فأجّل اعلان إسلامه حيناً من الدهر ؛ مراعاة لأبيه، حتى إذا نأت به عنه الأسفار ، وتباعدت بينهما الديار، أعلن إسلامه ، وكتب كتاباً لأبيه أوضح له فيه عدداً من الحجج والبراهين مما يعلم أنه لاينكره ولايقدر على إبطاله ، وأخبره بخبر المنامين [١].

٢ ـ **موت أبيه** : أعقب هذا الكتاب الذي دفعه إلى أبيه ، أن أباه اتجه إلى الموصل ليلقى ابنه ، فمرض هناك وتوفى ،[٢] ولو كان دخوله في الإسلام عبثاً أوطمعاً في مصلحة ، أو أنه لم يستيقن تمام اليقين ، لكان هذا الحادث أكبر باب يلج منه الشيطان إليه ، ليصرفه عما عزم عليه ، لكنه الإيمان إذا خالط بشاشة القلوب صعب التخلي عنه .

٣ ـ **تلقي اليهود خبر إسلامه** : لم يكن من السهل عليهم أن يعلن أحد أحبارهم هجره لدينهم، وإعلان إسلامه، وتأليفه كتاباً يفضح فيه زيفهم، ويعرى باطلهم، ويبين تناقضهم، فبالتأكيد أنهم سلكوا كل مسلك ليصرفوه عما عزم عليه وأعلنه، ولكن السموءل لم يذكر ذلك، وقد حفظ لنا التاريخ ضمن كتابه خطاباً وجّه إليه من أحد اليهود، قصد كاتبه أن يحيطه بالشكوك ، وأن يوقعه في الحيرة، في محاولة يائسة لصده عن الإسلام، وقد تلقى هذا الكتاب بوعي العالم،

---

(١) انظر المصدر السابق ، ص ٧٣.

(٢) انظر المصدر السابق ، ص ٧٣.

وعلم الراسخ ، وكتب له جواباً ضمّنه إجابة لكل سؤال ، وحلاً لكل إشكال [1].

٤ ـ **تحريض السلطان عليه:** من شيم اليهود الغدر، ومن طبعهم الدسائس، ومن وسائلهم الكيد والوقيعة ، وجرياً وراء هذا الطبع، وتمشياً على هذه الرذائل، فقد حاولوا الوقيعة بين السموءل بعد إعلان إسلامه وبين السلطان ، ولكن الله سلّم .[2]

وفاته : كل من ترجم له لم يذكر سنة وفاته ، وإن اتفقوا على أنه توفى بمراغة قريباً من سنة٥٧٠هـ، لكن صاحب كتاب «عيون الأنباء» ذكرأنه فرغ من تأليف كتابه «إعجاز المهندسين» في صفر سنة ٥٧٠هـ.[3]

(١) انظر الخطاب الذى وجه إليه وجوابه عنه في آخر كتاب الإفحام ، ص ١٨٥ - ١٨٩ .

(٢) انظر المصدر السابق ، ص ١٨٩ .

(٣) عيون الأنباء ، جـ ٣ ، ص ٤٧ .

المطلب الرابع : القيمة العلمية لكتابه «إفحام اليهود» :ـ

ابتدأ المؤلف تأليف كتابه باللغة العربية في عشية اليوم الذي أعلن إسلامه فيه، وهو يوم الجمعة ليلة عيد النحر لسنة ثمان وخمسين وخمسمائة من الهجرة، وسماه «إفحام اليهود» ، وبعد أن اشتهر وطار خبره، ونسخ منه عدة نسخ ، أضاف إليه فصولاً كثيرة من الاحتجاج على اليهود من التوراة ، حتى صار كتاباً بديعاً لم يعمل في الإسلام مثله في مناظرة اليهود ، كما وصفه مؤلفه .[1]

المحتوى: يقع هذا الكتاب في ٢١٦ صفحة من الحجم المتوسط[2] بما في ذلك الفهارس والمقدمة ، ابتدأه بحمد الله على هدايته للإسلام، وعصمته له من الغواية ، ثم ذكر سبب تأليفه وهو الرد على أهل الاحتجاج والعناد ، وإظهار مايعتور كلمتهم من الفساد ، (وقد جعل إلى إفحامهم طريقاً ، ممايتداولونه في أيديهم من نص تنزيلهم ، وأعماهم الله عنه عند تبديلهم ؛ ليكون حجة عليهم موجودة في أيديهم) .[3]

وأعقب هذا السبب بثلاث عشرة صفحة ألزمهم من خلالها بالنسخ على ضوء كتبهم وأصولهم وعباداتهم ، تخللها ثلاث صفحات تحدث

---

(١) السيرة الذاتية للمؤلف ، ص ٧١ – ٧٢.

(٢) الطبعة التي تم على ضوئها دراسة هذا الكتاب ، هي من نشر الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد ، عام ١٤٠٧هـ ، بتحقيق د . محمد الشرقاوي .

(٣) إفحام اليهود ، ص ٨٦.

فيها عن إلزامهم بالإسلام ، وتلا ذلك إثبات نبوة المسيح والمصطفى عليهما السلام ، والأدلة والآيات الدالة على ذلك من خلال التوراة ، وقد استغرق هذا البحث من ص ١٠٢ ـ ١٢٠ ، ثم فند دعوى اليهود محبة الله لهم، في ثلاث صفحات ، وذلك من خلال أنساب بني إسرائيل ، وكان اعتماده على نصوص التوراة التي بأيديهم .

وتطرق بعد ذلك إلى تبديلهم للتوراة ، والسبب الداعي إليه ، واستنتج التبديل بعد استقرائه للتوراة ، وعرضها على ما فطر عليه ، من توحيد الله وقيوميته وتنزهه عن صفات النقص التي وصفه بها اليهود ـ تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً ـ من خلال عرض مضامينها على العقل الصحيح الذي يرفض الزيف، وينفر من التناقض، ويأنف من الخطل، وبين أسباب تبديل التوراة ، وأن بعض هذه الأسباب أسباب تأريخية، وبعضها للتهرب من أداء العبادات على الوجه الذي شُرعت عليه ، أو لمصانعة الأمم التي تستحوذ عليهم وتستعبدهم ...

إلى غيرذلك من المواضيع التي تطرق إليها في كتابه، وهي في الغالب تتردد بين هذه القضايا الرئيسة السابق ذكرها . وباستعراض محتوى الكتاب نجد أن المسائل التي ناقشها المؤلف في هذا الكتاب هي:

١ ـ الزامهم النسخ في ١٣ صفحة .

٢ ـ الزامهم نبوة المسيح والمصطفى صلى الله عليهما وسلم ، وكذلك الأدلة والآيات الدالة على نبوتهما من التوراة في ١٩ صفحة .

٣ ـ تبديل التوراة وأسباب ذلك في ٢٤ صفحة .

طبعات الكتاب : نشره للمرة الأولى المجمع الأمريكي للبحوث االيهودية في نيويورك عام ١٩٦٤ م ، وأشرف على تحقيقه وترجمته إلى اللغة الإنجليزية المستشرق موسى برلمان، ثم نشر للمرة الثانية فى مصر بتحقيق الدكتور محمد الشرقاوي، ثم أعيد نشره من قبل الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد بالرياض عام ١٤٠٧هـ.

منهج المؤلف في كتابه «إفحام اليهود» :

يتضح من خلال دراسة هذا الكتاب أن المؤلف اعتمد على القواعد التالية :ـ

١ـ الجد في البحث، المبني على التأمل والامتحان، والانتقاد لما توارثه عن آبائه وأسلافه، فإن رآه فضيلة سما لإدراكها ، وإن ألفاه رذيلة نجا من شراكها .[1]

٢ ـ مناظرة اليهود بما يفهمونه ويلتزمونه مما يتداولونه من نص كتبهم.[2]

٣ ـ محاكمتهم إلى نصوصهم وأصولهم واعتقاداتهم وعباداتهم، والاستشهاد عليهم بها، والزامهم بما تدل عليه ، وما يلزمهم عنها .

٤ ـ الاحتفاء بالدليل القاطع ، والحجة الناصعة ، والبعد عن التعصب والجمود .

---

(١) انظر المصدر السابق ، ص ٨٥.

(٢) انظر المصدر السابق ، ص ٦٨.

٥ ـ الاستفادة مما تعلمه من براهين العلوم الرياضية والهندسية، في تطبيقها على ما سيقرره في هذا الكتاب .[١]

٦ ـ تحكيم العقل ، وعرض ما توارثه عن آبائه عليه .[٢]

٧ ـ الأمانة العلمية، وتتضح من كثرة إيراده للنصوص العبرية، ثم يفسر هذه النصوص باللغة العربية، ويوضح وجه الدلالة منها ويبين أنه لازم لهم، وهذا مبثوث في سائر الكتاب.

٨ ـ النزاهة والموضوعية، والتجرد عن الهوى، وهذا يتجلى من خلال القضايا التي ناقشها، معتمداً في هذه المناقشة على الدليل والحجة والبرهان ، سواء كان هذا الدليل من المنقول أم من المعقول .

ولقد حاول المؤلف الاختصار، وعدم الإطالة، إذ يكتفي بنماذج قليلة من الأدلة ، إذ الغالب أنه يورد دليلين أو ثلاثة على القضية موضع المناقشة، ولكن تراه قد استطرد في بحث تطاول اليهود على الذات الإلهية وتحريف التوراة ؛ وذلك لأهمية الموضوع ، ومع هذا الاستطراد فقد اعتذر عن الإيجاز، مع أهمية الموضوع في هذا المبحث خوفاً من تطويل الكتاب ، إذا عدد ما عندهم من الكفريات والتجسيم .[٣]

---

(١) انظر السيرة الذاتية للمؤلف ، ص ٥٤ ، ٥٩.

(٢) انظر المصدر السابق ، ص ٥٥.

(٣) انظر إفحام اليهود ، ص ١٣٢ .

القيمة العلمية لهذا الكتاب :ـ

تتأتى القيمة العلمية لهذا الكتاب من الجوانب التالية :ـ

أولاً : أن المؤلف كان عالماً يهودياً متربياً في بيت علم وديانة يهودية ، وكتب هذا الكتاب بعد إسلامه، ليبين من خلاله فساد مقالة اليهود وتهافتها وتناقضها، وأنهم حرفوا وبدلوا كلام الله، فنتج عن ذلك فساد عقائدهم وعباداتهم وأخلاقهم، وقد استدل على كل ذلك بالمعقول والمنقول مما بأيديهم وأعماهم الله عن تحريفه؛ ليكون حجة عليهم .

ثانياً : أن المؤلف خلال رحلته الفكرية بين اليهودية والإسلام ، قد أطاف بنفسه على عدد من الكتب والدراسات حول الديانتين ؛ رغبة في الوقوف على الدين الحق ، الذي يعضده الدليل ، ويسنده البرهان ، ومن موقع العالم بالديانة اليهودية ومواطن الضعف فيها حاول من خلال كتابه هذا أن يأتيهم من خلال مايفهمونه، ويلزمهم ـ بحكم سابق علمه وتجربته ـ بما يلتزمونه .

ثالثاً : تظهر أهمية الكتاب بجلاء من خلال المسائل التي تطرق لها، وأهمها إلزامهم بالنسخ ، وإلزامهم بنبوة المسيح والمصطفى صلى الله عليهما وسلم ، وإثبات تحريف التوراة وتبديلها ، وتطاولهم على الله، وما قدمه في هذه القضايا من أدلة وبراهين .

رابعاً : إيراده لعدد من النصوص العبرية التي لم تصل إلينا إلا عبر كتابه، وكان اعتماد كثير من علماء المسلمين ـ في هذا الشأن ـ عليها فيما بعد .

خامساً : الحماس في فضح أكاذيب اليهود وألاعيبهم وتحريفهم وتطاولهم على الله، والحرص على رفع راية لا إله إلا الله، ونشر الإسلام، ودفع كيد الكائدين، ونفي الشبه عنه وبيان تهافتها وزيفها.

سادساً : اهتمام علماء الإسلام به يدل على علو قيمته ووفرة أدلته ، ونصاعة براهينه، وتمكنه من إفحام خصومه بالتحاكم إلى كتبهم وأصولهم التي يعتمدون عليها .

من هؤلاء : شيخ الإسلام ابن القيم رحمه الله ، إذ نقل عنه كثيراً من الأحكام والأدلة وضمنها كتبه التالية : –

١ ـ هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى .[١]

٢ ـ إغاثة اللهفان في مصايد الشيطان .[٢]

٣ ـ أحكام أهل الذمة .[٣]

فقد ضمن كتابه «هداية الحيارى» فصلاً كاملاً بعنوان «دين اليهود» وقد شغل هذا الفصل من ص ٢٥٧ ـ ٢٦٦ ، نقله من الإفحام

---

(١) تحقيق د . أحمدالسقا ، نشر دار الريان للتراث.

(٢) تحقيق محمد عفيفي ، نشر المكتب الإسلامي ، ط ١ ، ١٤٠٦هـ.

(٣) تحقيق د . صبحي الصالح ، رحمه الله ، نشر دار العلم للملايين ، بيروت ، ط ٢ ، ١٤٠١هـ.

ص١٤٣ ـ١٧٧[1] عدا تعليقات يسيرة ، وإشارات لطيفة . كما نقل عنه أيضاً في هذا الكتاب سبب تبديل التوراة في ثلاث صفحات ، وهي في الإفحام تقع بين ص ١٣٥ ـ ١٤١ .

كما أورد في كتابه القيم « إغاثة اللهفان » صفحات عديدة من هذا الكتاب المشار إليه، وهى كالتالى :ـ

١ ـ فصل« ومن تلاعب الشيطان بهذه الأمة» ـ أي اليهود ـ ج ٢ص ٤٤٢ ـ ٤٤٧ ويقابلها من الإفحام ص٨٦ ومابعدها.

٢ ـ فصل «ومن تلاعب الشيطان بهم» ، ج٢ ص٤٤٩ ـ ٤٥٤ ويقابلها من الإفحام ص١٦٥ ـ ١٧٧ .

٣ ـ فصل «ومن تلاعب الشيطان بهذه الأمة الغضبية »، ج٢ ص٤٥٥- ٤٥٦ ويقابلها من الإفحام ص١٥٨ ـ١٦٠ .

٤ ـ فصل «ومن تلاعب الشيطان بهم »، ج ٢ ص٤٧١ ـ ٤٧٩ ويقابلها من الإفحام الصفحات ١٠٨ ـ ١٠٩ و٥٤ ـ٥٩ و١٥٢ ـ ١٥٤ .

٥ ـ فصل «اختلاف أقوال الناس في التوراة »، ج ٢ ص٤٨٨ ـ٤٩٦ ويقابلها من الإفحام ص ١٣٥ - ١٣٨ و١١١ - ١١٤ و١١٨ـ١٢٠ و١٤١ - ١٤٥ .

(١) سبقني بالإشارة إلى ذلك د . الشرقاوي عند تحقيقه لهذا الكتاب ، وقد سبقه إلي ذلك د . أحمد السقا عند تحقيقه لكتاب هداية الحيارى ص ٢١١ ، إلا أن السقا لم يلحظ هذا الاعتماد من ابن القيم على كتاب السموءل إلا في مبحث «الطريفا» أي علم الذباحة ، إذ قال : أقوال المؤلف عن الطريفا نقلها عن كتاب بذل المجهود في إفحام اليهود ، انظر هداية الحيارى ، ص ٢٦٢ .

كما أفاد منه أيضاً في كتابه « أحكام أهل الذمة » فصل «إذا ذبحوا ما يعتقدون حله» ج١ ص ٢٦٧ ـ ٢٦٩ ، وهذا النقل في الإفحام ص١٦٤ ـ١٦٩ .[1]

وكذلك أفاد منه القرافي في كتابه «الأجوبة الفاخرة »[2] للتدليل على تحريف التوراة في ص ٧٨ ـ ٨٣ .

ولئن لقي عناية المتقدمين واعتمادهم عليه ، فقد اهتم به المتأخرون كذلك نقلاً منه ، واستشهاداً به، وإحالة عليه، ومنهم د. أحمد السقا في كتابه « المسيا المنتظر»[3] إذ أفاد منه في إثبات نبوة النبي محمد ﷺ في الصفحات : ٥١ ـ ٥٢ ، ٥٣، ٦٣، ٦٦. كما نقل عنه خبرالمدعي أنه هو المسيح المنتظر، ص٢٦٥ .

وكذلك د .محمد الشرقاوي في كتابه « في مقارنة الأديان »[4]نقل عنه نقده لسند التوراة، وتطاول اليهود على أنبياء الله في ص ١١٦ – ١١٩و١٩٨ – ١٩٩و٢٢٦ . وكذا أفاد منه المستشار محمد الطهطاوي في كتابه « محمد نبي الإسلام » [5] في إثبات نبوة نبينا محمد ﷺ من خلال التوراة ، ص١٩ ـ ٢٠ .

---

(١) وقدسبقني بالإشارة إلي ذلك د . الشرقاوي عند تحقيقه للإفحام لكنه ذكره مجملاً.
(٢) نشر دار الكتب العلمية ، بيروت ط ١ ، ١٤٠٦ هـ.
(٣) نشر مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، ط ١ ، ١٣٩٧هـ.
(٤) نشر دار الهداية ، القاهرة ط ١ ، ١٤٠٦هـ.
(٥) نشر مكتبة النور القاهرة ص ١٩ – ٢٠.

ومما يوضح قيمته العلمية أيضاً أن سعيد بن منصور بن كمونة قد ألّف كتابه «تنقيح الأبحاث للملل الثلاث»[1] وكانت جلّ الاعتراضات التي حاول تفنيدها ـ دفاعاً عن الدين اليهودي ـ هى التي أثارها السموءل في كتابه هذا؛ ويؤكد ذلك أنه أوردها بألفاظها كما هى لدى السموءل، ورد عليها رداً بارداً؛ إذ لم يرد الدليل بالدليل، ويقارع الحجة بالحجة، بل يكتفي بالعبارات العامة الموهمة، وللتدليل على ذلك أنه لما أراد أن يعترض على استدلال السموءل بأن التوراة دالة وناطقة بنبوة سيدنا محمدﷺ، لم يستطع أن يرد هذه الأدلة بل قال: (إنه أرَكّ من أن يتكلم فيه)[2]

ومما أتوج به جلاء قيمته العلمية ثناء العلماء عليه، إذ قال عنه ابن أبي أصيبعة : (وصنف كتاباً في إظهار معايب اليهود ، وكذب دعاويهم في التوراة ، ومواضع الدليل على تبديلها ، وأحكم ما جمعه).[3] وقال عنه الشرقاوي (يعد هذا المؤلَّف ـ على صغر حجمه النسبي ـ ذا أهمية علمية وتأريخية عظيمة ... وهو وثيقة هامة ؛ لأنه اطلع علماء المسلمين على أسرار يهودية يحرص اليهود على كتمانها وعدم إذاعتها)[4]

المآخذ عليه : لم تكن هذه المآخذ الواردة مآخذ علمية ؛ لأنه قد أحكم ما جمعه، ولكني لحظت بعض المآخذ التي لا يحسن إغفالها،

---

(١) نشرة موسى برلمان ، طبع جامعة كاليفورنيا ، عام ١٩٦٧م.

(٢) انظر تنقيح الأبحاث للملل الثلاث ، ص ٩٤ - ٩٧.

(٣) عيون الأنباء ، جـ ٣ ص ٤٦ - ٤٧.

(٤) مقدمة كتاب الإفحام ، ص ٢٩ - ٣٠.

وهذه المآخذ هى :ـ

١ ـ لم يقسم الكتاب إلى أبواب ، وإنما باشر الدخول في المسائل التي ناقشها.

٢ـ التداخل في الموضوعات ؛ لأنه ابتدأ في النسخ ثم ألزمهم بالإسلام ، ثم أوردفصلاً عن النسخ .

٣ ـ أورد بعض اعتقادات اليهود في الإسلام وفند بعضاً وأعرض عن بعض . ولعل عذره في ذلك كله أنه ألّف الكتاب ثم زاد عليه فصولاً كما بينه في سيرته الذاتية .

المبحث الثاني : الإسكندراني

المطلب الأول : اسمه ونشأته :ـ

هذا المهتدي عُني به قبلي باحثان، الأول : المستشرق « وستون » الذي حقق كتاب هذا المهتدي باللغة العربية وترجمه إلى اللغة الإنجليزية، ليحصل بذلك على شهادة الدكتوراة عام ١٩٠٣ م من جامعة « يل » في الولايات المتحدة الأمريكية.

والثاني : د. محمد الشرقاوي، الذي أعاد تحقيق الكتاب ، وترجم مقدمة المستشرق إلى اللغة العربية . وكل المعلومات التي تضمنتها دراستاهما عن هذا المهتدي هي ما أورده في كتابه ، سوى بعض فروض هي تخمينات وخزعبلات ذكرها المستشرق عن أسباب إسلامه .

ولقد بحثت في كتب الأعلام والتراجم ؛ فلم أعثر له على ذكر فيما بين يدي من المصادر، وكل ما أورده عن نفسه أنه من علماء بني إسرائيل، وأنه أسلم في مستهل شهر شعبان سنة ٦٩٧ هـ ، وكان ذلك في الإسكندرية، وبعد أكثر من عشرين سنة صنّف كتابه في جامع الأمويين بدمشق عام ٧٢٠ هـ. ولا نعرف تأريخ ميلاده أو وفاته. ولم يذكر عن نفسه أين كان يعيش قبل دخوله الإسلام ، ولا متى ارتحل إلى الشام .

وكل الذي استطيع أن أتبينه من رسالته أنه من علماء بني إسرائيل، وأنه عارف باللسانين العبراني والسرياني ، وهذا يؤكد أن أمته أولته عنايتها ورعايتها، ممثلة في والديه أو في الأحبار من حوله . وأنه عاش في مصر، معاصراً للملك المنصور قلاوون .

المطلب الثاني : البيئة التي نشأ بها :ـ

هو من مواليد القرن السابع ولا شك . وعلى افتراض أنه كان منذ نشأته حتى أعلن إسلامه بالإسكندرية ، ثم انتقل إلى الشام فيما بعد ، لذا فإنني سأتحدث عن هذه البيئة في ذلك الوقت :ـ

كانت مصر والشام تعيشان تحت رعاية دولة المماليك البحرية ، التي قامت على أنقاض الدولة الأيوبية ، وتمكن المماليك من تكوين دولة قوية؛ إذ استمر حكم هؤلاء المماليك ١٤٤ سنة ، ابتدأ من عام ٦٤٨ ـ ٧٩٢ هـ ، وقد تمثل هذا الحكم في أسرتين هما : أسرة الظاهر بيبرس البندا قداري. وأسرة الملك المنصور قلاوون ٦٧٨ ـ ٧٩٢ هـ وامتد سلطانهم إلى مصر والحجاز والشام [1] وكان لهذه الدولة أبلغ الأثر في الوقوف أمام التتار، والتغلب عليهم في معركة « عين جالوت » وتابعوا فلولهم حتى أخرجوهم من الشام ، كما تمكنوا من تحرير بقية الإمارات

(١) انظر التاريخ الإسلامي ، تأليف محمود شاكر ، جـ ٧ . ص ٣٦ - ٣٧

الشامية من السيطرة الصليبية ، وأخرجوا بقاياهم من الشام عام ٦٩٠هـ .
هذا في الجانب السياسي ، أما في الجانب الديني: فقد كانت الروح الدينية عالية لدى القادة والعامة [١] ؛ ولا شك أن الجهاد ومجالدة الأعداء يذكي في الأمة روح الحماس، وشعلة الإيمان ؛ إذ هو ذروة سنام الإسلام .

أما من الناحية العلمية : فتعتبر هذه الفترة من أخصب صفحات تأريخ هذه الأمة عطاء علمياً ، وتدفقاً فكرياً ، ولقد كانت الشام ومصر عواصم علمية ، ومراكز ثقافية ؛ إذ حظيت هذه الفترة بعلماء أفذاذ كانت لهم آثارهم على من أتى بعدهم كابن تيمية وابن القيم والذهبي وابن حجر وابن دقيق العيد والعز بن عبد السلام والنووي وابن جماعة والمقريزي ، وغيرهم كثير ...فلا ريب أن أثرت هذه البيئة في هذا المهتدي ، حتى زهد في دينه وملته ، وآثر هذه الأمة التي أورثها دينها هذا العلم والسلطان السياسي.

---

(١) انظر المصدر السابق جـ ٧ ، ص ١٨ -١٩ والبداية والنهاية ، جـ ١٣ ، ص ١٧٨ وما بعدها ، وموسوعة التأريخ الإسلامي ، جـ ٥ ، ص ٢٤٣-٢٤٦ . ومصر والشام في عهد الأيوبيين والمماليك ، تأليف سعيد عبد الفتاح عاشور ، نشر دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٧٢م ، ص ١٥١-٢٢٣

المطلب الثالث : دوافع إسلامه : ـ

كما ذكرت سابقاً لم أجد عن هذا المهتدي إلا ما حوته رسالته ، وهي معلومات لا تروي ظمأ الباحث ، ولا تسعفه في أن يستقريء ويستنتج منه ما يكون عبرة وعِظة ، وأن يرسم الصورة الحقيقية له ، وأن يذكر الدوافع التي أثرت فيه حتى أسلم ، والعقبات التي واجهته بعد ذلك.

أما الدوافع التي تم استنباطها فهي :ـ

منّة الله عليه حيث يقول : (اعلم ـــ وفقك الله تعالى لطاعته ـــ أنني كنت من علماء بني إسرائيل، ومنّ الله سبحانه وتعالى عليّ بالإسلام ؛ وكان سببه أن حصل لي ضعف، فدخل عليّ طبيب، فجهز لي كفن الموت، فرأيت في منامي قائلاً يقول: اقرأ سورة الحمد؛ تخلص من الموت، فلما استيقظت طلبت من ساعتي عدلاً من عدول المسلمين، وكان جاري ، فمسكت بيده قائلاً : أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله[1]) . هذا هو السبب المباشر الذي ذكره في كتابه . ولكن هل من الممكن أن تكون هذه الرؤيا هي السبب الوحيد في إسلامه ؟ والجواب: يترجح لدىّ أنه لا يمكن أن تكون هذه الرؤيا هي السبب الوحيد؛ لأنه من خلال دراسته في تأريخ الرسالات

---

(١) مسالك النظر في نبوة سيد البشر ، تأليف سعيد بن الحسن الإسكندراني ، تحقيق د . محمد الشرقاوي ، نشر مكتبة الزهراء ، القاهرة ، ١٤١٠هـ ، ص ٧٦.

السابقة وجد أن هناك أمة بشرت بظهورها الأنبياء عليهم السلام ، وأن من صفات هذه الأمة أنها تصف في صلاتها كما تصف الملائكة .. ولم يستطع أن يميز ـ في السابق ـ هذه الأمة التي ارتسمت صورتها في مخيلته ، فكانت هذه الرؤيا كالنور الذي بدد الغشاوة عن عينيه، ورفع الحجب عن بصيرته ، وقرّبته من الحقيقة التي كان يبحث عنها ، وسارعت في خطاه نحو الأمة التي كان يأمل في الانضمام إليها حيث يقول:(فلما دخلت إلى الجامع ورأيت المسلمين مصطفين كصفوف الملائكة، وقائلاً يقول لي في سري : هذه هي الأمة التي بشرت بظهورها الأنبياء عليهم أفضل الصلاة والسلام ...فلما قامت الصلاة حصل لي حال عظيم، بحيث كنت أرى صفوف المسلمين كصفوف الملائكة، يتجلى الله سبحانه وتعالى لركوعهم وسجودهم، وقائلاً يقول في سري: إن كانت بنو إسرائيل حصل لهم خطاب الله في الدهر مرتين، فقد حصل لهذه الأمة خطاب الله في كل صلاة، وتقرر عندي أنني لم أخلق إلا مسلماً)[1].

وهناك دوافع أكدت هذا التوجه لديه ، وضاعفت من يقينه وهي :ـ

١ ـ لما سمع القرآن رأى فيه الفصاحة والبلاغة العظيمة والإعجاز، ولما قارنه بالتوراة ؛ وجد أن القصة التي تذكر في التوراة في كراسين ، تذكر في القرآن في آيتين [2].

(١) المصدر السابق ، ص ٧٧.

(٢) انظر المصدر السابق ، ص ٧٧ – ٧٨.

٢ ـ تحققت في عهده بعض الأخبار التي أخبرت عنها الأنبياء السابقون عليهم السلام بشأن هذه الأمة المحمدية [١].

وقد أرجع المستشرق أسباب إسلامه إلى ثلاثة احتمالات وهي :ـ

١ ـ الرغبة في تجديد الدين الإسلامي طمعاً في نيل شرف ذلك مع بداية القرن السابع الهجري .

٢ ـ الهرب من دفع الجزية .

٣ ـ أنه شهد موجة من دخول غير المسلمين في الإسلام كالتتار فأثر فيه ذلك [٢].

وهذه تخرصات تدفعها دوافع إسلام هذا المهتدي، وتأليفه لهذا الكتاب الذي هتك فيه أستارهم ، وفضح كثيراً مما يكتمون من خبر سيدنا محمد ﷺ ، ولو كان إسلامه للهرب من دفع الجزية ، أو ركوب الموجة التي عاصرها ؛ لكان إسلامه إسلاماً سلبياً مدخولاً ، إسلام المتدثر بإسلامه ، لا إسلام المنفعل به المتأثر الذي يستفرغ طاقته وجهده في تأليفه لهذا الكتاب المملوء بالأدلة والبراهين على تحريفهم وفساد دينهم ، والشهادة لنبينا ﷺ بالرسالة .

(١) انظر المصدر السابق ، ص ٧٩ – ٨٠.

(٢) انظر المصدر السابق ، ٣٧ – ٣٨.

المطلب الرابع : القية العلمية لكتابه «مسالك النظر» : ـ

هذا اسم الكتاب كما ورد على طرة الغلاف، أما في آخر الكتاب فقال : ربما سميته «المحيط» كتبه مؤلفه في جامع بني أمية بدمشق شهر ربيع الأول سنة عشرين وسبع مائة من الهجرة النبوية [1]، ويقع هذا الكتاب في ١١٥ صفحة من الحجم المتوسط وهي كالتالي: مقدمة المحقق ٥ ـ٧ ، ثم ترجمة المحقق لمقدمة المستشرق من ١٠ ـ ٢٤ ، وبعد ذلك دراسة وجيزة عن المؤلف والرسالة من عمل المحقق من ٢٥ ـ ٤٠ ، ثم نص الرسالة من ٤١ ـ ٨١ ، ثم ترجمة الرسالة إلى اللغة الإنجليزية ، وهي ترجمة المستشرق من ٨٧ ـ ١١٢ .

المحتوى : قسم المؤلف كتابه إلى فصول ، وفى كل فصل تحدث عن بشارة من بشارات التوراة وصحف الأنبياء بنبوة سيد المرسلين ﷺ، استخرجها من اللغات العبرية والسريانية وترجمها إلى اللسان العربى، كما أنه أدخل بعض الفصول التي لا تعلق لها بهذا الموضوع بين هذه الفصول السابقة، كإدخال فصل عن انشقاق البحر لموسى، وفصل عن تحريف التوراة والإنجيل ، وفصل عن كتابة التوراة ، وفصل عن الألوهية .

---

(١) انظر المصدر السابق ، ٨١.

طبعات الكتاب :ـ

١ ـ الطبعة الأولى: قام بها المستشرق « وستون » عام ١٩٠٣ م ، بالإضافة إلى ترجمته إلى اللغة الإنجليزية .

٢ ـ الطبعة الثانية : بتحقيق د. الشرقاوي، ونشر مكتبة الزهراء ، القاهرة ، ١٤١٠هـ .

هدفه من التأليف :ـ

كما يتبين من عنوانه أنه قصد من ورائه إظهار نبوة سيد الأنام محمد بن عبد الله ﷺ الذي بشرت بظهوره الأنبياء ، كما أن من أهدافه إقامة الحجة ، وإظهار الحق ، ودمغ الباطل .

منهجه : سلك في تأليفه لهذا الكتاب منهجاً واحداً ـ تقريباً ـ يعتمد على نصوص التوراة وصحف الأنبياء عليهم السلام، وذلك بأن يورد نص البشارة كما وردت في الترجمات التي على عهده ثم يوضح الدليل منها ، ومكان الاستشهاد، وإن وجد البشارة في النسخ العبرية أو السريانية ، ولم يجدها في النسخ العربية المتداولة في عهده ؛ فإنه يورد النص بألفاظه العبرية أو السريانية ، ثم يترجمه إلى اللغة العربية ، ويستخرج منه الدليل والبرهان . وقد التزم في كتابه هذا الاختصار ، وعدم الإطالة حيث يقول :(اعلم أن جميع ما وضعته في هذا المختصر هو ما جاء في التوراة وصحف الأنبياء ، لكني جمعته ورتبته ، واستخرجته من اللغات العبرانية

(١) المصدر السابق ، ٨١.

والسريانية إلى اللسان العربي المبين)[1]. وتتضح الأمانة العلمية في النقل والترجمة ، والغيرة لله ، والغيرة على المسلمين من أن تحل بهم العقوبة بسبب ما يرتكبه اليهود والنصارى بين ظهرانيهم من الكفر والشرك .

القيمة العلمية :ـ

لم يبق المحقق لمن يأتي بعده مقالاً في ذكر جوانب القيمة العلمية لهذا الكتاب وهذه الجوانب التي ذكرها هي :

١ـ أن المؤلف من علماء بني إسرائيل ، مجيد للّغات العبرية والسريانية، ونقل نصوصه نقلاً مباشراً من نسخ العهد القديم العبرانية والسريانية، وليس من النسخ السبعينية واللاتينية أو الترجمات العربية المتداولة . ولكن المستشرق «وستون» أنكر عليه بعض هذه النصوص، واتهمه بتحريفها، فقال المحقق :(فإنا نرى أن المستشرق «سيدني وستون» قد جازف فأنكر على سعيد أنه حرّف بعض النصوص دون أن يبين لنا أنه قارنها ـ أي رسالة هذا المهتدي ـ بالنسختين العبرانية والسريانية اللتين نقل منهما سعيد نقلاً مباشراً ـ كما ذكر آنفاً ـ والحكم بالتحريف لا يكون إلا بعد إجراء هذه المقارنة [1]) . قلت : إن دعوة هذا المهتدي لعقد مجلس يضم عشرة أحبار من اليهود، وعشرة من قسيسي النصارى ، في حضرة علماء المسلمين ليثبت في هذا

(١) المصدر السابق ص ٢٨.

المجلس تحريف التوراة والإنجيل والزبور وصحف الأنبياء التي بأيديهم، وأن يبين ما حرفوا وبدلوا وغيروا ـ دليل على معرفته بهذه اللغات ، ودقته في الترجمة التي تضمنها كتابه ، ولو كانت فيها مغمزٌ، أو عليها مدخلٌ؛ لكانت أول حجة تقام في وجهه لرفض ذلك المجلس .

٢ ـ ذكر بشارات من العهد القديم لم يذكرها من سبقه .

٣ ـ أن المؤلف يطلعنا على جانب من جوانب تسامح الدولة الإسلامية مع اليهود والنصارى .

٤ ـ أنه لم يكتب هذا الكتاب إلا بعد عشرين سنة من إسلامه ، أي بعد استقراره عقلياً ونفسياً .

٥ ـ أن الرسالة تشير إلى حوادث تأريخية مهمة.

٦ ـ أن الرسالة تقدم معلومات عن فرقة القرائين اليهودية ، وأنهم هم الذين قالوا: عزير ابن الله .

٧ ـ تظهر الرسالة غيرة سعيد التي دفعته إلى الحركة والنشاط في سبيل الدعوة إلى عقد مجلس يحضره اليهود والنصارى والمسلمون يثبت فيه تحريف التوراة والإنجيل ، وتقدم بطلب عقد هذا المجلس ، ورسم السلطان بعقده ست مرات بمصر والشام ، ولم يعقد هذا المجلس ، وقال المحقق : ولم نعلم على وجه القطع لِمَ لم يعقد هذا المجلس [١].

---

(١) انظر المصدر السابق ، ص ٣٠ ، ٨٠.

قلت : لعل علماء اليهود والنصارى اعتذروا عن حضوره ؛ مخافة كشف أسرارهم وهتك أستارهم ، وإظهار ما يكتمون ، وبيان ما يحرفون ، لما يعرفون عنه من ثاقب علمه باللغات التي دونت بها أسفارهم .

٨ ـ تبرز الرسالة كراهية سعيد ونفوره من الوثنية .

٩ ـ مناقشته لبعض أفكار الفلاسفة المتعلقة بقدم العالم .

المآخذ ـ لعل أبرز المآخذ على الكتاب هي عدم ترتيبه ، فقد أدخل عدداً من الفصول بين الفصول المتعلقة بالبشارات كإدخال فصل عن إنشقاق البحر لموسى ص ٥٥ ـ٥٦ ، ثم فصل آخر عن تحريف التوراة والإنجيل ص ٦١ ـ٦٢ ، وفصل عن كتابة التوراة ص ٦٣ ، وفصل عن الألوهية ص ٦٥ ، ولو رتب هذه الفصول حسب موقعها من الكتاب ؛ لأخرج كتاباً متناسقاً .

الفصل الثاني

التعريف بالمهتدين من النصارى

وهم كالتالي : —

١ ـ الطبري .
٢ ـ المتطبب .
٣ ـ الترجمان .
٤ ـ زيادة
٥ ـ عبد الأحد داود .
٦ ـ النجار .
٧ ـ إبراهيم خليل .
٨ ـ الهاشمي .
٩ ـ مرجان .
١٠ـ روجيه جارودي .
١١ـ موريس بوكاي

المبحث الأول :علي بن ربّن الطبري

المطلب الأول: نسبه ومولده ونشأته: ـ

أبو الحسن علي بن سهل بن ربن الطبري[1]، هذا المهتدي رغم إسلامه وتأليفه ثلاثة كتب، يثبت في أحدها نبوة النبي ﷺ، ويرد على النصارى في الكتاب الثاني، ويصنف الثالث في الطب وعلل الأجسام، ورغم علاقته ببعض الخلفاء العباسيين كالمعتصم والمتوكل ...إلا أننا نجد أن المؤرخين والمترجمين لم يولوه العناية الكافية ، فلم يذكروا من ترجمته إلا أقل القليل، الذي لا يوصل إلى الحقيقة ، ولا يروي ظمأ الباحث، بل

---

(١) انظر ترجمته في عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، جـ ٢ ، ص ٣٤٢ . وإخبار العلماء بأخبار الحكماء، للقفطي ، ص ١٢٨ ، ١٥٥ . وتاريخ الحكماء للزوزوني ، ص ١٨٧ . والفهرست ، تأليف محمد بن أبي يعقوب إسحاق الوراق المعروف بابن النديم ، تحقيق رضا تجدد ، طهران ، ١٣٩١هـ ، ص ٣٥٤ ، وتأريخ الأدب العربي ، تأليف كارل بروكلمان ، نقله إلى العربية د . يعقوب بكر ، و د . رمضان عبد التواب ، ط ٣ ، نشر دارالمعارف بالقاهرة ، جـ ٤ ص ٢٦١ - ٢٦٣ . وكنوز الأجداد، تأليف محمد كرد علي ، نشر دار الفكر للطباعة والتوزيع ، بدمشق ، ط ٢ ، ١٤٠٤هـ ص ٧٠ - ٧١ ، وأعلام العرب والمسلمين في الطب ، تأليف د . علي عبد الله الدفاع ، نشر مؤسسة الرسالة ، ط ٢ ، ١٤٠٤هـ ص ٢٢ . وانظر الدراسة التى أعدها عنه محمد زبير صديقي في بداية تحقيقه لكتابه «فردوس الحكمة» وطبع هذا التحقيق في مطبعة «آفتاب» ببرلين عام ١٩٢٨م . وكذلك الدراسة التى أعدها عنه عادل نويهض ونشرها مع كتاب المؤلف «الدين والدولة» ، ص ٥ - ١٩ . ومعجم المؤلفين، تأليف عمر رضا كحالة، نشر دار إحياء التراث العربي ، جـ ٧ ، ص ١٠٦ . وهدية العارفين ، تأليف إسماعيل باشا البغدادي ، نشر مكتبة المثنى ببغداد ، جـ ١ ، ص ٦٦٩.

هذا القليل الذي حفظوه لم يسلم من الاختلاف والتضارب ؛ فاختلفوا في اسمه واسم أبيه، كما اختلفوا في دينه وعقيدته، كما اختلفوا في تأريخ ميلاده ووفاته وعلى يد من أسلم؟ وهو لم يدون لنا سيرته الذاتية وتنقلاته وهجرته من النصرانية إلى الإسلام، ولو كتبها لنقلها المؤرخون والمترجمون إلينا، ولعلي أحاول في هذه الترجمة له ، أن أدون ما أوصلني إليه البحث :

اسمه: حصل الاختلاف في اسمه كما سبق، فقد ذكره الطبري بـ (علي بن ربن النصراني)[1]وعند ابن خلكان (علي بن ربن الطبري)[2]. وعند ابن أبي أصيبعة (علي بن سهل بن ربن الطبري)[3]. وعند المسعودي (علي بن زيد الطبيب الطبري)[4]. وعند ابن النديم (أبو الحسن علي بن سهل الطبري)[5]. وعند القفطي (علي بن ربن الطبري، وربن هذا كان له تقدم في شريعة اليهود ، والربن والربين أسماء لمقدمي شريعة اليهود)[6]. وعند ياقوت الحموي (على بن ربن الطبري)[7].

(١) انظر تأريخ الطبري المسمى تأريخ الرسل والملوك ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، نشر دار المعارف ، ط ٤ ، جـ ٩ ، ص ٨٥ ، ٨٦ ، ٩٠ ، ٩٦.

(٢) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، تأليف أبي العباس أحمد بن خلكان ، تحقيق د . إحسان عباس ، نشر دار الثقافة ، بيروت ، جـ ٥ ، ص ١٥٩ .

(٣) عيون الأنباء ، جـ ٢ ، ص ٣٤٢.

(٤) مروج الذهب ومعادن الجوهر ، تأليف أبي الحسن بن علي المسعودي ، نشر دار الأندلس للطباعة والنشر، بيروت ، ط ٤ ، ١٤٠١هـ ، ج ٢ ، ص ٢٣٩.

(٥) انظر الفهرست ، ٣٥٤ . وقد كتب في الهامش في إحدى النسخ علي بن ربل .

(٦) إخبار العلماء بأخبار الحكماء ، ص ١٢٨ ، ١٥٥ . وانظر المنتخبات الملتقطات ، وهو مختصر الزوزوني، ص ١٨٧ . فقد سلك المسلك نفسه.

(٧) معجم البلدان ، نشر دار بيروت ، ١٤٠٠ ، ج ٤ ، ص ١٦ .

وعند بروكلمان (أبو الحسن على بن سهل ربن الطبري)[1]. وعند محمد كرد علي (علي بن ربن، والربن والربين والراب أسماء لمقدمي شريعة اليهود)[2].

مولده : ولد بمرو من أعمال طبرستان ، ولم يذكر الذين أوردوا ترجمته من المؤرخين والمترجمين السابقين تأريخ مولده،مما ألجأ الدارسين المعاصرين إلى الافتراض والتخمين، وربط بعض الحوادث التي عاصرها أو ذكرها في أحد كتبه ببعض، والخروج منها بنتائج قد تكون مطمئنة إلى حد ما . فهذا د.محمد زبير الصديقي محقق كتاب المؤلف « فردوس الحكمة » قد ربط بعض الوقائع ببعض ؛ واستنتج منها أن مولده مابين سنتي ٧٧٠ م ـ ٧٨٠ م[3]. وبمقارنتها بالتأريخ الهجري يكون تأريخ مولده ١٥٣ هـ ـ ١٦٤ هـ ، واعتمد[4] على هذا الافتراض عادل نويهض عند تحقيقه لكتاب المؤلف « الدين والدولة » إلا أنه خالفه بعض المخالفة في التقدير الزمني لتأريخ ميلاده ؛ إذ افترض أنه ولد بين عامي ١٥٨هـ ـ ١٦٩هـ [5]، كما افترض عبد المجيد الشرفي تأريخ مولده ما بين عامي ١٥٧ ـ ١٦٩ هـ.[6]. وأبعد النجعة كارل بروكلمان ؛ إذ

(١) تأريخ الأدب العربي ، ج ٤ ، ص ٢٦١ – ٢٦٣.

(٢) كنوز الأجداد ، ص ٧٠.

(٣) انظر مقدمة كتاب فردوس الحكمة ، ص : و .

(٤) قلت : إنه اعتمد على الفرض الذي فرضه الصديقي ، لأن الحوادث التى ربط بينها الصديقي هى نفسها التي ربط بينها نويهض ، هذا فضلاً عن أن تحقيق الصديقي سابق على تحقيق نويهض.

(٥) انظر مقدمة كتاب الدين والدولة ، ص ٩.

(٦) انظر الفكر الإسلامي في الرد علي النصارى تأليف عبد المجيد الشرفي ، نشر الدار التونسية للنشر ، تونس، ١٩٨٦م ، ص ١٢٨ – ١٢٩.

افتـرض أنه ولد في حدود ١٩٢هـ[١]، وتبعه على هذا الافتراض د. الدفـاع[٢] . ويلاحظ القـاريء هذا الاختلاف الحاصل بين هؤلاء الدارسين ، وهو اختلاف واسع ؛ فـمـا بين ١٥٨هـ وهي أول مـدة الافتراض الأول، و١٩٢ هـ وهي نهاية الافتراض الثاني ٣٤ سنة، وهي ليست بالمدة القليلة. والذي يترجح لدي ـ والله أعلم ـ الافتراض الأول؛ لأنه تم الربط بينه وبين حادثة وقعت في حياة المؤلف وأشار إليها .

نشأته وطلبه العلم ـ نشأ في مدينة «مرو» من أعمال طبرستان ، في بيت علم وأدب؛ فـأبوه من أبناء كـتـابهـا، وهوعـالم سـرياني الأصل واللغة[٣]، بل هو من معلميهم وعظمائهم[٤]، وعمه مشهور بالجدل في آفاق العراق وخراسان [٥] ؛ ولذلك أسندت إليهم الكتابة في دواوين أمراء طبرستان ، وكانت الكتابة متوارثة فيهم ، فأبوه من أبناء الكُتّابِ ، ثم تولى ابنه الكتابة من بعده لهم أيضاً .

ولقد تعهده أبوه منذ نعومة أظفاره بطلب العلم والتأله في سبيله والاحتساب في تحصيله وبذله ؛ لأن هذا مذهب أبيه ، وقد حاول الأب أن يسلك ابنه هذا المسلك [٦] ؛ وتم للأب ما أراد إذ يقول ابنه في أحد

(١) انظر تأريخ الأدب العربي ، ص ٢٦١ – ٢٦٣.
(٢) انظر أعلام العرب والمسلمين ، ص ٢٢.
(٣) انظر تأريخ الأدب العربي ، ج ٤ ، ص ٢٦١.
(٤) انظر فردوس الحكمة ، ص ١.
(٥) انظر الدين والدولة ، ص٩٨، ١٨٩.
(٦) انظر كتاب فردوس الحكمة ، ص ١.

كتبه: (واعلموا أني لم أرد بما كتبت تفاخراً ولا تكاثراً ؛ بل ما عند الله الذي لا يخيب راجيه) [1]. كما حاول أن يبذل لابنه ما تعلمه من الطب وأن يجود عليه بما علمه من اللغات، يوضح ذلك بقوله: (وكان أفهمني، منه ـ [أي الطب] ـ في صغري ما لم ادع التزيد [2] إليه بقدر ما قسم الله لي منه، وعلى حسب ما أعان عليه الزمان والطبع[3]).

كما تلقى عن عمه فن الجدل ، وعلم مقارنة الأديان ، واستيعاب الحجج التي يحتج بها على المخالفين، [4]. وجمع إلى ذلك علم الحكمة ودراسة الطبيعيات. ولم يقتصر في طلبه هذه العلوم المختلفة على الرجال، بل راح ينقب في بطون الكتب ويجمع ويستكمل ويستخلص منها الفوائد[5] . كما أن شغفه بالعلم لم يجعله يقتصر على لغة دون أخرى ؛ فإلى جانب إتقانه اللغة العربية ودراسته لما ألف فيها في الفنون التي هي مجال اختصاصه، اطلع على كتب أخرى بلغاتها الأصلية ، ونقل بعضها إلى اللغة العربية [6]واستفاد منها ، وأقام الحجة من خلال ما اشتملت عليه هذه الكتب مما يريد تقريره باللغة العربية . وإن المطلع على كتابيه «الدين والدولة» و« فردوس الحكمة» ليجد من ذلك كثيراً ، فلا غرو أن

---

(١) الدين والدولة ، ص ٢٠٩.

(٢) كذا في فردوس الحكمة ، والصواب التزيّد فيه.

(٣) فردوس الحكمة ، ص ١.

(٤) الدين والدولة ، ص ١٩٠.

(٥) انظر المصدر السابق ، ص ٣٥ – ٣٦ ، ٤١ . وفردوس الحكمة ، ص ١ – ٢.

(٦) انظر الدين والدولة ، ص ١٣١ ، وفردوس الحكمة ، ص ١.

تعددت اللغات التي يجيدها ؛ فأبوه سرياني اللغة وقد اشتغل بنقل بعض الكتب من لغة إلى أخرى [1]، وهو قد عاش في بيئة عربية اليد واللسان .

وبعد أن بلغ في التحصيل درجة ، وفى العلم منزلة ؛ دخل كاتباً في ديوان المازيار بن قارن حاكم طبرستان ، واستمر على هذه العلاقة معه حتى عام ٢٢٤هـ حيث حصلت خلافات سياسية بين الخلافة العباسية وبين ولاة طبرستان انتقل على إثرها إلى عاصمة الخلافة [2] بغداد، وسامراء، ولازم أبواب الخلفاء ؛ فكان من جملة أطباء المعتصم، ومن جلساء المتوكل .

المطلب الثاني : البيئة التي نشأ بها :ـ

نشأ في بيئة إسلامية تحت ظل دولة من أعز الدول الإسلامية، حيث نشأ في حواضر الخلافة العباسية، وترعرع في ظلها، وعاصر الغلبة والسؤدد، والتفوق وبسط النفوذ، وحماية الثغور ... وغير خافٍ أن الازدهار العلمي للأمة الإسلامية سواء كان تأسيساً أو تدويناً أو ترجمة ـ كان على أوجه في هذا العصر الزاهر ، يقول ابن طباطبا عن هذه الدولة :(كثيرة المحاسن ، جمة المكارم ، أسواق العلوم فيها قائمة، وبضائع الآداب فيها

(١) انظر إخبار العلماء ، ص ١٢٨.

(٢) انظر تفاصيل هذه الحادثة في تأريخ الطبري ، ج ٩ ، ٨٥ - ٩٦.

نافقة ، وشعائر الدين فيها معظمة، والخيرات فيها دائرة ، والدنيا عامرة ، والحرمات مرعيّة ، والثغور محصنة...)[1]

وقد ساعد على هذا الازدهار الفكري والهيمنة السياسية ؛ أن الأمة لا تزال موصولة بكتاب ربها وسنة نبيها ، مقتفية لآثار أصحابه وتلاميذهم من التابعين وتابعيهم ، تهتدى بهديهم ، وتأخذ بآرائهم . ولهذه الأسباب وغيرها أقبل كثير من أبناء البلاد التي احتواها الإسلام تحت جناحه على الدخول في الإسلام ، وأداء فرائضه ، وتفهم تعاليمه ، وأسهم كثير منهم في دراسته وتوضيحه وتصنيف المصنفات [2].

ودخول هذه الأجناس جلب على الأمة الإسلامية خيراً كثيراً ، وتضمن بعض الأضرار التي أضرت بالأمة ؛ فكثير من أبناء هذه الأمم دخلوا في دين الله ولم يتجردوا له مما توارثوه عن آبائهم وأسلافهم من أفكار وفلسفات ؛ فأورثوا هذه الأفكار أبناء الأمة الإسلامية ، حتى أصبحت شيعاً وأحزاباً من خوارج وشيعة ومعطلة ومعتزلة ...كانت ـ أي هذه الفرق ـ ترفع بنودها وراياتها حينا ، وتضعها أحياناً حسب ما يتاح لها من فرص، وماتواجهه من قمع من قبل الولاة ، ولا أدل على ذلك من فتنة القول بخلق القرآن التي أحدثها المعتزلة ، وكانت متوارية في زواياها، حتى إذا اسندتها الدولة وأيدتها ظهرت واشمخرت وفرضت آراءها على العلماء والدهماء...ولما جاء المتوكل حد من غلوائها ، وأفسح المجال

(١) الفخري في الآداب السلطانية ص ١٢٨ ، نقلاً عن موسوعة التأريخ الإسلامي ، ج ٣ ، ص ١٧.
(٢) انظر العراق في التأريخ ، ص ٣٨٧.

أمام أهل السنة ليصدعوا بكلمة الحق [1]، وفي هذه الفترة التي راجت فيها الفتن ، وتعددت المدارس والأحزاب كانت الساحة الإسلامية تعج بأئمة الدنيا علماً وعملاً ، وصلاحاً وزهداً، وورعاً وتقوى من أمثال الإمام الشافعي والإمام أحمد بن حنبل وسفيان الثوري والمزني وغيرهم كثير ...

إذاً لقد عاش هذا المهتدي في هذه البيئة ، وعاصر أوج الخلافة العباسية الذي أعقب انداياح دائرة الفتوحات الإسلامية ، وزوال امبراطوريتي فارس والروم - حتى بدأت تلوح في الأفق علامات التراجع والتقهقر في نهاية عهد المتوكل .

إذاً فلا غرو أن تنتج هذه البيئة رجلاً كهذا المهتدي في علمه واحاطته ومنهجيته وتدقيقه وتحقيقه ، مما كان محل ثناء المؤرخين والدارسين، حتى سلكه أبو حيان التوحيدي في سلك نوابغ المؤلفين ، وضرب به المثل في الإجادة [2]. ووصفه الصديقي بقوله :(ومن أمعن في تآليفه الثلاثة المار ذكرها [3]علم أنه كان من المهرة المتضلعين بالعلوم العربية المتداولة في عصره الزاهر، متحنكاً في الطب والفلسفة والهيئة، غزيراً في ديانات اليهود والنصارى والإسلام، حاوياً على اللغات العلمية المتداولة في تلك الأيام... ثم قال: إذا شمر للتأليف فإنه رحمه الله فارس ميدانه ؛ حيث يشبع تآليفه بسعة علمه وغزارة مادته)[4].

---

(١) انظر البداية والنهاية ، مجلد ٥ ، ج ١٠ ، ص ٦١ ومابعدها . وتأريخ التراث العربي ، تأليف فؤاد سزكين ، نقله إلى العربية د . محمود فهمي حجازي ، نشر جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، الرياض ، المجلد الأول ، ج ٤ ص ، ٦٠. وتأريخ العراق ٥٩ وما بعدها.

(٢) كنوز الأجداد ، ص ٧٠.

(٣) وهي الدين والدولة ، وفردوس الحكمة ، وحفظ الصحة.

(٤) مقدمة كتاب فردوس الحكمة ، ص : ى يب.

المطلب الثالث : دوافع إسلامه :ـ

سبقت الإشارة إلى خلاف من ترجم له حول الدين الذي كان يدين به وينتسب إليه قبل إسلامه، ومنشأ ذلك أن القفطي لما ترجم لأبيه قال : (وربن هذا له تقدم في علم اليهود ، بربن والربين أسماء لمقدمي شريعة اليهود)[1]. ولو اطلع القفطي علي تفسير هذا اللقب الذي فسره ابنه في «فردوس الحكمة» وهو قوله(فلقب لذلك بربن.وتفسيره عظيمنا ومعلمنا)[2] ـ لما زعم هذا الزعم . ولقد سار خلفه بعض من أتى بعده ؛ فنسبوه إلى اليهودية، وممن سار على ذلك محمد كرد علي في كتابه «كنوز الأجداد» ، وكذلك د.الدفاع. والذى تنتصب له الشواهد، وتقوم عليه الأدلة أنه كان نصرانياً قبل انتسابه إلى الإسلام ، يؤيد ذلك هو بقوله: :(مازلت وأنا نصراني...)[3]. وكذلك وصفه الإمام الطبري في تأريخه بأنه علي بن ربن النصراني[4]. وكذلك نسبه ابن خلكان إلى المسيحية [5].

إذا ثبت انتسابه إلى النصرانية فماذا كانت عليه حاله قبل إسلامه ؟ حاله قبل إسلامه حال كل من يتخبط في دياجير الظلمة ، وعمى

(١) إخبار العلماء ، ص ١٢٨.
(٢) فردوس الحكمة، ص ، ١.
(٣) الدين والدولة ، ص ٩٨ ، ١٠٨.
(٤) تاريخ الرسل والملوك ج ٩ ، ص ٨٥ - ٩٦.
(٥) انظر وفيات الأعيان ، ج ٥ ص ١٥٩.

الضلالة، وأمواج الشك والشبهة ، ولست اعتسف هذا التصور اعتسافاً ؛ إنما مقاله ينبيء عن حاله ، إذ يقول :(وكنت من قبل أن أسلم غافلاً عنه ـ أي الإسلام ـ هائماً لا أبصر رشداً، ولا أهتدي لشيء مما انكشف لي من بعد، ولله المن والحمد، فلقد رفع الحجب عن الأبصار، وفتح الأقفال، وأخرج من ظلمات الضلال...ثم يزيد الأمر وضوحا بقوله : (حتى إذا أفقت من سكرة التيه ، وهببت من سنة الحيرة ، وانجابت عني فتنة التقليد ...)[١]

لكن ما الذي دفعه إلى الخروج من دينه والانضواء تحت راية لا إله إلا الله محمد رسول الله؟ نستخلص ذلك من خلال عباراته المتناثرة في ثنايا كتابه «الدين والدولة» والتي ألمحتْ إلى شيء منها، وإن لم تصرح به تمام التصريح ، وهذه الدوافع هي :ـ

١ ـ منّة الله عليه وهدايته لهذا الدين القويم ، برفع الغشاوة عن بصره، والران عن بصيرته، وهتك الحجب وكشف الأستار التي كانت تحول بينه وبين معرفة الحق ، وتهافتت الحجج التي كان يتذرع بها ويستند إليها في منافحته عن دينه، والمجادلة عنه، والدعوة إليه [٢].

٢ ـ شهادة الأنبياء السابقين بنبوة نبينا محمد ﷺ [٣]: هذا الأمر

(١) الدين والدولة ، ص ٥٣ ، ١٠٨.

(٢) انظر المصدرالسابق ، ص ٥٣.

(٣) سأتحدث عن هذا الجانب بالتفصيل في الباب الثاني من هذا البحث ، ص٥١١ إن شاء الله.

صرح به القرآن في قوله تعالى عن المسيح أنه قال لقومه :﴿وإذ قال عيسى ابن مريم يابني إسرائيل إني رسول الله إليكم مصدقاً لما بين يدي من التوراة ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد ﴾.[1] وهو محل إجماع الذين اهتدوا من أهل الكتاب ، وكان لهم سابق معرفة ودراسة لكتبهم المقدسة ، وهذا المهتدي الذي نتحدث عنه كان أحد الدوافع لإسلامه اطلاعه على أن كتب الأنبياء السابقين تشهد لنبينا محمد ﷺ وتتنبأ بدينه ودولته .[2]

٣ ـ القرآن الكريم : هذا المهتدي لم يكن إسلامه عاطفياً في سنى شبابه ، أو مغامرة في سبيل الطموح ومخالفة المعهود والمألوف؛ بل كان إسلامه نتيجة بحث ومقارنة ومقابلة، اتجهت بالدرجة الأولى إلى هذا القرآن الكريم ومقابلته بما عهدته البشرية من الكتب الخالدة، التي تتناقلها الأجيال، ويحتفي بها المحتفون ؛ فخرج منها بنتيجة أن غرضها ومغزاها غير هذا الغرض ـ أي غرض القرآن ـ ولن تذكر مع كتب التنزيل، ثم كرر المقابلة بما يتحد معه في المصدر ويختلف معه في المادة والمضمون ، وهي الكتب السماوية السابقة ، فاستعرضها واحداً واحداً، واستخلص النتيجة وهي :(فأما القرآن فلن يوجد فيه حرف مما يشبه ذلك (أي ما اشتملت عليه الكتب السابقة) بل هو منسوج بالتوحيد والتهاليل والتحاميد والسنن

(١) سورة الصف ، الآية ٦ .

(٢) انظر الدين والدولة ، ص ٢٠٥ .

والشرائع والخبر والأثر والوعد والوعيد، والرغبة والرهبة، والنبوات والبشارات بالأمور الجميلة التي تليق بجلال الله وحكمته وطَوْله، وبسط الأمل في الغفران والرأفة ، وقبول التوبة، والمعاني التي ترتاح لها الأنفس وتستريح إليها الآمال فلا تقنط)[1].

ولكن ما الذي دفعه إلى هذه المقابلة والمقارنة والكدح الذهني والعناء الفكري؟ يجيب على هذا التساؤل المؤلف بعد تدبره القرآن بقوله :(إني لم أجد لأحد عربي ولا عجمي ولا هندي ولا رومي كتاباً جمع من التوحيد والتهليل والثناء على الله عز وجل ، والتصديق بالرسل والأنبياء ، والحث على الصالحات الباقيات ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والترغيب في الجنة ، والتزهيد في النار مثل هذا القرآن منذ كانت الدنيا)[2].

٤ ـ ما بذله له الخلفاء العباسيون: أسلفت القول أنه ارتحل إلى عاصمة الخلافة العباسية، وأنه دخل في سلك أطباء المعتصم ، وأصبح من جلساء المتوكل .

والخلق الإسلامي الأصيل يوجب على صاحبه الإحسان إلى الناس والبر بهم ، وبذل الخير لهم ؛ ترغيباً في الإسلام ، وانطلاقاً من قوله تعالى: ﴿لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم

---

(١) المصدر السابق ، ص ١٠٣.

(٢) المصدر السابق ، ص ٩٨.

من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين ﴾[1]، وانطلاقاً من هذه المباديء السامية ، والمثل العالية ؛ لقى هذا المهتدي في كنف الخلفاء العباسيين الرعاية والعناية؛ فكانت سبباً في إسلامه ، يحدثنا عن هذا الأثر على نفسه بقوله :(ولله الشكر على ما هداني، ثم لعبده وخليفته جعفر المتوكل على الله أمير المؤمنين ـ أطال الله بقاءه ـ على ما ندبني له ، واجترني وغيري من أهل الذمة إليه ترغيباً وترهيباً، واحتساباً وحباً منه للناس كافة[2]) .

هذه دوافع إسلامه ، فمتى أسلم ؟ وعلى يد من ؟

أسلم بعد السبعين من عمره [3]. لكن اختلف النَقَلَه في تحديد الخليفة العباسي الذي أسلم على يديه ، فمن القدماء من ذهب إلى أنه أسلم على يد المعتصم ، وأنه قربه وظهر بالحضرة فضله .[4] أما المعاصرون مثل بروكلمان وعادل نويهض ود. الدفاع [5]فذكروا أنه أسلم على يد المتوكل .

---

(١) سورة الممتحنة ، الآية ٨.

(٢) الدين والدولة ، ص ٢١٠.

(٣) الرد على النصارى ، لهذا المهتدي ، ص ٧ نقلاً عن كتاب الفكر الإسلامي في الرد على النصارى .

(٤) انظر الفهرست ، ص ٣٥٤. وإخبار العلماء ، ص ١٥٥.

(٥) انظر تأريخ الأدب العربي ، ج ٤ ، ص ٢٦١ - ٢٦٣ .، ومقدمة كتاب الدين والدولة ، ص ١٥-١٦. وأعلام العرب والمسلمين في الطب ، ص ٢٢ . وأود التنبيه على عبارة وردت لدى بروكلمان في ترجمته للطبري وهي قوله : (وعاد إلى الإسلام بأمر من الخليفة المتوكل). فهذه عبارة قلقة يشم منها رائحة ضَجَره من إسلامه ، وتصوير إسلامه على أنه صادر بأمر من الخليفة ، لا نتيجة قناعة شخصية . ولكن هذا دأب هؤلاء ، والشيء من معدنه لا يستغرب.

والذى يترجح لدي الرأي الأخير لأنه أومأ إلى ذلك في آخر كتابه حيث قال: المتوكل)وغيري من أهل الذمة إليه).[1]

ونلمس في هذه العبارة ما يرجح ذلك؛ فقوله: (اجترني وغيري من أهل الذمة) ما يفيد اعتبار نفسه في أول علاقته بالمتوكل من أهل الذمة .

مصنفاته : – كما دخل الخلاف سائر أطوار حياته ، دخل الخلاف في مصنفاته ، وبعضها وصل إلينا وبعضها لم نعرفه إلا من خلال كتب التراجم ، فالكتب التي وصلت إلينا هي:

١ ـ الدين والدولة ، وهو الذي سأتناوله بالبحث والدراسة والتقويم .

٢ ـ الرد على النصارى [2] .

٣ ـ فردوس الحكمة .

أما الكتب التي ذكرت في كتب التراجم ولم تصل إلينا، ووقع الخلاف في بعضها فهي:ـ

(١) الدين والدولة ، ص ٢١٠.

(٢) أشار إليه المصنف في ثنايا كتابه السابق ، ص ١٥٤ ، ١٥٩ بالرد على أصناف النصارى ، وبالرد على النصارى ، ثم ذكر عبد المجيد الشرفي في كتابه الفكر الإسلامي ، ص ١٣٠ أن هذا الكتاب نشر في بيروت سنة ١٩٥٩م عن نسخة وحيدة مبتورة الآخر في مكتبة شهيد علي باستنبول.

١ ـ كناش الحضرة [1].

٢ ـ تحفة الملوك .

٣ ـ منافع الأطعمة والأشربة والعقاقير .

٤ ـ حفظ الصحة .

٥ ـ كتاب في الرقي .

٦ ـ كتاب في الحجامة .

٧ ـ كتاب في ترتيب الأغذية .

٨ ـ بحر الفوائد .[2]

٩ ـ إرفاق الحياة .

١٠ ـ الإيضاح من السمن والهزال وتهييج الباه وإبطاله .

١١ ـ الترجمة السريانية لكتابه فردوس الحكمة .

وفاته ـ لم أجد من ذكرها من المتقدمين ـ حسب ما اطلعت عليه ـ وذكر صاحب هدية العارفين ، أنه توفي بعد سنة ٢٦٠ هـ[3]. وجزم محقق كتاب الدين والدولة[4] أنه كان حياً قبل سنة ٢٤٧هـ، واستبعدَ أن يكون ما ذكره البغدادي في هديته صحيحاً ؛ وذلك لأنه افترض أن تأريخ

---

(١) والذى يترجح أنه هو فردوس الحكمة ، لأنه قال في وصفه له : (فتهيأ لى منها بعون الله سر من أسرار الحكمة ، وكنز من كنوز الصناعة ، وكناش يحيط بأكثر ما يتمناه المتمني) . ص ٢ .

(٢) ذكره في فردوس الحكمة ص ٨ بأنه بحر المنافع.

(٣) انظر هدية العارفين ، ج ١ ، ص ٦٦٩.

(٤) انظر الدين والدولة ، ص ١٧ – ١٨.

مولده بين عامي ١٥٨ ـ ١٦٩هـ ، واستنتج من ذلك أن عمر الطبري على افتراض البغدادي سيكون مائه واثنتي عشرة سنة، ولوكان كذلك لذكره المؤرخون الذين يهتمون بوفيات المعمرين .

وهذا الاستنتاج خاطيء ؛ وذلك أنه لو توفي بعد خمس سنوات من التأريخ الذي ذهب إليه البغدادى ـ بالنظر إلى أدنى افتراض افترضه نويهض لمولده وهو ١٥٨هـ ـ لكان عمره ١٠٧ سنوات .

لكن الذي يترجح لى أنه توفي بعد سنة ٢٥٣ هـ ؛ وذلك أنه قال في كتابه الدين والدولة: (ومن المسيح إلى سنتنا هذه ثمانمائة وسبع وستون سنة)[1]. وبمقابلة هذا التأريخ الميلادي بالتأريخ الهجري ينتج عن ذلك أنه كتب هذه العبارة عام ٢٥٣ هـ ، إذاً تكون وفاته بعد هذا التأريخ ، والله الموفق للصواب .

المطلب الرابع : القيمة العلمية لكتابه الدين والدولة :ـ

هذا الكتاب ألفه مؤلفه بعد دخوله في الإسلام ، وبعد تأليفه لكتابه «الرد على النصارى» لأنه أشار إليه في ثنايا هذا الكتاب ، ويظهر أن هذا الكتاب ما هو إلا استكمال لما شرع فيه في الكتاب الأول، وذلك لأنه أراد أن يرد على أهل ملته ـ النصارى ـ في الكتاب الأول ، ثم ينثني

(١) المصدر السابق، ص ١٨٣.

في هذا الكتاب على بني عمه اليهود ويبين فساد دينهم وبطلانه، ومخازى الثنوية والدهرية وضلالها؛ ليتبين للناظر انكسارها وانحسارها، وأن الحق والإيمان والنور في الإسلام وحده»[1]. كما أنه استفاد من مخالطته للخليفة العباسي المتوكل في تأليفه لهذا الكتاب، فقد أشار إلى أنه استفاد من حكمة أمير المؤمنين ، وأنه أعانه على ألا يترك مسألة صعبة إلا يسرها له[2]. وقد نجز تأليفه لهذا الكتاب في خلافة المتوكل[3]، إذ شكره في نهايته ، ودعا له بطول البقاء، ولكن يعترض الباحث عبارة أوردها المؤلف في ثنايا كتابه ، وهي ذكره تأريخاً عاصره بعد وفاة المتوكل بست سنين وهي قوله :(ومن المسيح إلى سنتنا هذه ثمانمائة وسبع وستون سنة)[4]. وباستخراج ما يقابل هذا التأريخ من التأريخ الهجري نجد أنه يوافق عام ٢٥٣ هـ ، فكيف التوفيق ؟ إن كل ما استطيع أن أقوله : لعل المؤلف أعاد كتابة وصياغة بعض العبارات مما أدى إلى ذلك ، وترك بعضها وهو ما يوحي بكتابته في حياة المتوكل . ويشفع لهذا اللبس أن هناك لبساً أو نقصاً آخر سنبينه إن شاء الله في المآخذ على الكتاب .

المحتوى : يقع الكتاب في ٢٤٠ صفحة من الحجم الكبير بما فيها الترجمة للمؤلف والفهارس ، وقد ابتدأه بمقدمة بين فيها سبب تأليفه،

---

(١) انظر المصدر السابق ، ص ٢١٠.

(٢) انظر المصدر السابق ، ص ٣٥ ، ٣٦ ، ٩٢ ، ١٩٥.

(٣) توفي المتوكل عام ٢٤٧هـ.

(٤) المصدر السابق ، ص ١٨٣.

وذكر الموانع التي من أجلها خالف من خالف الإسلام ، وهي أربع :

١ ـ الشك في خبره ﷺ .

٢ ـ الأنفة والعزة .

٣ ـ التقليد والإلف .

٤ ـ البلادة والغباوة .

ثم بين ـ فيها أيضاً ـ وجوه الأخبار والإجماع ، ودلائل تصحيحها ، وأقام بعد ذلك عشر شهادات جعلها مقاييس معتبرة وجدها متوافرة للنبي ﷺ ، يعتبر بها على صدقه ﷺ ، وعليها مدار الكتاب وهي :

١ ـ دعاؤه إلى التوحيد ، وموافقته في ذلك لجميع الأنبياء .

٢ ـ ما كان عليه في نسكه وعفته وصدقه ومحمود سننه وشرائعه.

٣ ـ إظهاره لآيات بينات لا يأتي بها إلا الأنبياء .

٤ ـ أنه تنبأ على أشياء غائبة فصحت في زمانه .

٥ ـ أنه تنبأ على حوادث جمة من حوادث الدنيا ودولها صحت بعده.

٦ ـ أن الكتاب الذي جاء به آية من آيات النبوة بالضرورة والحجج التي لا تدفع .

٧ ـ أن غلبته الأمم آية بينة من آيات النبوة بالضرورة والحجج التي لا تدفع .

٨ ـ أن دعاته الذين نقلوا أخباره خيار الناس وأبرارهم ومن لا يظن بأمثالهم الكذب والإفك.

٩ ـ أنه خاتم الأنبياء ولو لم يبعث لبطلت نبوات الأنبياء فيه وفي إسماعيل عليهما السلام .

١٠ ـ أن الأنبياء عليهم السلام قد تنبأوا به قبل ظهوره بدهر طويل ووصفوا مبعثه وبلده وخضوع الأمم له والملوك لأمته .

ترجمة الكتاب وطبعاته :ـ

نشره المستشرق منغانا باللغة العربية ، ونقله إلى اللغة الإنجليزية عام ١٩٢٢م [١]، وطبعه في مطبعة المقتطف بمصر في مجلد يحتوي علي١٤٤ صفحة عام ١٣٤٢هـ ـ١٩٢٣م [٢]. ثم أعيد نشره من قبل المكتبة العتيقة بتونس ـ بدون تأريخ ـ وكذلك نشرته دار الآفاق الجديدة في بيروت عام ١٣٩٣هـ ـ ١٩٧٣م بتحقيق عادل نويهض[٣]، ثم توالت

(١) انظر تأريخ الأدب العربي، ج ٤، ص ٢٦١ - ٢٦٣ . والفكر الإسلامي في الرد على النصارى، ص١٣١.

(٢) انظر مقدمة فردوس الحكمة ، ص : ى . والفكر الإسلامي في الرد على النصارى ، ص ١٣١ .

(٣) انظر المصدر السابق ، ص ١٣١ - ١٣٢ . ولايفوتني أن أشيد بمسألة جديرة بالأهمية لمستها خلال تحقيق عادل نويهض، وهى إبقاؤه نصوص كتب العهدين بالصيغة التى وردت عن المؤلف ، ولم يتدخل فيها بالتعديل أو التغيير ، مما سلَّم للقارىء هذه النصوص براوية المؤلف وترجمته، وإن كان هذا هو الواجب المتحتم . فإن الذى دفعني إلى ذلك ما لمسته من قيام بعض المحققين بتعديل نصوص كتب العهدين التي ترد فى الكتاب موضع التحقيق ، أو الإيحاء للقاريء فى الهامش بأن المؤلف خالفه الصواب ، والصواب هو ....ما نقله عن الطبعات الجديدة لكتب العهدين ، ولم يعلم أن طبعاتها يتم عليها التعديل سنوياً - تقريباً - فلو اتبعنا هذا المنهج لما سلم لنا نص من نصوص الأقدمين فى هذا المجال.كما أن هناك مأخذاً على تحقيقه وهو عدم إشارته إلى النسخ الخطية التي اعتمد عليها.

طبعات هذا الكتاب من نفس هذه الدار ، وبين يدي الآن الطبعة الرابعة التي صدرت عام ١٤٠٢هـ .

سبب تأليفه: من عبارات المؤلف المتناثرة بين دفتي هذا الكتاب القيم أستطيع أن ألمس الأسباب التي دعته إلى تأليف هذا السفر وهي :

١ ـ أن الرسول ﷺ قد آمن بمن سبقه من الأنبياء والمرسلين عليهم صلوات الله وسلامه، وصدق بما أنزل إليهم من كتب ، ودعا إلى التوحيد الذي دعت إليه سائر الأنبياء؛ فكفرت به العرب ، وجحد أهل الكتاب خبره ، وكتموا اسمه ، وحرفوا رسمه ، بل شهدوا أن الكفار خير من محمد ﷺ ومن آمن معه ؛ فأراد بهذا الكتاب أن يقيم الدلائل على الكفار والمعاندين ، وأن يظهر الحق الذي ستره أهل الكتاب ، ويكشف عنه الأستار؛ حتى يزداد المسلم بالإسلام قوة وسروراً .[1]

٢ ـ تكفل الله لهذا الدين بالغلبة والظهور على سائر الأديان إلى قيام الساعة، ولهذا لا تزال أسنة المجاهدين مرفوعة في كل زمان ، وإذا سقطت رايته في بقعة تلقفها آخرون في مواقع أخرى ، كما أنها لا تزال ألسنة وأقلام المدافعين عن هذا الدين والمنافحين عنه تدافع وتنافح عنه على مر الزمان ، وقد سبق المؤلف إلى تحقيق هذه الغاية رجال دافعوا عن دينهم ، وهتكوا ستار الباطل،

(١) انظرالدين والدولة ، ص ٣٥.

ونصبوا الحجج ، وأقاموا البراهين ... ولكن المؤلف ـ بعد دراسته للمـؤلفـات في هذا الفن ـ وجـد أنهـا لا تخلو من ضـعف في الأسلوب ، ونقص في الاسـتـدلال [1] ، فـأراد أن يسـتكمل هذا النقص ، ويسند هذا الضعف ، وأن يجمع فيه مالم يحيطوا به من نصـوص كتب العـهدين ، حيث يقـول :(وأسلك في ذلك سبيلاً أسدّ وأجدى مما سلك غيري من مؤلفي الكتب في هذا الفن ، فإن منهم من قصر وبتر وأدغم حجته ولم يفسر، ومنهم من احتج على أهل الكتاب بالشعر وبما لم يعرفوه من كتبهم ، ومنهم من حشا دفتي كتابه بمخاطبة المسلمين دون المشركين، ثم ترجم حججه بأوعر كلام وأبعده من الأفهام .)[2]

٣ ـ أن أحد الأسباب المانعة لأهل الكتاب من الإنضواء تحت راية الإسلام هو الشك في خبره ﷺ . وقصد المؤلف رحمه الله أن يبين لهم في هذا الكتاب تثبيت خبره ﷺ عندهم ، ونفي الشك عنهم ، وأن يبين لهم أصول الأخبار وفروعها وعللها ومجاريها ، وكيف يميز حقها من باطلها ، وأن الأسباب التي قبلت بها الأمم أنبياءها مماثلة لأسبابه ﷺ، وأن حجته مماثلة لحججهم ، وأن أخباره مماثلة لأخبارهم صلوات الله عليهم وسلامه . [3]

---

(١) هذه الردود لم تصل إلينا فنستطيع دراستها والنظر فيما أشار إليه ، لذا سنكتفي بشهادة عليها ، إذ ليس في الإمكان أكثر من ذلك.

(٢) المصدر السابق ، ص ٣٥.

(٣) انظر المصدر السابق ، ص ٣٦.

٤ ـ لما جعله المتوكل من جملة جلسائه وخاصته؛ اطلع على واسع معرفته، ولعله أيضاً اطلع على كتابه « الرد على النصارى » ؛ فندبه إلى تأليف هذا الكتاب وساعده في ذلك .[١]

٥ ـ ابتغاء وجه الله : كان مذهب أبيه الذي لقنه لهذا المهتدي في صباه هو التأله والاحتساب في طلب العلم ،[٢] واستمر على ملازمته لهذا المبدأ في طلبه للعلم ، حتى إذا أسلم وأدرك حقائق اليوم الآخر وما وعد الله به المؤمنين ؛ تأصل لديه هذا الجانب ؛ فدفعه إلى تأليف هذا الكتاب ، طلباً لمرضاة الله لا فخراً ولا تكاثراً .

منهجه : من خلال دراسة الكتاب اتضحت معالم منهجه، فبعضها حددها المؤلف ، وبعضها الآخر تم استنباطها من واقع دراسته للقضايا التي عالجها في كتابه ، والأدلة التي استدل بها ، والبراهين التي قدمها، أما المعالم التي رسمها لمنهجه فهي :

١ ـ أن يجعل هذا الكتاب مفهوماً سهلاً .

٢ ـ أن يخاصم ويساجل خصمه ، وألا يعلو عليه ولا يربى ، بل يفهم ولا يبهم ، وينصف ولا يظلم .

٣ ـ أن يستعمل الرفق ويحسن سياقه .

---

(١) انظر المصدر السابق ، ٣٥ ، ٥٢ ، ١٩٥ . ٢٠٩ ، ٢١٠.

(٢) انظر فردوس الحكمة ، ص ١ .

٤ ـ أن يأتي بالبـراهين والمـعـارضـات التي تلزم الخـصم، وإن جحـدها خرج من مـلتـه ودينه[1] .

هذه أهم المعالم التي ألزم المؤلف بها نفسه، أما المعالم الأخرى التي تم استنباطها من واقع الكتاب فهي :

١ ـ استقراء الكتاب والسنة والسيرة للاستدلال من خلالها على أنها تضـمنت من الآيات ما يوجب ضـرورة قبـول نبـوتة ﷺ ، وأنهـا احـتـوت من ذلك الشيء الكثـير الذي لايجـحـده إلا مـعـاند أو مكابر[2] .

٢ ـ استحضار حقائق التأريخ ومسلماته ؛ لتوظيفها لصالح ما يريد تقريره أو نفيه .

٣ ـ إلزام أهل الكتاب بما يقبلونه في دينهم ، وأخبار سلفهم ، وما دوّن في كتبهم ، ومقابلة ذلك بما عند المسلمين وإثبات أنها متماثلة في المصدر والوسيلة ، وإمكانية الحدوث .

٤ ـ الاستدلال بل حشد نصوص كتب العهدين للأمر الذي يريد تقريره أو نفيه .

٥ـ الرجوع إلى كتب الخصم في لغاتها الأصلية والمقارنة بين التراجم ، وإلزامهم بما توصل إليه .

وقد صاغ المؤلف كتابه هذا في أسلوب أدبي رائع الجمال ، فائق

---

(١) انظر الدين والدولة ، ص ٣٥.

(٢) انظر مثلاً الأبواب ، ١، ٢، ٣.

الحسن ، يدل على تمكن صاحبه من اللغة العربية ، إذ اعتمد على سلاسة العبارة ، وتقريب معانيها للقاريء؛ حتى تكون أيسر للفهم ، وأسهل في الاستيعاب، والذى ساعده على ذلك أن مهنة الكتابة كانت متوارثة في أسرته . وبتتبع الكتاب وتطبيق ما ألزم به نفسه من ناحية الأسلوب و المنهج نجد أنه قد وفّي بما التزمه على أتم وجه وأكمله .

القيمة العلمية لهذا الكتاب :ـ

تظهر القيمة العلمية لهذا الكتاب في الجوانب التالية :ـ

١ ـ أن هذا الكتاب يعد أول كتاب وافٍ يصل إلينا كتبه نصراني هجر دينه وأعلن إسلامه.

٢ ـ أن هذا الكتاب سبقه مؤلفات عدة في هذا المجال ـ لمؤلفين مسلمين ـ ولكنها لا تخلو من نقص في الاستدلال، وضعف في الأسلوب، فهذا الكتاب استكمال لذلك النقص وتسديد لذلك الضعف .

٣ ـ المقاييس التي نصبها، والشهادات التي أقامها ووجدها متوافرة للنبي ﷺ ، وتوجب ضرورة نبوته، لم أجد من أحصاها وجمعها قبله في كتاب .

٤ ـ المقارنة بين ترجمات التوراة والإنجيل، وبيان الألفاظ الصحيحة لها قبل أن تحرفها الترجمة ، ويفسدها العبث .

٥ ـ إيراده لنصوص العهد القديم والجديد بعبارات يرجع أصلها إلى

الأصل العبري أو اليوناني ، وبعضها إلى نسخ لم تصل إلينا ، بل أكاد أجزم أن كثيراً من البشارات التي أوردها تضمنت ألفاظاً لا توجد في الطبعات المتداولة ، فتبرز قيمة هذه النصوص أنها نُقلت إلينا وسلِمت من تحريف أهل الكتاب لهذه الشواهد والبينات الدامغة .

٦ ـ الحماس والرغبة في هداية اليهود والنصارى إلى هذا الدين القويم ، ويظهر ذلك من توذده لهم ومخاطبتهم بالعبارات التي تألفها النفوس ، وتأنس لها الأسماع ، كقوله : (يابني عمي ، يهديكم الله، يرشدكم الله،) ثم دلالتهم على الطريق الذي ييسر لهم الوصول إلى الحق ، وهو قوله :(فليسمع مقالي ونصحي من كان ذا أذنين ، وليتدبر هذه الشهادات والمقاييس ، وليخل بكتابي هذا وبكتاب الرد على النصارى ، ويسترشد الله ويعمل لنفسه في فكاكها قبل أن يحل به هلاكها)[1].

المآخذ: وردت بعض العبارات التي تعتبر من المآخذ على الكتاب،وهي:

١ ـ لما تكلم عن شمول الرسالة المحمدية ، وإحاطتها بما يرضي الله، وعمومها لسائر الخلق، ذكر أن هذا من خصائص الرسالة المحمدية (أما الباقون ـ أي الأنبياء ـ فإنهم كانوا يخبطون من حولهم بالسيف خبطاً،

(١) المصدر السابق ، ص ١٥٩.

وينتسفون أموالهم انتسافاً من غير دعاء ولا إبقاء ولا إعذار ولا إنذار، كما أُمر النبى ﷺ).[1]

وفى هذا تطاول على هؤلاء الأنبياء الكرام وقدح في منهجهم ، وهل نسي أن نوحاً عليه السلام لبث في قومه ألف سنة إلا خمسين عاما يدعوهم ويذكرهم ، ثم يأتي إبراهيم من بعده فيقيم الحجج ، ويكسر الأصنام ، ويكيدون له كيداً ، وهذا موسي بعد أن أقام الآيات وأظهر المعجزات، يخرج بقومه من مصر ...وكثير من الأنبياء قالت لهم أقوامهم: لنخرجنكم من أرضنا أو لتعودن في ملتنا . فلم يحصل منهم قتل ولا سلب لأموالهم . بل إن الجهاد لم يفرض على الأنبياء السابقين كما فُرض في التوراة والقرآن والسنة. فمن أين تأتي للمؤلف هذا الظن ؟ لكن لعل الذي دفعه لذلك حماسه الشديد ، ورغبته في أن يجعل الإسلام ورسول الإسلام في موقع لا يشاكل ، ومكان لا يماثل .

٢ ـ قال عن المسيح عليه السلام:(ولقد أتى المسيح عليه السلام قوم يسألونه آية ، فليس أنه لم يظهرها لهم[2] ، لكنه قذفهم قذفاً ، وافترى عليهم وعلى قبائلهم افتراء)[3]. وهذا وصف أجلُّ عنه نبي الله ، لكن قد يكون من باب الإلزام .

---

(١) المصدر السابق ، ص ٥٩.

(٢) كذا في كتاب الدين والدولة ، والصواب أن يقول : (فلم يظهرها لهم).

(٣) المصدر السابق ، ص ١٩١.

٣ ـ قال عن داود عليه السلام :(وذكر كتاب شموائيل أن داود جاع يوما فوجه عبيده إلى رجل في طلب طعام فلم تحمل إليه شيئاً، فسار إليه في جمعه للإيقاع بذلك الرجل وأهل قريته، فإذا هو بامرأته قد استقبلته ومعها طعام وشراب قد حملته إليه، وخافت زوجها فيه ، فقبل ذلك منها، وطابت نفسه وسكن غيظه وانصرف عنه . فهذا وما أشبهه من الأنبياء غير منكر ولا مطعون فيه)[١]. والذي تطمئن إليه النفس وتشهد له الفطر السليمة ، أن هذا الأمر لا يمكن أن يقع من سائر الملوك فضلاً عن الأولياء الصالحين ، فضلاً عن أن يقع من نبي؛ فلم يبعث الله الأنبياء ليسترقوا عباد الله، وينتهكوا حرماتهم ، وينتهبوا أموالهم . بل بعثوا للهداية والإرشاد، وهم أكمل أممهم، وأزكاهم أنفساً، وأعلاهم أخلاقاً ، وأكرمهم بذلاً، وأسخاهم يداً .

٤ ـ وصف «متّى» كاتب الإنجيل بأنه من حواريي المسيح عليه السلام .[٢] وسيأتي الكلام على حقيقة هذا الشخص الذي ينسب إليه هذا الإنجيل في الفصل الثالث من الباب الثاني من هذا البحث، والله المستعان.

٥ ـ قال عن المقاييس التي نصبها للدلالة على النبي الصادق ، ووجدها متوافرة للنبي ﷺ : لم يجتمع مثلها لأحد قط إلا للمسيح عليه السلام ...

---

(١) المصدر السابق ص، ١٩٧ .

(٢) المصدر السابق ص، ١٩١ .

وقد تضمنت بعض المقاييس التي لا تنطبق على المسيح عليه السلام وهما: الكتاب الذي جاء به ، وهو القرآن . وغلبته للأمم باسم الله ؛ وذلك أنه قال عن الإنجيل في مقارنته بالقرآن :(أما الإنجيل الذي في أيدي النصارى فإن جله خبر المسيح ومولده وتصرُّفه ، وآداب مع ذلك حسنة ، ومواعظ كريمة ، وحكم جسيمة وأمثال رائعة وليس فيها من السنن والشرائع والأخبار إلا اليسير القليل .) [1].

أما غلبة الرسول ﷺ وأصحابه للأمم باسم الله فهذه لم تحدث في التأريخ لأحد إلا لمحمد وأصحابه رضوان الله عليهم ، وشهد بذلك المؤلف بقوله :(فمن ادعي غلبة كانت باسم الله منذ خلق الله الدنيا لها من الشرائط والمحاسن والدعاء إلى خالق السماء والأرض ...علمنا علماً يقينياً أن تلك الغلبة تقوم مقام آيات النبوات لا محالة)[2] .

وقفة مع الكتاب :-

أول طبعة لهذا الكتاب باللغة العربية تمت عام ١٣٤٢هـ - ١٩٢٣م ، بمطبعة المقتطف بمصر، من قبل المستشرق منغانا[3]، والطبعة التي بين يدي الآن هى الطبعة الرابعة لدار الآفاق الجديدة ، بتحقيق عادل نويهض ، وقد أشار عبد المجيد الشرفي في كتابه الفكر الإسلامي في الرد

---

(١) المصدر السابق ، ص ١٠١.

(٢) المصدر السابق ، ص ١٠٩ - ١١٠.

(٣) انظر تأريخ الأدب العربي، ج ٤، ص ٢٦١ - ٢٦٣. والفكر الإسلامي في الرد على النصارى، ص١٣١.

على النصاري إلى أن عادل نويهض اعتمد في تحقيقه لهذا الكتاب على نسخة منغانا ؛ لأنه أثبت ٣٨ هامشاً من هوامش منغانا ، وأورد قراءة منغانا، وقد يثبت قراءة غيرها .

وبعد دراسة الكتاب مرة بعد أخرى استوقفتنى عبارات للمؤلف في ثنايا هذا الكتاب تجعلني أجزم بأن الكتاب لم يصل إلينا كاملاً ، وهذه العبارات هي :ـ

١ ـ قال المؤلف في ص ٤٥ :(وقد بينت ذلك ـ أي تناقض النصارى في شريعة دينهم ـ في الجزء الذي يتلو هذا الجزء ، وشرحت فيه ما يلزم أصناف النصارى كلهم، واحتججت عليهم بمائة وثلاثين حجة من كتب الأنبياء ، سوى الحجج البرهانية والأمثال المضروبة والمقاييس الباهرة ، وتوخيت بذلك تبصُّرهم رشدهم....)

٢ ـ قال في نفس الصفحة :(فأما مايلزم اليهود وغيرهم فقد بينت في الجزء الرابع، وأوجزت القول فيه ولم أقصر.)

٣ ـ قال في ص ٢١٠ :(ولذلك ـ أي ما لقيه هو وأهل ملته من الخليفة المتوكل من إحسانه إليهم ـ صيرت الباب الأول من كتابي هذا في وصف ما شعرت أمتي من مكارمه، وآثار نعمته ، ورفق سياسته، ويمن دولته ، وكثرة فتوحه، وما يجب على أهل الملة والذمة من حبه وطاعته وشكره .).أ هـ

وسأضطر إلى استعراض سريع لمحتوى الكتاب ـ هنا بشكل سريع ـ حتي يكون القاريء على صلة بمحتواه :

الذى بين يدينا من الكتاب نستطيع أن نقسمه إلى ثلاثة أقسام :ـ

القسم الأول: يتعلق بالأخبار والإجماع ووسائل معرفة وجوهها وصحيحها من سقيمها. من ص ٣٣ - ٤٦ .

القسم الثاني : مقاييس العبر وشهادات الحق التي وجدها متوافرة ومجتمعة للنبي ﷺ ، في عشرة معان لم يجتمع مثلها لأحد قط من ص٤٦ ـ ١٨٩ .

القسم الثالث : الرد على بعض اعتراضات وشبه النصارى وغيرهم. من ص ١٨٩ ـ ٢١٠ .

وبالبحث عما وعد به المؤلف من خلال العبارات السابقة فلا نجد لذلك ذكراً ، وسأقف مع هذه العبارات بشيء من التفصيل ، وسيكون التناول لها حسب موقعها :ـ

أولاً: قوله : ولذلك صيرت الباب الأول من كتابي هذا في وصف ما شعرت أمتي من مكارمه...هذا الباب بهذا التوسع، والتدوين التأريخي لفترة خلافة المتوكل التي بلغت «١٥» عاماً[1] لايمكن أن تجد له أي أثر في هذا الكتاب ، بل الباب الأول منه حسب النسخة التي بين أيدينا هو «الباب الأول في توحيده عليه السلام ودعائه إلى ما دعا إليه إبراهيم

(١) انظر تأريخ الطبري ، ج ٩ ، ص ١٥٤ - ٢٢٢.

وجميع الأنبياء » ص ٥٤ ـ ٥٦ . ولعل إضافة كلمة الباب الأول إلى العنوان السابق من إضافات النساخ أو من أتى بعدهم ، لأن هذا العنوان الذي أقحم تحت عبارة الباب الأول ماهو إلا المقياس الأول من مقاييس العبر والشهادة الأولى من شهادات الحق التي نصبها المؤلف للتدليل على نبوة النبي ﷺ .

وإن المتأمل لعبارة المؤلف في قوله :«صيرت » في خاتمة الكتاب ، لتدل دلالة قاطعة على أن هذا الباب قد ورد فعلاً وحرره مؤلفه ، وإلا لم يتحدث عنه بصيغة الماضي، ولو كانت عبارته هذه بصيغة المستقبل أو الأمل الذي يرجو تحققه لقلنا لعل مزعجات الدهر حالت دون بلوغه ما أراد. كما أن المتأمل في عنوان الكتاب يدرك ذلك؛ فالمؤلف سمي كتابه « الدين والدولة » فجعل العنوان شاملاً لمحتوى الكتاب، فهو يريد أن يدافع عن الإسلام ، ويبين تناقض النصرانية، وفساد اليهودية، وأن يتحدث عن دولة الإسلام القائمة في عصره وكثرة فتوحاتها ، ويمن دولتها ورفق سياستها ، ونعمتها على أهل الكتاب ، وما يجب على اليهود والنصارى من حب هذه الدولة وطاعتها وشكرها .

ويؤكد ما ذهبت إليه أنه في آخر الكتاب قال وقد تم كتابي هذا الذي سميته الدين والدولة ، ولذلك صيرت الباب الأول من كتابي هذا ....

ثانياً ـ قوله : وقد بينت ذلك في الجزء الذي يتلو هذا الجزء ... وبالبحث عن هذا الجزء الذي وعد به ، والذي أجلب من خلاله على النصارى بسيل من الحجج والأدلة والأمثال والبراهين والمقاييس التي تبين

تناقض شريعة دينهم ـ في كتابه الدين والدولة فإنك لا تجد له أي ذكر .

وقد يقول قائل : إن ما أشار إليه آنفاً قصد به كتابه الأول « الرد على أصناف النصارى». قلت هذا كلام لا يمكن قبوله لعدة اعتبارات :ـ

١ ـ أن كتاب الرد على النصارى سابق على كتابه هذا ، فقد أشار إليه فيه أكثر من مرة كما سبق بيانه .

٢ ـ عبارة المؤلف توحي بأن هذا الرد الذي ألمح إليه في كتاب الدين والدولة غير كتاب الرد على النصارى ؛لأنه يقول عنه : في الجزء الذي يتلو هذا الجزء . وقد سبق بيان أن «الرد على النصارى» قد ألفه قبل كتاب الدين والدولة .

بمراجعة محتوي كتاب « الرد على النصارى» من خلال ماكتبه عنه صاحب كتاب الفكر الإسلامي في الرد على النصارى ـ نجد أنه ناقش هذا التناقض في شريعة النصارى، وحصره في سبعة أوجه ، استغرقت ست صفحات من ص ٣١ ـ ٣٦ [١]، ولا يمكن من الناحية العلمية والعقلية أيضاً أن تتضمن هذه الصفحات الست كل ما ذكر ، فـ ١٣٠ حجة من كتب الأنبياء ، مضافاً إليها الأدلة والبراهين والمقاييس والأمثال التي أشار إليها المؤلف ؛ من المستحيل أن تحتويها ست صفحات، إذا عرفنا أسلوب المؤلف من حشده للنصوص وشرحه لها، والمقابلة بين التراجم ـ إذا تطلب الأمر ذلك ـ وتعليقه عليها وإلزامهم بها .

---

(١) انظر الفكر الإسلامي في الرد على النصارى ، ص ١٣١.

٣ ـ إذا كان المؤلف لم يبين تناقض النصارى في كتابه السابق إلا في ست صفحات ، وهنا وعد هذه الوعود وأجلب هذا الإجلاب ، فكأنه أراد أن يستدرك ما فاته من الحجج والبراهين في كتابه الأول ويضمنها كتابه هذا .

وقد يحتج محتج بأن هذا وعد من المؤلف لم ينجزه ولم يتحقق. قلت: عبارات المؤلف موحية بضد ذلك ؛ إذ وردت بصيغة الماضي فقوله: (بينت، وشرحت ، وتوخيت .)تفيد أن هذا أمر قد سلف وكان . وكل الذي استطيع أن أجزم به أن هذا الجزء الذي أشار إليه المؤلف لم يصل إلينا بعد ، ولم يشتمل عليه هذا الكتاب المطبوع .

ثالثاً ـ قوله: (فأما ما يلزم اليهودوغيرهم فقد بينت في الجزء الرابع...) فلا نجد لهذا الجزء المشار إليه أثراً في الكتاب إلا مايؤيد ما ذهبت إليه ؛ فإنه قال في ص ٢١٠ وقد تم في كتابي هذا الذي سميته الدين والدولة فساد اليهودية وبطلانها، ومخازي الثنوية والدهرية وضلالها .

لكن الذي يثير التساؤل هو : هذا الكتاب لقي عناية كثير من الباحثين والمستشرقين[1] ومع ذلك لم أجد من سبقني إلى الإشارة إلى هذا النقص من قريب أو بعيد؟

---

(١) انظر الفكر الإسلامي في الرد على النصارى ، ص ١٣١ - ١٣٢ . وقد أشار إلى مجموعة من المستشرقين عنيت بهذا الكتاب دراسة وبحثاً.

الخلاصة ـ استطيع أن أؤكد – وأنا على يقين ـ أن كتاب «الدين والدولة» لعلي بن ربّن الطبري لم يصل إلينا كاملاً ، فقد افتقد منه :

١ ـ الباب الأول الذي تحدث فيه عن خلافة المتوكل ...

٢ ـ الجزء الثالث من الكتاب الذي تحدث فيه عن تناقض شريعة النصارى، ومن المحتمل أن يكون هذا هو الجزء الثاني من الكتاب؛ لأن المؤلف قال : وقد بينت ذلك في الجزء الذي يتلو هذا الجزء .

٣ ـ الجزء الرابع الخاص بالرد على اليهود وغيرهم من الثنوية والدهرية .

فيفترض على هذا أن المؤلف قد قسم كتابه إلى أربعة أجزاء وهي :

١ ـ الجزء الأول عن الخلافة العباسية .

٢ ـ الجزء الثاني عن مقاييس العبر ، وبشارات الأنبياء بنبينا محمد ﷺ

٣ ـ الجزء الثالث في الرد على النصارى .

٤ ـ الجزء الرابع في الرد على اليهود وغيرهم من الثنوية والدهرية .

المبحث الثاني : المتطبب

المطلب الأول : اسمه ومولده ونشأته :ـ

هذا المهتدي لم يلق العناية التي تحفظ لمن خلفه سيرته وأثره، فلم تذكره كتب التراجم القديمة. أما المتأخرون فقد ذكره كل من صاحب كشف الظنون [1] وصاحب هدية العارفين[2] وأوردا اسمه صريحاً ، مضافاً إلى كتابه، وذكرا هدايته وإسلامه، فقالا: نصر بن يحيى بن عيسى ، كان نصرانياً ، ثم أسلم ، واشتهر بالمهتدي ، له كتاب «النصيحة الإيمانية في فضيحة الملة النصرانية» .

أما القدماء فقد أوردوا اسماً مقارباً له وهو: يحيى بن سعيد المعروف بابن مارى ، من أهل البصرة .[3] واختلفوا في اسمه واسم أبيه ؛ فهو عند ابن أبي أصيبعة : أبو نصر سعيد بن أبي الخير بن عيسى المسيحي[4] . وعند القفطي : يحيى بن سعيد بن ماري أبو العباس الطبيب النصراني

---

(١) كشف الظنون ، ج ٢ ، ص ١٩٥٧ – ١٩٥٨.

(٢) هدية العارفين ، تأليف إسماعيل باشا البغدادي ، نشر مكتبة الإسلامية ، طهران ، ط ٣ ، ج ٢ ، ص ٤٩٢.

(٣) انظر معجم الأدباء لياقوت الحموى ، ج ٢٠ ، ص ٤٠ – ٤١.

(٤) انظر عيون الأنباء ، ج ٢ ، ص ٣٢٩ – ٣٣٠.

المعروف بالمسيحي[1] . وعند ابن العماد الحنبلي في شذراته : يحيى بن سعيد النصراني [2] . كما ذكر هذا الاسم من المحدثين صاحب معجم الأطباء فقال: يحيى بن يحيى المعروف بابن ماري المسيحي[3] . وكارل بروكلمان فقال : الطبيب المسيحي يحيى بن يحيى بن سعيد المعروف بابن ماري النصراني البصري . [4] فاختلفوا في اسمه واسم أبيه وكنيته ، واتفقوا على أنه نصراني من أهل البصرة ، وأنه كان طبيباً وأديباً ، وعرفه بعضهم بابن ماري ، كما ذكر بعضهم أنه توفي بالبصرة عام ٥٨٩ هـ .

وقد ورد اسمه على ثلاث روايات في ثلاث نسخ خطية لكتابه النصيحة الإيمانية، إذ كُتب اسمه على إحدى النسخ : نصر بن يحيى بن سعيد المتطبب، وفى نسخة أخرى : نصر بن عيسى المتطبب بينما جاء في النسخة الثالثة : نصر بن يحيى بن عيسى بن سعيد المتطبب، كان نصرانياً متطبباً [5] فهذا كل ما توصلت إليه عن هذا الرجل من خلال المصادر التي بين يدي .

---

(١) انظر إخبار العلماء بأخبار الحكماء ، ص ٢٣٦ . وانظر مختصر الزوزوني ، ص ٣٦٠ – ٣٦١.

(٢) شذرات الذهب ، تأليف عبد الحي بن العماد الحنبلي ، نشر دار المسيرة ، بيروت ، ط ٢. ١٣٩٩هـ ، ج ٤ ، ص ١٨٥.

(٣) انظر معجم الأطباء ، تأليف د. أحمد عيسى ، نشر دار الرائد العربي ، بيروت ، ط ٢ ، عام ١٤٠٢هـ ، ص ٥١٧.

(٤) تأريخ الأدب العربى ، ج ٥ ، ص ١٥٤ – ١٥٥.

(٥) انظر مقدمة النصيحة الإيمانية في فضيحة الملة النصرانية ، ص١٦–٤٨.

إذاً نخلص من هذا أن هذا المهتدي لم تذكره كتب التراجم قديماً ، ولعل المصدر الذي اعتمد عليه كل من صاحب كشف الظنون وصاحب هدية العارفين هو النسخ الخطية للكتاب، أو مصدر لم يصل إلينا أو لم نطلع عليه [1].

وقد افترض محقق الكتاب (أن هذا المتطبب الذي ترجم له الأقدمون هو صاحبنا: نصر بن يحيى نفسه، وقد وقع تصحيف في كتابة الاسم الأول نصر فتصحفت إلى يحيى، وهو غير بعيد الوقوع، ونفترض أن هذا قد وقع عند أقدم من ترجم له، وقد نقل المترجمون الباقون عنه دون تمحيص، ومما يساند هذا الافتراض أن صاحبنا قد عاش بعد سنة ٤٤٩ هـ يقيناً؛ لأنه قد نقل مقطوعة شعرية من لزوميات أبي العلاء المعري ، ومما يسانده كذلك أن كلا الرجلين طبيب ، وأن كتب التراجم قد وصفته بأنه كاتب وأديب وشاعر ...وهذا قد تجلى في كتابه من حيث الجزالة والفخامة وحسن السبك)[2].

وعلى كلا الاحتمالين سواء كان نصر هذا هو الذي ترجم له الأقدمون ، أم هو غيره ؛ فالذي يعني الباحث ، وطالب الحقيقة أن هذا الرجل مؤلف هذا الكتاب كان نصرانياً متقدماً في صناعة الطب ، وأديباً بارعاً ، وعالماً في ديانة قومه ..وبعد دراسته لأصول دينه خرج مقتنعاً أن

(١) انظر المصدر السابق ، ص١٥-١٧.

(٢) المصدر السابق ، ص١٧-١٨.

دينه لا يقوم على أصل ؛ فقرر هجره والهجرة منه ، والانتقال من الكفر إلى الإسلام ، ويصف حاله قبل إسلامه أنه نشأ على ملة أبويه، متبعاً لدينهما، مقتفياً لطريقهما، سائراً على آثارهما، وأنه تاه في بحار الضلالة، وركض في ميدان الجهالة، وشارك الجاحدين في أفعالهم ، والمشركين في أقوالهم، والكافرين في ضلالهم [١].

ولم يذكر كم كان عمره عند إسلامه؟ ولكن الذي يظهر من قوة أدلته، وبراعة أسلوبه، وتسديد حجته؛ أنه أسلم بعدما تقدم به العمر ، ولعله لم يعش بعد ذلك طويلاً مما تسبب في إغفال ذكره وعدم الاحتفاء به .

تأريخ وفاته : على افتراض أن نصر هذا هو من ترجم له الأقدمون ، فقد توفي في البصرة عام ٥٨٩ هـ [٢].

المطلب الثاني : دوافع إسلامه :ـ

أما وقد أغفل ذكره المتقدمون، واقتضب في خبره المتأخرون، فليس أمامي في استقصاء دوافع إسلامه سوى كتابه الذي سلّمه الله لنا ، وحفظه برهانا على تحريف المحرفين ، وانتحال المنتحلين ، وكفر النصارى الضالين ـ أستخرج منه أسباب إسلامه، وإن خلا من ذكر العقبات التي واجهته بعد هدايته ، ولكن يبدو أنه لقي عنتاً من بني ملته، وتسفيهاً من

(١) انظر المصدر السابق، ص٤٩ ، ٥٤-٥٥.

(٢) لم أتمكن من معرفة العصر الذى نشأ فيه ، ولأنه من المحتمل أنه في القرن السادس ، ومن أهل البصرة ، فقد تكلمت عن هذه البيئة في المبحث الأول من هذا الباب.

بني جلدته، تشهد لذلك عباراته الغليظة التي وجهها لهم عبر كتابه، وانتقاد عقيدتهم، وسخريته من علمائهم وعبادهم وزهادهم ، وتنقّصه لعباداتهم وطقوسهم [1].

أما أسباب إسلامه كما وردت في كتابه فهي :-

١ ـ هداية الله له وإرشاده إلى طريق الخلاص، والصراط المستقيم حيث يقول:(شملتني ألطاف الله تعالى ورحمته، وعمتني أياديه ورأفته؛ فوفقني الله للإخلاص في توحيده، والخلاص من غضبه ووعيده، وأرشدني إلى ما ينجي من هول يوم الميعاد، وصرفني عن طريق الشك والإلحاد، ودلني على الهدى فقصدته، وهداني إلى الصواب فاتبعته)[2].

٢ ـ لم يكن إسلامه رد فعل لحدث ما، تسيّره العاطفة، ويؤججه الثأر، وتستهويه الإثارة ؛ إنما صدر بعد بحث وتنقيب في أسس دينه وأصوله خرج بعده متيقناً أن هذا الدين لا يعوّل على أصل، ولا يستند إلى برهان ، ولا تؤيده حجة ، إنما قوم جهال اقتدوا بقوم لا يعقلون ، واتبعواقوماً كاذبين ؛ فضلوا وأضلوا وضلوا عن سواء السبيل ؛ فعند ذلك ربأ بنفسه عن اتباعهم ، والسير في

(١) انظر المصدر السابق ص: ٥١ – ٥٥ ، ١٤٦–١٤٩.

(٢) المصدر السابق ، ص ٤٩.

ركابهم ، وابتغى لنفسه طريقاً، لا يضل فيه ولا يشقى ، فبحث في سِير النبيين صلوات الله وسلامه عليهم، فوقف على اليقين أن الدين عند الله الإسلام [1].

٣ ـ آيات رسولنا ﷺ : لما تفحص الآيات التي أظهرها الله على يد رسوله ﷺ ؛ عرف أنه هو خاتم الأنبياء والمرسلين ، وأن شريعته هي الشريعة الواضحة ، فلما بان له الحق اتبعه وصدقه ، وشهد أن لا إله الا الله ، وأن محمداً رسول الله ﷺ [2].

٤ – بشارات الأنبياء السابقين عليهم السلام بنبينا محمد ﷺ ، هذا المهتدي وجد أن كتب ديانته السابقة لا تزال تحمل بعض شواهد الحق من بقية بشارات الأنبياء السابقين عليهم السلام بنبينا محمد ﷺ ؛ فكانت هذه الدلائل سبباً في رفع الغشاوة عن عينيه [3] .

(١) انظر المصدر السابق ، ص ٥١ – ٥٢ ، ١٤٧ .
(٢) انظر المصدر السابق ، ص ١٣٩ وما بعدها.
(٣) انظر المصدر السابق ، ص ١٣٨ – ١٤٨ .

المطلب الثالث : القيمة العلمية لكتابه النصيحة الإيمانية :ـ

يقع هذا الكتاب في ١٦٠ صفحة من الحجم الكبير ، متضمنة ٤٧ صفحة كمقدمة ودراسة عن الكتاب والمؤلف قدمها المحقق الفاضل .

المحتوى : قسم المؤلف كتابه إلى أربعة فصول : ذكر في الفصل الأول مذاهب النصارى واعتقاداتهم . ورد على دعاوى النصارى ، وبيان تناقضهم في كلامهم في الفصل الثانى، أما الفصل الثالث فقد ضمنه معجزات المسيح عليه السلام التي دُعي من أجلها إلها، وقابلها بآيات الأنبياء التي تماثلها وتفوقها، وخصص الفصل الرابع للدلائل على نبوة سيد المرسلين صلوات الله وسلامه عليه من التوراة والإنجيل .

طبعات الكتاب :ـ

طبع المرة الأولى عام ١٣١٢هـ بمطبعة العاصمة بالقاهرة، وطبع للمرة الثانية عام ١٤٠٦هـ بتحقيق د .محمد الشرقاوي ، نشر دار الصحوة في القاهرة .

هدفه من التأليف :ـ

لما منّ الله عليه بالخروج من الظلمات إلى النور؛ عزم على تأليف

كتاب يذكر فيه نبذاً من أحوال النصارى واختلاف مذاهبهم ، وآرائهم واعتقاداتهم ، وعدد أناجيلهم في السابق وكم وصلت في عهده ، ويبين فيه كيف عبدوا الصليب وعظموه ؛ لعلهم يرجعون، ويبين لهم أن اعتقادهم لا يعول على أصل ولا برهان ولا حجة . ووجه الكتاب ابتداء إلى علمائهم ومشايخهم.

منهجه :

اعتمد في منهجه سرد أقوال الخصم كل فرقة على حدة في القضايا محل النزاع، ثم مناقشتها وتفنيدها، مجلباً عليهم بخيل النصوص ، ورجل الحجج العقلية، ولأنه وجهها بالمقام الأول إلى علماء قومه فقد قدر هذا التوجيه، وأخذ لهذا الأمر عدته، فجمع عليهم بين صريح المنقول ، وصحيح المعقول ، وقد صاغها المؤلف بأسلوب أدبي رائع، تظهر عليه جزالة الألفاظ وفخامتها، وسلاسة العبارات، تبدو كأنها العِقْد في تناسقه وتآلفه .

القيمة العلمية لكتابه : النصيحة الإيمانية :ـ

من العسير على المرء أن يُقيّم كتاباً ما ـ فيعطي حكماً، ويذكر تقييماً، ويعدد الإيجابيات، ويسرد السلبيات ؛ لأنه مهما أوتي من بلاغة القول، وقوة الفهم، والإحاطة بهذا العلم؛ فلن يستطيع أن يوفي الكتاب حقه كاملاً، ويعطي القارىء الصورة الحقيقية ، فربما ذكر شيئاً وغابت عنه أشياء ، وربما تحفّظ على عبارة حملها على غير محملها ، أو فهمها على غير وجهها .

وعلى هذا فأقول : إن المميزات التي ترفع قيمة هذا الكتاب هي :ـ

١ ـ أن هذا الأثر لعالم من علماء النصارى جمع بالإضافة إلى فقهه في دينهم ، التفوق في اللغة العربية ، والمعرفة بصناعة الطب ، والدراسة لسير الأولين من الأمم والرسل؛ فجاء كتابه هذا ليحتوي على أغلب الخصائص التي اشتملت عليها هذه الفنون ، ليصبها في قالب هذا الكتاب ؛ ليخرج في حلة قشيبة ، دثارها البلاغة ، ولحمتها الدليل والبرهان، وسياجها الحجج العقلية الملزِمة .

٢ ـ اتحاف الأمة الإسلامية بنصوص من نصوص التوراة والإنجيل باللغة العربية من ترجمته ، أو من التراجم العربية المتوافرة في عهده لم تنلها يد العبث بالتحريف والتبديل منذ القرن الخامس الهجري ـ تقريباً ـ وهذه النصوص لا تكاد توجد بألفاظها في النسخ المتداولة اليوم ، وهذا في حد ذاته يرفع من قيمة الكتاب ويجعله في مصاف وثائق إدانة اليهودية والنصرانية[١].

٣ ـ أنه صوّب سهامه إلى شريعة إيمانهم، وهو ما يسمى اصطلاحاً بـ« الأمانة » أو «قانون الإيمان » وبيان مخالفتهم لهذا القانون، ومناقضتهم له، بل وضّح تناقض هذا القانون في نفسه، وتناقضه مع المسلّمات العقلية، والحقائق العلمية [٢] .

(١) أود أن أشيد بالمحقق الذي سلّم لنا هذه النصوص كما كتبها المؤلف ، ولم يحاول كعادة كثير من العابثين المحققين لمصنفات الأقدمين الذين يظنون أن المؤلف جانبه الصواب لما أورد نصوصاً لم يجدوا لها مماثلاً في النسخ المتداولة اليوم ، فاستبدلوا بالنص القديم النص الجديد ، أو يذكرون النص الجديد بالهامش مضيفين إليه بعض العبارات التي تدل على أن المؤلف جانبه الصواب.

(٢) وقد سبقني إلى ذكر هذا الجانب د . الشرقاوي عند تحقيقه لهذا الكتاب.

٤ ـ بالإضافة إلى الفقرة السابقة فقد أدانهم وألزمهم بنصوص كتبهم التي بين أيديهم ، وأقامها شاهدة ضد مقالاتهم واعتقاداتهم .

٥ ـ الأمانة العلمية والموضوعية في عرضه ونقله واستشهاده .

٦ ـ الحماس المنقطع النظير في الدفاع عن الإسلام، والهجوم على النصرانية ؛ كتاباً وعقيدة وشريعة وزهاداً وعبّاداً وعلماء، وإثبات ضلالهم، وبعدهم عن الصواب، ومخالفتهم لهدي المرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ، وهذا الحماس لم يخرجه عن الموضوعية والتجرد في تدوينه .

المآخذ :ـ

رغم هذه القيمة العلمية للكتاب ؛ إلا أنه لم يخل من بعض المآخذ التي لا تنقص من قدر الكتاب ، ولا تحط من شأنه ، وهذه المآخذ هي :ـ

١ ـ ذكر في ص ١٣٤ أن المسلمين اختلفوا في القَدَر ، فمنهم من قال به ، ومنهم من دفعه، وأن هذا الاختلاف لا يقع معه كفر. وقد خالفه الصواب في ذلك ؛ لأن الإيمان بالقَدَرِ أحد أركان الإيمان ، ومن دفعه فقد كفر ، ولعل تراثه النصراني أوقعه في ذلك .

٢ ـ قال في ص ١٣١ :(وليس الأكل والشرب من طباع إله ولا رب يعبد) وفى التعبير تجاوز ، ولواستبدل « الطبع » بالوصف لكان أسلم .

المبحث الثالث : الترجمان

المطلب الأول : اسمه ومولده ونشأته : —

اسمه قبل إسلامه أنسلم تورميدا، وبعد إسلامه تسمي بـ: عبد الله بن عبد الله، وتلقب بالترجمان؛[1] لتكليفه بهذه الوظيفة[2] من قبل السلطان الحفصي أبي العباس[3] أحمد المستنصر. وتكنى بأبي محمد بعد أن رزقه الله ولداً. ونسب إلى ميورقة ، فيكون اسمه أبا محمد عبد الله بن عبد الله الترجمان الميورقي .

---

(١) انظر ترجمته في: تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب ، ص ٦١ – ٩١ ، حيث ترجم لنفسه . وإتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان ، لأحمد بن أبي الضياف ، تحقيق لجنة من كتاب الدولة للشئون الثقافية ، الجمهورية التونسية ، ج ١ ، ص ١٨٠ . وكشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، ج ١ ، ص ٣٦٢ . وهدية العارفين ج ١ ، ص ٤٦٨ . ومعجم المؤلفين ج ٦ ص ٧٨. والحلل السندسية في الأخبار التونسية ، تأليف محمد بن محمد الأندلسي ، تحقيق محمد الهيلة ، نشر دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٨٤م ، ج ٢ ، ص ١٨٥ – ١٨٧ . وتراجم المؤلفين التونسيين ، تأليف محمد حافظ ، نشر دار الغرب الإسلامي ، ط ١ ، ١٩٨٢م ، ج ١ ، ص ٢٢٥ – ٢٣١ . وتأريخ الدولتين الموحدية والحفصية ، تأليف أبي عبد الله بن إبراهيم الزركشي ، تحقيق محمد ماضور ، نشر المكتبة العتيقة ، تونس ، ط ٢ ، ١٩٦٦م ، ص ١٥٢ . وشجرة النور الزكية «التتمة» تأليف محمد مخلوف ، نشر دار الكتاب الإسلامي بيروت ص ١٤٨ . ومجلة البحوث الإسلامية ، عدد ٢٣ ، ص ٣٦٩ – ٣٨٨ ، وانظر هامش ص ٣٦٠ من : صفحات من تأريخ تونس ، تأليف محمد الخوجة ، تحقيق حمادي الساحلي ، نشر دار الغرب الإسلامي ، ط ١، ١٩٨٦م.

(٢) انظر تحفة الأريب ، ص ٧٧.

(٣) انظر ترجمته في الأدلة البينة النورانية على مفاخر الدولة الحفصية ، تأليف أحمد الشماع طبع في مطبعة تونس ١٣٥٥هـ ، ص ١٣٨ . والحلل السندسية ، ص ١٧٩ – ١٨٥ . وشجرة النور الزكية «التتمة» ص ١٤٨ .

هذا المهتدي لم يرو لنا المترجمون له عن حياته إلا النزر اليسير، إذ ذكروا قدومه في حياة أبي العباس، وإسلامه على يديه، وتأليفه لكتابه «تحفة الأريب» ، ولكنه ضمّن كتابه هذا فصلاً كاملاً عن ابتداء حياته، وطلبه للعلم، وسبب إسلامه، وخروجه من النصرانية إلى الملة الحنيفية، وسيكون جلّ اعتمادي في التعريف به على ما كتبه عن نفسه؛ لأنه أساس كل من كتب عنه من قبل، كما أنه جعل الفصل الثاني من كتابه فيما اتفق له أيام أبي العباس وأبي فارس[1] ، وطرفاً من سيرته ، فكانت هذه النبذة عن تونس وماجاورها، وعن هذه الفترة الزمنية ـ هي التي اعتمد عليها المؤرخون فيما بعد[2] .

مولده : ولد ببلدة ميورقة[3] سنة ٧٥٦هـ تقريباً؛ لأنه ذكر أن عمره خمسة وثلاثون عاماً لما مثل بين يدي السلطان الحفصي لإعلان إسلامه، وأنه بعد خمسة أشهر من إسلامه كلفه بالترجمة، فأتقن اللسان العربي في ظرف سنة واحدة ، وحضر غارة الفرنسيين الصليبيين على المهدية، وهذه الغارة قد وقعت في عام ٧٩٢ هـ[4].

---

(١) انظر ترجمته في الأدلة البينة النورانية ، ص ١٤٤ وما بعدها ، والمؤنس في أخبار أفريقيا وتونس ، تأليف محمد بن أبي القاسم الرعيني القيرواني ، تحقيق محمد شمام ، نشر المكتبة العتيقة ، ط ٢ ، ١٩٦٦م ، ص ١٥٢ . وشجرة النور الزكية «التتمة» ص ١٤٩.

(٢) اعتمد عليه صاحب المؤنس ، وصاحب تأريخ الدولتين ، وأفاد منه صاحب الحلل السندسية بإسلوب غير مباشر ، إذ نقل عن المؤنس.

(٣) انظر تحفة الأريب ، ص ٦١.

(٤) انظر تأريخ الدولتين ، ص ١١٢ - ١١٣ ، والأدلة البينة ، ص ١٤١ . وتحفة الأريب ، ص ٧٧.

نشأته وطلبه للعلم: نشأ في مدينة «ميورقة» ، ذات الحصون المنيعة ، والأسوار العامرة ، والعيون المتدفقة ، والأشجار المثمرة ، والظلال الوارفة ،[1] وكان أبوه محسوباً من أهل حاضرتها ، فأولاه ما استطاع من عناية ورعاية ، فأسلمه لما بلغ ست سنين إلى قسيس فقرأ عليه الإنجيل ، حتى حفظ شطره في مدة سنتين ، ثم أخذ في تعلم لغة الإنجيل ، وعلْم المنطق في ست سنين ، وشغف بطلب العلم ، والسعي إلى تحصيله ، والرحلة في سبيله ، ولو كلفه ذلك فراق الأهل والبلد ؛ فارتحل من بلده ميورقة إلى بلدة «لاردة» وهي مدينة العلم عند النصارى في تلك النواحي ـ وبها تجتمع طلبة العلم منهم ـ فتعلم فيها علم الطبيعيات وعلم النجوم في مدة ست سنين ، وبعد ذلك أحس من نفسه القدرة على التعليم ؛ فتبوأ مكان التعليم فيها ، لتدريس لغة الإنجيل لمدة أربع سنين .

ثم ارتحل مرة أخرى لنفس الغرض إلى مدينة «بلونية» وهي مدينة علم عند النصارى ، يفد إليها آلاف الطلاب في كل عام ؛ لتلقي العلم في رحابها ، وشُغلَ ـ في هذه الفترة ـ بطلب العلم عن طلب الدنيا ، وانقطع إليه معرضاً عنها ، باذلاً كل وقته في تحصيله ، ممتهناً نفسه في خدمة علماء ملته ؛ حتى ينال منهم ماضنوا به على عموم طلبة العلم ، ويجودون به على خواصهم ، فسكن لأجل تحقيق هذه الغاية في كنيسة لقسيس

(١) انظر المصدر السابق ، ص ٦١ – ٦٢.

كبير القدر عندهم، رفيع المنزلة بينهم، مضطلع بالعلم، مشهور بالزهد ، معروف بالتدين، بلغ منزلة انفرد بها بين أهل زمانه، فكانت تأتيه الأسئلة مشفوعة بالهدايا؛ لطلب إجابته ونوال بركته، فما يزال يتقرب إليه ويخدمه، ويعتني بشأنه، ويقوم بكثير من وظائفه؛ حتي أصبح من خواصه، فقرأ عليه أصول النصرانية وأحكامها، واستمر ملازماً له ـ على هذه الحال من الخدمة والتتلمذ ـ قرابة عشر سنين؛ حتى حدث موقف صراحة وصدق بين الرجلين [1]؛ أدى بهذا المهتدي إلى الخروج من النصرانية، والهجرة إلى ديار المسلمين ، واعلان إسلامه .

المطلب الثاني البيئة التي نشأ بها :ـ

نشأ في بيئتين مختلفتين تمام الاختلاف، متباينتين أشد التباين؛ فالأولى بيئة نصرانية صِرْفة، في مدارسها تلقي علوم النصرانية، وحفظ شطر كتابها، ودرس بعض المعارف العامة المشاعة، وعلي أحبارها جدد دراسة النصرانية، وأحكم أصولها، وتنقل بين مدنها المشهورة بالعلم، ونهل منها وأمضي السنوات الطوال فيها، ولازم أعلم أهل زمانه بالنصرانية، وتربي على يديه، فنشأة في هذه البيئة لن تنتج مسلماً، بل ستربي نصرانياً جلداً، يعمّد بالتغطيس، ويتقرب إلى الله بالتثليث، ويطلب

(١) تفاصيل هذا الموقف تأتي إن شاء الله في المطلب الثالث ، من هذا المبحث ، ص ٢٠٨

المغفرة من القسيس...ولكن إذا أراد الله شيئاً يسر أسبابه، فكما جعل الله النار برداً وسلاماً؛ جعل هداية هذا المهتدي وخروجه من النصرانية إلى الحنيفية على يد أحد هؤلاء القساوسة.

أما البيئة الثانية التي انتقل إليها بعد إسلامه فهي: بيئة إسلامية، وهذه البيئة هي تونس ما بين عامي ٧٩١هـ - ٨٣٠هـ ، وسندرس هذه البيئة من خلال الجوانب السياسية والعلمية :

الجانب السياسي: في هذه الفترة كان الوالي على تونس أبا العباس أحمد المستنصر الحفصي الذي وصل إلى سدّة الحكم فيها عام ٧٧٢هـ امتداداً لسلسلة السلطة الحفصية هناك، ودامت ولايته ٢٤سنة، إذ توفي عام ٧٩٦هـ[١]. وخلال فترة حكمه وحكم ابنه من بعده الذي استمر ٤١ سنة حتي عام ٨٣٧هـ ـ كانت هناك غارات صليبية على شواطيء تونس وما جاورها، وكانت هناك بعض الحملات الجهادية الإسلامية على بعض مواقع الصليبيين، وتختلف نتائج هذه الغارات وخسائرها باختلافها قوة وضعفاً، فمن هذه الغارات: غارة الفرنسيين على المهدية عام٧٩٢هـ[٢]. وعلي قرقنة عام٨٢٧هـ[٣]، وعلي جربة عام ٨٣٥ هـ[٤].كما أن أسطول أبي فارس الحفصى في أول أيامه هاجم مدينة

(١) انظر الأدلة البينة النورانية ، ص ١٣٨.

(٢) انظر المصدر السابق ، ص ١٤١ . والحلل السندسية ، ج ٢ ، ص ١٨٣ - ١٨٤ . وتأريخ الدولتين ، ص ١١٢ - ١١٣.

(٣) انظر المصدر السابق ، ص ١٢٠.

(٤) انظر المصدر السابق ، ص ١٢٩ - ١٣٠.

طرقونة في جزيرة صقلية واستولى عليها، وفتحها عنوة، وهدم أسوارها، وأتى منها بالغنائم [1].

يتضح من ذلك أن سواحل هذه الدولة غير آمنة؛ بل معرضة لغزوات النصارى، وانتهاكاتهم لحدودها الساحلية، أما الحدود الأخرى فلم تسلم من هجمات الأمراء المجاورين، فخلال فترة حكم أبي عبد العزيز وحكم ابنه من بعده كانت هناك مناوشات وحروب مع جيرانهم الذين يستغلون انشغال الأمراء الحفصيين بتصريف أمورهم الداخلية، أو مواجهة الصليبيين، فيغيرون على ماوالاهم من المدن والقرى، فيحتلونها مما يضطره إلى إرسال الجيوش لاستردادها وضمها تحت لوائه[2].

وقد ورث الأمير أبو عبد العزيز المستنصرُ السلطة وكانت بعض المنكرات متفشية في بلده، وتتسلم الدولة منها الضرائب لإقرارها. ولما تولى بعده ابنه أبو فارس قام بإلغاء هذه المنكرات وقطع ما كان يجبى منها، وأزالها من مكانها واستبدل بها دور العبادة والعلم[3]. كما استطاع أن يقضي على كثير من المناوئين له من الأمراء المجاورين ، وأن يوسع سلطته ويضم كثيراً من المدن والقرى إلى أعماله، ورغم كل ذلك فيعتبر حكم هذين الأميرين من أزهي عصور بني حفص، وأكثرها رخاء كما ذكر ذلك صاحب «تأريخ الدولتين» حيث قال : (فاستقامت الأمور بتونس في

(١) انظ تحفة الأريب ، ص ٨٩.

(٢) انظر لإخبار هذه الحروب تأريخ الدولتين ، ص ١٠٧ - ١٠٩ . و ص ١١٨ ، ١٢٠ ، ١٢٣ ، ١٢٤.

(٣) انظر تحفة الأريب ، ص ٨٥.

أيامه كلها [أى أبي فارس] أحسن استقامة، وأحدث في أيامه بتونس حسنات دائمة)[1]. ويوضح هذه الصورة الأستاذ أحمد شلبي على وجه الإجمال فيقول: (أزهى عصور بني حفص عصر أبي زكريا، وعصر ابنه المستنصر، ثم عصر أبي العباس أحمد وعصر ابنه أبي فارس عبد العزيز ، الذي استراح الناس إلى حكمه الطويل إذ بلغت مدة حكمه إحدى وأربعين سنة، ولعل في طول المدة التي قضاها أبو العباس أحمد وابنه أبو فارس والتي بلغت حوالي ست وستين سنة ما يكشف عن هدوء الدولة في ذلك الوقت)[2] .

الجانب العلمى: رغم هذا الاضطراب الحدودي لهذه الدولة، فقد كان روادها ممن حباهم الله توقير العلماء، والاهتمام بالعلم، وإقامة المدارس ووقف الوقوف عليها، وإنشاء المكتبات العامة، ولم يقتصر هذا الاهتمام على العلوم الشرعية فحسب، بل تعدى ذلك إلى علوم العربية والطب والحساب والأدب والتأريخ... وقد فاق هؤلاء السلاطين أبو فارس الحفصى؛ إذ كان موقراً للعلماء، حريصاً على ملازمة قراءة العلم في مجلسه سفراً وحضراً، ومن حسناته خزانة الكتب المشتملة على أمهات الدواوين التي أخرجها من قصره، وجعلها تابعة لجامع الزيتونة، وأوقفها

(١) تأريخ الدولتين . ص ١١٥.

(٢) موسوعة التأريخ الإسلامي ، ج ٤ ، ص ٣٠٤ . وانظر المؤنس فقد مدح وأطنب في هذا الصدد ، ص ١٥٥.

على طلبة العلم ينتفعون بها بالنظر والنسخ وجعل لها قَوَمة يقومون بها، وهذا الإهتمام لم يقتصر على مدينة واحدة بل شمل كثيراً من المدن[1].

المطلب الثالث : دوافع إسلامه :ـ

يقول الحق تبارك وتعالى : ﴿ فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ﴾ [2]. ويقول أيضاً: ﴿ أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه ﴾ [3]. وهذا المهتدي أرجع سبب إسلامه إلى أسباب ذكرها في كتابه وهي :ـ

١ ـ منّة الله عليه إذ يقول : (منّ الله عليّ بالهداية إلى الصراط المستقيم والدخول في دين الله القويم، الناسخ به كل دين، الذي بعث به حبيبه وصفيه محمداً المجتبى المختار المصطفى من بين النبيين والمرسلين، ﷺ إلى يوم الدين)[4].

٢ ـ صراحة معلم في موقف صدق: خلال إقامته في كنيسة ذلك القسيس[5]، وملازمته وخدمته له، كان من عادة هذا القسيس حضور

(١) انظر الأدلة البينة النورانية ، ص ١٤٤ . والمؤنس ، ص ١٥٣ . وتحفة الأريب ، ص ٨٧ . وتأريخ الدولتين، ص ١١٦ . وشجرة النور الزكية «التتمة» ، ص ١٤٩ .

(٢) سورة الأنعام ، الآية ١٢٥.

(٣) سورة الزمر ، الآية ٢٢.

(٤) تحفة الأريب ، ص ٥٤.

(٥) الذى سبق ذكره تحت عنوان : نشأته وطلبه للعلم.

مجلس أقرانه من الأحبار، وبعد ما تقدمت به السن، ووهنت قواه؛ تخلف يوماً عن حضور مجلسهم ، فانتظـروه وهم يتذاكرون مسائل من العلوم ؛ حتي أفضي بهم الكلام إلى بشارة موجودة في الإنجيل بنبي قادم بعد المسيح، وهذا النبي سمي بلغة الإنجيل « بارقليط»[1]. ولنترك هذا المهتدي يروي لنا هذا الموقف : (فبحثوا في تعيين هذا النبي، من هو من الأنبياء ؟ وقال كل منهم بحسب علمه وفهمه، فعظم بينهم في ذلك مقالهم وكثر جدالهم، ثم انصرفوا من غير تحصيل فائدة في تلك المسألة، فأتيت مسكن الشيخ صاحب الدرس المذكور، فقال لي: ما الذي كان عندكم اليوم من البحث في غيبتي عنكم؟

قال : فأخبرته باختلاف القوم في اسم «البارقليط »، وأن فلاناً قد أجاب بكذا ، وأجاب فلان بكذا... وسردت له أجوبتهم.

فقال لي : وبماذا أجبت أنت؟

فقلت : بجواب القاضي فلان في تفسيره الإنجيل.

فقال لي: ما قصرت، وقربت ، وفلان أخطأ ، وكاد فلان أن يقارب، ولكن الحق خلاف هذا كله؛ لأن تفسير هذا الاسم الشريف لا يعلمه إلا العلماء الراسخون في العلم، وأنتم لم يحصل لكم من العلم إلا القليل ، فبادرت إلى قدميه أقبلهما.

---

(١) انظر تفاصيل هذه البشارة في الباب الثاني من هذا البحث ص ٦٣٥.

وقلت له: ياسيدي! قد علمت أني ارتحلت إليك من بلد بعيد، ولي في خدمتك عشر سنين، حصّلت عنك فيها من العلوم جملة لا أحصيها، فلعل من جميل إحسانكم أن تمنوا عليّ بمعرفة هذا الاسم ، فبكى الشيخ .

وقال لي : ياولدي والله أنت لتعز عليّ كثيراً من أجل خدمتك لي وانقطاعك إليّ، في معرفة هذا الاسم الشريف فائدة عظيمة ؛ لكنني أخاف عليك أن يظهر ذلك عليك فتقتلك عامة النصارى في الحين .

فقلت له :ياسيدي! والله العظيم وحق الإنجيل ومن جاء به لا أتكلم بشيء مما تسره إليّ إلا عن أمرك.

فقال لي: ياولدي! إني سألتك في أول قدومك عليّ عن بلدك، وهل هو قريب من المسلمين؟ وهل يغزونكم أو تغزونهم؟ لأختبر ما عندك من المنافرة للإسلام؛ فاعلمْ ياولدي أن «البارقليط» هو اسم من أسماء نبيهم محمد ﷺ، وعليه نزل الكتاب الرابع المذكور على لسان دانيال عليه السلام، وأخبر أنه سينزل هذا الكتاب عليه وأن دينه هو الحق ، وملته هي الملة البيضاء المذكورة في الإنجيل .

قلت له :ياسيدى! وما تقول في دين هؤلاء النصارى ؟

فقال لي: ياولدي! لو أن النصارى أقاموا على دين عيسى الأول لكانوا على دين الله؛ لأن عيسى وجميع الأنبياء دينهم دين الله. ولكن بدلوا وكفروا.

فقلت له : ياسيدي ! وكيف الخلاص من هذا الأمر؟

فقال: ياولدي ! بالدخول في دين الإسلام.

قلت له : وهل ينجو الداخل منه[1] ؟

قال لي : نعم ينجو في الدنيا والآخرة.....إلي أن قال :ـ

فقلت له : ياسيدي! أفتدلني أن أمشي إلى بلاد المسلمين وأدخل في دينهم ؟

فقال لي : إن كنت عاقلاً طالباً للنجاة ، فبادر إلى ذلك تحصل لك الدنيا والآخرة ، ولكن ياولدي! هذا أمر لم يحضره أحد معنا فاكتمه بغاية جهدك؛ وإن ظهر عليك شيء منه قتلتك العامة لحينك، ولا أقدر على نفعك....ثم أخذت في أسباب الرحلة ، وودعته فدعا لي عند الوداع بخير، وزودني بخمسين ديناراً ذهباً.)[2]

٣ ـ دلائل الإسلام القاطعة وبراهينه الساطعة :يقول الحق :﴿يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا إليكم نوراً مبينا﴾ [3]. ويقول أيضاً ﴿ وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ماكنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نوراً نهدي به من نشاء من عبادنا وإنك لتهدي إلى

(١) كذا في التحفة ، ولعل الصواب : الداخل فيه.

(٢) تحفة الأريب ، ص ٦٦ - ٧١ . وقد حرصت على إيرادها بقلم صاحب الشأن حتى تكون أصدق تعبيراً، وأكمل وصفاً .

(٣) سورة النساء ، الآية ١٧٤ .

صراط مستقيم﴾ [1]. فهذا الكتاب أقامه الله نوراً يهدي إليه من يشاء، ويصرف عنه من طغى وآثر الحياة الدنيا، وضمّنه من الأدلة القاطعة والبراهين الساطعة ما يؤمن على مثلها البشر الباحث عن الحق، وهذا المهتدي لما أرشده ذلك القسيس إلى أن نبوة سيدنا محمد ﷺ ثابتة في الإنجيل، ارتحل إلى بلاد المسلمين ؛ ليبحث بنفسه عن هذا الدين ، وليتأمل أدلته وبراهينه، وليخالط أهله ، ولا أدل على ذلك من أنه أمضى أربعة أشهر في تونس بعد وصولها لم يعلن إسلامه [2]، ولعل الذي آخرّ إسلامه هذه المدة دراسة الإسلام، واستعراض العقبات التي ستواجهه ؛ حتى إذا اتضح له الحق ، استسلم للباري،اعلن إسلامه

الهجرة إلى الإسلام :ـ

بعدما حصلت تلك المصارحة من أستاذه ومعلمه، ودعه وانصرف راجعاً إلى بلده «ميورقة» وأقام بها ستة أشهر مع والده ،كأنه الوداع الأخير؛ لأنه يعلم أنه إن اتضحت له الأدلة وألزمته البراهين، فلن يرجع إلى أبيه . ثم سافر من بلدته إلى جزيرة «صقلية» وأقام بها ينتظر مركباً يتوجه إلى بلاد المسلمين. فحضر مركب يسافر إلى تونس، فسافر فيه، فلما نزل بشواطيء تونس، وسمع به أحبار النصارى هناك، أتوا إليه

(١) سورة الشورى ، الآية ٥٢.
(٢) انظر تحفة الأريب ، ص ٧٢.

بمركب وحملوه إلى ديارهم، فأقام بينهم وفى ضيافتهم أربعة أشهر على أرغد عيش... وبعد ذلك سأل : هل بدار السلطان أحد يحفظ اللسان النصراني؟ فأرشدوه إلى طبيب نصراني يعمل لدى السلطان أبي العباس وهو طبيبه ومن خواصه، ففرح هذا المهتدي فرحاً شديداً ، ثم سأل عن مسكنه واجتمع به وذكر له سبب قدومه ، فحمله الطبيب إلى السلطان .

فلما مثُل بين يديه سأله عن عمره ؟ فأخبره أنه خمسة وثلاثون عاماً، ثم سأله عن العلوم التي درسها ؟ فأخبره ، فرحب به السلطان ودعاه إلى الإسلام فقال هذا المهتدي :(إنه لا يخرج أحد من دين إلا ويكثر أهله القول فيه والطعن فيه، فأرغب من إحسانكم أن تبعثوا إلى الذين بحضرتكم من تجار النصارى وأحبارهم، وتسألوهم عني وتسمعوا ما يقولون في جنابي، وحينئذ أسلم إن شاء الله. فقال لي : أنت طلبت ما طلب عبد الله بن سلام من النبي ﷺ [1] ، ثم أرسل إلى أحبار النصارى وبعض تجارهم ، وأدخلني في بيت قريب من مجلسه، فلما دخل النصارى عليه قال لهم : ماتقولون في هذا القسيس الجديد الذي قدم في هذا المركب؟ قالوا له: يامولانا هذا عالم كبير في ديننا، وقالت شيوخنا: إنهم ما رأوا أعلي من درجته في العلم والدين في ديننا. فقال لهم: وما تقولون فيه إذا أسلم؟ قالوا نعوذ بالله من ذلك، هو ما يفعل هذا أبداً. فلما سمع ما عند النصارى بعث إليّ، فحضرت بين يديه وشهدت

(١) انظر قصة إسلام عبد الله بن سلام في صحيح البخاري ، كتاب الأنبياء ، باب ١ .

شهادتي الحق بمحضر من النصارى، فصلّبوا على وجوههم، وقالوا : ما حمله على هذا إلا حب التزويج ؛ فإن القسيس عندنا لايتزوج، وخرجوا مكروبين.)[1]وقد تم إعلان إسلامه عام ٧٩١ هـ؛ لأنه حضر غارة النصارى على المهدية عام ٧٩٢هـ وهو يقول عن نفسه:(وبعد خمسة أشهر من إسلامي قدمني السلطان لقيادة البحر بالديوان ... وحفظت اللسان العربي في مقدار عام واحد، وحضرت غارة الجنويين والفرنسيين على مدينة المهدية)[2]. إذاً فقد أمضى في ظل حكم السلطان الحفصي أبي العباس خمس سنوات، إذ توفي هذا السلطان عام ٧٩٦هـ[3].

العقبات التي واجهته :

ذكر في أول كتابه قصة خروجه من النصرانية، وهجرته من بلده إلى ديار المسلمين ، وإعلان إسلامه، وقد استنبطت منها بعض العقبات التي واجهته وهى كالتالي : -

١ ـ الخوف من القتل : حذره ذلك القسيس الذي دله على الحق وأرشده إليه وطلب منه أن يكتم هذا الأمر ولا يظهره، كما حذره من أن

---

(١) تحفة الأريب ، ص ٧٣ - ٧٥.

(٢) المصدر السابق ، ص ٧٧ ، وانظر تأريخ الدولتين ، ص ١١٢ - ١١٣.

(٣) وهذا خلاف ماذكره عبد القيوم البستوي في تعريفه له في مجلة البحوث الإسلامية عدد ٢٣ ، ص٣٧٠. من أنه أمضى في ظل حكمه سنتين.

العامة إن ظهرت على شيء من خبره قتلته، وأرشده إلى أن السبيل الوحيد لنجاته هو الهجرة إلى ديار المسلمين ، فهاجر لهذا الغرض وفارق أهله وبلده؛ رغبة في تحصيل الفلاح والفوز في الدنيا والآخرة ."[1]

٢ ـ الإغراء : بعد مضى مدة تزيد على خمس سنوات من إسلامه ، ورد مركب من صقلية[2] ، وقد ورد في هذا المركب قسيس كبير كانت تربطه بهذا المهتدي صداقة كبيرة كأنها أخوّة من أيام الطلب، ولما سمع هذا القسيس بإسلامه صعب عليه ذلك ، وقدم لأجل دعوته للرجوع إلى دين النصارى، وأرسل له خطاباً مع أحد المترجمين، ووصل هذا الخطاب إلى السلطان أبي فارس فأمر بترجمته فترجم له ، ثم سلمه لهذا المهتدي وطلب منه أن يترجمه دون أن يخبره أنه ترجم له من قبل ـ وهذا من قبيل الاحتياط ـ وترجمه هذا المهتدي وقرأه على السلطان فقال له : لم تترك حرفاً واحداً . فقال: وبأي شيء عرفت ذلك؟. قال : بنسخة أخرى تمت ترجمتها . ثم قال له السلطان: وما جوابك عنه ؟ قال: ماعلمته منى، من كونى أسلمت باختيارى رغبة في دين الإسلام ، ولست أجيبه إلى شيء مما أشار إليه. فقال لي: قد علمنا صحة إسلامك ولا عندنا فيك شك [3] .

---

(١) تحفة الأريب ، ص ٧١.

(٢) لم أجد تأريخ قدوم هذا المركب ، ولكنه بعد مضي أكثر من خمس سنوات على إسلامه ، لأن هذا المركب لم يرد إلا في حكم أبي فارس ، وكما ذكرت سابقاً أنه أمضى في ظل حكم أبى العباس خمس سنوات.

(٣) المصدر السابق، ص ٨٠ ، بتصرف يسير.

مصنفاته : لم يذكر خلال تعريفه بنفسه في الفصل الأول من كتابه أنه ألف أي كتاب له سوى كتابه هذا « تحفة الأريب» وقد ألفه عام ٨٢٣ هـ أي بعد مضي ٣٢ سنة على إسلامه؛ لأنه أسلم في عام ٧٩١هـ فيكون عمره عند تأليفه ٦٧ سنة، ويبدو أنه كتبه وهو في سعة من الصحة والنشاط والقوة والطموح، والاستعداد والرغبة في بذل الفائدة لطلابها، وإقامة الحجة على معانديها، وإظهار الحق ودمغ الباطل وقمعه؛ يشهد لذلك أنه كان يهم بتأليف كتاب يجمع فيه بشارات الأنبياء السابقين بنبينا محمد ﷺ ، وقد أشار إلى هذا الكتاب ـ أو سمه هذا الأمل ـ في آخر كتابه التحفة[1]ولكن هذا الكتاب لم يصل إلينا، ولم أجد من أشار إليه أو نقل منه ، فلعله كتبه ولم يصل إلينا وافتقد كما افتقد غيره ، أو أن يد المنون اخترمته قبل تدوينه .

ويقول د . ميكال إيبالزا الأستاذ في جامعة اليكانتي الإسبانية عن الترجمان : (وكتب مؤلفات عديدة باللغة الكتلانية، اللغة التي تستعمل حتى الآن في جزر البليار)[2].

---

(١) انظر المصدر السابق ، ص ٢٨٣.

(٢) مجلة الحوادث عدد ١٢٧٤ ، عام ١٩٨١م ، ص ٦٢.

الأعمال التي زاولها :

اكتسب خلال تعامله مع سلاطين الأسرة الحفصية ثقة كبيرة؛ بسبب ما لمسوه منه من أمانة ونزاهة فاسندوا إليه من الأعمال: ـ

١ ـ قيادة البحر بالديوان ؛ لغرض حفظ اللسان العربي ، ومن ثم قيامه بالترجمة.[١]

٢ ـ قيامه على خزانة السلطان أبي العباس حتى وفاته.[٢]

٣ ـ بعد أن توفي السلطان أبو العباس، جدد له السلطان أبو فارس ما كان ولاه أبوه من قبل.[٣]

وفاته :

لم تذكر كتب التراجم التي ترجمت له تأريخ وفاته، غير أنه من المؤكد أنه توفي بعد عام ٨٢٣ هـ وهذا التأريخ هو تأريخ تأليفه لكتابه، وقد ذكر صاحب كتاب تراجم المؤلفين التونسيين أنه توفي بتونس[٤].

(١) انظر تحفة الأريب ، ص ٧٧.
(٢) انظر المصدر السابق ، ص ٧٨.
(٣) انظر المصدر السابق ، ص ٨٧.
(٤) انظر تراجم المؤلفين التونسيين ، ج ١ ، ص ٢٣١.

المطلب الرابع : القيمة العلمية لكتابه «تحفة الأريب»

ألّف المؤلف هذا الكتاب كما تقدم عام ٨٢٣هـ [1]، ويقع هذا الكتاب في ٤٧ ورقة خطيّة ، وبعد تحقيقه وإخراجه ظهر في ٣٢٠ صفحة، بما في ذلك الفهارس والمقدمة . وقد قسم المؤلف كتابه إلى ثلاثة فصول هي :ـ

الفصل الأول: في ابتداء إسلامه وخروجه من النصرانية إلى الملة الحنيفية ، وفيما غمره من إحسان السلطان الحفصي أبي العباس ، وما اتفق له في أيامه .

الفصل الثاني : فيما اتفق له في أيام السلطان أبي فارس ، وذكر طرف من سيرته .

الفصل الثالث : وهو مقصود الكتاب من الرد على النصارى، وإثبات نبوة سيدنا محمد ﷺ بنص التوراة والإنجيل ، وسائر كتب الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه .

وقد قسم هذا الفصل إلى تسعة أبواب : استعرض في الباب الأول منها: الأربعة الذين كتبوا الأناجيل ، وفى الباب الثاني: ذكر افتراق النصارى وتعدد مذاهبهم، وبين في الباب الثالث : فساد قواعد دين النصارى ، وخصص الباب الرابع: للحديث عن شريعتهم والرد عليها،

---

(١) انظر تحفة الأريب ، ص ٦٠ ، ٨٧.

ونفى في الباب الخامس: ألوهية المسيح عليه السلام، وأكد على تناقض أناجيلهم في هذه الدعوي ، وأوضح في الباب السادس اختلاف كُتّاب الأناجيل الأربعة فيما بينهم ، وتناقضهم في نقل النصوص ، وفند في الباب السابع : مانسبه النصارى إلى المسيح من الكذب وردّ عليهم في ذلك ، وخصص الباب الثامن : للرد على الشبهات التي يثيرها النصارى على المسلمين ، وأثبت في الباب التاسع : نبوة نبينا محمد ﷺ من خلال التوراة والإنجيل .

هذا الكتاب : أمضى مؤلفه ثلاثين سنة في دراسة النصرانية والتعمق في معرفة أصولها وأحكامها، ثم هداه الله إلى الإسلام ، وبعد مضي ٣٢ سنة على إسلامه ، وبالتأكيد أنه أمضى جلّ هذه السنوات في دراسة كتب النصرانية التي تعود دراستها ومراجعتها منذ نعومة أظفاره ، ولكن هذه الدراسة كانت بغير العقل والبصيرة والمنهج الذي تعود دراستها من خلاله، ففي هذه الدراسة كان غرضه البحث عن الحق، ونشدان الحقيقة، واستنطاق النصوص حتي تنطق بما تضمنته قبل تحريفها وتبديلها. كما رافق هذه الدراسة وهذا التتبع والتمحيص والتدقيق دراسة مؤلفات علماء المسلمين، ومقارنتها ومقابلتها ، وتبين مواضع النقص فيها، وبيان الثغرات عليها، يؤكد ذلك ما ذكره المؤلف في بيان منهجه [1]، وما سطره في الباب التاسع من هذا الكتاب، وما وعد به في آخر كتابه من عزمه على

(١) انظر المصدر السابق ، ص ٥٤ - ٥٩.

تأليف كتاب يجمع فيه بشارات الأنبياء السابقين بنبينا محمد ﷺ. فكان هذا الكتاب ثمرة هذه السنوات الطويلة من البحث والدراسة والتأمل .

طبعات الكتاب : طبع هذا الكتاب مرات عديدة ، فأول طبعة ـ حسب علمي ـ كانت في تونس عام ١٢٩٠ هـ، ثم أعيد طبعه في مصر عام ١٨٩٥م ،[1] وبعد ذلك حققه د. محمود حماية، ونشرته دار المعارف في القاهرة، وكذلك حققه الطاهر المعمودي، ونشرته دار بو سلامه للطبع والنشر في تونس، عام ١٩٨٣م. ثم حققه عمر وفيق الداعوق ونال على هذا التحقيق درجة الماجستير من جامعة أم القرى، كلية الشريعة، فرع العقيدة عام١٤٠٢هـ، ونشر هذا التحقيق من قبل دار البشائر الإسلامية ، بيروت. ثم أعيد هذا الجهد العلمي في كلية أصول الدين من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، من قبل الطالب محمد بن عبد الله البريدي عام ١٤٠٥ هـ .

سبب تأليفه لهذا الكتاب ومنهجه فيه: أشار المؤلف في عرض كتابه إلى الأسباب التي دعته إلى تأليف هذا الكتاب وهي بيان العز لنفسه بانتسابه لدين الإسلام ، وبيان أن سبب تركه لدين النصرانية هو فساد شريعتهم ، وبطلان عقيدتهم. ثم إنه لما منّ الله عليه بالهداية إلى الصراط المستقيم ، ونظر في دلائله القاطعة وبراهينه الساطعة ، وبعد دراسته لتصانيف علماء المسلمين ؛ وجد أنها محتوية على مالا مزيد عليه ، إلا

(١) انظر تراجم المؤلفين التونسيين ، ج ١ ، ص ٢٣١.

أنهم رحمهم الله تعالى سلكوا في معظم احتجاجهم على أهل الكتاب مسلك مقتضيات العقول، وأعرضوا عن الاحتجاج عليهم بمقتضى المنقول إلا النادر من المسائل[1]، فدعاه ذلك إلى تأليف كتاب يستكمل فيه ـ ماظنه ـ ناقصاً في مؤلفات العلماء المسلمين ، ويسد الثغرة التي تبينت في مصنفاتهم، وأن يجعله مشتملاً على الأدلة النقلية والعقلية والحسية، وأن يبين فيه إبطال نواميسهم ، ويهدم فيه تثليثهم، ويفند ما اشتملت عليه كتبهم من فساد في العقائد، وكذب في النقل، وافتراء على الله وعلي رسله الكرام [2].

وقد التزم فيه الاختصار وعدم الإطالة[3]، كما حرص على الأمانة العلمية في الإحالة إلى مصادر النصوص التي يستدل بها ، أو يبين كذبها وتناقضها، كما راعى الموضوعية والتجرد التام في عرض معتقداتهم وضلالهم ومناقشتها وفق العدل الذي قرره الله في كتابه بقوله: ﴿ولا يجرمنكم شنآن قوم على أن لا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى ﴾ [4].

ويظهر تأثر المؤلف في الإمام العلامة ابن حزم رحمه الله في كتابه «الفِصَل في الملل والأهواء والنحل » يتضح ذلك من ثنائه عليه في أول

---

(١) هذا في ظنه ، لأن إقامته كانت بالمغرب الإسلامي ، ولا أظنه إطلع على مؤلفات علماء المشرق الإسلامي ، ولو اطلع على تلك المؤلفات لتغيرت وجهة نظره ، ولما خالفه الصواب في تقييمه.

(٢) انظر بيانه لمنهجه في تحفة الأريب ، ص ٥٤ - ٥٩.

(٣) انظر المصدر السابق ، ص ٢٨٣.

(٤) سورة المائدة ، الآية ٨.

كتابه، واتفاقه معه في النقل أو النقد أو الاستشهادأو الاعتراض[1]، كما أنه متأثر فيه أيضاً من ناحية الأساليب اللفظية .

القيمة العلمية :ـ

أهم الجوانب التي اتضحت خلال دراسة هذا الكتاب هي:

١ـ تتجلى قيمته من كون المؤلف كان نصرانياً متفرغاً لتعلم النصرانية ، إذ أمضى في تحصيلها والإحاطة بها ، والوقوف على أسرارها ما يقارب ثلاثين سنة، متنقلاً بين قلاع العلم ومعاقله لدى النصارى، ثم تفرغه وملازمته لأعلم أهل زمانه لمدة عشر سنين ، يعيد عليه مدارسة أصول النصرانية وأحكامها ...وبعد خروجه من دينه، وهجرته إلى الملة الحنيفية وإعلانه إسلامه أمضى اثنتين وثلاثين سنة في الاطلاع على كثير من تصانيف علماء المسلمين؛ وبإحاطة العالم بالنصرانية ، والمطلع على أسرارها، خرج ـ بعد كل ذلك ـ بهذا الكتاب ليقيم به حجة ، ويدفع به شبهة، ويدمغ به باطلاً، ويوضح به تناقضاً، ويكشف به زيفاً، ويستكمل به نقصاً ، ويسد به ثغرة ، ويجمع به بين الأدلة .

٢ ـ حشده في هذا الكتاب للأدلة النقلية والعقلية والحسية، وإحاطته بالقضايا موضع النزاع بين الإسلام والنصرانية .

---

(١) انظر الصفحات التالية من كتاب تحفة الأريب ١٣٥ ، ١٤٩ ، ١٨٣ ، ١٨٨ ، ١٩١ ، ١٩٤ ، ١٩٥ ، ٢١١ ، ٢١٤ ، ٢١٥ ، ٢١٨ ، ٢٢٠ ، ٢٣٠ ، ٢٣٦ . وقارنها مع مايمثلها في الموضوعات من كتاب «الفصل» .

٣ ـ في الوقت الذي طردت فيه النصرانية الإسلام من الأندلس ومحت آثاره المعنوية من على وجه الأرض؛ يأتي إسلام هذا المهتدي وتأليفه لهذا الكتاب صفعة في وجه النصرانية، ودفعة معنوية قوية للمسلمين، ونلمس في هذا جانباً من مكر الله بأعدائه وكيده لهم؛ فبعد كل هذه الجرائم والانتهاكات في حق الإسلام والمسلمين من قبل النصرانية، يبعث الله من بين ظهرانيهم رجلاً يهجر دينهم، ويسفه أحلامهم وآراءهم، وينضوي إلى دين الأمة المغلوبة، لا يكتفي بذلك بل يؤلف الكتب، ويقيم الحجج على فساد دينهم ، وضلال مسلكهم، ويدعوهم إلى الدخول في دين الإسلام ...ومع ذلك لم يَسْلَم من تشكيك المتشككين؛ فقد ظلمه صاحب كتاب «تراجم المؤلفين التونسيين» إذ قال عنه (وقيل إنه تظاهر بالإسلام، وبقي على عقيدته).[1] فهل بعد هذا الجهد يأتي من يقول عنه هذا؟ إنني متأكد أنه لو اطلع على أساليبه اللفظية ـ فقط ـ التي تضمنها الكتاب لما قال عنه ما قال .

٤ ـ الاستفادة من هذا الكتاب : أسلفت القول في اعتماد بعض المؤرخين عليه في نقل حوادث ووقائع سلاطين الحفصيين الذين عاصرهم ودّون أخبارهم ، بالإضافة إلى ذلك فقد أحال عليه محقق كتاب « النصيحة الإيمانية » [2] للاستفادة من البشارات الواردة فيه .[3]

(١) انظر تراجم المؤلفين التونسيين ، ج ١ ، ص ٢٢٥.

(٣) انظر النصيحة الإيمانية ، ص ١٤٠.

(٣) وانظر لمزيد ممن تأثر به مقدمة محقق هذا الكتاب تحفة الأريب ، ص ٣٠ – ٣١.

المآخذ: سمة البشر النقص، وطابعهم الضعف ـ إلا من عصم الله ـ فتخرج أعمالهم على شاكلتهم تحمل سماتهم، وتطبع بطابعهم، وهذا الكتاب الذي بين أيدينا تبين لي بعد دراسته بعض المآخذ التي لا تنقص من قدر الكتاب أو تغض من مكانته العلمية ، وهذه المآخذ هي :ـ

١ ـ تضمينه الكتاب فصلاً كاملاً [١] عن سيرة السلاطين الحفصيين الذين عاصرهم، وذكر ما حدث له معهم، وهذا الفصل لا يتفق مع عنوان الكتاب في الرد على أهل الكتاب؛ ولكن عذر المؤلف أن هذا الفصل يعتبر تابعاً ومكملاً للفصل الذي سبقه المتعلق بذكر تفاصيل حياته ورحلاته وخروجه من دينه...

٢ ـ أورد في صفحة ١٥٢ خمسة أوجه إلزامية ألزم بها النصارى في ادعائهم ألوهية المسيح، وفند أربعة منها ، وغفل عن الأول، ولعل عذره أنه استطرد في تفنيدها مبتدئاً بالأخير منها فغفل عن الأول.

٣ ـ في عرض ذكره لصفات الباري عز وجل والرد على النصارى الذين وصفوا المسيح بأنه إله. نفي بعض الصفات على سبيل التفصيل ، ومن القواعد المقررة عند أهل السنة والجماعة أن يكون النفي مجملاً والإثبات مفصلاً ، وبهذا ورد القرآن الكريم فقال تعالى : ﴿ ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ﴾ [٢] . وقد أوقعه في ذلك شيوع كتب علماء الكلام الذين خلطوا فيها الغث بالسمين .

---

(١) انظر المصدر السابق ص ٧٧ – ٩١.

(٢) سورة الشورى ، الآية ١١.

المبحث الرابع : زيادة النصب رأسي

المطلب الأول : اسمه ومولده ونشأته :ـ

اسمه : زيادة بن يحيى النصب رأسي[1]. وأغفلت اسمه وحياته كتب التراجم ، ولم يكتب هو ترجمة ذاتية لنفسه ، ولم يضمن كتابه أى معلومات عن حياته أو مولده ، أو العقبات التي واجهته قبل وبعد إسلامه ، وكل ما ذكر سبب إسلامه ، والدوافع التي دفعته إلى تأليف هذا الكتاب، كما أنني لم أعثر على من ذكره سوى الحبر اليهودي إسرائيل بن شموائيل الأورشليمي الذي هداه الله إلى الإسلام ، وألف كتاباً سماه «الرسالة السبعينية بإبطال الديانة اليهودية » فقد نصح اليهود بالاطلاع على كتاب هذا المهتدي ؛ لعل الله أن يهديهم ويرشدهم إلى الحق ، ولم يذكر عنه سوى ذلك [2]. وكذلك ذكره محمد بن علي بن عبد الرحمن الطيبي الدمشقي الذي اختصر كتابي الشيخ زيادة « البحث الصريح » و«الأجوبة الجلية لدحض الدعوات النصرانية » ، وسمي الأول « خلاصة الترجيح » والثاني « مختصر الأجوبة الجلية لدحض الدعوات

(١) انظر مخطوطة كتاب البحث الصريح في أي ما هو الدين الصحيح ، ورقة ١ ، ٥٧.
(٢) انظر الرسالة السبعينية ، تحقيق عبد الوهاب طويلة ، نشر دار القلم دمشق ، ط ١ ، ١٤١٠هـ ، ص٦٤.

النصـرانيـة[1]» ، وقد ذكر الطيبى عنه أنه تشرف بدين الإسلام في القرن الحادى عشر الهجرى . كما ذكره د . الشرقاوى ، وجعله من ضمن المهتدين الذين كتبوا في البشارات بنبوة نبينا محمد ﷺ [2].

إذاً كل ما لدينا من معلومات عنه أن اسمه كذا ، وأنه ولد في القرن الحادي عشر الهجري. لكن يبدو ـ والله أعلم ـ أنه من أعلام الشام ، وأن له تأثيراً في الساحة العلمية هناك ؛ لأن الطيبي الدمشقي قد اختصر كتابيه ، ويظهر أن الداعي لذلك هو الطلب المتزايد عليهما من طلاب العلم هناك ، وحرصاً من الدمشقي على إشاعتهما عمد إلى اختصارهما؛ حتى يقربهما إلى طلاب العلم . ويبدو أن هذا المهتدي له صِلات علمية ودعوية خارج بلده ، ولعلها كانت ثمرة رحلات قام بها ووثق هذه الصِلات ، وذلك أنه لما ألف كتابه «البحث الصريح» أرسله إلى رجل من محبيه النصارى بمصر، وبعد مدة وردت عليه أسئلة تتضمن بعض الشبهات التي تحول بين صاحبه النصراني وبين الدخول في الإسلام، فكتب عليها جواباً موسعاً هو كتابه «الأجوبة الجلية»[3] . ولعل مما يعزز ما ذهبت إليه ـ أنه من أعلام الشام ـ أن كتابيه قد وجدا في دمشق بتأريخ ١٢٦٥هـ بمكتبة محمد باشا. [4]

---

(١) وقد قام باختصارهما عامي ١٢٧٧ – ١٢٧٩هـ ، ونُشرا في هوامش إظهار الحق ، طبعة المطبعة العلمية عام ١٣١٥هـ ، ج ٢ ، ص ٢٥ – ٢٤١.

(٢) انظر مقدمة كتاب مسالك النظر في نبوة سيد البشر ، ص ٣٦.

(٣) انظر مختصر الأجوبة الجلية ، في هوامش إظهار الحق ، ج ٢ ، ص ١٦٣ – ٢٤١.

(٤) انظر المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٦٩.

ونلحظ في كتابه «البحث الصريح» أنه متفرغ للبحث والمطالعة، شغوفاً بالتحقيق والتدقيق، وله اطلاع عميق على الديانة النصرانية ، يتضح ذلك من ردوده، ومن إحاطته بها، ومن استدراكه على كثير من المفسرين النصارى وبيان عثراتهم وسقطاتهم وزللهم وخطلهم.[1] وله أيضاً اطلاع على اللغة العبرية واليونانية [2]، ولا يتيسر هذا التفرغ للبحث والمطالعة، وهذا الاطلاع على هذه اللغات إلا لمن أُولي عناية بالغة من أبويه، أو من المحيطين به من الأحبار الذين يعدونه إعداداً حسناً؛ لتولي المناصب العلمية والدينية في مجتمعه[3].

المطلب الثاني : دوافع إسلامه :ـ

لن أستطيع أن أوفي هذا المهتدي حقه، وأُعطي القاريء الصورة الحقيقية له، والدوافع التي أثرت فيه حتي أسلم ؛ لعدم عناية المراجع بهذه الشخصية ، ولعل كونه من أبناء القرن الحادي عشر الهجري ما يعلل عدم العناية به ؛ إذ تعتبر هذه الحقبة الزمنية من أضعف الفترات في تأريخ الأمة من ناحية التدوين التأريخي والرصد العلمي . كما أنه لم يذكر في كتابه «البحث الصريح» إلى أي دين كان ينتسب ، لكن ذكر الطيبي أنه

(١) انظر مخطوطة البحث الصريح ، ورقة ٥٤ / ب.

(٢) انظر المصدر السابق ، ورقة ١ ، ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٨ ...

(٣) حيث لم أستطع تحديد الفترة الزمنية التي عاش فيها ولا البلاد التي نشأ فيها ، فلا يمكن أن أتحدث عن البيئة التي نشأ فيها.

كان منتسباً إلى النصرانية ، ثم تنبه وتشرف بالدين الإسلامي ؛ بعد أن ظهر له نوره ، وكشف عن الحق ستوره [١].

أما دوافع إسلامه فهي :ـ

١ ـ المقابلة بين كتاب وقواعد دينه الذي ورثه عن آبائه، وبين كتب وقواعد الأديان الأخرى ، من غير تعصب ولا هوى . وبعد استمرار المقابلة والتمحيص ؛ تبين له أن الدين الإسلامي هو الدين الذي ترجحت عليه البينات والبراهين ، وأنه هو الدين الصحيح ، حيث يقول : (إن أصحاب الملل من دأبها أن تفتخر على بعضها بسمو اعتقادها ، وكل منهم يتصور أن ما ذهب إليه آل ملته هو الدين الصحيح، وسواه على كلٍ فهو قبيح . وقد رأيت ـ أيضاً ـ أن بعضهم راض بدينه دون فحص ولا معرفة، والبعض مباشر الفحص في قواعد ديانته فقط ، من دون أن يقابلها على غيرها ، والنادر منهم من يقابلها على غيرها ...ففي الوجهين الأولين رأيت أن فيهما يدخل التعصب والفوضى المذهبي ، بحيث لا يعود يمكن للإنسان أن يميز فيهما بين الحق والباطل ـ أعني أنه لا يعود يميز إلا أن دينه الموجود فيه هو الحق الحقيقي ، وإن كان بالخلاف ـ فحمدت أنا الرأي الأخير وحددته حالاً من دون تأخير ، وبدأت أن أقابل كتابي ومعتقدي على كتابي المعتقدين الشهيرين، وأراجعهما على أولياء العلم من دون تعصب مذهبي ، بكل مكنتي ، من دون مين ..)[٢] وبعد

(١) مخطوط البحث الصريح ، ورقة ١.

(٢) انظر المصدر السابق ، ورقة ٣٣.

ذلك تبين له: أن الدين الإسلامي هو الدين الذي ترجحت عليه البينات ، وأنه هو الدين الصحيح .

٢ ـ ذكرت سابقاً شغفه بالبحث والتحقيق والتدقيق ، وحرصاً منه على استيفاء معلوماته من مصادرها الأصلية ، ظل يبحث زمناً طويلاً عن كتب قواعد اللغة العبرانية الأصلية التي يندر وجودها بين النصارى ، وبعد أن عثر عليها ، وجد أنها جاءت بكلمة الفصل في مواضع النزاع التي استوقفته ؛ وذلك أن بعض البشارات بنبوة نبينا محمد ﷺ كانت مترجمة عن النص العبري على غير الوجه الحقيقي لها ، وبعد أن عثر على كتب قواعد اللغة العبرية اكتشف خلل الترجمة وخطلها ، وتبين أن ما كان يفهمه عن بعض هذه البشارات ، وما يفهمه عنها سائر النصارى هو فهم مخالف للحقيقة ، مجافٍ للصواب، فلما تكشفت له هذه الحقائق من خلال توثيق الترجمة تبين له الحق ؛ فسلّم له ، وآمن به، واتبعه .[١]

المطلب الثالث : القيمة العلمية لكتابه « البحث الصريح » :ـ

هذا الكتاب لا يزال مخطوطاً، وقد يسر الله لى منه نسختين، الأولى: نسخة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، وفيها نقص في الباب الخامس . والثانية : نسخة دار الكتب الوطنية بمصر .

---

(٢) (١) انظر خلاصة الترجيح [illegible] إظهار الحق ، ج ٢ ، ص ١٥١ .

وصف المخطوطة : تقع نسخة جامعة الإمام في ٥٧ ورقة ، وفى كل ورقة ٢٥ سطراً ، وفى كل سطر ١١ كلمة ، وتقع نسخة دار الكتب الوطنية في ١٠٠ ورقة في كل ورقة ١٩ سطراً وفى كل سطر ٩ كلمات ولم يذكر تأريخ نسخهما .

المحتوى ـ قسم المؤلف كتابه هذا إلى خمسة أبواب وخاتمة ، ففي الباب الأول : نفى أن يكون المسيح إلها حقيقياً، أو مساوياً لله في جوهره. ورد في الباب الثاني : على افتخار النصارى بسمو آيات عيسى عليه السلام ، وأكد أنها مماثلة لآيات الأنبياء الذين سبقوه ، بل جاءوا بمثلها وما يعلوها ويفوقها . كما رد في الباب الثالث : الشبه التي يثيرها النصارى حول الرسول ﷺ ، وأن ما قالوه عنه وجد ما يماثله لدى كثير من الأنبياء السابقين . وأثبت في الباب الرابع : أن نبينا محمداً ﷺ هو النبي الذي بشرت به الأنبياء ، وأقام على ذلك الأدلة الصحيحة والبراهين الواضحة ، وأورد في الباب الخامس : عدداً من الشكوك والتناقضات في كتب العهدين القديم والجديد؛ ليثبت بعد ذلك أن هذه الكتب دخلها التحريف والتزوير ، وجمع في الخاتمة نتائج ما توصل إليه في هذه الأبواب الخمسة .

هدفه من تأليف هذا الكتاب :ـ

١ ـ أنه أمضى مدة في البحث والمقابلة والمقارنة ؛ ولئلا تضيع النتائج التي توصل إليها، حرر هذا الكتاب ؛ ليبين لذوي البصائر أن ما توصل

إليه من نتائج ، وما سلكه من سبيل ـ وهو سبيل الإسلام ـ هو الحق الذي تشهد له البينات ، وتؤيده الحجج .[1]

٢ ـ محبته لأصحاب الكتابين من كونهم مشاركين له في الطبيعة البشرية ، ورغبته في هدايتهم إلى الدين القويم .[2]

٣ ـ أن الشكوك والتناقضات الموجودة في كتب العهدين، والمتناثرة هنا وهناك قد لا يكترث بها من يمر على بعض منها أثناء المراجعة ؛ فرغب في جمعها في ديوان واحد يحيط بها ويربط بين مواقعها من هذه الكتب .[3]

٤ ـ أن كثيرين من النصارى واقفين عند هذه الشكوك والتناقضات ، مبهوتين منها ومتحيرين، لا يستطيعون الدخول ولا الخروج منها ، فحركه ذلك لإخراجهم من الظلمات إلى نور الإيمان[4] .

٥ ـ أن المانع الأعظم لدخول النصارى في الإسلام أنهم لا يعرفون الإسلام حق معرفته، بل لا يعرفونه إلا من خلال القذف والشتم من علماء دينهم، فأراد بهذا الكتاب أن يضع الحق في نصابه ، وأن يبين أن محمداً ﷺ الذي أتى بهذا الدين قد بشرت به الأنبياء ، وأن كتابه الشريف قد تضمن كل خير وبر .[5]

---

(١) انظر المصدر السابق ، ورقة ٥٤ / أ.

(٢) انظر المصدر السابق ، ورقة ٥٤ / أ

(٣) انظر المصدر السابق ، ورقة ٥٤ / أ.

(٤) انظر المصدر السابق ، ورقة ٥٥ / أ.

(٥) انظر المصدر السابق ، ورقة ٥٥ / أ.

منهجه :ـ هذا الكتاب هو نتيجة مقابلة ومقارنة بين القرآن وبين التوراة والإنجيل ، وبين العقائد الناتجة عنها ، ويتطلب هذا البحث الاطلاع على أصول الترجمات القديمة : العبرية واليونانية والسريانية واللاتينية التي دونت فيها التوراة والإنجيل ، والمقابلة بينها ، ثم بعد ذلك المقابلة بين ما احتوته من الدلائل والعقائد والشرائع والأحكام ، واستخلاص الحق من بينها معززاً بالدليل ، منصوراً بالبرهان . وقد سلك لتحقيق ذلك مايأتي :ـ

١ ـ المقابلة بين التوراة اليونانية والعبرية [١] .

٢ ـ الرجوع إلى قواميس اللغتين العبرية واليونانية ؛ للتأكد من أصل كلمة ما أو اشتقاقها، وما يمكن أن تترجم به ، وتؤدي إليه .

٣ ـ الاطلاع على النسخ اليونانية القديمة للتوراة والإنجيل ومقابلتها بالنسخ العربية .

٤ ـ الاطلاع علـي النسخ العبرية للتوراة ، ومقابلتها بالنسخ العربية.[٢]

٥ ـ حل بعض رموزالكتاب المقدس بعضها ببعض، ويظهرذلك في البشارات، فما غمض هنا، فسره هناك .

٦ ـ الانتصار للحق بالاستشهاد بأقوال النصارى القدماء لدحض افتراءات وشبهات النصارى المحدثين ...

---

(١) انظر المصدر السابق ، ورقة ٣٨ / ب .

(٢) انظر المصدر السابق ، ورقة ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٣٢ ، ٣٣.

وقد التزم في كل ذلك النزاهة والموضوعية، والتجرد من التعصب والهوى، والأمانة العلمية في النقل والترجمة ؛ إذ يورد النصوص العبرية واليونانية بألفاظها، ثم يورد ترجمتها العربية ، وأحياناً يترجم هو بنفسه، ويحيل القاريء على اللغة التي ترجم منها، ويردف ذلك بقوله : (هي [أي الشهادة] مترجمة من اللغة العبرية ، خالية من الزغل، وعليك بمقابلتها)[1]. وقد راعى في تأليفه الاختصار؛ حذراً من ملل القاريء، وعلل ذلك بأن الرجل العاقل يقتنع بالقليل[2].

ويظهر للمتأمل لهذا الكتاب الحماس والرغبة الصادقة في هداية بني قومه إلى هذا الدين القويم الذي تشرف به، ومنّ الله به عليه ، ويظهر ذلك من الدوافع التي دفعته إلى تأليف هذا الكتاب ، وقد سبق بيانها. كما أنه لما فرغ من تأليفه دفعه إلى بعض أصحابه من النصارى في مصر، فطالعه وسلّم له ما فيه ... ثم أشكل على ذلك المصري بعض آيات من القرآن الكريم تدل بظاهرها ـ إذا بترت عن سياقها وسباقها ـ على أن الرسول ﷺ مرسل إلى العرب خاصة ، وصاغ هذه الإشكالات في هيئة أسئلة وبعثها إلى هذا المهتدي ، فسارع وأعد عليها الإجابة اللازمة ، وحررها في هيئة كتاب سماه « الأجوبة الجلية » وبعثها إلى ذلك المصري[3].

(١) المصدر السابق ، ورقة ٤٢ / ب .

(٢) انظر المصدر السابق ، ورقة ٥٤ / أ.

(٣) انظر خلاصة الترجيح المطبوعة على هوامش إظهار الحق ، ج ٢ ، ص ٦٧ - ٦٨.

القيمة العلمية :ـ تبرز قيمة هذا الكتاب من خلال الجوانب التالية:

١ ـ أن هذا الكتاب ثمرة بحث وتمحيص ومقارنة أدت به إلى اعتناق الإسلام، وبيان أن الدين الإسلامي هو الدين الصحيح الذي تؤيده البراهين والأدلة، وأن الله سبحانه وتعالى منزه عما افتراه عليه النصارى من نسبة الشريك إليه والمساوي، وأن رسوله ﷺ منزه مما نُسب إليه ، ثم الانتصار لهذا الحق والذب عنه .

٢ ـ أنه ألف هذا الكتاب بعد سنين طويلة من إسلامه، أي بعد فترة من الاستقرار النفسي والعقلي، يوضح ذلك بقوله عن البشارات :(بأني قد جمعتها بسنين طويلة ، وبأعراق غزيرة)[1].

٣ـ أنه جمع في هذا الكتاب كثيراً من التناقضات والشكوك التي تضمنتهما العهدين، واطلع بعد ذلك على كلام شارحي التوراة والإنجيل، وما فسروا به هذه الشكوك والتناقضات، وما أغفلوا منها، وما أوّلوه بالمجاز وتابع كل ذلك فقرة فقرة، فنقضه وذكر الشكوك التي أولوها بالمجاز وبين حقيقتها ، والشكوك التي تناسوها فرفع عنها ستار النسيان وجلى الحق فيها، واستدرك عليهم من الشكوك والتناقضات ما تركوه عمداً أو سهواً .

٤ ـ ذكر هذا المهتدي الألفاظ محل النزاع ـ سواء كانت تتعلق بألوهية المسيح عليه السلام أم بالبشارات بنبوة نبينا محمد ﷺ ـ

(١) البحث الصريح ، ورقة ٥٤ / أ .

بألفاظها العبرية أو اليونانية، وترجمها الترجمة الصحيحة، ولم يعتمد على نسخ تراجم كتب العهدين القديمة؛ لاحتمال التلاعب فيها، بل استعان على ذلك بالقواميس القديمة لتلك اللغات، وأرجع الكلمات محل النزاع إلى أصولها وبين وجوه الاشتقاق منها، وألقم الباطل حجراً .

٥ ـ الشمول والإحاطة في كتابه ؛ إذ كثير من المهتدين من أهل الكتاب يؤلفون في جانب واحد من القضايا محل النزاع بين الإسلام والنصرانية، وذلك مثل كتاب « مسالك النظر في نبوة سيد البشر» و«محمد في الكتاب المقدس » و «محمد ﷺ في التوراة والإنجيل والقرآن» و «المسيح إنسان أم إله ؟» ...ولكن هذا المؤلف أراد أن يحيط بكل مواضع النزاع ، مع مراعاة الاختصار.

المآخذ :ـ

١ ـ سؤاله الله سبحانه وتعالى بجاه النبي ﷺ.[١]

٢ ـ ظن أن أم المؤمنين زينب رضي الله عنها هي التي طلبت من الرسول ﷺ أن يتزوجها بعد طلاقها من زيد رضي الله عنه [٢].

(١) انظر المصدر السابق ، ورقة ٢ / أ. وانظر لهذه المسألة شرح العقيدة الطحاوية ، نشر المكتب الإسلامي ، ط ٨ ، ١٤٠٤هـ ، ص ٢٣٦.

(٢) انظر البحث الصريح ، ورقة ١٨ / ب . وسأتوسع ـ بإذن الله ـ في الحديث عن هذه الفقرة فى الباب الرابع من هذا البحث ، انظر ص ٨٨٦

٣ ـ استدلاله ببعض الأحاديث الموضوعة كقوله :(وقد ورد عنه ﷺ أنه لأجله خلق الوجود) . وقوله : (قد ورد عنه بأنه مخلوق قبل الكون)[١]ولعل الذي أوقعه في ذلك أنه اعتمد على كتاب «دلائل الخيرات » حيث ذكره وأشار إليه أكثر من مرة .[٢]

(١) المصدر السابق ورقة ٧ / ب ، ١٠ / أ.
(٢) انظر المصدرالسابق ، ورقة ٣٥ / ب ، ٤٠ / أ.

المبحث الخامس : عبد الأحد داود

المطلب الأول : اسمه ومولده ونشأته :ـ

اسمه : دافيد بنجامين كلداني[1] ، كان قسيساً للروم من طائفة الكلدان ، وبعد إسلامه تسمى بعبد الأحد داود .

مولده : ولد عام ١٨٦٧ م ، في أروميا من بلاد فارس ، وتلقى تعليمه الابتدائي في تلك المدينة ، وبين عامي ١٨٨٦ ــ ١٨٨٩م كان أحد موظفي التعليم في إرسالية أساقفة «كانتر بوري» المبعوثة إلى النصارى النسطوريين في بلدته ، وفي عام ١٨٩٢ م أرسل إلى روما حيث تلقى تدريباً منتظماً في الدراسات الفلسفية واللاهوتية في كلية «بروبوغاندافيد» .

---

(١) لم أعثر على من ترجم له سوى النبذة التي وردت في أول كتابه «محمد في الكتاب المقدس» ، وبعد مكاتبة المترجم ـ الذي ترجم هذا الكتاب إلى اللغة العربية ـ وسؤاله عما إذا كان يعرف من ترجم له ؟ فذكر أنه لا يعرف من ترجم له ، وإنما النبذة التي أوردها في بداية النص العربي كانت ضمن النص الإنجليزي لهذا الكتاب ، ولعل الذي كتبها هو المؤلف نفسه ، لأنه ذكر فيها أموراً قد لا يحيط بها إلا صاحبها ، كما إنني اتصلت بالهيئة التي تولت نشر النص العربي لهذا الكتاب ، فأفادت بعدم معرفة أي معلومات عنه ، سوى مانشر مع الكتاب.

كما أن مترجم كتاب «الانجيل والصليب» قد أورد له ترجمة ظنية ، وذلك أنه سمع بأخبار رجل نصراني من أهل الموصل أسلم في تلك الفترة ، وزار إستانبول و .. . فقرر أنه هو ، ولم يقدم ما يثبت ذلك.

كما ذكره محمد الشرقاوي في مقدمة كتاب «مسالك النظر» ذكراً مجرداً . وكذلك ذكره الطهطاوي في كتابه «بشائر الرسالة المحمدية» وعرَّف به تعريفاً يسيراً. ص ٣٥ .

وفى عام ١٨٩٥م تم ترسيمه كاهناً . وفي هذه الفترة شارك في كتابة سلسلة من المقالات التي تم نشرها في بعض الصحف المتخصصة، وبعد عودته من روما توقف في إستانبول عام ١٨٩٥ م وأسهم في كتابة ونشر بعض المقالات عن الكنائس الشرقية في الصحف اليومية الإنجليزية والفرنسية .

يمكث طويلاً في إستانبول بل عاد في نفس العام إلى بلدته، وانضم إلى إرسالية «لازارست » الفرنسية ، ونشر لأول مرة في تأريخ الإرسالية منشورات فصلية دورية باللغة السريانية ، وبعد ذلك بعامين انتدب من قبل اثنين من رؤساء أساقفة الطائفة الكلدانية في بلده لتمثيل الكاثوليك الشرقيين في مؤتمر «القربان المقدس» الذي عقد في مدينة «باري لو مونيال» في فرنسا، وفى عام ١٨٩٨م عاد إلى قريته «ديجالا» وافتتح مدرسة بالمجان .

وفى عام ١٨٩٩م أرسلته السلطات الكنسية إلى سالماس، لتحمل المسئولية ، حيث يوجد نزاعات بين بعض القياديين النصارى هناك، وفي عام ١٩٠٠م ألقى موعظة بليغة شهيرة، حضرها جمع غفير من طائفته ومن غيرها، وكان موضوعها « عصر جديد ورجال جدد» انتقد فيها توانى بني قومه عن واجبهم الدعوي، وانتقد الإرساليات الأمريكية والإنجليزية التي لم تقدم لأمته ما كان يأمل منها. وطلب من بني قومه عدم انتظار المساعدات، وتقديم التضحيات، وأن يعتمدوا على أنفسهم ...

والآن وبعد أن وصل إلى القمة، يبقى السؤال في ذهن هذا الكاهن عن هذه الديانة التي يناضل من أجلها هل هي ديانة الله الصحيحة ؟ مع هذا الاختلاف الذي يراه بعينه في عقائدها وفرقها وعباداتها وطقوسها، وهذا التناقض الذي يلمسه من واقع كتبها؟ وبعد تلك الموعظة الشهيرة ، وبعد تحمله لتلك المسئولية التي حملها لحل الخلافات في بلدة «سالماس» عزل الكاهن نفسه عن الدنيا في صيف عام ١٩٠٠م ، واستقر في بيته في مسقط رأسه «ديجالا» ، ومكث شهراً كاملاً يقضي وقته بين الصلاة والتأمل والتضرع إلى الله أن يخرجه من هذه الحيرة، وأن يدله على الصواب، وأعاد قراءة كتب ديانته مرة بعد أخرى. وانتهت هذه الأزمة باستقالة بعث بها إلى رئيس أساقفة أورميا، وشرح فيها الأسباب التي حدت به إلى التخلي عن وظائفه الكنسيّة ، وقامت السلطات الكنسية بعدة محاولات لكي يتراجع عن قراره، ولم تفلح .

ثم عمل بعد ذلك في تبريز مفتشاً في البريد والجمارك متعاوناً مع البلجيكيين ، وفي عام ١٩٠٣م زار بريطانيا حيث انضم إلى «الجماعة الموحدة بالله» هناك، وأرسلته هذه الجماعة عام ١٩٠٤م إلى فارس كي يقوم بمهمة الوعظ والتعليم بين أهله وذويه. وفي طريق عودته زار مرة أخرى إستانبول، والتقى خلالها بجمال الدين الأفغاني وعلماء آخرين. واعتنق الإسلام(١)

(١) اعتمدت في كتابة هذه الترجمة على النبذة الواردة في بداية النص العربي لكتابه «محمد في الكتاب المقدس» وأضفت إليها بعض المعلومات التي ذكرها عن نفسه في كتابيه.

وإن الدارس لكتابيه يجد أنه لقى عناية بالغة من قبل الهيئات التعليمية التي أولته عنايتها ورعايتها؛ ونتيجة لذلك تعلم كثيراً من اللغات القديمة كالعبرية والآرامية واللاتينية والسريانية القديمة والحديثة واليونانية ، كما أنه تعلم اللغة الإنجليزية والتركية، وله إلمام بالفلسفة وعلم المنطق .

المطلب الثاني: البيئة التي نشأ فيها :ـ

نشأ كما نشأت طائفته في فارس تحت حكم الأسرة القاجارية ، وقد استغرق حكم هذه الأسرة القرن التاسع عشر وجزءً من القرن العشرين ، وكانت تعيش في ظل هذا الحكم الجهل والبؤس والتأخر في كل مناحي الحياة ، بل إن إيران خلال هذه الفترة كانت مسرحاً للمنافسة السياسية بين كل من انكلترا وروسيا وكثير من الدول الأوربية . ويعتبر ناصر الدين شاه ١٨٤٨ـ ١٨٩٦م أول حاكم فارسي يزور الغرب، وينبهر بحضارتهم، ويسعى لاقتباسها إلى بلاده ، ولكنه لقي اعتراض العلماء على هذا الاقتباس، وتعددت زياراته للغرب، وأسرف في إنفاق الأموال في هذه الرحلات، الأمر الذي أوقعه في تقديم سلسلة من التنازلات والامتيازات لبريطانيا. كما حصلت أمريكا أيضاً على بعض الامتيازات عام ١٨٦٦م . كما حصل البلجيكيون على امتياز لإقامة ثلاث شركات بترول، وفي عام ١٩١٠م حاولت ألمانيا الحصول على بعض الامتيازات من روسيا في إيران؛ إذاً فقد كانت مسرحاً للتنافس الدولي على نهب خيراتها، وسلب ثرواتها، والتدخل في شئونها .

وبعد مقتل ناصر الدين عام ١٨٩٦م تولى بعده مظهر الدين، واتفقت في عهده وبالتحديد عام ١٩٠٧م كل من روسيا وبريطانيا على اقتسام مناطق النفوذ بينهما ، كما أن أمريكا لم تكن غائبة عن هذا البلد ، فقد تغلغلت فيه منذ زمن مبكر عبر نشاط المنصرين الذين توجهوا إلى إيران منذ منتصف القرن التاسع عشر، وكان أنشط الهيئات الأمريكية التنصيرية هناك المجلس التنصيري الأمريكي، وجمعية الكتاب المقدس ، وقد ركز المنصرون الأمريكان نشاطهم على الأقلية الأشورية في منطقة أورميا حيث أسسوا المدارس والمستشفيات، وجلبوا أول مطبعة عام ١٨٤٠ م ، وارتفع عدد الإرساليات الأمريكية حتى بلغ مجموعها ٢٣ إرسالية عام ١٨٨٤م . وازداد هذا التغلغل والنفوذ حتي بلغ ذروته عام ١٩١١م عندما أرسلت أمريكا بعثة خماسية برئاسة مورغان الذي منح حق الإشراف على جميع الشئون المالية للبلاد بما في ذلك وضع ميزانية الدولة وقروضها. وهذا يؤكد ما ورد في ترجمة هذا المهتدي من أن طائفته لقيت عنتاً من المنصرين الأمريكان وغيرهم ، وأنهم يسعون لتحويل ما يقارب مائة ألف كلداني؛ ليتبعوا واحداً أو أكثر من المنشقين عن العقيدة الأصلية ، وأن الإرساليات الروسية أجبرت الآشوريين عام ١٩١٥م وكذلك القبائل الجبلية الكردستانية على حمل السلاح ضد حكوماتهم ، وقد هلك نصف هؤلاء الناس في الحرب، أما الباقون فقد طردوا من أراضيهم ...

ثم ما لبثت أن قامت الحرب العالمية الأولى ، وبعد أن وضعت الحرب أوزارها ؛ نتج عن ذلك انهيار الجبهة الداخلية ـ بسبب الهزائم العسكرية والسياسية ـ فانعدمت الأخلاق ، وسيطرت الأنانية والانتهازية ، حتى بين قياديّي الدولة ، أما المستعمرون فقد استغلوا الظروف السيئة للبلاد؛ وحصلوا على جملة امتيازات تضاف إلى الامتيازات السابقة[1] ...

والدارس لأحوال إيران في تلك الفترة ـ مع أخذه بعين الاعتبار تأريخ الأمة الإسلامية في تلك الفترة ـ يخرج بنتيجة أنها تعيش ـ كباقي دول العالم الإسلامي ـ التخلف والفقر والمرض والجهل ، وضياع السيادة السياسية للخلافة العثمانية ، واستبداد كل أسرة بإقليم أو أكثر ، وتغلغل الدول الأجنبية في شئونها ، ونهب خيراتها ، والتسابق على توسعة مناطق نفوذها، على حساب تضييق نفوذ الخلافة العثمانية التي بدأ نجمها يأفل من أفق العالم الإسلامي .

المطلب الثالث : دوافع إسلامه :ـ

من خلال عبارات المؤلف المبثوثة في ثنايا كتابيه يستطيع الباحث أن يستخرج بعضاً من الدوافع التي دفعته إلى الإسلام ، وهذه الدوافع هي :

---

(١) انظر تأريخ الدول الإسلامية بآسيا وحضارتها ، تأليف د. أحمد محمود الساداتي ، نشر مكتبة نهضة الشرق ، ١٩٨٧م ، ص ١٥٦ – ١٥٧ . وإيران في سنوات الحرب العالمية الأولى ، تأليف فوزي شويل ، نشر مركز دراسات الخليج العربي بجامعة البصرة ، ١٩٨٥م ، ص ٧ – ٤٦ . وإيران، تأليف. محمود شاكر ، نشر مؤسسة الرسالة ، ص ٥٥ . ومحمد في الكتاب المقدس ، ص ٢٧.

١ ـ عناية الله به، إذ يقول لما سئل: كيف صرت مسلماً ؟ كتب : (إن اهتدائي للإسلام لا يمكن أن يعزى لأي سبب سوى عناية الله عز وجل ، وبدون هداية الله فإن كل القراءات والأبحاث ، ومختلف الجهود التي تبذل للوصول إلى الحقيقة لن تكون مجدية ...واللحظة التي آمنت بها بوحدانية الله ، وبنبيه الكريم صلوات الله عليه، أصبحت نقطة تحوّلي نحو السلوك النموذجي المؤمن)[١].

٢ ـ ذكر في كتابه «الإنجيل والصليب» أن أول الأسباب التي جعلته يعلن عصيانه على الكنيسة؛ أنها تطلب منه أن يؤمن بالشفاعة بين الله وبين خلقه في عدد من الأمور، كالشفاعة للخلاص من الجحيم ، وكافتقار البشر إلى الشفيع المطلق بصورة مطلقة، وأن هذا الشفيع إله تام وإنسان تام، وأن رهبان الكنيسة ـ أيضاً ـ شفعاء مطلقون، كما تأمره الكنيسة بالتوسل إلى شفعاء لا يمكن حصرهم .

وبعد تأمله لهذا الاعتقاد ودراسته دراسة دقيقة خرج من هذا أن العدل الإلهي لا يمكن أن يقر ذلك الكفر ؛ فكفر بالكنيسة وبما تدعو إليه[٢] .

٣ ـ من واقع دراسته لعقيدة «الصلب» وجد أن القرآن ينكرها، والإنجيل المتداول يثبتها، وكلاهما في الأصل من مصدر واحد، فمن الطبيعي ألا يكون بينهما اختلاف؛ ولكن وقع بينهما الاختلاف والتضاد، فلا بد من الحكم على أحدهما بالتحريف، فاستمر في بحثه وتحقيقه

(١) محمد في الكتاب المقدس ، ص ٣.

(٢) انظر الإنجيل والصليب ، ص ١٢٤ – ١٣١.

لهذه المسألة حتى توصل إلى الحقيقة ، حيث يقول :(ولقد كانت نتيجة تتبعاتي وتحقيقي أن اقتنعت وأيقنت أن قصة قتل المسيح عليه السلام وصلبه ثم قيامه من بين الأموات قصة خرافية، وأن الأناجيل الأربعة مع كونها ليست من تأليف المسيح ذاته لم توجد في زمانه؛ بل وجدت بعد وفاة الحواريين بزمن طويل ، وأنها وصلت إلينا بحالة محرفة، وقد لعبت بها الأقلام ، وبعد هذا كله اضطررت إلى الإيمان والاعتراف من كل عقلي وضميري بأن سيدنا محمداً ﷺ نبي حق، ولم أستطع التخلف عن ذلك)[1] .

٤ ـ اعتقاد النصارى بالتثليث ، وادعاؤهم أن الصفة تسبق الموصوف؛ كان أحد الأسباب التي دعته للخروج من المسيحية .[2]

٥ ـ بعد أن انضم إلى جماعة الموحدين البريطانية، وفي طريق عودته إلى فارس، زار مدينة إستانبول، والتقى فيها بعدد من العلماء المسلمين، وبعد مواجهات عديدة معهم اعتنق الإسلام .[3]

العقبات التي واجهته بعد إسلامه :ـ

لقلة المعلومات التي توصلت إليها عن هذا المهتدي، لن أستطيع أن أوفيه حقه، أو أن أذكر للقاريء العقبات التي واجهته . لكنه ذكر بعضاً

(١) المصدر السابق ، ص ١٢.

(٢) انظر المصدر السابق ، ص ٢٠٠.

(٣) انظر محمد في الكتاب المقدس ، ص ٢٨.

منها في بداية كتابه «الإنجيل والصليب» فذكر أنه اضطر إلى ترك أمواله ودياره في سبيل هذا الدين الذي اعتنقه لما اعتقد أنه هو الحق وسافر إلى القسطنطينية وأقام فيها ما بين ثمان إلى تسع سنوات ، واعترضه في هذه البلدة عدد من العقبات التي اعترضت سبيله ، ولم يوضح هذه العقبات ، ولكنه وصفها بـ« الشدائد » ولم تثنه عن عزيمته، ومواصلة مهمته [1].

مصنفاته : بعضها وصل إلينا مترجماً من اللغة التي أُلف فيها وهي :

١ ـ الإنجيل والصليب .

٢ ـ محمد في الكتاب المقدس .

أما البعض الآخر الذي وعد به ولم يصل إلينا فهو :

١ ـ إنجيل حقنده إفشاءت عظيمة . ولعله باللغة التركية .

٢ـ كان يزمع أن يكتب كتاباً عن إنجيل برنابا .

٣ ـ عزم على ترجمة معاني القرآن إلى اللغة الإنجليزية وبلغ نهاية سورة البقرة . فرأى أنه شاق وأن غيره أقدر منه فتوقف . [2]

المطلب الرابع : القيمة العلمية لكتابيه :ـ

أ ـ الإنجيل والصليب .

ب ـ محمد في الكتاب المقدس.

---

(١) انظر الإنجيل والصليب، ص ٤.

(٢) انظر المصدر السابق ، ص ٢١٥ ، ٢١٨. ومحمد في الكتاب المقدس ، ص ١١٣.

أ ـ الإنجيل والصليب :ـ

ألفه مؤلفه باللغة التركية ، قبل نشوب الحرب العالمية الأولي ، وصدر المجلد الأول منه فقط، وهو الذي ترجم إلى اللغة العربية ، وكان يزمع إتمامه؛ حيث ذكر في كتابه محمد في الكتاب المقدس أنه سيضيف إليه حلقة أخرى حول رفض كثير من النصارى المؤمنين بعيسى مسألة صلب المسيح[1]. وتقع ترجمته العربية في مجلد متوسط يتكون من ٢٢٢ صفحة من القطع الكبير ، وقد أخفى مترجمه اسمه؛ لظروف لا نعلمها، وكتب: ترجمه إلى العربية مسلم عراقي. وطبع عام ١٣٥١هـ في القاهرة.

المحتوي: قسم المـؤلف كتابه هذا إلى أحد عشر باباً، عرّف في الباب الأول: بالأناجيل وبين حقيقتها، وأكد في الباب الثاني: أن غرض الإنجيل وموضوعه هو البشارة بالإسلام وبنبيه ﷺ ، وخصص الباب الثالث: لبعض البشارات بمحمد ﷺ، وبيان معانيها واشتقاقها ، وأوضح في الباب الرابع المعنى الحقيقي للإنجيل ، وعنون الباب الخامس بـ« المسيح لم يحرز التوفيق » وقصد بهذا العنوان أن المسيح عليه السلام لم يقصر في مهمته التي أرسل من أجلها، ولكن النصارى لم تقدره حق قدره ، وهو لم يحقق الآمال التي علّقَت عليه من قبل اليهود، وفى الباب السادس : بين أن غاية الإنجيل هو التبشير بملكوت الله وهو الإسلام ، وأكد في الباب السابع : أن ملكوت الله ـ الإسلام ـ يكمل اليهودية ـ أي رسالة موسى

---

(١) انظر، ص ٢٢٧.

عليه السلام ـ ونفي في الباب الثامن : أن تكون النصرانية هي ملكوت الله الموعود به في الأناجيل ، وأوضح في الباب التاسع : أن ملكوت الله هو دين الإسلام ، وأورد الأدلة القاطعة في الباب العاشر : على أن النصرانية ليست ضمن ملكوت الله ، وختم الكتاب بالباب الحادي عشر وهو غرائب وعجائب أورد فيه صوراً من غرائب وتناقضات النصارى ، وختم هذا الباب بصور من تعاليم الإسلام السامية .

الهدف من تأليفه :ـ

قصد من تأليفه لهذا الكتاب أن يثبت بالأدلة القطعية أن القضية الأساسية في اعتقاد النصارى ـ وهي الصلب ـ ما هي إلا خرافة سطرها في ثنايا أناجيلهم من رمى إلى مسخ تعاليم المسيح، واستبدل بها تعاليم وثنية ، وقد أوضح دوافعه إلى تأليف هذا الكتاب وهى كما يلي :

١ ـ أنه كان معرضاً عن الدخول في المسائل الخلافية الدينية والسياسية ، ولكن لما رأى ما أوقعه الصليبيون بإخوانه المسلمين في حروب البلقان، من هتك أعراضهم وسفك دمائهم؛ وأدرك أن المغزى من هذه الحروب هو محو أمة الإسلام، وتقديمهم ضحايا للصليب، وكانت قد رسخت عقيدته بأن قضية قتل المسيح وصلبه عبارة عن أسطورة منتحلة ـ قرر أن يزيح الستار عن هذه الفكرة بالأدلة القاطعة [1].

(١) انظر الإنجيل والصليب ، ص ٣.

٢ ـ أن هذه القضية ـ رغم أهميتها ، ورغم ادعاء الإنجيل المتداول لوقوعها ، ونفي القرآن وتكذيبه لها ـ لم تلق من يفردها بالتأليف والكتابة من علماء المسلمين ، أو من علماء النصارى ، وإن اختلاف هذين الكتابين حول رواية هذه القضية يدعو للحيرة ، وبما أن الكتابين مصدرهما واحد فلا يمكن أن يكذب أحدهما الآخر، وما دام التضاد ظاهراً بينهما فلا بد من الحكم على أحدهما بالتحريف والكذب، وبتتبع التحقيق والدراسة أيقن أن قصة قتل المسيح ليست من تأليف المسيح، ولم توجد في زمانه ؛ بل وجدت بعد وفاته بزمن طويل[١].

٣ ـ بما أن هذه القضية تشكل أحد الأركان الرئيسة في عقيدة النصارى، وبما أنه أتي على قواعدها كشفاً ونسفاً ؛ فإنه يأمل من النصارى أن يسوقهم هذا الكتاب إلى مطالعة القرآن الكريم، وتدبره من صميم قلوبهم؛ ليطلعوا على آياته وأحكامه القطعية الصريحة [٢]

٤ ـ إيضاح حقيقة الإنجيل وغايته وموضوعه .

ب ـ محمد في الكتاب المقدس :ـ

كتبه مؤلفه باللغة الإنجليزية في حلقات مسلسلة، وقامت رئاسة المحاكم الشرعية والشئون الدينية بدولة قطر بإصدارها في كتاب مستقل ،

---

(١) انظر المصدر السابق ، ص ١١ – ١٢.

(٢) انظر المصدر السابق ، ص ٢١٧.

وبعد صدوره باللغة الإنجليزية قام المترجم فهمي شما بنقله إلى اللغة العربية ، ونشرته كذلك رئاسة المحاكم باللغة العربية ، وتقع الترجمة العربية في ٢٦٦ صفحة من الحجم الكبير ، وقد تضمنت هذه الصفحات بعض المقدمات من الناشر والمترجم وكذلك نبذة يسيرة عن حياة المؤلف ، وقد شغلت هذه المقدمات من أول الكتاب إلى صفحة ٢٤ .

المحتوى :ـ لم يقسم المؤلف كتابه كالعادة إلى أبواب وفصول ؛ ولعل السبب في ذلك أنه كتبه على هيئة حلقات ـ ثم ضمّ الناشر هذه الحلقات بعضها إلى بعض ـ تحدث في كل حلقة عن بشارة أو دلالة على نبوة نبينا محمد ﷺ ورسالته الخالدة .

الهدف من تأليفه : من عنوان الكتاب يتضح المغزى الذي من أجله ألف هذا الكتاب، فهو عبارة عن رصد وتتبع لبشارات الأنبياء السابقين بنبينا محمد ﷺ ، إذ ذكر في أول كتابه أنه قصد من تأليفه لهذا الكتاب أن يبين :(بأن العقيدة الإسلامية والمتعلقة بالذات الإلهية، وبخاتم رسل الله ؛ إن هي إلا العقيدة الصحيحة تماماً، وأنها تتفق وتعاليم الكتاب المقدس) ، كما أنه ـ أي الكتاب ـ دعوة موجهة إلى النصارى للبحث والاستقصاء حتى يصلوا إلى ما وصل إليه من الاعتراف بوحدانية الله والشهادة لنبيه بالرسالة .[1]

(١) انظر محمد في الكتاب المقدس ، ص ٣٦ - ٣٧.

منهجه في كتابيه :ـ

يلحظ القارىء لهذين الكتابين أن هناك سمات مشتركة في المنهج الذي اتبعه في تأليفه لهما، وهذه السمات هى :

١ ـ بيّن الأصل الذي ينبغي أن يلتزمه من يتصدى لنشر أحد الأديان بين الناس وهو: (أن يكون قد أتقن حسب الأصول دراسة عقائد وأحكام الدين الذي يرد عليه وينتقده ...، وأن يبين ما يشتمل عليه الدين الذي يدعو إليه من القدسيات الأخروية والمحسنات الدنيوية ...وأن يكون متصفاً بالأخلاق والآداب التي يلتزم نشرها وتعليمها)[١].

٢ ـ أن ما دونه فيهما نتيجة بحث وتتبع استمر عدة سنوات لهذه القضايا التي تطرق إليها بالدراسة ، ولم يدون ذلك مباشرة بعد التوصل إلى النتائج ؛ فتكون عرضة للتراجع والزيادة والنقص ، بل لم يصنف هذه النتائج إلا بعد سنوات من قناعته وإيمانه بها [٢].

٣ ـ إرجاع الكلمات ـ موضع الشاهد ـ إلى أصولها ، وذلك بالرجوع إلى أصل الكلمة في اللغة التي وردت فيها أول مرة ، ثم يبين تدرج هذه الكلمة في اللغات ، وكيف حرفت في اللغة الثانية والثالثة... واستمر التحريف وكل ترجمة تزيدها تحريفاً وبعداً عن مصدرها الأصلي، حتى وصلت إلينا، ثم يبين أصل الكلمة في اللغة الأولى ووجوه اشتقاقها، وصحة ترجمتها في اللغات التي نقلت إليها ، ثم كيف ينبغي

(١) الإنجيل والصليب ، ص ٣ – ٤.
(٢) انظر المصدر السابق ، ص ٣.

أن تكون ترجمتها في اللغة العربية . والحقيقة أنه بذل جهداً مضنياً وجباراً في استقصاء التحولات اللغوية للمفردة الواحدة من لغة إلى أخرى، وسار عبر رحلة طويلة بين العبرية والآرامية واليونانية واللاتينية؛ حتى يخرج من ضيق المعنى بعد تحريفه ، إلى سعة الدليل المستفاد من النص قبل تحريفه ، ويبين خطأ المترجمين وهل كان قصداً أم خطأ . وقد أعانه على ذلك معرفته لكثير من اللغات القديمة التي قل من يجيدها في العصر الحاضر، بالإضافة إلى توافر نسخ التوراة والإنجيل لديه بعدة لغات قديمة .

٤ ـ المقارنة والاستقصاء والاستنطاق : وذلك بأن يجمع الألفاظ التي تتحدث عن القضية محل النزاع ، ويقارنها بغيرها ، ثم يستنطقها لتكون شاهدة لحجته ، مؤيدة لنظريته ، دالة دلالة يقين على أن ما يقوله هو الحق الذي يسنده البرهان، لا ما قاله أئمة الكفر من الأحبار والرهبان.

٥ ـ أحياناً يربط الكلمة ـ محل النزاع ـ بما يتفق معها ، ويختلف عنها ، ويتعارض معها من سائر نصوص كتب العهدين، ويبين التناقض ، ويذكر التعارض ، ويوضح تدخل الكنيسة، ثم يطرح عدة تساؤلات ملزمة، وبعد ذلك يدلي برأيه ، مؤيداً بالنصوص وبمضامينها ودلالاتها .

٦ ـ سلك في تقرير البشارات التدرج التالي : يورد تفسير مفسري التوراة والإنجيل لهذا النص الذي تضمن البشارة ، ثم يورد التفسير من واقع الكلمة ومدلولها اللغوي والمنطقي ، ثم يورد الافتراضات التي استدل عليها من خلال إرجاع الكلمة إلى أصلها ، ويبين كيف تصرّف النساخ

فيها ، مع ذكر معانيها على كل تصرف ، متْبعاً ذلك بالحجج التي تؤيد ما ذهب إليه .

٧ ـ يأتي إلى قضية مسلّمة لدى الخصم ، فيعيد لها الحياة من واقع الترجمة ، ويجعلها شاهدة لما يقول ، مستعيناً بعد ذلك بمقدمات عقلية لازمة .

٨ ـ يعرض لما يمكن أن يكون شبهة فيوضحه أشد الإيضاح ، حتى يبرز للعيان ، ثم يعرّيه ، ويسلبه كل مقوماته ، فيدعه خاوياً .

٩ ـ اعتمد العرض المتدرج للقضية ـ موضع المناقشة ـ فيذكر أولاً أصولها ، وكيف استقرت في ذهن الخصم عن طريق التصور الخاطيء لها ، موضحاً الصورة الحقيقية لها والمكان اللائق بها ، وينفي انتساب الخصم لها ، من خلال النصوص المسلّمة لديهم ، كما فعل في مفهوم « ملكوت الله » لدى النصارى .

١٠ ـ الأمانة العلمية ، والموضوعية التامة في عرضه ونقله وترجمته .

١١ ـ مع هذا الإنجاز العلمي الرائع ، وهذا التحقيق الدقيق، وهذه النتائج المذهلة ؛ إلا أنه يبدو متواضعاً يهوّن من شأن نفسه ، ويقلل أهمية ما توصل إليه ، ومما يؤيد ذلك أنه همّ بترجمة معاني القرآن إلى اللغة الإنجليزية ، وبعد الانتهاء من سورة البقرة يقول : (أدركت أن من كان مثلي عاجزاً فارغ اليد ، قليل النصيب من العلوم القرآنية لا يتمكن وحده من الاجتراء على إيجاد أثر مفيد ؛ فانثنيت عن عزمي) [1] .

(١) المصدر السابق ، ص ٢١٥ .

١٢ ـ لم يكن هذا الإقبال على الإسلام إقبالاً شكلياً ، ولا عاطفياً، بل كان إقبالاً صادقاً يدفعه الحماس لخدمة هذا الدين ، وتؤكده الرغبة في ذلك ، فألف الكتب ، واقترح تأليف جماعة لنشر الإسلام ، ودعوة الأم المسلمة إلى معرفة لغة القرآن ؛ حتى يتمكنوا من فهمه ، وبيّن كيد الأعداء في محاولة إشاعة العامية بدلاً من اللغة العربية [١] .

القيمة العلمية لكتابيه :

تتجلى القيمة العلمية لهذين الكتابين في الجوانب التالية :

١ ـ الانفراد بالمنهج الذي رسمه وسار عليه ، ولم يسبق إليه .

٢ ـ الإحاطة بهذه اللغات القديمة إحاطة قل من يدركها في العصر الحاضر ، وتوظيف هذه المعرفة لصالح الهدف الذي سعى إليه .

٣ ـ تقديم أدلة من واقع التوراة والإنجيل لم تكن معروفة لدى علماء المسلمين في هذا الشأن، ولم تكن كذلك معروفة لدى إخوانه الذين هداهم الله للإسلام في القديم والحديث ، حسبما وقفت عليه من المصادر بل إن هناك نصوصاً من نصوص الإنجيل يحاجون بها النصارى ، كاستدلال بعضهم بقول المسيح «ابن الإنسان » على بشريته . فأكد أن هذه اللفظة لا تدل على ذلك ؛ ولكنها بشارة برسولنا محمد ﷺ [٢] .

٤ ـ إفراده كتابه الأول عن قضية هامة ، وهي مسألة صلب المسيح ، ويذكر هو أن هذه المسألة لم تفرد بالتأليف من قبل .

---

(١) انظر المصدر السابق ، ص ٢١٩ .

(٢) سيأتي مزيد تفصيل لهذه البشارة في الفصل الثاني من الباب الثاني ، ص٥٨٢ .

٥ ـ إضافة بشارات بنبوة نبينا محمد ﷺ لم تكن معروفة في السابق .

٦ ـ إثبات تحريف التوراة والإنجيل عبر منهج يعتمد على تتبع الترجمات ، وإظهار التحريف المتعمد في القضايا التي تناولها بالبحث والدراسة .

٧ ـ بيان الغاية الحقيقية للإنجيل الشريف ، وأن موضوعه هو البشارة بالإسلام وبرسوله ﷺ .

٨ ـ خلو الكتاب من الاستطراد والعرض الإنشائي المجرد ، والاعتماد على الحقائق اليقينية المستندة إلى الدليل القاطع، والحجة الناصعة، والبرهان الساطع .

٩ ـ ومما يرفع قيمته العلمية نقل كثير من المعاصرين لكثير من أدلته واستنباطاته ، فقد أفاد منه د. أحمد شلبي في كتابه « مقارنة الأديان» الجزء الخاص بالنصرانية وضمّن الصفحات التالية بعضاً من أدلته وبراهينه، وهذه الصفحات هي: ٦٩، ١٢٦ ، ١٣٧ ، ١٤٣ ، ١٤٤ ، ١٥٥ ، ١٦١ ، ١٦٢ ، ١٧١، ٢٠٥ ، ٢٠٧ ، ٢٣٣، ٢٦٧ .كما اعتمد عليه فاضل السامرائي في كتابه « نبوة محمد من الشك إلى اليقين » في إثبات بعض البشارات الخاصة بنبينا ﷺ ، في الصفحات التالية ٢١٩ ، ٢٢٠ ، ٢٢٣ ، ٢٩٥ ، ٣٠١ . وكذلك نقل عنه د. أحمد السقا في كتابه «المسيا المنتظر» صفحة ٦٩. ومحمد عزت الطهطاوي في كتابه «في مقارنة الأديان النصرانية والإسلام» في الصفحات ٢٥ ، ٥٣ ، ٦٨ ،

٧٨ ، ٨١ ، ٢٥٦ ، وفي كتابه الآخر «بشائر الرسالة المحمدية» في الصفحات التالية ٤٧ ، ٥٢ ، ٥٣ .

المآخذ على الكتابين[١] :ـ

لإرثه النصراني ، ولعدم تعمقه في المعارف الإسلامية الأصيلة ، ولوجوده في بيئة يغلب عليها طابع الفكر الاعتزالي والصوفي ؛ فقد وقع في هفوات متعددة في كتابيه ، وهذه الهفوات أو المآخذ هي :

١ ـ سلك في التحدث عن صفات الله سبحانه وتعالى مسلك المعتزلة، فنفى بعض الصفات، وقال بخلق القرآن، ووصفه بمالم يرد النص بوصفه به [٢].

٢ ـ وصف بعض الأنبياء بما ينبغي تنزيههم عنه ، كظنه أن زوجة يعقوب اتخذت أوثاناً تعبدها، وأن الأنبياء غير معصومين من الصغائر[٣].

٣ ـ وصف المسيح ومحمد ﷺ بأنهما خلقا قبل الوجود ، وهذا من ادعاء النصارى والمتصوفة.[٤]

---

(١) رأيت أن من المناسب أن أجمع المآخذ على الكتابين ، ثم أرتبهما حسب الأهمية ، وحذراً من تكرار أسماء الكتب في الهامش ، فإنني سأشير إلى كتاب الإنجيل والصليب بالرقم ١ ، وكتاب محمد في الكتاب المقدس بالرقم ٢ .

(٢) انظر ص ٤٣ ، ١٠٩ ، ١١٣ ، ١١٤ ، ١١٦ ، ١١٨ ، ١١٩ ، ١٢٤ ، ١٢٧ ، ١٤١ ، ١٧٥ ، ١٩٠ ، ٢٠٠ / ١ . و٣٧ ، ٣٨ ، ٤٠ ، ٢١٠ ، ٢/٢٤٩ .

(٣) انظر ص ١٢٧ ، ٢/١٣٥ .

(٤) انظر ص ١٦٤ ، ١٨١ ، ١/٢٢٥ و ٢/٢١٥ .

٤ ـ ذكر أن المسيح روح الله ، وأن العقيدة والكلام الإنجيلي الذي علّم به شفهياً لم يفهمه الحواريون، بل بقي من قبيل المعميات والألغاز، وأن المسيح لم يدّع أن معه رحمة [١] والحقيقة أن المسيح هو روح من الله، وليس هو روح الله ، أما أن الحواريين لم يفهموا رسالته، وانصرف المسيح ورسالته ألغاز. فهذا تطاول على مقام النبوة ، بل تطاول على مقام المرسِل، والحواريون آمنوا به ونصروه وآزروه وعزروه بنص القرآن إذ يقول الله: ﴿كما قال عيسى ابن مريم للحواريين من أنصاري إلى الله قال الحواريون نحن أنصار الله ﴾ [٢]. ولو كانت رسالة المسيح إليهم ألغازاً لما آمنوا به ، ولما نصروه .

٥ ـ لم تتضح له حقيقة الوحي والإلهام ، فتراه يصف الحواريين بأنهم ملهمون ، وكذلك بطرس ، والخليفة الراشد علي رضي الله عنه ، وأن نعمة النبوة يمكن أن يتمتع بها الرجال الصالحون .[٣]

٦ ـ ذكر أن كلمة « دين » لم ترد في الديانات السابقة بهذا الاصطلاح ، وأن هذه اللفظة من خصائص الرسالة المحمدية ، وهذا مردود بظاهر القرآن حيث يخبر الله سبحانه وتعالى عن إبراهيم أنه وصى بنيه فقال: ﴿ ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب يا بني إن الله اصطفى لكم

(١) انظر ص ٢٨ ، ١٠٣ ، ١١٠ ، ١٣٨ ، ١/١٩٣. و ١٧٩ ، ٢/٢١١.

(٢) سورة الصف ، الآية ١٤.

(٣) انظر ص ١/١٧٠ و ١٠٤ ، ١٨٠ ، ٢١٢ ، ٢/٢٢٤.

الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون﴾ [1]. وسمى الله سبحانه وتعالى ما عليه الكفار من اعتقاد فاسد «دين» فقال: ﴿ ليظهره على الدين كله﴾[2]. وقال أيضاً: ﴿ لكم دينكم ولي دين﴾[3] كما نفى أن يكون في الأدوار التأريخية السابقة على بني إسرائيل دين كدين بني إسرائيل .[4] وهذا تعميم ينقصه الدليل والبرهان ، فقد سبقت عليهم رسالات إلهية لا يمكن إنكارها أو تجاهلها، إلا إذا كان يقصد ديناً كدين بني إسرائيل مماثلاً له من كل وجه في شرائعه وعباداته .

٧ ـــ وصف الدين قبل محمد ﷺ بأنه لا يزال في عهد الطفولة. [5] وهذا تطاول على هذا المقام لا يقره شرع ولا عقل .

٨ ـ يخلط بين مسمي النبي والصوفي ، كما يخلط بين التنبؤ والذكر[6]. وهذان أمران مختلفان؛ فالنبوة شيء ، والصوفية شيء آخر . كما أن التنبؤ وهو الكلام بكلام النبوة ، أما الذكر فهو ترديد أذكار وأدعية في أوقات مخصوصة وأماكن مخصوصة .

٩ ـ قال عن اليهود : (إن تأريخ ذلك الشعب ... يحفل بسلسلة من الانتكاسات المخزية نحو الوثنية ، ولم ينقطع اليهود عن عبادة

---

(١) سورة البقرة ، الآية ١٣٢ .

(٢) سورة الصف ، الآية ٩ .

(٣) سورة الكافرون ، الاية ٦ .

(٤) انظر ص ١٤٠ – ١٤١ ، ١٨٠ – ١/١٨١ .

(٥) انظر ص ، ٢/١٣٧ .

(٦) انظر ص ٢/٧٣ .

الأصنام إلا بعد انتهاء الوحي وشريعة كتابهم المقدس[1]) وأقول : لقد أحسن الظن بهم ، فإنهم أدعى أن يرتكسوا في الوثنية بعد انقطاع الوحي ، لا أن ينقطعوا عنها. فقد طلبوا من موسى عليه السلام أن يجعل لهم آلهة، ولما غاب عنهم للقاء ربه ؛ عبدوا العجل ، وبين ظهرانيهم هارون عليه السلام ، فمن أين أتى له هذا الزعم الذي تعارضه طبيعة النفس اليهودية ؟؟.

١٠ ـ يرى أن اليهودي والنصراني إذا تدفقت منه المعاني النابعة من الروح الزكية المعبرة عن حب الله ؛ فهو مسلم في هذه الحالة مع أنه لا يدرك ذلك [2]. ولا يعتبر اليهودي والنصراني مسلماً بهذا الحب ، وإنما بتحقيق الإسلام قولاً وعملاً واعتقاداً .

١١ ـ الإشادة ببعض الكفار كأرسطو، وكورش، وبولس، ومصطفى كمال، وإعطاؤهم بعض الأوصاف التي لا ينبغي إطلاقها إلا على مسلم موحد [3].

١٢ ـ يرى أن السبت أكثر قداسة من الجمعة [4]. وهذا خطأ ؛ لأن يوم الجمعة أفضل بشهادة رسول الله ﷺ بقوله :(نحن الآخرون السابقون يوم القيامة ، بيْد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا ، ثم هذا يومهم

(١) ص ٢/١٣٦.
(٢) انظر ص ٢/٢٠٤.
(٣) انظر ص ١/١١٨. و ٤٩ ، ٨٨ ، ٩٧ ، ١٠٦ ، ١٥٥ ، ٢/١٨٥.
(٤) انظر ص ٢/٩٤.

الذي فرض عليهم فاختلفوا فيه ؛ فهدانا الله له . فالناس لنا فيه تبع اليهود غداً ، والنصارى بعد غدٍ)[1] .

١٣- يرى أن الشرع يجعل من المستحيل على المسلم أن يكون فاحش الغنى [2]. وهذا تحكّم لا يسنده دليل شرعي .

وهنا يتبادر للذهن سؤال فحواه : لماذا أعرض عن ذكر بعض البشارات الظاهرة التي هي محل إجماع كبشارة موسى : (أقيم لهم نبياً من إخوتهم)...وغيرها مما اشتهر على ألسنة المهتدين وغيرهم ؟ ولعله تركها نظراً لاشتهارها وذيوعها فأراد أن يثبت ما خفي وانطمست معالمه ، ولم يعد له ذكر بين الباحثين والمهتمين بهذا الأمر .

وليست هذه هي كل المآخذ على الكتابين ، فلم أسجل إلا المآخذ التي لا أجد لها مخرجاً وتأويلاً ، أما الألفاظ المحتملة ، وما يمكن أن يجد الباحث لها تفسيراً فقد تجاوزت عنها ؛ من باب إحسان الظن بالمؤلف ، ولا يفوتني أن أذكر أن بعض هذه المآخذ قد علق عليها المترجمون لهذه الكتب.

(١) رواه البخاري واللفظ له ، في كتاب الجمعة ، باب ١ ، ومسلم في كتاب الجمعة ، حديث ٨٥٥.
(٢) انظر ص ٢/١٤١.

المبحث السادس: النجار

المطلب الأول: نسبه ومولده ونشأته :ـ

اسمه : محمد زكي الدين النجار[1]

قبطي معاصر، عاش في طهطا من صعيد مصر، وكعادة آلاف المغمورين الذين يفدون إلى هذه الحياة ويغادرونها، ولم يدون عنهم حرف، ولم تشملهم كتب التراجم، ولم يكن لهم نصيب من الرصد والتتبع، وكل ما حصلت عليه عن حياة هذا الرجل معلومات يسيرة، لاتروى ظمأ الباحث، ورغبته في الإحاطة بسيرته ؛ للاستفادة منها وعرضها أمام القاريء، وفق ماتم رسمه واعتماده من منهج لهذا البحث .

---

(١) المراجع التي تم الاعتماد عليها عند كتابة هذه الترجمة هي :ـ

١ – ماتضمنه كتاب المنارات الساطعة في ظلمات الدنيا الحالكة ، نشر المؤلف نفسه عام ١٣٦٩هـ ، وكذلك تقديماً للكتاب بقلم الشيخ محمد أحمد العروسي ، كتبه في ١٣٦٩/١/١٥هـ.

٢ – ذكره الأستاذ محمد الطهطاوي في ثلاثة من كتبه هي :

أ – في مقارنة الأديان النصرانية والإسلام.

ب – بشائر الرسالة المحمدية.

ج – في الدعوة إلى الإسلام بين غير المسلمين . وكل المعلومات الواردة في هذه الكتب متماثلة ، ومختصرة جداً.

٣ – مقابلة تمت بين وبين أحد المشايخ الفضلاء ، وهو عبد الرحيم بن عبد الجابر بن محمود ، من بلدة طهطا، وقد درس فضيلته هو وهذا المهتدي في معهد طهطا الديني مابين عامى ١٩٤٩م – ١٩٥٢م . ثم واصل دراسته حتى تخرج في كلية أصول الدين في الجامع الأزهر وقد تمت هذه المقابلة في إدارة مكتبة الجامع الأزهر صباح ١٤١١/١٠/٢٨هـ ، ويعمل فضيلته الآن إماماً لمسجد السباعى ببولاق في أحد أحياء القاهرة.

وغالب المعلومات التي وردت خلال هذه الترجمة فمصدرها هذه المقابلة.

ومن هذه المعلومات التي تيسرت لي، أنه ولد في أوائل القرن العشرين، في بلدة طهطا من صعيد مصر، وأنه نشأ في هذه البلدة وترعرع بها، وتلقى التعليم في مدارسها، حتى التحق بالكنيسة، وتدرج في وظائفها الكنسية، حتى أصبح قساً، وكان يحب أهل العلم والمعرفة من متعلمي بلده، وله علاقات متعددة بكل مايمت للعلم بصلة، مشتغلاً بالتجارة؛ ليستغني بكسبه عما في أيدي الناس، شغوفاً بالبحث في الكتب السماوية، مكثراً من تلاوة القرآن وتدبر آياته التي تنفي أو تثبت ما جاء في هذه الكتب السابقة، وأخذت ملكة البحث تزداد وتنمو حتى استولت منه على كل تفكيره، وكادت تقطعه عن صناعته، لولا أن الله تداركه بلطفه؛ فنفذت بصيرته، وهداه الله إلى اعتناق الإسلام، فكان إسلامه نتيجة قناعة تامة، أداه إليها البحث والمقارنة بعد توفيق الله وإعانته.

أزعج إسلامه الكنيسة، فحاولت إغراءه بمختلف الوسائل والطرق، إذ حاولوا أن يزوجوه من امرأة من أكبر العائلات النصرانية، أو أن يعطوه من المال ما يريد، أو أن ينصّبوه في أعلى المناصب الكنسية ... ورفض كل هذه العروض، واعتصم بإيمانه، والتحق عام ١٩٤٩ م بمعهد طهطا الديني. حتى تخرج منه، وكان له نشاط دعوي في بلده، ولكن لكثرة العلماء فيها وطلبة العلم؛ لم يبرز نشاطه كثيراً، ولبس العمامة والجبة ليتزيا بزي العلماء، وكان لباسه لباس الفقراء، هيناً ليناً صالحاً محباً لدروس العلماء .

ثم التحق بجماعة الإخوان[1] فترة، وكان يحضر جلسة الثلاثاء من كل أسبوع، ولما حصلت للإخوان النكبة [2]في أيام الثورة، نزعت نفسه إلى التصوف، فكان يميل إلى مجالسهم. ورغب في الزواج من إحدى كبار العائلات المصرية المسلمة ؛ ولكن العادات والتقاليد حالت دون تحقيق ذلك، وظل عَزَباً إلى أن توفي ولم يتزوج.وكان يقرض الشعر، وقد وظفه في الدفاع عن الإسلام، ومهاجمة خصومه.

مصنفاته : وصل إلينا منها كتاب « المنارات الساطعة في ظلمات الدنيا الحالكة » وذكر في آخره أسماء بعض مؤلفاته التي وعد أنها ستظهر قريباً وهي : –

١ ـ منقذ الإنسانية من نير العبودية .

٢ ـ قانون الحياة ودستور الخلود .

٣ ـ فوهة المسدس في قلب الكتاب المحرف .

٤ ـ الصراط المستقيم في الرد على أصحاب الأقانيم .

٥ ـ رد فرية المبشرين في حديث الغرانيق وزواج السيدة زينب بسيد المرسلين .

٦ ـ هداية الناشئين في تعلم مبادىء الدين .

---

(١) لمزيد من العلم بهذه الجماعة «الإخوان» انظر «الطريق إلى جماعة المسلمين» رسالة ماجستير من الجامعة الإسلامية ، من إعداد حسين بن محسن جابر ، نشر دار الدعوة الكويت ، ط ٢ ، ١٤٠٦هـ ، ص ٣٣٧ – ٤١٦.

(٢) انظر تفاصيل هذه الحادثة في كتاب الإخوان المسلمون بين عبد الناصر والسادات من المنشية إلي المنصة ١٩٥٢م – ١٩٨١م ، تأليف د. زكريا سليمان بيومي ، نشر مكتبة وهبة ، ط ١ ، ١٤٠٨هـ.

٧ ـ معجزات محمد ﷺ في القرن العشرين .

وفـــاته: لم أجد من أشار إليها، ولما سألت فضيلة الشيخ عبد الرحيم عبدالجابر عن تأريخ وفاته؟ قال: إنني ارتحلت عن طهطا، وانقطعت الصلة بيني وبينه، ولم أعلم متى توفى . وذكر بأن الناس يثنون عليه خيراً بعد وفاته . ولعل الله أراد أن ينتشر ذكره بعد وفاته فيسر لقائي بفضيلة هذا الشيخ .

المطلب الثاني البيئة التي نشأ فيها :ـ

نشأ في أسرة قبطية في ظل المجتمع المصري، الذي يسود الدين الإسلامي أغلبيّته، وتكوّن الطائفة القبطية أقلية محدودة، مبثوثة بين أفراده، وهذه الطائفة بحكم معايشتها لهذه الأجواء الإسلامية؛ نجد أنها متأثرة بها من حيث اللسان والمعارف والثقافة والأخلاق والانتماء، وهذا التعايش والتقارب بينهما في المدرسة والسوق والمتجر ... سهل التأثر والتأثير بينهما؛ فنجد أن عدداً من المسلمين هناك يشاركون أو يحتفلون بعدد من أعياد النصارى ـ وهذا لا يجوز شرعاً ـ كما نجد أن كثيرين من أبناء هذه الطائفة يدخلون في الإسلام، بعد ترو وقناعة ويقين؛ الأمر الذي حدا بالكنيسة إلى أن تمارس نوعاً من الحيل الغرض منها الحماية والحصانة، إذ يقوم في بعض الكنائس رجل نصراني، ويتزيا بزي بعض المسلمين، ويخطب في الحاضرين برطانة لا هي عربية ولا أعجمية، ويفيد الحاضرين

بأنه كان من خيار المسلمين. ثم هداه الله إلى النصرانية [1]. ولم تلجأ الكنيسة إلى هذا التصرف؛ إلا بسبب انزعاجها من هذا التسرب في صفوف أبنائها إلى الجانب الآخر .

ولقد عاشت هذه الفئة القليلة مع الأكثرية المسلمة في سلام ووئام، ولا يوجد في مصر تفرقة طائفية ضد الأقباط ... إذ الكتاتيب مفتوحة لهم، وكذلك الأقاليم التي تزيد فيها نسبة السكان من الأقباط تعين الحكومة للمدارس القبطية إعانات لها أثرها، وإن تأريخ الأقباط يكشف عن أنهم عانوا ضيماً من أهل ديانتهم النصارى الأرثوذكس أو الكاثوليك، أكثر مما عانوا من أهل وطنهم المسلمين[2]. حتى إذا جاء الاستعمار البريطاني أيقظ الفتنة بينهما، وحاول استثمارها لصالحه، فأشعل فتيل الخلاف بين الفرق النصرانية في مصر، كما حاول القضاء على الوجود القبطي في مصر (ففي السبعينيات من القرن التاسع عشر حاولت الإرساليات الأمريكية والفرنسية القضاء على الكنيسة القبطية، وإن لم يتيسر ذلك، فالإبقاء عليها والتغلغل فيها وبسط السيطرة عليها، ونشر المذهب الكاثوليكي أو البروتستانتي في مصر، ونشر المدارس الدينية لهذا الغرض؛ إلا أن الكنيسة القبطية وقفت صامدة أمامه، ومنعت

(1) مجلة الإسلام المصرية ، عدد ٣٢ ، عام ١٣٥٨هـ ، ص ٢٣.

(2) انظر المسلمون والأقباط في إطار الجماعة الوطنية ، تأليف طارق البشري ، نشر الهيئة العامة للكتاب ١٩٨٠م ، ص ٤٢.

القبط من إرسال أبنائهم إلى هذه المدارس [1]) ولعل مرد هذا التدخل الغربي في شئون الأقباط في مصر إلى مايأتي : –

١ ـ الخلاف المذهبي بينهما .

٢ ـ توسعة دائرة الخلاف والشقاق بينهم حتى يغفل المستعمَر عن المستعمِر .

٣ ـ الرغبة في إجبارهم على الارتماء في أحضانهم .

كما أنه ـ أي الاحتلال البريطاني ـ (كرس الشقاق الطائفي الديني في مصر)[2]. وهذه إحدى قواعد السياسة البريطانية في أي موقع تحل فيه وهي (فرّق تسدْ) ؛ حتى تتحقق له أهدافه من خلال انشغال الطائفتين عنه، وقد سلكوا عدة أساليب في إذكاء هذا الخلاف فمنها :

١ـ إرجاع بعض مظاهرتخلف الأقباط إلى اضطهاد المسلمين لهم!!.

٢ ـ وصف المطالبة بطرد المستعمر بأنها حركة تعصب إسلامي؛ حتى يخفف حدتها، ويكسر سورتها، ويزيد الفجوة بينهما .

٣ ـ وصم أي حادث اغتيال سياسي داخل أرض مصر، إذا كان الضحية فيه قبطي ؛ بأن الدوافع له والبواعث عليه هي الدوافع الدينية [3].

وكان من وسائله ـ لتحقيق هذه الغاية ـ المنابر الإعلامية المتاحة في ذلك الوقت من إذاعة وصحافة (وظهر نوع من اصطناع الخلاف بين

(١) انظر المصدر السابق ، ص ٣٣ – ٤٠ و ١١٠ – ١١١.

(٢) سياسة الاحتلال تجاه الحركة الوطنية ، تأليف مصطفى النحاس وجبر يوسف ، نشر الهيئة العامة للكتاب ، ١٩٧٥م ، ص ٩٩.

(٣) انظر المصدر السابق ، ص ٩٧ – ١٢١.

الأقباط والمسلمين كان ميدانه بعض الصحف من الجانبين)[1]؛ ولفصل هذه الأكثرية المسلمة عن الأمة الإسلامية، وعن الارتباط بالخلافة العثمانية ـ حاول المستعمر إنماء الشعور القومي، وذلك بتشجيع الأحزاب والهيئات والمؤلفات التي تنادي بتعميق هذا الولاء والانتماء، وباحتواء بعض الأقباط الذين ساهموا في إشاعته ونشره .[2]

التنصير في مصر: [3]

أسلفت القول ـ من قبل ـ أن هذا المجتمع قبل دخول الاحتلال عاش في سلام بين طائفتيه، ومع وصول الاحتلال كرس الشقاق الطائفي بينهما، هذا من جانب، ومن جانب آخر حاول فرض مذهبه ودينه على هؤلاء المستعمَرين سواء كانوا مسلمين أم أقباط من خلال الإرساليات التنصيرية التي استغلت نفوذ المستعمر وبسط هيمنته؛ فوسعت نشاطاتها بين السكان، (فمنذ أن فرضت عليها الحماية البريطانية في أواخر عام ١٩١٤ م وهذه الحماية تراعي نشاط الإرساليات التنصيرية العالمية، بل

(١) المسلمون والأقباط ، ص ٥٩.

(٢) انظر مصر الحديثة بين الانتماء العقائدي .. والقومي ، تأليف د. زكريا سليمان بيومي ، نشر مكتبة وهبة، ط ١ ، ١٤٠٣هـ ، ص ٣٦ - ٤٢.

(٣) لمزيد من العلم بالتبشير في مصر انظر المستشرقون والمبشرون في العالم الإسلامي للمهتدي : إبراهيم خليل أحمد ، نشر مكتبة الوعي العربي، وملامح عن النشاط التنصيري في الوطن العربي، تأليف إبراهيم عكاشة علي ، نشر جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، ١٤٠٧هـ والإرساليات التبشيرية، تأليف د.عبدالجليل شلبي ، نشر منشأة المعارف ، الأسكندرية ، والتبشيرية والاستعمار في البلاد العربية ، تأليف مصطفى خالدى، وعمر فروخ ، نشر المكتبة العصرية ، بيروت ، ١٩٨٦ .

وكانت حامية لها مما أتيح لهذه الإرساليات أن تضاعف من نفوذها، ولقد ساعد هذا التزايد في النفوذ التنصيري؛ سلطة الامتيازات الأجنبية في إطلاق الحرية لها في العمل دون أن يكون في مقدور الحكومات المصرية المتعاقبة وحتى عام ١٩٣٥م إلزامها بشيء، أوحتى الإشراف عليها)[١]

وقد شارك في هذا النشاط التنصيري الكنيسة المصرية، عن طريق الممارسة غير المباشرة، وحصل رئيسها على جائزة عالمية ؛ تقديراً لجهوده التنصيرية بين المسلمين، كما عقدت مؤتمرات سرية وعلنية، واستحدثت مراكز اجتماعية مشبوهة للعمل في الأحياء الفقيرة.

كما ساهمت في دفع بعض أفراد النصارى الأقباط إلى القيام بأعمال تنصيرية فجة، فقد استطاع المنصر «زويمر» أن يحصل على تصريح بدخول المساجد بصفته مستشرقاً ...فدخل الجامع الأزهر، ووزع بعض الرسائل التنصيرية على طلابه، وذلك في عام ١٩٢٦م. كما شارك الكنيسة القبطية في التنصير الجامعة الأمريكية ؛ وأخذت على عاتقها مهمة العمل التنصيري في مصر .[٢]

الاستقلال : وفى منتصف القرن العشرين، تظافرت الجهود على مواجهة المستعمر ورغب الجميع في دفعه ورفعه، واشتد ساعد الحركة المعادية للاحتلال، ونما النشاط السياسي، واضطر الإنجليز إلى الاعتراف

---

(١) الجذور التأريخية لإرساليات التنصير الأجنبية في مصر ، دراسة وثائقية ، تأليف د. خالد محمد نعيم ، نشر كتاب المختار ، القاهرة ، ص ١٩٣.

(٢) المصدر السابق ، ص ٢٠١.

باستقلال مصر، بعد ثورة عام ١٩٥٢م، وقد شارك في هذه الثورة كلا القطبين المسلمون والأقباط ... ولكن ما الوضع الديني لهذا البلد بعد الاستقلال ؟

الجواب : لم يكن الدين هدفاً يسعى إليه، وغاية سامية يرتقي إليها - في نظر القادة - بل كان كقدح الراكب، إن احتيج إليه أُخذ، وإن استغني عنه وُضِع،[1] فعندما وصل عبدالناصر إلى سدة الحكم، كان محتاجاً إلى من يدعم موقفه ويسانده، اتكأ على الاتجاه الإسلامي حتى يحقق ما يصبو إليه، ثم قلب لهم ظهر المِجَن، وخيب آمالهم فيه، وأودع كثيراً منهم السجون والمعتقلات[2]، وأظهر جلياً الاتجاه إلى الماركسية، والدعوة إلى القومية، إذ هو أحد روادها في العالم العربي، هذا على المستوى الرسمي، أما على مستوى الأمة؛ فلقد بقيت عابدة لربها، مقتفية سنة نبيها ﷺ - في العموم الغالب - كل يوم يمر عليها تظهر فيها بشائر صحوة إسلامية مباركة، أذهلت أئمة التغريب والفساد، وخيبت آمالهم وتطلعاتهم .

ولما رحل عبد الناصر خلفه السادات وحاول توظيف التيار الإسلامي؛ ليكون له حليفاً في وجه اليساريين والناصريين، (وجعل منهم ركيزة هامة له في بحثه عن مؤسسات في الأوساط الاجتماعية ؛ فأفرج عن

(١) انظر رسالة في الطريق إلى ثقافتنا ، للأستاذ محمود محمد شاكر ، نشر مكتبة المدني ، جدة ، ص ١٤٧-١٥٠.

(٢) انظر الإخوان المسلمون بين عبد الناصر والسادات من المنشية إلى المنصة ، ص ٦٢ - ٦٤.

المسجونين منهم وسمح لهم بمزاولة نشاطهم ...)"[1]. إذاً أتاح لهم المجال عندما احتاج إليهم.

ومما يؤكد ما ذكر سابقاً ـ من أن الدولة اتخذت الدين كقدح الراكب ـ أنه جرت في السبعينات من هذا القرن محاولة تصفية الوجود السياسي والفكري للاتجاه اليساري، وتمت هذه التصفية عبر لجوء الدولة إلى استخدام الدين كسلاح لوصم اليسار بكل اتجاهاته بالإلحاد.[2] وبعد أن أدى هذا السلاح الدور المطلوب منه، التفت إليه الدولة ؛ ثم حصلت مصادمات بين الدولة وبعض الجماعات والتنظيمات الإسلامية عام ١٩٧٧م.[3]

هذا هو حال الأكثرية المسلمة بعد الاستقلال، ولكن ما هو دور الأقلية القبطية بعد رحيل الاحتلال؟ لقد ظلت هذه الأقلية بعيدة عن السياسة والحكم، تمارس عباداتها وطقوسها تحت رعاية الكنيسة، حتى إذا أشرفت الستينيات الميلادية من هذا القرن، وأشرفت معها تباشير الصحوة الإسلامية، ومطالبتها بحقوقها الدينية والسياسية؛ صاحب ذلك تحرك سياسي قبطي لمشاكلة التحرك الإسلامي ومشاركته، ورفض المحافظون منهم هذا التحرك، حتى ألجأهم الشباب القبطي إلى ضرورة العمل السياسي ؛ فأنشأوا جمعية الأمة القبطية عام ١٩٥٢ م، وظل هذا التيار

---

(١) المصدر السابق ، ص ٩١ – ١٠٠.

(٢) انظر المسلمون والأقباط ، ص ٦٧٧.

(٣) انظر الإخوان المسلمون ، ص ٩١ – ١٠٠.

ينمو ويتدرج حتى كان عام ١٩٧٠ م (فحدثت فتنة طائفية أدت إلى تدخل الدولة، واللجوء إلى المواجهة العلنية مع الزعامة القبطية، واتهامها بمحاولة جعل الكنيسة سلطة داخل الدولة، واستعداء القوى الأجنبية؛ للتأثير على التوازن بين الأقباط والمسلمين ... إنها المرة الأولى التي يكشف فيها النقاب بشكل رسمي عن مخطط لإقامة دولة مستقلة للأقباط .)[١]

المطلب الثالث الدوافع التي أثرت فيه حتى أسلم :ـ

الدوافع التي تدفع أهل الكتاب للدخول في الإسلام كثيرة ومتعددة، إذ هو الفطرة التي فطر الناس عليها، هذا فضلاً عن وجود خبره وخبر نبيه محمد ﷺ في كتبهم، إما تصريحاً أو تلميحاً أو إلزاماً. ومنها أيضاً : وضوح أدلته وقوة براهينه، وشمول أحكامه ويسرها، وحفظ كتابه ـ المعجز في كل جوانبه ـ أن تناله أيدى العابثين بالتحريف أو الزيادة أو النقص. ولقد ذكر هذا المهتدى سبب إسلامه، ولكنه لم يؤرخ هذا الحدث، كما ضمن هذا السبب بعض الدوافع التي دفعته إلى الإسلام، كما استطعت أن استنبط بعضاً منها أيضاً من خلال ما وصل إلى من معلومات، وهذه الدوافع هي :ـ

---

(١) الفتنة الطائفية في مصر جذورها وأسبابها ، تأليف جمال بدوي نشر المركز العربي للصحافة ، القاهرة ، ص ٩ – ١٠.

١ ـ البحث والمقارنة والدراسة، كل ذلك قاده إلى الحقيقة، وهداه ـ بعد توفيق الله ـ إلى الصراط المستقيم، إذ يقول : (إن إسلامي لم يأت طفرة واحدة، ولم يكن ابن يوم وليلة، بل كان نتيجة بحث وتنقيب ؛ بغية الوصول إلى الحقيقة، فاطلعت على القرآن الكريم بعد دراستي للتوراة والإنجيل، وأردت أن أدون ما وصلت إليه أبحاثي في هذه الكتب من الحقائق التي هدتني إلى الصراط المستقيم .)[1] وبين أن وسيلته إلى ذلك هو التخلي عن التحزب الممقوت، والعصبية العنصرية، وامتحان ماتوارثه عن آبائه وأسلافه، وأنه يجب عليه البحث عن الحق، والمسارعة إليه واتباعه والعمل به .[2]

٢ ـ وضوح الحق في الإسلام ، وتظافر الأدلة عليه: (فإذا تصفحت عجالتي هذه بروية وإمعان؛ وضح الحق لديك بالبرهان، وظهر جلياً للعيان، وجدت نفسك منساقاً إلى اليقين)[3]. هذا بالإضافة إلى أنه سمى كتابه « المنارات الساطعة في ظلمات الدنيا الحالكة » وجعل كل منارة تؤدي إلى أختها، مما يدل على قوة الأدلة التي أرشدته إلى الهداية، وترك دينه ودين آبائه وأجداده .

---

(١) المنارات الساطعة ، ص ٧ .
(٢) المصدر السابق ص ٨.
(٣) المصدر السابق ، ص ٧.

٣ ـ تلاوة القـــرآن : قبل أن يسلم كان كثيراً مايطلع على القرآن الكريم، ويتدبر معانيه، ويتأمل ماتضمنه من عقائد وأحكام وأخبار . وبالتأكيد أن هذا الاطلاع والتلاوة للقرآن، أمكنه بفضل من الله أن يقابل بينه وبين ماعهده من كتب دينه، فيقابل بين عقائده وعقائدها، وأحكامه وأحكامها، وأخباره وأخبارها ؛ ليخرج بنتيجة: أن ما تضمنه القرآن تنساق إليه الفطرة، وترغب إليه النفس، وتأنس به الروح، وبه تستقيم الحياة، وعليه يصلح أمر الدنيا والآخرة .

٤ ـ مخالطة العلماء : كانت بلدته «طهطا» محل إقامة كثير من العلماء، ومقصد كثير من المرشدين الذين يعلّمون الناس الخير، ويهدونهم إلى الصراط السوي، وأنعم الله على هذا المهتدي بأن جعله محباً لمخالطتهم ومجالستهم ـ حتى قبل إسلامه ـ فدفعه ذلك إلى البحث والتمحيص لما يسمعه منهم ويجده لديهم، فقاده ذلك إلى الإسلام.

٥ ـ التخلى عن التعصب الممقوت : يفوت الإنسان من الخير بقدر ما يتمسك بما معه من الباطل، ويتعسر عليه الوصول إلى الحقيقة ؛ إذا جمد على ماتوارثه عن آبائه وأسلافه من غير تمحيصٍ وعرضٍ على النقل الصحيح والعقل ، يقول هذا المهتدي موضحاً هذا الجانب: (الإنسان مكلف أن يبحث عن أقرب طريق موصل للخير؛ ولنيل ذلك يجب أن يتخلي عن التحزب الأعمى الممقوت، و العصبية العنصرية، ويضع ما كان

عليه آباؤه وأجداده على بساط البحث والتنقيب، فإذا منّ الله عليه بمعرفة الحق قام فسارع مبادراً إلى اتباعه) [1]

العوائق التي واجهته بعد إسلامه :

١ ـ لم تقف الكنيسة مكتوفة الأيدي إزاء إسلامه، بل حاولت جاهدة أن تصده عن الإسلام، وأن تثنيه عما عزم عليه ؛ فعرضت عليه أصناف متاع الدنيا، إذ عرضت أن تولّيه ما يشاء من المناصب الكنيسة، أو أن تعطيه من المال ما يريد، إذا وافق على أن يترك إسلامه ويعلن أوبته إلى ظلمات النصرانية . لكنه آثر الحق على الباطل، وآثر الآخرة على الدنيا، وآثر النور على الظلمات .

٢ ـ لم يرض بإغراءات الكنيسة، وجاهد لإحقاق الحق وإزهاق الباطل، وسعى عاجلاً لإخراج أول كتبه بصورة مختصرة [2] ؛ ليبين الحق في، ويفضح الزيف ويعريه،ودفع هذا الكتاب إلى صاحب المطبعةلطباعته ـ وكان صاحب المطبعة رجلاً نصرانياً [3] ـ فلما علمت الكنيسة أوفدت إليه وفداً لمنعه، ولكنه رفض ثم عرضوا عليه من المال أكثر مما سيربح من وراء طبع هذا الكتاب فرفض وطبع الكتاب وانتشر بين الناس.

(١) المصدر السابق ، ص ٨.
(٢) المصدر السابق ، ص ٧.
(٣) هوليب رفلة صاحب مطبعة الفنون الجميلة في طهطا.

٣ ـ بعد مضي مدة على إعلان إسلامه، رغب أن يكمل شطر دينه من امرأة مسلمة، تشاطره أفراحه، وتحمل معه أتراحه، ولكن العادات والأعراف المتبعة في بلده حالت دون تحقيق ذلك . فلو كان عابداً لله على حرف، أو كان إسلامه مدخولاً فيه ؛ لوجد الشيطان إليه عبر هذه العقبة طريقاً ينفذ إليه منه، ولكنه صبر واحتسب، وتوفي ولم يتزوج .

المطلب الرابع : القيمة العلمية لكتابه«المنارات» : ـ

من خلال بحثه ومقارنته ومقابلته النصوص بعضها مع بعض ؛ توصل إلى عدد من النتائج والحقائق التي أرشدته إلى الصراط المستقيم، وقد اجتمع لديه ـ نتيجة لذلك ـ كتاب كبير يحتوي على أكثر من اثنين وعشرين باباً[١]، ثم استخلص منها هذه الرسالة التي بين أيدينا، وهي تقع في مائة صفحة من الحجم المتوسط، أتم المؤلف كتابتها في ١٣٦٩/١/٢٧ هـ، وطبعت للمرة الأولى في نفس العام .

هدف تأليف الكتاب : قد أوضحه في بداية كتابه فقال : (وأردت أن أدون ما وصلت إليه أبحاثي في هذه الكتب من الحقائق التي هدتني إلى الصراط المستقيم ؛ أرجو بها الرضوان من رب العالمين).[٢]

---

(١) المصدر السابق ، ص ٧.

(٢) المصدر السابق ص ٧.

محتوى الكتاب : قسم المؤلف كتابه تقسيماً بديعاً سمى كل قسم منه «منارة » وهذه المنارات كل واحدة منها مرتبطة بما بعدها ارتباط الفرع بأصله، متناسقة فيما بينها كتناسق العقد،كل واحدة تؤدي إلى الأخرى، قد استطاع أن يضمنها ما أراد إبلاغه لغير المسلمين من الدلالة على الحق والإرشاد إليه. وابتدأ هذه المنارات بحكمة بدء الخلق وتكوينه، وثنّى بحكمة خلق آدم من تراب، ثم ثلث بحكمة خلق حواء من ضلع آدم، وفى المنارة الرابعة والخامسة تحدث عن نشأة عيسى عليه السلام . أما المنارة السادسة فقد خصصها للأنبياء المرسلين أمام سيد الأنبياء، وقارن في المنارة السابعة بين خلق يحيى وعيسى عليهما السلام، وأورد الشواهد الظاهرة لزوال النبوة من بني إسرائيل في المنارة الثامنة، وخصص المنارة التاسعة لذكر بعض البشارات الواردة فى التوراة والإنجيل بمحمد ﷺ، وفى المنارة العاشرة والحادية عشرة أثبت من خلالهما تصريح الأناجيل بحفظ عيسي عليه السلام من الصلب، ووقوع الشبه على غيره، كما أشار إلى حكمة رفعه إلى السماء.

وكان ختام هذه المنارات مسكاً؛ إذ أورد فيها أدلة حفظ القرآن من أقوال الجن والكهان. فأنت خلال استعراضك لهذه المنارات واجد مدى التلازم والتعاضد بينهما ؛ لإقامة الدليل ونصب الحجة والدلالة على الطريق السوي، الذي هُدي إليه وحرص على إرشاد غيره إليه .

منهجه : التزم المؤلف خلال تدوينه لكتابه التجرد التام؛ وذلك بأن يدع التحزب الأعمى، والعصبية والعنصرية جانباً، وأن يضع ماكان عليه آباؤه وأجداده على بساط البحث والتنقيب، والتزم أنه إذا تبين له الحق أن يسارع إلى اتباعه والعمل به، ولوكان في ذلك مفارقة النفس والوالدين والمال، بل الدنيا كلها[1].

كما التزم الأمانة العلمية في نقله للنصوص محل الاستشهاد والإشارة إلى مصادرها، وعدم اعتساف الأدلة أو تأويلها لأجل ما يطرح من قضايا أو آراء . وجعل لحمة هذا الكتاب وسداه خلاصة ماتوصل إليه من حقائق خلال اطلاعه على القرآن الكريم ودراسته للتوراة والإنجيل .

القيمة العلمية : يستطيع طالب العلم أن يكتشف القيمة العلمية لهذا الكتاب بعد اطلاعه عليه، وسيجد أنها متعددة الجوانب فمنها :

١ـ أن المؤلف كان قسيساً نصرانياً ثم أسلم وألف هذا الكتاب؛ ليدلل على أن ما اختاره لنفسه هو الحق، وأن ما عداه هو الباطل، ويقيم الأدلة، ويبسط الحجج، ويسوق البراهين على ذلك ؛ حرصاً منه على هداية غيره من أبناء ملته النصارى إلى الإسلام، هذا من جانب، ومن جانب آخر قوة الأدلة التي استدل بها وبراعته في توظيفها لما يريد نفيه أو إثباته.

٢ـ هذا الكتاب موجه بالدرجة الأولى لهداية النصارى إلى الإسلام[2]، ولو لم يكن أصاب المحز وقطع المفصل؛ لما انزعجت الكنيسة

---

(١) المصدر السابق ، ص ٨.

(٢) المصدر السابق ، ص ٧.

منه، وحاولت منعه وإغراء صاحب المطبعة بعدم طبعه .

٣ـ بخبرة العالم بنصوص التوراة والإنجيل ومدلولاتها، حاول الموافقة والمطابقة بينها وبين القرآن فيما يريد نفيه أو إثباته[1] ؛ ليبين للقاريء مدى التطابق بين هذه الكتب في القضايا محل النزاع، وقد كان بارعاً وموفقاً في ذلك .

كما حاول الربط بين ما تضمنته النصوص القرآنية من حقائق ودلالات عن الكون من حولنا، مع ما ورد في الكتب العلمية من حقائق؛ ليكون ذلك أدعى للقبول والتلقي، في عصر غلبت فيه الفتنة بما أنجزه العلم .

٤ ـ حاول البحث والتعليل واستقصاء الأسباب حسب اجتهاده، ويتضح ذلك من خلال محاولته التعرف على الحكمة من خلق آدم وحواء وعيسى عليهم السلام على غير مثال سابق، ومن خلال ذكره لأسباب إخبار الملك لمريم عن هذا الحمل، وأسباب الحمل بيحيى عليه السلام، وغير ذلك كثير[2] .

٥ ـ لعل من أهم الجوانب التي تعطي لهذا الكتاب قيمته، أن اهتداء المؤلف للإسلام، وكتابته لهذا الكتاب جاءت في وقت بلغت فيه الأمة الإسلامية غاية الضعف والهوان، فبالنظر إلى تأريخ تأليفه نجد أنه عام ١٣٦٩هـ، أي بعد سقوط الخلافة العثمانية بـ ٢٨سنة فقط، وفي هذا

---

(١) المصدر السابق ، ص ٣٤ – ٣٧ ، ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٩ ، ٥٣ ، ٥٥ ، ٥٨ ، ٥٩ ، ٦١ ، ٦٥ ، ٦٧.

(٢) المصدر السابق ، ص ٣٩ ، ٤٣ ، ٥٣ ، ٨١ ، ...

الوقت بالذات كان الاستعمار الغربي النصراني محتلاً لأكثر الدول الإسلامية، بما فيها الدولة التي ينتسب إليها المؤلف، فكأن اهتداء المؤلف في هذا الوقت بالذات، وتأليفه لهذا الكتاب صفعة في وجه النصرانية المستأسدة في العالم الإسلامي ليقول لها بلسان الحال والمقال : اربعي على نفسك فإن الحق هاهنا، وإن الباطل بين يديك ومن خلفك.

٦ ـ أن هذا الكتاب رغم طبعه منذ زمن ليس بالقريب، ورغم عدم توفر نسخه[١] إلا أن ذلك لم يمنع الاستفادة منه، فقد أفاد منه المستشار محمد عزت الطهطاوي في ثلاثة من كتبه: حيث اختصر جل الفوائد العلمية التي وردت في المنارات التي نصبها النجار في كتابه، وضمنها كتاب « في الدعوة إلى الإسلام بين غير المسلمين »[٢]، كما نقل عنه دور بولس في هدم النصرانية [٣]، واستشهد بقوله في إثبات إحدى البشارات بالنبي ﷺ من الإنجيل .[٤]

المآخذ :

١ ـ قال في ص٢٥ : (ويحمل إلينا الأثير الأنباء العلمية التي تنير عقولنا، قال تعالى ﴿فالملقيات ذكراً﴾، وكذلك الأخبار السياسية والتجارية

(١) لم أستطع الحصول علي نسخة منه إلا بعد بحث شاق وطويل عن طريق الاستعارة من أحد الأساتذة الفضلاء في مصر ، فله مني أوفر الشكر.

(٢) انظر في الدعوة إلى الإسلام بين غير المسلمين، ص ١٥٣ - ١٥٨.

(٣) انظر مقارنة الأديان النصرانية والإسلام ، ص ٢٧٧.

(٤) انظر بشائر الرسالة المحمدية ، ص ٥٣.

وغيرها، وتحمل إلينا الألحان المطربة التي تشفي الأمراض العصبية وتزيل الأحزان)[1].

يؤخذ عليه في هذا النص أنه فهم من الآية المذكورة آنفاً أن : (الملقيات) هي الوسائل الحديثة التي تستخدم موجات الأثير، والمعنى الصحيح للآية أنها الملائكة، كما يؤخذ عليه ظنه بأن الألحان تشفي الأمراض وتزيل الأحزان .

٢ ـ يؤخذ عليه اجتهاده في استقصاء الأسباب المادية في حمل مريم عليها السلام بعيسى عليه السلام بدون ملاقاة زوج، فذكر أن ذلك بسبب الطعام الذي أطعمها الله إياه ؛ لأن المرأة البالغة القوية الكاملة ـ إذا توفرت فيها الغدد المؤدية لكمال الرتبة الإنسانية ـ في ظنه ـ يجوز أن تحمل بدون ملاقاة الزوج. وفي هذا تمحل وتكلف لا طائل من ورائه ؛ لأن الآيات الخارقة للسنن المعهودة، التي يقيمها الله للدلالة على أمر ما؛ ينبغي حيالها التسليم الكامل، وعدم التكلف والتمحل في إرجاع هذه الخوارق إلى أسباب مادية أرضية.

٣ ـ ويؤخذ عليه أيضاً تشبيهه المسيح عليه السلام بالملائكة ؛ نظراً لنشأته ورفعه إلى السماء المخالف للمألوف . وفي هذا غلو في المسيح ؛ والله سبحانه وتعالى يقول : ﴿إن مثل عيسي عند الله كمثل آدم..[2]﴾. فشبهه بأصله .

---

(١) المنارات الساطعة ، ص ٢٥.

(٢) انظر المصدر السابق ، ص ٨٥ ، والآية ٥٩ من سورة آل عمران.

المبحث السابع : إبراهيم خليل

المطلب الأول : اسمه ومولده ونشأته :ـ

هو إبراهيم خليل فـيلبس[1]، وبعـد إسلامـه تسـمى بإبراهيم خليل أحمد.

ولد في مصر، بمدينة الإسكندرية في ٣ /١٩١٩/١م، لأبوين قبطيين حباهما الله بسطة من العيش، كما ألفا التدين والالتزام بالنصرانية، ونشأ هذا الابن في حجرهما نشأة دينية.

وقد كان محل عنايتهما ورعايتهما؛ إذ ألحق بالمدارس الخاصة منذ نعومة أظفاره، وتكلفت الأسرة لأجل ذلك المصروفات الكثيرة، ولم تذهب هذه المصـروفـات سـدى ـ في نظر والديه ـ إذ تفـوق على أقـرانه في المرحلتين الابتـدائيـة والثـانوية واضطرت الأسـرة ـ كـغـيـرها من سكان الإسكندرية ـ إلى الهجرة عنها فراراً من أهوال الحرب العالمية الثانية عام ١٩٤٠ م[2].

---

(١) اعتمدت في تدوين ترجمته على ماذكره عن نفسه ، كترجمة ذاتية له ، في مقدمة كتابه «المستشرقون والمبشرون» نشر مكتبة الوعي العربي ، وكتابة «محمد ﷺ في التوراة والإنجيل والقرآن» نشر دار المنار ، ط ٥، ١٤٠٥ ، وما ورد متفرقاً في كتبه الأخرى وما ورد من التعريف به فى كتاب «المناظرة بين الإسلام والنصرانية» ، بالإضافة إلى مقابلتي له.

(٢) انظر المستشرقون والمبشرون ، ص ١٢.

وفي سني شبابه التحق بنشاط الفرق الكشفية؛ مما أتاح له فرصة التعرف على البيئات المختلفة، والعقائد الأخرى كالإسلام واليهودية، وقد أثرت في حياته المبادىء الكشفية من الدعوة إلى التقارب الأخوي بين الناس، وأن رسالتهم هى السلام ...

واستقرت الأسرة بعد هجرتها في أسيوط ، فواصل دراسته الثانوية في كلية أسيوط الأمريكية ، وتخرج فيها عام ١٩٤٢م، وبعد ذلك التحق بالجيش الأمريكي في مصر من عام ١٩٤٢ ـ ١٩٤٥ م في سلاح الصيانة ، حيث عمل بالمعامل الكيمياوية ، ولقد كان للدماء وأهوال الحرب أثر نفسي عليه؛ إذ دفعه ذلك إلى الدعوة إلى السلام؛ فاتجه إلى الدين النصراني والسلك الديني يستجديه المخرج من هذه المآسي والأهوال، وقرر الالتحاق بإحدى الكليات اللاهوتية عام ١٩٤٥م ؛ حتى يكون على بصيرة في دينه ، وتخرج فيها عام ١٩٤٨م . ومما تجدر الإشارة إليه العناية القصوى التي توليها الإرساليات التنصيرية والكليات اللاهوتية لطلابها في هذه المرحلة ، ويكفي أن نذكر أن الجوانب التي تلفت الانتباه في برنامج الدراسة الذي تلقاه هذا المهتدي في الكلية التي تخرج فيها بدرجة ليسانس هي :

١ ـ أن عدد الأساتذة ١١ أستاذاً يدرسون ١٦ طالباً .

٢ ـ أن هذه الكلية رغم وجودها في مصر فهي لاتخضع لإشراف وزارة التربية والتعليم، بل تخضع في برامجها إلى جامعة برنتسون في الولايات المتحدة الأمريكية .

٣ ـ إيفاد الطالب إلى إحدى الكنائس على فترتين في الإجازات الصيفية للوعظ فيها والتعليم .

٤ ـ الإشراف العملي من قبل المجمع الذي تتبعه الكنيسة على الطالب في فترة التدريب .

٥ ـ تشترط هذه الكلية الانتظام الداخلي لطلابها ؛ والقصد من ذلك التعرف على كافة أخلاقه وسلوكه ، والاطمئنان على سلامة تأهيله علمياً وأخلاقياً وسلوكياً .

٦ ـ كثافة المواد المنهجية التي يدرسها الطالب في هذه المرحلة ، والعناية في اختيارها وهي:

أ ـ أربع لغات وهي : العربية والإنجليزية واليونانية والعبرية .

ب ـ أربع مواد عن الكتاب المقدس المزعوم ومادة مقارنة الأديان .

ج ـ ستة فنون لتعلم القيادة والرعاية الكنسية والوعظ والتأثير على المدعوين .[١]

بداية العمل الكنسي :

في عام ١٩٥٢م تم الاحتفال بتنصيبه راعياً وقسيساً للكنيسة الإنجيلية بباقور من محافظة أسيوط ، بعد أن اختارته الكنيسة لثقتها بأهليته لهذا المنصب ، وبعد تقديمه بحثاً دينياً تحت إشراف المجمع الذي تتبعه هذه الكنيسة، وهذا البحث يعادل درجة الماجستير. وكان له نشاط ذائع في

(١) انظر المصدر السابق ، ص ١٣ - ١٥.

التنصير بين المسلمين؛ من أجل ذلك تهافتت الإرساليات التنصييرية عليه للعمل معها، وقد اعتمد في نشاطه هذا على نفوذ الاستعمار الإنجليزي لمصر في تلك الفترة .

وقد زاول الأعمال التالية بالإضافة إلى عمله في الكنيسة بمنصب قسيس :

١ ـ سكرتير عام للإرسالية الألمانية السويسرية بأسوان عام ١٩٥٤م .
٢ ـ انتدب للعمل التنصيري في الجنوب .
٣ ـ رقي إلى قسيس منصر بالإرسالية الألمانية السويسرية في أسوان .
٤ ـ عضو مجمع مشيخة أسيوط .
٥ ـ عضو سنودس[١] النيل .
٦ ـ زميل للمرسلين الأمريكيين .
٧ـ أستاذ العقائد واللاهوت لكلية اللاهوت في أسيوط .
٨ ـ زميل لعدة إرساليات بمصر .[٢]

المطلب الثاني : الدوافع التي أثرت فيه حتى أسلم :ـ

عاش هذا المهتدي في تلك البيئة التي سبق الحديث عنها[٣]، وعندما سألته هل كان لهذه البيئة دور في دخولكم الإسلام ؟ أجاب : (في

---

(١) كلمة لاتينية تعني «مؤتمر ديني».

(٢) انظر المصدر السابق ، ص ١٠٧ ، والمناظرة بين الإسلام والنصرانية ص ١٧ ـ ١٨ .

(٣) اكتفيت فيما يتعلق بالبيئة التي نشأ فيها ، بما ورد في المبحث السادس ، إذ البيئة واحدة ، والبلد واحد ، والزمان متقارب جداً.

الواقع المسلمون مالهم أي أثر في حياتي، أقولها وأنا متأسف، لكن الله إذا يريد أن يهديني للإسلام شرح قلبي لقراءة القرآن الكريم، فلما قرأته وجدت فيه أدلة قوية جداً، أن التوراة والإنجيل قد تحرفتا، وأن المسيح نبي الله لم يقتل ولم يصلب على الإطلاق) .أ.هـ

وبإعادة النظر في بداية حياته، نجد أنه ولد لأبوين متدينين، وقد حرص أبوه على إدخاله مدرسة خاصة؛ إمعاناً في الحرص عليه والعناية به، ثم في المرحلة الثانوية يذكر ـ كماسبق ـ أن المرسلين كانوا له كأولياء الأمر، وفي المرحلة الجامعية كان منتظماً انتظاماً كلياً داخلياً فيها، وفي الإجازات الصيفية ينتقل إلى الممارسة العملية في الدعوةوالوعظ والتنصير. نجد شخصاً لقي من العناية ما لقي، ولم يتيسر له معايشة المسلمين والاختلاط بهم الاختلاط الكافي للتأثير عليه؛ فلا نستغرب في إجابته عدم تأثير الجماعة الإسلامية عليه.

وقد روى هذا المهتدي سبب إسلامه في كتابه « المستشرقون والمبشرون » فصل لماذا أسلمت؟ كما أتحف القاريء بأسرار إسلامه في فصل بهذا العنوان من كتابه « محمد ﷺ في التوراة والإنجيل »، ويمكن تلخيصها كالتالي :

١ - في ذروة نشاطه التنصيري، ونشوة انتصاراته ، وخلال فترة إعداد نفسه لنيل درجة الدكتوراه في الفلسفة واللاهوت، من جامعة برنتسون ـ كان موضوع الرسالة يتضمن الهجوم على الإسلام ؟وإثبات تناقض القرآن، وشرع في المضي قدماً فيها، وبدأ يتصفح القرآن لإثبات ما همّ به ؛ ولكن

أعجزه القرآن، وقهره الحق، حيث يقول (أردت الهجوم على الإسلام بمهاجمة القرآن الكريم ، ويشاء الله أن يقهرني بالقرآن الكريم ، ليسمعني صوته بقوله: ﴿قل أوحي إلي أنه استمع نفر من الجن فقالوا إنا سمعنا قرآناً عجباً. يهدي إلى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحداً﴾[1]. كان لهذه الآية وقع في نفسي، إذ جعلتني أفكر تفكيراً حراً نزيهاً، وأحسست بأن الله الذي علمني مالم أعلم يستطيع أن يجردني من العلم والمعرفة، ويتركني للذل والهوان، لكن إرادته لهدايتي جعلته يفيض عليّ من أنوار هذه الآية ، مما أيقظ ذهني وقلبي ووجهي إلى إرادته ومشيئته)[2]. ويقول: (لقد أراد الله لي الخير، فهداني إلى الإسلام، بينما أنا في جهالتي وحماقتي أردت للإسلام تقويضاً، وللمسلمين أن يدخلوا في رحاب النصرانية)[3].

٢ــ خلال دراسته للقرآن استوقفه قوله تعالى: ﴿ الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل﴾ [4]فكان ذلك دافعاً له ومشجعاً على عمل دراسات مقارنة، بدأها في صمت خلال خمس سنين؛ حتى أتاه اليقين، وأشرق له الحق[5] .

---

(١) سورة الجن ، الآيتان ١ - ٢.

(٢) المستشرقون والمبشرون ، ص ١٧.

(٣) المصدر السابق ، ص ٢١ وانظر محمد ﷺ في التوراة والإنجيل والقرآن ، ص ٢٩.

(٤) سورة الأعراف ، الآية ١٥٧.

(٥) انظر كتاب محمد ﷺ في التوراة والإنجيل والقرآن ، ص ٢٩.

٣ ـ عبر عنه بـ« دور الكتابة في الهداية »[١] ويقصد أن التوراة والإنجيل مهما أصابهما من تحريف وتبديل، فهما لايزالان يحملان بين طياتهما بعض الشواهد والأدلة التي أعمى الله عيونهم عن تبديلها وتحريفها؛ حتي تقوم بها الحجة عليهم، ولقد عثر على بعض هذه الشواهد ـ وهي كثيرة ليس بالإمكان حصرها ـ وكلها تدور على أن هذا الكتاب المقدس بعهديه قد تضمن إثبات أن في نسل إسماعيل عليه السلام نبياً هو خاتم الأنبياء والمرسلين، وأن عيسى عبد الله ورسوله[٢]. وبعد المقارنة والدراسة والاستقصاء؛ تبين له الحق، واستبان له اليقين عام ١٩٥٩ م .

٤ ـ الجوانب المشرقة في الإسلام كثيرة وعظيمة، وكل من ظهر له جانب ، أو كان يفتقد هذا الجانب طوال حياته ثم وجده في الإسلام وضاءً ولافتاً للنظر؛ فإنه يجعله محل عنايته، ومحط اهتمامه. وهذا المهتدي الذي أخرجه الله من ظلمات النصرانية إلى نور الإسلام ، فوجد فيه الوحدانية والغفران على صورة مغايرة لما عهده في دينه السابق؛ فهام فيهما، واستروح ظلالهما، وأخذ يقارن بين ما عهده من دينه وما اكتشفه في الإسلام؛ فوجد الفرق واسعاً والبون شاسعاً، يقول عن جانب الوحدانية في الإسلام : (فإن القرآن الكريم قد بسّط عقيدة الوحدانية تبسيطاً يفهمه العالم والأمي)[٣]. ويقارن هذه الصورة الواضحة النقية بصورة الوحدانية في

(١) انظر المصدر السابق ، ص ٣١.
(٢) انظر تفاصيل هذه الأدلة في المصدر السابق ، ص ٢٩ - ٧٦.
(٣) المستشرقون والمبشرون ، ص ١٧ - ١٨.

النصرانية فيقول: (أما الوحدانية في المسيحية ـ كما تمخض عنها مجمع نيقية في القرن الرابع الميلادي ـ فتعتمد على ما جاء في إنجيل متى... (فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس)... لقد كان الاختلاف في مفهوم الوحدانية مثار الجدل المرير)[1].أما مقارنته بين الغفران في الإسلام والنصرانية ، فقد اكتفى بإشراق هذا الجانب ووضوحه في الإسلام؛ إذ لايحتاج إلى شفيع أو وسيط، فيقول موضحاً هذا الجانب :(ويطول بي الحديث إذا تحدثت عن نظرية الغفران والفداء في المسيحية، ويكفي الإسلام فخراً أن مغفرة الله للإنسان لا تتوقف على وسيلة من الوسائل مهما عظمت أو قلّت)[2].
فكانت هذه الجوانب مما دفعه إلى الإسلام .

٥ ــ في الفترة التي انقطع فيها هذا المهتدي عن الخدمة الدينية للكنيسة، واشتغل فيها بعمل تجارى يكسبه لقمة عيش كريمة هو وأولاده، وتفرغ للبحث والمقارنة، يسر الله له من الأسباب ما يأخذ بيده ويعينه على الوصول إلى الحق، فيأتي أحد الأساتذة المسلمين[3] إلى الشركة التي يعمل بها هذا المهتدي، لتتولى له هذه الشركة طبع الجزء الثلاثين من القرآن الكريم، مفسراً باللغة الإنجليزية، فكلفت هذه الشركة هذا المهتدي بالإشراف على الطباعة؛ فكان هذا الاشراف سبباً في توضيح

(١) المصدر السابق ، ص ١٨ – ١٩.
(٢) المصدر السابق ، ص ٢٠.
(٣) هو د. محمد بن عبد المنعم الجمال.

بعض المفاهيم، وتقوية إرادته لحسم الموقف من خلال الاطلاع على هذا التفسير، والالتقاء بهذا المؤلف (ووسعني بمنزله منزلة وكرامة في دراسة وتفسير للقرآن الكريم، وآليت على نفسي أن أعلنها صراحة بقبول الإسلام ديناً، وبراءتي من كل دين يغاير ويخالف دين الإسلام)[1].

ورغبة منه في أن يكون مسلماً لا يرتبط بلقمة؛ أنشأ لنفسه مكتباً تجارياً لتجارة الأدوات الكتابية والمكتبية، وذلك في عام ١٩٥٨م، وهو في هذه الفترة معتنق للإسلام، لكنه لم يعلنه، ولم يرض من نفسه هذا التصرف، إذ يقول:(وفى هذا كله لم يطرأ علي تغيير علني...الأمر الذي لم أقتنع به إطلاقاً)[2] وتحقيقاً لرضا ربه، وراحة ضميره، وبعد أن تبين له الحق اعلن اعتناقه للإسلام هو وأبناؤه، عام ١٩٥٩م. ويوضح لنا هذه النقلة الدينية بقوله:(تدارست الأمور كلها من كل جوانبها : من الناحية الزوجية، ومن ناحية أبنائي، ومن ناحية العمل الذي هو مصدر رزقي؛ ووجدت أنه لا بد من مواجهة الحقائق دون تردد)[3]. وبالفعل أعلن إسلامه، فماهي العقبات التي واجهته بعد ذلك؟

العقبات التي واجهته:

على قدر أهمية الرجل ودوره في مجتمعه، وقوة إيمانه، ورسوخ عقيدته، يتعرض للابتلاء والعقبات، والابتلاء يكون للأنبياء والمرسلين

(١) محمد ﷺ في التوراة والإنجيل والقرآن، ص ١٤.
(٢) المستشرقون والمبشرون ، ص ٢٢.
(٣) المصدر السابق ، ص ٢٣.

والصديقين والأولياء والصالحين ولسائر المؤمنين؛ لرفع الدرجات، وتمحيص الذنوب، وتحقيق اليقين، قال تعالى ﴿ أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ألا إن نصر الله قريب﴾[1]ولقد واجه هذا المهتدي صنوفاً من الابتلاء بعد إعلان إسلامه، وهي كالتالي :

١ ـ أسلفت القول أنه رغب في تأمين لقمة عيش كريمة؛ حتى لا تتأثر حياته المعيشية بإعلان إسلامه...ولكن الشركات الكافرة أوقفت التعامل معه [2]، وأرادت أن تدخل عليه من هذا الباب، وأن تحاصره في لقمة عيشه، وفعلاً وجد نفسه في عزلة عن النشاط التجاري، وأثر ذلك تأثيراً قوياً عليه ، ولكنه لم يثنه عما عزم عليه[3] .

٢ ـ لئن أحدث إسلامه تكتلاً ضده من قبل الشركات المختلفة التي كان يتعامل معها؛ فقد أحدث إسلامه فزعاً لدى القساوسة ورجال الكنيسة، إذ جاءوا إلى منزله بدون سابق موعد؛ حتى يحقق عنصر المفاجأة والمبادأة نوعاً من التزعزع في الموقف، والحيرة في الأمر، ويضيق البحث عن المخرج؛ ولكن الله سلّم، وخرج من هذا اللقاء كما دخله.

٣ ـ هجر زوجته له وهجر أهله له: لما تيقنت زوجته بأنه ترك دينه

---

(١) سورة البقرة ، الآية ٢١٤ .

(٢) تأمل مدى تآزر وتكاتف أعداء الله في هجر هذا المهتدي ، الذي ترك دينهم ، واعلن إسلامه.

(٣) المستشرقون والمبشرون ، ص ٢٣ .

وأعلن إسلامه؛هجرته وتركت بيته وأبناءه ؛ لإجباره على التراجع(ولما أيقنت الزوجة أن الأمر صار مقضياً به، استأذنت في ترك المنزل، وأذنت لها وأنا عالم بطرق التبشير المرير لإصرار زوجتي على موقفها كمسيحية)[1]. ولقد هّول النصارى هذا الموقف؛ حتى يؤتي أفضل النتائج - في نظرهم - وذلك لأمرين:

أ - حتى يتراجع عن قراره .

ب - حتى يكون عبرة لغيره .

أما سبيلهم إلى ذلك فهو تلاوة النصوص التي تحذر من الردة عن النصرانية. كما اتخذوا هذا السبيل في عزل أهله وأصدقائه عنه إذ يقول: (وبهذه السموم - أي النصوص - أوغروا قلوب الأهل والأصدقاء بكراهية بلغت حداً مريراً من العداوة، وانتزعوا مني زوجتي الآمنة المطمئنة، وأحالوا أهلي وعشيرتى إلى خصوم أشداء)[2].

ولكن هل أثرت هذه العقبات في موقفه، أو فتّتْ في عضده، أو أضعفت عزيمته ؟ نقرأ الجواب من خلال وصفه لهذا الموقف إذ يقول عن كيفية مواجهته لمشكلة هجر زوجته: (وقد تغلبت على هذه المحنة بالإيمان والصبر)[3]. وعن الطريقة التي واجه بها متاعب عداء أهله له وأصدقائه يقول:(وهكذا واجهت هذه المتاعب في صبر وإيمان، وشققت

---

(١) المصدر السابق ، ص ٢٤.

(٢) المصدر السابق ، ص ٢٥.

(٣) المصدر السابق ، ص ٢٤.

طريقي إلى تنفيذ الإجراءات الرسمية؛ حتى تم كل شيء على خير ما يرام)[١] . وبالصبر واليقين تنال الإمامة في الدين، ومنّ الله عليه بهداية زوجه للإسلام[٢].

الفرج بعد الشدة: وبعد هذا التكتل من جميع الأطراف، وهذه العقبات التي يرقق بعضها بعضاً، يأتي الفرج بعد الشدة، واليسر بعد العسر، فبمجرد معرفة وزير الأوقاف المصري ـ في ذلك الوقت ـ[٣] بإعلان إسلامه استدعاه إلى مكتبه، وتحدث إليه، وتم تعيينه في المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، بوظيفة خبير في الشؤون الدينية، وذلك في تأريخ ١٩٦٢/٢/١٠م .

الأعمال التي مارسها بعد إسلامه :

مارس عدداً من الأعمال في مجال خدمة الإسلام، وهي كالتالي:

١ ـ خبير في المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية.

٢ ـ الدعوة إلى الله.

٣ ـ تدريس مادة مقارنة الأديان في معهد تدريب الأئمة والدعاة التابع للأزهر.[٤]

---

(١) المصدر السابق ، ص ٢٥.

(٢) محمد ﷺ في التوراة والإنجيل والقرآن ، ص ٢٩.

(٣) هو الوزير أحمد بن عبد الله طعيمة.

(٤) انظر محاضرات في مقارنة الأديان ، تأليف إبراهيم خليل أحمد ، نشر دار المنار ، ط ١ ، عام ١٤٠٩هـ ص ٦.

٤ ـ شارك في المؤتمر الذي عقد في عاصمة السودان «الخرطوم» ـ خلال الفترة ١٤٠١/١/٢٣هـ ـ ١٤٠١/١/٢٩هـ ـ بين مجموعة من القساوسة والعلماء المسلمين، وقد انتهى هذا المؤتمر ـ ولله الحمد ـ بإسلام هؤلاء القساوسة.[1]

٥ ـ ساهم في تأليف عدد من الكتب في موضوع نقد التوراة والإنجيل، والبشارة بالنبي ﷺ من خلالهما، ومقارنة الأديان ...كما ساهم في نقل بعض المؤلفات من اللغة الإنجليزية إلى اللغة العربية، في هذه المجالات السابقة، وإليك قائمة باسماء هذه الكتب المؤلفة: ـ

أولاً: المؤلفات: ـ

١ ـ المستشرقون والمبشرون في العالم العربي والإسلامي .

٢ ـ محمد ﷺ في التوراة والإنجيل والقرآن .

٣ ـ محاضرات في مقارنة الأديان .

٤ ـ الغفران بين الإسلام والنصرانية .

٥ ـ إسرائيل فتنة الأجيال القديمة.

٦ ـ إسرائيل فتنة الأجيال الحديثة.

٧ ـ الاستشراق.

٨ ـ يسوع .

٩ ـ مواجهة الإسلام للتحديات .

---

(١) وقد طبعت مداولات هذا المؤتمر من قبل الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد في عام ١٤٠٧هـ تحت اسم «مناظرة بين الإسلام والنصرانية».

١٠ ـ آيات الله.

١١ ـ حدود الله.

١٢ ـ المسيح.

١٣ ـ الروح القدس بين النصرانية والإسلام .

١٤ ـ القرآن الكريم وموقفه من الأنبياء.

١٥ – إسرائيل والتلمود .

ثانياً: الكتب التي قام بترجمتها من اللغة الإنجليزية إلى اللغة العربية:

١ ـ من دحرج الحجر.

٢ ـ ماذا يقول الكتاب المقدس عن محمد ﷺ.

٣ ـ الصلب وهم أم حقيقة؟!

٤ـ هل الكتاب المقدس كلام الله؟ وهذه الكتب الأربعة المترجمة من مؤلفات أحمد ديدات.

كما أنه وعد القراء إن أحس من نفسه القدرة العلمية؛ أن يؤلف رداً على ثلاثة كتب متداولة بين النصارى، وكلها تهاجم الإسلام [١]، ولكنني لم أطلع على هذا الرد في هيئة كتاب مستقل.

وقد سألت فضيلته عن هدفه من تأليف هذه الكتب، فأجاب:(كانت الرغبة الأولى أن أبين للكنيسة أنني بالإسلام بدأت حياة الإيمان المبني على العقل والتدبر والتفكر، وأردت أن أبين للكنيسة أنني لست بكافر، بل مؤمن أفضل منهم) ثم قال: (هناك ملاحظة وهي أن ابن كثير قال :

(١) انظر المستشرقون والمبشرون ، ص ٥٩.

لو كان اليهود والنصارى يؤمنون بالتوراة والإنجيل؛ لآمنوا بمحمد ﷺ. أما الرغبة الثانية فهي أن أبين للمسلمين أن دخولي في الإسلام كان دخولاً طبيعياً، مبنياً على إيماني بموسى وعيسى، وإيماني بالتوراة والإنجيل. وأنا بكل فخر أقول دخلت الإسلام، وكان الإسلام في تلك الآونة محَاربًا، فكل من يقول ربي الله يقتل أو يعذب أو يعدم).

وقد يسر الله لي مقابلة هذا المهتدي[1]، وطرحت عليه بعض الأسئلة التي ضمنتها هذه الترجمة له، وهو الآن يرقد على سرير المستشفي، وطلب مني تكرار الزيارة كلما تيسرت، ولقد رأيته رجلاً في الثمانين من عمره، تكسو وجهه لحية قد اشتعل فيها الشيب، ولم يسلم منها إلا شعيرات قليلة .

ولقد لحظت فيه خصلتين كريمتين هما :

١ ـ الرضا بما قدر الله عليه؛ فهو يلهج بالحمد والثناء على الله في كل أحواله .

٢ ـ حرصه الشديد على الاستفادة منه؛ إذ لما أخبرته بالغرض من زيارتي له، وأعربت له عن ألمي لما آلت إليه حاله، ودعوت الله له وواسيته، واعتذرت له عن تقديم أسئلتي ـ نظراً لمرضه وضعفه ـ أصرّ عليّ بأن أقدم كل الأسئلة التي لديّ؛ وأمام إلحاحه اخترت أهم الأسئلة ـ في نظري ـ وطرحتها عليه لأمرين :ـ

---

(١) تمت هذه المقابلة صباح يوم السبت الموافق ١٤١١/١٠/٢٧هـ في المستشفى.

١ ـ لإفادة القاريء إذ أخذت له هذه الإجابات مباشرة من صاحب الشأن .

٢ ـ رفعاً لمعنويته؛ لئلا يرى أنني احجمت عن طرح أسئلتي شفقة عليه. وفى الختام ودعته وسألت الله له العافية .

المطلب الثالث : القيمة العلمية لكتابيه :

١ـ محمد ﷺ في التوراة والإنجيل والقرآن [1].

ألف هذا الكتاب بعد خمس سنوات من إسلامه، في ١٩٦٣م[2] ، ويقع في ١٤٦ صفحة تقريباً من الحجم الكبير، وفى الطبعة الخامسة أضاف إليه ٣٣ صفحة ، وهي رواية وعرض لأسرار إسلامه.

قسم الكتاب إلى عشرة أبواب ابتدأها بالتوراة والإنجيل يتنبآن ببعثة الرسول الكريم، ثم أردف ذلك ببيان الأمور التي اختلف عليها أهل الكتاب، وجاء في الباب الثالث بتطور النصرانية وتأثرها بغيرها، وجعل الباب الرابع عن النصارى والتعاليم الكتابية، وبيّن في الباب الخامس أن القرآن يهدي أهل الكتاب إلى الصراط المستقيم، أما الباب السادس فتحدث فيه عن الرسول ﷺ وإيمانه بالمسيح، وفي الباب السابع تطرق إلى الكتاب المقدس والعقيدة النصرانية، وفي الباب الثامن والتاسع تحدث عن

(١) الطبعة التي تمت الدراسة على ضوئها هي الطبعة الخامسة لدار المنار عام ١٤٠٩ هـ .

(٢) انظر هذا الكتاب ، ص ٢٨ - ٢٩ .

تاريخ العالم قبل وبعد الإسلام، وختم الكتاب بلمحة عن حياة الرسول ﷺ وبعض التشريعات الإسلامية .

وقد دفعه إلى البحث وإعداد هذا السِّفر؛ ما تنبأ به المسيح عليه السلام عن رسولنا الكريم ﷺ[1]، بالإضافة إلى رغبته في تقديم زاد ينفع الدعاة ويرشدهم إلى أقوم طريق[2]وقد حرص عند تأليفه لهذا الكتاب أن يثبت فيه للكنيسة أنه مؤمن وليس بكافر، بل مؤمن بالمسيح خيراً من إيمانهم ، وأن يثبت للمسلمين أن دخوله في الإسلام مبني على اليقين والبرهان .

منهجه: من خلال دراسة هذا الكتاب تتضح النزاهة والتجرد في دراسته للقضايا، وعدم الإفراط أو التفريط، كما تتضح الأمانة العلمية في إشارته إلى صفحات الكتب التي يستفيد منها أو يرجع إليها أو يعتمد عليها. وعند سؤال فضيلته عن المنهج الذي اتبعه؟ أجاب:(الأمانة العلمية دون تحيز ولا محاباة ولا مجاملة ولا تعصب، ثم أترك المقال للدارس ليحكم بعقله) . أ . هـ .

وعند سؤاله عن مصادره التي يعتمد عليها؟ أجاب: (الكتب الأجنبية بالذات؛ وقصدي إقامة الحجة من مصادر أصلية لأهل الكتاب) .أ.هـ. وأكد على اعتماده على كتاب «الرسالة » لسبنيوزا؛ لأنه ـ في نظره ـ رجل يهودي يستطيع أن ينقد التوراة والإنجيل، ويبين ما دخل فيها من تصنيف بشري .

---

(١) المصدر السابق ، ص ١٠ .

(٢) انظر المصدر السابق ، ص ٢٩ .

القيمة العلمية : يمكن استخلاص القيمة العلمية لهذا الكتاب من جوانب متعددة، نذكر منها ما يأتي :

أولاً : أن المؤلف كان قسيساً منصراً، اطلع على خفايا العهدين، كما اطلع على أسرار العمل التنصيري ضد الإسلام وأهله، وكانت تعده الكنيسة ليكون مطراناً أو أسقفاً؛ بسبب نجاحه العلمي وتفوقه العملي، في ميدان التنصير والمناظرات والندوات..فعندما ينتقد النصرانية، يعتمد في ذلك على النصوص المسلّمة والشواهد التأريخية، مستنداً في ذلك على خبرة كافية ودراية وافية تؤهله لكي يصدع بالحق، ويدفع به الباطل.

ثانياً: أن هذا المؤلَّف على صغر حجمه هو أول إنتاجه الفكري في مجال نقده لدينه السابق، وبيان أن هذا الدين الذي اعتنقه هو الإيمان الحق ، بل هو مقتضى الإيمان بموسى وعيسى صلى الله عليهما وسلم، كما أنه أراد أن يبين من خلال هذا الكتاب وسائر مؤلفاته الأخرى للكنيسة ولغيرها أن ما توصل إليه هو الحق الذي لا مرية فيه .

وباختصار أستطيع القول: إن المؤلف أودع في هذا الكتاب كل ما يريد أن يقوله لمن اعترض على إسلامه؛ إذ أقام الحجة من كتبهم المعتمدة على نبوة نبينا محمد ﷺ،كما أثبت تحول النصرانية عن مسارها الصحيح، وتأثرها بالديانات التي جاورتها، وتدخّل اليد البشرية في صياغة كتبها وتعاليمها.

ثالثاً : تتجلى قيمة هذا الكتاب في القضايا التي تطرق لها بالدراسة من خلال استشهاده على ما يطرحه فيها من أدلة عقلية أو نقلية من كتب خصومه القديمة والمحدثة .

رابعاً : قيمة كل كتاب تبرز من خلال الفئة التي اهتمت به، وباستعراض بداية هذا الكتاب، نجد أن هناك علماء اهتموا به وأولوه عنايتهم واهتمامهم، فهذا شيخ الأزهر السابق عبد الحليم محمود رحمه الله يكتب تقريظاً لهذا الكتاب، ومما جاء فيه (وإننا أمام هذه الرسالة القيمة، لنشكر الأستاذ إبراهيم خليل أحمد، فلقد وفق كل التوفيق في إخراجها للناس؛ إحقاقاً للحق وإبطالاً للباطل، في حيدة تامة، لم يكن مدفوعاً بدوافع عاطفية أو مادية، وإنما كان من عشاق الحق لذاته، غير مبالٍ بما يصيبه في سبيله)[1] . كما أن محمد الغزالي والدكتور محمود حمدي زقزوق عميد كلية أصول الدين بالقاهرة كتبا تقريظاً لهذا الكتاب وأثنيا عليه، وكذلك قدم له وقرظه الأستاذ علي حسب الله رحمه الله المدرس في دار العلوم بجامعة القاهرة ــ مقدمة وتقريظاً على هيئة عرض لأهم محتويات الكتاب[2] .

وقد أفاد من هذا الكتاب د .فاضل صالح السامرائي عند تأليفه لكتابه « نبوة محمد من الشك إلى اليقين » [3] في إثبات تحريف الأناجيل[4]،

(١) المصدر السابق ص ٢٤ .

(٢) المصدر السابق ص ١٥ – ٢٢ .

(٣) نبوة محمد من الشك إلى اليقين، نشر مكتبة القدس ، بغداد ط ١ ، عام ١٣٩٨ هـ .

(٤) انظر المصدر السابق ، ص٢١٩ ، ٢٢١ ، ٢٢٢ .

وبيان دور المجامع النصرانية في قبول أو رفض الكتب المقدسة لدى النصارى[1]، وعرف القاريء بإنجيل برنابا وتأريخ ظهوره [2]، استناداً على ما نقله عن الكتاب موضع الدراسة .

كما أحال عليه وأفاد منه د.محمد الشرقاوي في تحقيقه لكتاب «النصيحة الإيمانية في فضيحة الملة النصرانية»[3]. وكذلك نقل منه الطهطاوي في كتابه « في مقارنة الأديان»[4] تأثر النصرانية في عقيدة الصلب بالديانات الوثنية .

المآخذ على الكتاب : -

رغم هذه القيمة العلمية لهذا الكتاب، إلا أنه تضمن بعض الملاحظات أو المآخذ التي قلما يخلو منها مؤلف بشري؛ لأن النقص من طبيعة البشر، وهذه الملاحظات هي : -

١ ـ لم يلتزم التنزيه الكامل لمقام الألوهية ، من وصفه له سبحانه بما لا يليق به، أو وصفه بما لم يثبت في الكتاب والسنة وصفه به، ومن ذلك أنه حينما أراد أن يؤكد التسلسل التأريخي لعقيدة الصلب قال: (أمره الله ـ أي موسى ـ أن يصنع حية نحاسية يعلقها على طرف خشبة،

---

(١) انظر المصدر السابق ، ص ٢٢٥ ، ٢٢٧ .

(٢) انظر المصدر السابق ، ص ٣٠٥ ، ٣٠٦ .

(٣) انظر النصيحة الإيمانية ، ص ٧٧ ، ١٣٩ - ١٤١ .

(٤) انظر في مقارنة الأديان ص ٨٢ - ٨٤

ويأمر التائب من بني إسرائيل بأن يرفع وجهه لينظر إليها...)[1]. فهل أمر ربي بهذا ؟؟ إن الله لا يأمر بالفحشاء والمنكر، ولا يرضى أن يشرك معه غيره فضلاً عن أن يأمر به. وموسى لم يفعله ، فهو رسول التوحيد ، ولكنه من عمل اليهود الذين ألفوا الشرك، وطلبوا من موسى عليه السلام أن يجعل لهم آلهة كما للوثنيين آلهة، فقال لهم نبي التوحيد كما ورد بذلك القرآن: ﴿قالوا يا موسى اجعل لنا إلها كما لهم آلهة قال إنكم قوم تجهلون. إن هؤلاء متبر ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون﴾[2]وفي موطن آخر يصف المؤلف الله : بأن إرادته في صراع مع إرادة بني إسرائيل فقال: (وهكذا كان صراع بين إرادة بني إسرائيل وإرادة الله القدير العزيز)[3] فتعالى الله العلي الكبير. وقال في ص١١٨(لقد غضب الله على إسرائيل وتحول قلبه عن بيت المقدس) وهذا من وصفه سبحانه بما لا يليق به .

٢ - لم تتمحض له منزلة النبوة في أجلى صورها ؛ لذلك حصل منه بعض الزلل في مقام بعض الأنبياء، و ذلك بأن يورد نصاً أو حادثة تأريخية ماضية ـ معتمداً على نقل الكتاب المقدس المزعوم لها ـ وقد تضمنت هذه الرواية أو النص نوعاً من التطاول أو التعريض بهذا النبي أو ذاك، ومن هذا الزلل ما ورد في حق النبي سليمان عليه السلام إذ استشهد بنصوص

(١) محمد ﷺ في التوراة والإنجيل والقرآن، ص ١٦٣ .
(٢) سورة الأعراف ، الآيتان ١٣٨ ، ١٣٩ .
(٣) محمد ﷺ في التوراة والإنجيل والقرآن، ص ٦٨ .

تفيد بأنه أحب نساءه فمال قلبه وراء آلهتهن[1]. وكان غرضه من هذا النص إثبات تعدد الزوجات في الشرائع السابقة، ولكنه لم ينف ما يحتمله هذا النص من تطاول على هذا النبي الكريم .

ومنه ما أورده من محاولة إبليس تجربة المسيح عليه السلام ليطيعه ويتبعه ويعبده [2]. وهذا مردود بشهادة الله للمسيح ولسائر إخوانه بقوله : ﴿وزكريا ويحيى وعيسى وإلياس كل من الصالحين﴾[3]. وبقوله تعالى: ﴿إن عبادي ليس لك عليهم سلطان ﴾.[4] وباستثناء إبليس لهذه الصفوة من أن يتعرض لهم بسوء أو غواية : ﴿إلا عبادك منهم المخلصين﴾[5].

ومن ذلك ماقاله عن سارة عليها السلام :(فتغار من هاجر التي ولدت لإبراهيم ابنه البكر إسماعيل، وأن هذه الأثرة الموغلة في القدم تدل على الولع بالانتماء إلى الجنس السامي العبراني، هذه الأثرة مليئة بعناصر متناقضة)[6] وقوله: (فأذلتها سيدتها السيدة سارة، وخضعت هي لها، وازدادت السيدة سارة إذلالاً لها وتعنتاً)[7] وقال: (إن العداوة القائمة بين العرب وإسرائيل عداوة قديمة ... وجذورها تتأصل في قلب السيدة الأولى في تأريخ الإيمان، وهي السيدة سارة، وسهام هذه العداوة موجهة إلى

---

(١) المصدر السابق، ص ٢١٢ .
(٢) المصدر السابق ،ص ٥٧ ، ١١٦ ، ١٢٦ .
(٣) سورة الأنعام ، الآية ٨٥ .
(٤) سورة الإسراء ، الآية ٦٥ .
(٥) سورة الحجر ، الآية ٤٠ .
(٦) محمد ﷺ في التوراة والإنجيل والقرآن ص ٣٥ .
(٧) المصدر السابق ، ص ٦٧ .

السيدة الوديعة ...)[1] وليس صحيحاً ماذكرته التوراة المحرفة، أو فهمه المؤلف أن الدوافع كانت عنصرية وعرقية؛ وإنما فعل إبراهيم ما فعل تنفيذاً لأمر الله الذي أمره بهذا ، ويدل على ذلك ما رواه البخاري في صحيحه عن ابن عباس رضي الله عنهما من خبر إبراهيم عليه السلام وزوجه هاجر (أنها قالت : يا إبراهيم أين تذهب وتتركنا بهذا الوادي الذي ليس به إنس ولاشيء ، فقالت له ذلك مراراً ، وجعل لا يلتفت إليها. فقالت له: آلله أمرك بهذا؟. قال : نعم. قالت: إذن لا يضيعنا)[2] فيستفاد من هذا النص أن هذا التصرف من إبراهيم كان تنفيذا لأمر الله؛ لحكم أرادها الله. ولكن المؤلف أوقعه في هذا كثرة النصوص التوراتية التي صاغت هذه الحادثة بشيء من التحامل والعنصرية ضد هاجر.

ولما أراد أن يبين للقاريء تأثر النصرانية بما سبقها من الديانات الوثنية، وذكر نماذج من القصص التي قيلت عن الآلهة الوثنيين ، وقابلها بما نسجه النصارى حول عيسى عليه السلام، عدّ من ذلك ولادة عيسى من عذراء [3].

وفى كلامه عن الشؤون الأسرية في الإسلام ، وخلال حديثه عن الزواج في الإسلام قال عن التعدد: (ولذا كان التعدد بهذا الشرط ـ أي العدل ـ مستحيل التنفيذ). وقال أيضاً: (فالذي صنعه الإسلام هو تقييد

---

(١) المصدر السابق ص ٧٧ .

(٢) صحيح البخارى ، كتاب الأنبياء ، باب ٩ .

(٣) محمد ﷺ فى التوراة والأنجيل والقرآن ص ١٠٢ .

تعدد الزوجات وعدم التشجيع عليه)[1]. وليس التعدد وفق الشروط التي أحكمها الله بمستحيل؛ إذ لو كان مستحيلاً لكان إقراره عبثاً يتنزه الله عنه. بل رغّب الله فيه وجعله الأصل في النكاح فقال: ﴿فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع﴾[2].

٢ ـ كتاب : «الغفران بين الإسلام والمسيحية» :ـ

يقع هذا الكتاب في ١٢٦ صفحة من الحجم الكبير ، وقد فرغ من تأليفه في منتصف شهر جمادى الآخرة من عام ١٤٠٨هـ، وطبع عام ١٤٠٩هـ من قبل دار المنار في مصر .

المحتوى : قسّم المؤلف كتابه إلى أربعة أبواب ، درس في الباب الأول الأناجيل الأربعة المعتمدة لدى النصارى ، واستنتج أنه لا يمكن أن يعوّل عليها ، وأجرى في الباب الثاني دراسات مقارنة عن الكتاب المقدس من حيث سنده ومتنه ، ونسخه الخطية، وفي الباب الثالث تحدث عن توافق الرسالات الثلاث، ثم أتبع ذلك بالحديث عن المصادر الأصلية للنصرانية ، وخصص الباب الرابع لتفنيد الدعائم الخمس التي تقوم عليها النصرانية.

الهدف من التأليف : بالإضافة إلى هدفه من اتخاذ التأليف وسيلة يحقق بها الأهداف التي أشرت إليها عند الحديث عن مؤلفاته ـ فقد دفعه إلى تأليف هذا الكتاب أنه لما رأى أن النصرانية ترتكز على خمس دعائم أساسية هي: ألوهية المسيح، وبنوته ، وأنه الأقنوم الثاني في الثالوث ،

(١) المصدر السابق ص ، ٢١٠ ، ٢١٣ .

(٢) سورة النساء ، الآية ٣ .

والخطيئة الموروثة، والتضحية بالمسيح فداءً للخطيئة الموروثة ، وبعد أن منّ الله على هذا المهتدي بالإسلام ؛ اكتشف أن الإسلام يرفض هذه العقائد كلها ، ولم يجد لها مصدراً ترتكز عليه ، أو ركناً تأوى إليه؛ اضطر إلى دراسة عميقة في ديانات الهند والفرس والرومان واليونان؛ فوجد أن المسيحية في لباسها الجديد ـ كما صاغها بولس ـ ؛ إنما هي إحياء لتلك الديانات، فكان هذا الكتاب خلاصة لهذه الدراسة ، وبياناً للنتائج التي توصل إليها ، وتفنيداً لتلك المسائل بالأسلوب العلمي، وبالأدلة النقلية والعقلية [1].

كما أن المنهج الإسلامي نحو كافة الأنبياء والرسل ـ وهو التوقير والإيمان والاحترام ـ قد حفزه على هذا البحث والمقارنة بين الإسلام والمسيحية .[2]

منهجه : سلف القول في بيان منهجه في كتابه السابق اعتماداً على اللقاء الذي تم بيني وبينه عبر الأسئلة المطروحة عليه ، وأن ذلك المنهج قد سلكه في كل كتبه ، واعتماداً أيضاً على استقراء منهجه من كتابه ؛ فقد اعتمد في كتابه هذا العرض المقارن ، وبيان المصادر، واستخلاص النتائج ، وطرحها على القاريء ، وقد أفاد في هذا الكتاب من كتاب « في مقارنة الأديان بحوث ودراسات » تأليف د. محمد الشرقاوي ، ونقل عنه نقلاً

---

(١) انظر الغفران بين الإسلام والمسيحية ، ص ٥ – ٧ .

(٢) انظر المصدر السابق ، ص ٨ .

مباشراً، وخاصة ما يتعلق بالدراسة التحليلية عن الكتاب المقدس ، ونقد سنده ومتنه ، وترجمته من لغة إلى أخرى ، ويقع هذا النقل في كتابه ما بين ص ٢٧ ـ ٤٦ [١].

القيمة العلمية : يمكن تلخيص القيمة العلمية للكتاب في الجوانب التالية :ـ

ـ أن هذا الكتاب يأتي بعد صدور كتابه « محمد ﷺ في التوراة والإنجيل والقرآن » بست سنوات ، فكأنه لما أثبت في ذلك الكتاب نبوة سيدنا محمد ﷺ من التوراة والإنجيل ، انثنى بعد ذلك على النصرانية لينسف أصولها، ويهدم أركانها، ويقتلع جذورها ، ويعري باطلها .

٢ ـ تخللت هذه الرسالة عدد من المقارنات القيّمة فيما يتعلق بمصادر النصرانية وأصولها.

٣ ـ أن هذا الكتاب من الكتب النادرة والفريدة التي تناولت الغفران لدى النصرانية ، وفند فيه المؤلف هذه الدعوى وحشد عليها الأدلة العقلية والنقلية والمنطقية .

٤ ـ أنه ألف هذه الرسالة بعد مضي تسع وعشرين سنة على إسلامه ، أي بعد أن استقرت نفسه، واشتدت حجته ، وكملت أدلته .

٥ ـ أوضح المؤلف في كتابه أن كثيراً من ركائز النصرانية الحالية إنما ترجع إلى ديانات وثنية قديمة كالهندوكية والبوذية والكنفشيوسيه ...

(١) انظر كتاب في مقارنة الأديان ، نشر دار الهداية ، ص ٢٤ – ٤٨ ، ٦٦ – ٧٤ .

وأورد بعضاً من أصول هذه الديانات وبين مطابقتها ومماثلتها للنصرانية اليوم .

٦ ـ يكشف هذا الكتاب كراهيته للنصرانية ، ونفوره منها ، ومقته لما أفضت إليه من وثنية وشرك .

المآخذ: تضمن هذا الكتاب بعض المآخذ التي لا تنقص من قيمته العلمية ، وهذه المآخذ هى :

١ - أنه ضمن الكتاب ثلاثة أبواب لا تناسب بينهما وبين عنوان الكتاب ، وهذه الأبواب هي الثلاثة الأولى .

٢ ـ لما ذكر في ص ٩٣ العقائد الجوهرية في الإسلام لم يذكر منها الإيمان بالملائكة ، ولا الإيمان بالقضاء والقدر . وقد أضاف إليها الأخوة العالمية بين جميع الجنس البشري.

والإيمان بالملائكة وبالقضاء والقدر من أركان الإيمان التي لا يستقيم إيمان المرء بدونها، كما أن المسلم لا يعتقد بوجود أخوة تربطه بسائر البشر؛ بل يرى أنه مرتبط بأخوة إسلامية تشمل كافة المسلمين في كل المعمورة .

٣ ـ قال في ص ١١٠ : (وقد يسيء إلى حريته ويسقط فريسة للتجربة ؛ تلك هى الخطيئة التي ولدت فيه) . فليس هذا صحيحاً ؛ فلم يولد الإنسان بخطيئة كامنة في نفسه، حينما يسقط يكون لهذه الخطيئة دور في انبعاثها ، وإرجاع السقوط إليها ؛ ففي المنهج الإسلامي قد هُدِي

الإنسان إلى النجدين ، فأيهما سلك فهو المسؤول عنه والمجازي عليه ، ولا خطيئة كامنة أو موروثة .

٤ ـ قال في ص ١١١ : (فإذا وجد الله بعضاً من الحسنات الصادقة في إنسان، أو يري أنه تائب توبة نصوحاً ...فحينئذ يغفر الله له كافة سقطاته وخطاياه معاً) والأولى أن لا يقطع هكذا ويجزم ؛ بل يقول هو تحت المشيئة إن شاء الله غفر له وإن شاء عذبه .

٥ ـ شبه النار بالمستشفى في ص ١١٢ . وهذا تشبيه في غاية البعد؛ فهي دار عذاب ونكال ، وليست دار عناية ورعاية وشفاء.

٦ ـ في ص ١١٧ وصف الله سبحانه وتعالى بأنه « الله محبة » وهذا وصف لم يرد في الكتاب ولا في السنة ، وينبغي أن لا يوصف الله إلا بما وصف به نفسه .

٧ ـ قال في ص ١٢٣ عن الله : (لا بد أن يهيّيء .. الحق والبر) وهذا من التقدم بين يدي الله عز وجل ، والجرأة عليه سبحانه .

٨ ـ نقل في ص ١٢٤ عن مستشرقة إيطالية كلاماً تثني فيه على الإسلام وعلي رسوله ﷺ ، وقد تضمن هذا الكلام إنكار المعجزات والوعيد ..ولم يعلق على ذلك بشيء ؛ ولعله راعه هذا الثناء على الرسالة والرسول ﷺ ؛ فغفل عما تضمن هذا الكلام من الخطل .

٩ ـ نقل كثيراً عن كتابي «في مقارنة الأديان» و«العقائد الوثنية في الديانة النصرانية» ولم يشر إلى ذلك .

وقفة مع فكره :

في ختام هذا المبحث أستطيع أن أقطع أن هذا المهتدي لم يستوعب الأحكام الإسلامية التي تتعلق ببعض القضايا التي درسها في كتبه، كما أنه لم يستطع أن يدرك خفايا هذا المنهج ؛ ولعل مرد ذلك إلى أن النفس البشرية من الصعوبة بمكان ومن العسير عليها أن تتخلص من رواسبها العقدية بكل يسر وسهولة ، ويؤيد ذلك أن قوم موسى لما تجاوزوا البحر قالوا لموسى عليه السلام : ﴿اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة[1]﴾ وقول الصحابة لرسول الله ﷺ :(اجعل لنا ذات أنواط[2]) . ويتضح ذلك أيضاً من خلال إطلاقه بعض الصفات والأسماء التي لم يرد الوحي بإثباتها أو نفيها ـ على الله سبحانه وتعالى كقوله : (سيجدون الله متأهباً) . (الله محبة) . (ولابد أن يهيّيء الله) . ولما ذكر العقائد الإسلامية لم يذكر منها الإيمان بالملائكة ، والإيمان بالقضاء والقدر. وقد أدرج من ضمنها الأخوة الإنسانية العالمية. وتشبيهه النار بالمستشفى، وبأن السقوط في المعصية نتيجة للخطيئة الكامنة في النفس البشرية .

وهو متأثر بالدوي الإعلامي عن القومية العربية وبعض رموزها، وبريق الدعوة للنزعة الإنسانية. وهنا تأتي أهمية الإعلام في التأثير على الأمة سلباً أو إيجاباً.

---

(١) سورة الأعراف ، الآية ١٣٨ .

(٢) انظر الحديث بتمامه في مسند الإمام أحمد ، ج ٥ ، ص٢١٨ .

المبحث الثامن: الهاشمي

المطلب الأول : اسمه ومولده ونشأته: ـ

اسمه : فؤاد الهاشمي، وبعد إسلامه تسمى بمحمد وأضافه على اسمه السابق،[1] قبطي معاصر، ولد لأبوين[2] نصرانيين عريقين في نصرانيتهما التي توارثاها عن أجدادهما، متعصبين لدينهما أشد التعصب، إذ لا يقبلان المناقشة في أبسط الأمور التي تمس العقيدة، يعيشان في قرية لا يفصل بين منزلهما وكنيسة القرية إلا ممر صغير .

أولته والدته عناية دينية؛ إذ علمته الصلاة وحفظ بعض التراتيل والدعوات ، لكن الساعات التي كان يقضيها معها في هذا الشأن من أطول الساعات عليه، ورغبة في تعليمه القراءة والكتابة قبل بلوغه السن التي تؤهله لدخول المدارس الحكومية ـ وحيث لم يكن في القرية من تفرغ لتعليم الصبية إلا فقيه مسلم ـ فقد أرسل الصبي إليه، وبدأ يتعلم القراءة والكتابة على يديه وحفظ بعض قصار السور، ولما علم بذلك راهب القرية استشاط غضباً، وجمع النصارى هناك وحذرهم من مغبة تسليم

---

(١) ذكره الطهطاوى في «بشائر الرسالة المحمدية » ص ٥٤ – ٥٥ ود. الشرقاوي في مقدمة كتاب «مسالك النظر في نبوة سيد البشر »، ص ٣٦ ولم أجد من ذكره سواهما لكنه كتب سيرته الذاتية بنفسه وضمنها كتابه «سر إسلامي» ، نشر دار الحرية ، القاهرة .

(٢) لم يذكر تأريخ ميلاده .

أطفالهم إلى المعلمين المسلمين، واقترح عليهم ـ لتلافى ذلك ـ المشاركة في تحمل نفقات افتتاح فصل دراسي يلحق بالكنيسة ، وافتتح الفصل وبعد ستة أشهر أجري له امتحان أثبت من خلاله تفوقه ، وتبين لهم مدى حفظه لما درسه من تراتيل وأدعية ...فرسّم شماساً للكنيسة ، ولكن كان يعاوده الحنين والأسف على تلك الفترة التي قضاها تحت رعاية ذلك الفقيه المسلم ، فيعوض ذلك بترديد السور القرآنية التي حفظها على يديه، فيحدث له ذلك صنفين من الشعور المتضاد، شعور بالانشراح والسرور بترديد السور القرآنية ، لما تحدثه تلك الآيات في نفسه، وشعور بالقلق والخوف من والدته التي تحذره من ترك ترديد الألحان والتراتيل، وتخوفه من الحرمان من النعمة الإلهية، والمصير إلى الجحيم ، ولكن كانت تغلب عليه طلاوة القرآن، وينسى ما أخافته أمه به ...

ثم التحق بالمدارس الحكومية ، وكان يؤثر أن يحضر الدروس المخصصة لدراسة الدين الإسلامي ، فكان لها أبلغ الأثر في إعطائه المعلومات اليسيرة عن الإسلام ، وكشف الشبهات التي يثيرها النصارى على الإسلام ، وذلك من خلال الأسئلة التي يطرحها على المدرسين ويجد الإجابة الصادقة ...وأنشئت في المدرسة جماعة دينية إسلامية ، وبدافع الغيرة أنشأ التلاميذ النصارى جماعة مماثلة ، وتم اختيار هذه الشخصية لقيادتها ، وتطلعت نفسه للقيادة وما يصاحبها من مشاعر، وما يرافقها من آمال. ثم واصل دراسته وبعد فترة توفي راعي كنيسة بلدته ، فتحركت في نفسه تلك المشاعر، وتطلعت نفسه لشغل منصبه، ولكنه لم يحالفه التوفيق؛ لأن

تعليمه كان تعليماً مدنياً، ونتيجة لذلك زهد في التعليم المدني، وتولد لديه حب الدراسة اللاهوتية، وتفرغ لها بجد وعزيمة ؛ استعداداً للانضمام في سلك الكهنة ورجال الدين ، وكلما صادفه مشكلة عقلية، أو تناقض ديني طرحه جانباً، مؤملاً أن تتسع له مداركه في المستقبل فيتغلب عليها، وتكاثرت عليه هذه العقد والمشاكل والتناقضات ...واتهم عقله بالقصور وملكة فهمه بالضعف ، وحاول أن يجد المخرج لدى أساتذته ...ولكن كانت بداية النهاية ، وبداية عهد جديد تكشّف فيه الران عن قلبه، ففتح الله بصيرته، ورفع الغشاوة عن عينيه ، وبدأ شكه فيما بين يديه، وفقد الثقة فيما ألفه وتربى عليه ، واستولى عليه عدم الإيمان فيما يدرس من عقائد هي أَمشاج من وثنية اليونان ، وفلسفة الرومان ...

وبدأ البحث والتنقيب ، محكماً عقله فيما بين يديه، إذ يقول :(بدأت أبحث وأنقب مصمماً على ألاّ ألغي عقلي؛ لأنه عسير على العاقل الواعي أن يأخذ الأمور على علاتها . ثم يبرر ذلك بقوله : لأنه من العبث ألا يبحث أي أنسان أمر دينه، حتى يؤمن إيماناً صحيحاً)[1]. فأخضع النصرانية التي بين يديه من واقع كتبها إلى دراسة متأنية متعقلة ، اكتشف بواسطتها تأثر النصرانية بغيرها من الملل الوثنية ، حتي دخلها التعدد، ورفع فيها المسيح فوق منزلته ، ودعي إلهاً وابناً لله سبحانه وتعالى عما يفترون . ثم اطلع على ما جاء به موسى عليه السلام في التوراة فوجد أنه التوحيد الخالص ، وأن المسيح ما جاء إلا ليكمل ذلك التوحيد . فتبين له أن تلك

(١) سر أسلامي ، ص ٣٧ .

المشاكل والتناقضات والعقد التي استوقفته في باديء الأمر هي من الأمور التي أدخلها أعداء الله في دين المسيح عليه السلام. وانتقل هذا البحث والاستقصاء والتنقيب إلى الدين الإسلامي ، وكان قصده من ذلك استخراج الأخطاء والتناقضات التي ألقيت في روعه منذ الصغر عن الإسلام ، ولكن ما كاد يطرق هذا الباب ، ويمسك بأول الخيط حتى دخل باب المقارنة بين الإسلام وما سبقه من أديان ؛ وخرج من تلك المقارنة وقد استولى عليه سحر الحقيقة ، والتعاليم التي لا اعوجاج فيها ولا التواء[1] .

المطلب الثاني : دوافع إسلامه :ـ

تنقسم الدوافع التي أثّرت فيه حتى أسلم إلى قسمين هما :ـ

القسم الأول : عوامل دفعته إلى الخروج من دينه وهي :ـ

١ ـ الشك فيما يعتقده ، وعدم الثقة فيما ألفه وتربى عليه ، وكان هذا ثمرة دراسته اللاهوتية[2] .

٢ ـ أن النصرانية الحالية غير النصرانية التي جاء بها المسيح عليه السلام .[3]

---

(١) تم استخلاص هذه الخلاصة عن حياته من كتابه «سر إسلامي» ، ص ١٩ ومابعدها، وانظر أيضاً كتابه «الأديان في كفة الميزان» ، نشر دار الكتاب العربي ، مصر ، ص ١٧٨ ومابعدها. أما ما يتعلق بالبيئة التي نشأ فيها فهي نفس البيئة التي نشأ بها كل من المهتدي النجار والمهتدي إبراهيم خليل أحمد ، وقد سبق الحديث عنها في المبحث السادس من هذا الباب .

(٢) انظر سر إسلامي ، ١٣ – ١٥.

(٣) انظر المصدر السابق ، ص ٤٧ .

٣ ـ عبر البحث اكتشف أن دينه لا يقوم على دليل صحيح.[١]

القسم الثانى : عوامل نقلته إلى آفاق الإسلام ورحابه :-

١ – دراسته القرآن الكريم في صباه على يد ذلك الفقيه المسلم، فلا شك أنها كانت كالماء الذي سقى بذرة الإيمان ، وأحيا غرس الفطرة فيه.

٢ ـ شهادة كتب العهدين بنبوة نبينا محمد ﷺ .[٢]

٣ ـ الدين القيم : درس الاسلام رغبة في إثبات التناقض وتلمس العيوب فيه، ولكن وجد أن ما زعموه في الإسلام عيوباً وتناقضات مزايا ومحاسن [٣]

٤ ـ وجد في الإسلام ما كان يفتقده في كل مناحي الحياة ، فقد وجد فيه كل ما تطمح إليه النفس وتقربه العين، من التوحيد الخالص، والدين القيم، والكتاب المنزل، والمنهج الشامل الذي شمل الدين والدنيا ، والأولى والأخرى ، والعلم والإيمان[٤] ...

٥ ـ لقاؤه بشاب مسلم ، ضرب له المثل فيما ينبغي أن يكون عليه الإنسان المسلم ، وعبر تعامله معه أزاح عن مخيلته التصور الخاطيء عن الإسلام ، كما أن جهود الشيخ يوسف الدجوي رحمه الله ساعدت على هدايته إلى طريق الإسلام [٥].

---

(١) انظر المصدر السابق ، ص ٨٨ . (٢) انظر المصدر السابق ، ص ١٠٩ .

(٣) انظر الأديان فى كفة الميزان ، ص ١٨٠ .

(٤) انظر سر إسلامى ، ص ١٤١ – ١٤٨ .

(٥) انظر المصدر السابق ، ص ٣. والأديان فى كفة الميزان، ص٣-٤.

مصنفاته :

١ ـ الأديان في كفة الميزان .

٢ ـ سر إسلامي، لماذا اخترت الإسلام ديناً .

٣ ـ اليهود في الكتب المقدسة .

كما ينوي إصدار الكتب التالية :

١ ـ أسباب اختلاف التوراة والإنجيل .

٢ ـ اعتراف أهل الكتاب بنبوة نبينا محمد ﷺ .

٣ ـ كما أن في نيته إصدار كتاب يحتوي على ما وصل إليه الإنسان من رقي وحضارة وإشارة القرآن إلى هذا التقدم والرقي قبل أن يعرفهما الإنسان .[١]

المطلب الثالث : القيمة العلمية لكتابه « الأديان في كفة الميزان » : ـ

حجمه: يقع الكتاب في ١٨٤ صفحة من الحجم الكبير[٢]. ولم يدون عليه تأريخ تأليفه، أو تأريخ طبعه ونشره، ولكنه ألفه قبل كتابه « سر إسلامي » لأنه أحال عليه في أواخره .

---

(١) انظر المصدر السابق ، ص ١٠٠ ، وكتاب سر إسلامي ، ص ٤٥ ، ١١١ .

(٢) الطبعة التي تم الاعتماد عليها ، طبعة دار الكتاب العربي ، ولم أعثر لهذا الكتاب على طبعة أخرى .

المحتوى : قسم المؤلف كتابه إلى أربعة أبواب ، وقسم كل باب إلى عدة فصول ، قد تطول وتقصر حسب مقتضى الحال . قارن في الباب الأول « الأديان والعقيدة » بين سائر الأديان الوضعية والإلهية المحرفة والإسلام ، وخلص منها إلى ترجيح كفة الدين الإسلامي. وفى الباب الثاني قارن بين منزلة الإنسان في الأديان الأخرى ومنزلته في الإسلام ، وتحدث في الباب الثالث عن المجتمع في الأديان وفى الإسلام من ناحية الأسرة والمساواة الإنسانية والاقتصادية، وبين بالدليل القاطع أن لا مساواة بينهما. وفى الباب الرابع تحدث عن مكانة الحرية دينياً وسياسياً وفكرياً في الأديان وفي الإسلام .

الهدف من تأليفه :ـ هو ما عبر عنه بقوله :(أردت بكتابي هذا أن أوضح طريقة المباديء والأديان في علاج المشاكل المتعلقة بالإنسان من الناحية الروحية والمادية ، ووقوفها بجانبه من مولده إلى مماته،كل دين على حدة، وفي كل مشكلة، ثم يظهر أي دين من الأديان السماوية قد نظم حياة الفرد والمجتمع؛ حتى يلجم المفترين على الأديان وتخرس ألسنتهم)[1] . كما أنه شكر لله واعتراف بنعمته عليه بالهداية إلى دين الإسلام، فأراد أن يوضح في هذا الكتاب عظمة هذا الدين، وما تضمنه من عقائد ومباديء وأحكام وشرائع مقارناً لها بغيرها في الأديان الأخرى، ومقيماً الأدلة على تميز الإسلام عن غيره .

---

(١) الأديان في كفة الميزان ص ١٠ .

منهجه :ـ يستعرض جملة من الأديان الوضعية والأديان الإلهية، ثم يوضح طريقة كل دين على حدة في علاج المشاكل المتعلقة بالإنسان، ابتداء من القضية الكبرى «العقيدة» ، وانتهاء بالحرية، وتتلخص طريقة دراسته لها في أن يتناول فقرة من الفقرات كالعقيدة مثلاً فيعرض اعتقاد كل دين، ويشرح قواعده ، ويصور شعائره، ويذكر مصادره، ويوضح ما فيه من الباطل والإفك، ويجعل مسك الختام لكل باب: عرض حكم الإسلام في هذه القضية.

القيمة العلمية :ـ

١ ـ أن هذا الكتاب هو ثمرة تجربة فكرية عصيبة عاشها المؤلف، وأراد أن يدونها في هذا الكتاب؛ لأنه على يقين أن هناك الكثير الكثير من أبناء الأمم الأخرى يعيشون نفس التجربة ، فأراد أن يختصر لهم الطريق ، ويريحهم من العناء ، ويدون لهم الخلاصة ؛ لعل الله أن يجعل فيها دلالة لهم على الحق .

٢ـ أنه من الكتب النادرة التي تناولت هذا الأمر ـ المقارنة بين الأديان ـ بالمقارنة والتحليل والاستنباط ، وبنفس التوسع والشمول لعدد من القضايا .

٣ ـ إبراز بعض الجوانب المضئية في الإسلام مع المقارنة بغيرها من الديانات الوضعية والإلهية المحرفة .

٤ ـ إثبات أن اليهودية والنصرانية لم تبق على المنهج الذي رسمه لها أنبياؤها إلا برهة من الزمن ثم تلاعبت بها أيدي الوثنيين والفلاسفة ،

حتي خرجت من كونها رسالة إلهية إلى مسخ لا تربطه بمصدره أية رابطة.

المآخذ :ـ سأذكرها حسب ورودها وتسلسلها في الكتاب ، وهي :ـ

١ ـ قال في ص ٦ : (من التأمل عرف الإنسان كيف يميز الخير من الشر..) ولا يمكن أن يكون التأمل هو مقياس معرفة الخير والشر ؛ لاختلاف تصور الناس عن هذين الأمرين من زمن إلى زمن ، ومن بيئة إلى أخرى، فما كان مستقبحاً في أمة قد يستحسن في أخرى ، لكن المصدر الحقيقي للتمييز بين الخير والشر هو الوحي .

٢ ـ قوله في ص ٦ ، ٧ :(ولما كان الإنسان نزاعاً إلى التطور...ورغم هذا التطور الإدراكي لم يرض الإنسان به ..) ويقصد أن الإنسان تطورت لديه نظريته عن الآلهة التي يعبدها ، وأنها انتقلت من التعدد إلى الوحدانية ، وهذا نلمسه في كتابات كثيرين من المعاصرين ، وليس له أساس من الصحة ؛ بل هو على العكس تماماً؛ لأن أول بشر نزل إلى الأرض كان موحداً ، وهو آدم واستمر التوحيد في ذريته حتى حصل الشرك فبعث الله الأنبياء حيث يقول تعالى: ﴿ وما كان الناس إلا أمة واحدة فاختلفوا ﴾ [١].

٣ ـ قوله في ص ٧ :(فالوهم والخيال والواقع والتكامل صفات أصبحت من أهم الركائز التي يعيش عليها الإنسان، وقواعد لازمة له في

(١) سورة يونس ، الآية ١٩ . وانظر لمزيد من التفاصيل حول هذه المسألة كتاب «الإنسان في ظل الأديان»، تأليف د. عمارة نجيب ، نشر مكتبة المعارف ، الرياض ١٤٠٠ هـ .

حياته ... واجتهد الحكماء وفقهاء الأديان في تفسير الخير والشر على تلك الركائز) وليس هذا صحيحا ؛ فأهم صفات يعيش عليها الفرد هي إخلاص الوحدانية لله ، وإفراده بالعبادة . وليس على تلك الركائز اجتهد فقهاء الإسلام في تفسير الخير الشر ، بل اعتمدوا على الوحي في تفسير ومعرفة الخير والشر .

٤ ـ قوله في ص ٧ :(ومن الذين بلغوا مراتب في هذه الأبحاث [أى معرفة الخير والشر] الذين يؤمنون بالواقعية، وهم أقرب إلى الحقيقة من غيرهم) . فأين الأنبياء والمرسلون، والعلماء الربانيون ؟؟.

٥ ـ تكلم عن اتباع الأنبياء ووصفهم بأنهم يتدرجون في الانحطاط كلما ابتعدوا عن عصر الرسالة ، حيث يقول في ص ٩ : (وابتدأت عصور مقلديهم الذين انحطوا عمن تسلموا منهم أمانة الدين والهدى والإيمان والحق انحطاطاً هائلاً في جميع نواحي الحياة الروحية) وهذا وإن صدق على اتباع الديانات السابقة فلا يصدق على المسلمين الموحدين من هذه الأمة .

٦ ـ أثنى على الفلاسفة ومدح ما وضعوه من فلسفات أصبحت فيما بعد ديانات، حيث يقول في ص ٩ : (فقد ظهر حكماء وضعوا نواميس، وإن كانت وضعية إلا أنها لا تبعد كثيراً من نواميس الأديان) !! ويكفي هذه الفلسفات أنها خلت من الوحدانية ، ومن إفراد الخالق بالخلق والأمر.

٧ ـ وصف المسيحية التي جاء بها المسيح عليه السلام في ص٤٠ (أنها لا تدعو إلى التوحيد والتنزيه عن الشرك فحسب بل صورت الله سبحانه على أنه المعشوق الأسمى الذي يتجه إليه وجدان كل حي ..) والحقيقة ليس كما قال؛ بل قال المسيح عليه السلام كما أخبر الله بذلك في القرآن : ﴿ ما قلت لهم إلا ما أمرتني به أن أعبدوا الله ربي وربكم..﴾[1].

٨ ـ قوله في ص ٥٨ : (ولهذا كانت الأركان الخمسة هي عقائد المسلمين التي بنيت على التوحيد الخالص مع الإخاء بين البشر) ولو وصف « البشر» هنا بالمسلمين لوافق الصواب .

٩ ـ قوله في ص ٧٠ :(وتُبْطِلُ [أي موهبة العلم من الله للإنسان] احتجاج الملائكة على خلق ذلك الإنسان عندما جاء على لسانهم في سورة البقرة آية ٣٠﴿ قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ..﴾. والصحيح أن هذا ليس احتجاجاً. بل هو على وجه الاستفهام المحض، وكيف يجتمع الاحتجاج مع وصف الله لهم بأنهم لا يسبقونه بالقول.

١٠ ـ في ص ٩٢ أوّل أول سورة العاديات بأنه ظاهر في الآلات والمخترعات الحديثة . وهذا تحريف للكلم عن مواضعه . وتفسير لا يؤيده قرآن ولا سنة ، ولا سياق ولا سباق .

---

(١) سورة المائدة ، الآية ١١٧ .

١١ ـ قوله في ص ٩٤ :(ولعل الدرس الوحيد في حادثة الإسراء هو الدليل على أن هناك في علم الله سرعة تفوق سرعة النفاثة بل سرعة الصوت) ؟؟!!.

١٢ ـ قوله في ص ١٠٤ :(إذا أخطأ الحظ) وفي هذا نسبة الأفعال إلى غير خالقها .

١٣ ـ أخطأ في حديث رسول الله ﷺ الذي أجاب به ذلك السائل عمن أحق الناس بحسن صحابته فقال المؤلف :(فأجاب الرسول أبوك وأمك) .

١٤ ـ قال عن الشباب في ص ١٠٩ : (ويعملون جنوداً في ميادين الوطنية) ويلاحظ أن الذين يسلمون في هذا العصر الحاضر لم يسلموا من التأثر بالدعوات السائدة كالقومية والوطنية. كما أن القدماء تأثروا بمذاهب الفرق الإسلامية كالصوفية والمعتزلة والأشعرية .

١٥ ـ قال في ص ١١٠ ـ ١١١ : (وكذلك أباح الإسلام للمرأة مساواة الرجل في القيام بأي وظيفة، وفي سبيل ذلك أباح الاختلاط في الحياة العامة على ألاّ يخرج هذا الاختلاط عما قرره الكتاب والسنة... وبذلك حتماً على المرأة أن تختلط بالرجال ...إن النبي ﷺ جمع بين الرجال والنساء في الحروب، وساوى بينهن وبين الرجال في الغنائم). وفي هذا تجافٍ عن الحقيقة، وانسياق وراء دعوات مشبوهة تتقمص لباس الدين لتستر به كل شهوة وشبهة .

١٦ ـ قوله في ص ١٢١ ، ١٢٢عن التعدد :(وتلك الشروط جعلت التعدد عند الضرورة القصوى .. والعدل بين النساء من أشق ما يمكن... إن العدل بين النساء يكاد يكون أمراً مستحيلا)وهذا تقدم بين يدي الله وهذه المسألة عضلت على أكثر من شخصية من شخصيات هذا البحث[١].

١٧ ـ اتهم كتاب الأناجيل في ص ١٢٨ بأنهم ضيقوا مجال المسيحية ، وجعلوها وقفاً على بني إسرائيل . وهذا هو الحق ؛ فإن المسيح عليه السلام لم يرسل إلا لبني إسرائيل، حيث يقول كما أخبر الله بذلك في القرآن: ﴿يابني إسرائيل إني رسول الله إليكم مصدقاً لما بين يدي من التوراة[٢] ﴾ ويقول الرسول ﷺ :(.. وكان النبى يبعث إلى قومه خاصة ، وبعثت إلى الناس عامة)[٣].

١٨ ـ زعم في ص ١٤١ أن الإسلام يحول دون تضخم الثروات . وهذا زعم لا يسنده نص شرعي .

١٩ ـ قوله في ص ١٥٢ تعتبر الوصية من تراث الإسلام الاشتراكي. ولو استخدم غير هذا التعبير لسلم من الخلط .

٢٠ ـ وصف سقراط في ص ١٥٦ بأنه شهيد الحق. ويكفي أنه مات

---

(١) انظر المبحث السابع والعاشر من هذا الباب .

(٢) سورة الصف ، الآية ٦ .

(٣) رواه البخاري واللفظ له في كتاب التيمم ، باب ١ . ومسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة حديث ٥٢١ .

كافراً . فضلاً عن أن هذا المصطلح ـ الشهيد ـ له مكانته لدى المسلم ، فكان ينبغي صيانته .

٢١ ـ ظن في ص ١٧١ـ ١٧٢ أن الهجرة المقصودة في قوله تعالى: ﴿ إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيراً ﴾ سورة النساء ، الآية ٩٧ ، هي الهجرة لطلب الرزق، أو الفرار من جور الحكام) . والهجرة المقصودة هي الهجرة من بلد الكفر إلي بلد الإسلام، وهى التي يحصل بسببها الثواب، وعلى تركها ورد التهديد بالعذاب.

٢٢ ـ قال في ص ١٧٢ :(وقد قرر الإسلام حرية الفرد في اعتناق ما شاء من المباديء) ولو قيد هذه المباديء بأن تتفق مع الإسلام؛ لكان أسلم .

المبحث التاسع : محمد مجدي مرجان

المطلب الأول: اسمه ومولده ونشأته: ـ

اسمه: مجدي مرجان، وبعد إسلامه تسمى بمحمد مجدي مرجان، قبطي معاصر، لم أجد من كتب عنه سوى الطهطاوي في كتابه «في الدعوة إلى الإسلام بين غير المسلمين »[1] والأستاذ عبد الرحمن دمشقية عند إخراجه لكتاب هذا المهتدي «المسيح إنسان أم إله[2]» . وقد استندا فيما كتباه على نبذة يسيرة كتبها هذا المهتدي عن رحلته الروحية والفكرية نحو الإسلام[3] .

وأداءً للأمانة، وإتماماً للواجب، ورغبة في إفادة القاريء ؛ سعيت إلى لقائه وطرح بعض الأسئلة عليه، التي تفضل مشكوراً بالإجابة عنها بصورة مختصرة بسبب ضيق وقته، لأن الإجابة المفصلة عنها كما يقول تحتاج إلى أيام وصحائف كثيرة .

وحيث إن هذه الأجوبة تنشر لأول مرة؛ لم أشأ أن أتدخل فيها بالحذف والتعليق،أو التقديم والتأخير؛ ولئلا تفقد روحها ورونقها،رأيت من الأجدى علمياً أن أوردها كما أرادها كاتبها، ثم اتبعها بمستخلص

---

(١) انظر كتاب الدعوة إلى الاسلام بين غير المسلمين ، ص ١٥١ – ١٥٢ .

(٢) نشر مكتبة الحرمين ، الرياض ، انظر ص ١٥ – ١٩ .

(٣) انظر كتابه الله واحد أم ثالوث ؟ نشر دار النهضة العربية ، القاهرة ، ط ١ ، ص ٦ – ٨ .

أبين فيه دوافعه للإسلام ، والعقبات التي واجهته بعد إسلامه .

س ١ : متى وأين كانت الولادة ؟

ج: ولدت في مدينة الأسكندرية بتأريخ ١١ سبتمبر سنة ١٩٣٩م .

س ٢ : ماهي البيئة التي نشأتم بها ؟

ج : لقد كان ميلادي بالأسكندرية ذلك أنني نشأت في عائلة من أقاصي الصعيد، إذ أن العائلة من سوهاج، مركز طهطا، وكانت والدتي بالأسكندرية للمصيف والإجازة مع والدها حينئذ، أما الإقامة فكانت بين مدن الصعيد، وخاصة المنيا؛ حيث كان والدي يملك مع إخوته «شركة أوتوبيس المنيا والبحيرة» وكانت من كبرى شركات النقل والمواصلات في مصر، وكان الأهل كسائر عائلات الصعيد، وخاصة الأثرياء أمثالهم من أصحاب التقاليد الموروثة، والتزمّت الشديد، والاهتمام بالدين الذي ورثوه، وتربية أبنائهم على تعاليمه .

س ٣: هل كان للبيئة التي تربيتم بها أثر في اعتناقكم الإسلام ؟

ج : نعم ، ولكن بصورة غير مباشرة... لقد كنت ميالاً للإسلام منذ الصغر؛ ولسبب لا أعرفه، كنت كلما سمعت القرآن الكريم ـ ولو من قبيل المصادفة ـ في المذياع مثلاً، أو عندما أمر بجوار أحد المساجد، أتوقف وأنصت بلذة وشغف، وكنت كثيراً ما يغلبني التأثر فتفيض الدموع من عيني، وفي المدرسة الأولية كنت أصمم على البقاء مع التلاميذ المسلمين في حصة الديانة الإسلامية وأرفض الخروج مع التلاميذ المسيحيين، أو الاستماع إلى تعاليمهم، ولما لاحظت عائلتي ذلك ـ وهي

من العائلات الشديدة التديّن ، والتي ساهمت في بناء الكنائس ودور العبادة النصرانية ـ حاولوا إدماجي في البيئة الكهنوتية، فقاموا بإدخالي في سلك رجال الكهنوت بدرجة شمّاس في الكنيسة، وكان عمري ـ وقتئذ ـ لم يتجاوز الثامنة، واختلطت بالقساوسة والمطارنة في إحدى الكاتدرائيات الكبيرة، وكان أمل عائلتي أن يؤدي ذلك إلى ابتعادي عن الميل إلى الإسلام، وقراءة الكتب الإسلامية، خاصة بعد أن اكتشفوا أنني أحتفظ بنسخة من القرآن الكريم، وأقتنى بعض كتب الأحاديث النبوية الشريفة .

ولكن انخراطي بين رجال الدين المسيحي؛ أتى بنتيجة عكسية خلاف ما توقعوه تماماً. لقد اطلعت على أسرارهم، وأذهلتنى مخازيهم، فقد حوّلوا رسالة عيسى عليه السلام إلى وثنية مقيتة، من عبادة للصور والتماثيل التي تملأ الكنائس، إلى عبادة القسيس نفسه والانحناء على يديه لتقبيلها، وسر الاعتراف، وتمثيلية القربان المقدس، وأكل جسد المسيح عيسى وشرب دمه (بأكل القربان وشرب الخمر)من أجل غفران الخطايا، والتجارة بالدين في أبشع صورها، والتقاتل ـ بعد ذلك ـ بين القساوسة أنفسهم على حصيلة التبرعات والنذور، ناهيك عن العلاقات الشائنة بين القساوسة والراهبات، وغيرهن من النساء المترددات على الكنيسة لغفران الخطايا ونوال البركات!!.

هذا فضلاً عن أن الصلاة تتم بلغة غير مفهومة (مزيج من اللغة السريانية واللغة الهيروغليفية القديمة)؛ حتى لا يعرفها إلا أصحاب الكهنوت، وطقوس متعددة، وأسرار وألغاز اخترعها الكهنة؛ لبلبلة العقول والاحتفاظ بمفاتيح الجنة والنار في أيديهم!! كل ذلك وغيره جعلني أزداد نفوراً واشمئزازاً من هذه الوثنيات، في الوقت الذي كنت أقترب فيه أكثر من تفهم تعاليم الإسلام، وبساطة أحكامها، واتسامها باليسر، وإلغاء الوساطة بين العبد وربه، ووضوح مبادئها، واتساقها مع طبيعة النفس البشرية، والفطرة السليمة .

س ٤ : ما الأمر الذي دعاكم للدخول في الإسلام ؟

ج : وحدانية الله سبحانه وتعالى، وعدم تجزئة ذاته إلى أقانيم ثلاثة تأتلف وتختلف ، وتتجاذب وتتنافر.

وعظمة الرسول ﷺ، وتواضعه وحكمته، واحتواء القرآن الكريم والأحاديث الشريفة على كل ما يحتاج إليه الإنسان في آخرته ودنياه واتفاقها مع الفطرة السليمة، وتضمنها لأعظم المبادىء الإنسانية كالحرية والمساواة والإخاء والعدالة والمحبة والسلام وغير ذلك من المباديء التي مازالت الإنسانية في أشد الحاجة إليها، والتى لم تصل إليها بعد أعظم الحضارات. فضلاً عن بشارات الأناجيل ذاتها بقدوم رسولنا الكريم .

س ٥ : ما العقبات التي واجهتكم عندما أردتم الدخول في الإسلام؟

ج :كانت العقبات كثيرة ، وخاصة في بلد توجد فيه نسبة كبيرة من النصارى، وتحرص الدولة ـ لاعتبارات كثيرة ـ على مجاملتهم ، ولو في أحيان ضد أبنائها المسلمين، ولقد كانت العقبات الأولى ـ عائلية بالطبع، خاصة في عائلة تتمسك بالتقاليد، وباختصار فلقد تعرضت لمحاولات عديدة للاعتداء على حياتي، ولكن الله سبحانه وتعالى سلمني منها، كما أثار رجال الدين النصارى البلبلة والشائعات حولي، بالادعاء بأنني أوقع الفتنة بين طائفتي الأمة ـ المسلمين والمسيحيين ـ وجرت محاولات الإيقاع والتأثير عليّ في العمل، والوشاية ضديّ عند الرؤساء وغيرهم؛ مما أثّر في عملي، وفى اختياري لبعض المواقع، ومازالت المؤامرات تلاحقني، مما تعجز هذه السطور عن احتوائه، ولكن الله سبحانه خير الماكرين، ولن يصيبنا إلا ما كتبه جلّ شأنه لنا .

س ٦ : ما الدوافع لتأليف الكتب الثلاثة ؟

ج : الدوافع هي الدعوة إلى الإسلام، الذي هداني الله سبحانه وتعالى إليه، ودعوة غيري من الناس، وخاصة من غير المسلمين إلى هذا الدين القويم، وتفنيد دعاوى النصارى وأكاذيبهم حول طبيعة الله، وصلب عيسى وغير ذلك من الأباطيل، وكذلك تعريف غير المسلمين بحلاوة الإسلام وعظمة رسوله الأمين، وأدعو الله سبحانه أن يوفقني لكتابة المزيد من الكتب التي تدعو لأعظم رسالة عرفتها الإنسانية.

س ٧ : ما الأدلة التي قدمتموها على فساد الديانة النصرانية، ولم تكن معروفة من قبل ؟

ج : أعتقد أن هذه الأدلة مذكورة تفصيلاً في كتابي «الله واحد» و«المسيح إنسان ».

س ٨ : ما المناهج التي سلكتموها في إعداد هذه البحوث، والأصول التي اعتمدتم عليها في تأليف هذه الكتب ؟

ج : هذه الكتب هي محصّلة تجارب طويلة، ودراسات استمرت لسنوات طويلة، منها تجارب شخصية في اختلاطي وانخراطي في سلك كهنة النصارى، واستقرائي لكتبهم، وملاحظات لطقوسهم وأعمالهم، ومقارنة ذلك بالمنهج الإسلامي الصحيح، ودراسة المصادر الإسلامية من القرآن الكريم، وكتب الأحاديث والتفاسير، مثل صحيح البخاري وصحيح مسلم، وكذلك قراءة كتب الأئمة الكبار وغيرهم من الفقهاء والكتاب المعروفين .

س ٩ : ماهي الأعمال التي شغلتموها ؟

ج : بعد تخرجي من كلية الحقوق بجامعة القاهرة في مايو ١٩٦٢م، وكنت من أوائل الدفعة، عينت معاوناً للنيابة العامة، ثم تدرجت في وظائفها حتى درجة وكيل النائب العام، ثم قاض بالمحاكم المصرية، ثم رئيساً للنيابة ومستشاراً، وأعمل ـ حالياً ـ رئيس محكمة استئناف أسيوط.

س ١٠ : هل مارستم أعمالاً دعوية ونشاطات إرشادية بعد دخولكم الإسلام ؟

ج : لقـد أعلنت الإسـلام منذ شـرخ شـبـابي، وعندمـا كنت في العشرينات ـ وباندفاع الشباب وحماسة الإيمان ـ لم أكن أترك فرصة أو مناسبة إلا دعوت فيها إلى ديني الحنيف، سواء في اجتماعات فردية أو عامة[1]، ولكن ـ كما ذكرت ـ فقد وشى أهل السوء بي وحاولوا الإيقاع بيني وبين السلطات في ذلك الوقت؛ مدعين أنني أقوم بزرع الفتنة بين طائفتي الأمة، وامتد التأثير إلى محيط عملي، مما أدى إلى منعي من الاستمرار في ذلك، بل وأدي إلى التأثير عليّ في أمور كثيرة؛ مما اضطرتني إلى الاكتفاء بكتابة الكتب والمقالات في الصحف والمجلات الإسلامية، والتي كان بعضها يتعرض للحذف أو المصادرة أحياناً.

س ١١ : ماهو أثركم على غيركم من غير المسلمين ؟

ج : أحمد الله سبحانه وتعالى أن دعوتي ونشاطي قد أثر في كثير من غير المسلمين؛ مما أدى إلى اعتناقهم الإسلام صراحة ومنهم بعض أفراد عائلتي، مثل أخي سمير، وابن عمي نصيف وكثير من غير الأقارب في بلاد كثيرة، وللأسف فإن واحداً منهم من «سوهاج» قتله أهله بعد اعتناقه الإسلام، وبعد أن بعث إليّ برسالة يقرر فيها اقتناعه بما كتبت . هذا فضلاً عن أن كتبي قد ترجمت إلى لغات عديدة، واستفاد منها كثيرون من غير المسلمين، في دول كثيرة، أرسلوا إليّ بخطابات تؤكد اقتناعهم،

---

(١) انظر كتاب «الله واحد أم ثالوث» ص٧٣، فقد ذكر فيه مناقشة كثير من النصارى.

وإن كان كثيرون سواء من العرب أو غيرهم من غير المسلمين لا يعلنون صراحة الإسلام ـ رغم اقتناعهم بعظمته ومحاسنه ـ وهذا يحدث بسبب ظروف عديدة، قد تكون اجتماعية أو عائلية أو مالية أو غيرها، ولكنهم يُسرُّون لي بإيمانهم وتخوفهم، وأدعو الله سبحانه وتعالى أن يزيد في أعداد المؤمنين المسلمين، وأن يعم نور الإسلام كافة الدنيا.

أما العقبات التي واجهته بعد إسلامه فهي :ـ

أ ـ موقف أسرته منه .

ب ـ محاولات الإعتداء على حياته .

ج ـ ترويج الشائعات حوله من قبل رجال الكنيسة؛ بدعوى أنه يثير الفتنة الطائفية .

د ـ منعه من القيام بواجب الدعوة .

المطلب الثاني: الدوافع التي دفعته إلى الإسلام[1] :ـ

نستطيع أن نستخلص مما تقدم الدوافع التي اجتذبته للانضواء تحت لواء الإسلام، وهى كالتالي :ـ

أ ـ ميله للإسلام منذ الصغر، وشغفه بسماع القرآن وقراءته الكتب الإسلامية .

(١) كان الأولى حسب الترتيب المنهجي لهذا البحث أن يكون المطلب الثاني عن البيئة التي نشأ فيها ، وبما أنني سبق أن تحدثت عن البيئة المصرية في المبحث السادس من هذا الباب، ولأنه ذكر في المقابلة السابقة شيئاً عنها ؛ اكتفيت بما ذكر تجنباً للإطالة .

ب ـ وحدانية الله في الإسلام .

جـ ـ عظمة الرسول ﷺ، وتواضعه وحكمته.

د ـ احتواء القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة على كل ما يحتاجه الإنسان، في آخرته ودنياه، واتفاقها مع الفطرة، وتضمنها لأعظم المبادىء .

هـ ـ بشارات الأناجيل بقدوم رسولنا ﷺ .

و ـ انخراطه بين رجال الكنيسة؛ إذ أحدث ذلك نتيجة عكسية، وهي نفوره منها، بسبب اطلاعه على أحوال رجالها وأسرارهم .

المطلب الثالث : القيمة العلمية لكتابيه :ـ

١ ـ الله واحد أم ثالوث ؟

يقع هذا الكتاب في ١٧٣ صفحة من الحجم المتوسط، وقد قسمه المؤلف إلى تسعة فصول تدور في مجملها على تفنيد الثالوث في الديانة النصرانية، ابتدأه بـ« الله الثالوث»، ثم تكلم في الفصل الثاني عن وظائف هذا الثالوث، أما الفصل الثالث فقد خصصه للكلام عن أصحاب الثالوث واختلافهم فيه وتفرقهم عليه، وفى الفصل الرابع «القرآن والثالوث» فند ادعاءهم بأن القرآن يؤيد التثليث، وأعقب ذلك في الفصل الخامس «العقل والثالوث» بالتأكيد على أن العقل يرفض هذا الثالوث النصراني، وخصص الفصل السادس «الوثنية والثالوث» للتأكيد على أن

النصرانية متأثرة في هذه العقيدة بالديانات الوثنية القديمة، وفي الفصل السابع «حقيقة الثالوث» بين أجزاء هذا الثالوث على حسب اعتقاد النصارى، متبعاً لكل جزء منه الحق الصراح في هذا .

وختم الكتاب بالفصل الثامن والتاسع«الله الواحد» و«الدين الواحد»أكد فيهما وحدانية الله ووحدة دينه، وأن الدين عند الله الإسلام.

منهجه : ـ نهج المؤلف في كتابه هذا منهجاً متميزاً؛ إذ التزم في كتابه عرض القضية ـ موضع المناقشة ـ موثّقة بنقول عن عدة كتّاب نصارى متضلعين فيها، حتى يظن القاريء أنه يؤيدها لكثرة نقله ؛ وقصده من ذلك أن تكون الصورة واضحة بكل أبعادها لدى القارىء ، ثم بعد ذلك يبدأ في نقض هذه القضية بما يورده عليها من اعتراضات وتساؤلات ونقول تدفعها، سواء كانت هذه النقول من كُتّاب نصاري محايدين أم من غيرهم. وجُلّ اعتماده في عرض القضية حسب التصور النصراني على الكُتّاب المقدس المزعوم وعلي كتابات الكتّاب النصارى، أما بالنسبة للنقد والاعتراض فيعتمد على الكتاب والسنة والعقل الصحيح، وكلام أهل العلم، وبعض كتابات النصارى التي تعارض أو تخالف فيستنطقها لصالحه.

كما أنه يستعرض التطور التأريخي والتدرج الزمني للفكرة ـ موضع المناقشة ـ إذا رأى أن المقام يتطلب ذلك[1] ؛ حتى يستخلص تدرجها

(١) انظر الله واحد أم ثالوث الفصل السادس ، ص ٧٦ ، والفصل التاسع ، ص ١٥٤ .

هبوطاً أو علواً، ثم في الأخير يقرر الحق الصراح مشفوعاً بالبراهين، مؤيداً بالحجج، منوطاً بالدليل. وقد التزم في بحثه هذا التجرد التام في البحث عن الحقيقة، والموضوعية التامة في عرض المشكلة أو القضية عرضاً متأنياً معتمداً في ذلك على كتب أئمتهم وذوي الرأى فيهم، ثم يباشر مناقشتها وتفنيدها باسلوب علمي رصين، متخلياً - في كل ذلك - عما ورثه عن آبائه وأسلافه؛ لأنه لا يكفي للإيمان الحقيقى وراثة العقيدة، وتقليد الآباء والأسلاف والعمات والجدات، فلم يكن الدين في يوم من الأيام إقراراً بوضع قائم، ولا انسياقاً لطقس متبع، وإنما كان الدين دوماً دعوة إلى الحق، وثورة على الباطل[1]. كما التزم الأمانة العلمية في تدوينه لهذا الكتاب، وتتجلى هذه الأمانة في تحديده النصوص التي نقلها وإحالتها إلى مصادرها، وقد صاغ المؤلف كتابه في صياغة بيانية بديعة تعتمد على وضوح العبارة، وسلاسة اللغة ، وتناسق الألفاظ، وقوة الحجة.

القيمة العلمية :ـ

١ ـ مما يرفع من قيمته أن مؤلفه كان قسيساً نصرانياً، نشأ في ظل الكنيسة، فقادته عقائدها إلى الضلال، وعباداتها إلى النفور، وكتبها إلى الشك، واختلاف أهلها حولها إلى التذمر منها...فراح يبحث في العقائد الأخرى، في حياد وتجرد عن كل ظروف البيئة والمولد، ثم ،

(١) انظر المصدر السابق ، ص ٧

استعرض الأديان والعقائد للبحث عن الحقيقة فيها[1]؛ فوجدها في الإسلام واضحة وضوح الشمس، ساطعة سطوع النور، فدفعه الحماس والرغبة الصادقة إلى كشف هذا الزيف وتعريته، وفضحه وهدم أساسه، وتقويض أركانه، والدعوة إلى هذا الحق الذي تفيأ ظلاله ووجد فيه ضالته،؛ فاستخلص هذه التجربة القاسية، والرحلة الفكرية المضنية في هذا الكتاب محاولاً هداية أبناء قومه ممن لا زالوا في ضلالهم يتخبطون .

٢ ـ تتجلى عظمة كل كتاب من عظمة مقصوده، وهذا الكتاب مقصود به ـ بالدرجة الأولى ـ هدم قاعدة الديانة النصرانية المحرفة، وعمود بنائها ـ وهو التثليث ـ وإذا هدمت القاعدة، وسقط عمودها فلا تسأل عن حال البناء بعد ذلك، كيف لا وهذا المؤلف اطلع على كثير من علومهم الدينية، وأسرارهم اللاهوتية، وعاش بين ظهرانيهم متتلمذاً على أئمتهم .

٣ ـ رغم حداثة إصدار هذا الكتاب فقد أفاد منه الأستاذ السقا في كتابه «المسيا المنتظر» في إثبات أن اليهود حرفوا النصوص الموجودة في كتبهم الدالة على نبوة نبينا محمد ﷺ، وجعلوها دالة على أن الرسول المبشر به في التوراة والإنجيل هو المسيح عليه السلام.[2]

---

(١) انظر المصدر السابق ، ص ٦ – ٧ .

(٢) انظر المسيا المنتظر ، ص ١٥٩ – ١٦٠ .

كما أفاد منه المستشار عزت الطهطاوي في كتابه « بين النصرانية والإسلام » دور بعض رجال الدين النصراني في محاولة رد النصرانية إلى أصولها النقية.[1] وفي نفس هذا الكتاب نقل عنه أيضاً النتيجة الحتمية لمن يعتقد التثليث[2]. ودور بولس في إفساد النصرانية.[3]

المآخذ على الكتاب :-

١ ـ وصف الله سبحانه وتعالى بما لم يصف به نفسه ، أو يصفه به رسوله ﷺ ، فمن ذلك وصفه لله بأن له عقلاً وقلباً، وأنه فيض الزمان والمكان، وأنه روح الحياة[4] وعند مكاتبته عن هذا الاتجاه قال: إن المقصود بذلك المعانى المجازية لا المعنى الحرفي[5].

٢ ـ أخطأ فى التعبير عن حقيقة الصلة بين العبد وربه إذ يقول :(هذه هي الصلة الحقيقية بين الله والناس صلة الأب ببنيه ، لا عبودية ولا استرقاق . ثم أكد أن هذه البنوة هي بنوة روحية ليست بالنسب والتناسل، وذكر أن هذه البنوة أشار إليها القرآن ، واستدل لذلك بقوله تعالى: ﴿فاذكروا الله كذكركم آباءكم أو أشد ذكراً[6]﴾. والعبودية هي أشرف

(١) انظر في مقارنة الآديان النصرانية والإسلام ، ص ١٤٤ - ١٤٦ .

(٢) انظر المصدر السابق ، ص ١٥٨ .

(٣) انظر المصدر السابق، ص ٢٨٣ .

(٤) انظر المصدر السابق ، ص ٣٦ ، ١٣٢ ، ١٣٤ ، ١٤٥ ، ١٤٧ .

(٥) مكاتبات خاصة مع المؤلف .

(٦) انظر الله واحد أم ثالوث ، ص ٩٩ - ١٠٢ ، ١٦٩ . ورقم الآية ٢٠٠ من سورة البقرة .

مقامات العبد مع الله، قال تعالى:﴿سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً [1]﴾. وقال تعالى :﴿لن يستنكف المسيح أن يكون عبداً لله[2]﴾وهذه البنوة التي أخطأ فيها لا أصل لها، ولا دليل عليها، وإنما البشر هم من أشرف خلق الله، منّ عليهم بالتكريم والتشريف بحمل الأمانة ، والقيام بالخلافة .

٣ ـ ظن أن في تطلع إبراهيم عليه السلام في الكواكب بحثاً عن الإله الحق[3]. وقد غفل عن أن الله أفتتح هذه الآيات التي ذكر فيها خبر إبراهيم عليه السلام مع الكواكب بقوله تعالى :﴿وإذ قال إبراهيم لأبيه آزر أتتخذ أصناماً آلهة إني أراك وقومك في ضلال مبين﴾ وختمت بقوله تعالى: ﴿وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه ..[4]﴾.

٤ ـ تعليله بأن البشرية ترتكس في الوثنية؛ لأنها قريبة لغرائز البشر[5]. ولكن الذي غرس في فطرة البشرية هو التوحيد الخالص والعبودية لله ﴿فطرت الله التي فطر الناس عليها ﴾[6]

٥ ـ وصفه النصارى بأنهم الأخوة المسيحيون[7]. وليس بين المسلم والكافر أخوة، ولا ودّ فهم أعداء الله ورسوله وأعداء المسلمين قال تعالى: ﴿لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله [8]﴾.

---

(١) سورة الأسراء ، الآية ١ . (٢) سورة النساء ، الآية ١٧٢ .

(٣) انظر الله واحد أم ثالوث ، ص ١٤٤ .

(٤) سورة الأنعام ، الآيات ٧٤ – ٨٣، وانظر الله واحد أم ثالوث ١٤٤ – ١٤٥ .

(٥) انظر الله واحد أم ثالوث ، ص ٩٠ .

(٦) سورة الروم ، الآية ٣٠

(٧) انظر الله واحد أم ثالوث ، ص ٢٥ ، ٢٩ ، ٧٢، ٩٩ ، ١٠٤

(٨) سورة المجادلة ، الآية ٢٢ .

وهذه المآخذ لا تقلل من قيمة الكتاب العلمية؛ ففيه من الأدلة والبراهين والجوانب العلمية الشيء الكثير، هذا فضلاً عن أن هذا الكتاب يعتبر وثيقة إدانة للكنيسة وعقائدها.

٢ ـ كتاب المسيح إنسان أم إله ؟ :ـ

يقع هذا الكتاب في ٢١٤ صفحة من الحجم المتوسط ، وتدور فصول الكتاب السبعة حول المسيح عليه السلام :ابتدأها بمولد المسيح، وفي الفصل الثاني تحدث فيه عن حال شباب المسيح، وكيف كانت نشأته، أما الفصل الثالث فتحدث من خلاله عن المعجزات التي تمت على يديه، وأنها مماثلة لمعجزات الأنبياء، بل هناك معجزات أعظم منها، وخصص الفصل الرابع للكلام عن رسالة المسيح عليه السلام، وتحدث في الفصل الخامس عن الكفارة والصلب والفداء وفند الأساس الذي قامت عليه هذه الضلالة ، وجعل الفصل السادس والسابع لتفنيد ألوهية المسيح، وأنه كبقية البشر يأكل ويشرب وينام ويحزن ويفرح ...

هدف الكتاب: يتضح المنحنى العام للكتاب من عنوانه فهو تساؤل عن حقيقة المسيح هل هو إنسان أم إله ؟ وقد ذكر المؤلف هدفه في مقدمته فقال :(هذا الكتاب محاولة للتنقيب عن حقيقة المسيح عيسي في عرض لمختلف الآراء والنظريات التي اختلفت حوله ، علنا نلقي قبساً من الضوء على هذه الشخصية التي حيرت الناس[1] في مختلف الأزمان والبقاع،

(١) ولكنها لم تحيّر ولم تلتبس على المؤمنين الذين يستنيرون بنور الوحي الإلهي .

والله يوفقنا إلى الهدى والحق[1]) وبالفعل استطاع أن يجمع الآراء المتفاوتة والمتباينة حول المسيح، ويعرض أدلتها على بساط البحث؛ حتى استبان له الحق، فاتبعه وأيده بالحجج ونافح عنه .

منهجه : سار المؤلف في تأليفه لهذا الكتاب على نفس المنهج الذي سار عليه في الكتاب السابق من حيث عرض القضية مدعومة بآراء أصحابها ثم تفنيدها بالنقل والعقل ، أو من حيث استقصاء التدرج التأريخى لفكرة ما .. وقد التزم في هذا الكتاب كما التزم في الكتاب السابق الأمانة العلمية والتجرد التام والحياد. إلا أنه اختلف عنه من حيث الصياغة والأسلوب؛ فقد صاغ هذا الكتاب في أسلوب ساخر لاذع، وحق له أن يهزأ ويسخر من عقول جنحت إلى هذه العقائد والخرافات .

القيمة العلمية : يكاد يشارك هذا الكتاب كتاب « الله واحد أم ثالوث » في القيمة العلمية ؛ فالمؤلف واحد ، والرغبة واحدة ، والقضية واحدة، وإذا كان المؤلف قد خصص الكتاب الأول لهدم أحد أركان العقيدة النصرانية ؛ فهذا الكتاب قد خصصه لهدم الركن الثاني وهو ألوهية المسيح عليه السلام ، وإثبات إنسانيته وبشريته ، ولقد وفقه الله لتحقيق ماعزم عليه من عرض الآراء ، وتفنيد المخالف منها ، ونصرة الموافق للحق وبيانه .

ومما يوضح القيمة العلمية لهذا الكتاب أن المستشار الطهطاوي قد أفاد

(١) المسيح إنسان أم إله ، ص ٢٤ .

منه في خمسة مواضع في كتابه « في مقارنة الأديان النصرانية والإسلام» وهذه المواضع هي :-

١ ـ انتقال المعمودية إلى النصرانية .

٢ ـ تأثر النصرانية بالرهبانية .

٣ ـ تقديس القيادات الدينية .

٤ ـ حياة المسيح قبل بعثته .

٥ ـ أسطورة الإله المخلص في الديانات الوثنية ، وتأثر النصرانية بها[١] .

كما أفاد منه في موضع واحد في كتابه « في الدعوة إلى الإسلام بين غير المسلمين » للتدليل على نفي ألوهية المسيح[٢] .

المآخذ على الكتاب :-

١ ـ خلال استعراضه للتدرج التأريخي لفكرة « المسيح » ذكر أن داود عاتب ربه على غضبه عليه[٣] . ولا شك أنه قصد مدلول هذا اللفظ ومقتضاه، ولكنه أورد التسلسل التأريخي لهذه الفكرة حسب مصادرها، ولكن لو علق أو أضاف كلمة مناسبة لسلم من الملاحظة .

٢ ـ عندما تكلم عن معجزات المسيح عليه السلام قال: (فإنها ليست الوسيلة المثلى لإقناع الناس بصحة الرسالة، وليست الطريقة المستحبة لإرشاد البشر إلى طريق الله[٤]) . ويكفينا قول الله تعالى: ﴿والله

(١) انظر في مقارنة الأديان النصرانية والإسلام ، ص ٦٠ ، ٦٤ ، ٧١ ، ٧٢ ، ١٩٣ ، - ١٩٤ ، ٢٢٩ .

(٢) انظر في الدعوة إلي الإسلام بين غير المسلمين ص ١٥١ - ١٥٢ .

(٣) انظر المسيح إنسان أم إله، ص ٣٣

(٤) المصدر السابق ص ٨١ .

يحكم لا معقب لحكمه[1]﴾ وقوله تعالى: ﴿وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم[2]﴾.

٣ ـ إطلاق لفظة أبناء الله على المؤمنين[3] . وقد سبق الكلام عنها في الكتاب السابق .

٤ ـ للتأكيد على بشرية المسيح استشهد بما ورد في الأنجيل من محاولة الشيطان إغواء المسيح [4].

٥ ـ قال عن عيسى عليه السلام :(وعندما ذهب لإحياء إليعازر ، شقيق صديقتيه[5]..) معاذ الله أن تكونا صديقتيه أو خليلتيه وهو من أولي العزم الذي قال الله عنه : ﴿وعيسى وإلياس كل من الصالحين[6]﴾ولعله قصد أختيه في الله، وأستبعدُ أنه يقصد المعنى الحرفي لهذا اللفظ .

٦ ـ عبر عن الذات الإلهية بالسماء [7]. وهذا إطلاق كثر في كتب المحدثين ولا ينبغي استعماله؛ لأن أسماء الله وصفاته توقيفية ، ينبغي الوقوف عليها من خلال الوحي ، وعدم الزيادة أو التجاوز .

---

(١) سورة الرعد ، الآية ٤١ .
(٢) سورة الأحزاب ، الآية ٣٦ .
(٣) المسيح إنسان أم إله ص ١٧٢ - ١٧٣ .
(٤) انظر المصدر السابق، ص ١٩٣ .
(٥) المصدر السابق،ص ٧٩ .
(٦) سورة الأنعام ، الآية ٨٥ .
(٧) انظر المسيح إنسان أم إله ص ٥٥ ، ٧٤ .

وقد أحببت أن أعرض هذه المآخذ على المؤلف لاستجلاء رأيه فيها ؛ رغبة في الوصول إلى الحق، ورعاية لحقه في ألاّ أحمله مالا يعنيه من ألفاظه، فكاتبني موضحاً موقفه من هذه المآخذ بقوله :(قد يخطئنا التعبير أو تخوننا الكلمات ، ولكن في حدود الأدب الرباني، مع التماس العذر لي . إلى أن يقول في آخر الرسالة : وكثيراً ما يكون في العاطفة المشبوبة بعض التجاوز، ولكن الله يعذر) .

المبحث العاشر: جارودي

المطلب الأول : اسمه ومولده ونشأته :ـ

اسمه قبل إسلامه روجيه جارودي، وتسمى بعد إسلامه بـ: رجاء جارودي[1].

مولده : ولد في مرسيليا عام ١٩١٣م [2]، لأبوين ملحـدين، من الطبقات العاملة ، ودرس في مدرسة مرسيليا، ولأنه نشأ في كنف أبوين ملحدين؛ أحس بأن ليس لحياته هدف ولا معنى؛ فقرر أن يعتنق النصرانية الكاثوليكيـة [3]، وبعد بلوغه العشرين عام ١٩٣٣م، وفي هذه الأثناء

---

(١) انظر ترجمته في كتاب روجيه غارودي ، تأليف سيرج بيروتينو، ترجمة منى النجار، نشر المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، الطبعة ١ ، ١٩٨١م، ص ٥ -١٤، ومجلة الأمة ، عدد ٢٩ عام ١٤٠٣هـ ، ص٦٥ - ٧٣ ولماذا أسلمت نصف قرن من البحث عن الحقيقة ، تأليف محمد عثمان الخشت، نشر مكتبة القرآن ، القاهرة، ١٤٠٦ هـ، ومجلة الفيصل، عدد ١٠٧، ص ١٤٢ - ١٤٣ ، وعدد ١١١ ص ٣٥ - ٣٨ وكتاب حوار مع الأستاذ رجاء جارودي، أجرى الحوار عدنان سعد الدين ، عام ١٩٨٤م، نشر مكتبة وهبة، القاهرة، ط١ ، ١٤٠٨ هـ ومحاضرته التي ألقاها في مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، بالرياض ، ضمن محاضرات الموسم الثقافي لعام ١٤٠٦، بعنوان كيف أسلمت ، مطبوعة على الآلة الكاتبة في ١٧ صفحة. وكيف ولماذا اعتنقوا الإسلام ، ص ٩٢ - ٩٣، ومقدمة كتاب وعود الإسلام، تأليف روجيه جارودي ، ترجمة د. ذوقان قرقوط، نشر مكتبة مدبولي القاهرة ، ط١ ، ١٩٨٤م ص ٥-١٢ . ومستقبل الإسلام في الغرب، محاضرة لروجيه جارودي ، ترجمة د. رفيق المصري ، ط١ ، ١٤٠٥هـ . ومقدمة كتاب الإسلام دين المستقبل، تأليف روجيه جارودي، ترجمة عبدالمجيد بارودي، نشر دار الإيمان ، بيروت ، ص ١٥ - ٢٠ .

(٢) لأنه ذكر في محاضرة كيف أسلمت، ص١ ، أنه بلغ العشرين من عمره عام ١٩٣٣م. لكن مؤلف كتاب روجيه غارودي ذكر أنه ولد عام ١٩١٨م. ثم ذكر بعد ذلك بقليل أنه بلغ العشرين عام ١٩٣٣م، ص ٥.

(٣) ذكر مؤلف كتاب روجيه غارودي أنه أعتنق البروتستانتية، ص٥ ولكن ما أملاه هو في وثيقة إسلامه عن دينه السابق يفيد أنه نصراني كاثوليكي . مجلة الأمة عدد ٢٩، ص ٦٨ .

اندلعت الأزمة في أوربا حتي ظن أنه يشهد نهاية العالم، فقرر الانضواء في صفوف الحزب الشيوعي دون أن يتخلى عن نصرانيته ، وواصل دراسته حتى حصل على إجازة الفلسفة من كلية الآداب عام ١٩٣٦م ، وعين أستاذاً لتعليم الفلسفة .

وفي عام ١٩٣٧ انتخب عضواً في المكتب الفيدرالي الشيوعي في إقليم الطارون، وعند إعلان الحرب العالمية الثانية عام ١٩٣٩م عين جندياً من الفئة الثالثة، وألحق بفصيلة المشاة الأفريقية في الجزائر ، وبعد هزيمة فرنسا أمام هتلر ، وبسبب انتسابه للحزب الشيوعي ، ومقاومته للنازية أودع السجن لمدة ثلاث سنين في الجزائر، وحصل له موقف في المعتقل كان أحد الدوافع التي جعلته يفكر في الإسلام[1]، وبعد خروجه من المعتقل تم تسريحه من الخدمة العسكرية، فأقام في الجزائر عاماً زاول فيه بعض الأعمال منها إدارته لأكبر مجلة أسبوعية تصدر في الجزائر في ذلك الحين وهي «الحرية» ثم عاد إلى فرنسا عام ١٩٤٤م وأصبح عضواً في الحزب الشيوعي الفرنسي، وقد بقي فيه ١٨ عاماً حتى عام ١٩٦٢م ، وخلال هذه الفترة حصل على شهادة الدكتوراه من جامعة السربون حول النظرية المادية في المعرفة ، كما ناقش عام ١٩٥٤م رسالة دكتوراه أخرى أمام معهد الفلسفة في أكاديمية العلوم في الإتحاد السوفيتي حول الحرية. كما انتخب خلال هذه الفترة نائباً لرئيس الجمعية الوطنية ، ثم انتخب

(١) ستأتي تفاصيل هذا الموقف في المطلب الثالث من هذا المبحث إن شاء الله.

عضواً في مجلس الشيوخ الفرنسي عام ١٩٥٩م لتسع سنوات إلا أنه استقال من منصبه عام ١٩٦٢م ؛ ليتفرغ أكثر لعمله كأستاذ الفلسفة في التعليم العالي في أكثر من جامعة فرنسية ، ثم تخصص في دراسة وتدريس علم الجمال ، كما قام بعدة زيارات إلى الولايات المتحدة الأمريكية لتلبية دعوة بعض الجامعات لإلقاء الدروس والمحاضرات فيها .

ونظراً لنشأته الفكرية، وعدم قبوله الأفكار والنظريات في قوالبها الجامدة ؛ أثمر ذلك عن خلافات بينه وبين قيادات الحزب الشيوعي الفرنسي، ابتداء من عام ١٩٦٨م حتى عام ١٩٧٠م الذي قرر فيه الحزب الاستغناء عن عضويته وإبعاده عن اللجنة المركزية له، وعن مركز الدراسات والبحوث الماركسية الذي أسسه وأداره لمدة عشر سنوات، وبعد تأسيسه لهذا المركز وإدارته له، وإبعاده عنه، قام بالتعاون مع منظمة اليونسكو بتأسيس المعهد الدولي لحوار الحضارات[١]. كما قام بإنشاء مركز ملتقى الأديان في قرطبة [٢]، وشارك في ملتقى الفكر الإسلامي في الجزائر [٣]، وحضر جلسات المؤتمر السادس للندوة العالمية للشباب الإسلامي ، الذي تضمن ندوة الأقليات المسلمة [٤] .

---

(١) تم الاعتماد في كتابة هذه السطور على كتاب روجيه غارودي، ولقاء مجلة الأمة معه، ومحاضرته التي بعنوان كيف أسلمت .

(٢) انظر مجلة منار الإسلام ، عدد ٦ ، لعام ١٤٠٨هـ، ص ١٦ .

(٣) انظر حوار سعد الدين معه ، ص ٢٤ .

(٤) انظر مجلة الفيصل، عدد ١١ ، ص ٣٥ .

رحلاته : زار عدداً من دول العالم في أزمنة مختلفة ، ففي عام ١٩٤٩م طوف على أربع عشرة دولة في أمريكا اللاتينية ، كما زار الاتحاد السوفييتي، وتجول في أنحاء آسيا الوسطى، وزار أمريكا وعدداً من دول العالم الإسلامي كالجزائر ومصر والمغرب وأندونيسيا وبعض دول الخليج والعراق .

مصنفاته: تعددت وتنوعت نتيجة لتحوله الفكري ، وصراعه مع نفسه ومع مجتمعه ومع الأفكار و الفلسفات المحيطة به ، وصدرت أكثر من ثمانين ترجمة لبعض مؤلفاته [1]، وهذه المؤلفات هي:

١ ـ الإسلام دين المستقبل .

٢ ـ فلسطين أرض الرسالات الإلهية .

٣ ـ وعود الإسلام .

٤ ـ مبشرات الإسلام ، أو الإسلام يسكن حضارتنا .

٥ ـ الإسلام هو الحل الوحيد .

٦ ـ ميثاق إشبيلية .

٧ ـ المساجد مرآة الإسلام .

٨ ـ مستقبل الإسلام في الغرب .

٩ - إسرائيل القضية .

---

(١) انظر مقدمة كتابه فلسطين أرض الرسالات الإلاهية، ترجمة وتعليق د. عبدالصبور شاهين، نشر دار التراث، القاهرة .

١٠ ـ ملف إسرائيل دراسة للصهيونية السياسية .

١١ ـ إسهام الحضارة العربية التأريخي في الحضارة العالمية .

١٢ ـ رقص الحياة .

١٣ ـ كلام رجل .

١٤ ـ مشروع أمل .

١٥ ـ بيوجرافيا القرن العشرين : وصيتي الفلسفية .

١٦ ـ من اللعنة الكنسيّة إلى الحوار ، ماركسي يخاطب المجمع الكنسي .[1]

١٧ ـ نظرات حول الإنسان .

١٨ ـ ماركسية القرن العشرين .

١٩ ـ منعطف الاشتراكية الكبير .

٢٠ ـ في سبيل حوار الحضارات .

٢١ ـ نداء إلى الأحياء .

---

(١) ترجم هذا الكتاب إلى ١٤ لغة . انظر محاضرته التي بعنوان كيف أسلمت ، ص ٣ .

المطلب الثاني : البيئة التي نشأ فيها :ـ

نشأ هذا المهتدي في أوربا وبالتحديد في فرنسا التي تعتبر ثاني أكبر إمبراطورية استعمارية في العالم ـ آنذاك ـ بعد بريطانيا، وتعتبر إلى حدٍ كبير من البلاد الغنية ؛ إذ تحتفظ باحتياطي كبير من الذهب، كما أنها متوازنة اقتصادياً، بمعنى أنها زراعية وصناعية. أما الحالة الدينية فقد كان رجال الدين يتمتعون بالجاه والثروة، ويحتكرون موارد الكنيسة التي تمتلك خمس أراضي فرنسا، وكلها معفاة من الضرائب[1]. أما من الناحية الخلقية فقد شهدت أوربا خلال هذه الفترة فوضى أخلاقية، وتمييزاً عنصرياً ، وتدهوراً أسرياً، وانتشاراً للجرائم، وانعداماً للقيم ؛ إذ كان الاتجاه السائد في أوربا هو التخلي عن العقيدة والقيم ـ سوى القيم المادية ـ التي كانت تعبّد الفرد للحزب أو للإنتاج والوطن. أما من الناحية الفكرية فهي بيئة جاهلية بكل تصوراتها، وسوق رائجة لكل نحلة ومذهب ، من كل ما يتصوره الإنسان وما لا يتصوره مما هو نتاج فكر آسن غلبت عليه العلمانية، وأرهقته المادية، ينتقل بين الشك والوهم .

وفى أواخر القرن الثامن عشر الميلادي، وبداية القرن التاسع عشر الميلادي ، وبعد انزواء الكنيسة عن التصرف في الحياة العامة، ظهرت إلى

---

(١) انظر التاريخ المعاصر .. أوربا من الثورة الفرنسية إلى الحرب العالمية الثانية ، تأليف د. عبدالعزيز نوار، ود. عبدالمجيد نعنعي ، نشر دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٧٣م ، ص ٤٠٩ – ٤١١ ، ودراسات في التاريخ الأوربي الحديث والمعاصر ، تأليف د. خليل مراد ، ود. جاسم حسن ، نشر جامعة الموصل ، ص١٣٥-١٣٨ .

الوجود آثار الاتجاه الماركسي الشيوعي والرأسمالي، وبلغت الماركسية أوجها في فرنسا في عام ١٩٥٣م ؛ إذ كانت تعد كتابات ماركس (على أنها هدى يكاد يرقى إلى مرتبة القداسة[١]) !! عندهم.

ثم شهدت أوربا خلال هذا القرن حربين عالميتين ؛ إذ أعلنت الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٤م ووضعت أوزارها عام ١٩١٩م ، وخرجت منها فرنسا منتصرة ضمن دول الوفاق. واشتعلت نار الحرب العالمية الثانية عام ١٩٣٩م ، وأعلنت فرنسا استسلامها لألمانيا بعد سنة من بدء الحرب، ثم تحول الموقف لصالح الحلفاء عام ١٩٤٢م حتى انتهت الحرب عام ١٩٤٥م ، وبعد هذا التطاحن انقسم العالم إلى كتلتين تحاول كل منهما التفوق على الأخرى، ومنذ ذلك التأريخ سلمت أوربا من الحروب فيما بينها، لكنها ظلت تعيش في ظل الأسلحة النووية التي يحتمل أن تحدث كارثة بشرية في أي لحظة ، ولكن هذه الفترة تعتبر فيها أوربا مستقرة نسبياً وآمنة من شبح الحرب .[٢]

---

(١) انظر لما سبق تأريخ الثورة الفرنسية ، تأليف البير سوبول، ترجمة جورج كوسى، من منشورات بحر المتوسط بيروت ، ص٥٦٤. وأوربا فى القرنين التاسع عشر والعشرين، تأليف هاردلد تمبرلى، وأ.ج. جرانت، ترجمة محمد علي أبودره ، ولويس إسكندر ، نشر مؤسسة سجل العرب، ج ٢ ص ٣٠٤. وأزمة الحضارة الغربية ، تأليف د. عبدالقادر طاش، نشر كتاب المختار، ص٩ ومجلة الأمة عدد ٢٩، ص ٦٧ .

(٢) انظر التأريخ الأوربي الحديث والمعاصر، ص ١٣٥ - ١٣٨ وتأريخ الثورة الفرنسية ، ص ٥٦٤ والتأريخ المعاصر، ص ٥٨٣. ومن الحرب والمجتمع فى أوربا ١٨٧٠ - ١٩٧٠، تأليف براين بوند ، ترجمة سمير عبدالرحيم الجلبي، نشر دار المأمون للترجمة، بغداد ١٩٨٨م، ص٢٢١، والتيارات السياسية المعاصرة ، تأليف د. عبدالحميد البطريق، نشر دار النهضة العربية بيروت، ط ١، ١٩٧٤م ، ص ٣٤٥ - ٤٢٨. والتأريخ الأوربي الحديث والمعاصر ، تأليف د. جلال يحيى ، نشر المكتب الجامعي، الإسكندرية، ١٩٨٣، ص ٣٥١ - ٤٣٧ .

هذا الاستقرار والأمن النسبي مكن لفرنسا أن تبني ما هدمته الحرب، وأن تصبح من الدول العظمى باعتبار المقاييس المادية ، ولا تزال على ماهي عليه من تخل عن القيم ، وإعلان للعلمانية، وتهتك في الأخلاق ، وفساد في التصور .

المطلب الثالث : دوافع إسلامه :ـ

لعل من الأجدى أن نستعرض بعض التحول الفكري لدى هذا المهتدي قبل الحديث عن دوافع إسلامه .

سبق القول أنه ولد لأبوين ملحدين، وقرر اعتناق النصرانية، ثم الالتحاق بصفوف الحزب الشيوعي وهو على نصرانيته ، وظل على هذا الازدواج الفكري طوال ثلث قرن، يعاني من التمزق النفسي، إذ يتحدث عن نفسه واصفاً هذه المرحلة الحرجة من عمره فيقول:(وطول ثلث قرن من الزمن، ومع ما في ذلك من خطر التمزق النفسي، حاولت أن أمسك بطرفي السلسلة: ماركسية لم تمثل بالنسبة لي اتجاها عقدياً أو نظرة في الكون، بل منهجية للمبادرة التأريخية، أي طريقة في الوقت ذاته فنية وعلمية في تحليل التناقضات الرئيسة لفترة ما أو مجتمع ما، ووضع المشروع القادر على تخطيها انطلاقاً من الوعي بها. وبين عقيدة تهب معنى لحياتي، وطريقة تمنح الفعالية لعملي)[1]. وتدرج في مناصب

(١) محاضرة كيف أسلمت ، ص ٢.

الحزب الشيوعي حتى إذا انتقد السياسة الشيوعية، والاتجاه الشيوعي استبعد من الحزب عام ١٩٧٠م .

وخلال هذه الفترة حاول كغيره من قيادات الحزب الشيوعي الدعوة إلى الحوار بين النصارى والماركسيين لأجل الإثراء المتبادل بينهما ؛ رغبة في بناءٍ مشترك للمستقبل ولمدنية الإنسان، وللإنسان الكامل [١] ـ حسب زعمه ـ . بالإضافة إلى تطوافه على كثير من البلدان ، وتنقله من دين إلى آخر ، ومن منهج فلسفي إلى آخر كل ذلك جعله مغرماً بالبحث ، شغوفاً بالحوار عما يجمع بني الإنسان تحت مظلة واحدة وهيهات هيهات.

فقد باشر الحوار مع كافة التيارات الفكرية المعاصرة كالنصرانية والبنيوية والوجودية ، ودعا إلى حوار الحضارات وألف في ذلك أحد مؤلفاته، وتوج هذه الرغبة في الحوار بتأسيسه المعهد الدولي لحوار الحضارات بالتعاون مع منظمة اليونسكو [٢] .

فهل هذا ـ باختصار ـ هو شعور المدرك بأن كل منهج منها لوحده عاجزٌ عن تقديم الحل الشامل لما يريد ويأمل ويطمح إليه ؟؟

ولكن بعد هذا التحليق في ميادين الفكر، والحوار فيما بينها، فما الذي انتشله منها إلى آفاق الإسلام الرحبة ؟

---

(١) روجيه غارودي ، ص ١١ .

(٢) سأقف مع هذا الإتجاه ، حوار الحضارات وقفة خاصة في آخر هذا المبحث إن شاء الله .

لقد كان شغله الشاغل منذ كان يافعاً ـ البحث عن النقطة التي يلتقي فيها الوجدان بالعقل ، أو الإبداع الفني والشعري بالعمل السياسي والعقدي[1]. وخلال اعتقاله بالجزائر قاد تمرداً في معسكر الاعتقال فأجرى قائد المعسكر محاكمة سريعة وأصدر حكماً بإعدامه رمياً بالرصاص، وأصدر أمره بتنفيذه إلى الجنود الجزائريين المسلمين ، وكانت المفاجأة بأن رفض هؤلاء الجنود تنفيذ الأمر، ولم يكن يعلم السبب في ذلك، وبعد فترة سأل عن السبب فأخبر أن شرف المحارب الجزائري يمنعه من إطلاق النار على رجل أعزل، فيقول عن هذا الموقف :(وكانت هذه أول مرة أتعرف فيها على الإسلام من خلال هذا الحدث الهام في حياتي، وقد علمني أكثر من دراسة عشر سنوات في السربون)[2]. وبعد إطلاق سراحه من المعتقل بقى عاماً في الجزائر لقى خلاله الشيخ البشير الإبراهيمي رئيس رابطة العلماء الجزائريين، وفى مقر الشيخ الإبراهيمي لفتت نظره صورة كبيرة لرجل وسأله عن صاحبها؟ فأخبره أنها صورة عبد القادر الجزائري [3]، وشرح له بعض الجوانب من حياته ونسكه ، وبعضاً من تأريخه في حربه ضد الاستعمار الفرنسي ، ويعتبر روجيه هذا

(١) مجلة الأمة ، عدد ٢٩ ، ص ٦٩ ، محاضرته كيف أسلمت ، ص ٩ .

(٢) مجل الأمة ، عدد ٢٩ ، ص ٦٧ وانظر مقدمة كتابه فى سبيل حوار الحضارات، ترجمة د. عادل العوا، من منشورات عويدات ، باريس ، ط ١ ، ١٩٧٨م ، ص ٥ - ٦ .

(٣) رجل جزائري محارب ، أمضى فترة من عمره فى الجهاد ضد المستعمر الفرنسي، أما عقيدته فأستطيع أن أجزم أنه من اتباع ابن عربي الصوفي ومن سايره بالقول بوحدة الوجود .

الدرس عن الجزائرييهو اللقاء الثاني له بالإسلام، وأنه تأثر به[1] وأفاد منه.

هذه الأمور جعلته يفكر في دراسة الإسلام ، دراسة الباحث عن الهدف، المتعطش للحقيقة، فما الذي دفعه إلى اعتناق الإسلام ؟

الدوافع التي دفعته إلى اعتناق الإسلام هي :

١ ـ احترام الإسلام للديانات السابقة ، وتوقيره لأنبيائها ورسلها .

٢ ـ أن الإسلام لا يفصل بين العلم والوحي .

٣ ـ شمول الإسلام لكافة الجوانب الحياتية العقدية والتشريعية والسياسية .

٤ ـ لأن الإسلام هو دين الفطرة التي فطر الله الناس عليها. وإلى هذا أشار في مقابلته مع مجلة الفيصل لما سئل عن الدوافع التي

---

(١) أول لقاء لي مع فكر روجيه كان من خلال كتابه «الإسلام دين المستقبل» وبعد إطلاعي عليه ودراستي له افترضت أن أول لقاء ثم بينه وبين الإسلام كان من خلال المتصوفة اتباع ابن عربي الصوفي ؛ لأنني وجدت إشادته بهذا الاتجاه، وثناءه على رواده، واقتفاء خطواتهم في النظر إلى الله والكون والحياة .. ثم بعد فترة من البحث والتنقيب عثرت على كتابه «في سبيل حوار الحضارات» ؛ فوجدت ما أكد لي ما افترضته حيث أشاد في هذا الكتاب إشادة منقطعه النظير بهذا الاتجاه وببعض رموزه وتأثره بهم، وإعجابه بهم، وبالأخص التصوف الفارسي والشعر الفارسي الصوفي، ص ١٦٣ – ١٧٢ ويزيد الأمر وضوحاً قوله في هذا الكتاب : (ولا مندوحة لي من أن أشهد بتجربتي الشخصية ، ذلك أنني انطلاقاً من تأمل فنون الإسلام ومساجده إنما شرعت أفهم عظمة العقيدة الإسلامية بتأكيدها الجذري على التعالي وفي الوقت ذاته ومن خلال القرآن والشعر الصوفي الخارق، وعلى انفتاح ، وعلى قبول لايقتصر على سائر أسر الإيمان الإبراهيمي وحسب بل يمتد إلى إمكان حوار خصيب مع حكمة آسية والهند واليابان) . ص٧، علماً أن هذا الكتاب كتبه قبل أن يسلم، إذ الترجمة العربية لهذا الكتاب طبعت عام ١٩٧٨م، أي قبل أن يسلم بأربع سنين .

ثم أكد لي ما ذهبت إليه ما اطلعت عليه في مجلة الأمة عدد ٢٩ من المقابلة معه وذكره أن ثاني لقاء له بالإسلام كان لقاءً صوفياً .

كونت لديه القناعة في اعتناق الإسلام حيث يقول :(دعني أقول لك: إن اعتناقي الإسلام لم يكن شيئاً كالإنجازات الكبرى في حياة الإنسان ، وعندما شرح الله صدري للإسلام تكونت لدى قناعة بأن الإسلام ليس مجرد دين يختلف عن بقية الأديان فحسب ، بل إنه دين الله...دين الفطرة التي خلق الله الناس عليها)[١].

٥ ـ اطلاعه على القرآن الكريم ، حيث وجد أنه تضمن ديناً عظيماً هو أساس الأديان [٢].

وقد استخلص مؤلف كتاب « لماذا أسلمت ؟ نصف قرن من البحث عن الحقيقة » أسباب إسلامه في مايأتي :

١ ـ أسباب عقائدية وتشريعية ؛ لأن الإسلام يقدم تصوراً للكون والإنسان، كما يقدم تشريعاً يتلاءم مع طبيعة الإنسان .

٢ ـ أسباب حضارية ثقافية ، وهي التي تتعلق بالإبداع والابتكار في الحضارة الإسلامية والمدنية الإسلامية بجوانبها المتعددة، وهذه الأسباب الحضارية نتاج للأسباب العقائدية والتشريعية[٣].

هذه الأركان العظام فى الإسلام عقيدة وشريعة وحضارة ومنهج حياة اجتذبته للإسلام فأعلن إسلامه في المؤسسة الثقافية الإسلامية في جنيف

---

(١) مجلة الفيصل عدد ، ١١١ ، ص ٣٨ .

(٢) انظر كيف ولماذا اعتنقوا أسلموا ، ص٩٢ – ٩٣ ومحاضرة مستقبل الإسلام فى الغرب ، ص ، ٧ وحوار سعد الدين مع هذا المهتدي ، ص ١٩ .

(٣) انظر لماذا أسلمت ص ، أ – ب .

بتأريخ ١٤٠٢/٩/١١هـ الموافق ١٩٨٢/٧/٢م [١]. وتفاوت الناس في تلقي خبر إسلامه ، فهناك من وصف إسلامه بأنه ثورة على الإلحاد والمادية [٢]. ومنهم من وصفه بأنه بدء تقليد جديد ستشهده العقود القادمة من الزمن، وهو انضواء العقول الكبيرة في الغرب تحت راية الإسلام؛ لأن المذاهب الوضعية عجزت أن تمنحها ما تريد[٣]. ومنهم من توجس منه خيفة، وأكد على الحذر عند التعامل والنظر في بعض أفكاره وطروحاته[٤].

فيا ترى ما السبب لهذا التوجس؟ الذي دعا هؤلاء إلى الحذر عند التعامل مع فكره وطروحاته ؟

إن السبب هو ما وجدوه مبثوثاً في بعض مصنفاته ومحاضراته من ألفاظ لها مدلولات لا تتفق مع المنهج الإسلامي السليم، بالإضافة إلى طرحه لعدة طروحات أو مشاريع سبق أن تبنتها بعض الجهات الضالة ، وثبت فشلها [٥].

أول هذه الطروحات أو المشاريع هو حوار الحضارات أو حوار الأديان،

---

(١) انظر مجلة الأمة عدد ٢٩ ، ص ٦٨ ، ومجلة الفيصل عدد ١١١ ، ص ٣٨ .

(٢) انظر مجلة الفيصل عدد ٩٩ ص ٤٨ .

(٣) هذا ما ذهب إليه الأستاذ عماد الدين خليل في مجلة الأمة عدد ٤٠ ، ص ٤٧ .

(٤) انظر مجلة منار الإسلام عدد ٦ لعام ١٤٠٨هـ ، ص ١٢ - ١٦ وعدد ٤ لعام ١٤٠٩هـ ، ص ١٤ - ١٩ ، عدد ٨ لعام ١٤٠٩ هـ ، ص ، ١١٠-١١٦ .

(٥) سأتحدث عن هذه الطروحات والألفاظ التي استوقفت هؤلاء في الصفحات القادمة من هذا المبحث، إن شاء الله .

وقد سبقه إلى هذا الصابئة قبل الإسلام[1]، ثم حملت لواءه الكنيسة بعد ذلك، وغير خاف على ذي بصيرة أهداف الكنيسة من وراء تبنيها لهذا الاتجاه .

ولأجل السير قدما نحو تحقيق هذا الحلم لديه قام بالتعاون مع منظمة اليونسكو بإنشاء المعهد الدولي لحوار الحضارات [2]. وقد أوضح أهداف هذا المعهد[3] بقوله :(قمت بالتعاون مع مسؤول منظمة اليونسكو بتأسيس المعهد الدولي لحوار الحضارات؛ بهدف إبراز دور البلاد غير العربية وإسهامها في الثقافة العالمية، حتى يتوقف الحوار ذو البعد الواحد من جانب الغرب الذي يقوم على وهم عقدة التفوق عند الإنسان الغربي ..)

ثم يوضح مهامه فيقول : فإن المعهد قد رسم لنفسه مهمتين :

الأولى: إيجاد جواب مقنع للدعاية الصهيونية .

---

(١) هذا المشروع ، الحوار بين الأديان ، لم يكن وليد أفكاره ، فقد ذهبت الصابئة إلى قريب منه قبل الإسلام ، وقد أوضح الإمام ابن القيم منهجهم حيث يقول : (وأصل دين هؤلاء - فيما زعموا - أنهم يأخذون بمحاسن ديانات العالم ومذاهبهم، ويخرجو ن من قبيح ما هم عليه قولاً وعملاً، ولهذا سموا صابئة - أي خارجين - فقد خرجوا عن تقيُّدهم بجملة كل دين وتفصيله، إلا ما رأوه فيه من الحق) إغاثة اللهفان فى مصائد الشيطان، تأليف الإمام ابن القيم، تحقيق محمد عفيفى، نشر المكتب الإسلامي، ط١ ، ١٤٠٧هـ ، ج ٢ ، ص ٣٦١ .

(٢) انظر مجلة الأمة عدد ٢٩ ، ص ٦٧ ، ٧٢ ومحاضرته كيف أسلمت ، ص ١٥ - ١٦ .

(٣) لم استطع تحديد تأريخ إنشاء هذا المعهد ، لكن من المحتمل أنه أسس ما بين عامي ١٩٧٠ - ١٩٨٠م؛ لأنه خلال مقابلته مع مجلة الأمة قال: إن إبعاده من عضوية الحزب الشيوعى عام ١٩٧٠م وبعد ذلك قام بتأسيس المعهد، كما أن بداية عمل هذا المعهد تتمثل فى إصداركتابين هما مبشرات الإسلام ، وملف عن الصهيونية ، وقد ترجما إلى اللغة العربية خلال عامى ١٤٠٢ - ١٤٠٣هـ ١٩٨٢ - ١٩٨٣هـ .

الثانية: إبراز صورة أمينة للإسلام في لغة تمكننا من تحقيق أكبر إشعاع ممكن في العالم الغربي)[١].

وبعد ذلك وجه الدعوة لندوة تقام في قرطبة عام ١٩٨٧م ، وموضوع الندوة « تحديد نوع العمل الذي يؤدي إلى السلام العالمي » وفاجأ الجميع بتوجيه الدعوة إلى ممثلين عن اليهود والنصارى والمسلمين ؛ فرفض الجامع الأزهر ورابطة العالم الإسلامي هذه الدعوة التي وصفت بأنها محاولة لخداع وتضليل المسلمين[٢]. ولنؤجل البحث عن الحكم على هذا الاتجاه لنستقصي أسبابه ودوافعه أولاً ـ

فبتتبع تطلعات جارودي وفكره منذ بداية تأثره وتأثيره ؛ نجد أنه مغرم بالحوار كلف به ، فقد باشر الحوار وهو على ماركسيته مع التيارات الفكرية المعاصرة كالوجودية والنصرانية والبنيوية، بل أمضى اثنتي عشرة سنة من حياته يعمل على حفز الحوار بين النصرانية والماركسية في أوربا[٣] ، وأنه يميل إلى نظرة مثالية خيالية توصل إليها بعد تطوافه على كثير من البلاد ، وارتياده لكثير من الأفكار ، وسبره لجم هائل من الحضارات ، تبين له أن بعض الحضارات القديمة تأخذ من بعض وتتأثر بها[٤] ، وأنه متأثر أيضاً بفلسفة وحدة الوجود وما تدعو إليه [٥]. فأثمر كل

(١) مجلة الأمة عدد ٢٩ ، ص ٦٧ ، ٧٢ .
(٢) انظر مجلة منار الإسلام عدد ٨ لعام ١٤٠٩هـ ، ص ١١٣ .
(٣) انظر في سبيل حوار الحضارات ، ص ٢٧٦. وروجيه غارودي ، ص ١١ .
(٤) انظر في سبيل حوار الحضارات ، ص ١٢٩ ، ١٨٣ – ١٨٤ .
(٥) انظر المصدر السابق ، ص ٧ ، ١٦٣ – ١٧٠ .

ذلك عنده رغبته في أن تتسق البشرية في منظومة واحدة الكافر منها والمسلم، والوثني والموحد، واليهودي والنصراني والمسلم، تحت راية واحدة، إذ يقول في حواره مع الحضارات :(وبهذا «الحوار بين الحضارات» وحده يمكن أن يولد مشروع كوني يتسق مع اختراع المستقبل، وذلك ابتغاء أن يخترع الجميع مستقبل الجميع ، إن التجارب الحالية في آسية وأفريقية وأمريكة اللاتينية ...تتيح لنا أن نرسم منذ اليوم الخطوط الأولى لهذا المشروع الكوني في القرن الحادي والعشرين، مشروع الأمل ؛ ذلك أن مشروع الأمل يستلزم كيما يخلق نسيجاً اجتماعياً جديداً ، وكيما يخترع مفهوماً سياسياً جديداً ، أن نمنحه بعداً جديداً ، وأن لا نتكلم على منظور فردي المنزع)[1].

هذا الحوار الذي يطمح إليه في هذا القرن هو ما عبر عنه الوثني غاندي من قبل إذ يقول :(إذا جاءني مسيحي وقال لي بأنه تحمس عند قراءة «بغافاد جيتا» وأنه يريد أن يعتنق الهندوسية . أجبت إن التوراة تستطيع أن تمدك تماماً بما يمدك به «بغافاد جيتا» ، ولكنك لم تحاول أن تكتشف ذلك حقاً ، قم بهذا الجهد وكن مسيحياً حقاً)[2].

وفي آخر كتابه عبر تعبيراً يزيد الأمر وضوحاً حول أمله في حوار الحضارات ، إذ وصف هذا الحوار بقوله :(حوار يعرف فيه كل طرف

(١) المصدر السابق ، ص ٩ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٢٦٩ .

كيف ينفتح على حقيقة الآخر دون أن ينحل إليها ، إخصاب متبادل بين حكمة وكذلك ثورات آسية والإسلام وإفريقة وأمريكة اللاتينية وبين ما يماثلها من الغرب)[1].

فهو يرى أن كل ثقافة بحاجة إلى الأخرى ، وكل حضارة لا تستغني عن الأخرى ، وكل ملة لا ينبغي لها أن تعتد بنفسها، بل على الكل السعي للإخصاب المتبادل !!

وبعد إسلامه دعا إلى ما دعا إليه من استمرار حوار الحضارات ، وتوجيه الدعوة إلى الندوة التي سبقت الإشارة إليها بحضور ممثلين عن اليهود والنصارى والإسلام .

ولنرجع بالذاكرة إلى الوراء لاستخلاص تدرج الحوار لديه، وفق طموحاته وآماله المرحلية، أو المرتبطة بالفترات الزمنية التي مر بها، أو الفلسفات والحضارات التي ارتادها وتأثر بها، وهذا التدرج كما استنبطته هو كما يلي:

١ ـ لما وقع في الازدواج بين النصرانية والماركسية الشيوعية سعى جاهداً ـ كما سبق ـ لحفز الحوار بينهما حتى يحقق المزاوجة بينهما ، ويقضي على التنافر .

٢ ـ بعد ارتياده لكثير من الفلسفات والديانات الوضعية والحضارات؛

(١) المصدر السابق ، ص ٢٧٧ . أكثرت النقل في هذه الفقرة ، حتى يتجلى هذا الطموح لديه بنص كلامه، مع العلم أن هذا الكتاب قد كتبه قبل أن يسلم ، فنحن لا نريد أن نحاكم فكره من خلال هذا الكتاب، وما فيه من شطحات وكفريات؛ بل لهدف تأصيل طموحاته وآماله وتطلعاته ..

راوده «مشروع الأمل» في أن تتسق البشرية في وحدة واحدة، وأن تنفتح كل أمة على الأخرى لتكملها من غير أن تذوب فيها، وقد أغرق في هذه المرحلة في المثالية، وجمحت به أجنحة الخيال.

٣ ـ لما اقترب من الإسلام تبين له أنه رسالة إلهية سبقتها بعض الرسالات المماثلة لها من حيث المصدر والأساس الذي تعتمد عليه ـ ومن خلال معرفته السابقة باليهودية والنصرانية، رأى أن هذه الملل الثلاث تلتقي في إبراهيم عليه السلام ، إذ هو أبو الأنبياء، وأن الأنبياء من بعده دعوا إلى مثل ما دعا إليه من وحدانية الخالق، وإفراده بالعبودية

فتقلص عنده ذلك الطموح باحتواء البشرية تحت راية واحدة في ظل مشروع الأمل الذي تخيله وطمح إليه ـ إلى أن يجمع الملل الثلاث على أن تتعاون جميعاً فيما بينها لإحلال السلام العالمي فنتج عن ذلك حوار الأديان والدعوة إلى الإبراهيمية عام ١٩٨٧م[1]، وأنشأ لذلك مركز ملتقى

(١) عقدت فى القاهرة في مايو عام ١٩٨٧م ندوات شارك فيها ثلة من العلماء وأجمعوا على رفض ما دعا إليه جارودي ووصفوا هذه الدعوة بأنها بديل عن الماسونية انظر مجلة منار الإسلام عدد ٦ عام ١٤٠٨هـ. انظر التقرير المعنون بـ «تساؤل حول مؤتمر الحوار الدولى للوحدة الإبراهيمية» ضمن سلسلة تقارير المعلومات الصادر عن وزارة الشئون الإسلامية بالكويت، مطبوعة بالآلة الكاتبة مجلد ١ ص ١٥ . ومجلة منار الإسلام عدد ٦ ، لعام ١٤٠٨ هـ ص ١٢ - ١٦ ومجلة الأزهر عدد ٢ عام ١٤٠٨ هـ ، ص ١٧٥ - ١٧٩ .

الأديان في قرطبة[1]. وإن كان لا يزال يراوده بعض الطموح الذي تخيله في مشروع الأمل، يظهر متوارياً بين أسطر ميثاق أشبيلية [2]، إذ يقول في آخره : (ندعو الناس كافة على مختلف نحلهم وعقائدهم، يهوداً أو نصارى، أو هندوكيين، أو إنسانيين من الذين يعون أن الإنسان لا يستغني بنفسه عما سواه ، ندعوهم إلى أن نتعاون جميعاً لانقاذ العالم من إفلاسه الأخلاقي ومن الهلاك الذي ينتظره .)[3]

والحقيقة التي ينبغي الإشارة إليها هي أنه خلط في حواره بين الحضارات، والفلسفات، والثورات، والنبوات الكاذبة، والأديان الوضعية، والأديان الإلهية المحرفة، والإسلام ...ولكن النقطة الجديرة بالأهمية هي وجوب الفصل بين الدين الصحيح ، وبين الأديان المحرفة. وبين العلم والحضارة وبين الدين الصحيح ـ فصلاً تاماً ـ في هذه الفقرة بالذات ـ

---

(١) ورد ذكر هذا المركز بعدة أسماء خلال أحاديثه ومقابلاته وهي : معهد قرطبة لوحدة الأديان. المركز الثقافي الإسلامي. مركز قرطبة للأبحاث الإسلامية . ومهام هذا المعهد من خلال كتاباته العربية هي : تعريف الغرب بقدرة الإيمان والثقافة الإسلامية على إعطاء رأيها في المجتمع المعاصر ، وكذلك دفع أوروبا للبحث فى الإرث الإسلامي ، وتعريف الإسلام كدين ومجتمع. أما مهامه من خلال مانشر باللغة الفرنسية فهي : توجهات عالمية لنشر تعاليم ونتاج الثقافات الثلاث اليهودية والنصرانية والإسلامية ، من خلال علاقة الإنسان بالإله والطبيعة والفرد. انظر سلسلة تقارير المعلومات الصادرة عن وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بالكويت إدارة الشئون الإسلامية ، المجلد الأول ، ص ١٥ .

(٢) هو نص التقرير الذي قدمه روجيه جارودي بناء على طلب الجالية الإسلامية الأوربية للمؤتمر الدولي للمسلمين الأوربيين الذي انعقد في أشبيلية في الفترة ١٨ - ٢١ من يوليو تموز لعام ١٩٨٥م وذلك برئاسة د. عبدالله نصيف رئيس رابطة العالم الإسلامي . وانظر الدراسة التى أعدها عن هذا المؤتمر، د.سعد عبدالمقصود ظلام عميد كلية اللغة العربية بجامعة الأزهر بعنوان «لا لجارودي ووثيقة إشبيلية»، نشر دار المنار ، ط١ ١٤٠٧هـ وانظر مجلة منار الإسلام ، عدد ٤ لعام ١٤٠٩هـ ، ص ١٥ - ١٩ .

(٣) ميثاق أشبيلية ، ص ٣٦ ، المطبوع ضمن كتاب لا لجارودي ووثيقة إشبيلية .

حتى نستطيع أن نعطي الرأي الصحيح، ونتجنب الخلط المفضي إلى الكفر وذلك لما يأتي :

١ ـ أن الدين الحق ـ وهو الإسلام ـ الشامل لكل مناحي الحياة، ومنهج الإنسان الذي تكفل الله بحفظه ، وجعله خاتما للأديان ومهيمناً عليها ﴿وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه﴾ [1] فلا يمكن بحال من الأحوال، ولأي اعتبار من الاعتبارات، أن يوضع على مائدة واحدة مع غيره من الأديان سواء كانت بشرية وضعية أم إلهية محرفة ـ بهدف الإخصاب المتبادل كما عبر بذلك لأن مجرد وضعه هذا الموضع إزراء بحقه، واعتقاد للنقص فيه، وطلب استكماله من غيره؛ وفي ذلك الدلالة على عدم التسليم له بالهيمنة والتصديق والإيمان بكماله وتمامه، والله يقول: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا﴾[2].

٢ ـ أن الحكيم الخبير العليم بما يصلح عباده ضمّن هذا المنهج كل خير احتوى عليه دين سابق، أو ملة لاحقة، وحذرهم فيه من كل شر أو سوء أو عاقبة وخيمة في الدنيا والآخرة، وكل تصرف من هذا التصرف ـ أي الحوار للإخصاب المتبادل ـ هو

(١) سورة المائدة ، الآية ٤٨ .

(٢) سورة المائدة ، الآية ٣ .

اتهام لحكيم في حكمته، وللخبير في خبرته، وللعليم في علمه.

٣ ـ أن الأديان السماوية السابقة بطل اعتبارها، والانتساب إليها، والتأله في سبيلها، والتعبد من خلالها بعد بعثة محمد ﷺ، ودعوته لهذا الدين القويم .

٤ ـ أن الدين الحق وحي من الله ينبغي تجاهه التسليم والإذعان له؛ امتثالاً لقوله تعالى: ﴿وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم﴾ (١). وهو وصف مقصور على أهله لا يدخل تحته إلا من أذعن له، أما العلم المادي والثقافة والحضارة فهي بوجه عام نتاج بشري مشاع لا يمكن أن تدعيه أمة دون سواها، ولا أن تحتكره دون غيرها، ولا أن تعلن الوصاية أو الهيمنة عليه، فهي ـ أى العلم والحضارة والثقافة ـ متاحة لكل أمة بقدر ما تبذله من الأسباب، ولها الحق كل الحق في الزيادة عليه والنقص منه والنقد له، والتشكيك فيه؛ وما ذاك إلا لأن العلم أو الثقافة أو الحضارة نتاج بشري خاضع للنقص، وقابل للضعف ، ومحتمل للزيادة، وليست له العصمة والقداسة التي يتمتع بها الدين الصحيح .

هذا ما يتعلق بتدرج الحوار لديه ، وبمشروع حوار الحضارات. أما ما

(١) سورة الأحزاب ، الآية ٣٦ .

يتعلق بما دعا إليه من حوار الأديان، أو الدعوة إلى الإبراهيمية فأقول : لم تكن الدعوة إلى حوار الأديان وإلي الإبراهيمية من نتاج عبقريته، ووليدة أفكاره؛ بل الدعوة إليها قائمة من قِبَل اليهود والنصارى منذ بداية القرن العشرين الميلادي[1]. وأهداف هذه الدعوات المتتالية لا يمكن حصرها في هذه العجالة السريعة ؛ إذ ليس المجال مجال بسطها، وإنما الغرض ـ هنا ـ استعراض ما دعا إليه هذا المهتدي، وبيان دوافعه إلى ذلك ومناقشته فيها:

لعل من باب إحسان الظن بالمسلم ، ألا نحمِّل هذه الدعوى من قبله ما ينبغي أن نحمله لو كانت من جهات أخرى . أما دوافعه حسب ما تم استنتاجه فهي :

١ ـ أنه كَلِفٌ بالحوار مغرم به ـ كما سبق بيانه ـ بالإضافة إلى أنه صاحِب عقلية مثالية تحلق في آفاق الخيال ، وتطلب المستحيل.

٢ ـ أنه متأثر بفلسفة وحدة الوجود ، كما سبق بيانه .

٣ ـ أنه شيوعي سابق، وقد تبنت الاستراتيجية الشيوعية بعد عجزها عن التأثير على المسلمين بوسائلها السابقة ـ الصراع الفكري الثقافي؛ حتى تستطيع أن تحقق من خلاله ما عجزت عن تحقيقه سابقاً، فلجأت إلى استقطاب جملة من المفكرين الماركسيين ممن اقتربوا من بعض الأديان، أو تربوا تربية كنسية؛ لتتخذ منهم أداة لبلوغ أهدافها، كما أن روجيه جارودي رجل

(١) انظر مجلة منار الإسلام عدد ٦ ، ص ١٢ – ١٦ وعدد ٨ لعام ١٤٠٨ هـ ، ص١١٠ – ١١٦ .

علاقات دولية لا تزال تربطه بكثير من هؤلاء وشائج فكرية ، فمن المؤكد أن هؤلاء لهم دور في التأثير عليه، بتهوين التبعات، والمبالغة في تصوير النتائج ، ورسم التطلعات[1]، وقد أوضح سبحانه دور هؤلاء وحذرنا منهم فقال: ﴿وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً شياطين الإنس والجن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً ولوشاء ربك ما فعلوه فذرهم وما يفترون . ولتصغى إليه أفئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة وليرضوه وليقترفوا ماهم مقترفون ﴾[2].

٤ ـ جهله بالمبادىء الأساسية في العقيدة الإسلامية، وتحديد مصادر التلقي التي يعتمد عليها في دراسة المشكلات والقضايا التي تواجه الأمة الإسلامية، فقد أكمل الله لهذه الأمة دينها، وليست بحاجة أن تستجدي أمم الكفر والضلال من المغضوب عليهم والضالين.

٥ ـ دور بعض المنابر الإعلامية والهيئات الإسلامية تجاه هذا المهتدي وأمثاله ، في أن ترفعهم فوق منزلتهم، ثم تعرض عليهم آمال

(١) وقد دعا خمسة من هؤلاء الماركسيين إلى مؤتمر الحوار الإبراهيمي ، انظر تقرير انفتاح الشيوعية على الأديان ضمن سلسلة تقارير المعلومات الصادر عن وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بالكويت . المجلد الأول ، ص ١٨ - ٢١ .

(٢) سورة الأنعام ، الآيتان ١١٢ ، ١١٣ .

الأمـة وتطلعـاتهـا، وتطلب منهم المشـورة في قـضـايا الأمـة ومشكلاتها ...كل ذلك يحمّلهم فوق طاقتهم، وينتج للأمة أمراضاً على أمراضها، وكان الأجدر بهذه المنابر وتلك الهيئات أن تلقي في روعـهـم أن عليـهـم أن يتـعلمـوا الإسـلام، وأن يتتلمذوا من البداية على علماء الإسلام الذين تشهد لهم الأمة بالإمامة والعلم والاجتهاد والجهاد والإخلاص .

المناقشة :ـ

إن المطلع على ما تبناه روجيه في مؤتمره، والشخصيات التي وجه لها الدعوة[1] يخرج منها بنتائج هي :

١ ـ أنه غفل عن سنة من سنن الله في الكون، وهي أن الصراع بين الحق والباطل قائم منذ دعا الأنبياء إلى توحيد الله، بل منذ ﴿وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين﴾[2]

٢ ـ أنه في دعوته إلى الإبراهيمية اعتمد على علاقة هذه الأمم بإبراهيم عليه السلام من حيث النسب، ومن حيث أساس

(١) الشخصيات التي وجهت لها الدعوة لحضور المؤتمر الإبراهيمي هم : اثنان من اليهود ، وثمانية من النصارى ، وقادياني واحد، وإسماعيلي واحد ، واثنان من المسلمين المغمورين علمياً ، وإن كانت لهم مناصب في منظمات عالمية . انظر سلسلة تقارير المعلومات ، المجلد الأول ، ص ١٧ .

(٢) سورة البقرة ، الآية ٣٦ .

الدعوة، ولم يتفطن إلى أن الأس الذي دعا إليه إبراهيم عليه السلام هو أساس دعوة كل نبي ورسول عليهم صلوات الله وسلامه من لدن آدم حتى محمد ﷺ، وليس مقتصراً على إبراهيم والأنبياء من ذريته ، كما أن إبراهيم عليه السلام ومن قبله ومن بعده من الأنبياء والرسل وسائر البشر هم سلالة رجل واحد هو آدم ، فلا فضل لإسرائيلي على إسماعيلي، ولا لإبراهيمي على من سواه، الكل لآدم وآدم من تراب .

٣ ـ أن إبراهيم عليه السلام يرفض هذه الدعوى؛ لأنه هو الذي سمانا بالمسلمين ، ولم يسمنا بالإبراهيميين كما أخبر الله بذلك في القرآن فقال: ﴿هو سماكم المسلمين من قبل وفي هذا..﴾ [(١)]. ولما اختلفت حوله اليهود والنصارى أكد الله حقيقة منهجه فقال: ﴿ ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً ولكن كان حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين﴾ [(٢)] .

٤ ـ أنه غفل عن مسلّمة من مسلمات العقيدة الإسلامية في التعامل مع اليهود والنصارى، وهي أنهم لن يرضوا عنا حتى نقدم لهم التنازل تلو التنازل في ديننا ، فنبلغ الغاية في التنازل عن عقيدتنا، وأهم ما يميزنا، وقد جلى الحق سبحانه وتعالى هذه

(١) سورة الحج ، الآية ٧٨ .

(٢) سورة آل عمران ، الآية ٦٧ .

القاعدة، وبين المنهج الذي يجب السير عليه فقال: ﴿ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتي تتبع ملتهم قل إن هدى الله هو الهدى ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذي جاءك من العلم مالك من الله من ولي ولا نصير﴾ (١).

٥ ـ قسم الله الخلق إلى طرائق قددا منهم المسلم ومنهم الكافر، وفيهم الموحد وفيهم الوثني، يقول الله تعالى: ﴿وما كان الناس إلا أمة واحدة فاختلفوا..(٢)﴾ فاختلفوا إلى ملل وأحزاب وشيع ونحل، وإن هؤلاء الذين فرقوا دينهم ؛ إنما تفرقوا بسبب بغيهم وعنادهم وإصرارهم على الباطل﴿فما اختلفوا إلا من بعد ما جاءهم العلم بغياً بينهم ﴾ (٣). وسلم أهل الحق من الاختلاف على رسلهم وأنبيائهم وكتبهم ﴿فهدي الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه﴾ (٤). والله سبحانه ذكّر نبيه ﷺ وسلاه عن أن يأسف على عدم إيمان الكفار بهذا القرآن وقال له : ﴿فلعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفاً ﴾ (٥). وقال له أيضاً : ﴿فلا تذهب نفسك عليهم

---

(١) سورة البقرة ، الآية ١٢٠ .
(٢) سورة يونس ، الآية ١٩ .
(٣) سورة الجاثية ، الآية ١٧ .
(٤) سورة البقرة ، الآية ٢١٣ .
(٥) سورة الكهف ، الآية ٦ .

حسرات﴾ [1]. وبين له سبحانه سنة كونية وهي : ﴿وما أكثر الناس ولوحرصت بمؤمنين ﴾ [2].

وإن روجيه بعمله هذا يريد أن يعتسف الحقائق ، ويقلب الموازين، وأن يوسع دائرة الإسلام لتشمل كل ذي نحلة أو ملة تخالف هدى الإسلام وصراطه المستقيم ، وأن يجمع تحت راية التوحيد كل كفر على وجه الأرض يهوديها ونصرانيها وبوذيها وهندوكيها ...[3] فهل يجتمع إيمان وكفر ، وتوحيد وتثليث ، واستسلام لله واستسلام للوثن ؛ لأجل أن يتعاون الجميع لانقاذ العالم من إفلاسه الأخلاقي؟ ـ كما عبر بذلك ـ فهل من الممكن أن يتعاون اليهودي مع غيره وهو يعتقد أن جميع البشرية خلقت لخدمته ؟ فهو يريد تعبيدها له، وانصياعها لأوامره، واستسلامها لخدمته. وهل سيتعاون النصراني على ذلك وهو يتعبد في أن يقرب المسلم قرباناً على مذبح كنيسته ؟ وهل وهل ..؟؟ .

لكن الخيال شيء، والمثالية شيء، وواقع هذا المنهج ومسلماته وقواعده ومقتضياته شيء آخر يباين ذلك كله ويفارقه .

(١) سورة فاطر ، الآية ٨ .
(٢) سورة يوسف ، الآية ١٠٣ .
(٣) راجع آخر كلمات ميثاق إشبيلية ، وقد تقدمت الإشارة إليه .

المطلب الرابع : القيمة العلمية لكتابه : الإسلام دين المستقبل :ـ

هذا الكتاب ألفه مؤلفه باللغة الفرنسية، وصدر قبل إشهار إسلامه ببضعة أشهر [1]، ونقله إلى اللغة العربية عبد المجيد بارودي، وتقع هذه الترجمة العربية في ١٨٠ صفحة من الحجم الكبير .

هدف الكتاب : العمل على إظهار الإسلام كوجود ومستقبل، أي إسلام يظهر في المستقبل أكثر مما ظهر في الماضي [2]، وأن يبين حقيقة الإسلام، وأنه استطاع أن يقدم في الماضي حضارة عظيمة لا تزال آثارها إلى اليوم، في الوقت الذي استطاع أن يرقى بالنفس البشرية ويحميها من الدمار والهلاك، كما هدف المؤلف في كتابه هذا إلى أن يغير أو يساهم في تغيير صورة المسلم لدى الغرب، ويزيح عنها غبش التصور، ويقدمها ناصعة كالشمس[3] .

محوى الكتاب : قسم المؤلف كتابه إلى ثمانية فصول هي : الفصل الأول بعنوان لقاء الإسلام، الثاني القلب والروح، والثالث الأمة الإسلامية، والرابع العلم والإيمان، والخامس من الفلسفة إلى التصوف، والسادس من الفن إلى الصلاة، والسابع الشعر والتنبؤية، والثامن الإسلام مستقبلنا، ثم أحداث تأريخية .

---

(١) انظر مقدمة كتاب الإسلام دين المستقبل ، ص١٨ .

(٢) انظر المصدر السابق ، ص ٢١ .

(٣) انظر المصدر السابق ، ص٢٣ .

القيمة العلمية : لا يخلو هذا الكتاب من قيمة علمية تبرز جوانبها في النقاط التالية:

١ ـ أن المؤلف كان شيوعياً نصرانياً، وبلغ من العلم فيهما مبلغاً عظيماً، وحاول جاهداً أن يوفق بينهما حتى يحقق التوازن في حياته بين نصرانية تمده بالعقيدة، وشيوعية يسير على ضوئها في أعماله الحياتية ، ولما لم تفلح مساعيه ..ـ وأنى لها أن تفلح ـ واصل خطاه جاداً في بحثه عن الحقيقة التي تقضي على هذا النزاع النفسي والازدواج الفكري لديه، فوجدها في الإسلام فكتب هذا الكتاب ليثبت أن الإسلام قادر على عمارة المستقبل كما عمر الماضي، وإن يسعد الإنسان في هذا العصر كما أسعده سابقاً .

٢ ـ أن المؤلف حاول في كتابه هذا تغيير صورة المسلم والإسلام لدى الغرب، التي رسمت عنهما بيد المكر والكيد الصليبيتين، على يد دهاقنة الاستشراق، وحاول أن يجلّي الصورة الحقيقية للإسلام ويعرضه ـ كما فهم ـ مستدلاً على ذلك بالآية القرآنية، والحقيقة العلمية، والمسلّمة التأريخية ، فهو وإن لم يستكمل هذا الجهد ويجلي هذا الجانب، فيكفيه أنه طرقه وطرحه على ساحة البحث .

٣ ـ المقارنة بين المنهج الإسلامي في النظر إلى الله والكون والإنسان

والحيـاة، وبين المنهج الغـربي الأوربي، وأوضح الفـروق والأس الذي اعتمد عليه كل منهما .

المآخذ :

تقدم الكلام على أن هذا المفكر تعرف على الإسلام من خلال غلاة الصوفية، وارتسمت مباديء الإسلام لديه وفق الصورة التي رسمها أولئك الغلاة، وازداد إعجابه بهم ، وإشادته فيهم في هذا الكتاب وفي غيره ـ كما سبق ـ وظن أن ما عبروا به عن الإسلام هو الإسلام الذي أنزله الله على محمد ﷺ. إذا فلا عجب إذا تكاثرت المآخذ على هذا الكتاب؛ لأنه ورد على مـرضي ونهل من مناهلهم، فلا تستغرب إذا مـرض ، ولكن الغريب لو خرج سالماً ، وكثير من ألفاظ هذا الكتاب كفر صريح لا مجال للشك فيها ، ولولا أن حكاية الكفر ليست كفراً، ولولا واجب البحث العلمي، وما تقتضيه الأمانة العلمية ما أوردت منها حرفاً واحداً، وهذه المآخذ هي:

١ ـ تنزيه الله وتشبيهه ، ليس هذا التنزيه على منهج الإسلام ، وإنما على منهج ابن عربي الصوفي، فهو يجمع بين التنزيه والتشبيه في آن واحد، حيث يقول :(تنزيه الله دون تشبيهه بأى كائن ما، والمماثلة التي تشير إلى الله بواسطة الرموز والصور المأخوذة من عـالم الوجـود الدائم، إنه لا يمكن أن تفـصل بين هاتين الحالتين)ثم يريد أن يوضح هذا فيقول : (إن النفي والرمز

هما الطريقة الوحيدة التي تقربنا من الله في تنزيهه وتساميه ووحدانيته وتجلي آياته)[1] . إن هذا جمع بين المتناقضات ، فكيف يجتمع تنزيه وتشبيه ؟ ألم يكن له في منهج القرآن مندوحة عن هذا التمحل؟ وهو التفصيل في الإثبات ، والإجمال في النفي ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾ [2] . وقد أورد هذا الاتجاه في كتابه تحت عنوان «علاقتنا مع الله» ولكن مع هذا الجزم من قبَله على هذا المذهب؛ نرى أنه في موضع آخر من كتابه يذكر أن (إحدى أدق المشكلات المطروحة على الفلسفة الإسلامية هي بالضبط مشكلة علاقة المطلق بالأبدي مع النسبي والتأريخ بشكل خاص) [3].

٢ ـ هذا الخلط في صفات الله أوقعه في خلط آخر في كلام الله فهو يرى أن أحد المشكلات المطروحة على الفلسفة الإسلامية ـ هل القرآن كلام الله غير مخلوق ؟ وفي موضع آخر يرى أن كلام إمام الصلاة والمؤذن هو الكلام الإلهي وفي

---

(١) المصدر السابق ، ص ٦٥ ، ١٢٨ .
(٢) سورة الشوري ، الآية ١١ .
(٣) المصدر السابق ، ص ١١٤ .

موضع آخر يرى أن هناك مصادر أخرى للوحي ، ولم يذكر هذه المصادر لكنه أوردها تحت عنوان « الشعر الدنيوي » [1].

٣ ـ أنه نحا في كتابه هذا منحى اتباع وحدة الوجود، حتى لكأن الكتاب قد تمت صياغته لتحقيق هذه الغاية، ولهذا المنحى عدة مظاهر فمنها: فهم العلاقة بالله من خلال هذه الفلسفة، ومنها النظر إلى كافة البشر على مختلف أديانهم، والتعامل معهم على ضوء ما تمليه هذه الفلسفة حيث يقول : (إذا خطر ببالك أن الله هو الذي تبشر به مختلف المدارس الإسلامية ، والمسيحية، واليهودية، والزرادشتية، أو أنه ما يبشر به المؤمنون بالتعدد، وكل الآخرين ؛ فاعلم بالفعل أنه كذلك ، لكنه في نفس الوقت هو غير ذلك) . ومنها النظر للكون والحياة وسائر الأحياء والجمادات على أنها رموز تظهر الواحد في المتعدد، ومنها الإشادة برواد هذا الإتجاه كالحلاج وابن عربي وابن الرومي وجامي وعبد القادر الجزائري ...وغيرهم كثير وأنهم كانوا رواد الفلسفة الإسلامية، وأن الفلسفة الإسلامية قد شلت بسبب موقف الفقهاء المتزمتين الذين ضيقوا على ابن عربي وأمثاله، وأنه لم يحافظ على فلسفة العقل إلا بلاد فارس في عصرالنهضة الصفوية . ومن مظاهرها الإشادة بالشعراء الصوفيين الغالين . ومنها اعتبار الموسيقى وتماوج قباب

(١) انظر المصدر السابق ، ص ١١٤ و١٣٧ و ١٤٦ .

الجامع، وترتيل القرآن ، وترانيم الكاتدرائية ـ أنها توجد مشاركة تجربة عميقة واحدة[1] .

وقد يظهر للمتأمل أنه لم يكتب هذا الكتاب إلا لغرض إعادة هذه الفلسفة إلى الواقع ، وبعثها من قبور أصحابها؛ لتفسد علينا ديننا وحياتنا، وسأنقل بعض الأمثلة من أقواله ومن نقوله وأحيل على البعض الآخر في الهامش؛ حتي يدرك القاريء أن ما ذكرته ليس تجنياً ولا اعتسافاً، حيث يقول :(فما الكون إلا مشهد دينى يظهر فيه الواحد عبر المتعدد بألف رمز) . وينقل تفسير ابن عربي للصلاة وأنها طريقة وجود فهي (طريقة لربط الإنسان بالله بحيث لا تكون صلاة الإنسان لله إلا صلاة الله في قلب العبد) . ثم ينقل كلاماً لأحد غلاة هذا الإتجاه وهو:(أنا الحقيقة خلصني الله من ذاتي الوهمية، وقربني من ذاتي الحقيقية)[2] .

٤ ـ ظن أن منابع الصوفية الأساسية في القرآن . وقد وهم .[3]

٥ ـ يذكر أن إبراهيم عليه السلام لم يكن يهودياً ولا مسيحياً ولا

(١) انظر لما سبق المصدر السابق ، ص ٦٠ و ١٣٢ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٩٠ و ١٢٦ ، ١١٣، وانظر الصفحات التالية حتى تكون على بينة من هذا ص ٤٧ ، ٥٦ ، ٦١ ، ٦٢ ، ٦٥ ، ٩٠ ، ٩٣ ، ٩٧ ، ١١١-١١٤ ، ١٢٤ - ١٢٨ ١٣٢، ١٣٧ ، ١٤٥ ، ١٤٧ ، ١٤٩ ، ١٥٠ ، ١٥٦ - ١٥٧ ، ١٦٠ - ١٦٢ .

(٣) انظر المصدر السابق ، ص ٥٦ و ٦٣ .

مسلماً، وإنما النموذج الأول لرجل الإيمان[1]. فماذا كان النموذج الأول، ثم إن هذا معارض لصريح القرآن.

٦ ـ ذكر أن الرسول ﷺ لم يدّع أنه جاء بدين جديد[2]. وفي هذه العبارة تعميم وتطاول، فالدين يشمل العقيدة والشريعة، فتجديد الرسول ﷺلمعالم عقيدة التوحيد التي اندرست يعتبر تجديداً، أما الشريعة وهي من صميم الدين، فلا يمكن لأحد أن يدعي أن التشريعات الإسلامية هي نفسها التي فرضت على الأمم السابقة، ولكن لتأكيده على الإبراهيمية ـ كما سلف ـ أراد أن يجرد الإسلام من هذه الميزة ؛ حتى تتيسر له الدعوة إلى الإبراهيمية .

٧ ـ وصف الاعتماد على القرآن لاستخلاص تشريع يناسب كافة الشعوب، وكافة الأزمنة بأنه ضيق في الأفق حيث يقول :(بل إننا نفكر أن الطموح إلى استخلاص تشريع يناسب كافة الأزمنة، وكافة الشعوب من نص موحى منزل ينادي بالإيمان في لغة يفهمها شعب ما في عصر ما، لهو شيء يستند إلى تمامية ضيقة، ألم يأت في القرآن ﴿ولكل أمة رسول﴾ سورة يونس ، الآية ٤٧)[3]. وفي هذا تطاول وتجن على الإسلام

(١) انظر المصدر السابق ، ص ١٢٧ .

(٢) انظر المصدر السابق ، ص ٣٠ .

(٣) المصدر السابق ، ص ٣٧ – ٣٨ وانظر ص ٧٧ منه .

وعلى الحقيقة وعلى التأريخ وعلى الواقع، ألم يقل الله في كتابه: ﴿ما فرطنا في الكتاب من شيء﴾[1] و ﴿إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ﴾[2] ؟ فهو يهدي للتي هي أقوم دينيا وسياسيا واجتماعياً واقتصاديا وعمرانيا ...

٨ ـ الجهل بالتأريخ: إذ وصف فتح الأندلس من قبل المجاهدين المسلمين على أنه عبور القائد العربي طارق بن زياد على رأس فئة من المنشقين المسيحيين. كما أعاد انتشار الإسلام في بداية عهد الفتوحات الإسلامية والقضاء على الأمبراطوريات، إلى وهن تلك الأمبراطوريات، وجعل هذا الوهن أحد العوامل المساعدة .[3]

٩ ـ يرى أن الجهاد الأكبر هو جهاد النفس ، وأن الجهاد للدفاع فقط ، ويرى أن الحرب لا تقبل(إلا في حالة الدفاع عن الإيمان عندما يهدد، وليست الحرب من أجل نشر الإيمان بالسلاح ؛ فالقرآن لا يبرر الحرب إلا عندما نصبح ضحية غزو أو اعتداء، فمن المحرم على المسلمين قطعاً أن يكونوا غزاة أو معتدين : ﴿وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين﴾، سورة البقرة الآية ١٩٠) بل يرى أن

---

(١) سورة الأنعام ، الآية ٣٨ .

(٢) سورة الإسراء ، الآية ٩ .

(٣) انظر المصدر السابق ، ص ٤٠ – ٤٣ و ٥٠ .

انفتاح الإسلام على الديانات الأخرى ـ حسب تعبيره ـ وتسامحه مع أهل الكتاب (يسمح لنا بتجميد الجهاد في معناه وبعده الحقيقي)[1] فمن فوضك بهذا ، لكنك غفلت عن قوله تعالى: ﴿فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم﴾ [2]. وعن قوله تعالى : ﴿وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله ﴾ [3]. لكن إنها النظرة المسبوقة بحكم جاهز تتشبث بأوهن الأسباب، ولا تكلف النفس العناء والبحث والاستقصاء .

١٠ ـ وصف الخلافة الأموية بأنها اهتمت بالسلطة السياسية لذاتها، وليس من أجل معناها الديني، وأن عبر بلاطها المترف تصب كل ثروات البلاد المفتتحة من قماش وخمور وعبيد ..[4] وفي هذا تعميم وتجاوز على فترة تعتبر من أنصع فترات التأريخ الإسلامي، هذا فضلاً عن أن هذه الخلافة قد انتظمت الصحابي الجليل معاوية بن أبى سفيان رضي الله عنه والخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز رحمه الله .

١١ ـ عندما تكلم عن التعدد ذكر أن القرآن فرض المتطلبات التالية وهي : (العدالة التامة اقتصادية وعاطفية وجنسية بين مختلف النساء، وبهذه الشروط جعلت الأنظمة القرآنية تعدد الزوجات

---

(١) المصدر السابق ، ٤٥ – ٤٦ .

(٢) سورة التوبة ، الآية ٥ .

(٣) سورة البقرة ، الآية ١٩٣ .

(٤) انظر المصدر السابق ، ص ٤٩ – ٥٠ .

أمراً صعباً)ثم ذكر أن المعمول به فعلاً في الغرب هو تعدد الزوجات، وأن الزواج الآحادي موجود في القوانين فقط [1].

ولى مع هذا اللفظ وقفات الأولي: أنه جعل من ضمن العدالة، العدالة العاطفية والجنسية، وهذه لا تدخل في العدالة؛ لحديث رسول الله ﷺ عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت :(كان رسول الله ﷺ يقسم بين نسائه فيعدل. قال عفان : ويقول هذه قسمتي. ثم يقول :(اللهم هذا فعلي فيما أملك فلا تلمني فيما تملك ولا أملك) [2]. الثانية: أنه يرى أن تعدد الزوجات وفق المتطلبات الإسلامية أمر صعب . وفي هذا سوء أدب مع الشارع الحكيم الذي شرعه وجعله الأصل في الزواج حيث قال: ﴿فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع﴾[3].

١٢ ـ نفى أن يكون القرآن نص على أن المرأة خلقت من ضلع آدم[4]. ولكن ماذا يعمل بقوله تعالى: ﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما

---

(١) المصدر السابق ، ص ٨٢ .

(٢) رواه الإمام أحمد في مسنده واللفظ له ، ج ٦ ص ١٤٤ . وأبو دواود في سننه كتاب النكاح باب في القسم بين النساء ج ٢ ص ٢٤٢. والترمذي في سننه كتاب النكاح باب ما جاء في التسوية بين الضرائر ج ٢ ص ٣٠٤ والدارمي في سننه كتاب النكاح باب في القسمة بين النساء ج ٢ ص ٦٧ .

(٣) سورة النساء ، الآية ٣ .

(٤) انظر الإسلام دين المستقبل ، ص ٨١ .

رجالاً كثيراً ونساء﴾[1]. وقد أوضحت السنة ذلك فقد روى البخاري ومسلم في صحيحيهما أن رسول الله ﷺ قال: (استوصوا بالنساء؛ فإن المرأة خلقت من ضلع أعوج[2]).

١٣ ـ بتأثير من فكره الشيوعي اعترض على جمع الأموال ، واستدل ببعض الآيات التي يدندن حولها من يريد إلغاء مشروعية الملكية في الإسلام، وتفلسف حول هذا المعنى ، وفلسف مفهوم السرقة فقال :(ليست السرقة أن نستولي على ما نحن بحاجة إليه ، بل أن نكدس ما لسنا بحاجة إليه) [3] .

ليست هذه هي كل الملاحظات على هذا الكتاب، وإنما سجلت المآخذ الصريحة، أما الألفاظ المحتملة، والألفاظ التي يجد لها الباحث تفسيراً، فقد آثرت عدم إثارتها؛ لأن في هذه الألفاظ الصريحة غنية للحكم على المنحنى العام للكتاب .

وقفة مع هذا المهتدي :

لا يسعنا إلا أن نرحب به في ظلال الإسلام الوارفة، وآفاقه الرحبة، فليس الإسلام جبة تمنح لمن نشاء، وتنزع عمن نشاء ، وإنما هو هبة ربانية يهدي الله إليه من يشاء ويصرف عنه من يشاء، وللأمة محاسبة

(١) سورة النساء ، الآية ١ .

(٢) رواه البخاري في صحيحه ، واللفظ له في كتاب الأنبياء ، باب ١ . ومسلم في صحيحه في كتاب الرضاع ، حديث ١٤٦٨ .

(٣) الإسلام دين المستقبل ، ص ٧٤ .

الفرد منها على ما ظهر من تصرفاته وأقواله وأعماله، وما بطن من ذلك فإلى الله الذي يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور .

وهذا المهتدي قد أثار بعض الدعوات المشبوهة كالدعوة إلى الإبراهيمية، وأشاد ببعض رواد المسالك المنحرفة عن الطريق السوي كغلاة الصوفية [١].

وله موقف غامض من السنة النبوية؛ إذ يقلل من أهميتها ويطلق العبارات التي تحط من قدرها، وأنها لا تعدوا أن تتعلق بلبس الثياب أو كيفية الدخول للمكان أو الخروج منه .إذ يقول:(ونشأ في نفسي انطباع من قراءاتي للحديث الشريف، أنني أمام دين تقليدي فكل ما وجدته في كتب الأحاديث، وكل[٢] ما رأيت الرسول ﷺ يتحدث عنه أو يشير إلى فعله يتعلق بلبس الثياب أو كيفية الدخول للمكان والخروج منه، وأشياء أخرى من هذا القبيل، لا كما رأيت القرآن الكريم يتحدث عن الأساسيات التي تدلل على كمال هذا الدين الإسلامي [٣]) . وأقول كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذباً. ألم يطلع على أحاديث العقائد والعبادات؟ وأحاديث حقوق الطفل وحقوق المرأة وحقوق الأجير وكافة الحقوق المتبادلة وكافة العلاقات البشرية وأحاديث السياسة

(١) بل إن الأستاذ د. أكرم ضياء العمري كتب له رسالة ضمنها النقد لبعض كتاباته ، ومنها الإشادة بابن عربي وعبدالقادر الجزائري وغيره .. فرد عليه الجارودي مدافعاً عن ابن عربي بقوله : (هناك العديد من الأمثلة للصيغ الملتبسة باتهام ابن عربي بالحلولية ، فمجرد عدم إعطاء أي تعريف واضح لهذه الكلمة يمكن الإنسان من تشويه سمعة من يراد التشهير به) مجلة الأمة عدد ٦٧ ، ص ٣٥ ، والعدد ٦٤ ص ٢٢ - ٢٣ .

(٢) لاحظ صيغ العموم فى حديثه .

(٣) حوار مع الأستاذ روجيه جارودي ، ص ١٩ - ٢٠ .

والاجتماع والاقتصاد والمعاملات وأحاديث الأخلاق والفتن وأحاديث القيامة ووصف الجنة والنار؟؟ ...

كما أن له عبارات متناثرة هنا وهناك في محاضراته وكتبه التي ألفها بعد إسلامه، تدعو إلى الشك فيه، والريبة منه، والتوقف فيه[1]، فمنها ما سبق إيراده في المآخذ على الكتاب السابق، ومنها قوله: (إن كلاً من الإسلام أو اليهودية أو المسيحية أو الماركسية عبارة عن مثل أعلى ينظم حياتنا اليومية. إنه أفق نتجه نحوه ويدعونا إليه لكننا غير قادرين أبداً على بلوغه[2]» . عجباً أينتظم الكفر والتوحيد في درجة واحدة ؟ بل أتوازن بين الوثنية والإسلام ؟ بل أتساوِ بين التعدد والوحدانية ؟ ايتفق ما قرره رب البرية، وما نتج عن شذاذ البشرية ؟ فتعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً .

ومنها أنه يخلط بين التوبة والكفارة والحد : حين سجل تحفظه على حد السرقة فقال: عندما نقرأ ﴿والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما﴾ سورة المائدة ٣٨ . هل نقرأ هذه الآية على أنها مادة من مواد القانون الجزائي... ثم يقول ففي الآية التي أعقبت قطع يد السارق جاء قوله تعالى: ﴿فمن تاب من بعد ظلمه وأصلح فإن الله يتوب عليه﴾ الآية ٣٩ . فكيف يتصور أن الله الرحيم الله الغفور يفرض هذه العقوبة التي لا يشفى منها صاحب

---

(١) انظر ماكتبه أبو عبدالرحمن بن عقيل عن هذا الرجل في كتابه «جدلية العقل في الفكر والعبودية» ص: ٩٨ - ١١٣ ، الطبعة الأولى ، ١٤١٥ هـ ، نشر دار ابن حزم ، الرياض .

(٢) محاضرة كيف أسلمت ، ص ٨ .

اليد المقطوعة ؟ كيف يخزى إلى الأبد؟[1]) . ولن أعلق هنا أو أناقش فالمسألة خلافٌ تجاه نص صريح من كتاب الله عز وجل، لا يحتمل التأويل، تلقته الأمة بالقبول والتسليم وعملت به إتباعاً لقوله تعالى: ﴿وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضي الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم﴾[2] .

وأخيراً هذا الجارودي غامض غموض الهلال ليلة مولده . معجب بالإسلام أيما إعجاب ، يشيد بحضارته وكتابه ، لكنه لا يفتأ يتحفظ هنا، ويحتج هناك، ويؤول هنا، ويثير هذه الشبهة، ويحيي تلك البدعة والفلسفة... ونقول له إما أن تقبل كل شرائع الإسلام ، وتخضع لكل أوامره، وتستسلم لكل أحكامه، وتسلّم لحكمة أحكم الحاكمين، وطريقهما الكتاب والسنة كما وردا، لا أن تقرأهما بعيون حلولية، وتستوعبهما ببصيرة صوفية غالية ترى الأحكام رموزاً ينبغي تفسيرها، وكل يفسرها على حسب ما تمليه عليه أهواؤه ورغباته وشهواته وشبهاته..

---

(٥) مستقبل الإسلام في الغرب ، ص ٥١ – ٥٣ .

(١) سورة الأحزاب ، الآية ٣٦ .

المبحث الحادي عشر: موريس بوكاي

المطلب الأول : اسمه ومولده ونشأته[1] :ـ

اسمه : موريس بوكاي قبل إسلامه ولم يحدث لهذا الاسم تغييراً بعد إسلامه .

مولده : ولد في فرنسا أوائل القرن العشرين الميلادى، لأنه ذكر أنه اطلع في عام ١٩٣٠م على كتاب يتحدث عن التعاليم الدينية[2] .

نشأته : ولد وترعرع في فرنسا[3] منتمياً إلى طائفة النصارى الكاثوليك، وتلقى في مدارسها الثانوية مايتم اختياره بعناية فائقة من نصوص النصرانية التي لا تثير لدى الناشئة الحيرة والتساؤل حيث يقول: (إن كتب التعليم الديني لم تكن تحتوي إلا على مقاطع مختارة من الأناجيل، ولم يكن هناك تداول للنص بأكمله[4]) . كما ألقي في روعه في هذه الفترة أن هناك أمة تدعى المحمديين تنتسب إلى دين أسسه رجل يدعى محمداً، وليس لهذه الأمة أو لهذا الفرد أي اتصال بالله، أو ارتباط بدين حقيقي[5] .

---

(١) سيلحظ القارىء أن المعلومات المتعلقة بهذا المهتدي مقتضبة نوعًا ما، وهذا خلاف الأولى ؛ إذ هو رجل معاصر له دوره ومكانته، ولكنني علمت أنه متحفظ على المعلومات المتعلقة به فآثرت ألا يكون هذا البحث إشاعة لما يريد أن يتحفظ عليه .

(٢) انظر ما أصل الإنسان ، تأليف موريس بوكاي ، نشر مكتب التربية العربي لدول الخليج ، عام ١٤٠٦هـ ، ص ٢٠ .

(٣) تحدثت عن البيئة الأوربية التي نشأ فيها في المبحث السابق .

(٤) القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم ، نشر دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨٢م ، ص ٦٥ .

(٥) انظر المصدر السابق ، ص ١٤٤ .

وفي هذه الفترة ـ أيضاً ـ كان شغوفاً بالقراءة والمطالعة مما ساهم في إثراء عقله، وتوسع مداركه، واطلاعه على بعض كتب ديانته التي لا تتاح لمن هم في مثل سنه؛ فعرف من خلال هذه الكتب أنها تحتوي على عدد من المشاكل، وهناك أدرك لِمَ لم تكن كتب ملته مشاعة فيما بينهم [1]

وأخبرني من أثق به ممن له علاقة بهذا الرجل أنه عاش فترة شبابه في المغرب إبان الاحتلال الفرنسي لها، ولعله في هذه المرحلة تعرف على مجتمع يختلف عما عهده من مجتمعه؛ مما هيأ له مجالاً للمقارنة والمقابلة .

وبعد عودته إلى فرنسا أكمل دراسته متخصصاً في مجال الطب البشري، ولا يزال ممارساً لهذه المهنة إلى الآن، وما من شك أن العلوم الطبية لا يتجه لدراستها ـ في الغالب ـ إلا من رزق قوة في الفهم، وقدرة على الحفظ، ودقة في الملاحظة، ودأباً على الاستمرار، وهذه العلوم تمنح صاحبها احتفاءً بالدليل، واعتماداً على البرهان، وتخلياً عن التقليد والتعصب، وتطلُّعه من جانب آخر على جليل صنع الله وعظيم تدبيره .

---

(٦) انظر المصدر السابق ، ص ٦٥ .

المطلب الثاني: الدوافع التي أثرت فيه حتى أسلم :-

تعددت الدوافع التي حركت همته نحو الإسلام ولعل من أبرزها :-

١ ـ أنه اكتشف في كتب ملته بعض المشاكل التي أثارت في نفسه بعض الأسئلة التي تنم عن الحيرة والارتياب[١] .

٢ ـ تواجده أيام شبابه في بيئة إسلامية .

٣ ـ اطلع على القرآن الكريم من خلال ترجمة معانيه إلى اللغة الفرنسية فعرف أنه يحتوي على كم هائل من الآيات المتعلقة بالخلق والفلك والإنسان والحيوان والنبات ... وبدراسة هذه الآيات ذهل واندهش من دقة المعلومات والتفاصيل التي احتوت عليها، وأنها تتفق تماماً مع كل مادرسه عن هذه المواضيع حيث يقول:(إن ماجاء به القرآن من بيان عن أصل الإنسان سوف يثير دهشة كثير من الناس لا ريب، تماماً كما أدهشني أنا أيضاً حين اكتشفته لأول مرة[٢]) ويقول في موضع آخر:(لقد أذهلتني دقة بعض التفاصيل الخاصة بهذه الظاهرات[٣]) .

٤ ـ زيارته ملك المملكة العربية السعودية في ذلك الوقت فيصل بن

---

(١) انظر المصدر السابق ، ص ٦٥ - ٦٦ .

(٢) ما أصل الإنسان ، ص ٢١ .

(٣) القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم ، ص ١٤٥ .

عبد العزيز واستماعه إليه في حديثه عن الإسلام حيث يقول: (وسأظل مديناً بالعرفان وبشكل لا حد له للمغفور له جلالة الملك فيصل[1]) .

٥ ـ لقاؤه مع رجل مسلم كان يتردد عليه قرابة سنة كاملة يقرأ عليه القرآن ويترجم له معانيه[2].

ولما أراد الله له الهداية يسر له أسبابها؛ فأعلن إسلامه في الرياض عام ١٩٧٢م وزار المدينة المنورة ومكة المكرمة، ولم تكن هذه الزيارة هي الأولى للرياض فقد زارها في عامي ١٩٧٠ م و١٩٧١م ، ثم تعلم اللغة العربية رغبة في إدراك المعاني الحقيقية لألفاظ القرآن الكريم[3] .

المطلب الثالث : القيمة العلمية لكتابيه :ـ

١ ـ القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم

هذا الكتاب ألفه مؤلفه باللغة الفرنسية وطبع عام ١٩٧٨ م، ثم ترجم إلى اللغات الإنجليزية والأندونيسية والصربكرواتية ونشر بهذه اللغات في نفس العام، وفى عام ١٩٨٢م قامت دار المعارف المصرية بتعريبه ونشره،

(١) المصدر السابق . ص ١٤٤ .

(٢) هذا الرجل هو الذي حدثني بذلك مباشرة ، وهو ممن يوثق بحديثه ، وهو الذي أخبرني ببعض التفاصيل عن حياته .

(٣) انظر المصدر السابق ، ص ١٤٤ ، وما أصل الإنسان ، ص ١٧٩ .

ولقد جاءت الترجمة العربية لهذا الكتاب في مائتين وتسعين صفحة من الحجم الكبير .

محتوى الكتاب : قسم المؤلف كتابه إلى خمسة أقسام: تحدث في القسم الأول عن العهد القديم وبين أصوله وتأريخ تدوينه، ثم قارن بين ما احتواه هذا العهد وبين ما توصل إليه العلم الحديث. وفى القسم الثاني بين علاقة النصرانية باليهودية وأفاض في الحديث عن الأناجيل موضحاً مصادرها وتأريخ تدوينها، ومقابلاً بينها وبين العلم الحديث، ثم ذكر عدداً من التناقضات التي اشتملت عليها هذه الأناجيل. وخصص القسم الثالث للحديث عن القرآن واتفاقه مع العلم الحديث. ثم قارن في القسم الرابع بين روايات القرآن والتوراة للأحداث والمواضيع المتشابهه واستنتج من هذه المقابلة أن كل روايات القرآن متفقة مع العلم، بينما حفلت روايات التوراة المتداولة بمخالفات صارخة. وختم الكتاب بالقسم الخامس الذي قارن فيه بين القرآن والأحاديث النبوية والعلم .

هدفه : لم يفصح المؤلف عن هدفه من تأليف هذا الكتاب إفصاحاً تاماً في مقدمة كتابه، ولعل مرد ذلك إلى وضوح الهدف من خلال عنوان الكتاب. ومن خلال استعراض هذا الكتاب أستطيع أن أقول : إنه حاول تحقيق الأهداف التالية :ـ

١ ـ المقارنة بين محتويات هذه الكتب الدينية فيما يتعلق بالخلق مع ما توصل إليه الإنسان من معارف حديثة، وبيان مدى الاتفاق والتعارض فيما بينها .

٢ ـ حاول المؤلف أن يرسم منهجاً سديداً لمن يأتي بعده، وهذا المنهج يعتمد على المقارنة والمقابلة الصحيحة بين كتب اليهودية والنصرانية والعلم؛ حتي يتبين أن هذه الكتب المتداولة اليوم تحتوى على مخالفات صريحة لا يقبلها العقل والمنطق، ولا يقرها العلم الصحيح، وأن القول بصحتها وهم لا يسنده دليل .

٣ ـ لمس من خلال حياته مدى العداوة والتعصب البغيض الشديد من قومه للإسلام والقرآن ...وبعد دراسته للقرآن وجد أنه يحتوي على حقائق مذهلة ظل يجهلها سنين طويلة؛ فأراد بهذه الدراسة أن يرفع الغشاوة عن بنى قومه، ويصحح التصور الخاطئ عن الإسلام والقرآن، ويؤمل أن يخفف هذا الكتاب من أوار هذه العداوة[1] .

منهجه : اعتمد في تدوينه لهذا الكتاب على محاور رئيسة هي :

١ ـ درس هذه الكتب الدينية وقارن بينها وبين العلم الحديث من خلال نظرة عقلانية مجردة عن أي اعتقاد أو اقتناع مسبق .

٢ ـ الاستفادة من أبحاث من سبقه من ذوي الاختصاص في الكتب المقدسة، أو من المتضلعين بالعلوم التجريبية .

٣ ـ سلك سبيل المقارنة والمقابلة؛ لأن ذلك أقوى للحجة، وأوقع في النفس، وأدعى للقبول، ولأجل ذلك قارن بين ما يأتى :

---

(١) انظر القرآن والتوراة والإنجيل والعلم، ص ٩ ، ٣٨ ، ١٣٩ – ١٤٠ .

أ ـ المقارنة بين مادحي وقادحي الكتاب المقدس المزعوم ثم الإدلاء برأيه

ب ـ المقارنة بين روايات التوراة للحدث الواحد لتبيين تناقضها .

جـ ـ المقارنة بين روايات الأناجيل للحدث الواحد لتبيين تناقضها وتكاذبها .

د ـ المقارنة بين رواية أحد الأناجيل لحادثة مهمة وتجاهلها لدى الآخرين .

هـ ـ قارن بين أهداف تدوين الأناجيل وأثبت من خلال المقارنة أنها كتابات خصامية .

و ـ المقارنة بين روايات التوراة للخلق واكتشافات العلم الحديث .

ز ـ المقارنة بين روايات الأناجيل لأنساب المسيح عليه السلام وما توصل الإنسان إليه في هذا العصر .

حـ ـ المقارنة بين الآيات القرآنية الكريمة المتعلقة بالخلق وما يؤيدها من نتائج العلم في هذا العصر .

ط ـ المقارنة بين آيات القرآن الكريم وروايات التوراة للخلق ليظهر من ذلك اتفاق آيات القرآن مع العلم ومخالفة التوراة المتداولة لذلك.

ي ـ المقارنة بين القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة .

القيمة العلمية :

١ ـ هذا الكتاب من الكتب القلائل التي تعرّف القاريء الغربي بالحقيقة المنصفة عن الإسلام، وتساهم بجهد مشكور في الذب

عن حياضه بين قوم يحملون له الحقد والكراهية .

٢ ـ أن المؤلف من العلماء الرواد المختصين في هذا الفن ـ المقابلة والمقارنة ـ ومن المتمكنين في العلوم التطبيقية إذ هو طبيب على مستوى عال .

٣ ـ أن المؤلف عمل على المطابقة بين العلم وبين الكتب الدينية وخرج منها بنتيجة أن العلم الصحيح لا يختلف مع النقل الصريح ، ولهذه النتيجة أهميتها في مجتمع يؤمن بأن الدين والعلم ضدان لا يجتمعان .

٤ ـ أثبت من خلال مقارنة التوراة والإنجيل مع ما أثبته العلم الحديث أنها كتابات بشرية لا تمت إلى الوحي بصلة .

٥ ـ من خلال مقارنة القرآن الكريم بالعلم أثبت أن من المستحيل أن يكون هذا الكتاب كلام بشر .

٦ ـ أكد أن التوراة المنزلة على موسى عليه السلام ليس لها وجود اليوم، وأن التوراة المتداولة كتبت بعد وفاته بعدة قرون .

٧ ـ أثبت أن الإنجيل المنزل على المسيح عليه السلام ليس له وجود اليوم، وأن الأناجيل المتداولة اليوم لم تكتب ممن شاهدوا الأحداث وعاينوها؛ وإنما كتبت بعد رفع المسيح عليه السلام بما يقارب مئة سنة .

المآخذ :

١ ـ أنه قدّم نتائج العلم المادي والروايات التأريخية وما توصل إليه علماء الآثار فجعلها هي المقياس المعتمد وأخضع لها الكتب الدينية بما فيها القرآن الكريم هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى أنه جعل التوراة والإنجيل والقرآن في كفة واحدة ثم اتجه إليها بالنقد والتحليل والمقارنة والاستنتاج، متبعاً في ذلك منهج الشك، أي أنه لا يمكن أن يثبت أو يقبل أو ينفي منها شيئاً إلا إذا وجد ما يسانده ويؤيده من حقائق العلم وكشوفاته.

وهذا منهج لا ينبغي أن يخضع له القرآن؛ لأنه كلام الله ووحيه الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ولأن الله سبحانه وتعالى جعل الرد إليه عند التنازع والاختلاف، وهذا منهج يجعل الرد عند التنازع إلى العلم المادي، وهذا تطاول على كتاب الله وتقدم عليه .

والمسلم يتفق مع المؤلف في كثير من الحقائق التي توصل إليها وأثبتها؛ لأن الحق ضالة المؤمن، لكننا ضد هذا المنهج، ولقد كان الأولى به أن يضع القرآن هو الأساس وهو الدليل ثم يقايس عليه فما وافقه قبله وأثبته وما خالفه رده .

ولكن لعل له عذره في ذلك؛ لأن هذ المنهج كانت ولا تزال له السيادة في أوربا إثر موقف الكنيسة من العلم الذي أحدث ردة فعل عنيفة في أوساط المثقفين والمتعلمين وألجأهم ـ ببعدهم

عن الحق ـ إلى اتباع منهج متحرر من أي اعتقاد أو فكرة مسبقة .

٢ ـ شبه مؤلفي كتب السنة بمؤلفي الأناجيل لأن كلاً منهما دونت بعد انصراف صاحبها بعشرات السنين[١]. وتشبيهه خاطيء ؛ لأن السنة نقلت بالسند الموثوق إلى الصحابي الجليل الذي شاهد الحدث وعاينه، وسمع اللفظ وحفظه .

٣ ـ ذكر المؤلف أن أوائل الأحاديث كتبت بعد عشرات السنين من موت محمد ﷺ [٢]. وهذا يخالف ما ثبت من كتابة بعض الأحاديث في حياته ﷺ كما في خبر الصحيفة التي كانت بيد علي رضى الله عنه، حيث ذكر البخارى خطبة علي التي يذكر فيها هذه الصحيفة وهى قوله:(ماعندنا كتاب نقرؤه إلا كتاب الله، ومافي هذا الصحيفة فقال: فيها الجراحات وأسنان الإبل والمدينة حرم ما بين عير إلى كذا[٣]) .

٤ ـ يرى المؤلف أن السموات السبع تعني سموات متعددة وليست سموات محدودة بعدد؛ إذ يعتقد أن الإشارة إلى «سبع» دال على التعدد دلالة رمزية ، وليس دالاً على تحديد عدد معين[٤]. وهذا الفهم يخالف صريح القرآن مخالفة واضحة، وتأمل قوله

(١) انظر القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم ص ١٠ .

(٢) انظر المصدر السابق ، ص ١٠ ، ١٥٢ .

(٣) صحيح البخاري كتاب الجزية ، باب ١٠ .

(٤) انظر القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم ص ١٦٠ ، ١٦٣ ، ١٦٤ ، ١٧٧ .

تعـالى: ﴿ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سموات وهو بكلِ شيء عليم[1]﴾ .

٥ ـ فَهِمَ من خطاب الله للسموات والأرض الوارد في قوله تعالى: ﴿ثم استوى إلى السمـاء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرهاً قالتا أتينا طائعين[2]﴾ ـ أنه حوار رمزي مقصود به التعبير عن خضوع السموات والأرض للأوامر الإلهية بعد تشكلها. وهذا تأويل للفظ وصرف له عن ظاهره بغير دليل .

٦ ـ علق على قوله تعالى: ﴿يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس﴾ بقوله: (الواقع أن العسل مفيد في بعض الأمراض، ولا يشير القرآن في أي موضع آخر إلى أي فن تطبيب من أي نوع على العكس من كل ماقيل[3]) وهـذا التضييق مصادم لآيات كثيرة منها ـ على سبيل الاستشهاد لا الحصر ـ قوله تعالى: ﴿وننزل من القرآن ماهو شفاء ورحمة للمؤمنين[4]﴾.

---

(١) سورة البقرة ، الآية ٢٩ .
(٢) انظر القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم ص ١٦٠ ، والآية ١١ من سورة فصلت .
(٣) انظر القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم ص ٢١٩ ، والآية ٦٩ من سورة النحل .
(٤) سورة الإسراء ، الآية ٨٢ .

٧ ـ يرى أن المسيح عليه السلام يحتل المكانة الأولى بين كل الأنبياء[١]. والصحيح أنه أحد أولي العزم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين .

٨ ـ لما تحدث عن العذاب الذي أنزله الله على آل فرعون قال في ص٢٥٧ :(أما القرآن فهو يعد خمسة فقط من هذه الضربات، وليست في معظمها إلا مبالغة لظاهرات طبيعية). وهذا تعد في الاسلوب، وتهوين لآيات الله .

٩ ـ قارن بين القرآن والحديث ليُظْهِرَ للقارىء أن القرآن وحي الله وكلامه ولا دخل للبشر فيه، وأن السنة النبوية ـ خاصة فيما يتعلق بالأمور الدنيوية ـ كلام بشري معرض للصواب والخطأ، ومن خلال هذه المقارنة درس عدداً من الأحاديث النبوية الصحيحة المتعلقة بالطب؛ وخرج منها بالنتيجة التالية : إن هذه الأحاديث لا تتفق مع المعارف العلمية الحديثة[٢]. وهذا الكلام لا يستقيم لما يأتي :ـ

أولاً : أن هذه الأحاديث التي أخضعها لدراسته وردت في صحيح البخاري، وأباح لنفسه هذا الاستنتاج بحجة أنها ظنية الثبوت، إذ هي أخبار آحاد[٣] .

(١) انظر القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم انظر ،ص ٢٤١ .

(٢) انظر المصدر السابق ص ٢٧٥ - ٢٨٣ .

(٣) انظر زوابع في وجه السنة قديماً وحديثاً ، تأليف صلاح الدين مقبول أحمد ، ص ٥١ . ورد شبهات الإلحاد عن أحاديث الآحاد، تأليف الشيخ عبدالعزيز بن راشد .

ثانياً : أن هذه الأحاديث مندرجة تحت قوله تعالي :﴿ماينطق عن الهوى. إن هو إلا وحي يوحى[1] ﴾ وقوله تعالى : ﴿وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس مانزّل إليهم[2] ﴾

٢ ـ ما أصل الإنسان؟ إجابات العلم والكتب المقدسة :ـ

هذا الكتاب ألفه مؤلفه باللغة الفرنسية، ونشرته مؤسسة سيغرز بباريس، وقام مكتب التربية العربي لدول الخليج بترجمته إلى اللغة العربية ونشره عام ١٤٠٦هـ ، وجاءت هذه الترجمة في حدود ٢٤٠ صفحة من الحجم الكبير .

محتوى الكتاب : قسم المؤلف كتابه إلى خمسة فصول: تحدث في الفصل الأول عن التطور في مملكة الحيوان: المعطيات العلمية والفجوات الكائنة في معارفنا. وتناول في الفصل الثاني تطور الإنسان مقارناً بتطور كائنات حية أخرى. وتطرق في الفصل الثالث إلى أول إجابات الكتب المقدسة: التوراة والإنجيل فيما يتعلق بهذا الموضوع. وأورد في الفصل الرابع أصل الإنسان والتحولات التي طرأت عليه وتناسله وفقاً للقرآن. وخصص الفصل الخامس للتوفيق بين الدين والعلم .

هدف الكتاب : حاول المؤلف عبر هذا الكتاب استجلاء أصل الإنسان من خلال الحقائق التي وردت عنه في القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والمعارف الحديثة بما فيها من اكتشافات علمية وأثرية، ومن ثم المقارنة

(١) سورة النجم ، الآيتان ٣ – ٤ .

(٢) سورة النحل ، الآية ٤٤ .

فيما بينها؛ رغبة في إحقاق الحق وإظهار التوافق التام بين العلم الصحيح والنقل الصريح حيث يقول :(وقد نبتت فكرة هذا الكتاب من قناعتي بضرورة وجود مقارنة بين ماوصل إليه العلم وماجاء في الكتب المقدسة بشأن أمر بالغ الحساسية والأهمية ألا وهو أصل الإنسان؛ لأن ذلك سيجلي نقاطاً ظلت طويلاً قيد الغموض والإبهام. والأمل يحدوني في أن تظهر مناقشة الإجابات التي توصل إليها كلا المصدرين، إنه قد آن الأوان لزوال العداوات القديمة[1]) .

منهجه : إن الدارس لأي كتاب ما، إما أن يجد المؤلف قد رسم منهجه وذكره فيستريح القاريء من عناء تتبع الكتاب لاستكشاف نهجه، وإما أن يترك المؤلف ذكر منهجه؛ فحينئذ تكون إحدى مهمات الدارس هي البحث عن المنهج الذي اتبعه، وقد تتبعت صفحات هذا الكتاب وحاولت جاهداً أن أبينه للقاريء، ويتلخص هذا المنهج في الخطوات التالية :ـ

١ ـ حاول المؤلف عبر هذا الكتاب التوصل إلى حقيقة «ما أصل الإنسان» من خلال إجابات الكتب الدينية والعلم الحديث، وقد تناول هذه االمسألة بعقل متجرد من أي اقتناع أو اعتقاد سابق .

٢ ـ النظرة العقلانية التي تتبنى الاستنباطات العلمية الحديثة حينما

---

(١) ما أصل الإنسان ، ص ٢٣ .

تصبح حقائق ثابتة بعد أن تتجاوز مجال الفرض والتخمين .

٣ ـ عدم التسرع عند التوصل إلى اكتشافات علمية لم يألفها، وافتراض الخطأ فيما توصل إليه، ثم التشاور مع لفيف من المختصين في اللغة والتفسير من المسلمين وغير المسلمين؛ حتى يتبين له أن ما توصل إليه هو الحق .

٤ – المقارنة بين النصوص القرآنية التي تعالج موضوعاً واحداً؛ حتى يستطيع فهم المراد من هذه النصوص .

٥ – الاعتماد على الأدلة المحسوسة من نتائج الآثار والحفريات المتعلقة بالحيوانات والأشكال ـ التي يظنها قريبة من الإنسان ـ وعلى نتائج الأبحاث والمختبرات المعملية .

٦ – الاعتماد على رأي من سبقه ممن يثق به من ذوي الاختصاص في العلوم التطبيقية .

٧ – الاهتمام بذوي الخبرات العلمية الواسعة، وتقدير نتاجهم العلمى وافادته منه .

٨ – عدم الاكتراث بالمعلومات المثيرة مالم يسندها البرهان الجلي .

٩ – التأكد من دقة المعلومات التي ينوي مقارنتها، ثم المقارنة بينها من غير تحيز أو تعصب .

القيمة العلمية :

إن الموضوع الذي تناوله هذا المؤلف في كتابه على درجة من الخطورة، وعلي قدر عظيم من التعقيد والتشعب، ولا يستطيع متخصص في فن من

الفنون البتّ فيه إلا من أوتي علماً شرعياً راسخاً، وعقيدة صافية لا تشوبها شائبة، واطلاعاً واسعاً على العلوم التجريبية. وقد اعترف المؤلف في كتابه أن الذين يمكنهم التحدث عن هذا الموضوع هم قلة قليلة جداً من المتخصصين حيث قال:(ولأن الموضوع الذي نحن بصدده مترامي الأطراف لدرجة أن الذين يمكنهم أن يمسكوا بمقاليد الأمور في كل مجال من مجالاته هم قلة قليلة جداً من المتخصصين؛ إذ يلزم لمن يعمل في هذا المجال أن تتوفر لهم الخبرة الواسعة والعلم الذي يستمد من دائرة واسعة من العلوم وأنظمة البحث[1]) .

ولأجل ذلك فلست ممن لهم الحق في بيان القيمة العلمية لهذا الكتاب، أو تبيان المآخذ العلمية عليه؛ ولكن بما أن هذا المؤلف والكتاب ممن شملتهم هذه الدراسة المتواضعة فإنني سأجتهد في بيان ذلك على قدر الطاقة والوسع، وأستغفر ربي من التقصير والزلل فأقول:

١ ـ أن هذا الكتاب تضمن أول بحث يقدم إلى الغرب عام ١٩٧٦م ـ حسبما ذكره مؤلفه ـ متناولاً فيه المؤلف الآيات القرآنية التي تحدثت عن وظائف الأعضاء وعلم الأجنة[2].

٢ ـ تمكن المؤلف وببراعة من دحض كثير من النظريات والافتراضات الغربية الخاطئة التي لا تزال لها الهيمنة والاستمرار في مجال التربية والثقافة من أمثال نظرية التطور التي

(١) المصدر السابق ، ص ٣٨ .

(٢) انظر المصدر السابق ، ص ٢١ .

قال بها «داروين» ، أو نظرية التحول التي قال بها «لامارك» ، أو نظرية الصدفة والضرورة التي تولدت من فلسفات موغلة في القدم .

٣ ـ أثبت من خلال المقارنة بين العلم والقرآن ـ فيما يتعلق بأصل الإنسان ـ أن من المستحيل أن يكون هذا القرآن كلام بشر، وأن هناك اتفاقاً تاماً بين القرآن والاكتشافات العلمية الحديثة .

٤ ـ المقارنة بين النسخ القديمة للتوراة وبيّن التفاوت التام بينها .

٥ ـ أثبت من خلال المقارنة بين التوراة ونتائج الاكتشافات العلمية الحديثة أن التوراة المتداولة تحمل بين طياتها تناقضاً مع ماتوصل إليه الإنسان في هذا العصر .

٦ ـ مما يرفع من قيمة هذا الكتاب أن المؤلف توصل من خلاله إلى بعض النتائج الهامة التي يصفها بأنها مذهلة .

٧ ـ يعتبر هذا الكتاب محاولة جادة لرأب الصدع الناتج من الصراع بين العلم والدين في الغرب، ولقد أكد على أنه لا تعارض بين العلم الصحيح والنقل الصريح، كما أن المؤلف أمّل من خلاله أن يعيد العلماء والباحثون النظر في العقائد الصحيحة التي لا تتعارض مع العلم .

المآخذ

أسلفت القول أنني لست متخصصاً في هذا الفن حتي استطيع نقد هذا الكتاب نقداً تاماً، ولكن تبين لي بعض المآخذ التي آمل أن أكون

موفقاً فيها ، ولعل للمؤلف عذره فيها بسبب عدم تخصصه في هذا الفن؛ إذ الخوض في غماره يحتاج إلى توافر عدد غير يسير من المختصين في علوم شتى كما صرح بذلك، ثم هو مجتهد فإن أصاب فله أجران، وإن أخطأ فله أجر واحد .

أما المآخذ التي تؤخذ على هذا الكتاب فلعل من أبرزها :ـ

١ ـ القول بالتطور في المملكة الحيوانية، وهذا التطور يتمثل في إطارين هما : التقدم إلى الأمام، والنكوص أو الارتداد إلى الوراء[١]. وهذا الزعم منه خلاف زعم «داروين» ؛ إذ يرى هذا المهتدي أن التطور يتم داخل السلالة الواحدة عبر الخلايا الوراثية، ولا يتعداها إلى غيرها، وهذا التطور يتم وفق إرادة الله ومشيئته. وهذا الرأي يخالف صريح القرآن قال تعالى: ﴿ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون[٢]﴾وقوله تعالى : ﴿وأنه خلق الزوجين الذكر والأنثى[٣]﴾وقال تعالى موضحاً أصل الخلقة وأنواعها :﴿والله خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمشي على بطنه ومنهم من يمشي على رجلين ومنهم من يمشي على أربع يخلق الله مايشاء إن الله على كل شيء

(١) انظر المصدر السابق ص ٣٣ ، ٣٨ ، ٥١ ، ٥٨ - ٥٩ ، ٦٥ ، ١١٠ -١١١ ، ١١٧ ، ١١٩ ، ١٧١ ، ٢٠٨ ، ٢١٩ ، ٢٢١ ، ٢٢٣ - ٢٢٥ .

(٢) سورة الذاريات ، الآية ٤٩ .

(٣) سورة النجم ، الآية ٤٥ .

(٤) انظر ما أصل الإنسان ص ١٠١ - ١١٦ .

قــــدير[1]﴾وقـال تعـالى :﴿ الذي أعطى كل شيء خلقـه ثم هــدى[2] ﴾ وقال تعالى : ﴿والذي خلق الأزواج كلها وجعل لكم من الفلك والأنعام ما تركبون[3]﴾.

٢ ـ يعتقد المؤلف أن أول الخليقة البشرية هو آدم عليه السلام، ولكنه يرى أن البشرية بعده مرت بثلاث أو أربع مراحل، وكل مرحلة تعتبر أكثر تطوراً من التي قبلها، واعتمد في ذلك على نتائج بعض الآثار التي اكتشفت فيها هياكل شبه بشرية، واعتقد الباحثون أن هذه الهياكل هي الأسلاف الأولى للبشرية، وبالمقارنة بينها وجد أن هذه الهياكل بعضها متفوق على بعض، ثم تمت المقارنة بينها وبين الإنسان فتبين أنه متفوق عليها[4] .

وهذا ـ كما تراه ـ زعم لا يسنده إلا هذا الدليل الواهي، هذا فضلاً عن أنه مبني على أن البشرية تتقدم إلى الأحسن، وهذا مخالف لما جاءت به الأحاديث الصحيحة الصريحة في هذه المسألة؛ لأن البشرية منذ آدم وهي في نقص مستمر، وتأمل ما أخبرنا به سيدنا محمد ﷺ من صفة آدم ثم قارنه بما تعهد من

---

(١) سورة النور ، الآية ٤٥ .

(٢) سورة طه ، الآية ٥٠ .

(٣) سورة الزخرف ، الآية ١٢ .

(٤) انظر ماأصل الإنسان ، ص ١٠١- ١١٦

حال البشرية اليوم؛ تجد البون شاسعاً والفرق واضحاً قال ﷺ : (خلق الله آدم وطوله ستون ذراعاً ... إلى أن قال: فكل من يدخل الجنة على صورة آدم، فلم يزل الخلق ينقص حتى الآن[1]) .

٣ ـ قدّر المؤلف متوسط الجيل الإنساني بخمس وعشرين سنة ثم جعله ميزاناً يزن به جميع المعلومات الواردة في التوراة والإنجيل مما يتعلق بالأعمار البشرية[2]. وهذا المقياس لا ينطبق على كل الأجيال البشرية؛ إذ هو تقدير خاطيء أوصله إلى نتائج خاطئة، وجره إلى استنتاجات غير موفقة .

كما أنه لأجل هذا المقياس الذي نصبه لم يستسغ ماذكرته التوراة من طول أعمار أوائل البشر ووصفه بأنه : بعيد عن التصديق... وغير معتاد[3]. وهذا الأمر متفق مع ماجاء في القرآن الكريم؛ فقد أخبرنا الله سبحانه وتعالى أن نوحاً لبث يدعو قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً[4] .

٤ ـ تزعم كثير من الدراسات المعاصرة ـ بما فيها هذا الكتاب الذي

---

(١) رواه البخاري في صحيحه واللفظ له في كتاب الأنبياء ، باب ١ ومسلم في صحيحه كتاب صفة الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، حديث ٢٨٤١ .

(٢) انظر ما أصل الإنسان، ص ١٧٢ .

(٣) انظر المصدر السابق، ص ١٧٠ .

(٤) كما في سورة العنكبوت ، الآية ١٤ .

بين أيدينا ـ أن الإنسان في بداية وجوده على هذه الأرض كان يعيش حياة بدائية لا يعلم فيها شيئاً، وإنما اكتسب خبراته ومعارفه من خلال البيئة التي عاش فيها، ومن خلال الممارسة والتجربة والحاجة[1].

وهذا الكلام لا يصح على الإطلاق؛ لأن الله سبحانه وتعالى لما خلق آدم عليه السلام علمه كل الأسماء كما قال تعالى: ﴿وعلّم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين[2]﴾ وهذا التعليم ينفي عنه البدائية التي يوصف بها، ويمده بمعين لا ينضب من العلم والمعرفة .

٥ ـ تناول المؤلف في كتابه هذا قضية : ما أصل الإنسان إجابات العلم والكتب المقدسة ومن بين هذه الكتب القرآن الكريم ـ وقد درس الحقائق الواردة فيها بعقل متجرد من أي اعتقاد أو اقتناع سابق[3]. وهذا منهج لا يجوز اتباعه إزاء القرآن الكريم؛ إذ هو وحي الله وكلامه الذي يجب على المسلم التسليم له، والاعتقاد به، والقبول لما جاء فيه، والتصديق بخبره، سواء وجد في عالم الماديات والمحسوسات ما يؤيده، أم عجز عن وجود مايؤيده .

---

(١) انظر ما أصل الانسان، ص ١١٠ وما بعدها .

(٢) سورة البقرة، الآية ٣١ .

(٣) انظر ما أصل الانسان، ص ١٩ .

٦ ـ فَهِمَ من قوله تعالى: ﴿ وهو الذي خلق من الماء بشراً فجعله نسباً وصهراً ﴾ أن المراد من كلمة «بشراً» آدم[1]. والصحيح أن المراد من قوله «بشراً» سائر البشر سوى آدم عليه السلام؛ لأن آدم عليه السلام خلق من سلالة من طين، وخلق سائر البشر من ماء مهين.

٧ ـ يرى المؤلف أن البشرية تدرجت في أطوار أو مراحل قبل أن تصل إلى الإنسان في وضعه الحالي ـ كما عبر بذلك ـ ثم لما أراد أن يقارن بين محتويات القرآن فيما يتعلق بخلق الإنسان وما توصل إليه العلم الحديث ـ استدل بقوله تعالى: ﴿وقد خلقكم أطواراً[2]﴾ واستشف من خلو السورة من ذكر المراحل الخاصة بنمو الجنين أن الآية دالة على الأطوار أو المراحل البشرية. وهذه الآية خطاب تقريري إنكاري من نوح لقومه لتقرير ما يرونه ويعرفونه، ولا دلالة فيها على رأيه .

٨ ـ قال في ص ٢٠٤ :(وقد اعتقد المفسرون الأوائل أن كلمة «أمشاج» تعني سائل التذكير وسائل التأنيث، كما لو كانت الأنثى قد انتجت سائلاً أدى دوراً في التناسل. هذا التفسير يتعذر الدفاع عنه) .

(١) انظر ما أصل الانسان، ص ١٩٤ – ١٩٥ ، والآية ٥٤ من سورة الفرقان .

(٢) سورة نوح ، الآية ١٤ ، وانظر ما أصل الإنسان، ص ١٩٧ – ١٩٨ .

وهذا الأمر الذي نفاه جاء مؤكداً في القرآن الكريم حيث قال تعالى : ﴿فلينظر الإنسان م خلق. خلق من ماء دافق. يخرج من بين الصلب والترائب[1]﴾ ووردت فيه أحاديث صحيحة صريحة تؤكده منها: ما أخرجه البخاري في صحيحه عن أنس رضى الله عنه قال:(بلغ عبد الله بن سلام مقدم رسول الله ﷺ المدينة فأتاه فقال: إني سائلك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبي: ما أول أشراط الساعة، وما أول طعام يأكله أهل الجنة، ومن أي شيء ينزع الولد إلى أبيه، ومن أي شيء ينزع إلى أخواله؟؟. فقال رسول ﷺ : ... وأما الشبه في الولد فإن الرجل إذا غشي المرأة فسبقها ماؤه كان الشبه له، وإذا سبق ماؤها كان الشبه لها. قال: أشهد أنك رسول الله[2]) .

ومنها ما أخرجه البخاري عن أم سلمة أن أم سليم قالت: يارسول الله ! إن الله لا يستحي من الحق! فهل على المرأة الغسل إذا احتلمت. قال: نعم إذا رأت الماء. فضحكت أم سلمة فقالت: تحتلم المرأة؟! فقال رسول الله ﷺ فبم يشبه الولد[3] ؟) .

---

(١) سورة الطارق ، الآيات ٥ - ٧ .

(٢) رواه البخاري في صحيحه فى كتاب الأنبياء باب ١ ، وأخرج الإمام مسلم حديثا مقاربا له في الدلالة في كتاب الحيض ، حديث ٣١٥ .

(٣) كتاب الأنبياء باب ١ ، ومسلم في صحيحه كتاب الحيض ، حديث ٣١١ .

٩ ـ لما ذكر العوامل التي ساعدت على حفظ كتاب الله من التحريف والتغيير لم يذكر منها حفظ الله له[١]. وحفظ الله له هو أعظم العوامل التي حفظت هذا الكتاب .

١٠ ـ كثيرة هي العبارات المخالفة أو المحتملة في هذا الكتاب التي لم أرد الإحاطة بها من مثل قوله : تحكمت في مجرى حياة الأحياء. وقوله عن أحد الكفار : المعصوم عن الخطأ[٢]. ولعل مرد ذلك إلى حداثة عهده بالإسلام، ووجوده في بيئة جاهلية لا تقيم لمثل هذه الألفاظ وزناً .

---

(١) انظر ما أصل الإنسان، ص ١٨١ .

(٢) انظر المصدر السابق، ص ١١٧ .

الباب الثاني

القضايا التي درسها المهتدون في كتبهم

ويشتمل على الفصول التالية :

١ - التوحيد .

٢ - إثبات نبوة النبي ﷺ .

٣ - تحريف التوراة والإنجيل .

مقدمة:

يتضمن هذا الباب ثلاث مسائل هي :

١ ـ التوحيد[١] .

٢ ـ إثبات نبوة نبينا محمد ﷺ.

٣ ـ تحريف التوراة والإنجيل.

وهذه المسائل الثلاث هي محل النزاع بين الإسلام وأهل الكتاب، وقد اخترت هذه المسائل لعدة أسباب هي :

١ ـ أنني إذا أقمت الحجة ، وبينت أن الحق فيها في الكفة الإسلامية من خلال الأدلة التي أقامها هؤلاء المهتدون، فقد هدم دين أهل الكتاب المحرف بكامله، إذ هي أساسه وقاعدته، فإذا أقيمت الحجة على وحدانية الله وألوهيته وربوبيته، وأنه له الخلق والأمر ـ بطل اتكاء أهل الكتاب على الآلهة التي ينصبونها لهم، ويوزعون عليها الوظائف والاختصاصات ، وسقطت هيمنة الأحبار والرهبان بسقوط هذه الآلهة المزعومة .

٢ ـ إذا ثبت بالحجج العقلية والنقلية القطعية ثبوت نبوة نبينا محمدﷺ، وأنه مثل موسى وعيسى وأن الآيات التي برهن بها

---

(١) من المفترض أن يشتمل هذا الفصل على مبحث يتناول الإيمان باليوم الآخر لدى اليهودية والنصرانية، ولكن لأن هذا البحث دراسة آثار هؤلاء المهتدين، وعرض أدلتهم ، ولما لم أجد أحداً منهم تناول هذا الركن العظيم ، فلم أشأ أن أتناوله؛ حتى لا أخرج عن المنهج الذي رسم لهذا البحث ، ولئلا أقحم في الكتاب نصوصاً وأدلة لم يستدل بها هؤلاء .

على نبوته أعظم من الآيات التي جاء بها موسى وعيسى من حيث كونها آية باقية ومعجزة خالدة إلي يوم القيامة، وأن الوسائل التي من خلالها نقلت إلينا رسالته أعظم من الوسائل التي نقلت بها رسالة غيره، فلم تبق أمام المنصف حجة ولا شبهة، فلا يسعه إلا اتباعه ﷺ ، أما من تكبر وطغي فله نار تلظى .

٣ ـ أثبت هؤلاء المهتدون أن التوراة والإنجيل دخلهما التحريف والتبديل، بل إن أصولهما الأولى التي أنزلها الله على موسى وعيسى مفقودة ، وبهذا الإثبات تسقط وتتهافت عدة قواعد رئيسة في دين أهل الكتاب ؛ لأنه الأس الذي بنيت عليه هذه العقيدة أو تلك .

فإذا نصبت البراهين على تحريف كتابهم الذي تضمن تلك العقائد المخالفة للإسلام، وأوضحت ثبوت وحدانية الله ، وإنكار ما سواه من الآلهة ، وتأكدت نبوة نبينا محمد ﷺ، فلم يبق أمام مريد الحق إلا اتباعه ، واقتفاء أثره ، والسير في ركابه.

وبعد هذه المقدمة فإلى المسألة الأولى من هذه المسائل الثلاث .

الفصل الأول

التـــوحيـــد

ويشتمل على المباحث التالية: ـ

١ ـ التوحيد أساس الرسالات الإلهية.
٢ ـ نفي ألوهية المسيح .
٣ ـ نفي بنوة المسيح عليه السلام لله عز وجل .
٤ ـ نفي اتحاد اللاهوت بالناسوت .
٥ ـ نقض التثليث .
٦ ـ نفي صلب المسيح تكفيراً عن الخطيئة الموروثة .
٧ ـ انحراف أهل الكتاب عن دينهم .

المبحث الأول : التوحيد أساس الرسالات الإلهية

خلق الله الخلق لعبادته وتوحيده، قال تعالى: ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون[1]﴾. وأرسل الرسل وأنزل الكتب ؛ لتحقيق هذه الغاية. فكانت دعوة كل نبي لقومه أن اعبدوا الله مالكم من إله غيره. قالها نوح لقومه : ﴿يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره﴾ [2]. ووصى بها إبراهيم بنيه فقال تعالى : ﴿ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب يابني إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون﴾ [3]. فالتوحيد هو دعوة الأنبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم ، فقد دعا هود عليه السلام قومه إلى التوحيد فقال : ﴿يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره﴾[4]. وقال صالح عليه السلام : ﴿يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره﴾ [5].وقال شعيب عليه السلام : ﴿يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره﴾ [6]. وقال نبينا محمد ﷺ : ﴿إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين ﴾[7].

(١) سورة الذاريات ، الآية ٥٦ .
(٢) سورة المؤمنون ، الآية ٢٣ .
(٣) سورة البقرة ، الآية ١٣٢ .
(٤) سورة هود ، الآية ٥٠ .
(٥) سورة هود ، الآية ٦١ .
(٦) سورة هود ، الآية ٨٤ .
(٧) سورة الأنعام ، الآية ١٦٢ .

وقال كما أخبر الله عنه : ﴿قل إنما يوحى إليّ أنما إلهكم إله واحد فهل أنتم مسلمون﴾[1] وأمر الله نبيه محمداً ﷺ أن يقول : ﴿إني أمرت أن أعبد الله مخلصاً له الدين﴾[2] وأخبر سبحانه أنه ما أرسل من رسول إلا أوحى إليه أنه لا إله إلا الله فقال تعالى : ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فأعبدون﴾[3]

وهذ المبدأ من أجله أخذ الله الميثاق على كافة البشر في عالم الذر، فقال تعالى: ﴿وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غــافلين﴾[4]. وإقراراً للعدل شهد الله على هذا الأمر وأشهد ملائكته وأولوا العلم عليه فقال : ﴿شهد الله أنه لا إله الا هو والملائكة وأُولوا العلم قائماً بالقسط﴾[5]

ولأجل هذا المبدأ أبيدت أمم ، ودمرت عروش ، وأزيلت امبراطوريات ، ومحيت عن وجه الأرض حضارات .

وهؤلاء المهتدون أكدوا في أبحاثهم ودراساتهم هذا الجانب ، وأنه أساس الرسالات السماوية السابقة ، وألقموا أقوامهم من الحجج أحجاراً تبطل ما زعموا من كفر ووثنية وشرك[6] .

(١) سورة الأنبياء، الآية ١٠٨ .

(٢) سورة الزمر، الآية ١١ .

(٣) سورة الأنبياء، الآية ٢٥ .

(٤) سورة الأعراف، الآية ١٧٢ .

(٥) سورة آل عمران، الآية ١٨ .

(٦) لن استكثر من الاستشهاد في هذا المطلب ؛ رغبة في الإيجاز ، لأن كل دليل يذكر في المطالب والمباحث التالية فنتيجته إقرار الوحدانية ، وأنها أساس الرسالات الإلهية .

فهذا المهتدي عبد الأحد داود يذكّر بني قومه النصاري بأنهم مالم يؤمنوا بوحدانية الله المطلقة ، وينبذوا الإيمان بالأشخاص الثلاثة ؛ فإنهم يكفرون قطعاً بالإله الحقيقي[1] . ويؤكد المهتدي محمد مجدي مرجان أن (التوحيد هو لباب الدين وقاعدته ، وهو المضمون الحي لكل كتاب وكل دعوة ، وهو الهتاف الدائم لكل نبي وكل رسول ، منذ أول داع إلى الله حتي خاتم الأنبياء والمرسلين)[2] . ثم ينثني على النصاري يقرّعهم بالحجج من كتابهم، مبيناً أن رسالة المسيح الحقيقية هي وحدانية الله ، وتنزيهه عن مشابهة مخلوقاته ، وعدم الإشراك به ، إذ يقول المسيح لربه:(وهذه هي الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك)[3] . ولا يكتفي بالأدلة النقلية بل يقيم لهم الأدلة العقلية ، ومنها أنه لو كان لهذا الكون أكثر من إله لكان ذلك نذيراً بالقضاء عليه وعلى ما فيه ﴿ لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا ﴾[4]، وختم هذا المبحث المتعلق بالوحدانية بأن التوحيد الخالص هو دين الإسلام وشريعته [5].

---

(١) انظر محمد في الكتاب المقدس ، ص ٤٧ .

(٢) الله واحد أم ثالوث ؟ ، ص ١٤٢ .

(٣) المصدر السابق ، ص ١٣٨ . سألتزم في هذا البحث أن أورد نصوص التوراة والأنجيل حسب ما وردت في كتابات هؤلاء دون أن أتدخل فيها ، وإن رأيت أن الحاجة ماسة إلى إحالة أو ما شابه ذلك ، فسأكتفي بالإحالة إلى موقع النص في الطبعات الجديدة للتوراة والإنجيل، وهدفي من ذلك أن من هذه النصوص التى استدلوا بها نصوصاً ترجع إلى مئات السنين ، وقد سلمت من التحريف المستجد بعد تدوينها ، فوجب أن يطلع عليها القارىء كما كتبها أصحابها .

(٤) سورة الأنبياء ، الآية ٢٢ والاستدلال في هذا المقام بآية سورة المؤمنين أقوى من الاستدلال بهذه الآية، وآية سورة المؤمنين هي قوله «تعالى «ما اتخذ الله من ولد وماكان معه من إله إذاً لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض» سورة المؤمنين ، الآية ٩١ .

(٥) انظر كتاب الله واحد أم ثالوث ؟ ، ص ١٥٣ .

وبعد أن تبين أن أساس الرسالات الإلهية هو التوحيد ، فسأبين في المبحث التالي سبب ضلال النصاري في اتخاذهم المسيح إلهاً، مع ذكر الأدلة اللازمة لنفي هذه الدعوى وتفنيدها فإلى المبحث الثاني .

المبحث الثاني : نفي ألوهية المسيح عليه السلام

قبل أن أورد الأدلة النقلية والعقلية التي تدل على عدم ألوهية المسيح عليه السلام ، وقبل أن أنقض الأدلة التي استند عليها النصارى في هذه الدعوى ، يحسن أن أبين الأسباب التي أدت بهم إلى هذا الاعتقاد الفاسد والضلال المبين .

المطلب الأول: أسباب ضلال النصارى في ذلك :

لا يعدم الباحث أن يتعرف على الأسباب التي أدت إلى هذا الضلال، فمنها ما يرجع إلى غلظ قلوب بني إسرائيل ، ومنها ما يرجع إلى التحريف المدفوع بالهوى والشبهة لترجمات الأناجيل ، وهذه الأسباب هي :

١ - عرفنا من القرآن الكريم بعض الخصائص النفسية لبني إسرائيل كالتكذيب بالحق ، ونقض العهد والميثاق ، وقتل الأنبياء ، ورد المعجزات الباهرة، والإيمان بما يخالف العقل والفطرة كالإيمان بالعجل ...ولحكم أرادها الله سبحانه وتعالى خلق المسيح على غير ما ألفته البشرية في التناسل البشري ، إذ ولد لأم بلا أب (فبدل أن تكون هذه المعجزة توجيها حسياً إلى قدرة الله عز وجل ، ودليلاً على عظمة الخالق وقدرته ، كانت وبالاً

عليهم؛ بأن زين لهم الهوى إيجاد تفسيرات وتأويلات ، في بحرها نسوا الله فأنساهم أنفسهم ، فآلت عقائدهم إلى ما آلت إليه)[1].

٢ ـ استحفظ الله بني إسرائيل التوراة والإنجيل فضيعوا، وحرفوا وبدلوا، وترجمت التوراة والإنجيل إلى لغات كثيرة ، فتعدد النقلة ، وتعدد المترجمون، ومع ضياع الدين والتشبع بالهوى، والرغبة في نصر الباطل ، وستره بما يشبه لباس الحق ـ عبث المترجمون بهذه الكتب ؛ تحقيقاً للدوافع السابقة ، فأدى ذلك إلى ضلال كثير ، وسبب ضلالهم في هذا الأمر بالذات هي بعض عبارات سامية وآرامية نقلت إلى اللغة اليونانية وغيرها من اللغات ؛ فطمست معالم الحق وأبدلت التوحيد شركاً ، وإسلام المسيحية كفراً . ومن هذه الألفاظ لفظة « آب » ومعناها الله ، فلما ترجمت إلى اللغات التالية أصبح معناها والد . واللفظة الأخرى هي « رِبي » بكسر الراء ، ومعناها باللغة الآرامية المعلم ، ولما نقلت إلى العربية بفتح الراء أصبحت بمعني « إلهي » ولكن التوراة والإنجيل تفندان هذا الزعم المغرق في الضلال ، فقد ورد فيها بعض ألفاظ مشتركة كـ«الرب» فإنها تقع على الله، وتقع على البشر ، وكذلك ورد

---

(١) سر إسلامي ، ص ٥٦ . وانظر المسيح إنسان أم إله ؟ ، ص ١٦٦ - ١٦٧ .

في الإنجيل تفسير كلمة « ربي » وأنها بمعنى معلم، ففي إنجيل يوحنا الإصحاح الأول قوله :(فسمعه التلميذان يتكلم فتبعا يسوع، فالتفت يسوع ونظرهما يتبعان، فقال: ماذا تطلبان؟ فقالا: ربي. الذي تفسيره : يا معلم أين تمكث[1]) .

وقد جاء في القرآن الكريم أن بني إسرائيل كانت تطلق لفظة «الرب» على الملوك والسادة قال تعالى مخبراً عن يوسف عليه السلام أنه قال: ﴿ءأرباب متفرقون خير أم الله[2]﴾ وقال أيضاً : ﴿ أما أحدكما فيسقى ربه خمراً .....وقال للذى ظن أنه ناج منهما اذكرني عند ربك[3]﴾

وبعد أن عرفنا أسباب الضلال فيجدر أن نبين الأدلة التي نقضوا بها هذه الدعوى ، وهي ما سأورده في المطلب الثاني وما بعده .

المطلب الثانى : استدلال المهتدين بأقوال المسيح عليه السلام الدالة على نفي ألوهيته :ـ

بثاقب خبرتهم بما انطوت عليه كتب العهدين من نصوص تفند دعاوى النصارى المتهافتة، شمروا عن سواعد الجد، يقدمون الدليل تلو الدليل، والبرهان يسنده البرهان ، والحجة تؤيدها الحجة، وحشدوا من

(١) سر إسلامي ، ص ٥٨ – ٥٩ وانظر الإنجيل والصليب ، ص ١١٤ – ١١٥ . والدين والدولة ، ١٥٤ – ١٥٥ والمسيح إنسان أم إله ؟، ص ١٧٢ – ١٧٣ .

(٢) سورة يوسف ، الآية ٣٩ .

(٣) سورة يوسف ، الآيتان ٤١ ، ٤٢ .

النصوص ما فيه الكفاية لبيان الحق ، وإزهاق الباطل؛ يرجون ثواب الله ، ويأملون هداية بنى قومهم إلى الحق ، ويؤكدون أن ما اهتدوا إليه هو الصراط المستقيم ، وهذه الأدلة التي قدموها هي[1] :ـ

الدليل الأول : قول متى في إنجيله (هذا كتاب نسب المسيح هو ابن داود بن إبراهيم) بهذا النص استدل الترجمان على عدم ألوهيته ، وأن تضمين الإنجيل هذا النسب هو اعتراف ببشرية المسيح، وأنه مولود تناسل من ذرية داود ، وكل من ثبت تناسله من الآدميين فهو بلا شك آدمي؛ لأن الله لم يلد ولم يولد ، وكل ما سواه محدث[2].

الدليل الثاني : قول الملك لمريم في إنجيل لوقا : ﴿ويعطيه الله كرسي أبيه داود، ويكون ملكاً على آل يعقوب إلى الأبد) استدل بهذا النص المتطبب واستخرج منه دلالات على بشريته منها: أننا لم نر الملك قال لها: إن الذي تلدين هو الخالق ، هو الرب. كما اسمته بذلك النصارى. ومنها أنه قال : ويكون ملكاً على آل يعقوب . ولم يقل ملكاً على السموات والأرض[3]. كما يستفاد منه أيضاً أن غاية ما وعد به الملك أمه ـ بالإضافة إلى الرسالة ـ أن يحظى بكرسي داود ، ولو كان إلهاً لما عدَّ هذا الحصول على هذا العرش مما يبشر به .

---

(١) ليست الأدلة المقدمة في هذه المباحث هي كل ما لديهم ، كما أنها ليست هي كل الأدلة التى يتطلبها المقام ؛ إذ كثيراً ما يكتفون ببعض الأدلة والشواهد معولين على الاختصار ، وعلى أن طالب الحقيقة تكفيه أيسر الأدلة ، أما المعاند والجاحد فلن تقنعه آلاف الحجج والبراهين .

(٢) انظر تحفة الأريب ، ص ١٨٥ - ١٨٨ .

(٣) النصيحة الإيمانية في فضيحة الملة النصرانية ، ص ٨٨ .

الدليل الثالث : أورد المتطبب قول المسيح :(إن الله تبارك وتعالى لم يلد ولم يولد ، ولم يأكل، ولم يشرب ، ولم ينم ، ولم يره أحد من خلقه، ولا رآه أحد إلا مات). كما أورد المهتدي محمد مرجان قول بولس عن المسيح :(إن الله هو غير المنظور. إن الله لم يره أحد من الناس ، ولا يقدر أن يراه) .ـ واستشهدا بهما على الحقيقة التي تسلّم بها كل فطرة سليمة ، ويستسلم لها كل عقل صحيح، وهي أن الله لم يلد ولم يولد ، ولم يأكل ولم يشرب ، ولم يره أحد من خلقه .[1]

الدليل الرابع : قول المسيح الذي حكاه يوحنا في إنجيله: ﴿ إني لو كنت أنا أشهد لنفسي على صحة دعواي ؛ لكانت شهادتي باطلة، لكن غيري يشهد لي، وأنا الشاهد لنفسي أيضاً، ويشهد لي أبي الذي أرسلني)[2]. صدق عليه السلام. لم يكن هو الشاهد لنفسه ، بل الله يشهد له بقوله في محكم تنزيله :﴿ وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم ءأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق إن كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك إنك أنت علام الغيوب . ما قلت لهم إلا ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم وكنت عليهم شهيداً ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيد ﴾[3]. ورسول الله يشهد له بقوله:(أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم في الأولى

---

(١) انظر المصدر السابق ، ص ١٠٨ ، والمسيح إنسان أم إله ؟ ، ص ١٧٦ـ ١٧٨ .

(٢) النصيحة الإيمانية ، ص ١١٠ . وانظر تحفة الأريب ، ص ١٢٥ .

(٣) سورة المائدة ، الآيتان ١١٦ ، ١١٧ .

والآخرة. قالوا كيف؟ يا رسول الله ! قال: الأنبياء إخوة من علات، وأمهاتهم شتى، ودينهم واحد، فليس بيننا نبي)[1]. ونحن نشهد له بشهادة الله وشهادة رسوله ﷺ .

الدليل الخامس : ما جاء في إنجيل يوحنا الإصحاح السابع (فنادى يسوع وهو يعلّم في الهيكل قائلاً تعرفونني وتعرفون من أين أنا ، ومن نفسي لم آت . بل الذي أرسلني هو حق الذي أنتم لستم تعرفونه) بهذا النص استدل الهاشمي على نفي ألوهية المسيح [2] . ففي الدليل السابق اعترف أن الله هو الذي يشهد له ، وفى هذا اعترف أن الله هو الذي أرسله ، وأن اليهود تعرف هذا ، وتعرف من أين أتى ، وأنه بشر ابن بشر ، وأنه مرسل من ربه ؛ لكن اليهود لا يعرفون ربهم ، ولا يريدون أن يعرفوه ﴿وما قدروا الله حق قدره إذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء﴾[3] .

الدليل السادس : قول متى في إنجيله في الإصحاح السابع عشر : (أن يعرفوك أنت الإله الحقيقى ، وأن يسوع المسيح الذي أرسلته) . استدل بهذا النص كل من النجار والهاشمى ومرجان.[4] ففى هذا الشاهد ترجع الأمور إلى حقيقتها، فهو اعتراف لله بالألوهية ، وإقرار من المسيح بوظيفته الرسالية ، وماهيته البشرية، وأنه بشر مرسل من ربه ، فلم يدع لنفسه مرتبة أعلى من مرتبته .

---

(١) رواه الإمام مسلم فى صحيحه فى كتاب الفضائل ، حديث ٢٣٦٥ .

(٢) انظر سر إسلامي ، ص ٦١ .

(٣) سورة الأنعام ، الآية ٩١ .

(٤) انظر المنارات الساطعة ، ص ٤٢ . وسر إسلامي ، ص ٦١ . وكتاب الله واحد أم ثالوث ؟ ، ص ١٣٨ .

الدليل السابع : قول مرقس في إنجيله في الإصحاح الثاني عشر : (سأله [أي سأل أحد التلاميذ المسيح] أي وصية هي أول الكل ؟ فأجابه إن أول الوصايا هي: اسمع يا إسرائيل الرب إلهنا رب واحد ، وتحب الرب من كل قلبك ، ومن كل نفسك ...) استشهد بهذا النص النجار و الهاشمي [1]. وفيه تتجلى حقيقة دعوة المسيح عليه السلام إلى الوحدانية واعترافه بها ، وجعلها أول الوصايا ، كما هي أول أولويات دعوات الرسل صلوات الله عليهم وسلامه أجمعين .

الدليل الثامن : قول يوحنا في آخر إنجيله :(إن عيسى قال للحواريين إني ذاهب إلى أبي وأبيكم ، وإلهي وإلهكم) استدل بهذا النص كل من المتطبب والترجمان . وفسّر المتطبب معنى أبي وأبيكم: بالمالك لي ولكم ؛ لأنه اصطلاح ذلك الزمان، ورد على من زعم أنه أبوه من هذا الباب: بأنه يلزمكم أن يكون أباكم أيضا ؛ لأنه قال : أبي وأبيكم . ومما ينفي هذا الزعم أنه صرح بعده بما ينفي كل شبهة عن هذا النص وهو قوله: وإلهي وإلهكم . فلم يبق لنفسه في دعوى الألوهية شيئاً [2] .

الدليل التاسع : قول يوحنا في إنجيله الإصحاح السابع عشر :(كما بعثني أبى أبعثكم) استدل بهذا النص المتطبب على أن المسيح قد اعترف بأنه عبد مألوه مربوب مبتعث من قبل الله ، لا يستطيع أن يفعل من قبل نفسه شيئاً ، إلا ما أقدره الله عليه وأمره به[3].

---

(١) انظر المنارات الساطعة ، ص ٤٣ . سر إسلامي ، ص ٦٢ – ٦٣ .

(٢) انظر النصيحة الإيمانية ، ص ٨٨ ، ١٢٩ . وتحفة الأريب ، ص ١٩٣ .

(٣) انظر النصيحة الإيمانية ، ص ١٠٩ .

الدليل العاشر : قول متى في إنجيله في الإصحاح السابع :(كل من قَبِلَكم فقد قَبِلَني وآواني ، وكل من قبلني فإنما قبل من أرسلني) استدل بهذا النص كل من المتطبب والترجمان والهاشمي [1]. وهذا النص يؤيد الاستنباط من الدليل السابق ؛ فهو يوضح حقيقة المسيح عليه السلام، وأنه عبد ورسول ، وأن سبيله مع ربه كسبيل سائر الأنبياء والمرسلين، وأن المتأمل لهذا النص يأخذه العجب كل مأخذ من قوم اعتقدوا فيه هذا الاعتقاد، مع ما في النص من الدلالة على بشريته وعدم ألوهيته ؛ فلو كان إلهاً لكان له الخلق والأمر والقهر ، وأيضاً لو كان إلهاً لما احتاج إلى من يؤيه .

الدليل الحادي عشر : قول يوحنا في إنجيله في الإصحاح الخامس:(إن عيسى هو قال لليهود من يسمع كلامي ويؤمن بالذي أرسلني يدخل الجنة) استدل بهذا النص الترجمان [2] وبتأمل ما دعا إليه المسيح نجد أنه نسب الكلام إلى نفسه ؛ لأنه مبلّغه ، وطلب منهم الإيمان بالذي أرسله، فلو كان إلهاً لساوى بين الأمرين الكلام والإيمان. ولطلب منهم سماع كلامه والإيمان به فقط دون الإيمان بمن أرسله .

الدليل الثاني عشر :قول يوحنا في إنجيله عن المسيح أنه قال :(إن كلامي الذي تسمعون هو كلام الذي أرسلني) استدل بهذا النص

---

(١) انظر المصدر السابق ، ص ١٠٩ . وتحفه الأريب ، ص ١٩٤ . وسر إسلامي ، ص ٦١ - ٦٢ .

(٢) انظر تحفة الأريب ، ص ١٢٥ .

المتطبب[1]. ولا تعارض مع الدليل السابق؛ لأن السمع المقصود في الدليل السابق هو الطاعة . فكأنه يقول: من يسمع كلامي ويطع الله الذي أرسلني يدخل الجنة؛ لأنني لا أتحدث بكلامي بل بكلام الذي أرسلني، فأنا لا أتحدث من تلقاء نفسي بل أقرأ عليكم كلام الله وأدعوكم إليه .

الدليل الثالث عشر : قول يوحنا في إنجيله :(وقال المسيح لبني إسرائيل تريدون قتلي وأنا رجل قلت لكم الحق الذي سمعت الله يقوله) استدل بهذا النص المتطبب [2]. ففي هذا النص ما يعزز ما ذهبت إليه في الدليل السابق .كما أن فيه دلالات على عدم ألوهيته فمنها: أنه يخاف اليهود الذين يريدون قتله ، ويتقدم لهم بالحجج التي تدفع عنه القتل ، وهي أنه لم يأت بشيء من عنده ، وأنه لم يقل إلا الحق. ومن هذه الدلالات أنه غير الله فهو يقول سمعت الله يقوله، ومنها أيضاً أنه لم يقل كيف تريدون قتلي وأنا إلهكم القادر على كذا وكذا؟؟ .

الدليل الرابع عشر : قول يوحنا في إنجيله الإصحاح الثالث :(المولود من جسد هو جسد) استدل بهذا النص الهاشمي على بشرية المسيح [3]. وفي هذا النص دلالة قاطعة على ذلك ؛ فالمولود من امرأة لها جسد فهو جسد ، وهذا ينفي عنه الألوهية ، ويثبت له البشرية ؛ لأن الجسد من صفات البشر وسائر المخلوقات المحدثات. وهذا من باب الإلزام ؛ وإلا فلا

(١) انظر النصيحة الإيمانية ، ص ١١٠ .

(٢) انظر المصدر السابق ، ص ١١٠ .

(٣) انظر سر إسلامي ، ص ٦٤ .

يوصف الله إلا بما وصف به نفسه ، كما لا ينفي عنه إلا ما نفاه عن نفسه، مع علمنا يقيناً أنه موصوف بصفات الكمال والجلال، وأنه منزه عن جميع العيوب والنقائص، وأنه لا يشبه شيئاً من خلقه

الدليل الخامس عشر: قول لوقا في آخر إنجيله :(إن المسيح قام من قبره ودخل على الحواريين وهم مجتمعون في غرفة قد أغلقوا بابها ، فلما دخل عليهم ارتاعوا منه وظنوه من أرواح الملائكة أو الجن، فلما علم المسيح ذلك منهم قال : يا هؤلاء جسوني واعلموا أن الأرواح الروحانية ليس لهم لحم ولا عظم مثل ما تجدون في جسدي[1]) استدل الترجمان بهذا النص على أن المسيح ـ باعترافه ـ مركب من لحم وعظم ومادة حيوانية، وتبرأ من الألوهية .[2]

الدليل السادس عشر : قول يوحنا في إنجيله :(إنكم متى دفعتم ابن البشر ، فحينئذ تعلمون أني أنا هو ، وشيء من نفسي لا أفعل ، لكن كل شيء أعمله هو من الذي علمني أبي) استدل المتطبب بهذا النص على بشرية المسيح ونفى ألوهيته [3]. واستنتج من هذا النص الدلالات التالية فمنها : أنه قال متي دفعتم . فبيّن أن باستطاعتهم دفعه، وعدم الاستجابة

---

(١) علق المهتدي الترجمان بعد استشهاده بهذا النص بقوله : (وإن كان هذا النص باطلاً فإنا نكذبهم في كون عيسي قتل ودفن وقام من قبره بعد الدفن . وإنما هو من اختلاق أوائل النصارى) وهدفه من إيراد هذا النص إبطال حجتهم بنص كتابهم، تحفة الأريب ، ص ١٩٦ .

(٢) انظر المصدر السابق ، ص ١٩٥ - ١٩٦ .

(٣) انظر النصيحة الإيمانية في فضيحة الملة النصرانية ، ص ١٠٩ .

له ، ومنها اعترافه أنه ابن البشر ، وليس كما زعموا إلهاً أو ابن إله. ومنها أنه بين أن كل ما يفعله ويأمر به فليس من قبل نفسه ، ولكن كل ما يعلمه ويعمله ويأمر به فالله هو الذي علمه إياه وأمره به . وهذا المعنى مؤكد في الأدلة السابقة .

الدليل السابع عشر: قول برنابا في إنجيله:(إني أشهد أمام السماء، وأشهد كل ساكن على الأرض أني بريء من كل ما قال الناس عني من أني أعظم من بشر؛ لأني بشر مولود من امرأة وعرضة لحكم الله أعيش كسائر البشر[1]) ففي هذا النص يعلن المسيح العبودية لله ويؤكدها بشهادته أمام الله، ثم يتبع ذلك بأن يشهد كل ساكن على الأرض بأنه بريء من أي وصف يرفعه فوق منزلته، بل يتبرأ ممن وصفه بأنه أعظم من بشر، ويعلل هذا بأنه مولود من امرأة، وعرضة لحكم الله، وأنه يعيش كسائر البشر، صدق فهو عبد الله ورسوله كسائر إخوته الأنبياء، قال تعالى: ﴿وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا إنهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق[2]﴾ وقال عن عيسى وأمه عليهما السلام : ﴿ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام [3]﴾.

---

(١) المسيح إنسان أم إله ؟ ، ص ٢٠٨ - ٢٠٩ .

(٢) سورة الفرقان ، الآية ٢٠ .

(٣) سورة المائدة ، الآية ٧٥ .

الدليل الثامن عشر : قول لوقا في إنجيله :(أنتم المقيمون معي في آلامي ، فإني أَعِدكم كما وعدني أبي لتأكلوا وتشربوا معي على مائدتي في ملكوتي) استدل بهذا النص المتطبب وقال :(فبيّن أن الله وعده أن يجعله في ملكوت السماء يأكل ويشرب مع تلاميذه على مائدة، وهذا مالا يسعكم فيه الشك)[1]. يستنبط من هذا النص البراهين التالية على بشريته وهي : أنه كان كسائر البشر في هذه الدنيا يتعرض للآلام ، ولكنه يحتسبها في الله ، ومنها حاجته للأكل والشرب وهذه سمات البشر ، ومنها أنه لم يستطع أن يقطع لهم بمصيرهم من تلقاء نفسه ، بل وعدهم بما وعِد به هو[2] .

الدليل التاسع عشر : قول مرقس في إنجيله :(إيل إيل لما نشتو قلال. معناه إلهي إلهي لماذا تركتنى) هذا النص استشهد به كل من المتطبب والترجمان ومرجان [3]علي أن المسيح أعلن في هذا النص عبوديته لله ، وأن له إلهاً يدعى عند الشدائد والملمات ، وأنه تبرأ من الألوهية لنفسه ،

---

(١) النصيحة الإيمانية ، ص ١٣١ .

(٢) استدل الهاشمي ومرجان وإبراهيم خليل على أن المسيح وصف نفسه بـ «ابن الإنسان» وهذا يؤكد بشريته وعدم ألوهيته ، ولكن النصارى حرفوا ذلك النص إلى « ابن الله » واتخذوا من ذلك ذريعة لضلالهم .

لكن المهتدي عبدالأحد داود اعترض على هذا، وأكد أن « ابن الإنسان » الوارد في التوراة وفي ألفاظ المسيح إنما المقصود به محمد ﷺ وحيث إن هذه اللفظة اعتبرها عبدالأحد من البشارات بنبوة نبينا ﷺ، فسأضطر إلى تأجيل المقارنة بين هذه الأقوال. وبيان الحق فيها إلى الفصل الثاني من هذا الباب انظر محمد في الكتاب المقدس ، ص ٢٣٠ – ٢٦٤ و محمد ﷺ فى التوراة والإنجيل والقرآن ، ص ١٠٨ وسر إسلامي ، ص ٦٠ – ٦١ . والمسيح إنسان أم إله ، ص ٢٠٤ – ٢١٠ .

(٣) اتفق هؤلاء المهتدون على أن هذا النص كذب ولكنهم استدلوا به من باب الإلزام .

واستنبط منه مرجان دلالة أخرى وهي صراخ المصلوب وعتابه لله وجزعه من الصلب ـ حسبما وردت في الأناجيل وهي وإن كانت كذباً ـ فهي تدل على أن المصلوب غير المسيح ، وأن هذا النص يؤكد أن الله ليس عيسى ؛ لأن هذه الصفات التي وردت في النص من أضعف صفات البشر ، وهى الهلع والصراخ والعتاب [1].

الدليل العشرون : قال متى في إنجيله في الفصل الموفى عشرين :(أن عيسى قال للحواريين قبل الليلة التي أخذه فيها اليهود : قد تقاسيت من كرب الموت. ثم اشتد حزنه وتغيّر وخرّ على وجهه وهو يبكي ويتضرع إلى الله ويقول: يا إلهي إن أمكن صرف كأس المنيّة عني ، فاصرفه . ولا يكون ما أشاء أنا بل ما تشاء أنت) استدل المتطبب والترجمان بهذا النص على آدمية المسيح ، وأنه يخاف نزول الموت به، وأن له إلهاً ناداه وتضرع إليه، وبكى بين يديه، وطلب منه أن يصرف عنه كأس المنية[2].

الدليل الحادي والعشرون : قال يوحنا في إنجيله في الفصل الثاني عشر :(إن المسيح رفع بصره إلى السماء ، وتضرع إلى الله ، وقال : يارب إني أشكر استجابتك دعائي، وأعترف بذلك، وأعلم أنك في كل وقت تجيب دعائي، ولكن أسألك من أجل هؤلاء الجماعة الحاضرين ، فإنهم لا يؤمنون أنك أرسلتني) استدل بهذا النص كل من المتطبب

---

(١) انظر النصيحة الإيمانية ، ص ١٠٨ . وتحفة الأريب ، ص ١٩٤ - ١٩٥ والمسيح إنسان أم إله ؟ ، ص١٩٩ .

(٢) انظر النصيحة الإيمانية ، ص ١٠٨ . وتحفة الأريب ، ص ١٢٢ .

والترجمان والهاشمي ومرجان على أن المسيح يتجه إلى السماء ويناجي ربه، مناجاة العبد الضعيف الطامع في كرم ربه وتأييده له حتى تتحقق الغاية من رسالته ونبوته، ويؤمنوا أن الله هو الذي أرسله[1].وهذا هو شأن الأنبياء والمرسلين وسائر المؤمنين التضرع إلى الله؛ إقراراً له بالعبودية ، وتحقيقاً للإيمان، وإعلاناً للضعف والحاجة ، وطلباً للمدد والنصرة ، وبرهنة على صحة المسلك والاتجاه .

الدليل الثاني والعشرون : قال داود في الزبور إن الله قال للمسيح ـ كما يزعمون ـ (أنت ابني وأنا اليوم ولدتك، سلني أعطك) استدل بهذا النص المتطبب واستنتج من لفظ «ولدتك» على أنه محدث غير قديم، وكل محدث فهو مخلوق . ثم استنتج منه استنتاجاً آخر من لفظة «اليوم» حيث جعل اليوم حداً لولادته ، وأزال الشك في أنه كان قبل ذلك . واستدل بآخر لفظة منه على افتقاره وحاجته للمسألة[2] .

الدليل الثالث والعشرون : قول المسيح لأحد تلاميذه حين أتته الجموع لأخذه :(لا تظن أنني لست قادراً على أن أطلب من أبي فيقيم لى اثنى عشر جندياً من الملائكة أو أكثر) استدل بهذا النص المتطبب على عدم ألوهية المسيح ، وقال :(ولم يقل إنني قادر على أن أدفعهم عن

(١) انظر النصيحة الإيمانية ، ص ١٠٨ . وتحفة الأريب ، ص ١٢٤ . وسر إسلامى ، ص ٦٥ . والمسيح إنسان أم إله ، ص ٧٩ .

(٢) النصيحة الإيمانية ، ص ١١٢ .

نفسي، ولا أن آمر الملائكة أن يمنعوهم مني ، كما يقول من له القدرة والأمر[1])

الدليل الرابع والعشرون : قول متى في إنجيله الإصحاح السادس عن المسيح أنه يقول لتلاميذه هكذا تصلون:(أبانا الذي في السموات ليتقدس اسمك ، ولتكن مشيئتك كما في السماء كذلك على الأرض) استدل بهذا النص الهاشمي على أن دعوة المسيح هي الوحدانية والاتجاه إلى خالق السماء في الصلاة وفى سائر شئون الحياة، وأن من الجهل أن يدعي المسيح إلهاً وهو يصلي لله الواحد، ويأمر تلاميذه بذلك[2] .

الدليل الخامس والعشرون : قول لوقا في إنجيله عن المسيح : (وانفصل عنهم ـ أي عن التلاميذ ـ رمية حجر وجثا على ركبتيه وصلى قائلاً: يا أبتاه إن شئت أن تجيز عني هذه الكأس، ولكن لتكن لا إرادتي بل إرادتك) استدل بهذا النص مرجان على عبودية المسيح وبشريته وخضوعه لله ولجوئه إليه في الشدائد، وتضرعه إليه[3]. ومما يستفاد من هذا النص تمام التسليم ، وتمام اللجؤ والإلحاح في الدعاء ، ولو كان إلهاً لما لجأ إلى ذلك .

الدليل السادس والعشرون : قول المسيح :(لا أستطيع أن أصنع شيئاً ولا أفكر فيه إلا باسم إلهي، لا ينبغي للعبد أن يكون أعظم من سيده، ولا

---

(١) المصدر السابق ، ص ١٣١ .

(٢) انظر سر إسلامي ، ص ٥٩ – ٦٠ .

(٣) انظر المسيح إنسان أم إله ، ص ١٩٦ – ١٩٧ .

الرسول أعظم من مرسله) استدل بهذا النص المتطبب[1] . ويستخلص من هذا نفي المسيح لأي شبهة يمكن أن يتعلق بها ويرفع بسببها فوق منزلته، فنفى عن نفسه الحول والطول إلا ما أقدره الله عليه، ثم قرر حقيقة بدهية تسلم بها العقول والفطر السليمة، وهي أنه لا ينبغي للعبد أن يكون أعظم من ربه، ولا الرسول أعظم من مرسله . يالها من نصوص تشهد بالوحدانية!! لو لقيت بصائر مسترشدة .

الدليل السابع والعشرون : قول يوحنا في الإصحاح الخامس من إنجيله عن المسيح أنه قال :(إني ما جئت لأعمل بمشيئتي بل بمشيئة الذي أرسلني) استدل بهذا النص الترجمان ومرجان، ويستنتج مرجان حقيقة المسيح من هذا فيقول :(حقيقة يعلنها عيسى دائماً ويرددها بلا وجل ولا حرج)[2] .

الدليل الثامن والعشرون : رواية متى للحوار الذي تم بين المسيح وأم أحد تلاميذه وأنه قال لها : (ماذا تريدين؟ قالت : أريد أن تجلس ابني أحدهما عن يمينك والآخر عن شمالك في ملكوتك. فقال لها : ليس إلي ذلك ولكن لمن أسعد من أبي) استدل بهذا النص المتطبب[3] . فلو كان إلهاً لحقق لها ما طلبت، وأسعدها برؤية ابنيها في ملكوته، ولكنه أرجع الأمور إلى نصابها، وبين لها أن أمور الآخرة لا يملكها إلا مالك يوم الدين .

(١) النصيحة الإيمانية ، ص ١٠٨ .

(٢) المسيح إنسان أم إله ؟ ، ص ٢٠٥ . وانظر تحفة الأريب ، ص ١٩٤ .

(٣) النصيحة الإيمانية ، ص ١٣٠ .

الدليل التاسع والعشرون : قول متى في إنجيله عن المسيح أنه قال : (لمَ تقول لي صالحاً، ليس صالح إلا الله الواحد) استشهد بهذا النص كل من المتطبب والترجمان والهاشمي[1]. وهذا غاية التواضع وإنكار الذات ، والاعتراف بالوحدانية .

الدليل الثلاثون : ما ورد في إنجيل لوقا أن يحيى عليه السلام عمّد المسيح ، وأرسل له من يسأله بعد أن عمده هل أنت ذلك الذي يجيء أو نتوقع غيره؟ فكان جواب المسيح لرسله: ارجعوا وأخبروه بما ترون في حال عميان يبصرون، وزمني ينهضون، وصم يسمعون، وطوبى لمن لم يغتر أو يزل في أمري) هذا النص يثبت حاجة المسيح إلى يحيى ليعمّده ـ كما زعموا ـ وانظر إلى يحيى ـ مع جلالة قدره ـ قد شك فيه واحتاج أن يسأله عن شأنه، ولم يكن من جواب المسيح مما تصفه به النصارى من ادعاء الربوبية، ولا قال له: إني خالقك وخالق كل شيء . بل حذر من الغلط والاغترار في أمره[2] .

وبعد هذا الاستشهاد بأقوال المسيح عليه السلام على بشريته ورسالته، ونفي ألوهيته. ننتقل إلى المطلب التالي للاستشهاد بأقوال تلاميذه ومعاصريه على ذلك .

---

(١) انظر النصيحة الإيمانية ، ص ١٢٩ . وتحفة الأريب ، ص ١٨٨ . وسر إسلامي ، ص ٦٢ .

(٢) انظر النصيحة الإيمانية ، ص ٩٠ – ٩١ .

المطلب الثالث : استدلال المهتدين بأقوال تلاميذ المسيح ومعاصريه الدالة على نفي ألوهيته :ـ

الدليل الأول : نقل برنابا في إنجيله قول بولس وتشبيهه للمسيح بأنه عبد فقال :« أخلى نفسه آخذاً صورة عبد) فعيسى حقاً هو العبد عبد الله ورسوله[1] . وقال الله تعالى عنه وهو أصدق القائلين أنه : ﴿قال إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبياً ﴾[2] .

الدليل الثاني : شهد له رئيس الحواريين كما في الفصل الثاني من أعمال الرسل بقوله: (يارجال بني إسرائيل اسمعوا مقالتي بأن يسوع الناصري ظهر لكم من عند الله بالقوة والأيد والعجائب التي أجراها الله تعالى على يديه) قال المتطبب: (فأي شهادة أبين وأوضح من هذا القول؟ وهو أوثق التلاميذ عندكم، كما ترون بأن المسيح رجل، وأنه جاء من عند الله، وأن الآيات التي ظهرت منه بأمر الله أجراها الله على يديه)[3] .

الدليل الثالث : كما شهد بولس وشهد رئيس الحواريين فقد شهد

(١) المسيح إنسان أم إله ؟ ، ص ٢٠٩ - ٢١٠ .

(٢) سورة مريم ، الآية ٣٠ .

(٣) النصيحة الإيمانية ، ص ١١١ ، وانظر سر إسلامي ، ص ٦٤ ، والله واحد أم ثالوث ، ص ١٠٨ - ١٠٩ والمنارات الساطعة ، ص ٤٤ .

بذلك التلاميذ كما نقل ذلك متى في إنجيله أنهم قالوا :(إنه رجل أتى من عند الله بالأيد والقوة)[1] .

الدليل الرابع : شهادة جميع من حضر المسيح عليه السلام بأنه نبي فقد نقل هذه الشهادة يوحنا في إنجيله فقال :(فكثيرون من الجمع لما سمعوا هذا الكلام قالوا هذا بالحقيقة هو النبي)[2] .

الدليل الخامس : كما شهد بذلك الرجال فقد شهدت به النساء أيضاً فقد نقل يوحنا شهادة المرأة التي خاطبت المسيح بقولها:(ياسيدى أرى أنك نبي) وشهدت امرأة أخرى بأن ما يظهره الله على يديه من المعجزات فهو من الله كما نقل ذلك يوحنا في إنجيله الإصحاح الحادي عشر أن امرأة خاطبت المسيح بقولها :(لكني الآن أيضاً أعلم أن كل ما تطلبه من الله يعطيك الله إياه)[3] .

الدليل السادس : شهادة الجن بذلك فقد ورد في إنجيل مرقس في الفصل الأول :(أنه كان ببيت المقدس مجنون يتكلم الجني على فمه، فاجتاز عليه عيسى عليه السلام فصاح به الجني فقال : ياعيسى أي شيء لك عندي؟ أتحب أن تخرجني من هذا الجسد حتى يعلم الناس أنك نبي، وأنا أعلم أنك نبي، وأنك روح الله ، والله تعالى أرسلك، فأمره

(١) النصيحة الإيمانية ، ص ١٣٠ .
(٢) المسيح إنسان أم إله ، ص ١٩٩ .
(٣) انظر النصيحة الإيمانية ، ص ١٢٩ وسر إسلامي ، ص٦٥ والمسيح إنسان أم إله ص ١٩٩

عيسى بالخروج فخرج[١]. حتى الجن تشهد للمسيح عليه السلام بأنه نبي، وأن الله تعالى أرسله، وليس هذا بمستغرب[٢].

الدليل السابع : قول بطرس رئيس الحواريين لبني إسرائيل موضحاً حقيقة المسيح عليه السلام :(اعلموا أن الله جعل يسوع الذي قبلتموه أنتم رباً ومسيحاً) قال المتطبب : (فهذا القول يزيل تأويل من يتأول أن الله جعله رباً ومسيحاً ، والمجعول مخلوق مفعول[٣]) ويوضح مجدي مرجان علاقة الحواريين بالمسيح عليه السلام ، وكيف كانوا يتصورونه بقوله:(إن المتفحص لعلاقة الرسل « أي رسل المسيح » والحواريين بالمسيح ؛ يجد أنهم لم ينظروا إليه إلا على أنه إنسان، ولم يتصوروا على الإطلاق أنه إله، ولكن لماذا ؟ لأنهم أي الرسل والحواريين كيهود كانوا يعلمون تمام العلم أن الاعتراف بأن إنساناً هو الله يعتبر تجديفاً يستحق الرجم في الحال)[٤].

وبعد هذا الاسترسال في الاستشهاد بالأدلة النقلية سواء كانت من كلام المسيح عليه السلام، أم من كلام معاصريه ، فقد آن الأوان للتدليل على هذه المسألة بالأدلة العقلية .

---

(١) تحفة الأريب ، ص ١٢٦ .
(٢) كما في سورة الأحقاف، وسورة الجن.
(٣) النصيحة الإيمانية ، ص ١١٢ .
(٤) المسيح إنسان أم إله ؟ ، ص ١٧٧ .

المطلب الرابع : الأدلة العقلية التي استدل بها هؤلاء المهتدون على نفي ألوهية المسيح :ـ

استفاد هؤلاء المهتدون من علمهم السابق بالكتاب المقدس المزعوم بعهديه القديم والجديد؛ فاستخرجوا منه نصوصاً عظيمة وموفقة للتدليل على هذه القضية التي نحن بصددها، كما استفادوا من دراساتهم المتعددة لبعض فنون المعرفة كالطب والمنطق والعلوم الرياضية ـ في إقامة الأدلة العقلية والبراهين المادية للتدليل على هذه المسألة موضع المناقشة وهذه الأدلة هي :

الدليل الأول : إذا كان المسيح خالقاً أزلياً كما يعتقدون مع كونه لحماً ودماً؛ فقد جعلوا بعض الرب المعبود أزلياً خالقاً ، وبعضه محدثاً مخلوقاً؛ لأن المسيح بنص أناجيلهم أقر أنه دم ولحم ، فاللحم والدم يتوالدان عن الأغذية والأشربة، وهي من أجزاء الدنيا؛ فيلزم أن يكون بعض الدنيا هو خالق جميع الدنيا[1] .

الدليل الثاني : أن النصارى تقول في شريعة إيمانهم :(نؤمن بالرب المسيح ..) ولا يخلو أمر المسيح من أن يكون إما إلهاً أو إنساناً. فإن كان إلهاً ، فإما أن يكون هو الرب المعبود، أو إلهاً غيره فقد حصل الإشراك. وإن كان إنساناً فلمَ نسبتموه إلى الربوبية أو الألوهية، فأي القولين اخترتم ففيه نقض شريعتكم[2] .

---

(١) انظر تحفة الأريب ، ص ١٩٧ - ١٩٨ .

(٢) انظر النصيحة الإيمانية ، ص ٩٨ .

الدليل الثالث : قد نطقت الأناجيل بأن المسيح قلّم أظفاره ، وقص شعره ، ونما جسده طولاً وعرضاً، فإن كان على قولهم خالقاً أزلياً وقد بانت منه هذه الأجزاء من الشعر والظفر، وانفصلت عن كله، وصارت رميماً وتلاشت؛ فالخالق الأزلي على هذا قد فسد بعضه وتلاشي، وبقي بعضه على حاله، ومن فسد بعضه فالفساد واصل إلى كله، ومن كان له بعض وكل فهو محدود ومحتاج، ومن كان بهذه الصفة فهو مفتقر وليس بغني، والإله الخالق شهدت براهين العقول، ونصوص النقول بأنه خلاف ذلك كله[1].

الدليل الرابع : أن الله سبحانه وتعالى لا يمكن أن تراه الأبصار في الدنيا، وموسى الكليم ـ مع علو مكانته وجلالة قدره ـ سأل الله أن يراه، ولم يتحقق له ذلك؛ بل قال الله له: ﴿لن تراني[2]﴾. وقال تعالى عن نفسه: ﴿لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار[3]﴾. والمسيح عليه السلام لم يكن كذلك بل كانت تراه الأبصار، وتلمسه الأيدي، ويناله التعب والنصب و...و...كما شهدت بذلك الأناجيل[4].

(١) انظر تحفة الأريب ، ص ١٩٩ - ٢٠٠ .
(٢) سورة الأعراف ، الآية ١٤٣ .
(٣) سورة الأنعام ، الآية ١٠٣ .
(٤) انظر النصيحة الإيمانية ، ص ١٢٤ . وسر إسلامي ، ص ٦٣ . والمسيح إنسان أم إله ، ص ١٧٦ - ١٧٧ .

الدليل الخامس : العقل يرفض ولادة الإله من امرأة، وأن هذا المولود متصف بما يتصف به البشر من العجز والضعف، وإذا ثبتت ولادته، وثبت اتصافه بما يتصف به سائر البشر؛ فقد انتفت عنه صفة الألوهية. وبين المهتدي إبراهيم خليل أن هذا التأليه مرّ بعدة مراحل أدت إلى تأليه المسيح؛ إذ اعتبر في المرحلة الأولي نبياً من الله. ثم فتنوا بشخصه ونسبوا إليه كثيراً من المعجزات في القرن الأول والثاني. ثم قدم المسيح بعد ذلك على أنه ملاك مقتدر. ثم اعتبر أنه أول المخلوقات ولكن مازال بشراً . وفي القرن الثالث والرابع صنعوا منه إلهاً، وصدر القرار بذلك من مجمع نيقية.[1]

الدليل السادس : التبعيض ينفي عنه الألوهية؛ إذ ورد في الإنجيل: (أنه يصعد إلى السماء ، ويجلس على يمين أبيه ...) فالقاعد على يمين أبيه هو شخص قائم لا شك فيه، هو الجسد الذي كان يمشي على الأرض، وقد فصلتم بينه وبين الله ، وبعضتموه باجتماعهما في السماء شخصين متباينين ـ تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً ـ أحدهما عن يمين صاحبه؛ وهذا شرك وكفر. وإن كان خالياً من الألوهية ؛ فقد زال عنه حكمها التي تنحلونه إياها [2].

الدليل السابع : حلوله في الزمان والمكان : النصارى تعتقد أن المسيح هو الله الخالق الأزلي. فنقول لهم هذا المسيح هل كان في بلد أو في

---

(١) انظر الغفران بين الإسلام والمسيحية ، ص ١٠٢ . والنصيحة الإيمانية ، ص ٧٢ وسر إسلامي، ص ٥٨.

(٢) انظر النصيحة الإيمانية ، ص ١٢٤ – ١٢٥ .

زمان أم لا ؟ ولا يستطيعون إنكار ذلك؛ لأن الأناجيل مصرحة بأنه ولد في مكان كذا، وينسب إلى كذا؛ وكل من كان في زمان ومكان، فالزمان لا بد وأن يكون قبله، والأمكنة محيطة به؛ ومن كان كذلك فهو مخلوق؛ وإذا ثبت أنه مخلوق بطلت عقيدتكم التي فيها أنه إله حق، وأنه خلق كل شيء، ومعلوم أن الزمان هو شيء من الأشياء المخلوقة، والزمان كان قبل أن يوجد المسيح بلا شك في ذلك، فكيف يجوز أن يكون الزمان وجد قبل خالق الزمان، ويكون المكان محيطاً بالذي خلق المكان[1].

وبعد أن تم بتوفيق الله تدوين الأدلة النقلية والعقلية التي تنفي ألوهية المسيح من نصوص كتبهم ، ننتقل إلى المطلب التالي لنرى كيف فند هؤلاء المهتدون الأدلة التي استدل بها النصارى على هذه الدعوى .

المطلب الخامس : الأدلة التي استدل بها النصارى على ألوهية المسيح وفندها هؤلاء المهتدون :ـ

الدليل الأول : شريعة إيمانهم ونصها :(نؤمن بالله الآب مالك كل شيء ، صانع مايرى وما لا يرى، وبالرب أيشوع المسيح، ابن الله، بكر الخلائق كلها، وليس بمصنوع، إله حق من إله حق، من جوهر أبيه الذي بيده أتقنت العوالم كلها، وخلق كل شيء ومن أجلنا معشر الناس، ومن أجل خلاصنا نزل من السماء وتجسد من روح القدس، وصار إنساناً

(١) انظر تحفة الأريب ، ص ٢٠١ . والمسيح إنسان أم إله ؟ ، ص ١٧٦ .

وحبل به، وولد من مريم البتول، وتألم وصلب في أيام تيطيوس وبيلاطوس ودفن، وقام في اليوم الثالث ـ كما هو مكتوب ـ وصعد إلى السماء، وجلس عن يمين أبيه، وهو مستعد للمجيء تارة أخرى للقضاء بين الأموات والأحياء، ونؤمن بروح القدس الواحد روح الحق الذي يخرج من أبيه روح محبته، وبمعمودية واحدة لغفران الخطايا، وبجماعة واحدة قديسية سليحية جاثليقية، وبقيامة أبداننا، والحياة الدائمة إلى أبد الآبدين)[1]. وهذه الشريعة أُقرَّت في مجمع نيقية المنعقد في عام ٣٢٥ م وقد استنتج منها هؤلاء المهتدون التناقضات التالية :ـ

١ ـ أول هذه الشريعة الشهادة لله بأنه واحد ، وفيما يليه الشهادة عليه تعالى بأن له ولداً، وهو إله مثله، ومن جوهره. وهذا غاية الكفر والشرك، وفي غاية الضد والتناقض[2].

٢ ـ قولهم : نؤمن بالله الواحد صانع ما يرى وما لا يرى. قد أثبت أن الابن الذي يعنون ـ المسيح ـ مملوك مصنوع ؛ لأنه شيء من الأشياء فهو مملوك[3].

٣ ـ قولهم: بالرب الواحد يشوع بكر الخلائق كلها الذي ولد من أبيه قبل العوالم كلها. هذا يتناقض مع قولهم نؤمن بالله [4].

(١) نقلاً عن النصيحة الإيمانية ، ص ٦٨ – ٦٩ .

(٢) انظر تحفة الأريب ، ص ١٧٦ – ١٧٧ .

(٣) انظر النصيحة الإيمانية ، ص ٦٩ .

(٤) انظر المصدر السابق ، ص ٧٠ . وتحفة الأريب ، ص ١٧٨ – ١٧٩ .

ويلزم على قولهم : بكر الخلائق . أن يكون مخلوقاً، والمخلوق لابد له من خالق، وبكر الخلائق لابد أن يكون من جنسها .

٤ ـ قولهم: ليس بمصنوع إله حق من إله حق .وهذا غاية التناقض مع قولهم «مولود»وهو بمعنى مفعول ؛ فهو مصنوع وليس بمصنوع[1] . وهذا النص يثبت عليهم قولهم بتعدد الآلهة، ويوقعهم في الشرك .

٥ ـ قالوا: بيده اتقنت العوالم وخلق كل شيء . فهذا يلزم منه أن يكون مماثلاً للآب؛ لأنهم قالوا في الآب : صانع ما يرى وما لا يرى . وقالوا في الابن خالق كل شيء وهو من جوهر أبيه. فهذا يوجب التماثل في الجوهر والأفعال، ومع التماثل فما الذي أوجب كون هذا أباً. وقال الترجمان : (واعلموا أن في نصوص كتبهم ما يطل هذه العقيدة وجميع كفرهم في المسيح، وهو ما قال لوقا في إنجيله في الفصل الرابع عشر من قصص الحواريين قال: (إن الله هو خالق العوالم بجميع ما فيها. وهو رب السموات والأرض، لا يسكن الهياكل التي طينتها الأيدي، ولا يحتاج إلى شيء من الأشياء؛ لأنه هو الذي أعطى للناس الهياكل والنفوس وجميع ما هم فيه، فوجودنا به، وحياتنا منه)[2] .

---

(١) انظر النصيحة الإيمانية ، ص ٧٠ . وتحفة الأريب ، ص ١٧٨ – ١٨٠ .

(٢) المصدر السابق ، ص ١٨١ ، وانظر أيضاً ص ١٧٧ – ١٧٨ ، ١٨٤ منه. وانظر النصيحة الإيمانية ، ص ٧٠ .

٦ ـ قالوا : إن المسيح مولود من أبيه الأزلي . فيجب على المدعي بهذه الدعوى إثبات الحجة على ذلك. ثم إن كان الأمر على ما تقولون من أنه «أزلي» فليس بمولود ، وإن كان مولوداً فليس بأزلي؛ لأن اسم الأزلي يقع على من لا أول له ولا آخر ، ومعنى المولود أنه حادث مفعول فله أول[1] .

٧ ـ إذا كان الآب قديماً فالابن قديم مثله، وإذا كان الآب خالقاً فالابن خالق مثله، فإذا كانا متكافئين في القدرة والقِدم ، فأي فضل وسلطان للآب على الأبن؟ وهذه المعاني تبطل اسم البنوة والأبوة ؛ وفي بطلانها بطلان شريعتكم[2] .

٨ ـ قولهم : إن المسيح بكر الخلائق. فإن كان القصد من هذه البكريّة على نحو ما يسمى أول ولد الرجل فجائز. وإن أردتم بالبكر أنه أول قديم فلسنا نعرف للبكر معنى في أي لغة من اللغات إلا الأول من الأولاد. وبكر الخلائق لا يكون إلا منهم، كما أن بكر الرجل والمرأة لا يكون إلا من جنسهما، ومن المحال أن يقال بكر ولد آدم مَلَك، ومن المحال أن بكر المصنوعات ليس بمصنوع ، وبكر الخلائق ليس بمخلوق[3] .

(١) انظر المصدر السابق ، ص ١٣٢ .

(٢) انظر النصيحة الإيمانية ، ص ١٣٢ . وتحفة الأريب ، ص ١٨٤ .

(٣) انظر النصيحة الإيمانية ، ص ١٣٣ .

وطرح عليهم الترجمان إلزاماً مفاده : هذه العقيدة التي لا خلاف فيها بين جماهيركم هل هي كلها حق أو كلها باطل؟ فإن قالوا بعضها حق وبعضها باطل؛ فقد أبطلوا بعضها وكفروا به؛ لأن الباطل لا يدان الله به . وإن قالوا كلها حق. فقد اعترفوا فيها بأن المسيح مخلوق مولود، وأن الله تعالى خالقه ، وخالق جميع ما يرى وما لا يرى [1] .

كما أن كل من المتطبب والترجمان والشيخ زيادة قد أوردوا عدداً من الأدلة النقلية التي تنقض هذه الشريعة ، وقد وردت في المطالب الماضية .

الدليل الثاني : قول يوحنا إن المسيح قال :(من رآني فقد رأى أبي ، وأنا وأبي شيء واحد) فيقال لهم هذا لا يفيد المساواة لما يأتي :

١ ـ أن يوحنا قال في إنجيله في الإصحاح السابع عشر (إن المسيح دعا ربه قائلاً كما أنت يا أبتاه فيّ ، وأنا فيك، ليكونوا هم أيضاً واحداً فينا) هكذا دعا من أجل الحواريين. فإن كان معنى قوله: أنا والآب واحد . يفيد المساواة؛ فيلزم أن يكون الحواريون أيضاً مساوين للآب والابن .

٢ ـ أن يوحنا أطلق لفظ «واحد» على أجناس مختلفة الجواهر .

٣ ـ أن النصارى القدماء أوضحوا للمبتدعين أن التوراة والإنجيل يدعوان إلى وحدانية الله الواحد الأحد .

---

(٣) تحفة الأريب ، ص ١٨٣ . وانظر أيضاً البحث الصريح ، ورقة ٩/ب ، ١٠ / أ .

٤ ـ إذا ادعيتم أن المسيح قال عن نفسه: إنه إله . فقد قال في مواضع أخرى: إنه نبي. فكيف تجوز عليه مناقضته بادعاء ماهو محال في حقه .

٥ ـ أن قول المسيح :(أنا وأبي شيء واحد). إنما يريد به : أن قبولكم لأمري هو قبولكم لأمر الله [١] .

الدليل الثالث : أن الأنبياء قد تنبأت على ألوهيته ، فقد قال إشعياء : (العذراء تحمل وتلد ابناً، ويدعي «عمايوئيل» تفسيره معنا إلهنا) . فيقال لهم هذه استعارة؛ لأن الله قال في التوراة لموسى ـ كما زعموا ـ : (قد جعلتك لهارون إلهاً . وقال في موضع آخر : قد جعلتك ياموسى إلهاً لفرعون . ولم يدع موسي الألوهية ، ولم تدّع فيه [٢] .

الدليل الرابع : أنه ورد في الأناجيل تسمية المسيح إلهاً، وابن الله. فيقال لهم : لقد ورد في التوراة والإنجيل ألفاظ تدل بظاهرها على الألوهية أو البنوة لغير المسيح، كما وصف موسى بذلك ـ وقد تقدم ـ ووصف سليمان في سفر الملوك الثاني بابن الله ، وسمي يوسف عليه السلام في سفر التكوين رباً ، وكما وصف اليهود بأنهم أبناء العلي... إلى آخر ما ورد من الألفاظ المحتملة التي وردت كمصطلحات في العهد

---

(١) انظر النصيحة الإيمانية ، ص ١٢٢ . وتحفة الأريب ، ص ١٨٩ . والبحث الصريح ورقة ٤/ب – ٥/أ .

(٢) انظر النصيحة الإيمانية ، ص١٢١ . والبحث الصريح ، ورقة ٦ . ومحمد في الكتاب المقدس ، ص ١٠٨ .

القديم والجديد، وأطلقت على أفراد وأمم، ولا يراد بها ما تدل عليه من حقيقة المعنى من الألوهية والبنوة(1)

كما أنهم أوردوا عدداً من الأدلة النقلية لإبطال هذا الدليل سبق إيرادها في المطالب الماضية .

الدليل الخامس : أن المسيح غفر لبعض بني إسرائيل ، والغفران من الله . فيقال لهم : إن الله تعالى قال في التوراة لموسى: ﴿وأنا أجعل لكم ملكاً يغفر ذنوبكم﴾. فإن زعمتم أن المسيح إله لأنه غفر ذنب ذلك الرجل؛ فالملك إذا إله (2). ولعل المغفرة الواردة هنا ـ إن صحت ـ من قبل الرسول لتابعه ، من باب إخباره بمغفرة الله له ؛ كما قال ﷺ عن أهل بدر: لعل الله اطلع على أهل بدر فقال : اعملوا ما شئتم فقد وجبت لكم الجنة ، أو قد غفرت لكم(3)) .

الدليل السادس : ما ورد في إنجيل يوحنا أن المسيح قال : (أنا قبل إبراهيم) قلنا: إن سليمان يقول : (أنا قبل الدنيا (4)) هذا قوله، وقد أُعْطي من طاعة الجن والإنس والطير والوحش مالم يعطه المسيح. وليس لأحد أن يقول إنه إله(5).

(1) انظر تحفة الأريب ، ص ١١٨ . والبحث الصريح ، ورقة ٦ .

(2) النصيحة الإيمانية ، ص ١٢١ .

(3) رواه البخاري واللفظ له ، في كتاب المغازي ، باب ٩ . ومسلم في كتاب فضائل الصحابة ، حديث ٢٤٩٤ .

(4) والكذب ظاهر في هذا النص من مختلقة يوحنا، ولكن أورده هذا المهتدى من باب الإلزام .

(5) انظر النصيحة الإيمانية ، ص ١٢٢ . والبحث الصريح ورقة ٧/ ب – ٨ .

الدليل السابع : قول يوحنا: (في البدء كان الكلمة، والكلمة كان عند الله، وكان الكلمة الله). وسبيل نقض هذا النص من الوجوه التالية:

١ ـ يقول المهتدى إبراهيم خليل : إن إنجيل يوحنا وحده هو الذي يقرر ألوهية المسيح من بين سائر الأناجيل؛ بدعوى أن «اللوغس الإلهي » الكلمة قد تجسدت في المسيح . ويمكن دحض هذه الدعوى بالأسلوب العلمي ، باستخدام اللغة اليونانية لتقصي مرادفات كلمة «اللوغس » وقد جاءت بعدة معان هي: الأمر، الكلمة، العهد، الخبر. وبمعالجة النص السابق ومعرفة ما اعتراه من اسقاط المضاف ، فإذا جئنا بالمضاف في موضعه؛ ظهر المعنى المراد داحضاً كل تأويل على هذا النحو «وكان الكلمة الله » صحتها « وكان رب الكلمة[1] الله » ، و« الكلمة صار جسداً » وصحتها « وأثر الكلمة صار جسداً ». وإذا ترجمت «اللوغس» بكلمة مرادفة أخرى كالأمر فإننا نجد شواهد من العهد القديم والجديد تسند هذا المعنى على سبيل المثال لا الحصر « العالمين اتقنت بكلمة الله » العبرانيون ١١ :

٢ . ويضيف المهتدي عبد الأحد داود أن أوائل النصارى الموحدين اعتبروا القراءة الصحيحة لبداية إنجيل يوحنا ـ وهي العبارة السابقة ـ هكذا (في البدء كانت الكلمة ، وكانت

(١) لا يزال فيه شبهة دليل للنصارى ، ولو عبّر بـ (وكانت الكلمة كلمة الله) لسلم الدليل ، وصح الاستدلال .

الكلمة مع الله، وكانت الكلمة كلمة الله) [1].

٢ ـ أن المسيح لم يدع الألوهية أبداً لنفسه، ولم يدع أنه خُلق من جنس الإله، بل يفخر دائماً ببشريته .

٣ ـ أنه لا توجد في إنجيل يوحنا عبارة صريحة ـ مما أسنده مؤلفه إلى فم المسيح ـ تدل دلالة قاطعة على ألوهية المسيح .

٤ ـ أن الكلمة غير المتكلم ، والمسيح خلق بكلمة كمثل آدم وسائر المخلوقات، وأن الخلط بين الكلمة والمتكلم ؛ خلط بين الصانع والمصنوع، والخالق والمخلوق والسبب والنتيجة[2] .

الدليل الثـامن : قول بولس عن عيسى عليه السلام : (إنه شعاع مجده، وصورة جوهره) . فيستنبطون منه مساواة المسيح لله سبحانه وتعالى، ولا مساواة لما يلي :

١ ـ لأنه ورد في سفر التكوين ـ كما زعموا ـ أن الإنسان خلق على صورة الله ، وذلك في الأصحاح الأول منه ، إذ قال :(وخلق الله الإنسان كصورته) . وكذا قال بولس عن الإنسان في رسالته إلى كورنثوس : (إن الإنسان صورة الله ومجده) . فهذه العبارة قيلت على المسيح وعلى غيره ، فلا عبرة بها .

(١) الغفران بين الإسلام والمسيحية، بتصرف يسير، ص ١٧–١٨ وانظر محمد في الكتاب المقدس، ص ١٤ .

(٢) انظر البحث الصريح ، ورقة ٧ / ب ، ٨. والإنجيل والصليب ، ص ١٢٠ . والغفران بين الإسلام والمسيحية، ص ١٧ – ١٨ . والله واحد أم ثالوث ، ص ١٠٤ – ١٠٦ .

٢ ـ أن هذه العبارة كما في الأصل العبري لا يلزم عليها هذا الإشكال؛ لأن ترجمتها في اللغة العبرية: الزهرة المجيدة. وهي اسم لكوكب الزهرة، وأن بولس نعت المسيح بها، وأنه هو الزهرة ـ الكوكب ـ وصورة مجدها، كما أنه حسب اللفظ العبراني يرجع الضمير إلى الكوكب المشبه به المسيح عليه السلام ، لا إلى لفظ الجلالة[1].

الدليل التاسع : الألفاظ الدالة على السيادة كقول يوحنا أن المسيح قال :(إن الآب لا يدين أحداً ، بل أعطى الحكم كله للابن، وكل شيء أعطيت من أبي) وهذه الألفاظ لا تفيد المساواة ، كما أن الأخذ ليس من صفات الألوهية ؛ بل إن مرتبة الألوهية أن تعطي الحكم لا أن تأخذ ، ومما يدفع الاحتمال عن هذه الألفاظ أنه قد وردت ألفاظ كثيرة متعددة يصف فيها المسيح نفسه بأنه «ابن البشر» .

أما ما ورد من قوله ـ كما زعموا ـ: (من يكرم الابن فقد يكرم الآب) . وقوله :(ويكرمون الابن كما يكرمون الآب) فهي مماثلة لقول المسيح :(من أهانكم فقد أهانني ، ومن أهانني فقد أهان الذي أرسلني.) وهذه الأساليب تتعدد في العهد القديم والجديد[2] .

وبعد أن فند هؤلاء المهتدون الأدلة النقلية التي استدل بها النصارى على ألوهية المسيح . ننتقل إلى تفنيد الأدلة الحسية التي استدلوا بها وهي

---

(١) انظر البحث الصريح ، ورقة ٩ - ١٠ / ب .

(٢) انظر المرجع السابق ، ورقة ٨ / ب - ٩ / أ .

المعجزات التي أظهرها الله على يديه، وبهرت أعين النصارى؛ فاعتقدوا فيه الألوهية لأجلها، وادعوا له معجزات لم تثبت؛ حتي تقتنع عقولهم بهذه الصورة التي صوروا فيها المسيح عليه السلام .

المطلب السادس: معجزات المسيح عليه السلام :ـ

ويتضمن هذا المطلب ثلاث مسائل هي كالتالي :ـ

المسألة الأولي: اعتراف المسيح عليه السلام أنها من الله :

تنوعت معجزات المسيح وتعددت، وقد أخبر الله عن خمس منها في محكم تنزيله وهي: إبراء الأكمه، والأبرص، وإحياء الموتى، وأنه يخلق من الطين كهيئة الطير فينفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله، وينبؤهم بما يأكلون وما يدخرون في بيوتهم[1] .

وهذه المعجزات ـ سواء منها ما ورد في القرآن الكريم ، أو ما ورد في الأناجيل ـ لم يدع المسيح عليه السلام أنه هو مبدع المعجزة أو مصدرها، وأخبرهم بأنه رسول منحه الله هذه الآيات لتأييد رسالته، بل نراه يغضب في أحيان كثيرة على أولئك الذين لا يؤمنون حتى يقيم لهم الآيات والمعجزات .

وقد يقول بعض النصارى: إن تلاميذ المسيح كانوا يعملون الآيات باسمه. فيقال لهم : إن الله قال ليحيى بن زكريا : قد أيدتك بروح

(١) كما في سورة آل عمران ، الآية ٤٩ . وسورة المائدة ، الآية ١١٠ .

القدس ، وبقوة إلياس ، وهي قوة تفعل العجائب؛ فإن زعمتم أن المسيح إله لأن الآيات تفعل باسمه، فما الفرق بينكم وبين من قال إن إلياس إله[1] .

المسألة الثانية : مماثلة هذه الآيات لغيرها من آيات الأنبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين :

اقتضت حكمة الله سبحانه وتعالى أن يؤيد الأنبياء والمرسلين بالآيات المعجزات، وخوارق العادات؛ تأييداً للرسالة، وإرغاماً للمعاند، وكبتاً للكاذب، واقتضت حكمته سبحانه أن تختلف هذه الآيات المعجزات والخوارق من نبي إلى آخر .

و المتتبع لسير الأنبياء والمرسلين صلوات الله عليهم وسلامه من خلال القرآن الكريم والسنة المطهرة ، ـ ليجد أن هذا الجانب ـ أي المعجزات ـ غزير في تأريخهم، عظيم في حياتهم، وبمقارنة آيات المسيح عليه السلام بما أوتي النبيون والرسل نجد أن هؤلاء الأنبياء قد أعطوا من الآيات ما يماثل آيات المسيح أو يفوقها ويعلوها . فلئن ولد من امرأة عذراء من غير زوج ؛ فقد خلق آدم على غير مثال سابق ، وخلقت حواء من ضلعه بلا أب ولا أم ، وإن قيل إن الخشبة التي صلب عليها ـ بزعمهم ـ ألقيت على قبر ميت فعاش ، فقد ألقي ميت ـ كما زعموا ـ على قبر إليسع، فلما باشر الميتُ ترابَ القبر قام وعاش. وإن كان أبرأ أبرصاً؛ فإن إليسع أبرأ

(٢) انظر النصيحة الإيمانية ، ص ١٠٧ – ١٠٨ . والمسيح إنسان أم إله ، ص ٧٢ – ٨٢ . وسر إسلامي ، ص ٦٤ . والله واحد أم ثالوث ، ص ١١٢ .

أبرصاً ، وأبرص صحيحاً. ولئن أحيا ميتاً؛ فإن إليسع وإلياس وحزقيال أحيوا أمـواتاً أما إبراء الأكمه فإن التوراة تخبر أن يوسف أبرأ عين أبيه يعقوب. وموسى طرح العصا فصارت حية تسعى . أما أنه مشى على الماء فقد فعل الفـعل نفسـه إليـاس. وحـول إليـاس الماء زيتـاً وهو أبدع مما فـعل المسـيح بتحويله الماء خمراً. وإلياس قد كثر الطعام القليل وأدامه حينا من الدهر ، وهو أعجب من فعل المسيح عندما كثّر الطعام القليل مرة واحدة[1] .

كـمـا أن هناك معجزات لغيـره من الأنبيـاء هي بلا شك أعظم من المعجزات التي ظهرت على يديه، كجعل النار برداً وسلاماً على إبراهيم، وشق البـحـر لموسى وإهلاك عـدوه فـيـه، وآية الإسـراء والمعـراج، والمعـجـزة الخالدة والآية الباهرة لنبينا محمد ﷺ وهي القرآن الكريم .. إلي غير ذلك من المعجزات والآيات .

ولقـد ادعي النصارى للمسيح معجزات لم تقع، ولـم يدع المسيح أنها وقعت، كادعائهم أنه خلّص آدم من الخطيئة ، وأطلقه من قيد الشيطان، وربطَ الشيطان ، وأنقذ الأنبياء السابقين عليه من الجحيم. وهذه دعوى لا بيـان لهـا، ويكذبهـا الحس، وتنافي العـدل، وذلك أن النصارى تعتـقـد أن المسيح جاء ليرفع عنهم الخطيئة ، ويفديهم من الموت بموته، فلم نر الموت رفع عنهـم، ولم نر ـ أيضاً ـ أن العقوبات المتوعد بها البشر بسبب الخطيئة

(١) انظر النصيحة الإيمانية ، ص ١٠٤ - ١٠٨ . والبحث الصريح ورقة ١٣ - ١٤ . وسر إسلامي ، ص ٥٦ . ومحمد ﷺ في التوراة والأجيل ، ص ١٣١ - ١٣٣ . والمسيح إنسان أم إله ، ص ٨٦ - ٩٤ ، ١٦٧ - ١٧٠ . والله واحد أم ثالوث ، ص ١١٠ - ١١٣ .

الموروثة، ـ تلك العقوبات الواردة في سفر التكوين ـ لم نرها قد رفعت ، بل لا زالت قائمة في حياة البشر؛ فيستنتج من ذلك أن المسيح لم يعمل خلاصاً ولا فداءً ، كما أن الشيطان هو أعتى مما كان عليه ، بل سلطه الله على النصارى ؛ فكان نتيجة هذا التسليط أنهم أتوا بأفظع قول وأشنعه، وأبعده عن العقول والقبول[1] .

وبعد هذا البيان فيقال للنصارى بعد أن تبين مماثلة معجزات المسيح لمعجزات الأنبياء : إذاً اجعلوا كل من أتى بآية من الأنبياء السابقين إلهاً ورباً وخالقاً ؛ فهؤلاء الأنبياء ظهرت على أيديهم الآيات والمعجزات ولم يدعوا الألوهية .

المسألة الثالثة : شهادة من شاهد هذه المعجزات وأنها من الله :

سلف القول أن تأليه المسيح تم إقراره في مجمع نيقية عام ٣٢٥ م ؛ إذاً نجزم أن المعاصرين له لم يدعوا له الألوهية، بل كانوا على قسمين : قسم آمن به ، وقسم كفر به ، والذي يعنينا من هذين القسمين القسم الأول الذين آمنوا به ، وعاينوا معجزاته . فماذا كان تصورهم لهذه المعجزات ؟ هل كانوا يظنون أنها من المسيح ابتداءً ؟ أم كانوا يرون أنه رسول أيده الله بهذه الآيات ؛ حتي يؤمن بها البشر ؟ ونترك الجواب على هذه المسألة يأتي صريحاً بألفاظ هؤلاء الشهود ، حيث يقول أحدهم مخاطباً المسيح ـ كما ورد ذلك في كتبهم ـ: (يامعلم نعلم أنك قد

(١) انظر النصيحة الإيمانية ، ص ٩٢ . والبحث الصريح ، ورقة ١٥ – ١٧ .

أتيت من الله معلماً ؛ لأنه ليس أحد يقدر أن يعمل هذه الآيات التي أنت تعمل ، إن لم يكن الله معه) ويعزز هذه الشهادة رئيس الحواريين ـ على زعمهم ـ بقوله :(يسوع الناصري رجل قد تبرهن لكم من قبل الله بقوات وعجائب صنعها الله على يديه في وسطكم[1]) .

وبعد هذا التفنيد لهذا الدليل الحسي ـ المعجزات ـ يقيم هؤلاء المهتدون دليلاً حسياً ملموساً على بشرية المسيح وإنسانيته . وهو ما سيكون الحديث عنه في المطلب التالي.

المطلب السابع: المسيح بشر :ـ

كما لا يمكن أن تحجب يد المعاند أشعة الشمس إلا عن عينه؛ فكذلك لا يمكن للباطل أن يحجب نور الحق، فرغم التحريف الذي أصاب الأناجيل بهدف طمس معالم الوحدانية، واستبدال وثنية مثلثة بها ـ فلا زالت بقايا التوحيد تنبض بين ثنايا الأناجيل، ورغم اشتمالها على عبارات عديدة تدل بظاهرها على ألوهية المسيح وبنوته؛ إلا أن الأناجيل لا زالت تحفظ لنا مئات النصوص الدالة على بشرية المسيح ورسالته، واتصافه بما اتصف به سائر الأنبياء والمرسلين صلوات الله

(١) انظر النصيحة الإيمانية ، ص ١١١ . والمنارات الساطعة ، ص ٤٤ . والمسيح إنسان أم إله ، ص ٧٧ ، ٨٣ – ٨٤. والله واحد أم ثالوث ، ص ١١٢ . وسر إسلامي ، ص ٦٤ .

وسلامه عليهم أجمعين ، من الصلاة لله والدعاء له والتضرع إليه، والدعوة في سبيله، وتكبد الصعاب والمشاق لأجل ذلك، ومحاجة المعاندين، ومجادلة الجاحدين، واتصافه بما يتصف به سائر البشر من التدرج من الطفولة إلى الرجولة، ومن الحاجة للطعام والشراب، والنوم والراحة ، وأنه كغيره من بني جنسه يتأثر بالمواقف العاطفية فيغضب ويرضى ، ويفرح ويحزن، ويتألم ويمرض ويشفى، ويخاف ويضطرب، يروى يوحنا ما يؤكد ذلك بقوله:(فلما رآها يسوع تبكي واليهود الذين جاءوا معها يبكون انزعج واضطرب[1])

ولكن هذه الدعوى ـ ألوهية المسيح ـ هل كانت محل إجماع وقبول لدي كافة النصارى ؟ والإجابة على هذا السؤال تجدها في المطلب التالي...

المطلب الثامن : رفض كثير من النصارى لدعوى ألوهية المسيح عليه السلام :ـ

للإجابة على السؤال المطروح في آخر المطلب السابق أقول : إن هذه الدعوى بعد أن نادى بها بولس بين أتباع المسيح لم تلق الإجابة التي

(١) ولقد استدل هؤلاء المهتدون على ذلك بالنصوص العديدة ، تركت نقلها ، وآثرت الإحالة إليها ؛ طلباً للاختصار فانظر لذلك المسيح إنسان أم إله ، ص ٦١ – ٦٦، ٧٩ – ٨٠ ، ١٨٧ – ٢٠٤. ومحمد ﷺ في التوارة والإنجيل، ص ١٢٦ – ١٢٨. والنصيحة الإيمانية ، ص ١١٣ – ١١٥. وتحفة الأريب ، ص ١٨٠ – ١٩٨ .

كان يحلم بها؛ بل كانت النتائج مخيِّبة لآماله حيث يقول :(في احتجاجي الأول لم يحضر أحد معي بل الجميع تركوني) ولأجل دحض هذه الفرية انبري برنابا يؤلف إنجيلاً يحذّر فيه الناس من دعوة بولس ، ويبيّن لهم الحق الذي كان يعهده .

أما بطرس المزعوم أنه رئيس الحواريين فيقرر أن كثيرين من أفراد الشعب سيتبعون تعاليم برنابا وأمثاله ، ويرفضون دعوة بولس ، ويؤكد يوحنا أن هذه الدعوى سببت خروج كثير من النصارى من صفوف أصحاب دعوة تأليه المسيح[1]. ولا يزال يقتفي آثار هؤلاء المعارضين المئات بل الألوف إلى يوم الناس هذا ؛ ولا أدل على ذلك من هذه الفئام التي تهجر النصرانية اليوم وتعلن هجرتها إلى الإسلام .

وبعد أن منّ الله عليّ باستعراض سريع للأدلة التي قدمها هؤلاء المهتدون لنفي ألوهية المسيح عليه السلام ؛ ننتقل إلى المبحث التالي لدراسة ونفي ونقض بنوة المسيح لله عز وجل .

---

(١) انظر الله واحد أم ثالوث ، ص ٤٩ - ٥٢ .

المبحث الثالث: نفي بنوة المسيح عليه السلام لله عز وجل

استمراراً للحديث في المبحث السابق عن تنزيه الله سبحانه وتعالي عن المشاركة له في ألوهيته وربوبيته؛ ينقلنا البحث إلى جانب آخر من جوانب التنزيه وهو تنزيه الله سبحانه وتعالى عن الوالدية والولدية، عن الأبوة والبنوة، فهو سبحانه لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفواً أحد.

وبنوع مماثل من الأدلة والبراهين، وبنفس القوة التي سلكها هؤلاء المهتدون؛ لإحقاق الحق، وكشف زيف الفرية السابقة ـ ألوهية المسيح ـ انبرى هؤلاء في مواصلة خطواتهم المأجورة ـ إن شاء الله ـ كشفاً للحق، ونسفاً للباطل، وتعرية له وفضحاً للزيف ؛ فلنر ماذا قدموا من الأدلة والبراهين في هذا المبحث .

المطلب الأول : سبب الضلال :ـ

يذكر المهتدي عبد الأحد داود أن تأليه المسيح وبنوته مرّ بعدة مراحل، بعد مضي فترة وجيزة على رفع المسيح إلى السماء؛ تحول من ابن مريم إلى ابن يوسف النجار وألحق به إخوة وأخوات ، ثم أصبح ابن داود ، ثم ابن الإنسان ، ثم ابن الله ، ثم الابن فقط، ثم المسيح ، ثم الحمل[1] .

ولم تنفرد النصرانية، في هذا الضلال، بل سبقها إلى ذلك اليهود إذ قالوا كما أخبر الله عنهم : ﴿وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى

(١) انظر محمد في الكتاب المقدس ، ص ٢٣٠ .

المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنى يؤفكون﴾[1] إذاً من أسباب ضلالهم في هذا مشابهة اليهود.

وبتأثير من الفلسفة اليونانية التي دخل بعض أربابها في النصرانية، وتسنموا أعلى المناصب فيها، وهم لم يتخلوا عن أفكارهم السابقة، وفلسفتهم الوثنية؛ انتقلت هذه العقيدة الفاسدة الكاسدة عبر هؤلاء الفلاسفة إلى فكر النصرانية وكتبها وكنائسها، وتبناها بعد ذلك أحبارها ورهبانها يؤصلونها في الأجيال، ويحافظون عليها من الأفول والانقراض، وإن اختلفوا حول ماهية هذه البنوة وطبيعتها، وعلاقتها بما فوقها وما تحتها، فيقول هذا المهتدي ـ بعد أن ذكر تأثير الفلسفة اليونانية على الكنيسة ـ موضحاً هذا التأثير: (إن الذي دس في فكر الكنيسة فكرة (الأبوة والبنوة)الإلهية السقيمة هو الخصي الكوسج المصري خادم الرهبان المسمى «أوريفين» وهذا عندما شرح الآيات المذكورة ـ عن المسيح ـ عرّفه قائلاً: حقيقة أنه من عين جنس الآب ـ الله ـ أي : باعتبار أن مريم أمه فهو من عين جنس الإنسان، أو مساوٍ لجنس الإنسان، وباعتبار أن الله أبوه فهو من عين جنسه، مساوٍ لجنس الله ـ حاشا لله[2]) .

---

(١) سورة التوبة ، الآية ٣٠ .

(٢) الإنجيل والصليب . ص ١١٧ ، وانظر أيضاً سر إسلامي ، ص ٦٧ – ٦٨ فقد استشهد بعدد من النصوص التي تفند هذا الزعم.

هكذا رأينا تأثير الفلسفة اليونانية على النصرانية في هذا الجانب؛ فلننظر كيف أبطل هؤلاء المهتدون هذه العقيدة ؟

المطلب الثاني: إبطال دعوى البنوة بتحليل اللفظ والاستدلال على ذلك :ـ

سبق بيان أن أساس الضلال في هذه الفرية هو لفظ «البنوة» أو بمعنى أوضح اعتبار المسيح ابناً لله، فيحسن بنا أن نستطلع رأي التوراة في هذا الإطلاق؛ فنجد أن التوراة صارمة في حماية هذا الجانب؛ فمن يجعل نفسه ابن الله يعتبر مجدفاً على مقام الألوهية، ويستحق الرجم، ولهذا لما عُرِض المسيح على بيلاطس لإصدار الحكم عليه قال :(خذوه أنتم واصلبوه ، لأني لست أجد عليه علة. أجابه اليهود: لنا ناموس وحسب ناموسنا يجب أن يموت؛ لأنه جعل نفسه ابن الله)[1]. ففي هذا النص دلالة كافية على أن كل عبارة من هذا القبيل ـ نسبة البنوة لله ـ وردت في التوراة والإنجيل فهي من وضع البشر، وأن المقصود بها الاستخدام المجازي، وإلا فكيف التوفيق؟ وقد ورد فيها نسبة أنبياء وشعوب إلى بنوة الله، كما أنها وردت هذه الألفاظ ـ كما زعموا ـ عن المسيح عليه السلام الذي يقول :(ما جئت لأنقض بل جئت لأكمل)؛ فلا يمكن أن

---

(١) انظر محمد ﷺ في التوراة والأنجيل والقرآن ، ص ١٧٤ . هذا النص تضمن الإشارة إلى صلب المسيح ، وأنه دعا نفسه ابن الله وما من شك أن هذا كله كذب واختلاق ، ولكن الذى يهمنا هو ما تضمنه من حكم .

تتضمن التوراة حكماً كهذا الحكم السابق، وهو جاء ليكملها، ثم يدعي لنفسه ـ كما يزعمون ـ هذا اللقب .

ولقد درس هؤلاء المهتدون هذا اللقب أو الاصطلاح أو التسمية؛ وخرجوا من هذه الدراسة بنتائج طيبة وهي :ـ

١ ـ أن المسيح فرّق بينه وبين من هم أعلى منه منزلة فقال :(كل من قال كلمة على ابن الإنسان يغفر له، أما من جدف على الروح القدس فلا يغفر له[١]) هذا من جانب ، ومن جانب آخر فقد ساوى بينه وبين سائر البشر من أتباعه وتلاميذه؛ إذ يكرر دائماً كما في كتبكم (أباكم السماوي ، وأبي وأبيكم[٢]) .

٢ ـ أن هذه اللفظة ـ أو صفة البنوة ـ لم يختص بها المسيح؛ بل أطلقت على أنبياء كآدم ويعقوب وداود وسليمان، كما وصف بهذا الوصف شعوب وأمم [٣].

ولكن ماذا يعني هذا الوصف إذا صح؟ إنه يعني : أن من أطلق عليه هذا اللفظ فهو من المقربين لله؛ إذ المراد به المجاز لا الحقيقة يقول المهتدي مرجان مبيناً ذلك:(ومن يطالع التوراة والإنجيل ورسائل الرسل

---

(١) انظر المصدر السابق ، ص ١٧٤ . وسر إسلامي ، ص ٦٢ .
(٢) انظر الله واحد أم ثالوث ، ص ١٠١ .
(٣) انظر الغفران بين الإسلام والمسيحة، ص ٩٢ ، ١٠٤ . والبحث الصريح ، ورقة ٧/أ. والله واحد أم ثالوث، ص ٧٤ – ٩٧ . والنصيحة الإيمانية ، ص ١٣٣ – ١٣٤ .

والحواريين؛ يجد أن لفظ ابن الله ، أو صفة البنوة لم ينفرد بها المسيح ؛ بل شاركه فيها كافة الأنبياء والملائكة وجميع المؤمنين، وأن هذا اللفظ «ابن الله» لم يقصد به إطلاقاً المعنى الحرفى له، وإنما قد أطلق كثيراً، وكثر استعماله بالمعنى المجازي، ولم يكن يراد به سوى المقربين لله والمؤمنين به[1]). ولعل هذا الوصف «ابن الله » في كتب العهدين مرادف لمصطلح «أولياء الله» في المنهج الإسلامي؛ لأنني تتبعت من أطلق عليهم هذا الوصف، فإذا هم في الغالب من أولياء الله كالأنبياء والرسل والمؤمنين، ويطلق على الطائفة المناوئة «أبناء الشيطان» ، وهذا اللفظ الأخير ـ أبناء الشيطان ـ يساوي في المنهج الإسلامي أولياء أو حزب الشيطان .

٣ ـ أن القول ببنوة المسيح لا يتطابق مع تعاليمه وأقواله المبثوثة في العهد الجديد، والمؤكدة على بشريته ورسالته، ولا يوجد أي مبرر لإفراده بابن الله بمعنى حرفي،وقد أُطلقتْ ـ كما سبق ـ على كثيرين سواه ممن هم مثله أو أرفع درجة منه؛ وإنما خصصه النصاري بهذا اللفظ انسياقاً وراء تعاليم بولس [2] .

٤ ـ أن ادعاء بنوة المسيح لله كفر وشرك وكذب على الله وعلى رسوله المسيح عليه السلام؛ ودليل ذلك ما قال متى في إنجيله

(١) الله واحد أم ثالوث ، ص ٩٥ ، وانظر أيضاً ٩٤ – ٩٧ منه . والبحث الصريح ورقة ٧/أ. والغفران بين الإسلام والمسيحية ، ص ٩٢ ، ١٠٣ – ١٠٥ . والنصيحة الإيمانية ، ص ١٢٠ ، ١٣٣ـ ١٣٤ .
(٢) انظر الغفران بين الإسلام والمسيحية ، ص ١٠٣ – ١٠٥ . والله واحد أم ثالوث ، ص ١٠٧ – ١٠٨ .

أن عيسى قال للحواريين: (اعلموا واعتقدوا أن أباكم السماوي الذي في السماء ـ يعني بذلك الله تعالى ـ هو واحد فرد لم يلد ولم يولد[1])

٥ ـ استندت النصرانية في ادعاء بنوة المسيح لله ، أنه ولد من امرأة عذراء من غير زوج . والجواب على ذلك يسير؛ لأن خلق آدم وحواء على غير مثال سابق، أعظم من خلقه من امرأة بلا أب، بل إن خلق يحيى من أبوين عقيمين مسنين أمر يعتبر معجزة عظيمة، ولم يدع هؤلاء أنهم أبناء الله؛ لأنهم جاءوا على غير مثال سابق[2]. كما استندت النصرانية أيضاً إلى أنه نفخ فيه من روح الله . وآدم عليه السلام نفخ فيه من روح الله ولم يدع إلهاً ولا ابن الله[3]. واستندت أيضاً إلى أنه أطلق عليه «الروح» وأنه نزل عليه الروح القدس . ولكن هذا اللقب أطلق على كثيرين سواه كجبرائيل إذ سمي الروح القدس ، وكذلك الوحي سمي روحاً ، وحلّت روح القدس على الأنبياء تؤيدهم بتأييد الله ونصره، وورد في العهدين أن روح القدس حلت

---

(١) انظر تحفة الأريب ، ص ١٢٠ .

(٢) انظر النصيحة الإيمانية ، ص ١٢٣ . والمنارات الساطعة في ظلمات الدنيا الحالكة ، ص ١٩ - ٢٠ ، ٥٠ - ٥٤ .

(٣) انظر المصدر السابق ، ص ٣٤ .

على كثيرين : (وحل روح القدس على داود) . وفي سفر العدد أن موسى قال :(ياليت كل شعب الرب كانوا أنبياء ؛ إذ جعل الرب روحه عليهم[1]) .

٦ ـ تستند النصرانية في ادعاء البنوة للمسيح على قوله عن ربه «أبي» فيقال لهم : لا بد أن تثبتوا أن هذه اللفظة هي التي تلفظ بها المسيح ، ولم تغيّر ولم تبدّل، وإذا أثبتوا ذلك ـ وأنى لهم إثباته ـ فيقال لهم : إن اللغة أجازت أن يسمى الولي ابناً. وقد سماكم الإنجيل بنيه وأنتم لستم مثل المسيح . والله سمى إسرائيل «بكري» وداود «ابني» . فإن زعمتم أن هؤلاء أبناء الله على وجه الرحمة ، والمسيح ابن الله على الحقيقة . فيجوز لمعارضكم أن يقول : إن هؤلاء أبناء الله على الحقيقة والمسيح ابن الله على وجه الرحمة، وإلا فما الفرق [2] .

٧ـ يلزم النصرانية في ادعاء البنوة للمسيح أن يكون علمه كعلم الله وقدرته كقدرة الله، وسائر صفاته كسائر صفاته . وهذا باطل ودليل بطلانه أن المسيح متصف بما يتصف به سائر البشر من العجز والضعف ، ونفى كمال العلم عن نفسه ، ولما سئل عن الساعة قال : (إن ذلك اليوم لا يعلمه الملائكة الذين في

(١) انظر المصدر السابق ، ص ٣٥ - ٣٦ .

(٢) انظر النصيحة الإيمانية ، ص ١٣٠ . والبحث الصريح ورقة ٨/ب - ٩/أ. وقد سبق في المبحث الماضي نقض شريعة أو قانون إيمانهم ، وقد تضمنت الإقرار ببنوة المسيح، وهذه الشريعة أو القانون هي التى يعتمدون عليها في إقرار البنوة . فلا داعي لإعادة الطرح هنا مرة أخرى ؛ رغبة في الاختصار .

السماء، ولا يعلمه إلا الآب وحده) . يعنى بذلك الله[1]

المبحث الرابع : نفي اتحاد اللاهوت بالناسوت[2]

تدعى النصرانية أن الله تبارك وتعالى عاقب آدم وذريته بجهنم من أجل خطيئته لما أكل من الشجرة، ثم إن الله تعالى رحمهم فمنّ عليهم بخروجهم من النار، بأن بعث ولده فالتحم في بطن مريم بجسد عيسى المسيح فصار إنساناً وإلهاً : إنساناً من جوهر أمه، وإلهاً من جوهر أبيه[3]. وهذ الاعتقاد من الركائز الأساسية التي يؤمن بها النصارى ، ولأجل ذلك تناوله هولاء المهتدون بالبحث والنقض تارة على هيئة قضية مستقلة، وتارة باسم نفى الطبيعتين اللاهوتية والناسوتية، وتارة تدخل هذه القضية ضمن نقض البنوة؛ وما ذاك إلا نتيجة اختلاف النصارى حولها، وعدم اتفاقهم فيها على رأى، ففرقة تدعى فيه قولاً ، ثم تكفرها الأخرى بسبب هذا القول، وثالثة تأتي برأي مخالف للسابقين؛ وهذا شأن الباطل : الاختلاف والتفرق والتنازع .

وقد منّ الله عليّ فجمعت الأدلة التي استدل بها هؤلاء المهتدون، وحاولت ترتيبها جهد المستطاع ، وهذه الأدلة هي :ـ

الدليل الأول : أثبت المهتدي إبراهيم خليل أن هذه العقيدة ليست

(١) انظر تحفة الأريب ، ص ١٤١ - ١٤٢ .

(٢) لن أستفيض في تفنيد هذه القضية ؛ لأنني قد تطرقت في مبحث سابق إلي نفي ألوهية المسيح وأكثرت من الاستدلال وما هذه المسألة إلا جزء ، من تلك .

(٣) انظر تحفة الأريب ، ص ١٤٩ .

من صميم العقيدة المسيحية الحقة التي جاء بها المسيح؛ بل إنها دخيلة عليها من الأمم الوثنية التي جاورتها، وأن هذه العقيدة مماثلة لاعتقاد الوثنيين السابقين على النصرانية، فقد كانوا يعتقدون بثلاثة آلهة تتكون من أب وأم وابن. ثم أثبت بالدليل القاطع أن هذه العقيدة لا سند لها من كلمات المسيح المدونة في الأناجيل، وأن المسيح ينكر أقنوميته ولاهوته. ثم أورد عدداً من النصوص التي تدعم هذا الرأي وتسنده كاعترافه بربوبية الله وألوهيته، وتضرعه له، وأكد أن هذه التعاليم هي من صنع بولس الذي تسبب في فساد النصرانية، وانحرافها عن مسارها الصحيح[1].

الدليل الثاني: استحالة تحقق هذا الزعم ـ اتحاد اللاهوت بالناسوت ـ في عالم الوجود؛ لأن العقل الصحيح والفطرة السليمة تمنع من أن يكون الله الخالق الأزلي نزل في بطن امرأة، واستحال إلى لحم ودم وتجسد في صورة جنين، ثم ولد ومشى على الأرض. ومن المستحيل ـ أيضاً ـ أن يكون الخالق الأزلي محدوداً متحيزاً متنقلاً من طور إلى طور، ومن مكان إلى مكان. ثم هو مستحيل ـ أيضاً ـ لأن الاعتراف به جمع بين الأضداد كالجمع بين الماء والنار والظلمة والنور، والخالق والمخلوق واعتبارهما شيئاً واحداً ، وهذا الجمع ترفضه كل الأمم العاقلة حتي النصارى أنفسهم يرفضون أن يكون الخالق هو المخلوق، ولكن هذا لازم دعواهم[2].

الدليل الثالث : أن العقل الصحيح يرفض هذه الدعوى؛ لأن التسليم

(١) انظر الغفران بين الإسلام والمسيحية ، ص ٧٢ ، ٩٩ - ١٠٢ .
(٢) انظر تحفة الأريب ، ص ١٤٣ - ١٤٤ ، ١٥١ - ١٥٢ .

بها يوجب أن يكون الله سبحانه وتعالي قد تجرد من كماله المطلق، ورضي أن يسلك مسلك البشر في أن يتدرج عبر مراحل مختلفة من الحمل والولادة والرضاعة، وإله يرضى بذلك يلزمه ما يلزم سائر البشر من الحياة والموت والصحة والمرض والعدم والفناء[1]. تعالى الله عما يقولون .

الدليل الرابع : تدعي النصرانية ـ كما سبق ـ أن الله سبحانه وتعالى قد تجسد في المسيح منذ كان جنيناً. ولكن المتتبع لحياته منذ طفولته حتى بلغ الثلاثين من عمره ـ وهو السن الذي شرف فيه بالرسالة ـ لا يلحظ أدنى فرق بينه وبين نظرائه الآدميين حيث اغتذى باللبن، وتناول الأغذية، ولم تظهر عليه آية الربوبية، ولا حفت به الملائكة بالتهليل، ولا ظهر منه فوق ما كان يظهر من الأنبياء قبله[2].

الدليل الخامس : تدعي النصارى أن الاتحاد لم يكن على سبيل الممازجة . فيقال لهم : أليس الاتحاد في الكلمة ؟ فإن قالوا نعم . وهو أن يثبت معناها والعلم بها في نفس المسيح . قيل : قد ثبت ذلك في نفسه وفي نفس الأنبياء قبله . وإن قالوا : إن معنى الاتحاد أن تظهر الكلمة بالتدبير على يديه . فيلزمهم ألا تكون المعجزات من فعله، كما يلزم أن تكون الكلمة قد اتحدت بكل من ظهرت المعجزات على يديه ، وهم لا يقولون بذلك، ولا يقول به أحد من العالمين.

وقد يحتجون لذلك بأنه فعل أفعالاً إلهية وإنسانية . فيقال : إن الأفعال

(١) انظر سر إسلامي ، ص ٥٢ والله واحد أم ثالوث ، ص ٣٣ .

(٢) انظر النصيحة الإيمانية ، ص ٩٣ - ٩٤ .

الإلهية ظهرت عليه ولم يكن هو الخالق لها ، كما ظهرت على أيدي الأنبياء قبله ، والخالق لها هو الله[1]

الدليل السادس : كما تدعي النصرانية فيه الاتحاد تدعى فيه ـ أيضاً ـ أنه قُتل وصلب ودفن ... فإذا كانت هذه الحوادث وقعت على المسيح ـ كما يزعمون ـ فأين كان لاهوته عن ناسوته ؟ لا سيما مع قولهم : إنهما اتحدا أو تمازجا. فما الذي فرق بينهما عند القتل والصلب ؟ ولماذا غياب اللاهوت مع هذه الشدائد[2] ؟ والناسوت في أشد الحاجة إليه .

الدليل السابع : يلزم من هذه الدعوى أن المسيح عليه السلام جوهر من جوهرين، أو إقنوم من إقنومين. ولا يخلو أن يكون أحدهما أبطل الآخر ، والباطل ليس إلهاً ، أو أنهما امتزجا ؛ فلا بد حينئذ أن يكونا شيئاً ثالثاً لا هذا ولا هذا ، وإن قالوا: هما جوهران لم يتغيرا ؛ بطل القول بالاتحاد والممازجة ، وإن قالوا: إن اللاهوت أبطل الناسوت. كان الواقع يبطل ذلك ؛ فإن ناسوت المسيح مماثل لناسوت غيره من البشر ، وإن ادعوا أن الناسوت أبطل اللاهوت فقد أجازوا أن يبطل المخلوق الخالق ولا يقول بهذا القول عاقل . ويتوجه إليهم سؤال مفاده : هل جوهري المسيح قديمان أم محدثان ؟ فإن أجابوا بأن جوهر المسيح قديم فقد أقروا بقدم أربعة ـ هم الثالوث وناسوت المسيح ـ وإن قالوا: جوهر المسيح محدث فقد أقروا بحدوث الابن ، وعبدوا ماليس بقديم ، وإن قالوا أحدهما محدث

(١) انظر المصدر السابق ، ص ٧٨ - ٧٩ .

(٢) انظر تحفة الأريب ، ص ١٤٤ .

والآخر قديم لزم أن يعبدوا القديم والمحدث[1].

الدليل الثامن : شهد المسيح لنفسه بالنبوة والرسالة وأنه كسائر الأنبياء والمرسلين ، وشهد له تلاميذه بذلك وأنه رجل مصدق من الله حيث جاء في إنجيل لوقا :(أن عيسى بعدما قام من قبره لقيه رجلان من تلاميذه وهما : كليوباس ولوقا، فقال لهما : ما لكما حزينان؟ فقالا له : وأنت كأنك غريب وحدك في مدينة بيت المقدس، ولم تعرف ما جرى في هذه الأيام من أمر المسيح الذي كان رجلاً مصدقاً من الله في مقاله وأفعاله عند الله وعند الناس[2]) . فلا يمكن مع هذه الشهادة أن يدعى أنه مشتمل على لاهوت وناسوت، ولو كان كذلك لما حصل له الفناء والموت، ولما قالا : إنه رجل مصدق من الله ؛ بل كان تصويرهم لهذه الحادثة بعبارات أوقع على السمع ، وأشد على الفؤاد .

الدليل التاسع : قد يحتجون على هذا الاتحاد بقول المسيح :(أنا بأبي وأبي بي) . ولا حجة لهم في هذا النص؛ لأنه إن صح عنه هذا النص فقد جاء في كتابكم أن المسيح تضرع إلى الله في تلاميذه قائلاً :(يا أيها الآب القدوس أحفظهم باسمك الذي أعطيتني ، ليكونوا هم أيضاً شيئاً واحداً ، وكما أنك أرسلتني فكذلك أرسلهم ، فأنا بهم وأنت بي) . ومعنى ذلك أنك معي كما أنني مع التلاميذ ، وكما أرسلتني لدعوة الخلق أنا أرسلهم إلى عبادك. وليس معنى هذا أن الله حال بالمسيح ؛ وإلا

---

(١) انظر النصيحة الإيمانية ، ص ٦٦ـ ٦٧

(٢) انظر تحفة الأريب ، ص ١٤٥ـ ١٤٦ ، ١٤٨ . والغفران بين الإسلام والمسيحية، ص١٠١ والكذب ظاهر في هذا النص من مختلفة، ولكن يستدل به من باب الإلزام.

للزم على ذلك أن يكون الله حالاً في التلاميذ أيضاً[1] . ويقال لهم : يلزمكم أن تثبتوا أن المسيح عليه السلام قال هذا القول بهذا اللفظ ، ولم يصبه التحريف والتبديل . وهم لن يثبتوا ذلك لبعد العهد ، وانقطاع السند.

وهذا أوان الانتقال للمبحث الرابع للوقوف على ثالثة الأثافي في المعتقد النصراني وهي التثليث ، بعد أن منّ الله عليّ بالانتهاء من دراسة وتفنيد ألوهية المسيح عليه السلام وبنوته ...

(١) انظر النصيحة الإيمانية ، ص ٨٠ .

المبحث الخامس : نقض التثليث

المطلب الأول : أساس القضية :ـ

تبين في المبحث الأول أن أساس جميع الرسالات الإلهية هو التوحيد الخالص، والمسيح ابن مريم رسول النصرانية، قد اقتفى آثار من سلفه من الرسل والأنبياء ، و سار على نهجهم في تحمل أعباء الرسالة، والدعوة إلى الوحدانية .

لكن هذا التثليث أو الثالوث الذي وفد إلى النصرانية،كما وفد غيره من العقائد والطقوس من جراء معاشرة الأمم، أو الركون تحت وصايتها ـ هل كان معروفاً في الديانات السابقة ؟ وهل ورد ذكره نفياً أو إثباتاً في الكتب الإلهية الأولى؟ وهل وجد في القرون الأولى للنصرانية؟ وإذا لم يوجد في تلك القرون فمتى حدث؟ ومن الذي فرضه وأقره؟..وللإجابة على هذه التساؤلات أقول: أكد هؤلاء المهتدون في دراساتهم التي سبقت الإشارة إليها في صدر هذا البحث على المسائل التالية :ـ

١ ـ حفلت الديانات الوثنية بعدد من الآلهة، وتفاوت هذا العدد كثرة وقلة حسب الحاجة إلى هذا التعدد، واعتماداً على الفلسفة التي انطلقت منها هذه الوثنية، فلا نستغرب إذاً إذا وجدنا في الديانة النصرانية ـ بعد عصرها الأول ـ ثلاثة آلهة فقد سُبقت بالثالوث الهندي والصيني والتاسوع المصري .

٢ ـ أن هذه الوثنية والتعدد قد خلت ـ كما سلف ـ منها الديانات الإلهية، بل لم يكن هذا التثليث معروفاً لدى اتباع الأنبياء، إذ يقول المهتدي محمد مرجان :(فقد نادى الأنبياء بوحدانية الله، ولم يتحدث أحد منهم عن شيء اسمه الثالوث[١]) . ويعزز ذلك المهتدي عبد الأحد داود فيقول :(إن الأنبياء الذين بلغوا العهد القديم ـ التوراة والزبور وكل الكتب العبرانية ـ من الله للناس لم يكن لهم علم ولا خبر عن التثليث البته[٢]) .

وكما لم يكن لهذه القضية خبر لدى الأنبياء السابقين، فكذلك لم يكن لها ذكر في كتبهم فالتوراة التي تعتبر كتاب اليهودية الأول، وأساس النصرانية لا يوجد فيها عبارة تتحدث عن الثالوث لا إثباتاً ولا نفياً. بل إنها تندد بالتعدد وتعتبره كفراً بواحاً [٣].

أما الأناجيل التي هي عمدة النصارى، وعماد ملتها؛ فقد بنيت أساساً على التوحيد ، يؤكد ذلك المهتدي مرجان بعد دراسة للتوراة والأناجيل، وخروجه منها بالنتيجة التالية التي أوضحها بقوله:(... ثم ذهبنا نطالع الأناجيل ورسائل الحواريين، لوجدنا أن دعوة المسيحية ماهي إلا دعوة الوحدانية، الوحدانية التي هي عماد كل دعوة سماوية، وملاك كل رسالة

---

(١) الله واحد أم ثالوث ، ص١٢٨ .

(٢) الإنجيل والصليب ، ص ٩ .

(٣) انظر الله واحد أم ثالوث ، ص ١٢٨ – ١٣٤ . ومحمد في الكتاب المقدس ، ص ٤٧ ، ٩٢ . والإنجيل والصليب ، ص ٢٠٥ . والبحث الصريح ، ورقة ٥/ب .

ربانيــة[1]) . ثم أكد هذه النتيجة بعدة نقول من العهد الجديد تؤكد ما ذهب إليه من التزام المسيحية للوحدانية في أطوارها الأولى .

أما المهتدي إبراهيم خليل فيؤكد هذا المنحى من ناحيتين :ـ

أ ـ أن الأناجيل التي دونت فيما بين عامي ٧٠ ـ ١١٥م لاتحتوي على إشارة إلى الثالوث .

ب ـ أن الموسوعة الكاثوليكية (تصرح بأن عقيدة التثليث لم تكن معروفة للمسيحيين الأوائل، وأنها صيغت في نهاية القرن الرابع الميلادي[2]) .

وينضم إلى هذه القافلة المباركة عبد الأحد داود ويأتي بدليل أكثر شمولاً واستقصاءً من سابقيه؛ ليؤكد أن العبارات التي وردت بها ألفاظ التثليث ماهي إلا عبارات بربرية متعسفة؛ حيث أنها لم تستعمل في الوحي والإلهامات النازلة باللغات السامية[3]. وأن العهد الجديد لا يؤيد التثليث بصراحة، ولكنه احتوى على تلميحات وإشارات حول التثليث، ولكنه ليس بحجة أبداً ؛ لأن المسيح عليه السلام لم يشاهده ولم يكتبه، ولم يوجد في كلامه الذي تكلم به، ولم يوجد التثليث في شكله الحالي ومضمونه طوال القرنين اللذين جاءا بعده[4].

---

(١) الله واحد أم ثالوث ، ص ١٣٥ ، وانظر أيضاً ١٣٤ – ١٣٩ منه . والبحث الصريح ، ورقة ٥ .

(٢) انظر الغفران بين الإسلام والمسيحية ، ص ٩٥ .

(٣) انظر الإنجيل والصليب ، ص ٢٠٤ .

(٤) انظر محمد في الكتاب المقدس ، ص ٤٧ .

٣ ـ أن بولس الذي تسبب في ابتعاد النصرانية عن مسارها الصحيح، ونقل إليها عقائد وأفكاراً وثنية لم يكن على علم بهذا الثالوث الذي صنع من بعده[١] .

٤ ـ أكد كل من المهتدي الشيخ زيادة وعبد الأحد داود وإبراهيم خليل على أن عبارة التثليث ـ الآب والابن والروح القدس إله واحد ـ لم ترد في جلسات مجمع نيقية المنعقد في عام ٣٢٥م، ولم ترد ـ أيضاً ـ في النص اليوناني للأناجيل، حيث يقول الشيخ زيادة : (اعلم أن جملة الآب والابن والروح والثلاثة هم واحد. ليس لها وجود في جلسات المجمع النيقي؛ لأن هذه الجملة في بعض نسخ الإنجيل القديمة الموجودة عند النصارى الموحدين، وعند طائفة السريان في اللغة السريانية ـ ليس لها أثر كلي، وهي دخيلة مبتدعة)[٢]. وبما أنها لم ترد في جلسات مجمع نيقية؛ فقد أقرت هذه العقيدة رسمياً في المجمع المسكونى الثاني في القسطنطينية عام ٣٨٦م[٣] .

---

(١) انظر الغفران بين الإسلام والمسيحية ، ص ٩٥ . والله واحد أم ثالوث ، ص ٤٥ .

(٢) البحث الصريح ، ورقة ٥/أ .وانظر أيضاً محمد ﷺ في التوراة والإنجيل ، ص ١١ ، ٥٩. ومحمد في الكتاب المقدس ، ص ٢١٦. وقد ذهب د. أحمد شلبي في كتابه مقارنة الأديان إلى أن اعتقاد التثليث ظهر قبل القول بإلوهية المسيح . جـ٢ ، ص ١٢٨ .

(٣) انظر محمد في الكتاب المقدس ، ص ٢١٦ . والغفران بين الإسلام والمسيحية . ص ٩٠ وقد ذكر عبد الأحد داود في كتابه الأول الإنجيل والصليب ص ٢١ أن وثيقة مجمع نيقية قد صرحت بالتثليث. ولكن يبدو أنه تراجع عن هذا الرأى بما تبين له من معلومات ؛ فقرر في كتابه الثاني محمد في الكتاب المقدس أن هذه العقيدة أقرت عام ٣٨٦م في مجمع القسطنطينية. ص ٢١٦. ونقل عنه الرأى الأول د. شلبي في كتابه السابق جـ ٢ ، ص ١٤٣ - ١٤٤ . وما ذكرته في بداية هذه الفقرة خلاف ذلك .

٥ ـ ثبت أن التثليث لم يقر كعقيدة إلا في أواخر القرن الرابع الميلادي، و خلال هذه الحقبة الزمنية تغلبت على النصرانية بعض الأمبراطوريات الوثنية، وسامتها الخسف والذل، وصرفتها عن مسارها السليم، كما أنه خلال هذه الفترة ـ أيضاً ـ دخلت في النصرانية أمم وثنية؛ كل ذلك هيأ هذه الأمة لأن تخضع تحت تأثير الغلبة والمعاشرة فتدين بدين هو أمشاج من وثنية الفرس والرومان واليونان، ويؤكد هؤلاء المهتدون أن الثالوث النصراني هو نتيجة لتأثر النصرانية ببعض الأمم التي تعتقد بثلاثة آلهة أو أكثر كالفرس والهنود والمصريين القدماء[1].

٦ ـ أن هذا التثليث الذي أقرته المجامع لم يكن من السهل إدراكه وفهمه؛ وما ذاك إلا أنه خلاف الوحي والعقل والفطرة والمنطق، بل الكون كله يناقض هذه العقيدة ويرفضها، ويشهد بالوحدانية. وينقل المهتدى عبد الأحد داود رأى أحد أحبار النصاري بعد ان استعرض الحبر نقد أحد علماء المسلمين للتثليث، وبعد أن فهم الاعتراض قال :(نقول رداً على هذا الاعتراض إننا كثيراً ما نجد مناقضات منطقية عديدة في كل الماديات والعقليات كالزمنية ، والأزلية، والامتداد واللانهائية

(١) انظر الله واحد أم ثالوث ، ص ٨٠ – ٨١. ومحمد ﷺ في التوراة والإنجيل ، ص ٥٩. والغفران بين الإسلام والمسيحية ، ص ١٠٢ . وسر إسلامي ، ص ٤٧ – ٥٠ .

وغير ذلك من المتناقضات العظيمة المعروفة عند الفلاسفة بالمناقضات العقلية، وهي في الحقيقة مما لا يستطاع اجتنابه؛ فلا يتزعزع إيماننا بوجود تناقض ظاهري في عقيدة الثالوث في الوحدة[1] ..) إذاً هو مقتنع بالتناقض في هذا المبدأ ولكنه يحاول أن يقنع نفسه بأن الفلسفة إذا لم تخل من التناقضات؛ فلا يمنع أن يشتمل الدين على تناقضات ، ولكن ينبغي ألا تزعزع هذه التناقضات دينه !!.

٧ ـ نتيجة لهذا الغموض في هذا المبدأ فقد كثر الخلاف حول العلاقة بين أطرافه الثلاثة، ومهام هذه الأطراف. فقالوا عن هذا الثالوث أقوالاً لا يأتي عليها الحصر ومنها :ـ

أ ـ أن الله سبحانه وتعالى جوهر واحد وثلاثة أقانيم .

ب ـ أن هذه الأقانيم واحدة في الجوهر مختلفة الأقانيم .

جـ ـ أنها أشخاص وذوات .

د ـ أنها خواص .

هـ ـ أنها صفات .

و ـ أن الآب والابن فقط هما جوهر واحد .

ز ـ أن الأقانيم متفاوتة في القدر والمكانة .

---

(١) الإنجيل والصليب ، ص ٢٠١ . وانظر أيضاً الغفران بين الإسلام والمسيحية ، ص ٩٤ . والله واحد أم ثالوث ص ٧٠ .

حـ ـ أن الأقانيم الثلاثة معاً هم الله بل الجميع متساوون .
ط ـ أن الأقنوم الثاني هو أهم هذه الأقانيم .
ى ـ أن الثالوث يطلق على المسيح وحده[١] .

وكما اختلفوا حول الثالوث، اختلفوا حول ماهية مكوناته فكان الخلاف حاداً حول طبيعة الإقنوم الثاني، ومشيئته وإرادته ، وتأريخ وجوده. واختلفوا ـ أيضاً ـ حول الإقنوم الثالث فمن قائل إنه منبثق من الآب فقط. ومن قائل أنه منبثق منهما، وادعوا أنه خلق العلم. بينما أنكر آخرون ألوهيته، بل مشاركته في الثالوث، واخترعوا ثالوثاً آخر من إلهين ومألوهة[٢] .

المطلب الثاني : نقض القضية :ـ

لما تبين أساس القضية، وتأريخ حدوثها، وأسباب ذلك، فمن الضروري أن يتجه البحث بعد ذلك إلى نقض هذه القضية بالدليل والبرهان والحجة، بعيداً عن الحماس والاندفاع الإنشائي الذي يعتمد على الكلمة المثيرة، والعاطفة المثارة، فإلى البراهين والأدلة[٣] :ـ

---

(١) انظر النصيحة الإيمانية ، ص ٥٦ – ٥٧ . والله واحد أم ثالوث ، ص ٣٨ – ٤٤ . ومحمد في الكتاب المقدس ، ص ٤٦ . وتحفة الأريب ، ص ١٣٩ .

(٢) انظر الله واحد أم ثالوث ، ص ٤٧ – ٤٨ .

(٣) لن أكثر من سرد النصوص النقلية التي تنفي ألوهية المسيح عليه السلام في هذا المبحث ، لأنني خصصت المبحث الثاني من هذا الباب لذلك.

الدليل الأول : أن القول بالتثليث يلزم عليه الإقرار بثلاثة آلهة؛ لأن الأقانيم أشخاص يومأ إليها، ويقع الحد عليها[1].

الدليل الثاني: استحالة وجود أكثر من إله في هذا الكون ﴿لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا[2]﴾؛ لأن تعدد الآلهة يستدعي التنازع والتناحر بينهما، الذي ينشأ عنه فساد السموات والأرض. ثم إن هذا التعدد مدعاة للتنافس والتزاحم بين الآلهة حول الأفضلية والتقدم، والدرجة والمرتبة حيث يقول تعالى : ﴿قل لو كان معه آلهة كما يقولون إذاً لابتغوا إلى ذي العرش سبيلاً[3]﴾، وقال تعالى ﴿ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذا لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض﴾[4].

الدليل الثالث : تدعى النصرانية أن الأقانيم متساوية فالآب هو الله ، والابن إله، والروح القدس إله. وليس هذا صحيحاً؛ لأنهم يعتقدون أن الروح القدس قد انبثق عن الآب والابن، ولا يمكن أن تتساوى هذه الأقانيم في الأزلية والثالث قد انبثق عن الاثنين قبله. كما أن لكل واحد منهما صفات تخصه لا يمكن أن يوصف بها الآخر، ثم إن الآب دائماً في المرتبة الأولى ، والابن يأتي بعده، والروح القدس في الدرجة الثالثة، فلا يرضون أبداً أن يعاد ترتيب هذا الثالوث فيكون الروح في المقدمة،

---

(١) انظر النصيحة الإيمانية ، ص ١٢٧ . والغفران بين الإسلام والمسيحية ، ص ٩٦ .
(٢) سورة الأنبياء ، الآية ٢٢ .
(٣) سورة الإسراء ، الآية ٤٢ . وانظر الله واحد أم ثالوث ، ص ٦٥ - ٦٦ .
(٤) سورة المؤمنون ، الآية ٩١ .

والابن هو الثاني والآب هو الثالث؛ بل يعتبرون ذلك إلحاداً، فكيف التسوية إذاً [1]؟ .

الدليل الرابع : أن هذه الأقانيم الثلاثة إما أن تكون متساوية أو متفاضلة، فإن كانت متساوية في سائر الصفات؛ فما زاد عن الواحد فهو فضل غير محتاج إليه، وإن تفاضلوا؛ كان المفضول ناقصاً، ولا يجوز إدخال النقص على مقام الألوهية[2].

الدليل الخامس : استدل الشيخ زيادة استدلالاً بارعاً في نقض هذا الثالوث من ألفاظه؛ وذلك لأنه وصف الأقنوم الثالث الروح وحده بالقدس. وهذا كافٍ للدلالة على عدم المساواة بينهما، ولو كان هناك تساو بينهما لقال: عمدوهم باسم الآب القدس والابن القدس والروح القدس، ومما يدل علي عدم التساوي بينهما الحاجة إلى نعت أحدها وترك الباقي.

ثم شكّك في وجود هذه اللفظة في أصل إنجيل متى، وعلي اعتبار أنها موجودة فيه؛ فشهادة الواحد ـ من أمثال متى ـ ضعيفة، لا ترقى لأن تكون برهاناً على عقيدة[3] .

الدليل السادس : أن الله سبحانه وتعالى وسع السموات والأرض،

---

(١) انظر الغفران بين الإسلام والمسيحية ، ص ٩٤. ومحمد في الكتاب المقدس ، ص ٦٤ .

(٢) انظر النصيحة الإيمانية ، ص ٦٣ - ٦٤ .

(٣) انظر البحث الصريح ، ورقة ٥ / ب - ٦ / أ .

وهيمن عليها وأحاط بها. فلا يمكن أن يكون كل واحد من هذه الأقانيم يحيط بهذه السموات والأرض ويسعها ويهيمن عليها في نفس الوقت الذي يهيمن ويحيط بها الآخر[1]. وذلك لأنه إذا أحاط بها أحد هذه الأقانيم فالزيادة عليه فضلة لا حاجة إليها، وإن كان كل واحد محتاجاً إلى الآخر في هيمنته وإحاطته فالمحتاج إلى غيره ضعيف عاجز، وهذه صفات يتنزه عنها مقام الألوهية .

الدليل السابع : هذه الأقانيم إما أن تكون أزلية أو محدثة،فإن كانت محدثة؛ بطل القول بألوهيتها، لأن من صفات الله أنه الأول والآخر. وإن كانت أزلية فهذا ممتنع شرعاً وعقلاً؛ لأنه لا يمكن أن يتحقق في الوجود إلهان كل واحد له الكمال المطلق في الصفات[2].

الدليل الثامن : يعتمد هذا الثالوث على ثلاث صفات هي: الذات، والنطق، والحياة[3]. أو هي القدرة، والعلم، والحياة [4]. وإذا كانت الصفة هي مناط الاعتبار في الأقنوم؛ فليست صفات الله ثلاثاً فقط ، ولزم على ذلك أن تتعدد الأقانيم بتعدد الصفات، وهم لا يقولون بذلك. وأيضاً يلزم على ذلك أنهم قصروا صفات الإله على هذه الثلاث فقط؛ فيكون الإنسان متصفاً بصفات كمال كالإرادة والسمع والبصر، والإله غير

---

(١) انظر محمد في الكتاب المقدس ، ص ٤٦ . والله واحد أم ثالوث ، ص ٦٢ .

(٢) انظر الله واحد أم ثالوث ، ص ٦٤. والنصيحة الإيمانية ص ٦٣ . وراجع الدليل الثانى لمزيد من الإيضاح حول هذه المسألة .

(٣) انظر الله واحد أم ثالوث ، ص ٩ ، ٣٥ .

(٤) انظر الإنجيل والصليب ، ص ٢٠٤ .

متصف بها. وهذا نقص يتنزه عنه الله سبحانه وتعالى. وإذا اعتبروا هذه الأقانيم صفات فلا بد لها من موصوف تقوم به. ويلزم من ذلك الاعتراف بقدم أربعة[1].

الدليل التاسع : أن القول بثلاثة آلهة هو المحال بعينه؛ لأنه يقتضي الإيمان بثلاثة كائنات ناقصة كل واحد منها يكمل الآخر، سواء اعتبرناها منفصلة أم متحدة. ولا يمكن قبول هذا المبدأ على أنه هو التصور الحقيقي للإله؛ فليس الله أباً لابن، كما أنه ليس ابناً لأب. وهذا الاعتقاد كفر صريح بوحدانية الله، ومشابهة لآلهة الوثنيين[2].

الدليل العاشر : يلزم من القول بالتثليث إما أن تتفق هذه الثلاثة على خلق هذا الكون أو تختلف. فإن اتفقت فمعنى ذلك احتياج كل أقنوم للآخر؛ وهذا يدل على العجز وعدم الاستقلالية، وينفي عنه صفة الألوهية. وإذا افترضنا أنها اتفقت على تقسيم العمل فيما بينها؛ فيلزم على ذلك أن كل أقنوم محدود ، فيقدر أحدهما على ما لا يقدر عليه الآخر. وإذا افترضنا ـ أيضاً ـ أنها قد اسندت العمل إلى واحد منها فحينئذ يكون الإلهان الآخران عاطلين، ولا حاجة إليهما، ولا داعي لوجودهما. وإن اختلفت وقع التنازع والتناحر بينهما كما أسلفت، وكل

---

(١) انظر الله واحد أم ثالوث ، ص ٩-٥٢. والإنجيل والصليب ، ص ٢٠٠ ، ٢٠٤. والنصيحة الإيمانية ، ص٦٥ .

(٢) انظر محمد في الكتاب المقدس، ص ٢٤ . والإنجيل والصليب ، ص ٢٠١ .

هذه ليست من صفات الإله المتفرد بالخلق والأمر والقدرة والإحاطة والغنى [1].

الدليل الحادى عشر: إن من القواعد المقررة العامة أن الكثرة لا توجد إلا في الكائنات؛ حيث يوجد الضعف والانقراض حتى تتوارث وتستخلف، والله سبحانه وتعالى غنى بذاته عمن سواه بل الخلق كلهم فقراء إليه[2].

الدليل الثاني عشر : قد يقول بعض أصحاب الثالوث : إننا لا نقول بوجود ثلاثة آلهة، وإنما نقول: بوجود إله واحد مركب أو مكون من ثلاثة عناصر أو أقانيم. وهذا القول تبطله الوجوه التالية :

١ ـ أن المركب أو المكون من أجزاء لا يتم وجوده إلا بعد وجود تلك الأجزاء، فوجود الأجزاء يسبق تكوينها. والله سبحانه وتعالى لم يسبق بشيئ فهو الأول وحده.

٢ ـ أن المركب يفتقر في وجوده وتحققه إلى كل جزء من أجزائه، والله الغني بذاته لا يفتقر إلى شيء من خلقه .

٣ ـ المركب لا بد له من مُرَكِّب يتولى تركيبه وخلقه حتى تكتمل عناصره وتصير شيئاً واحداً، والله سبحانه لا يتكون من عناصر وأجزاء حتى يحتاج إلى شيء من ذلك .

(١) انظر الله واحد أم ثالوث ، ص ٦٢ - ٦٣ .

(٢) انظر المصدر السابق ، ص ٦٣ .

٤ ـ أن المركب محدود بكمية عناصره وأجزائه وبالتالي يمكن تحيزه في المكان والزمان . والله الواحد ليس كذلك[1].

٥ ـ أن المركب مسبوق بزمن لم يكن موجوداً فيه. والله سبحانه وتعالى هو خالق الزمان.

٦ ـ أن المركب قابل للتركيب والتكوين . فهو عرضة للزوال والفناء والنهاية. ولكن الله هو الأول والآخر .

٧ ـ أن المركب من عناصر وأجزاء عرضة للزيادة عليه والنقص منه. والله الأزلي هو الواحد الأحد الفرد الصمد .

٨ ـ أن المركب من عناصر وأجزاء لا بد أن تتفاوت فيه هذه العناصر قوة وضعفاً . وينتج عن ذلك حاجة الأجزاء الضعيفة إلى الأخرى القوية .

٩ ـ أن المركب من عناصر وأجزاء مفتقر إلى من يحفظه ويحوطه بعنايته ورعايته حتى يضمن له الاستمرار والبقاء؛ وإلا أصبح عرضة للزوال والفناء .

الدليل الثالث عشر : أن من يطالع الكتب النصرانية يجد أن هذه الثلاثة الأقانيم ليست متساوية ـ وإن زعموا ذلك ـ لأنك تجد أن أحد هذه الأقانيم يخاطب الآخر بضمير الغائب ويرسله ويأمره، ويتكلم هذا عن هذا ويصفه بصفات لا توجد في نفس المتحدث، وأن هذا قد انبثق من

(١) انظر المصدر السابق ، ص ٦٧ ـ ٦٨ .

هذا، ثم نجد أن كل واحد منها يتصف بصفات لا يتصف بها الآخر : فالآب موجِد، والابن مخلص أو فاد، والروح واهب الحياة؛ ولا يمكن لأى واحد من هذه الثلاثة أن يكون هو وحده الموصوف بتلك الصفات؛ فتعين من ذلك التباين وعدم المساواة[1].

الدليل الرابع عشر : أن مجرد التسمية ـ الآب والابن والروح القدس ـ يقتضي تعدد الآلهة؛ لأنك عندما تطرح سؤالاً على النصراني مفاده : كم آب لديكم ؟ ستكون الإجابة بالطبع : آب واحد. ثم تطرح سؤلاً آخر: هل الآب هو الابن؟ الجواب : إن الآب ليس هو الابن. وهكذا هل الروح القدس هو الآب ؟ فتكون الإجابة كالإجابة على السؤال الثاني. إذاً فكل الإلهين الآخرين ليسا بالآب؛ وإذا كانت الحالة هذه فقد اعترفوا بالتعدد، كما أن فيه اعترافاً آخر منهم أن الإلهين الآخرين لم يقدرا أن ينالا درجة الأبوة، ولن يبلغاها. فيلزم من ذلك أن هذين الإلهين الأخيرين متصفان بالعجز والضعف[2].

الدليل الخامس عشر : أن علم الرياضيات يبطل القول بالتثليث. وذلك لأن الوحدة ليست أكثر من واحد ، وإن واحداً لا يمكن أن يساوي واحداً + واحداً + واحداً . فلا يمكن أن يكون الواحد مساوياً للثلاثة؛ لأن الواحد هو ثلث الثلاثة. فإذا قال النصراني عن معبوده : أن ١ + ١ + ١ = ١ فيعتبر ذلك استنتاجاً باطلاً ، وأن من يحاول أن يستنتج

(١) انظر المصدر السابق ، ص ٣٢ - ٣٣. ومحمد في الكتاب المقدس ، ص ٤٧ .

(٢) انظر الإنجيل والصليب ، ص ١٥٧ - ١٥٨ .

هذا الاستنتاج : إما مبالغ في اللجاجة والعجرفة ، أو أنه جبان لا يريد أن يعترف بأنه يعبد ثلاثة آلهة[1] .

وبعد هذا البحث والاستقصاء والنقض والتفنيد لهذه الركائز الأساسية لدين النصرانية ، نواصل الخطوات لدراسة بقية هذه الأركان والأسس ، وستكون الدراسة في المبحث التالي عن قضية الصلب وفداء البشرية من الخطيئة الموروثة ـ حسب زعمهم ـ .

(١) انظر محمد في الكتاب المقدس ، ص ٤٥ - ٤٧ . والغفران بين الإسلام والمسيحية ، ص ٩٤ . والله واحد أم ثالوث ، ص ٩٦ .

المبحث السادس :
نفي صلب المسيح تكفيراً عن الخطيئة الموروثة

هذه القضية تعتبر من الركائز الأساسية التي تعتمد عليها النصرانية في عقيدتها، ومن لم يؤمن بهذه العقيدة من النصارى فهو محروم في الدنيا والآخرة .

هذه القضية بهذه الأهمية هل نقلت عن الأنبياء السابقين ؟ وهل بشر بها المسيح ؟ وهل وردت في الأناجيل المعتبرة لديهم ؟ وهل يؤيدها العقل وتسلّم بها الفطرة ؟ أو هي إرث ورثته النصرانية عن الأمم الوثنية، وأصبح من العقائد النصرانية ؟. والإجابة عن هذه الأسئلة قد سطرتها لك في المطالب التالية :ـ

المطلب الأول : الأساس الوثني لهذه القضية :ـ

اشتملت الديانات الوثنية على صورة مماثلة لهذه القضية ـ أى المُخلّص المصلوب ـ فقد ذكر المهتدى إبراهيم خليل ستة عشر إلهاً خرافياً مُخلّصاً عرفوا قبل مجيء المسيح ، وكل هؤلاء ماتوا لأجل خطايا العالم ، وسمي كل واحد من هؤلاء مخلصاً ، وأولهم «أوزوريس» في مصر عام ١٧٠٠ق.م ، وآخرهم «مذرا» في فارس عام ٤٠٠ ق.م ، وأغلب حوادث

الصلب التي وقعت لهؤلاء مماثلة تماماً لحادثة صلب المسيح المزعومة، كما أن أغلب الصفات التي تمتع بها هؤلاء المخلّصون أسبغت على المسيح المزعومة؛ حتى تكتمل الصورة في المماثلة والمشاكلة .

وأكد هذا المهتدي وغيره أن هذه القضية لا تمت للمسيحية بصلة ، وأنها ترجع إلى تلك الأصول الوثنية[1] .

وبيّن المهتدي الهاشمي أن العبارات التي رويت عن المسيح إبان صلبه ـ حسب زعمهم ـ ورتها الأناجيل وكتب الرسائل ـ قد وردت في العهد القديم، وأن هؤلاء الكتاب استحدثوها للإيهام ، وإظهار هذه الحادثة بمظهر الحقيقة ، وأورد بعض الأمثلة للتدليل على هذا، ومن ذلك ما جاء في سفر أشعياء :(حينئذ بصقوا في وجهه ولكموه ، وآخرون لطموه) ووردت هذه الألفاظ في إنجيل متى عند ذكر حادثة الصلب ، وقال داود في مزموره الثاني والعشرين :(إيلي إيلي لماذا سبقتني ، أي إلهي إلهي لماذا تركتني ؟) ورويت هذه الألفاظ في جميع الأناجيل عند سرد قصة الصلب المزعومة[2] .

---

(١) انظر محمد ﷺ في التوراة والإنجيل ، ص ٩٧ - ٩٩ ، ١٠١ - ١٠٢ ، ١٦٣ - ١٦٥ ، ١٧٠ . والغفران بين الإسلام والمسيحية ، ص ١١٥ - ١١٦ . وسر إسلامي ، ص ٨٤ - ٨٥ .

(٢) انظر سر إسلامي ، ص ٨٣ - ٨٤ .

المطلب الثاني : أساس هذه القضية :ـ

هذه القضية ـ الصلب والفداء ـ مبنية أساساً على قضية بنوة المسيح لله سبحانه وتعالى ، وقد تقدم في مبحث سابق نفي بنوة المسيح لله[1]. وإذا سقط الأساس فلا تسل عن الكيان، وإنما أردت هنا أن أتناول هذه القضية من جانب آخر وهو الصلب والفداء .

كما أنها ـ أي هذه القضية ـ متفرعة عن خطيئة آدم عليه السلام لما أكل من الشجرة، ولكن خطيئة آدم قد غفرت له، وتاب الله عليه ﴿فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم [2]﴾. ونصوص العهد القديم شاهدة بأن الخطيئة لا تورث ـ كما سيأتي تفصيله ـ إذاً هي مبنية على أساس منهار فانهار بها وبأهلها في سواء الجحيم[3].

ويؤكد هؤلاء المهتدون أن المسيح عليه السلام لم يتحدث عن هذه القضية، ولم ترد في كلامه، بل الذي ورد في كلامه خلاف ذلك[4]. وكما لم ترد على لسان المسيح، فكذلك لم ترد على ألسنة الحواريين الذين تتلمذوا على يدي المسيح وشاهدوا كافة أحواله منذ بعثته وحتى رفعه الله إليه[5]. ولكنها من تعاليم بولس ـ الضال المضل ـ الذي أراد أن

(١) انظر ص٤٥٧ من هذا البحث .

(٢) سورة البقرة ، الآية ٣٧ .

(٣) انظر سر إسلامي، ص ٧٧. والمسيح إنسان أم إله ، ص ١٣٩ – ١٤٢ .

(٤) انظر الغفران بين الإسلام والمسيحية ص ١٠٧ – ١٠٨ . والإنجيل والصليب ، ص ١٦٤ . ومحمد في الكتاب المقدس ، ص ٨٢. والبحث الصريح، ورقة ١٧ / أ .

(٥) انظر المنارات الساطعة ، ص ٨٩ – ٩٠ .

يهدم المسيحية في أساسها، وينقلها من الوحدانية إلى الوثنية، ومن الإسلام إلى الكفر [1]

المطلب الثالث : نقض هذه القضية :ـ

الدليل الأول : يلزم من هذا أن البشرية منذ آدم حتى المسيح عليه السلام كانت ترزح تحت ثقل الخطيئة الموروثة ، وأن الله قد غضب على هؤلاء البشر جميعهم ، وأدخلهم النار حتى أخرجهم المسيح منها بعد موته وصلبه ... ويبطل هذا بالوجوه التالية :ـ

١ ـ أن الله سبحانه وتعالى اختار رسلاً كراماً في الفترة الواقعة بين آدم والمسيح عليهما السلام، وأكرم هؤلاء الرسل بالكرامات العديدة، ووعدهم بالنعيم المقيم في الدنيا والاخرة، ولم يرد عنهم ولا عن المسيح أنهم مثقلون بالخطيئة، وأنهم بعد موتهم سيذهبون إلى الجحيم حتى يجيء عيسى عليه السلام ليخلصهم منها[2] .

٢ ـ أن المسيح عليه السلام ذكر أنه لم يأت للأصحاء ، وإنما جاء للمرضى، وقال :(لم آت لأدعو صديقين بل خطاة إلى التوبة) ؛ فينتج عن هذا أنه يوجد في عهده صديقون وأصحاء

(١) انظر محمد في التوراة والإنجيل ، ص ٩٥ ، ١٠٣ – ١٠٤ . والمسيح إنسان أم إله ، ص ١٣٩ .
(٢) انظر البحث الصريح ، ورقة ١٦ – ١٧ . والمسيح إنسان أم إله ص ١٣٥ – ١٣٦ .

لم يتدنسوا بالخطيئة الموروثة[1].

٣ ـ أن نصوص العهد القديم ترفض وراثة الخطيئة فبر البار له ثوابه ، وشر الشرير عليه وباله ، وقد جاء في شريعة موسى عليه السلام :(لا يقتل الآباء عن الأولاد ، ولا يقتل الأولاد عن الآباء، كل إنسان بخطيئته يقتل) وجاء أيضاً (في تلك الأيام لا يقولون بعد: الآباء أكلوا حصرماً وأسنان الأبناء ضرست بل كل واحد يموت بذنبه، وكل إنسان يأكل الحصرم تضرس أسنانه[2]) .

الدليل الثاني : أن في هذه الدعوى منافاة للعدل ؛ إذ كيف يترك الله البشر وفيهم الصالحون تحت وطأة العذاب والظلم منذ آدم وحتى المسيح بسبب خطيئة آدم . مع أن من يأتي بعد المسيح من ذرية آدم لا يحمل من هذه الخطيئة مثقال ذرة[3].

الدليل الثالث : أن هذه الحادثة تصور الله ـ سبحانه وتعالى عما يقولون ـ راضياً عمن نفذ الصلب في المسيح ، بل يعتبر المنفذ مأجوراً ؛ لأنه نفذ أمر الله ، ولكن النصارى يعادون اليهود بسبب أنهم قتلة المسيح[4] !!.

(١) انظر البحث الصريح ، ورقة ١٧ / أ .

(٢) انظر الغفران بين الإسلام والمسيحية ، ص ١٠٧ . والمسيح إنسان أم إله ، ص ١٣٦ . والبحث الصريح ، ورقة ١٦/أ.

(٣) انظر المصدر السابق، ورقة ١٦/ب. والغفران بين الإسلام والمسيحية ، ص١١٤ . والإنجيل والصليب، ص١٢٧ – ١٢٨ .

(٤) انظر النصيحة الإيمانية،ص١٠١ .وسر إسلامي،ص٨٣ .ومحمد ﷺ في التوراة والإنجيل،ص١٠٣ ,١٠٤ .

الدليل الرابع : لم يكن المسيح بدعاً من الرسل فقد سبقه عدد من الرسل الكرام أولو العزم : منهم من أغرق الله الأرض بالطوفان لأجل دعائه على أعدائه ، ومنهم من اتخذه الله خليلاً ، ومنهم من كلمه الله تكليماً، ومنهم من سخر الله له الجن والإنس ـ ومع ذلك كيف يبقى هذا السر مكتوماً عن جميع هؤلاء الأنبياء ، وقد شملتهم هم وأقوامهم هذه الخطيئة ـ على زعمهم ـ ولم يكن لهم بها علم ولا خبر[1].

الدليل الخامس: تروي الأناجيل موقفين من مواقف يحيى عليه السلام مع المسيح : فالموقف الأول: عندما عمّد يحيى عيسى عليهما السلام ـ حسب زعمهم ـ سأله : هل أنت النبي الذي سيأتي؟ أم نتوقع واحداً آخر ؟. والموقف الآخر : عندما رأى عيسى عليه السلام قال يحيى: (انظروا حمل الله الذي سيحمل خطيئة العالم). وتعول النصرانية على هذا الموقف الأخير في إقرار حمل الخطيئة وتكفيرها .

ولكن هذا الموقف الأخير لا يمكن أن يصح عن يحيي عليه السلام ؛ لأن هذا اللفظ فيه إلحاد وشرك بالله، والله سبحانه وتعالى يقول عنه :﴿أن الله يبشرك بيحيى مصدقاً بكلمة من الله وسيداً وحصوراً ونبياً من الصالحين[2]﴾. ثم إن هذا التبشير من يحيى بعيسى بهذه المهمة ، وبهذه الصفة التي تخوله بتحمل خطايا العالم يلغي ـ بالطبع ـ رسالة يحيى التي تدعو إلى تحقيق العبودية لله رب العالمين، وإلى التوبة من الخطايا وطلب

---

(١) انظر الإنجيل والصليب ، ص ٧. والبحث الصريح ، ورقة ١٦ / ب .

(٢) سورة آل عمران ، الآية ٣٩ .

المغفرة من الله . وإذا كانت معمودية يحيى طريقة كافية لمغفرة الخطايا؛ فعندئذ يتهافت القول بأن حمل الله يتحمل خطايا العالم[1] .

الدليل السادس : كل الشرائع الإلهية اتفقت على تنزيه الباري عما لا يليق به ، ووصفه بما وصف به نفسه ، إلا هؤلاء القوم فلم يرضوا بذلك حتى صوروا إلههم تصويراً خاصاً بعد أن اقترضوا صورته من الأمم الوثنية[2] .

الدليل السابع : تشتمل الأناجيل على نصوص تؤكد أن المسيح عليه السلام لم يصلب ، فقد جاء في إنجيل لوقا الإصحاح الرابع :(فقاموا وأخرجوه خارج المدينة ، وجاءوا به إلى حافة الجبل الذي كانت مدينتهم عليه ؛ حتي يطرحوه أسفل ؛ أما هو فجاز في وسطهم ومضى) .

وفى إنجيل يوحنا الإصحاح العاشر:(فطلبوا أن يمسكوه فخرج من بين أيديهم) وجاء فيه أيضاً :(أنا أمضي وستطلبونني وتموتون في خطيئتكم ، وحيث أمضي أنا لا تقدرون أنتم أن تأتوا)[3] .

وفى إنجيل يوحنا أيضاً الإصحاح السادس عشر :(خرجت من عند الآب ، وقد أتيت إلى هذا العالم ، وأيضاً أترك العالم وأذهب إلى الآب) وجاء في سفر أعمال الرسل الإصحاح الأول:(الكلام الذي أنشأته يا ثاوفيلس

---

(١) انظر محمد في الكتاب المقدس ، ص ١٧٤ ، ١٩٤ . مع الأخذ بعين الاعتبار أن هذا النقض الأخير من باب الإلزام .

(٢) انظر الإنجيل والصليب ، ص ١٠ .

(٣) انظر المنارات الساطعة ، ص ٧٣ – ٨١. والمسيح إنسان أم إله ص ١٥٤ – ١٥٩ . وسر إسلامي ، ص٨١ – ٨٢ .

عن جميع ما ابتدأ يسوع يفعله ويعلّم به إلى اليوم الذي ارتفع فيه) فلم يذكر قصة الصلب، ولو وقعت لذكرها لصاحبه، وقال يوحنا في إنجيله الإصحاح الثاني عشر: (تكلم يسوع بهذا ثم مضى واختفى عنهم). بل إن هذه الكتب ذهبت إلى أبعد من ذلك فذكرت أنه رفع إلى السماء، وأن المسيح عليه السلام قد أخبر تلاميذه بأنه سيرفع، ولن يقدر عليه اليهود[1].

الدليل الثامن : أثبتت الأناجيل رجوع المسيح عليه السلام إلى هذه الحياة الدنيا في آخر الزمان ، ففي إنجيل لوقا الإصحاح العشرين : (وحينئذ يبصرون أن ابن الإنسان آتٍ في سحاب بقوة كثيرة ومجد) وورد في سفر أعمال الرسل الإصحاح الأول إثبات رفعه إلى السماء ومجيئه في آخر الزمان حيث يقول :(إن يسوع هذا الذي ارتفع عنكم إلى السماء سيأتي هكذا كما رأيتموه منطلقاً إلى السماء[2]) .

الدليل التاسع: أن المسيح حمّل اليهود دم الأنبياء الذين قتلوهم ، ووبخهم على ذلك ، ولم يذكر أنهم سيقتلونه، بل ذكر أنهم يطلبونه ولا يقدرون عليه[3] .

الدليل العاشر: إن هذا المبدأ غير معقول المعنى؛ بل هو الظلم المحض ؛ لأن الذنب يغفر بالتوبة والندم والاستغفار ، ومضاعفة العمل الصالح،

---

(١) انظر المنارات الساطعة ، ص ٤٦ ، ٧٨ – ٨١ .

(٢) انظر المصدر السابق ، ص ٩٧ – ٩٨ .

(٣) انظر محمد ﷺ في التواة والإنجيل ، ص ١٧٥ .

وبالإضافة إلى أنه غير معقول فهو مختل وساقط ؛ لأن الإنسان لا يولد بخطيئة، كما أن الله لا يطلب ثمناً لمغفرة الخطايا، ولأن الذنب يضر جانيه، ولا يؤذي الله سبحانه وتعالى، ولأن مبدأ العوضية أو الاستعاضة ظلم وقسوة لا يليق بجلال الله[1].

الدليل الحادي عشر : ثبت في التوراة وفي رسائل بولس أن المصلوب على خشبة ملعون ونجس . وكيف يصح أن النجس يهب الطهارة لغيره؟ والملعون كيف يطهر المخطئين ؟ إنه بحاجة إلى من يطهره من الرجس والدنس[2] .

الدليل الثاني عشر : تدعى النصرانية أنه بمجيء المسيح وصلبه بطل الموت والأثم ، وربط الشيطان ، وسلمت البشرية منه ... والمتأمل لواقع البشرية منذ ذلك اليوم يجد أن المسيح عليه السلام لم يعمل الخلاص الذي أمِّل فيه ؛ فلا زال الموت سارياً في البشرية ، ولا يزال الشيطان يمكر بأوليائه ويوردهم موارد العطب والهلاك ، ولا تزال ـ أيضاً ـ العقوبات المتوعد بها البشر في سفر التكوين من النصب والألم والكدح ...قائمة في حياتهم. وإذا كانت النصارى تعتقد أن الخطيئة بطلت بموت المسيح فالذين قتلوه وصلبوه غير آثمين؛ بل كل من تراه يزني أو يسرق أو يقتل فهو غير خاطيء؛ لأن الخطيئة بطلت ورفعت .

---

(١) انظر الغفران بين الإسلام والمسيحية ، ص ١١٧ – ١١٩ . ومحمد ﷺ في التوراة والإنجيل ، ص ١٠٣ .

(٢) انظر سر إسلامي ، ص ٨٦ – ٨٨. ومحمد ﷺ في التوراة والإنجيل ، ص ٩٧ .

ولكن يتوجه سؤال مفاده : إذا كان النصراني يعتقد أن الخطيئة بطلت بسفك دم المسيح على خشبة الصليب ، فما الذي يدفعه إلى الذهاب إلى الكنيسة والاعتراف أمام كاهنها بما اقترفه من آثام وطلبه منه المغفرة ؟؟ ألم تبطل الخطيئة ؟ ألم يمنحهم دم المسيح العيش في ملكوت السماء والتنعم بالفردوس[1] ؟؟.

الدليل الثالث عشر : يغلو النصارى في هذه الحادثة ومدلولاتها ، فيدعون أن المسيح عليه السلام قتل وصلب طائعاً مختاراً؛ ليرفع خطايا العالم ، وهذا الادعاء ليس صحيحاً لما يأتي :ـ

أ ـ ليس صحيحاً أن المسيح جاء طائعاً مختاراً ليموت من أجل البشر، فقد نقلت عنه الأناجيل أقوالاً متعددة يتضرع فيها إلى الله يطلب منه أن يصرف عنه كأس المنون ، كما طلب من تلاميذه السهر على حراسته وحمايته .

ب ـ أن هذا التصور دخل النصرانية نتيجة للتصور الوثني عن الآلهة التي لا ترضى إلا بسفك الدماء وقتل الأبرياء[2] .

جـ ـ أن المسيح كما ثبت في الأناجيل لم يقتل ولم يصلب بل رفعه الله إليه ، وقد سبقت الإشارة إلى ذلك .

---

(١) انظر البحث الصريح ، ورقة ١٥-١٦ والنصيحة الإيمانية ، ص ١٠١ وسر إسلامي ، ص ٧٩ .

(٢) انظر الغفران بين الإسلام والمسيحية ، ص ١١٥ - ١١٦ . والمسيح إنسان أم إله. ص ١٢٦ـ١٢٧.

الدليل الرابع عشر : أن هذا المبدأ ينقل النصرانية من ديانة موحدة إلى ديانة وثنية تعبد الصنم وتقدسه[1] .

الدليل الخامس عشر : يجزم كل من المهتدي عبد الأحد داود وإبراهيم خليل والهاشمي بأن حادثة الصلب وقيامة المسيح من قبره ما هي إلا أسطورة وخرافة خادعة، ويقول المهتدي عبد الأحد :(ولقد كانت نتيجة تتبعاتي وتحقيقي أن اقتنعت وأيقنت أن قصة قتل المسيح عليه السلام وصلبه ثم قيامه من بين الأموات قصة خرافية[2]) .

الدليل السادس عشر : العقل الصحيح والفطرة السليمة السالمة من المؤثرات الخارجية ترفض هذا المبدأ تصوراً وحكماً ، بل إن القوانين الوضعية التي وضعها البشر ـ على ما فيها من نقص وتعسف وظلم ـ لا تقر مثل هذا المبدأ في عقاب الجناة وردهم إلى الصراط السوي ، فكيف يقبل مثل هذا الظلم في جنب الله وهو الحكم العدل وأحكم الحاكمين.

الدليل السابع عشر: التباس الروايات واختلافها حول الحادثة يبطل الاستدلال بها ، فقد اختلفوا حوله اختلافاً كثيراً ، فمن ذلك:-

١ ـ الاختلاف حول شخصية الضحية فاليهود الذين أرادوا قتله لم يكونوا يعرفونه، واستأجروا من يدلهم عليه ، وحتى بعد أن دلهم عليه لم يكونوا متأكدين أنه هو؛ لأنهم وجهوا إليه عدداً

---

(١) انظر الإنجيل والصليب ، ص٨. والنصيحة الإيمانية ، ص ٧٤ .

(٢) الإنجيل والصيب ، ص ١٢ . وانظر محمد ﷺ في التوراة والإنجيل ، ص ١٦٨ – ١٦٩ . وسر إسلامي ، ص ٨٣

من الأسئلة للتأكد منه كقولهم : أنت المسيح[1] ؟ .

٢ ـ اختلفت الأناجيل في حكاية مثوله أمام المحكمة ، كما اختلفت في العبارات الصادرة منه والصادرة إليه .

٣ ـ اختلفوا ـ أيضاً ـ في حامل الصليب فيذكر متى ولوقا أن سمعان هو الذي حمل الصليب، بينما يقر يوحنا أن المسيح هو الذي حمله .

٤ ـ اختلفوا في موقف المسيح من الصلب : فنراه عند متى ومرقس فزعاً مذعوراً ، ولكن لوقا يصوره راضياً قانعاً مستسلماً[2] .

٥ ـ الاختلاف في توقيت ذبح الضحية فيروي لوقا في الإصحاح الثالث عشر: أنه ذبح منذ إنشاء العالم ، وحادثة الصلب وقعت في زمن بيلاطس كما زعموا[3].

٦ ـ ينفرد متى عن الجميع بذكر حادثة موغلة في الخيال حيث يروى أن الأرض تزلزلت ، والصخور تشققت، وتفتحت قبور القديسين وقام كثير منهم من قبورهم لما أسلم المسيح الروح[4].

وبعد أن منّ الله عليّ بتفنيد الجانب الأول من جوانب قضية الصلب وهو إبطال صلب المسيح وفداء البشرية ، وتطهيرهم من الخطيئة الموروثة . ننتقل إلى تبعة من تبعات هذا المبدأ وهو حق رجال الدين النصارى في غفران الذنوب ومحو الخطايا .

---

(١) انظر المنارات الساطعة ، ص ٧٣ – ٧٤ .

(٢) انظر المسيح إنسان أم إله ، ص ١٣١ – ١٣٤ .

(٣) انظر البحث الصريح ، ورقة ٨ / أ .

(٤) انظر المسيح إنسان أم إله، ص ١٣٤ – ١٣٥ .

المطلب الرابع : غفران الذنوب :ـ

امتداداً للمبدأ السابق لم يُرِدْ النصارى أن ينفرد المسيح عليه السلام بهذا الشرف الرفيع ـ على حد زعمهم ـ وهو مغفرة الخطايا ومحو الذنوب؛ بل أرادوا أن يكون لهم نصيب من هذا الشرف؛ ليستعبدوا به العباد ، ويستنزفوا أموالهم من خلاله ، ويدخلوا من شاءوا في جنات النعيم، ويحكموا على من يعادون في دركات الجحيم ، ولأجل تحقيق هذه الغاية ضمّنوا كتبهم بعض العبارات التي تخولهم هذا الحق ، بأن منحوا رئيس الحواريين مرتبة لا يبلغها ملك مقرب ولا نبي مرسل ، فكل ما يحله على الأرض يكون محلولاً في السماء ، وكل ما يربطه على الأرض يكون مربوطاً في السماء[1] . وخافوا أن ينفرد بطرس بهذا اللقب فضمّن يوحنا كتابه نصاً يجعلهم أصحاب الحق في وراثة هذا المنصب من بعده وذلك قول يوحنا:(من غفرتم للناس خطاياه تغفر له، ومن أمسكتم خطاياه أمسكت[2]) .

إذاً بطرس هو الأصل والأساس في تقرير هذا المبدأ في اعتقاد النصارى ، ولم يثبت أن المسيح عليه السلام أمر به أو أقره في حياته ، كما لم يثبت أن أحداً من أصحابه اعترف أمامه بذنوبه وخطاياه وطلب منه المغفرة[3] .

(١) ولكنهم غفلوا عن أن المسيح عليه السلام قد وصم هذا الدعي ـ كما في كتبهم ـ بقوله :اذهب عني، ياشيطان ، أنت معثرة لي ؛ لأنك لا تهتم بما لله لكن بما للناس) متى ١٦ : ٢٣. ولوقا ٨ : ٣٣ .

(٢) انظر لتأصيل هذه المسألة تحفة الأريب، ص ١٧٠ – ١٧٣ . ومحمد ﷺ في التوراة والإنجيل ، ص ١٧٠ – ١٧١ . والمسيح إنسان أم إله ، ص ١٣٩ – ١٤٠ .

(٣) انظر تحفة الأريب ، ص ١٧١ – ١٧٣ . والغفران بين الإسلام والمسيحية . ص ١٠٧ .

وإذا سقط وامتنع وجود الشفيع المطلق والمخلص الفادي فسقوط وامتناع الشفعاء والوسطاء الذين هم دونه متحقق لا محالة ، وإذا لم تثبت هذه المرتبة للأنبياء والرسل صلوات الله وسلامه عليهم فعدم ثبوتها لهؤلاء من باب الأولى ، وانفراد النصرانية بها دليل على شذوذها وتهافتها .

وقد يحتجون بأن المسيح عليه السلام غفر لبعض بني إسرائيل . ولا حجة لهم في ذلك؛ لأننا نطالبهم بصحة نقل هذا الخبر، وأني لهم ذلك، ثم نحتج عليهم بما جاء في كتبهم من أن الله أقام لبني إسرائيل ملكاً يغفر ذنوبهم [1]. ولكن المغفرة الواردة هنا غير المغفرة التي تدعيها النصارى؛ لأنها وردت على هيئة خاصة ، وعلي أيدي أفراد مخصوصين ، وقد تكون بمعنى الإخبار عن مغفرة الله له. لأنه لا يغفر الذنوب إلا الله ، لا أن حق المغفرة أصبح كلأ مباحاً وملكاً مشاعاً .

---

(١) انظر النصيحة الإيمانية ، ص ١٢١ .

المبحث السابع : انحراف أهل الكتاب عن دينهم

أخبر الله تعالى في محكم تنزيله عن تخلي أهل الكتاب عن دينهم ومشابهتهم في اعتقادهم للذين كفروا من قبلهم: ﴿وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنى يؤفكون[1]﴾.

وكذلك أكد هؤلاء المهتدون على أن أهل الكتاب ضلوا ضلالاً بعيداً عن هدى أنبيائهم ، واتبعوا أهواءهم، وعاثوا في دينهم؛ تلبية لنداء الشهوة، وانسياقاً وراء الشبهة، وتحقيقاً لرغبة الأمم المتسلطة عليهم، ومسايرة للأقوام والشعوب التي خالطتهم واختلطت بهم، ولم يردعهم خوف من الله، ولم تمنعهم قداسة شريعة، ولا حرمة كتاب، ولا كرامة نبي.

وقد تجلى هذا الانحراف والضلال في صور متعددة سبق إليها اليهود وقبل أكثرها النصارى مشابهة وتقليداً، وابتدعوا لها صوراً أخرى. فأما الصور التي ابتدعها اليهود فهي كالتالي :-

١ ـ يعتقد المسلمون وكافة أتباع الديانات الإلهية السابقة أن الله سبحانه وتعالى ينبغي أن يوصف بصفات الكمال ونعوت الجلال مما ورد الشرع بإثباتها وتنزيهه عما لا يليق به، بل حتى إن الأمم

---

(١) سورة التوبة ، الآية ٣٠ .

الوثنية تولي آلهتها التكريم والإجلال، ولا تقبل بأي حال من الأحوال أن توجه إليها الصفات المزرية أو القبيحة؛ ولكن اليهود ـ هذه الأمة التي توافرت عليها الأنبياء على هيئة لم تتحقق لأي أمة من الأمم ـ كانت على النقيض من ذلك فوصفت الباري سبحانه وتعالى بأقذع الصفات التي لم ترد عن أى أمة من الأمم، فلم يسبقوا إلى ذلك ولم يلحقهم أحد بمثله والحمد لله[1].

وكما تطاولوا على الله سبحانه فقد قتلوا أنبياءه ونسبوهم إلى عبادة الأوثان والسحر والزنى[2].

٢ ـ ادعاء أن العزير ابن الله[3].

٣ ـ استبدلوا بالوحدانية الوثنية، وبالإسلام الكفر فاتخذوا الأصنام، وأحضروا لها السدنة لتعظيمها وتعليم عبادتها وابتنوا لها البيع العظيمة[4].

٤ ـ تحريف التوراة وتبديلها وسيأتي في آخر هذا الباب تفصيل ذلك إن شاء الله.

---

(١) قد يقول قائل إن النصارى تطاولت على الله أعظم من ذلك فنسبوا إليه الصاحبة والولد ولكن لا تنس أن بولس اليهودى هو الذى وضع بذرة هذا الضلال بإدعائه أن المسيح ابن الله.

(٢) انظر إفحام اليهود، ص١٢٨ ، ١٣١ - ١٣٥ ، ١٤٤ - ١٤٦ . ومسالك النظر في نبوة سيد البشر، ص ٦٣ ، ٦٥ ، ٧١ .

(٣) انظر المصدر السابق ، ص ٧١ .

(٤) انظر المصدر السابق ، ص ٧٠ - ٧١ . وإفحام اليهود ، ص ١١٤ .

٥ ـ تغيير الشرائع واستبدالها ، وابتداع السنن وإلحاقها بالفرائض، ولا يستغرب هذا من أمة تطاولت على الباري وقتلت أنبياءه[١].

٦ ـ التشديدعلى أنفسهم بتحريم الحلال واعتقاد أن ذلك هو الدين (لأن هؤلاء القوم يعتقدون أن تضييق المعيشة وتحريم المحللات هو المبالغة في الدين والزهد، وهم ـ أبداً ـ يعتقدون أن الحق مع من يضيق عليهم ! ولا ينظرون هل يأتي بدليل أم لا ؟!، ولا يبحثون عن كونه محقاً أم مبطلاً [٢] ؟!) .

٧ ـ التفرق والاختلاف[٣].

أما الصور التي ابتدعها النصارى فهي :ـ

١ ـ ادعاء أن المسيح ابن الله . وقد مر هذا الاعتقاد بعدة مراحل حتي رسخ على هيئته النهائية ، وقد تقدم الكلام حول تفصيل هذا التحول .

٢ ـ التأثر بالأمم الوثنية في عقائدها من القول بالتثليث وبنوة المسيح والتجسد ، وقد سبق ـ أيضاً ـ تفصيل ذلك .

٣ ـ نظراً للاختلاف الشديد والتنازع على أركان الاعتقاد النصراني لجأت هذه الأمة إلى المجامع لتعرض عليها مواطن الخلاف ومواضع الشقاق ، ولم تلتزم هذه المجامع الحق ، ولم تتوخ

---

(١) انظر المصدر السابق ، ص ١٤١ – ١٤٣ ، ١٥٩ – ١٦٠ ، ١٧٧ .

(٢) المصدر السابق ، ص ١٧٦ .

(٣) انظر المصدر السابق ، ص ١٧١ .

الصواب ؛ فساهمت في انحراف النصرانية عن دينها، وقررت لها كثيراً من العقائد الباطلة[1].

٤ ـ كما تأثرت هذه الأمة بالوثنيين فقد تأثرت بالفلاسفة وعلى الأخص الفلسفة الأفلاطونية الرواقية التي تعتبر المادة والجسم شراً وخبثاً[2].

٥ ـ توسعة نطاق دعوة المسيح لتشمل جميع الأمم . وذلك أن المسيح عليه السلام لم يرسل إلا لبني إسرائيل ، ولم يكلف برسالة عامة، وقد نقلت عنه الأناجيل قوله :(لم أرسل إلا إلى خراف بني إسرائيل) ولكن الذين جاءوا بعده جعلوها رسالة عامة ، ودعوا جميع الأمم[3].

٦ ـ اتخاذ الصور والصلبان في كنائسهم ومعابدهم وتعظيمها وعبادتها[4] .

٧ ـ محاولة التوفيق بين الدين والأتباع والنظم السياسية المحيطة، وذلك بالتخلي عن بعض شعائره وعباداته، أو التعبد بما لم يرد الشرع بالتعبد به[5].

---

(١) انظر محمد ﷺ في التوراة والإنجيل والقرآن ، ص ١٥٩ . والإنجيل والصليب ، ص ٢١٧ .

(٢) انظر محمد ﷺ في التوراة والإنجيل والقرآن ، ص ٥٩ .

(٣) انظر الإنجيل والصليب ، ص ٦٣ . والمنارات الساطعة ، ص ٩٠ .

(٤) انظر النصيحة الإيمانية ، ص ٧٥ . ومسالك النظر ، ص ٧٩ .

(٥) انظر الإنجيل والصليب ، ص ٨٦ – ٨٧ . ومحمد ﷺ في التوراة والإنجيل والقرآن، ص ١٥٦ .

٨ ـ افتقاد الكتاب الأصل الذي عليه المعول في دينهم ، واستبدال غيره به من الكتب التي ظلت أكثر من ثلاثمائة سنة لم تعتمد بشكل نهائي ، ولا تسل عن أمة افتقدت مصادرها؛ فإنها بالطبع ستنهل من كل منهل[1] .

ومع نهاية هذا الفصل وبداية الفصل التالي يتجه البحث وجهة أخرى، فلئن كانت وجهة البحث في هذا الفصل هي نسف الضلالات، وكشف الظلمات ، وتفنيد المعتقدات الباطلة؛ فإن وجهة البحث في الفصل التالي ستكون إزاحة ركام القرون عن شاهد من شواهد النبوة، واستنطاق نصوص سلمت في جملتها من تحريف المحرفين، وسلامتها شهادة على أهل الكتاب بما جحدوا من الحق .

(١) انظر الإنجيل والصليب ، ص ١٩ وسيأتي ضمن هذا الباب فصل خاص عن التحريف انظر ص ٦٥٥ .

انتهى الجزء الأول، ويليه الجزء الثاني وأوله :
الفصل الثاني : إثبات نبوة نبينا محمد ﷺ.



تأليف

الدكتور محمد بن عبد الله السحيم

المجلد الثاني



الفصل الثاني

إثبات نبوة نبينا محمد ﷺ
ويشتمل على المباحث التالية : ـ

١ ـ الأدلة الدالة على نبوة نبينا محمد ﷺ .

٢ ـ بشارات الأنبياء بنبينا محمد ﷺ .

المبحث الأول
الأدلة الدالة علي نبوة نبينا محمد ﷺ

أرسل الله سبحانه وتعالى رسوله محمداً ﷺ إلى الناس كافة بشيراً ونذيراً ، وأيده بالآيات الظاهرة، وكـتب الله لبـعض هذه الآيات الدوام والخلود إلى أن يأذن الله برفعها ـ كالقرآن الكريم ، وإظهار الدين، والنصر بالرعب يقذفه الله في قلوب الكفار ـ وجعل الله بعضها آية لأهل زمانه بالمشاهدة والمعاينة، وآية لمن بعدهم بالإخبار الصادق عنها كسائر آياته المحسوسة التي لا تعد ولا تحصى. وأول هذه الأدلة هو :

١ ـ القرآن الكريم يقول الرسول ﷺ :(ما من الأنبياء نبي إلا أعطى ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيت وحياً أوحاه الله إليّ ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة[١]) . وهذا الوحي هو كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، وقد عمد هؤلاء المهتدون إلى كتاب الله يتدبرونه ويقارنونه بما لديهم من كتب إلهية محرفة، وبما عهدوه من كتب بشرية متقنة ، وبما فتح الله عليهم من آفاق المعارف الحديثة، والاكتشافات العلمية؛ فخرجوا من هذه المقارنات بما يأتي :

(١) رواه البخاري في صحيحه واللفظ له في كتاب فضائل القرآن ، باب ١ ، ومسلم في صحيحه كتاب الإيمان ، حديث ٢٣٩ .

أ ـ قارن المهتدي الطبري بين القرآن وسائر الكتب المخلدة ؛ فرأى أن الكتب المخلدة المتقنة لا تعدو أن تكون في آداب الدنيا ، وأخبار أهلها، وهذه لا يمكن أن تقارن بكتب التنزيل؛ لاختلاف الغرض فيقول :(إني لم أجد لأحد عربي ولا عجمي هندي ولا رومي كتاباً جمع من التوحيد والتهليل والثناء على الله عزو وجل، والتصديق بالرسل والأنبياء، والحث على الصالحات ..مثل هذا القرآن منذ كانت الدنيا) . ثم قارن بينه وبين الكتب الإلهية المحرفة فوجد أنها تشتمل على أنساب أهلها وسيرهم وانتقالهم ، وأسماء المنازل التي نزلوها، مع بعض السنن والشرائع؛ أما القرآن فهو كما يقول :(منسوج بالتوحيد والتهاليل والتحاميد والسنن والشرائع والخبر والأثر والوعد والوعيد والرغبة والرهبة ، والنبوات والبشارات الجميلة التي تليق بجلال الله وحكمته...ولذلك استحق أن يقال: إن هذا الكتاب آية من آيات النبوة؛ إذ لم يكن له نظير مذ خُلق الخلق[1]) .

ب ـ عقد المهتدي بوكاي مقارنة بين القرآن والتوراة والإنجيل ونتائج الدراسات العلمية، وكان موضوع المقارنة خلق السموات والأرض، والطوفان، وخلق الإنسان؛ وخرج من هذه المقارنة أن القرآن متفق مع الاكتشافات العلمية الحديثة بينما خالفت التوراة والإنجيل باحتوائهما على معلومات مخالفة للحقيقة[2] .

جـ ـ الفصاحة والبلاغة والإعجاز في لفظه ومعناه يوضح ذلك

(١) الدين والدولة ، ص ٩٨ – ١٠٣ . وانظر أيضاً النصيحة الإيمانية ، ص ١٤٢ – ١٤٣ .

(٢) انظر القرآن والتوراة والإنجيل والعلم ، ص ١٧ وما بعدها . وما أصل الأنسان ، ص ١٤٥ وما بعدها .

السموأل بقوله :(فشاهدت المعجزة التي لا تباريها الفصاحة الآدمية في القرآن؛ فعلمت صحة إعجازه[1]) .

٢ ـ التواتر الذي نقلت به نبوته ورسالته ، وهو ـ أي التواتر ـ دليل ثابت في العقل، وهو الطريق الذي من خلاله آمنت اليهود والنصارى بموسى وعيسى عليهما السلام ؛ لأنهم لم يشاهدوا المعجزات التي أظهرها الله على أيديهما، ولا حجة لهم في قبول نبوتهما إلا التواتر، وهذا التواتر موجود لنبينا محمد ﷺ ، وإذا آمنوا بنبوة موسى وعيسى بمجرد التواتر فقد لزمهم وجوب التصديق بنبوة نبينا محمد[2] .

٣ ـ شهادة الأمم العظيمة بنبوته[3]. فقد شهد له بذلك العرب والعجم مسلمهم وكافرهم .

٤ ـ نصب المهتدي الطبري عدداً من المقاييس والشواهد الدالة على نبوته والتي من أدلى بها فقد وجب تصديقه والإيمان برسالته، وهذه المقاييس أو الشواهد لم أجد من سبقه إليها في الإحاطة بها. وهي :ـ

أ ـ توحيده ﷺ ودعاؤه إلى ما دعا إليه إبراهيم وجميع الأنبياء عليهم السلام ، ودلت العقول الصحيحة عليه .

---

(١) إفحام اليهود ، ص ٥٤ وانظر ١٨٨ منه . والإنجيل والصليب ، ص ٢١٧ .

(٢) انظر إفحام اليهود ، ص ٥٨ – ٥٩ ، ٩١ – ٩٣ ، ١٠٣ – ١٠٧ فقد شرح هذا الدليل شرحاً وافياً، وفند كل شبهة ترد عليه ، وآثرت الإحالة عليه رغبة في الإيجاز. وانظر الدين والدولة ، ص ٢٠٤ – ٢٠٥ .

(٣) انظر إفحام اليهود ، ص ١٨٨ .

ب ـ ما كان من نسكه وعفته وصدقه ومحمود سننه وشرائعه ، وقارن بين شريعته ﷺ وشريعة موسى وعيسى عليهما السلام، وبيّن أن شريعته هي شريعة العدل.

جـ ـ إظهار الله على يديه الآيات التي لا يأتي بها إلا الأنبياء، ومنها الإسراء، وحماية الله له من أعدائه، وانتصاره يوم بدر وحثوه التراب في وجوه أعدائه، واستسقاؤه، وتكثير الطعام، وآية الشاة المسمومة، وغير ذلك .

د ـ إخباره عن أمور غائبة تمت في أيامه من وعد الله لأصحابه بدخول الحرم ، ووعد المنافقين لإخوانهم أهل الكتاب أن يخرجوا معهم إذا أخرجوا ، وإخباره أن الكفار يمكرون به ليقتلوه أو يخرجوه، وأن الله سيمكر بهم ، وإخباره خالد بن الوليد أنه يجد صاحب دومة الجندل يتصيد البقر، فوجده كذلك .

هـ ـ أنه تنبأ على حوادث جمة من حوادث الدنيا ودولها صحت بعده، منها نعي نفسه لأمته، وإخبارهم بدخول الناس أفواجاً في دين الله، ومنها وعد الله للذين آمنوا بالاستخلاف، ومنها إظهار دينه ..

و ـ أن الكتاب الذي جاء به آية من آيات النبوة مع أميته ﷺ .

ز ـ غلبته للأمم آية من آيات النبوة ؛ وذلك أنه دعا العرب قاطبة والأمم عامة، إلى الإيمان بالله عز وجل ـ والناس يرمونه عن قوس واحدة، ويزدرون به ـ فمضى لما أمره الله لا يلتفت، فلما رآهم ينتبذون أمره، ولا يدخلون في دين الله طوعاً؛ أدخلهم الله كرهاً حتى ظهرت الدعوة ، ودانت له العرب قاطبة، وخضعت له الأمم .

حـ ـ أن الداعين إلى دينه والشاهدين بحقيقة أمره كانوا خيار الناس وأبرارهم .

ط ـ أنه لو لم يظهر لبطلت نبوات الأنبياء في إسماعيل وفيه عليهما الصلاة والسلام[1] .

ى ـ شهادة الأنبياء له وذكر اسمه، ووصف خبره وزمانه وبلده ومبعثه وأنصاره [2] .

وبعد عرض الأدلة التي استدل بها هؤلاء ننتقل إلى ما يسمى اصطلاحاً بنبوات الأنبياء وبشاراتهم بنبينا محمد ﷺ ، وهو ما سيكون الحديث عنه في المبحث التالي .

(١) سأذكر هذه البشارات والنبوات في المبحث التالى إن شاء الله .

(٢) انظر الدين والدولة ، ص ٥٤ .

المبحث الثاني
بشارات الأنبياء بنبينا محمد ﷺ

لقيت بشارات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بنبينا محمد ﷺ عناية فائقة من قبل هؤلاء المهتدين ، كما لقيت العناية نفسها من قبل علماء الإسلام ؛ فأفردوا لها المصنفات الخاصة، كما أوردوها ضمن مؤلفاتهم في مجال مجادلة أهل الكتاب[1]، وليس الغرض من الاحتفاء بهذا الجانب الثر ـ التدليل على نبوته ﷺ؛ لأن الأدلة على ذلك قد استفاضت: بخبر الله عنه ، وبخبره عن نفسه، وبالآيات التي أظهرها الله على يديه، وعاينها خيار الخلق، ونقلها الثقات العدول إلى من خلفهم، وإنما الغرض من ذلك إلزام أهل الكتاب بما في أيديهم من كتبهم بقبول نبوته والتصديق بها، والإذعان لها، والتخلي عن الكفر والعناد والمكابرة .

---

(١) ذكر د. الشرقاوي في مقدمة تحقيقه لكتاب « مسالك النظر في نبوة سيد البشر» : (أن المهتدين من علماء اليهود والنصارى هم الذين رادوا طريق البحث والكشف عن البشارات وقدموا ـ بهذا العمل الجليل ـ مادة علمية مهمة لعلماء المسلمين الذين كتبوا في أعلام النبوة ودلائلها ، ونبهوهم إلى أهمية مراجعة الكتب القديمة والتعرف على مواضع هذه البشارات في التوراة والإنجيل) ص ٣٦ وهذا كلام فيه شيء من المبالغة من جانب ، ومن جانب آخر فيه غمط لعلماء المسلمين ؛ فإن الذي دفع علماء الإسلام لريادة هذا المجال هو ما ورد في القرآن الكريم والسنة المطهرة من وجود خبره ﷺ وخبر أمته في كتب أنبياء بني إسرائيل هذا بالإضافة إلى اطلاعهم على النسخ العربية للتوراة والإنجيل التي كانت متداولة بين أيديهم ، ولا شك أن هؤلاء المهتدين قد قدموا بعض البشارات مترجمة عن مصادرها الأصلية التي لم تكن معروفة لدى علماء المسلمين .

وقد أخبرنا الله سبحانه وتعالى في محكم تنزيله عن بعض خبره في التوراة والإنجيل فقال : ﴿محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلاً من الله ورضواناً سيماهم في وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجراً عظيماً[1]﴾ وقال تعالى عن عيسى عليه السلام أنه قال : ﴿إني رسول الله إليكم مصدقاً لما بين يدي من التوراة ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد[2]﴾.

كما أخبرنا الله عن دعوة أبوينا إبراهيم وإسماعيل ببعثة هذا النبي بقولهما : ﴿ربنا وابعث فيهم رسولاً منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم[3]﴾فاستجاب الله دعاءهما وبعث هذا النبي الخاتم سيد الأنبياء والمرسلين ﷺ .

ورغم التحريف والتبديل المتعمد الذي أصاب العهدين القديم والجديد، إلا أن الله أعماهم عن آيات كثيرة سلمت من التحريف لتكون حجة عليهم، كما أن هؤلاء المهتدين بحكم معرفتهم باللغات الأصلية التي كتبت بها تلك الكتب استطاعوا أن يرجعوا إلى النسخ القديمة

---

(١) سورة الفتح ، الآية ٢٩ .

(٢) سورة الصف ، الآية ٦ .

(٣) سورة البقرة ، الآية ١٢٩ .

للتوراة والإنجيل ويستخرجوا منها البشارات قبل تحريفها[1] ؛ إرغاماً للخصم، وإظهاراً للحق. وهذه البشارات منها ما هو في العهد القديم ومنها ما هو في العهد الجديد، لذلك سأقسم هذا المبحث إلى قسمين أو مطلبين هما :

المطلب الأول : البشارات الواردة في العهد القديم :ـ

الأول : بشارات سفر التكوين :ـ

البشارة الأولى : جاء في سفر التكوين الفصل التاسع بشارة الملك جبريل عليه السلام لهاجر بقوله :(فإني سأكثر ذريتك وزرعك، حتى لا يحصون كثرة، وها أنت تحبلين وتلدين ابناً وتسميه إسماعيل؛ لأن الله قد سمع تبتلك وخشوعك، وهو سيكون عير الناس، وتكون يده فوق الجميع، ويد الجميع مبسوطة إليه ، ويكون مسكنه على تخوم إخوته[2]) وقد ذكر المهتدي عبد الأحد داود أن النصارى قاموا بترجمة «وفير» أو

(١) يقول المهتدي الهاشمي نقلاً عن أحد المؤرخين الألمان أن أحد الرهبان قال : (إن صفات محمد مكتوبة عندهم في الوضائع المختومة التي لا يمكن أن تكون في تناول اليد) سر إسلامى ، ص ١٢٠ .

(٢) الدين والدولة ، ص ١٣١ . وانظر مسالك النظر، ص ٥١. وتحفة الأريب ، ص ٢٥٨ . ومحمد في الكتاب المقدس، ص ٦٠ – ٦١ وهذا النص في الطبعات الحديثة في الإصحاح ١٦ . وسأعتمد في هذه البشارة وفيما تلاها من البشارات أن أورد النص حسب وروده عند الأقدم منهم بما في ذلك الإحالة على موقعه من النسخ القديمة، ثم أشير إلى مكان وجوده في كتب العهدين فى الطبعات المحدثة إن رأيت الحاجة مقتضية ذلك .

« كثير » إلى معنى مغاير لحقيقة اللفظ ألا وهو « الحمار الوحش » . وقد وردت هذه اللفظة لدى الترجمان «ويكون عين الناس» وفى أحد النسخ الخطية لذلك الكتاب وردت هكذا «أعز الناس » . وقد وردت في الطبعات المحدثة :(وأنه يكون إنساناً وحشياً[1]) . وقد دافع الطبري عن وصف إسماعيل بهذا اللفظ ، واعتبره وصفاً صحيحاً؛ وعلل ذلك بأن لألفاظ التنزيل وجوهاً وأسراراً لا يعرفها إلا الراسخون في العلم ، وقد أوّل إطلاق هذا الوصف على إسماعيل بأنه يشتمل على عدة معان : منها أن الله تبارك وتعالى أشار بهذا الاسم إلى أن إسماعيل يمنع جانبه ، ويكون غيوراً مغواراً ، وأن الله سماه بهذا الاسم لئلا يجحد مسكنه وهو البرارى ، وأن الله صيّره في تلك البراري ؛ صيانة لنسبه ، وحفظاً لحريته[2] . والذي ترتاح إليه النفس هو ما ذهب إليه عبد الأحد داود إذ عضّد رأيه بدليل يسنده .

البشارة الثانية : ورد في سفر التكوين في الفصل العاشر منه أن الله قال لإبراهيم عليه السلام :(أجبت دعاءك في إسماعيل، وباركت عليه، وكثرته وعظمته جداً جداً، وسيلد اثني عشر عظيماً ، وأجعله لأمة عظيمة[3]) وقد أورد كل من السموءل والإسكندراني نص هذه البشارة

---

(١) الكتاب المقدس ، طبعة البروتستانت ، عام ١٩٧٠ م وسيكون اعتمادي على هذه الطبعة .

(٢) انظر الدين والدولة ، ص ١٣٥ - ١٣٦ .

(٣) الدين والدولة ، ص ١٣١ . وانظر إفحام اليهود ، ص ١١٥ . ومسالك النظر ، ص ٤٦ . ومحمد في الكتاب المقدس، ص ٥٨ . وسفر التكوين الإصحاح : ١٧ .

باللغة العبرية، وفي آخرها لفظة «ماد ماد» فقال الإسكندراني :(شرح العلماء المفسرون للغة العبرانية هاتين اللفظتين هما «مؤدمؤد» منهم من قال: أحمد أحمد. ومنهم من قال: جداً جداً . وقال السموءل: هذه الكلمة « بمادماد» إذا عددنا حساب حروفها بالجُمّل كان اثنين وتسعين، وذلك حساب حروف اسم محمد ﷺ؛ فإنه أيضاً اثنان وتسعون[1]، وإنما جعل ذلك في هذا الموضوع ملغزاً؛ لأنه لو صرّح به لبدلته اليهود وأسقطته من التوراة [2]. وإن أمراً يقول عنه الباري عظيم جداً جداً ، لهو حق عظيم.

كما أن الإسكندراني قد أورد لفظة البشارة باللغة العبرية ثم ترجمه إلى اللغة العربية ونص ترجمته :(وأما إسماعيل فإني باركته وعظمته وجعلت ذريته كنجوم السماء، ومنه محمد ﷺ[3]) . وهذا اللفظ الأخير غير موجود في الطبعات الحديثة .

البشارة الثالثة: في سفر التكوين الفصل الثالث عشر: أن الله قال لإبراهيم :(إني جاعل ابن أمَتك أيضاً لأمة عظيمة؛ لأنه من زرعك[4])

(١) قد لايسلم الاستدلال بهذا الدليل في هذا المقام من الاعتراض والاستنكار ، ولكن الذى سوغ لي إيراده أن هؤلاء المهتدين استدلوا به ، كما أن من علمائنا الإجلاء من استدل به كالقرطبي في كتابة الإعلام بما في دين النصاري من الفساد والأوهام ، فقال عن الاستدلال بهذا الدليل : (وهذا من رشيق الفهم، وملح البحث، وغرائب العلم ص ٢٦٦ ، وذكر هذا الدليل أيضاً رحمت الله الهندي مولف إظهار الحق، جـ٤ ، ص ١١٣٧ ، تحقيق د.محمد ملكاوى، نشر الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء.

(٢) انظر إفحام اليهود ، ص ١١٥ – ١١٦ .

(٣) مسالك النظر ، ص ٤٥ – ٤٦ .

(٤) الدين والدولة ١٣٢ . وانظر محمد في الكتاب المقدس، ص ٥٨. وسفر التكوين الإصحاح ١٧ .

وقد ناقش كل من المهتدي عبد الأحد داود، وإبراهيم خليل ، والهاشمي حق الابن البكر في وراثة عهد أبيه، وأكدوا على أن الذبيح هو إسماعيل وليس إسحاق عليهما السلام[1]، وهذا العهد الموروث هو ما نصت عليه التوراة كما في هذا النص التالي :(إذا كان لرجل زوجتان، وكانت إحداهما مفضلة عنده على الأخرى ، وكان لكل واحدة منهما ولد ، وإذا كان ابن غير المفضلة هو الولد البكر؛ فإن البكر هو المرشح ليحل محل أبيه في تحمل الحكم ، وولاية العهد ، وليس ابن الزوجة المفضلة ، وعليه فإن الولد البكر سوف يرث ضعف ما يرث أخوه[2]) . وهذ العهد يؤكد أن إسماعيل هو الابن البكر صاحب الحق ؛ لأنه لما أبرم العهد بين الله وإبراهيم لم يكن إسحاق قد ولد بعد، وأن صاحب هذا العهد تخضع له الأمم الممتدة من النيل إلى الفرات، ولم تخضع هذه الأمم لإسحاق ولا لذريته ، وإنما خضعت لذرية إسماعيل.

وفي هذه المسألة يتضح التحريف والتناقض : ففي النص السابق إيراده عن سفر التثنية يتبين لمن الحق في إرث البكريّة، ولكنهم أقحموا في سفر التكوين نصاً يناقض هذا النص وهو: (وقال إبراهيم لله ليت إسماعيل يعيش أمامك. فقال الله: بل سارة امرأتك تلد لك ابناً وتدعو اسمه إسحاق

(١) سأضطر إلى تأجيل ما يتعلق بتعيين الذبيح إلى الباب الرابع في الفصل الخاص بالشبه التى فندها هؤلاء المهتدون .

(٢) سفر التثنية ٢١ : ١٥ – ١٧ نقلاً عن محمد في الكتاب المقدس ، ص ٦٢ .

وأقيم عهدي معه عهداً أبدياً لنسله من بعده[1]) فتأمل كيف أقحم هذا النص عنوة للحيلولة دون أن ينفرد إسماعيل عليه السلام وذريته بحقهم الشرعي وفق شريعتهم؛ ودفعهم إلى ذلك الحقد والحسد والعنصرية.

البشارة الرابعة: في الإصحاح الثالث عشر من سفر التكوين وهي بشارة جبريل عليه السلام لهاجر بقوله :(ما بالك ياهاجر؟ ليفرح روعك؛ فقد سمع الله صوت الصبي، قومي أحمليه وتمسكي به، فإن الله جاعله لأمة عظيمة[2]) وقد أورد هذه البشارة المهتدي الإسكندراني بلفظها العبري ثم ترجمها إلى اللغة العربية، ونص ترجمته: (قومي احملي هذا الطفل واحتفظي به؛ فإن منه محمداً وذريته كنجوم السماء[3]) .

البشارة الخامسة : قول الله عز وجل ـ كما في سفر التكوين ـ لإبراهيم عليه السلام حين قرّب ابنه للفداء :(من أجل أنك فعلت هذا الفعل ولم تشفق على ولدك وفردك، فها أنا أقسم بنفسي لأباركن عليك ولأكثرن ذريتك ، ولأجعلنّهم في عدد نجوم السماء ورمل سواحل البحار، ويرث ولدك بلدان أعدائهم، ويتبرك بهم جميع أمم الأرض[4]) .

البشارة السادسة : ورد في سفر التكوين أن إبراهيم قال :(ها أنا ميت

---

(١) انظر محمد في الكتاب المقدس ، ص ٥٥ – ٦٥. ومحمد ﷺ في التوراة والإنجيل والقرآن، ص ٣٧-٤٢. وسر إسلامي ، ص ١١٢ – ١١٣ .

(٢) الدين والدولة ، ص ١٣٢ – ١٣٣. وسفر التكوين إصحاح ٢١ .

(٣) مسالك النظر ، ص ٤٦ – ٤٧. وانظر محمد ﷺ في التوراة والإنجيل ، ص ٦٧. وسر إسلامي ص١١٢ وهذا النص الأخير غير موجود في الطبعات التي بين أيدينا .

(٤) الدين والدولة . ص ١٣٣. ومحمد في الكتاب المقدس . ص ٦٠. ومحمد ﷺ في التوراة والإنجيل والقرآن ، ص ٣٣. وسفر التكوين إصحاح ٢٢ .

ومالي ولد وعقب، وإنما يرثني عبدي وتلاد بيتي . فقال له الرب : كلا لن يرثك هذا ؛ بل يرثك الذي يخرج من صلبك، فاخرج وانظر إلى نجوم السماء، فإن كنت محصياً لها فإنك ستحصي ولدك[1]) وإنما تمت هذه البشارات بظهور النبي محمد ﷺ ، أما قبل ذلك فلم يزل بنو إبراهيم المنتسبون إليه متفرقين في أقطار الدنيا، لا ذكر لهم ولا سلطان، مشردين هنا وهناك، حتى إذا ظهر النبي محمد ﷺ ظهر عزهم، وتوحدت كلمتهم ، وعلا ذكرهم، وسادوا العباد، وعمروا البلاد، ودان لهم الأحمر والأسود، وظهر ذكر إله إبراهيم في الخافقين ، وملأ البحر والبر .

أما اليهودية فإنما ظهرت في طائفة من الناس ، وأما النصرانية فهي وإن ظهرت في أمة كبيرة فلم يكن لهم في بلد إبراهيم ولا في بلاد آبائه، ولا في بلد هاجر وابنها إسماعيل سلطان قاهر ولا عز ظاهر، كما جعل الله ذلك لهم علي يد النبي محمد ﷺ[2].

البشارة السابعة : ما جاء في قصة نوح عليه السلام لما خرج من السفينة أنه اعتزل نساءه خوفاً على ذريته من طوفان آخر[3]، فأوحى الله إليه : يا نوح إرجع إلى أهلك؛ فإني لا أهلك الأرض بعد.« وأن الله عز وجل أراه الأنبياء الذين يخرجون ومن جملتهم محمد ﷺ ، وقال له :

---

(١) الدين والدولة ١٣٣ - ١٣٤ . وانظر التكوين إصحاح ١٥ .

(٢) انظر الدين والدولة ، ص ١٣٤ - ١٣٥ . وتحفة الأريب ، ص ٢٥٩ - ٢٦٠ .

(٣) وهذا لا يليق بنبي الله نوح من سوء الظن بالله ، ولكنه من إدراج أهل الكتاب ، وإنما أوردته هنا لإلزامهم بما ورد في كتابهم .

من أجل هذا النبي ﷺ لا أهلك الأرض بطوفان أبداً»[١] .

البشارة الثامنة : وردت هذه البشارة حسب رواية المهتدي الإسكندراني في صحف إبراهيم أن الله أمر إبراهيم أن يأخذ أربعة من الطير، وأربعة من البقر، وأربعة من الوحش. وأمره أن يقسمهم كل واحد إلى نصفين، وأمره أن لا يقسم العصفور، وأمره أن يدعوهم ففعل إبراهيم ذلك فأتوه سعياً أحياء كما كانوا. وأن الله قال لإبراهيم : هكذا أحيي الموتي ، وأبعث من في القبور[٢]) . وقد قال علماء بني إسرائيل في شرح هذا المقام: إن أجناس الحيوان هم الأمم الذين تقدموا قبل ظهور محمد ﷺ وقد بادوا وانقسم ملكهم. وأن العصفور المذكور هو إشارة إلى إسماعيل وذريته الذين لايبيدون ولا ينقسمون إلى يوم القيامة[٣]) .

وفى بقية هذا الإصحاح مايؤيد هذا التفسير، وهو:(فقال ـ أي الله ـ لأبرام إعلم يقيناً أن نسلك سيكون غريباً في أرض ليست لهم، فيذلونهم أربعمائة سنة، ثم الأمة التي يستعبدون لها أنا أدينها، وبعد ذلك يخرجون بأملاك جزيلة[٤]) .

البشارة التاسعة: رؤيا رآها يعقوب عليه السلام في منامه ، وذلك أنه

---

(١) مسالك النظر ، ص ٤٤ – ٤٥ . وانظر التكوين إصحاح ٩ . وهذه العبارات التى بين القوسين لا توجد في الطبعات الحديثة .

(٢) قارن هذا النص مع الآية ٢٦٠ من سورة البقرة .

(٣) مسالك النظر ، ص ٦٨ . وسفر التكوين الإصحاح ١٥ ، مع اختلاف واضح في العبارات .

(٤) التكوين ١٥ : ١٤ – ١٥ .

رأى سلماً منصوباً من الأرض إلى السماء، وله خمس درجات، ورأى في منامه أمة عظيمة صاعدة في ذلك الدرج والملائكة يعضدونهم، وأبواب السماء مفتوحة فتجلى له ربه قائلاً: يا يعقوب أنا معك أسمع وأرى ، تمن يا يعقوب. فقال: يارب من أولئك الصاعدون في ذلك الدرج؟. فقال الله له: هم ذرية إسماعيل. فقال: يارب بماذا وصلوا إليك؟. فقال: بخمس صلوات فرضتهن عليهم في اليوم والليلة فقبلوهن وعملوا بهن. فلما استيقظ يعقوب من منامه فرض على ذريته الخمس الصلوات، ولم يكن الله سبحانه وتعالى قد فرض على بني إسرائيل صلاة في التوراة إلا القرابين يقربونها، ومازالت بنو إسرائيل وعلماؤهم يصلون الصلوات الخمس اتباعاً لسنة جدهم يعقوب عليه السلام، ولم تزل أنبياء بني إسرائيل عليهم السلام يبشرون بظهور محمد ﷺ، ويتمنون أن يكونوا في زمانه، وقد ضرب لهم النبي صموئيل مثلاً مثّل به صفوف المسلمين في الصلاة فقال : (إن الأسد والذئب يجتمعان في معلف واحد ، والنمر والجدي يجتمعان في مكان واحد) ومعنى ذلك أن الفقير والملك يستويان في صفوف الصلاة[1].

وقد ظن السموءل ـ مع جلالة قدره وعلو مكانته ـ أن أنبياء بني إسرائيل ضربوا هذا المثل وما شابهه للتدليل على دين المسيح، وخضوع الجبارين لأهل ملته[2].

ولكن من واقع الديانة النصرانية الحقيقية يتبين أن النصارى منذ جاء

(١) مسالك النظر ، ص ٥٧ - ٥٨ . والتكوين ٢٨ .

(٢) انظر إفحام اليهود ، ص ١٢٦ - ١٢٧ .

المسيح وحتي اتخذتها الإمبراطورية الرومانية ديناً لها في القرن الرابع ـ كانوا مقهورين لم تخضع لهم الأمم، ولم يلتزم بدينهم الجبارون، ومن هنا يتبين أن ما ذهب إليه الإسكندراني من تأويل ذلك المثل المضروب وتفسيره له على أن المراد منه أمة محمد ﷺ، هو الحق الذي يؤيده الواقع والتأريخ المروي والمشاهد .

وقد حرّف أحبار اليهود والنصارى هذه الرؤيا وذلك الوعد الإلهي فجاء النص هكذا: (فقال أنا الرب إله إبراهيم أبيك وإله إسحاق ، والأرض التي أنت مضطجع عليها أعطيها نسلك ، ويكون نسلك كتراب الأرض ، وتمتد غرباً وشرقاً ، وشمالاً وجنوباً ، ويتبارك فيك وفي نسلك جميع قبائل الأرض[1]) إذاً فقد مسخت بقية الرؤيا واستبدل بها غيرها مما يتوافق مع آمالهم وأحلامهم ، وحقدهم وحسدهم .

البشارة العاشرة : أن يعقوب عليه السلام لما دنت وفاته جمع أولاده وقال لهم :(تقربوا إليّ أقول لكم مايظهر آخر الزمان . فلما اجتمعوا قال لهم : ما تعبدون من بعدي ؟ قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق إلهاً واحداً) . قال الإسكندراني: (ولم يوجد في التوراة أنه ذُكر شيء مما وعد به؛ بل مكتوب في التوراة أنه دعا لهم وتوفي؛ فعلم من ذلك أنهم محوا اسم النبي محمد ﷺ من هذه الآية[2] .

قلت : إن الله صرفهم عن محو اسم النبي ﷺ من وصية يعقوب؛

---

(١) التكوين ٢٨ : ١٤ – ١٥ .

(٢) مسالك النظر ، ص ٤٧ . والتكوين ٢٨ وقارن هذا النص مع الآية ١٣٣ من سورة البقرة .

ففي هذا الإصحاح وبعد هذه الفقرة بفقرات يسيرة يرد إخبار يعقوب لأبنائه بما سيكون في آخر الزمان[1]، وقد بقي هذا الإخبار إلى الآن يحمل بعض ألفاظه العبرية، وهو قول يعقوب عليه السلام :(لا يزول صولجان من يهوذا أو مشرّع من بين قدميه حتى يأتي شيلوه، ويكون له خضوع الشعوب[2]) . وقد منّ الله على المهتدي عبد الأحد داود فكشف اللثام عن هذه الوصية، وفي الأسطر التالية اقتبس بعض استدلالاته واستنتاجاته على أن هذه البشارة خاصة برسولنا محمد ﷺ، وهذه الاستدلالات هي :ـ

١ ـ أن كلمة «شيلوه» كلمة فريدة في العهد القديم، ولا تتكرر في أي مكان آخر في العهد القديم .

٢ ـ أن كلمة شيلوه تتكون من أربعة أحرف عبرية هي :«شين»، «يود»، «لاميد»، «وهي»، وتوجد بلدة اسمها شيلوه ولكن لا يوجد فيها حرف «يود»؛ ولذلك لا يمكن أن يكون الاسم مطابقاً أو مشيراً للبلدة؛ إذاً فالكلمة حيثما وجدت تشير إلى شخص وليس إلى مكان .

٣ ـ أن هذه العبارة اشتملت على ضمير لغير العاقل ، وقد يشير إلى القضيب، أو الصولجان، أو المشرع بصورة منفصلة أو مجتمعة، وربما يشير للطاعة؛ وعليه فإن معنى العبارة :(إن الطابع الملكي المتنبي لن ينقطع من

---

(١) ولعل النسخ التي كانت موجودة في عهد الإسكندراني غير محتوية على هذا النص الآتي .

(٢) محمد في الكتاب المقدس ، ص ٧٩ والتكوين ٤٩ .

يهوذا إلى أن يجيء الشخص الذي يخصه هذا الطابع ، ويكون له خضوع الشعوب) .

٤ ـ بعد أن أورد بعض تحولات الترجمة لهذه الكلمة بين العبرية والسريانية قال: يمكن أن تقرأ هذه العبارة بالصورة التالية : (حتى يأتي الشخص الذي تخصه ...) .

٥ ـ أن الكلمة «شيلوه» مشتقة من الفعل العبري «شَلَّهْ» وهي تعني المسالم والهاي والوديع والموثوق .

٦ ـ من المحتمل أنه تم على هذه العبارة تحريف متعمد فتكون «شالوه» بدل «شيلوه»؛ فحينئذ يكون معناها «شيلواح » وهذه العبارة مرادفة لكلمة « رسول ياه » وهو نفس اللقب الموصوف به محمد ﷺ «وشيلواح إلوهيم » تعني: رسول الله .

٧ ـ لا يمكن أن تنطبق هذه البشارة على المسيح حتى لو آمن اليهود بنبوته؛ لأنه لا توجد أي من العلامات أو الخصائص التي توقعها اليهود في هذا النبي المنتظر في المسيح عليه السلام؛ فاليهود كانوا ينتظرون مسيحاً له سيف وسلطة ، كما أن المسيح رفض هذه الفكرة القائلة بأنه هو المسيح المنتظر الذي تنتظره اليهود .

٨ ـ أن هذه النبوة قد تحققت حرفياً وعملياً في محمد ﷺ؛ فالتعابير المجازية «الصولجان» و «المشرع» قد أجمع الشراح المعلقون على أن معناها السلطة الملكية والنبوة. وهذا يعني علمياً أنه صاحب الصولجان والشريعة، أو الذي يملك حق التشريع وتخضع له الشعوب .

٩ ـ لا يمكن أن تنطبق هذه البشارة في حق موسى؛ لأنه أول منظم لأسباط بني إسرائيل ، ولا في حق داود؛ لأنه أول ملك فيهم .

١٠ ـ لو تم تفسير « شيلوه» بـ « شالا » الآرامية فهي تعني: هادي ومسالم وأمين، وهذا يتفق مع تفسير « شله » العبرية . وقد كان محمد ﷺ قبل الرسالة هو الأمين، وهو محل الثقة ، وهو المسالم الهادي الصادق. وبعد هذه المحاولات التفسيرية والترجمة ينتقل المهتدي عبدالأحد إلى إلزام الخصم بهذه النبوة ومدلولاتها وهي ما يلي :ـ

١ ـ أن الصولجان والمشرع سيظلان في سبط يهوذا طالما أن شيلوه لم يظهر .

٢ ـ بموجب ادعاء اليهود في هذا «الشيلوه »فإن شيلوه لم يظهر ، وأن الصولجان الملكي والخلافة تخصان ذلك السبط ، وقد انقرضتا منذ أكثر من ثلاثة عشر قرناً .

٣ ـ أن سبط يهوذا اختفى مع سلطته الملكية وشقيقتها الخلافة النبوية، ومن الشروط الأساسية لظهور «الشيلوه» إبقاء السبط على وجه الأرض يعيش في أرض آبائه ، أو في مكان آخر بصورة جماعية .

٤ ـ اليهود مضطرون أن يقبلوا واحداً من الخيارين : إما التسليم بأن « شيلوه » قد جاء من قبل ، وأن أجدادهم لم يتعرفوا عليه. أو أن يتقبلوا أن سبط يهوذا لم يعد موجوداً، وهو السبط الذي ينحدر منه « شيلوه » .

٥ ـ أن النص يتضمن بصورة واضحة ومعاكسة جداً للاعتقاد

اليهودي والنصراني ـ أن «شيلوه» غريب تماماً على سبط يهوذا وبقية الأسباط؛ لأن النبوة تدل على أنه عندما يجيء «شيلوه» فإن الصولجان والمشرع سوف يختفيان من سبط يهوذا، وهذا لا يتحقق إلا إذا كان «شيلوه» غريباً عن يهوذا، فإن كان « شيلوه » منحدراً من يهوذا فكيف ينقطع هذان العنصران من ذلك السبط ، ولا يمكن أن يكون « شيلوه » منحدراً من أي سبط آخر؛ لأن الصولجان والمشرع كانا لمصلحة إسرائيل كلها ، وليس لمصلحة سبط واحد . وهذه الملاحظة الأخيرة تقضي على الادعاء النصراني في أن المسيح هو «شيلوه» ؛ لأن المسيح منحدّر من يهوذا من جهة أمه[1] .

وقد أورد هذه البشارة النجار وقال إن المعنى: أن النبوة تبقى في سبط يهوذا ـ أكبر أولاد سيدنا يعقوب ـ حتى يأتي «شيلون » أي الإسلام ، وتخضع له الأمم[2] .

الثاني: بشارة سفر العدد: ما ورد في قصة بلعام بن باعوراء أنه قال:(انظروا كوكباً قد ظهر من آل إسماعيل، وعضده سبط من العرب، ولظهوره تزلزلت الأرض ومن عليها[3]) وقال المهتدي الإسكندراني: (ولم يظهر من نسل إسماعيل إلا محمد ﷺ، وما تزلزلت الأرض إلا لظهوره ﷺ[1]. حقاً إنه كوكب آل إسماعيل ، وهو الذي تغير الكون

(١) انظر محمد في الكتاب المقدس ، ص ٧٧ – ٨٤ ، ١٨١ – ١٨٢ .

(٢) المنارات الساطعة ، ص ٦٣ .

(٣) مسالك النظر ، ص ٤٧ .

لمبعثه ﷺ؛ فقد حرست السماء من استراق السمع، وانطفأت نيران فارس، وسقطت أصنام بابل، ودكت عروش الظلم على أيدي أتباعه .

وقد حرف هذا النص في الطبعات المحدثة إلى: (يبرز كوكب من يعقوب، ويقوم قضيب من إسرائيل؛ فيحطم موآب، ويهلك بني الوغى[2]) .

الثالث : بشارات سفر التثنية :ـ

البشارة الأولى : لما هزمت جيوش بني إسرائيل أمام العمالقة، توسل موسى إلى الله سبحانه وتعالى مستشفعاً بمحمد ﷺ قائلاً :(اذكر عهد إبراهيم الذي وعدته به من نسل إسماعيل أن تنصر جيوش المؤمنين؛ فأجاب الله دعاءه ونصر بني إسرائيل على العمالقة ببركات محمد ﷺ[3]) وقد استبدل هذا النص بالعبارات التالية: (اذكر عبيدك إبراهيم وإسحاق ويعقوب، ولا تلتفت إلى غلاظة هذا الشعب وإثمه وخطيئته[4]) ولا يمكن أن يكون هذا الدعاء - الذي في النص الأول - قد صدر من موسى عليه السلام؛ لأنه ينافي كمال التوحيد .

البشارة الثانية: في الفصل الحادي عشر أن موسى قال لبني إسرائيل:

---

(١) المصدر السابق ، ص ٤٧ - ٤٨ .

(٢) سفر العدد ٢٤ : ١٨ .

(٣) مسالك النظر ، ص ٥٠ .

(٤) التثنية ٩ : ٢٧ .

(إن الرب إلهكم يقيم نبياً مثلي من بينكم، ومن إخوتكم فاسمعوا له)
وقد ورد في هذا الإصحاح ما يؤكد هذا القول ويوضحه، وهو ما ورد في التوراة أن الله قال لموسي :(إني مقيم لهم نبياً مثلك من بين إخوتهم، وأيما رجل لم يسمع كلماتي التي يؤديها ذلك الرجل باسمي أنا أنتقم منه[1]) وتكاد أن تكون هذه البشارة محل إجماع من كل من كتب في هذا الجانب، وقد بين هؤلاء المهتدون كيف تنطبق هذه البشارة على نبينا محمد ﷺ من خلال الوجوه التالية :ـ

١ ـ اليهود مجمعون على أن جميع الأنبياء الذين كانوا في بني إسرائيل من بعد موسى لم يكن فيهم مثله. والمراد بالمثلية هنا أن يأتي بشرع خاص تتبعه عليه الأمم من بعده ، وهذه صفة نبينا محمد ﷺ ؛ لأنه من إخوتهم العرب ، وقد جاء بشريعة ناسخة لجميع الشرائع السابقة، وتبعته الأمم عليها ؛ فهو كموسي، هذا فضلاً عن أن لفظة (من بينهم) الواردة في البشارة قد أكدت وحددت الشخص المراد[2].

٢ ـ هذا النص يدل على أن النبي الذي يقيمه الله لبني إسرائيل ليس من نسلهم، ولكنه من إخوتهم، وكل نبي بعث من بعد موسى كان من بني إسرائيل وآخرهم عيسى عليه السلام؛ فلم يبق رسول من إخوتهم

(١) الدين والدولة ص ١٣٧ . وانظر أيضاً إفحام اليهود ، ص ١١١ . والنصيحة الإيمانية ، ص ١٤٤ . وتحفة الأريب، ص ٢٦٠ . ومسالك النظر ، ص ٤٩ . والبحث الصريح ورقة ٢١/أ. والمنارات الساطعة ، ص ٦٣ . ومحمد ﷺ في التوراة والإنجيل ، ص ٦٧ - ٦٩ . وانظر سفر التثنية الإصحاح ١٨ .
(٢) الدين والدولة ، ص ١٣٨ . وتحفة الأريب ، ص ٢٦١ - ٢٦٢ . والبحث الصريح ، ورقة ٢٢/أ .

سوى نبينا محمد ﷺ[1].

٣ ـ أن إسماعيل وذريته كانوا يسمون إخوة لبني إبراهيم عليه السلام؛ لأن الله قال في التوراة لهاجر ـ حسب رواية العهد القديم ـ عن ابنها إسماعيل :(بأنه قبالة إخوته ينصب المضارب) كما دعى إسحاق وذريته إخوة لإسماعيل وذريته[2].

٤ ـ أن من طابع الكتب المنزلة أن تسمي أبناء الأعمام الأباعد إخوة، وقد ورد ذلك في القرآن الكريم؛ إذ دعا النبيين الكريمين هود وصالح إخوة لعاد وثمود وهما من أبناء الأعمام الأباعد، وفي سفر العدد الإصحاح العشرين يقول :(وأرسل موسى إلى ملك قادس قائلاً: هكذا يقول أخوك إسرائيل) . مع أن هؤلاء من بني الأعمام الأباعد[3] .

٥ ـ أن في هذه الآية إشارة خفية غير صريحة ، فائقة الحكمة ؛ لأن موسى لو كان قصد بالنبي الموعود أنه من بني إسرائيل ؛ لكان ينبغي أن يقول بدلاً من (من إخوتكم) : منكم، إو من نسلكم، أو من أسباطكم، أو من خلفكم، وبما أنه ترك هذا الايضاح؛ علمنا أنه قصد بهذه الإشارة أنه من بني إسماعيل المباينين لهم[4] .

٦ ـ اشتمل هذا النص على مفردة كافية للتدليل على أن هذه النبوة خاصة بسيدنا محمد ﷺ وهي قوله :« انتقم منه» . وفي بعض الترجمات:

(١) انظر النصيحة الإيمانية ، ص ١٤٥ . وتحفة الأريب ، ص ٢٦٠-٢٦١ .

(٢) انظر البحث الصريح ، ورقة ٢١ / أ .

(٣) انظر المصدر السابق ، ورقة ١٢ / ب .

(٤) انظر المصدر السابق ، ورقة ٢١ .

(وكل نفس لا تسمع لذلك النبي وتطيعه تستأصل) . فهي تدل على أن من لا يسمع له ويطعه ينتقم منه ويستأصل. وهذا ينطبق تماماً مع حال المخالفين لرسول الله ﷺ، ولا يمكن أن تنطبق على عيسى عليه السلام الذي طارده وحاربه اليهود، ولم يقع عليهم الانتقام منه أو من أتباعه، وهذه المفردة كافية للتدليل على صدقها على نبينا محمد ﷺ [1] .

٧ ـ يتلخص الإعجاز النبوي في انتقاء الألفاظ الدالة على نبوة نبينا محمد ﷺ في قوله : ويسمع كلماتي التي يؤديها [2].

وبعد أن شرح هؤلاء المهتدون هذه البشارة، وبينوا كيفية دلالتها على رسولنا محمد ﷺ ؛ استعرضوا تفسير اليهود والنصارى لهذا النص، وردوا على ادعاءاتهم بأنه ينطبق على غير رسولنا محمد ﷺ. ومن هذه الادعاءات ما يلي :ـ

١ ـ أن من عادة كتابنا أنه يعني بقوله : إخوتكم . بني إسرائيل . والجواب على ذلك أن هذا المصطلح قد ورد في التوراة مراداً به غير بني إسرائيل حيث جاء فيها: إخوتكم بني العيص . وإذا كان بنو العيص إخوة لبني إسرائيل ـ لأن العيص وإسرائيل ولدا إسحاق ـ فكذلك بنو إسماعيل إخوة لجميع ولد إبراهيم[3] .

٢ ـ أن هذا النص يدل على يوشع بن نون. ولا يمكن أن يصح هذا

---

(١) انظر المصدر السابق ، ورقة ٢٣ .

(٢) انظر محمد ﷺ في التوراة والإنجيل والقرآن ، ص ٦٧ .

(٣) انظر إفحام اليهود ، ص ١١١ – ١١٢ .

القول على يوشع؛ لأنه ليس معدوداً من الأنبياء ، ولأنه لم يؤد عن الله شيئاً سوى ما أداه موسى عليه السلام ، ولأنه أيضاً منهم، ولأنه كان حاضراً معهم، وقد صرح باسمه قبل هذه البشارة فلا موجب لذكره نكرة بعدما أشار إليه بالاسم العلم[1] .

٣ ـ أنه قصد بهذا النبي شموائيل ؛ لأنه كان من أولاد ليوي السبط الذي ينحدر من موسى عليه السلام . والجواب على هذا أن يقال: أي حاجة بكم يا معشر يهود أن يوصيكم بالإيمان بشموائيل، وأنتم تقرون أنه لم يأت بزيادة شرع ولا بنسخ ، وإنما جاء ليقوي أيديكم على أهل فلسطين، ومن كانت هذه صفته فأنتم أسبق الناس إلى الإيمان به، وإنما خاف تكذيبكم لمن ينسخ شريعتكم ، ويبدل دينكم، فأوصاكم به، ولذلك لم يحتجْ موسى عليه السلام أن يوصيكم بنبوة إرميا وإشعياء[2] .

٥ ـ تدعي النصارى أنه قصد بهذا النص المسيح عليه السلام . ولا يدل هذا النص عليه لما يأتي :ـ

١ ـ أن النصارى تدعي أن المسيح إله ، ثم يدعون أنه مثل موسى؛ حتى ينطبق عليه هذا النص ، وهذا غاية التناقض ، ثم إن المسيح ليس مماثلاً لموسى عليهما السلام ؛ لاختلاف الأصل الذي ولد منه كل واحد

---

(١) انظر الدين والدولة ، ص ١٣٨ . والبحث الصريح ، ورقة ٢٢/أ .

(٢) انظر إفحام اليهود ، ص ١١٢ - ١١٣ .

منهما: فموسى من زرع بشري، وعيسى من غير ذلك، وعيسى من امرأة بتولة، وموسى من امرأة كسائر النساء، كما أن شريعة موسى غير شريعة عيسى [1].

٢ ـ أن المسيح عليه السلام من ولد داود من جهة أمه فهو منهم لا من إخوتهم [2].

البشارة الثالثة : جاء في الفصل العشرين :(أن الرب جاء من طور سينين ، وطلع لنا من ساعير، وظهر من جبل فاران ، ومعه عن يمينه ربوات القديسين فمنحهم العز ، وحببهم إلى الشعوب ، ودعا بجميع قديسيه بالبركة [3]) وهذه البشارة كالتي قبلها كادت أن تكون محل إجماع وقبول ممن كتب في هذا الجانب .

وفاران هي مكة وأرض الحجاز، وقد سكنها إسماعيل، ونصت على ذلك التوراة (وأقام في برية فاران ، وأنكحته أمه امرأة من أرض مصر) وإذا كانت التوراة أشارت إلى نبوة تنزل على جبل فاران لزم أن تلك النبوة على آل إسماعيل ؛ لأنهم سكان فاران [4].

أما من توهم أن فاران الواردة في هذه البشارة هي التي بقرب

---

(١) انظر الدين والدولة ، ص ١٣٨ . والبحث الصريح ورقة ٢٢/أ .

(٢) انظر الدين والدولة ، ص ١٣٨ .

(٣) الدين والدولة ، ص ١٣٨ . وانظر إفحام اليهود ، ص ١١٨ . والنصيحة الإيمانية ، ص ١٤٤ . ومسالك النظر ، ص ٤٩ ، ٦٤ . وتحفة الأريب ، ص ٢٦٥ . والبحث الصريح ، ورقة ٤١ . ومحمد ﷺ في التوراة والإنجيل والقرآن، ص ٦٥ – ٦٦ . وسفر التثنية ٣٣ .

(٤) انظر الدين والدولة ، ص ١٣٨ – ١٣٩ . وإفحام اليهود ، ص ١١٨ – ١١٩ . ومسالك النظر ، ص ٤٩ . وتحفة الأريب ، ص ٢٦٥ . ومحمد ﷺ في التوراة والإنجيل والقرآن ، ص ٦٦ – ٦٧ .

جبل سيناء ــ فليس ظنه صحيحاً؛ لأن فاران تلك هي برية فاران كما أفادت عنها التوراة. وهنا ذكر جبلاً. ودعيت تلك فاران بسبب أنها ظليلة من الأشجار. ولفظة فاران عبرية تحتمل الوجهين، فإذا ذكرت البرية لزم أنها ظليلة، وإن ذكر الجبل ينبغي أن يفهم بأنه جبل ذو غار ، وفي هذه البشارة ذكر جبل فعلم أنه جبل فاران الذي فيه المغارة . كما أن لفظة فاران مشتقة من فاري بالعبرية وعربيتها: المتجمل. أي المتجمل بوجود بيت الله[1]. وهذه الجبال قد تجملت ببيت الله .

ومعنى جاء الرب: أي ظهر دينه ودعى إلى توحيده. كما أن لفظة «رب» هنا تقع على موسى وعيسى ومحمد وهي مستعملة بهذا الإطلاق في اللغة السريانية والعربية فتقول العرب رب البيت بمعنى صاحب البيت. ويقول السريان لمن أراداو تفخيمه «مار» ومار بالسريانية هو الرب[2].

وقد أورد المهتدي الإسكندراني هذه البشارة باللغة العبرية ثم ترجمها إلى اللغة العربية ونص ترجمته هكذا :(جاء الله من سيناء وأشرق من ساعير، واستعلن من جبال فاران، وظهر من ربوات قدسه عن يمينه نور وعن شماله نار، إليه تجتمع الأمم، وعليه تجتمع الشعوب)وقال :(إن علماء بني إسرائيل الشارحين للتوراة شرحوا ذلك وفسروه بأن النار هي

---

(١) انظر البحث الصريح ، ورقة ٤١ .

(٢) انظر الدين والدولة ، ص ١٣٩ . وتحفة الأريب ، ص ٢٦٦ .

سيف محمد القاهر، والنور هي شريعته الهادية ﷺ)[1] .

وقد يقول قائل: إن موسى تكلم بهذه البشارة بصيغة الماضي فلا تنطبق على محمد ﷺ . والجواب أن من عادة الكتب الإلهية أن تستعمل الماضي في معنى المستقبل؛ ألم تر أنه أخبر عن عيسى في هذه البشارة كذلك بصيغة الماضي ، فإن قبلت هذه البشارة في حق عيسى فهي في حق محمد ادعى للقبول[2] .

وفي الإشارة إلى هذه الأماكن الثلاثة التي كانت مقام نبوة هؤلاء الأنبياء ما يقتضي للعقلاء أن يبحثوا عن المعنى المراد منه المؤدي به إلى اتباع دينهم[3]. وقد ربط المهتدي إبراهيم خليل بين هذه البشارة وبين صدر سورة التين واستنتج منه تطابقاً كاملاً في الوسيلة والتعبير[4] .

البشارة الرابعة : لما بعث المسيح عليه السلام إلى بني إسرائيل ، وأظهر لهم المعجزات؛ نهض إليه عالم من علمائهم يقال له شمعون بلقيش وقال له :(لا نؤمن بك ولا نسلم لك فيما ادعيته ، ولا فيما أتيت به ؛ لأن موسى عليه السلام أخبرنا في شريعته عن الله عز وجل أن النبي المبعوث في آخر الزمان هو من نسل إسماعيل، وأنت من بني إسرائيل. واستدل على ذلك بقول موسى في التوراة :(لا يقوم في بني إسرائيل مثل

(١) انظر مسالك النظر ، ص ٦٤ .

(٢) انظر البحث الصريح ، ورقة ١٤ / ب .

(٣) انظر إفحام اليهود ، ص ١١٨ .

(٤) انظر محمد ﷺ في التوراة والإنجيل والقرآن، ص ٦٦ .

موسى) وأفتوا بقتل عيسى عليه السلام [1]. وعيسى لم يدع أنه مثل موسى، وإنما دعاهم إلى عبادة الله وحده، والعمل والتصديق بما في التوراة .

الرابع : بشارة سفر الملوك الأول : -

أن ملكاً من ملوك بني إسرائيل يسمي آحاب ، وكان جباراً، وكان يقتل الأنبياء عليهم السلام ، فكفر بموسى، وصنع الأصنام وعبدها، ونصب مذبحاً وقرّب عليه قرابين للأصنام، فبعث الله إليه نبياً يسمى ميخا، ونادى بصوت عال: يامذبح، يامذبح، قال الله له: بني يبعثه الله تعالى (يوشا يهوشمو) وترجمة ذلك: اسمه مقرون باسم الله تعالى، وباسمه يزال الكفر من الأرض ، وتصديق كلامي أن تنشق يا مذبح. فلم يتم كلامه إلا والمذبح قد انشق، وخرج رماده منه إلى الأرض، وأراد الملك قتل النبي فيبست يده [2]) ولم يكن أحد من الأنبياء اسمه مقرون باسم الله سوى محمد ﷺ ؛ فلا يرفع أذان في أي بقعة من هذه المعمورة إلا وقد تضمن ذكر اسم الله وذكر اسمه ، ولا تقام صلاة إلا وقد اشتملت على الصلاة عليه .

ومما يؤكد هذه البشارة أن اسمه في التوراة « بماد ماد» وفي صحف الأنبياء «يوشي ياهو» وعلماء بني إسرائيل الذين فسروا التوراة قالوا: إن معنى الكلمة: أحمد أحمد، ومنهم من قال : عظيماً عظيماً. ولم يظهر

(١) مسالك النظر ، ص ٦٠ – ٦١ . وسفر التثنية ٣٤ .
(٢) مسالك النظر ، ص ٥٤. وسفر الملوك الأول ١٣ .

من نسل إسماعيل أعظم من محمد ﷺ، ولم يذكر هذا الاسم «يوشي ياهو» لأحد إلا لمحمد ﷺ[1] .

الخامس : بشارة سفر يوشع :

أن يوشع عليه السلام لما حارب العمالقة انكسر جيشه بسبب خيانتهم العهد، وأن يوشع توسل إلى الله مستشفعاً بمحمد ﷺ ؛ فاستجاب الله دعاءه ونصره [2]. وهذا الدعاء لا يصح عن يوشع لمنافاته كمال التوحيد .

السادس : بشارة إلياس :

ذكر المهتدي الإسكندراني أنه جاء في صحف إلياس عليه السلام أنه خرج في سياحته وصحبه سبعون رجلاً؛ فلما رأى العرب بأرض الحجاز قال لمن معه: انظروا هؤلاء الذين يملكون حصونكم العظيمة. فقالوا: يانبي الله! ما الذي يكون معبودهم؟! فقال عليه السلام: يوحدون الله تبارك وتعالى فوق كل منبر عال، فقال له أتباعه يانبي الله! من يدلهم على ذلك؟ فقال: ولد يولد من نسل إسماعيل، اسمه مقرون باسم الله، حيث يذكر اسم الله تعالى يذكر اسمه. قال المهتدي الإسكندراي: ولم يكن ذلك إلا لمحمد ﷺ[3] .

السابع : بشارات المزامير :

---

(١) انظر مسالك النظر ، ص ٧٠ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٥٠ .

(٣) مسالك النظر ، ص ٥٢ - ٥٣ ، ولم أجد هذا النص في الطبعة التى بين يدى .

البشارة الأولى: قول داود عليه السلام في المزمور الخامس والأربعين: (من أجل هذا بارك الله عليك إلى الأبد فتقلد السيف أيها الجبار ؛ لأن بهاءك وحمدك البهاء الغالب، واركب كلمة الحق، وسمت التأله ؛ فإن ناموسك وشرائعك مقرونة بهيبة يمينك، وسهامك مسنونة، والأمم يخرون تحتك [1]) وقد أورد هذه البشارة المهتدي الشيخ زيادة في البحث الصريح بصورة أطول من هذه، وكل الصفات الواردة في كلا النصين تنطبق تماماً على رسولنا محمد ﷺ .

البشارة الثانية : قول داود عليه السلام في المزمور الثامن والأربعين: (إن ربنا عظيم محمود جداً ، وفي قرية إلهنا وفي جبله قدوس ومحمد، وعمت الأرض كلها فرحاً [2]) فقد صرح وأبان عن اسمه ، وذكر مبعثه وهي أم القرى، ووصف حال الكون بعد مبعثه وهو الاستبشار والفرح، ألم تتلق الشعوب المغلوبة على أمرها جنوده بالفرح والاستبشار كما هو مدون في كتب السير والتأريخ. وقد حرف هذا النص في الطبعة التي بين يدي إلى: (عظيم هو الرب وحميد جداً في مدينة إلهنا قدسه) وقد يتضح القصد من إبدال القرية بالمدينة؛ حتي تنطبق هذه البشارة على أنبياء بنى إسرائيل المبعوثين في مدنهم. وقد أعماهم الله عن تحريف الجزء الأول منه فلله الحمد والمنة .

البشارة الثالثة : قول داود عليه السلام في المزمور الخمسين :(إن الله

(١) الدين والدولة ١٣٩ . وانظر البحث الصريح ، ورقة ٢٦/أ. والمنارات الساطعة ٦٣ . والمزمور ٤٥ .
(٢) الدين والدولة ١٣٩ . المزمور ٤٨ .

أظهر من صهيون إكليلاً محموداً ، فالله يأتي ولا يهمل ، وتحرق النيران بين يديه ، وتضطرم حواليه اضطراماً[1]) وقال المهتدي الطبري تعليقاً على هذه البشارة :(أفما ترون أنه لا يخلي داود عليه السلام شيئاً من نبواته من ذكر محمد أو محمود ، كما تقرءون ، ومعنى قوله إكليلاً محموداً : أي أنه رأس وإمام محمد محمود، ومعنى محمد ومحمود وحميد شيء واحد في اللغة ، وإنما ضرب بالإكليل مثلاً للربانية والإمامة[2]) وقد حرف هذا النص إلي: (من صهيون كمال الجمال الله أشرق ، يأتي إلهنا ولا يصمت) .

البشارة الرابعة : قول داود في المزمور الثاني والسبعين : (إنه يجوز من البحر إلى البحر، ومن لدن الأنهار إلى منقطع الأرض ، وأنه يخر أهل الجزائر بين يديه على ركبهم، وتلحس أعداؤه التراب ، تأتيه ملوك تاريس والجزائر بالقرابين ، وتقرّب إليه ملوك سبأ وملوك سابا القرابين، وتسجد له الملوك كلهم، وتدين له الأمم كلها بالطاعة والانقياد؛ لأنه يخلص المضطهد البائس ممن هو أقوى منه، ويفتقد[3] الضعيف الذي لا ناصر له، ويرأف بالضعفاء والمساكين ، وينجي أنفسهم من الضر والضيم، وتعز عليه دماؤهم، وأنه يبقى ويعطى من ذهب سبأ، ويصلى عليه في كل وقت، ويبارك عليه كل يوم مثل الزروع الكثيرة على وجه الأرض ، ويطلع ثماره

(١) الدين والدولة ، ص ١٤٠ . والمزمور ٥٠ .

(٢) الدين والدولة ، ص ١٤٠ .

(٣) كذا في كتاب الدين والدولة ، ولعل الأظهر : ويتفقّد الضعيف .

على رؤوس الجبال ، كالتي تطلع من لبنان، وينبت في مدينته مثل عشب الأرض ، ويدوم ذكره إلى الأبد، وأن اسمه لموجود قبل الشمس ، فالأمم كلهم يتبركون به، وكلهم يحمدونه[1]) وقال المهتدي الطبري :(ولا نعلم أحداً يصلي عليه في كل وقت غير محمد ﷺ). وغني هذا النص عن زيادة تعليق أو شرح؛ فلم تتحقق هذه الصفات متكاملة لنبي أو ملك قبل محمد ﷺ مثل ما تحققت له ، وبمقارنة سريعة بين الآيات التي سأوردها وهذا النص يتضح التماثل التام بينهما ، قال تعالى : ﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم[2]﴾وقال عزوجل : ﴿محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلاً من الله ورضواناً سيماهم في وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار[3]﴾.

وقد تضمن المزمور الذي وردت فيه هذه البشارة بعض الألفاظ التي لا تزال مشرقة وشاهدة وهي قول داود : (ويشرق في أيامه الصدّيق وكثرة السلام إلى أن يضمحل القمر) وهذا اللفظ يقع مباشرة قبل قوله :(إنه يجوز من البحر إلى البحر ..) ولنفاسة هذا اللفظ أحببت إيراده. وقد

---

(١) المصدر السابق ، ص ١٤٠ – ١٤١ ، وتحفة الأريب ٢٧٥ ، والمزمور ٧٢ .

(٢) سورة التوبة ١٢٨ .

(٣) سورة الفتح ، الآية ٢٩ .

ضُبطت لفظة « الصدِّيق » بالشكل الذي نقلته، فهل بعد هذا الإيضاح يبقي إشكال لذى عقل؟ وقد ذكر صاحبه الصديق رضى الله عنه، وذكر سنة من سنن دينه وهي كثرة السلام إلى أن يضمحل القمر ، واضمحلال القمر تعبير عن الساعة يشهد له أول سورة التكوير والإنفطار ، وقد أخبر النبي ﷺأن من علامات الساعة أن يكون السلام على الخاصة[1] .

البشارة الخامسة : قول داود في المزمور العاشرِ بعد المائة :(إن الرب عن يمينك، وهو يكسر في يوم رجزه الملوك، ويضعف ركن الملك، ويحكم بينهم بالحق، ويكثر القتلى والجيف، ويقطع رؤوس بشر كثير ، ويشرب في سفره من ماء الأودية، ومن أجل هذا يسمو للمعالي رأسه[2]) فمن الذي نصره الله على أعدائه هذا النصر المؤزر؟، وفى قوله: (ويضعف ركن الملك). إشارة لطيفة إلى أن ضعف الملك الاستبدادي الوراثي يسقط ويضعف على يديه وعلى يدي أصحابه ، فهم الذين قضوا على ممالك الفرس والروم .

البشارة السادسة : قال داود في المزمور الحادى عشر بعد المائة :(قال يهوه لسيدي : اجلس على يميني إلى أن أجعل أعداءك مسنداً لقدميك[1]) ويبرر المهتدي عبد الأحد داود إطلاق داود عليه السلام لهذا

(١) وهو قوله ﷺ (بين يدى الساعة تسليم الخاصة) رواه الإمام أحمد في مسنده جـ١ ، ص ٤٠٧ ، ٤١٩.

(٢) الدين والدولة ، ص ١٤٢، والمزمور ١١٠ .

الوصف « سيدي » بما يلي :ـ

١ ـ أن داود كان ملكاً قوياً ولا يتأتى أن يكون خادماً لأي كائن بشرى .

٢ ـ لا يمكن أن نتصور أنه كان يعني بهذا اللقب أحد الأنبياء المتوفين .

٣ ـ لا يمكن لداود أن يدعو أحداً من سلالته «سيدي» ؛ لأن اللقب المعقول حينئذ سيكون: يابني.

٤ ـ لا يمكن أن يكون المسيح عليه السلام هو الذي عناه داود بسيدي ؛ لأن المسيح قد استثنى نفسه من هذا اللقب بنص إنجيل برنابا .

أما الحجج التي احتج بها عبد الأحد على أن الموصوف بـ « سيدي» في هذا النص هو نبينا محمد ﷺ فهي كالتالي :ـ

١ ـ أنه أعظم نبي؛ لأنه هو الذي نشر التوحيد ، وقضى على الشرك، وطهّر الكعبة من الأصنام ، وأخرج الناس من الظلمات إلى النور، إذاً ليس سيداً لداود فحسب؛ بل سيد الأنبياء ولا فخر .

٢ ـ أن عيسى اعترف أنه لم يكن سيد داود؛ فلم يبق سوى محمد ﷺ سيداً لداود .

٣ ـ بمقارنة ما قدمه محمد ﷺ للبشرية مع ما قدمه كافة الأنبياء ؛ نخرج بنتيجة تفرض نفسها وهي أن محمداً ﷺ وحده هو الذي يستحق هذا اللقب المميز .

٤ ـ تفوقه ﷺ في التنديد بالشرك والوثنية وبالثالوث النصراني .

---

(١) محمد في الكتاب المقدس ، ص ١١٠ . والمزمور ١١٠ .

٥ ـ أن هذا التشريف قد تم ليلة المعراج[١] .

البشارة السابعة : قول داود عليه السلام في المزمور التاسع والأربعين بعد المائة : (من أجل أن الرب ارتاح لشعبه وتطول على المساكين بالخلاص؛ فليتعزز الأبرار بالكرامة، ويسبحونه على مضاجعهم، ويكرمون الله بحناجرهم؛ لأن في أيديهم السيف ذا الشفرتين للانتقام من الشعوب وتوبيخ الأمم، وإثقال ملوكهم بالقيود، وعليّتهم ومكرّميهم بالسلاسل؛ ليحملهم على القَدَر المكتوب المبرم، فالحمد لجميع أبراره[٢]) ألم تتحقق هذه النبوة في محمد ﷺ وصحبه؟ ألم يقل الحق عنهم : ﴿الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلي جنوبهم[٣] ﴾أما قوله: ويكرومون الله بحناجرهم. فهذا من أخص خصائص هذه الأمة، وهو الأذان والإقامة والتكبير والتسبيح والذكر.وقال المهتدي الطبري معلقاً على هذه البشارة : (أما ترون ـ يهديكم الله ـ هذه الصفات خالصة للنبي ﷺ ولأمته؟ فهو الذي معه السيف ذو الشفرتين، وهو المنتقم بأمته من جبابرة فارس وطغاة الروم وغيرهم، وهو الذي قيّدت أمتهُ الملوك، وساقت جلّتهم وأولادهم في السلاسل والأغلال[٤]) .

البشارة الثامنة: قول داود عليه السلام في المزمور الثاني والخمسين بعد

(١) انظر محمد في الكتاب المقدس ، ص ١١٠ – ١١٤ .

(٢) الدين والدولة ، ص ١٤٢ . المزمور ١٤٩ .

(٣) سورة آل عمران ، الآية ١٩١ .

(٤) الدين والدولة ، ص ١٤٣ .

المائة :(لترتاح البوادي وقراها، ولتصر أرض قيدار مروجاً، وليسبح سكان الكهوف، ويهتفوا من قلل الجبال بحمد الرب، ويذيعوا تسابيحه في الجزائر؛ لأن الرب يجيء كالجبار، كالرجل المحرب المتلظي للتكبر، فهو يزجر ويتجبر، ويقتل أعداءه [(١)]) قال المهتدي الطبري:(مَنْ قيدار؟ إلا ولد إسماعيل عليه السلام، وهم سكان الكهوف الذين يحمدون الرب ويذيعون تسابيحه في الهواجر والأسحار[(٢)]) . ولم يختص أبناء إسماعيل بسكنى الكهوف؛ وإنما ذكر في هذه البشارة سكان البوادي والقرى والكهوف وقلل الجبال والجزائر إشارة إلى شمول رسالته ﷺ كافة أرجاء المعمورة، ولجميع الأماكن الممكنة لسكنى البشر كالبوادي والقرى والكهوف والجزائر وقلل الجبال ، وليس وراء هذه الأماكن ما ينفع لإقامة البشر فيها واتخاذها مسكناً .

البشارة التاسعة: قول داود عليه السلام :(طوبى لكم يا بني إسماعيل سيبعث منكم نبي تكون يده عالية على كل الأمم، وكل الأمم تحت يده[(٣)]) وعلق الإسكندراني على هذه البشارة بقوله :(ومن المعلوم أن إسماعيل عليه السلام لم يكن ظهر له ملك ، ولا علت يده على إخوته،

(١) المصدر السابق ، ص ١٤٣ والطبعة التي بين يدي لكتابهم تنتهي عند المزمور ١٥٠ . وكل إحالات المهتدي الطبري على المزامير متفقة مع الطبعة المشار إليها ، ماعدا هذا المزمور .

(٢) المصدر السابق . ص ١٤٣ .

(٣) مسالك النظر ، ص ٥١ لم يوضح هذا المهتدي موضع هذا النص والذي بعده من مزامير داود فوضعتهما في آخر بشارات المزامير ، كما أنني اجتهدت في طلبهما في مظانهما ، ومن المحتمل أن هذا النص في المزمور ٢٢ : ٢٧ .

ولا نزل إلى الشام ولا سكن، ولم يكن ذلك إلا لمحمد ﷺ، وأمته هم الذين سكنوا بمساكن بني إسرائيل بمصر والشام) وهذه البشارة مماثلة للبشارة الأولى في سفر التكوين ـ وقد سبق إيرادها في هذا المبحث .

البشارة العاشرة : قول داود في المزمور :(عظموا الله يا كل الأمم، ووحدوا الله يا أهل الأرض؛ سيبعث لكم نبي الرحمة[1]) فهل بعد هذا التصريح من تصريح؟ ومن غير محمد ﷺنبي الرحمة ؟.

الثامن : بشارات إشعياء :

البشارة الأولى : قول إشعياء في الإصحاح الأول :(اسمعي ياسموات، وقرّي يا أرض، ولماذا تقلقي ؟ سيبعث عليك نبي به ترحمي[2]) . وهذه النبوة توافق النبوة الماضية في مزامير داود عليه السلام التي قال فيها : سيبعث لكم نبي الرحمة .

البشارة الثانية : قول إشعياء في الفصل الثاني :(إن الرب يتعزز ويتعالى يومئذ وحده على جميع صنوبر لبنان المستطيلة الشامخة ، وعلى جميع شجر البلوط التي في أرض بيسان ، وعلي جميع الجبال الرواسي، وعلى كل منظرة رائعة بهية، ويبيد الأوثان بيدودة ظاهرة، ويغيّب في صدوع الصخور وأنفاق التراب من قدام خشية الله تعالى ، ومن بهاء حمده[1]) والمراد من الشجر والجبال في هذا النص الكنية عن الأكابر

(١) المصدر السابق ، ص ٥١ ، والمزمور ٣٣ : ٥ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٥٢ . وإشعياء ١ .

والملوك والأصاغر، وهذا الأمر معهود في كتبهم .

البشارة الثالثة : قول إشعياء في الفصل الثالث : (إني رافع آية للأمم، من بلد بعيد، وأصفر لهم من أقاصي الأرض صفيراً، فيأتون سراعاً عجالاً، ولا يميلون ولا يتعثرون ولا ينعسون ولا ينامون ولا يحلون مناطقهم، ولا ينقطع معقد خفافهم، سهامهم مسنونة، وقسيهم موترة، وحوافر خيلهم كالجلاميد صلابة ، وعجلهم مسرعة مثل الزوابع، وزئيرهم كنهيم الليوث، وكشبل الأسد الذي يزأر وينهم للفريسة ، فلا ينجو منهم ناج ، ويرهقهم يومئذ مثل دوي البحر واصطكاكه ، ويرمون بأبصارهم إلى الأرض فلا يرون إلا النكبات والظلمات، وينكسف النور عن عجاج جموعهم[٢]) وقد استنبط المهتدي الشيخ زيادة من هذا النص الدلالات التالية :ـ

١ ـ هذه البشارة منطبقة على نبينا محمد ﷺ من كل وجه؛ بدليل قوله رافع آية للأمم . ومحمد ﷺ هو العلامة المرفوعة لسائر الأمم .

٢ ـ أن قوله: من بلد بعيد. إشارة إلى أن هذه العلامة ترفع للأمم من خارج أرض بني إسرائيل، ويتضح ذلك من قوله بعده : من أقاصي الأرض . فكأنه قال : إن أقصى أرض إسرائيل هي الأرض التي يخرج منها ذلك النبي ﷺ .

٣ ـ نفى التعب والإعياء والنوم عن جيوشه، وإثبات السرعة؛ برهان

(١) الدين والدولة ، ص ١٤٥ . وإشعياء ٢ .

(٢) الدين والدولة ، ص ١٤٥ والبحث الصريح ، ورقة ٢٨ / أ وإشعياء ٥ .

ظاهر على أن المراد بهذه النبوة محمد ﷺ ؛ لأن الملائكة كانت تشارك في جيوشه، وهم الذين لا ينامون ولا يسأمون ...كما أن نفي النوم عنه يدل أيضاً على نبينا؛ لأنه كان يقضي الليل في العبادة والذكر والصلاة، حتى تورمت قدماه .

٤ ـ الشهادة لحوافر خيله بأنها مثل الصوان ، مطابق لوصف الله لها في القرآن بقوله : ﴿والعاديات ضبحاً. فالموريات قدحاً[١] ﴾ ولا يمكن أن تنطبق هذه البشارة على عيسى عليه السلام؛ لأنه لم يكن له خيل[٢] .

ولعل المراد من قوله : وأصفر لهم من أقاصى الأرض فيأتون سراعاً عجالاً . هو النداء بالحج إلى بيت الله الحرام الوارد في قوله تعالى: ﴿وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالاً وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق[٣]﴾. وعبر بالصفير عن النداء والأذان .

البشارة الرابعة : قول إشعياء في الفصل الخامس مفسراً ما تقدم من نبواته :(إن الأمة التي كانت في الظلمات رأت نوراً باهراً ، والذين كانوا في الدجى وتحت ظلال الموت سطع عليهم الضوء، أكثرت من التبع والأحزاب، ولم تستكثر الاغتباط بهم، فأما هم فإنهم فرحوا بين يديك كمن يفرح يوم الحصاد، وكالذين يفرحون عند اقتسام الغنائم؛ لأنك فككت النير الذي كان أذلهم، والعصا التي كانت على أكتافهم، وكسرت القضيب الذي كان يستعبد بهم مثل كسرك من كسرت في

(١) سورة العاديات الآيتان ، ١ . ٢ .
(٢) انظر البحث الصريح ، ورقة ٢٨ – ٢٩ / أ .
(٣) سورة الحج ، الآية ٢٧ .

يوم مدين[1]) وقال الطبري: (وذلك شبيه بما وصف الله تعالى عن النبي في القرآن وقال إنه يضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم) .

وهذا النص يصور حال أمته قبل بعثته ؛ فقد كانت ترتع في ظلمات الجهل والشرك ، ثم أضاء لها نور الوحدانية فاتبعته، وبعد أن كانت أمة مستضعفة؛ كثر أتباعها ، وفرحوا بانضمامهم إليها ، وبسبب هذه الرسالة رفع الله عنهم استعباد الأمم لهم، وانقلبت حالهم فإذا هم المسيطرون على بني البشر .

البشارة الخامسة : قول إشعياء في الفصل الخامس :(إنه ولد لنا مولود، ووهب لنا ابن سلطانه على كتفه) هذا النص عن الترجمة السريانية ، أما ترجمته عن اللغة العبرية فهو: (إن على كتفه علامة النبوة[2]) .

وقد أورد المهتدى الشيخ زيادة هذه البشارة بالنص العبري ثم ترجمها إلى اللغة العربية ، وكانت بصورة أطول مما ذكره الطبري هنا، واستنتج منها الأدلة التالية الدلة على نبينا الدالة محمد ﷺ وهي :ـ

١ - أن اسمه عجيب ؛ فلم يتسم أحد بهذا الاسم الشريف من قبل.

٢ ـ أنه من سلالة إسماعيل الذي لم يظهر منهم سواه .

٣ ـ أن لفظة «عجيباً» التي تضمنتها البشارة قد وجدت في التوراة اليونانية « رسولاً » وهو الاسم المتغلب عليه ﷺ .

---

(١) الدين والدولة ، ص ١٤٦ . وإشعياء ٩ .

(٢) الدين والدولة ، ص ١٤٦ - ١٤٧. والبحث الصريح ، ورقة ٣٤ / ب . واشعياء ٩ .

٤ ـ هذه النبوة تضمنت أن إشعياء سماه «مشاوراً» ، ولم يكن أحد أكثر منه مشاورة لأصحابه ﷺ .

٥ ـ أن إشعياء قال عنه: «سيد سلام» . وهذا يدل على أنه رئيس الإسلام والمسلمين، وخاتم الأنبياء والمرسلين. ولا تنطبق هذه الأوصاف على عيسى عليه السلام؛ لأنه لا توجد على كتفه علامة النبوة، ولم يكن اسمه عجيباً فقد سبقه من تسمى بمثل اسمه، ولم يأت بشريعة مستقلة[١] .

والمقصود بهذه البشارة الإشارة إلى خاتم النبوة الذي كان على كتفه الشريف، وقد استفاضت كتب السنة[٢] والسيرة والدلائل بذكر خبره وصفته، وكذلك القصص والحوادث المتعلقة به كقصة إسلام سلمان الفارسي رضي الله عنه، وقصة بحيرا الراهب .

البشارة السادسة : قول إشعياء في الفصل العاشر:(هكذا يقول الرب إنك تأتي من جهة التيمن، من بلد بعيد، ومن أرض البادية مسرعاً، مقداً مثل الزعازع من الرياح ، ورأينا منظراً رائعاً هائلاً ظالماً يظلم، ومنتهباً ينتهب ...ولتقم السادة والقادة إلى أترستهم، فليدهنوها لأن الرب قال لي: هكذا أمض فأقم الربيئة على المنظرة؛ ليخبر بما يرى، فكان الذي رأى

(١) انظر البحث الصريح ، ورقة ٣٤ / ب – ٣٧ .

(٢) ومن ذلك مارواه الإمام مسلم في صحيحه من قول جابر بن سمرة : (كان رسول الله قد شَمِطَ مُقَدَّمُ رأسه ولحيته .. إلى أن قال : ورأيت الخاتم عندكتفه مثل بيضة الحمامة يشبه جسده) باب الفضائل ، حديث ٢٣٤٤ وانظرأيضاً حديث ٢٣٤٥ ، ٢٣٤٦ ، وانظر أيضاً صحيح الإمام البخاري كتاب الوضوء باب ٤٠ .

راكبين: أحدهما راكب حمار، والآخر راكب جمل ..فبينما أنا كذلك إذ أقبل أحد الراكبين وهو يقول: هوت بابل وتكسرت جميع آلهتها المنجورة على الأرض، فهذا الذي سمعت من الرب إله إسرائيل العزيز قد أنبأتكم[1]). ويستنتج من هذا النص الدلالات التالية المؤكدة على أن المعني بهذه البشارة هو نبينا محمد ﷺ :ـ

١ ـ أن إشعياء قال: ستأتي من جهة التيمن، من بلد بعيد، من أرض البادية؛ لئلا يدع حجة لمحتج، لأنه لم يأت أحد بهذه النبوة من أرض التيمن الواقعة في البادية البعيدة عن أرض إسرائيل سوى محمد ﷺ .

٢ ـ أنه قال :(هوت بابل وانكسرت جميع آلهتها). ولم تزل الأوثان تعبد في بابل حتى ظهر محمد ﷺ؛ فأطفأ نيرانهم، وهدم أوثانهم، واذعنوا لدين الله طوعاً أو كرهاً .

٣ ـ إذا كان راكب الحمار ينطبق على المسيح ؛ فليس في الدنيا راكب جمل أولى بهذه النبوة من محمد ﷺ. وقد أورد المهتدي الإسكندراني النص العبري المتعلق براكب الحمار وراكب الجمل ، ثم اتبعه بالترجمة العربية وجاء فيه :(فرأى ركب رديف خيل ، ركب رديف حمار، ركب رديف جمل) وقال: هذه حال جيوشه ﷺ، خلاف عساكر الملوك؛ لأن الملوك لا تركب جيوشها مراديف، ولا يركبون الحمير والجمال .

أما قوله : (ظالماً يظلم، ومنتهباً ينتهب). فقصد به الإمبراطورية

---

(١) الدين والدولة ، ص ١٤٨ – ١٥٠ . والبحث الصريح ، ورقة ٣٧/ ب – ٣٨. وإشعياء ١٢ .

الفارسية والرومانية[1].

البشارة السابعة : قول إشعياء في الفصل الحادي عشر: (إنا سمعنا من أطراف الأرض مزموراً وترتيلاً للبر والخير وهو يقول: إن لي سراً، إن لي سراً. ويقول ياويحي، فجر الفجار، فجر الفجار فجوراً، فها أنذا محدق بكم يا سكان الأرض الرعب والمهواة والفخ ...لأن أبواب السماء تفتحت، وتزعزعت أساسات الأرض وارتاعت) هذا كما في ترجمة مارقوس، فأما في النص العبري الذي هو الأصل فإنه يقول :(إنا سمعنا من أطراف الأرض صوت محمد[2]). قال الطبري بعد أن أورد هذه البشارة: ومكة هي في أطراف الأرض، وعلي ساحل البحر، فليعلمونا متى وفي أي دهر نزل بأهل الكفر والشرك من الروعات والنقم والنكبات مثل ما عمهم ونزل بهم في هذه الدولة؟ وليس بعد التصريح بذكر اسمه ﷺ مجال للتأويل أو المجادلة .

البشارة الثامنة: قول إشعياء في الفصل السادس عشر :(لتفرح أهل البادية العطشى، ولتبتهج البراري والفلوات، ولتخرج نوراً كنور الشسلبذ[3]، ولتستر وتزه مثل الوعل؛ لأنها ستعطى بأحمد محاسن لبنان ، وكمثل الدساكر والرياض، وسيرون جلال الله عز وجل وبهاء إلهنا[4]) وقد اشتملت هذه البشارة على ذكر بلده وحال أمته، وصرحت باسمه،

---

(١) انظر البحث الصريح ، ورقة ٣٨ - ٤٠/أ. والدين والدولة ، ص ١٤٨ - ١٥٢ .

(٢) الدين والدولة ، ص ١٥٢ - ١٥٣ . وإشعياء ٢٤ .

(٣) هكذا في كتاب الدين والدولة ، ولم أجد لها ذكراً أو شرحاً في قاموس الكتاب المقدس .

(٤) الدين والدولة ، ص ١٥٣ . وإشعياء ٣٥ .

وتضمنت ما وعدوا به من النظر إلى وجهه تعالى في الآخرة .

البشارة التاسعة : قول إشعياء في الفصل التاسع عشر :(هتف هاتف في البدو وقال : خلوا الطريق للرب، وسهلوا لإلهنا السبيل في القفر، فستمتلىء الأودية كلها مياهاً، وتفيض فياضاً، وتنخفض الجبال انخفاضاً، وتصير الآكام دكا دكاً، والأرض الوعرة ملساء، وتظهر كرامة الرب، ويراه كل أحد، من أجل أن الرب يقول ذلك[1]) . ولم تدع أمة من البادية وتكرم هذا التكريم سوى الأمة الإسلامية. وقد أوّل الطبري الجبال والروابي في هذه البشارة على أنهم الملوك والجبابرة، وأن الأودية الواردة هنا حقيقية.

ولعل الأولى أن يتم تأويل هذه الأودية على معنى معنوي كما أوّل الجبال والآكام فيكون المقصود بفيضان الأودية بالماء هو انتشار الإسلام ، وإشاعة العلم الشرعي الذي لا تستغني عنه الأمة، كما أنها لا تستغني عن الماء، وقد شبه النبي ﷺ ما بعث به بالغيث أصاب الأرض[2].

البشارة التاسعة : قول إشعياء في الفصل التاسع عشر :(إن الرب سيظهر بالعز، وذراعه بالحول والقوة، أجره معه، وعمله قدامه، كالراعي الذي يرعى قطيعه، ويجمع غنمه، ويحملهم في حجره ، ويغذو الرواضع منهم بنفسه [3]) وقد تقدم أن اسم الرب يقع على الله ، ويقع على الناس. ومعنى قوله: أجره معه. هو تعبير عن النبي ﷺ الذي كان أجره

(١) الدين والدولة ، ص ١٥٣ - ١٥٤ . وإشعياء ٤٠ .

(٢) انظر صحيح البخارى كتاب العلم ، باب ٢٠ .

(٣) الدين والدولة ، ص ١٥٤ . إشعياء ٤٠ .

معه ، ولم يبتغ من أحد أجراً، ومعنى عمله أمامه.فهو الذي عجّل للمجاهدين في سبيل الله أجورهم وفضلهم بالعز والغلبة اللذين كانا معه ﷺ . وقوله كالراعي. فهو تشبيه لهذا النبي بأنه مثل الراعي في تحننه ورأفته ورحمته[1]

البشارة العاشرة : قول إشعياء في الفصل التاسع عشر :(من الذي نبه البر من المشرق، ودعاه إلى موطيء قدمه ليسلم إليه الأمم، ويذهل عنه الملوك، ويجعل سيوفه في عدد الثرى ...وقسيه في عدد الحزم المنثورة، فهو يغلبهم ويضرب وجوههم، ثم يحدث سلماً، ولا يطأ برجله سفراً[2]) . قال الطبري:(فإن الحجاز والعراق وما ولاها عند أهل الشام مشرق[3]) . ومعنى قوله من الذي نبه البر. لعله بمعنى من الذي نبه البار من المشرق، أو لعل المقصود بالبر الإيمان؛ كما جاء في قوله تعالي:﴿ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر[4]﴾. أما بقية النص فهو متحقق في النبي ﷺ ؛ فهو الذي سلّمت إليه الأمم قيادها، وذهل منه الملوك، وكانت سيوفه بعدد الثرى، وهو الذي تغلب على الكفار وخذلهم، ولم تجتمع هذه الصفات لأحد سوى رسول الله ﷺ .

البشارة الحادية عشرة قول إشعياء في الفصل العشرين :(يا آل إبراهيم

---

(١) انظر الدين والدولة ، ص ١٥٤ .

(٢) المصدر السابق ، ص ١٥٥ وإشعياء ٤١ .

(٣) الدين والدولة ، ص ١٥٥ .

(٤) سورة البقرة ، الآية ١٧٧ .

خليلي الذي قويتك، ودعوتك من أقاصي الأرض، ومن نجودها وعواليها، ناديتك وقلت لك: إنك عبدي وأنا اجتبيتك، ولم أستر ذلك ؛ فلا تخف، لأني معك ، ولا ترهب فها أنا إلهك أيدتك ثم أعنتك، وبيميني العزيزة البرة مهّدت لك، ولذلك يبهت ويخزي المستطيلون عليك، ويضمحل ويتلاشى الذين يمارونك ويشاقونك، ويبيد القوم المنازعون لك، وتطلبهم فلا تحس منم أثراً؛ لأنهم يبطلون، ويصيرون كالنسيء المنسي أمامك، لأني أنا الرب قويت يمينك، وقلت لك لا تخف ؛ فإني أنا عونك ومخلصك ، هو قدوس إسرائيل، يقول الله الرب: (أنا جاعلك مثل الجرجر الحديد الذي يدق ما يأتي عليه دقاً، ويسحقه سحقاً، وكذلك تفعل أنت أيضاً، تدوس الجبال، وتدقها، وتجعل المدائن والتلال هشيماً تذروه العواصف، وتلوى به هوج الرياح، وتبتهج أنت حينئذ، وترتاح بالرب، وتكون محمداً بقدوس إسرائيل[1]) . وقد استبدل أول هذا النص بـ (وأما أنت يا إسرائيل عبدي، يايعقوب الذي اخترته من نسل إبراهيم) .كما استبدل آخره بـ (وأنت لتبتهج بالرب بقدوس إسرائيل تفتخر) .

وقد تقدم في البشارات السابقة أن أرض الحجاز واقعة في أقاصي أرض إسرائيل، أما قوله:(فلا تخف لأني معك، ولا ترهب فها أنا إلهك أيدتك ثم أعنتك) . فهو متفق مع قوله تعالى:﴿ والله يعصمك من

(١) الدين والدولة ، ص ١٥٥ . وإشعياء ٤١ .

الـنـاس[1]﴾. أما قوله:(يبهت ويخزي المستطيلون عليك). فهو متفق مع قوله تعالى: ﴿ إنا كفيناك المستهزئين[2]﴾ وقوله: ﴿فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم [3]﴾ كما أنه متفق مع حال المناوئين له والمخالفين لأمره ممن كانوا أمماً أو أفراداً. ومعنى قوله:(تدوس الجبال وتدقها) .. فقد سبق تأويل الجبال بالملوك والجبابرة، وقد سحِقوا أمام جيوشه وجيوش أصحابه، وأصبحوا هشيماً تذروه الرياح .

وقال المهتدي الطبري: (وإن شغب شاغب فأكثر ما يمكنه أن يقول: إن تفسير اللفظة السريانية هو: أن يكون محموداً وليس بمحمد. ومن عرف اللغة وفهم نحوها لم يخالفنا في أن معنى محمود ومحمد شيء واحد).

البشارة الثانية عشرة: قول إشعياء في الفصل العشرين: (إن المساكين والضعفاء يستسقون ماء ولا ماء لهم، فقد جفت ألسنتهم من الظمأ، وأنا الرب أجيب حينئذ دعوتهم، ولن أهملهم بل أفجر لهم في الجبال والأنهار وأجري بين القفار العيون، وأحدث في البدو آجاماً، وأجري في الأرض ماء معيناً، وأنبت في القفار البلاقع والصنوبر والآس والزيتون، وأغرس في القاع الصفصف والسرو البهية ؛ ليروها جميعاً ، وليعلموا

(١) سورة المائدة ، الآية ٦٧ .
(٢) سورة الحجر ، الآية ٩٥ .
(٣) سورة البقرة ، الآية ١٣٧ .

ويتدبروا ثم يفهموا معاً أن يد الله فعلت ذلك ، قدوس إسرائيل ابتدعه[1])
وقد ذهب الطبري إلى أن الألفاظ الواردة في هذه النبوة على حقيقتها، فقال :(فأين لكم يا بني عمي المحيد عن هذه النبوة الواضحة الناطقة؟ وما عسيتم تقولون فيها؟ وقد سمى البلاد ووصف المعاطش والقفار البلاقع، وما فجر فيها من العيون، وأجرى من الأنهار، وغرس فيها من أنواع الأشجار، وسمي العطاش المساكين من أهل البوادي والحجاز ..)
ولكنني أرى أن المقصود بهذه الألفاظ هي المعاني المجازية التي يمكن تأويل هذه الألفاظ إليها استئناساً بقرينة الحال والواقع؛ لا أن المقصود بهذه الألفاظ المعانى الحقيقية؛ يؤكد ذلك أن الأرض التي أشرقت بنور الرسالة المحمدية لا تزال منذ أن سكنها إسماعيل عليه السلام إلى يوم الناس هذا واد غير ذى زرع، كما قال ذلك الخليل عليه السلام، فلم تنعم بالأنهار، ولم تتفجر فيها العيون، ولم تنبت الزيتون والآس. ولعل المراد من قوله: إن المساكين والضعفاء يستسقون ولا ماء لهم أن هذا كناية عن سؤالهم الله أن يغيثهم بالرسالة ، ويزكيهم بالكتاب والحكمة، وينزل على قلوبهم السكينة والطمأنينة ، امتداداً لدعوة أبيهم إبراهيم عليه السلام لما قال ـ كما أخبر بذلك الله عنه في محكم تنزيله ـ: ﴿ربنا وابعث فيهم رسولاً منهم يتلوا عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة

---

(١) الدين والدولة ، ص ١٥٦ . وإشعياء ٤١ .

ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم[1]﴾.

وقد أورد المهتدي الشيخ زيادة نصاً عن إشعياء يتضمن أن «دوما» ـ وهي إحدى البلاد التي عمرها أحد أبناء إسماعيل عليه السلام ـ تستغيث بلسان حالها إلى الله سبحانه وتعالى أن يرسل إليها النبي ﷺ ؛ ليخرجها من الظلمات إلى النور[2]. فعلى ذلك يتيسر تأويل بقية النص الوارد إلى المعاني المجازية؛ فيكون المراد بالأنهار والعيون، وازدياد الخير والنماء وتبدل حال القفار ... هو انتشار الرسالة، وعموم نور الإسلام، وكثرة العلماء والدعاة الذين يرد إليهم الناس لسؤالهم والاستفادة من علمهم الذي هو للروح كالماء للجسد. وقد يكون من حكمة الله أن تظل هذه النصوص بهذه الألفاظ؛ لأنها لو وردت ظاهرة لتلقفتها أيدي اليهود والنصارى بالتحريف والتغيير .

وبناءً على ذلك يكون هذا النص ـ سواء كان ظاهراً أم مؤولاً ـ دالاً على نبوة محمد ﷺ؛ لأنه ذكر الضعفاء والمساكين في البادية العطشى بين الجبال والقفار، وقد كانت أمته قبل بعثته على هذه الحال من الضعف والمسكنة والبداوة والسكنى بين الجبال وفي القفار والأودية العطشى .

البشارة الثالثة عشرة : قول إشعياء في الفصل الحادي

---

(١) سورة البقرة ، الآية ١٢٩ .

(٢) انظر البحث الصريح ، ورقة ٢٩ / أ .

والعشرين :(لتسبحني وتحمدني حيوانات البر من بنات آوى حتى النعائم؛ لأني أظهرت الماء في البدو، وأجريت الأنهار في بلد أشيمون؛ لتشرب منها أمتي المصطفاة، فلتشرب منه أمتي التي اصطفيتها[1]) وما ورد في هذه النبوة يؤكد ما جاء في النبوة السابقة، ويؤكد أيضاً تأويل الماء بالرسالة.

البشارة الرابعة عشرة : قول إشعياء في الفصل الثالث والعشرين متحدثاً عن النبي ﷺ :(اسمعي أيتها الجزائر، وتفهمي ياأيتها الأمم، إن الرب أهاب بي من بعيد، وذكر اسمي وأنا في الرحم، جعل لساني كالسيف الصارم وأنا في البطن، وأحاطني بظل يمينه، وجعلني في كنانته كالسهم المختار وخزنني لسره، وقال لي: إنك عبدي. فصرفي وعدلي قدام الرب حقاً، وأعمالي بين يدي إلهي، وصرت محمداً عند الرب، وبإلهي حولي وقوتي[2]) قال المهتدي الطبري: فإن أنكر منكر اسم محمد في هذا الباب. فليكن محموداً، فلن يجد إلى غير ذلك من الدعاوى سبيلاً .

البشارة الخامسة عشرة : قول إشعياء في الفصل الرابع والعشرين : (هكذا يقول الرب قدوس إسرائيل للذي كانت نفسه مسترذلة مهانة، ولمن كانت الأمم تستخف به، وأتباع السلطان يهينونه؛ ستقوم له الملوك إذا رأوه، وتسجد له السلاطين؛ لأن وعد الله حق، وهو قدوس إسرائيل الذي

(١) الدين والدولة ، ص ١٥٧ . وإشعياء ٤٣ .
(٢) الدين والدولة ، ص ١٥٧ – ١٥٨ . وإشعياء ٤٩ .

انتخبك واختارك، وهو الذي يقول أجبتك عند الرضى، وترث تواريث الخرابات، وتقول للأسرى: اخرجوا وانفكوا، وللمحبسين اظهروا وانطلقوا... ويتوافى القوم من بلد شاسع بعيد: بعض من جهة الجربياء، وبعض من البحر، وبعض من بحر سنيم. فسبحي أيتها السماء، واهتزي أيتها الأرض فرحاً، وابتهجي أيتها الجبال بالحمد؛ فقد تلاقى الرب شعبه، ورحم المساكين من خلقه[1]) ولم تتحقق هذه المعاني مجتمعة إلا لنبينا محمد ﷺ؛ فقد كانت أمته قبل بعثته أمة مسترذلة مستضعفة، وببعثته ﷺ أذعنت لهم الملوك، واستسلمت لهم الجبابرة، وقضوا على الإمبراطوريات القائمة، وحكموا البلاد والعباد .

أما قوله:(جعلتك ميثاقاً للشعوب) . فهو متفق مع قوله تعالى: ﴿وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال ءأقررتم وأخذتم على ذلكم إصري قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين[2]﴾والذي جاء مصدقاً لما معهم هو محمد ﷺ بدليل قوله تعالى: ﴿وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه[3]﴾ .

أما قوله : نوراً للأمم. فهو متفق أيضاً مع قوله تعالى :﴿فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون[1]﴾. وقوله

---

(١) الدين والدولة ، ص ١٦٣ - ١٦٤ . وإشعياء ٤٩ .

(٢) سورة آل عمران ، الآية ٨١ .

(٣) سورة المائدة ، الآية ٤٨ .

تعالى: ﴿الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كأنها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء[٢]﴾ وقوله تعالى : ﴿ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نوراً[٣]﴾.

أما قوله:(لتطمئن بك الأرض). فهو مماثل لقوله تعالى : ﴿الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب[٤]﴾.

أما قوله :(وترث ثواريث الخرابات). فتستطيع أن تلمح منه وعد الله للذين آمنوا وعملوا الصالحات بالاستخلاف كما في قوله تعالى : ﴿وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي أرتضى لهم ..﴾[٥].

أما بقية هذه البشارة فهي تصوير لتوافد الأمة الإسلامية في موسم الحج، وإقامة شعائر الله في تلك البقاع الطاهرة المباركة ...

---

(١) سوة الأعراف ، الآية ١٥٧ .
(٢) سورة النور ، الآية ٣٥ .
(٣) سورة الشوري ، الآية ٥٢ .
(٤) سورة ا لرعد ، الآية ٢٨ .
(٥) سورة النور، الأية ٥٥ .

البشارة السادسة عشرة: قول إشعياء في الفصل الرابع والعشرين مخاطباً مكة وهاجر: (أنا رسمتك على كفي فأسوارك أمامي في كل وقت، وسيأتيك ولدك سراعاً، ويخرج عنك من أراد أن يتحيّفك ويخرّبك، فارفعي بصرك إلى ما فوقك، وانظري فإنهم يأتونك ويجتمعون عن آخرهم إليك. يقول الله مقسماً باسمه: إني أنا الحي، لتلبسنهم مثل الحلة، ولتتزينين بالإكليل مثل العروس، ولتضيقنّ عنك قفارك وخراباتك، والأرض التي ألجئوك إليها، وضغطوك فيها من كثرة سكانها والراغبين فيها، وليهربنّ منك من كان يناويك ويهتضمك، وليقولن لك ولد عقمك : أيتها النزور الرقوب، إنه قد ضاقت بنا البلاد فتزحزحوا وانفرجوا فيها لتتسع في فيافيها، وستحدثين نفسك حينئذ فتقولين: من رزقني هؤلاء كلهم، ومن تكفل لي بهم[1]. وهذه البشارة لا تتطلب الشرح والتعليق لوضوحها، كما أنها لا تقبل أن تؤوّل على غير مكة أو هاجر، فمن الذي تكفل الله بحمايتها غير مكة؟ ومن الذي تكاثر عددها ونسلها، وضاقت عنهم أرضها، سوى هاجر؟؟.

البشارة السابعة عشرة : قول إشعياء في الفصل الرابع والعشرين: (هكذا يقول الرب: ها أنا رافع يدي على الأمم، وناصب لهم آية؛ وهي أن الناس يأتونك بأبنائك على أيديهم، ويحملون بناتك على أكتافهم، وتكون الملوك ظؤورتك، وعقائل نسائهم مرضعاتك، ويخرّون على

(١) الدين والدولة ١٦٤ - ١٦٥. وإشعياء ٤٩ .

وجوههم سجداً لك على الأرض، ويلحسون تراب أقدامك، وتعلمين حينئذ أني أنا الرب الذي لا يخزي الراجون لي لديّ[1]). وفي هذا النص تقرير لخضوع الأمم لهذه الأمة الإسلامية؛ فيكون أبناؤها وبناتها خدماً لأبناء الأمة الإسلامية، وتكون نساؤهم مرضعات لأطفال المسلمين، وقد حدث ذلك نتيجة الفتوحات الإسلامية التي أثمرت عن انتشار الرقيق من سبايا الكفار، كما أن في قوله:(ويلحسون تراب أقدامك). تصوير لحال الصغار والذل الذي يلازم دافع الجزية كما في قوله تعالى:﴿حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون[2]﴾. وقد وافق إشعياء داود في هذه النبوة، ولم لا، والمصدر واحد، والموضوع واحد، والوصف واحد، وهو قوله: (ويلحسون تراب أقدامك).

البشاوة الثامنة عشرة : قول إشعياء في الفصل الرابع والعشرين : (من الذي أقبل من أدوم؟ وثيابه أشد حمرة من البسر، وأراه بهياً في حلله ولباسه، عزيزاً لكثرة خيله وأجناده، وإني أنا الناطق بالحق والمخلص للأقوام، وإن لدينا ليوم الفتنة نكلاً، ولقد اقتربت ساعة النجاة، وحانت ساعة تخليصي؛ لأني نظرت فلم أجد من يعينني، وتعجبت إذ ليس من ينيب إلى رأيي، فخلصني عند ذلك ذراعي، وثبّت بالغضب قدمي، ودست الأمم

---

(١) الدبو الدولة ١٦٥ . وإشعياء ٤٩ .

(٢) سورة التوبة، الآية ٢٩ .

برجزي، وأشقيت حدودهم بغيظي واحتدامي، ودفنت عزهم تحت الأرض[1]) تورد هذه النبوة بعضاً من صفاته ﷺ في هيبته وجلاله، وطرفاً من ذكر بهائه، وإشارة إلى كثرة خيله وأجناده، وأن بمقدمه تتخلص الأقوام من قيد العبودية لغير الله، وتقترب ساعة نجاتها، كما تضمنت هذه النبوة صفة البشرية قبل مبعثه ﷺ، وأنها لا تسمع لكلام الله، ولا تنصر المؤمنين به؛ فاستحقت بذلك غضب الله ومقته، فكانت بعثته ﷺ عقاباً لأم الكفر؛ إذ ناصبهم العداوة، وشهر السيف في وجوههم، وأرغمهم على الإذعان له، ودفن مجد الكافرين تحت الأرض .

وقد يقول قائل: إن هذه البشارة ذكرت أنه أقبل من أدوم. ومحمد ﷺ كان في أرض الحجاز؛ فلا تنطبق عليه هذه النبوة . والجواب على ذلك : أن الصفات الواردة في بقية النبوة لا تنطبق إلا على محمد ﷺ وأمته، أما قوله : أقبل من «أدوم» . فمن المعلوم أن المتحدث في هذه البشارة هو أحد أنبياء بني إسرائيل المقيمين في أرضها، و«أدوم» إقليم يقع بين الحجاز وفلسطين؛ إذ القادم من الحجاز إلى فلسطين لا بد أن يعبر من خلال «أدوم» ، ويجب أن لا نغفل أن المتحدث ـ وهو إشعياء ـ يتحدث عن أمر غيبي مستقبلي فلا يمكن إذاً أن يقول: من الذي أقبل من الحجاز. لأنه سيقال له : أين منا الحجاز؟؟. ولكنه يتحدث عن هذا النبي القادم بيقين لا شك فيه، حتى لكأنه يراه في أطراف أرض إسرائيل فيقول لهم : من

---

(١) الدين والدولة، ص ١٦٦ .

هذا الذي أقبل من أدوم؟؟ وهو على يقين منه؛ لأنه ذكر صفاته ، ولكنه طرح الخبر بصيغة التساؤل حتى تستشرف النفوس، وتهفو الأرواح للقائه .

البشارة التاسعة عشرة : قول إشعياء في الفصل الرابع والعشرين عن الله عز وجل أنه قال مخاطباً نبيه محمداً ﷺ :(إني جعلت اسمك محمداً، فانظر من محالك ومساكنك يامحمد، ياقدوس؛.. واسمك موجود منذ الأبد[1]) فذكر اسمه مرتين في هذه النبوة، وهذه مماثلة لما ورد في نبوة داود عليه السلام عنه في المزامير من قول داود : (في جبله قدوس ومحمد). فليس وراء هذا مجل لمدعٍ أن يتمحل أو يجادل .

وقال الطبري: (إن القدوس في اللغة السريانية: الرجل البر الطاهر... فإن غالط مغالط فقال: (يامحمد يا قدوس)، إنما يقع على المساكن التي ذكرها. فإن الكتاب السرياني يكذبه؛ لأنه لو أراد بذلك المساكن لقال:يا قدوسين ومحمدين. ولم يقل قدوساً ومحمداً[2]) .

البشارة العشرون : قول إشعياء في الفصل الرابع والعشرين :(اعبروا اعبروا الباب، وردوا الطريق على الأمة، وسهلوا السبيل وذللوها، ونحّوا الحجارة عن سبيلها، وارفعوا للأمة علماً ومناراً؛ فإن الرب أسمع نداءه من في أقطار الأرض، فقل لابنة صهيون إنه قد قرب مجيء من يخلصك، وأجره

(١) المصدر السابق، ص١٦٦ .

(٢) المصدر السابق ، ص ١٦٦ - ١٦٧ .

معه، وعمله قدامه، ويسمون شعباً طاهراً، يخلصهم الرب، وتسمين أنت أيتها القرية التي أدال الله لها من أعدائها ولم يخذلها ربها[1]) . وهذه البشارة شاهدة ومؤكدة للبشارة السابقة لإشعياء التي سبق إيرادها تحت مسمى البشارة التاسعة .

ويماثل قول إشعياء أسمع نداءه من في أقطار الأرض. قوله ﷺ عن هذا الدين :(لا يبقي على ظهر الأرض بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله كلمة الإسلام، بعز عزيز، أو بذل ذليل: إما يعزهم الله فيجعلهم من أهلها، أو يذلهم الله فيدينون لها[2]) .

أما قوله : فقل لابنة صهيون إنه قد قرب مجيء من يخلصك. فهو شاهد على أن هذا المخلص هو رسول الله ﷺ؛ لأنه ذكر شيئاً من صفاته، وهو أن أجره معه فهو لا يبتغي على رسالته أجراً من أحد سوى الله، كما أنه لا يعمل لدنياه بل يعمل لآخرته فعمله أمامه، ولم تتخلص ابنة صهيون ـ ولعل ذلك تعبير عن بيت المقدس ـ من ربقة السيطرة اليهودية، وضلال الوثنية النصرانية إلا على يد محمد ﷺ وأصحابه، فهو الذي ألبسها حلة الإيمان، وكساها رونق التوحيد، وكشف عنها ستار الجهالة.

---

(١) المصدر السابق ، ص ١٦٧ .

(٢) رواه الإمام أحمد فى مسنده، جـ ٦ ، ص ٤ .

ويؤكد اختصاص هذه الأمة بهذه البشارة قوله:(ويسمون شعباً طاهراً... وتسمين أيتها القرية التي أدال الله لها من أعدائها). فذكر حالهم وهو الطهارة، ولعنايتهم به جعله اسماً لهم، وهذا موافق لقوله ﷺ:(أنتم الغر المحجلون يوم القيامة من إسباغ الوضوء[1]). وأشار إلى موطنهم وهو مكة؛ فهي القرية وهي أم القرى.

البشارة الحادية والعشرون: قول إشعياء في الفصل السادس والعشرون مخاطباً هاجر عليها السلام :(سبحي أيتها النزور الرقوب، واغتبطي بالحمد أيتها العاقر، فقد زاد ولد الفارغة المجفية على ولد المشغولة الحظية. وقال لها الرب اوسعي مواضع خيامك، ومدي ستور مضاربك، لأنك لا تنفَسي ولا تضنى ، بل طوّلي أطنابك، واستوثقي من أوتادك؛ من أجل أنك تتبسطين وتنتشرين في الأرض يميناً وشمالاً، وترث ذريتك الأمم، ويسكنون القرى المعطلة اليباب[2]). فذكر حال هاجر عليها السلام[3].
وبشر هاجر بهذه الآمال العظيمة التي تستحق الحمد والشكر والاغتباط، وما ينتظر ذريتها من التوسع والسيطرة والغلبة على سائر الأمم، وبمقارنة هذا الوعد الذي وعد به إشعياء هاجر عليها السلام ـ مع الفتوحات التي

(١) رواه مسلم فى صحيحه كتاب الطهارة ، حديث ٢٤٦ .
(٢) الدين والدولة ، ص ١٥٨ . وإشعياء ٥٤ .
(٣) الدين والدولة ، ص ١٥٨ .

تحققـت للأمة الإسـلامية عـلى أيدي صحابة رسـول الله ﷺ نجد أنه قد تحقق فعلاً، وليـس بعـد شهادة الواقع وتصديقه لهذه النبوة مجال لمجادل أن يجادل أو يغالط فيدعي أن هذه البشـارة لا تصدق هنا، وأنها دالة على قوم آخريـن... ويكفي في هـذه النبوة حجة ودليـلاً أنه نص على أن أبناء المجفية قد زادوا على أبناء المشغولة الحظية، ومن المجفية إلا هاجر؟ ومن الحظية إلا سارة ؟. ولم تحصل هذه الزيادة، ولم تتحقق هذه الغلبة إلا بعد بعثة محمد ﷺ .

البشارة الثانية والعشرون : قال إشعياء في الفصل الثامن والعشرين مخاطباً هاجر عليها السلام :(أيتها المنغمسة المتغلغلة في الهموم التي لم تنل حظوة ولا سلوًا، إني جاعل حجرك بلوراً... ويعرفني هنالك جميع ولدك ولا ينكرونني، وأعم أبناءك بالسلم، وتكونين مزينة بالصلاح والبر، فتنحي عن الأذي والمكاره؛ لأنك آمنة منها، فانحرفي عن الانكسار والانخذال فلن يقرباك، ومن انبعث من بين يدي فإليك يكون وفيك حلوله، وتصيرين وزَرَاً وملجأ لقاطنيك وساكانك[1]) . قال الطبري:(فأي شهادة أعظم من شهادة الله لهم أنهم جميعاً يعرفونه ولا يجهلونه؟ وأنه صيّر بلدهم وزَرَاً وملجأً للناس، أي حرماً آمناً.)

(١) الدين والدولة ، ص ١٥٩ . وإشعياء ٥٤ .

البشارة الثالثة والعشرون: قول إشعياء في الفصل الثامن والعشرين: (يامعشر العطاش توجهوا إلى الماء والورود، ومن ليس له فضة فليذهب ويمتار ويستسقي ويأكل من الخمر واللبن بلا فضة ولا ثمن[1]). قال المهتدي الطبري :(فهذا من نبوة إشعياء دال على ماأنعم الله به على ولد هاجر من أمة النبى ﷺ، وعلي أنهم صائرون إلى ماوعدهم الله تعالى في الآخرة من أنهار من خمر، وأنهار من لبن لم يتغير طعمه، وأنهار من خمر لذة للشاربين. فانظروا إلى هذه المشاكلة والموافقة التي بين النبوتين جميعاً[2]). وهذا إشارة منه إلى قوله تعالى : ﴿مثل الجنة التي وعد المتقون فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفى ولهم فيها من كل الثمرات ومغفرة من ربهم[3]﴾.

البشارة الرابعة والعشرون: قول إشعياء في الفصل الثامن والعشرين: (إني أقمتك شاهداً للشعوب، ومدبراً وسلطاناً للأمم؛ لتدعو الأمم الذين لم تعرفهم، وتأتيك الأمم الذين لم يعرفوك هرولة وشداً؛ من أجل الرب إلهك قدوس إسرائيل الذي أحمدك، فاطلبوا ما عند الرب، فإذا عرفتموه فاستجيبوا له، وإذا قرب منكم فليرجع الخاطيء عن خطيئته، والفاجر عن سبيله، وليرجع إليّ لأرحمه، ولينب إلى إلهنا الذي عمّت رحمته

(١) الدين والدولة ، ص ١٦٠ . وإشعياء ٥٥.
(٢) الدين والدولة ، ص ١٦٠ .
(٣) سورة محمد ، الآية ١٥ .

وفــضله[1]) قال الطبري: (فقد سمّى النبي ﷺ باسمه، وقال: إن الله جعلك محمداً. فإن آثر المخالف أن يقول : ليس بمحمد، بل محمود. وافقناه فيه؛ لأن معناهما واحد[2]) .

أما قوله : (أقمتك شاهداً للشعوب) . فهو مماثل لقوله تعالى: ﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً[3]﴾ وقوله عز وجل: ﴿ليكون الرسول شهيداً عليكم وتكونوا شهداء على الناس[4]﴾. وقوله عز من قائل : ﴿فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً[5]﴾.

أما قوله : سلطاناً للأمم. فيحتمل أن يكون المراد منه المعنى المتبادر للذهن وهو السيادة والقيادة، وقد تحققت له هذه على الأمم في حياته وحياة أصحابه. ويحتمل أن يكون المراد منه أنه سلطان بمعنى حجة على الأمم؛ لأن السلطان في لغة التنزيل تأتي بمعنى حجة[6].

وأماقوله:(لتدعو الأمم الذين لم تعرفهم) . فقد تحقق ذلك بإرساله ﷺ الرسل والكتب إلى الملوك كهرقل وكسرى والمقوقس وغيرهم ممن لا يعرفهم كما هو مشهور في كتب السنة والسيرة.

---

(١) الدين والدولة ، ص ١٦٠ . وإشعياء ٥٥ .
(٢) الدين والدولة ، ص ١٦٠ .
(٣) سورة البقرة ، الآية ١٤٣ .
(٤) سورة الحج ، الآية ٧٨ .
(٥) سورة النساء ، الآية ٤١ .
(٦) قال تعالى : (أتريدون أن تجعلوا لله عليكم سلطانا مبينًا) سورة النساء ، الآية ١٤٤ .

وأماقوله : تأتيك الأمم الذين لم يعرفوك هرولة وشداً. فمصداق ذلك في انضواء الأمم التي لم تكن تعرفه من قبل، والتي لا تعد ولا تحصى تحت لوائه، والاذعان لأمره. كما أن هذه البشارة لا تنطبق على الأنبياء قبله؛ لأنهم دعوا أقوامهم وهم يعرفونهم، واستجابت لهم الأمم التي تعرفهم، أما محمد ﷺ فقد دعا من لم يعرفه، واستجاب له من لا يعرفه .

وبقية النص تتعلق بالرحمة والمغفرة والتوبة ، وهي معان ظاهرة في شريعته، أظهر من الشمس في رائعة النهار، ولا يمكن أن تكون هذه البشارة دالة على اليهودية أو على النصرانية لما يأتي :

١ ـ أن اليهودية تعتقد أنها دين خاص ببني إسرائيل؛ وهذه البشارة قد تضمنت أنه يدعو الأمم ، وتأتيه الأمم ، وهذا يناقض اعتقادها .

٢ ـ أن هذا النص تضمن أن صاحب هذه الرسالة يبشر بالتوبة والمغفرة والرحمة، وهذا يخالف اعتقاد اليهود والنصارى: فاليهودية تعتقد أن من حق الكاهن المغفرة ومحو الخطايا[1] كما أن النصرانية تعتقد أن البشرية كانت مثقلة بالخطيئة الموروثة التي رفعت عنهم بعد صلب المسيح ـ كما زعموا ـ ثم غفلت النصرانية عن كونها محت الخطيئة الموروثة فمنحت رجال الدين حق مغفرة الخطايا .

---

(١) انظر سفر العدد ٥ ، ٦ .

٣ ـ المسيحية ديانة خاصة ببني إسرائيل؛ لأن المسيح عليه السلام أرسل إلى بني إسرائيل حيث يقول لتلاميذه :(إلى طريق أمم لا تمضوا، وإلي مدينة للسامريين لا تدخلوا. بل اذهبوا بالحرى إلى خراف بيت إسرائيل الضالة[١]) .

البشارة الخامسة والعشرون : قول إشعياء في الفصل الثامن والعشرين عن الله سبحانه وتعالى أنه قال:(إني أقسمت بنفسي وأخرجت من فمي كلمة الحق التي لا خلف لها ولا تبديل، وإنه تخرّ لي كل ركبة، ويقسم بي كل لسان، ويقولون معاً: إن النعمة من عند الرب[٢]) .قال المهتدي الطبري : (فمن هذه الأمة التي تقسم باسم الله؟ ومن ذا الذي يخرّ على الركب لاسم الفرد الواحد، ويحدث بنعم الله صباحاً ومساء، ويفرده بالدعاء والابتهال غير هذه الأمة؟ فأما جماعة النصارى فإنهم ينسبون النعم إلى المسيح)[٣].

البشارة السادسة والعشرون : قال إشعياء في الفصل الثامن والعشرين : (إن الله نظر ولم ير عدلاً، وأنكر ذلك، ورأى أنه ليس أحد يعين على الحق؛ فعجب الرب منه، وبعث وليه فأنقذه بذراعه، ومهد له بفضله، فاستلأم العفاف كالدرع، ووضع على رأسه سنور الإعانة والفلح، ولبس لباس الخلاص؛ لينتقم من المبغضين له والمعادين، ويجازي أهل الجزائر

---

(١) متى ١٠ : ٥ .

(٢) الدين والدولة ، ص ١٥٨ . وإشعياء ٥٥ .

(٣) الدين والدولة ، ص ١٥٩ .

جزاءهم أجمعين، ليتقى اسم الله في مغارب الأرض، وليخشع في مشارقها لجلاله[1]) وفي هذه النبوة تصوير لواقع البشرية قبل مبعثه عليه الصلاة والسلام، كما أن فيها إشارة إلى اختيار الله سبحانه وتعالى لرسوله ﷺ، ووصفاً لجهاده ﷺ الكافرين والمعاندين، وبياناً للنتيجة التي تحققت على يديه وهي: دخول الأمم في دين الله أفواجاً؛ حتى شمل ذلك المشرق والمغرب .

البشارة السابعة والعشرون : قول إشعياء مخاطباً هاجر عليها السلام وبلادها وهي مكة: (قومي وأزهري مصباحك فقد دنا وقتك، وكرامة الله طالعة عليك، فقد تخللت الأرض الظلام، وغطّي على الأمم الضباب، فالرب يشرق عليك إشراقاً، وتظهر كرامته عليك، وتسير الأمم إلى نورك، والملوك إلى ضوء طلوعك، ارفعي بصرك إلى ما حولك وتأملي؛ فإنهم سيجتمعون كلهم إليك ويحجونك، ويأتيك ولدك من بلد بعيد، وتحج إليك عساكر الأمم حتى تعمرك الإبل المربلة، وتضيق أرضك عن القطرات التي تجتمع إليك، ويساق إليك كباش مدين وكباش أعفا، وتأتيك أهل سبأ ويتحدثون بنعم الله ويمجدونه، وتسير إليك أغنام قيدار كلها، وتخدمك رخلات نبايوت، ويرفع إلى مذبحي ما يرضيني، وأحدث حينئذ لبيت محمدتي حمداً[2]) . فذكر هاجر وذكر البلد، وصرح بالحج وما يصاحبه من توافد الأمم، وسوق الهدي، كما صرح بأسماء بعض هذه

---

(١) المصدر السابق ص ١٦٠ . وإشعياء ٥٩ .

(٢) الدين والدولة ١٦١ . وإشعياء ٦٠ .

الأمم الوافدة إلى الحج كأهل سبأ ومدين وغيرهما. أما قوله: (قيدار ونبايوت). فقال الطبري: هما من أولاد إسماعيل عليه السلام.

البشارة الثامنة والعشرون : قال إشعياء في الفصل الثامن والعشرين : (سيترجاني أهل الجزائر، ومن في سفن تارسيس كما فعلوا من قبل، ويوردون عليك أبناءك من بلد بعيد ومعهم فضتهم وذهبهم؛ من أجل اسم الرب إلهك قدوس إسرائيل الذي أحمدك وأكرمك، ويبني أبناء الغرباء سورك، وملوكهم يخدمونك، وتفتح أبوابك في كل وقت وأوان من آناء الليل والنهار فلا تغلق، ويدخل إليك أرسال الأمم، ويقاد إليك ملوكهم أسرى؛ لأن كل أمة ومملكة لا تخضع لك تتبدد ستورها، وتصطلم الشعوب بالسيف اصطلاماً، وتأتيك الكرامة من صنوبر لبنان البهي، ومن أبهلها ليبخّر به بيتي، ويعظم به موضع قدمي ومستقر كرامتي، وتأتيك أبناء القوم الذين كانوا يذلونك، ويقبل آثار أقدامك جميع من كان يؤذيك ويضطهدك، وأجعلك كرامة إلى الأبد، وغبطة وفرحاً إلى دهر الداهرين، وسترضعين ألبان الشعوب، وستصيبين من غنائم الملوك، وتتمززين من غاراتك عليهم ...وأجعل السلامة مُدبّرك، والصلاح والبر سلطانك، ويكون الرب نورك ومصباحك إلى الأبد[1]) . فلم تتحقق هذه الصفات مجتمعة إلا لهذه الأمة الإسلامية، فتغلبت على الأمم، وقادت ملوكهم أسرى، وتبدد من أمامها الأمم التي لم تذعن لها. وكتب

---

(١) الدين والدولة ، ص ١٦٢ – ١٦٣. وإشعياء ٦٠ .

الله لها الغلبة والظهور إلى قيام الساعة وهو ما أشار إليه أشعياء في قوله : إلى دهر الداهرين .. إلى الأبد. وهو مماثل لقوله تعالى: ﴿وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض[1]﴾. وقوله ﷺ:(لا يزال ناس من أمتي ظاهرين، حتى يأتي أمر الله وهم ظاهرون[2]) .

البشارة التاسعة والعشرون : قال إشعياء في الإصحاح الثاني والأربعين: (إن عبدي المجتبى عندي، ابن حبيبي اخترته وأرسلته إلى الأمم بأحكام صادقة[3]) .

وقد أورد المهتدي الترجمان وغيره هذا النص بصورة أطول، واشتمل على صفات هي ألصق بمحمد ﷺ من غيره وهو قوله:(إن الرب سبحانه وتعالى سيبعث في آخر الزمان عبده الذي اصطفاه لنفسه، ويبعث له الروح الأمين، يعلمه دينه، ويعلم الناس ما علمه الروح الأمين، ويحكم بين الناس بالحق، ويمشي بينهم بالعدل، وما يقول للناس هو نور يخرجهم من الظلمات التي كانوا فيها، وعليها رقود، وقد عرّفتكم ما عرفني الرب سبحانه قبل أن يكون[4]) . فمحمد ﷺ هو المبعوث في آخر الزمان، وهو الذي نزل عليه الروح الأمين، وهو الذي حكم بين الناس

(١) سورة النور ، الآية ٥٥ .

(٢) رواه البخاري في صحيحه واللفظ له، في كتاب المناقب ، باب ٢٨ . ومسلم في كتاب الإمارة ، حديث ١٩٢١ .

(٣) مسالك النظر ، ص ٥٩. وتحفة الأريب ، ص ٢٧٩ . والمنارات الساطعة ، ص ٦٤ . ومحمد ﷺ في التوراة والإنجيل والقرآن، ص ٤١ . وإشعياء ٤٢ . وقد ذهب المهتدي المتطبب إلى أن هذا النص قصد به المسيح عليه السلام، فاستدل به على عدم ألوهيته . انظر النصيحة الإيمانية ، ص ١١٠ .

(٤) تحفة الأريب ، ص ٢٧٩ .

بالعدل وأخرجهم من الظلمات إلى النور.

البشارة الثلاثون : قول إشعياء في الإصحاح الثاني والأربعين :(لترفع البرية ومدنها صوتها، والديار التي سكنها قيدار، ولتترنم سالع من رؤوس الجبال، ليهتفوا ليعطوا مجداً، ويخبروا بتسبيحه في الجزائر. الرب كالجبار، يخرج كرجل حروب ينهض غيرته، يهتف ويصرخ على أعدائه[1]) . تضمن هذا النص الإشارة إلى مساكن العرب وهم ذرية قيدار أحد أبناء إسماعيل عليه السلام، والتصريح بذكر أحد جبال المدينة المنورة وهو سالع، إذاً فلا تقبل هذه البشارة أن تنطبق على غير رسول الله ﷺ.

وقبل الانتقال إلى نبوات إرميا لابد لي من الإشارة إلى أن النبوات التي أوردها إشعياء تكاد أن تأخذ طابعاً معيناً وهو: المباشرة في الطرح والتصريح بذكر الأسماء كمحمد ﷺ، وإسماعيل، ومكة والعرب، أو الإشارة إلى صفته وصفات أمته وأصحابه كذكر الدروع والسيوف والجهاد... كما مرّ سابقاً .

التاسع: بشارات إرميا :ـ

البشارة الأولى: خاطب الله بها النبى ﷺ على لسان إرميا في الفصل الأول فقال : (من قبل أن أصورك في الرحم عرفتك، ومن قبل أن تخرج من البطن قدستك، وجعلتك نبياً للأمم؛ لأنك بكل ما آمرك تصدع، وإلى كل من أرسلك تتوجه، فأنا معك لخلاصك، يقول الرب:

---

(١) محمد ﷺ في التوراة والإنجيل والقرآن ، ص ٤١ . وإشعياء ٤٢ .

وأفرغت كلامي في فمك إفراغاً، فتأمل وانظر، فقد سلطتك اليوم على الأم والمملكات؛ لتنسف وتهدم وتتبر وتسحق، وتغرس من رأيت[1]). قال المهتدى الطبرى عن هذه البشارة: (هي شبيهة بنبوات إشعياء وغيره.) وهو يقصد قول إشعياء :(إن الرب أهاب بي من بعيد، وذكر اسمي وأنا في الرحم، وجعل لساني كالسيف الصارم) وهذه هى البشارة الرابعة عشرة من بشارات إشعياء حسب ترتيب هذا البحث .

ويتفق أول هذه البشارة مع قوله تعالى : ﴿وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصــرنه[2]﴾ ورسول الله ﷺ هو الذي جاء بالحق مصدقاً لما معهم بدليل قوله تعالى عنه : ﴿بل جاء بالحق وصدّق المرسلين[3]﴾ وقوله تعالى: ﴿نزّل عليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه[4]﴾.

أما قول إرميا: (لأنك بكل ما أمرك تصدع). فيصدقه قوله تعالى: ﴿فاصدع بما تؤمر واعرض عن المشركين[5]﴾. ويشهد لقوله:(وأفرغت كلامي في فمك). قوله تعالى : ﴿وما ينطق عن الهوى . إن هو إلا وحي

(١) الدين والدولة ، ص ١٧٣ . وإرميا ١ .
(٢) سورة آل عمران الآية ٨١ .
(٣) سورة الصافات ، الآية ٣٧ .
(٤) سورة آل عمران ، الآية ٣ .
(٥) سورة الحجر ، الآية ٩٤ .

يوحى [1]﴾ وبقية النص متوافق مع البشارات التي تحدثت عن جهاده ﷺ.

البشارة الثانية :قول إرميا في الفصل الرابع مخبراً عن الله أنه قال : (إني مهيج عليكم يا بني إسرائيل من البعد أمة عزيزة، أمة قديمة، لايفهم لسانها، وكلهم مِحْرَب جبار[2]) . فمن هذه الأمة البعيدة مكاناً، والقديمة زماناً، والتي لايعرف بنو إسرائيل لسانها وظهرت فيها النبوة ـ سوى الأمة الإسلامية؛ فهي الأمة البعيدة مكاناً عن أرض إسرائيل، والقديمة زماناً؛ لانتسابها إلى إسماعيل عليه السلام، ولسانها هو اللسان العربي الذي لا تعرفه بنو إسرائيل .

البشارة الثالثة : قال إرميا في الفصل التاسع عشر مخبراً عن الله عز وجل أنه قال: (إني جاعل بعد تلك الأيام شريعتي في أفواههم، وأكتبها في قلوبهم، فأكون لهم إلهاً، ويكونون لي شعباً، ولا يحتاج الرجل أن يعلم أخاه وقريبه الدين والملة، ولا إلى أن يقول له أعرف الرب؛ لأن جميعهم يعرفونه صغارهم وكبارهم، وأنا أغفر لذلك ذنوبهم، ولا أذكّرهم بخطاياهم[3]) . قال المهتدي الطبري معلقاً على هذه النبوة :(وقد صدق وعد الله، وازدرع حبه في قلوب هذه الأمة صغارها وكبارها، وأنطق

(١) سورة النجم ، الآيتان ٣،٤ .

(٢) الدين والدولة ، ص ١٧٤ . وإرميا ٥ .

(٣) الدين والدولة ، ص ١٧٤ .

ألسنتهم بشرائعه وتحاميده، وكل عارف بالله مؤمن به[1]) . واقرأ قوله تعالى: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً[2]﴾، وقوله تعالى: ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله[3]﴾. وقوله عز من قائل : ﴿والذين آمنوا أشد حباً لله[4]﴾، وقوله عز وجل: ﴿يحبهم ويحبونه[5]﴾ وتأمل ما وصف الله به هذه الأمة في هذه النصوص من صفات خيّرة مباركة؛ فستجد أنها مماثلة لما وصفها الله به على لسان إرميا.

البشارة الرابعة: قول إرميا في الإصحاح الثامن والعشرين :(النبي الذي تنبأ بالسلام، فعند حصول كلمة النبي عرف ذلك النبي أن الله أرسله حقاً[6]) . هذه النبوة أوردها المهتدي عبد الأحد داود بالمعنى ، ويرى أنها بمعنى :(إن النبى الذي تدور نبوءاته حول الإسلام «شالوم » عند ورود كلمة النبي؛ ذلك النبي المعروف أنه المرسل من قبل الله الحق) وبعد دراسته للنص السابق خرج منه بالنتائج التالية :ـ

١ ـ أنه لا يمكن أن يكون النبي صادقاً إلا إذا بشر بدين الإسلام ونشره، (إن الدين عند الله الإسلام) .

---

(١) المصدر السابق ، ص ١٧٤ .

(٢) سورة المائدة ، الآية ٣.

(٣) سورة آل عمران، الآية ١١٠ .

(٤) سورة البقرة ، الآية ١٦٥ .

(٥) سورة المائدة ، الآية ٥٤ .

(٦) انظر محمد في الكتاب المقدس ، ص ١٢٦. وإرميا ٢٨ .

٢ ـ من الحقائق المسلّم بها أن كلمة «شالوم» العبرية و«سلام» السريانية و« إسلام» العربية كلها من نفس الجذر السامي «شلام» وتحمل نفس المعنى، وهذا أمر يعترف به جميع علماء اللغات السامية، وفعل«شلام» يدل على الخضوع أو الاستسلام، ولا يوجد نظام ديني في العالم يحمل اسماً أو وصفاً أفضل وأشمل من الإسلام. فالدين الحق لله الحق .

٣ ـ أن إرميا هو النبي الوحيد قبل المسيح عليه السلام الذي استخدم كلمة«شالوم» بمعنى الدين، وهو النبي الوحيد الذي يستخدم هذه الكلمة بهدف إثبات صدق أحد من رسل الله. أى أن إرميا هو الوحيد قبل المسيح الذي جعل الإسلام هو المقياس الذي يعرف من خلاله النبي الصادق من الكاذب، وإلا فإن إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب وكافة الرسل عليهم السلام كانوا مسلمين، واتخذوا الإسلام ديناً .

٤ ـ أن دين السلام ـ أي الإسلام ـ هو وحده القادر على تحديد الخصائص المميزة للنبي الصادق من النبي الكاذب، كما أنه لا يوجد في العالم دين يتبنى ويدافع عن هذه الوحدانية المطلقة سوى الإسلام[1] .

---

(١) محمد في الكتاب المقدس . ص ١٢٣ – ١٣٢ .

البشارة الخامسة: قول إرميا في الفصل الحادى والثلاثين:(يقول الرب إني كاسر قوس عيلم، رأس عزهم وجبروتهم، وأغرى بعيلم أربعة أرواح من أربع جهات السماء، وأبدد أهلها في تلك الجهات كلها؛ حتى لا تبقى أمة إلا وفيها نفر من شذاب عيلم وشذارهم، وأفض عيلم قدام أعدائهم فضاً، وأفلّهم أمام من يريد أنفسهم فلاً، وأنزل عليهم البلاء والرجز الأليم، وأرسل عليهم السيف حتى أفنيهم، وأنصب كرسيّ بعيلم، وأبيد من هناك من الملوك والسلاطين. هذا قول الرب[1]) . قال الطبري موضحاً هذه النبوة: (وعيلم هي الأهواز وما وليها ...فإن ذكر ذاكر الإسكندر وغلبته، وتبّعاً ومسيره، فإن الذي يحل ذلك عنه ويفسخه ويزيل الشك عنه قول الله تبارك اسمه:(إني ناصب كرسىّ بعيلم) . أي في إقليم بابل. ولم يكن الإسكندر والتبابعة منسوبين إلى الإيمان بالله. ولهذه النبوة سر آخر عجيب؛ وذلك أن الله عز وجل ذكر فيها هذه الدولة العباسية، واستيطان الخلفاء من ولد العباس أرض العراق في قوله: وأنصب كرسىّ بعيلم ـ فضيلة لا يجهلها إلا مضعوف[2]) .

البشارة السادسة : قال إرميا في الفصل الثاني والثلاثين مخاطباً النبي ﷺ : (اعدِوا لي آلات الحرب؛ فإني أبدد بك الشعوب، وأبدد بك الخيل وفرسانها، وأبدد بك الطغاة والولاة، وأجازي بابل، وجميع سكان بلاد

---

(١) الدين والدولة ، ص ١٧٥ . وإرميا ٤٩ .

(٢) الدين والدولة ، ص ١٧٥ - ١٧٦ .

الكلدانيين بجميع أوزارهم التي ارتكبوها. هذا قول الرب[1]) . وبمقارنة النهاية التي آلت إليها الإمبراطورية الفارسية على أيدي المسلمين بما ورد في هذه النبوة والتي قبلها؛ نجد أن هذا الوعد لهذه الأمة الإسلامية، وذلك الوعيد المتوعد به الأمة الفارسية قد تحقق فعلاً، وأقامه الله شاهداً من شواهد التأريخ مصدقاً لما وعد الله به المؤمنين على ألسنة رسله وأوليائه.

العاشر : بشارة حزقيال :ـ

قال حزقيال في الفصل التاسع :(إن أمّك مغروسة على الماء بدمك، فهي كالكرمة التي أخرجت ثمارها وأغصانها من مياه كثيرة، وتفرعت منها أغصان كالعصي قوية مشرفة على أغصان الأكابر والسادات، وارتفعت وبسقت أفنانهن على غيرهن، وحسنت أقدارهن بارتفاعهن والتفاف سعفهن؛ فلم تلبث الكرمة أن قلعت بالسخط، ورمى بها على الأرض، وأحرقت السمائم ثمارها، وتفرق قواها، ويبس عصيٌ عزها، وأتت عليها النار فأكلتها، فعند ذلك غرس غرس في البدو وفي الأرض المهملة العطشى، وخرجت من أغصانه الفاضلة نار أكلت ثمار تلك حتى لم يوجد فيها عصا قوية بعدها ولا قضيب ينهض بأمر السلطان[2]) . فتأمل ما في هذا النص من بلاغة في التصوير، ودقة في التعبير؛ فشبه الأمة اليهودية إبان عزها وسؤددها ـ لما كانت تعيش تحت مظلة الأنبياء ـ بالكرمة الحسنة، وبعد أن نزعت منها النبوة، وأغضبت ربها استأصل شأفتها،

---

(١) المصدر السابق ، ص ١٧٦ . وإرميا ٥١ .

(٢) الدين والدولة ، ص ١٧٧ . وإرميا ١٧ .

واقتلع جذورها، فذرتها الرياح، وأكلتها النار، وانتهى مجدها. واستبدل الله بها أمة هي خير أمة أخرجت للناس، وشبهها بشجرة قد غرست في أرض البادية العطشى من الماء المعنوي والحسي، فأثمرت هذه الشجرة الأغصان الفاضلة التي قضت على تلك الشجرة الأولى ولم تبق فيها عصا ولا قضيباً. وهذا حال الأمة اليهودية والأمة الإسلامية التي أشرق عزها، وتوسع نفوذها؛ حتى شمل بلاد بني إسرائيل وغيرها[1] .

الحادي عشر : بشارات دانيال :ـ

البشارة الأولى : قال دانيال لبخت نصر حين سأله عن تعبير رؤيا كان رآها من غير أن يقصها عليه ـ : (نعم أنت رأيت صنماً عظيماً قائماً بين يديك، رأسه من الذهب الخالص، وساعده من الفضة، وبطنه وفخذه من النحاس، وساقاه من الحديد، وبعض رجليه حديد وبعضها خزف، ورأيت حجراً انقطع من الجبل من غير قاطع، وصك رجلي ذلك الصنم ودقهما دقاً شديداً، وصار ذلك الحجر جبلاً عالياً، امتلأت منه الأرض كلها، وأنت الرأس الذي رأيته من الذهب، وتقوم بعدك مملكة أخرى دونك، والمملكة الثالثة تشبه النحاس تتسلط على الأرض، والمملكة الرابعة تكون قوية مثل الحديد يدق كل شيء، فأما الرجْل التي بعضها من حديد

---

(١) ذكر المهتدي الطبري نبوة من آخر سفر حزقيال وجاء فيها أن الله أراه بيتاً تولى ملك من الملائكة تخطيطه وتحديده ووصف أركانه وصحونه وأفنيته .. وقال الطبري بعدها : «لكن لما طالت صفته – أي البيت – وجدت أن القوم قد ثبجوها ولبسوها إما تعمداً وإما تناسياً ؛ فأضربت عن ذكرها ، واكتفيت بالكثير الشهير من النبوات ومن الشواهد ، على أن صفة ذلك البيت ... هو مكة») الدين والدولة ١٧٧ – ١٧٨ . وحزقيال ٤٠ .

وبعضها من الخزف فإن بعض المملكة يكون عزيزاً وبعضها يكون ذليلاً، ويقيم إله السماء في تلك الأيام ملكاً أبدياً لا يتغير ولا يزول، ولا يذر لغيره من الأمم ملكاً ولا سلطاناً، بل يدق ويبيد المملكات كلها إلى دهر الداهرين[1]) وقد كفانا دانيال مؤونة تفسير ما احتملته هذه الرؤيا من غيوب مستقبلية .

أما ما تضمنته هذه الرؤيا من أن إله السماء يقيم في تلك الأيام ملكاً أبدياً لا يتغير ولا يزول ...فالمقصود بهذا: الدولة الإسلامية التي أرسي دعائمها محمد ﷺ وسار على نهجها خلفاؤه الراشدون ومن تبعهم من الأئمة المهديين، وعلى أيديهم أبيدت الإمبراطوريات الفارسية والرومانية، ووسعت فتوحاتها كثيراً من أرجاء المعمورة ـ آنذاك ـ في آسيا وأفريقيا وأوربا. وقد أشارت هذه النبوة إلى استمرار هذه الدولة إلى دهر الداهرين. ولعل المراد من هذا الوعد هو استمرار العمل بشريعته ﷺ إلى قيام الساعة من قبل الطائفة الناجية المنصورة .

أما هذه الممالك التي أنبأ عنها دانيال فقد أوضحها المهتدي إبراهيم خليل وبين أنها كالتالي:ـ

١ ـ سنة ٧٠٠ ق. م مملكة بابل، ويرمز إليها بالرأس من الذهب في عهد نبوخذ نصر .

---

(١) الدين والدولة ، ص ١٨٠ مع شيء من الاختصار . وانظر محمد ﷺ في التوراة والإنجيل والقرآن، ص٦٩ . ودانيال ٢ .

٢ ـ سنة ٦١٢ ق. م مملكة الكلدانيين في عهد ميداس ، ويرمز لها بالفضة .

٣ ـ سنة ٣٢٦ ق. م المملكة الإغريقية في عهد الإسكندر المقدوني ويرمز لها بالنحاس.

٤ ـ سنة ٥٣ ق. م الإمبراطورية الرومانية في عهد بومباي، ويرمز لها بالحديد.

٥ ـ سنة ٦١٢ م الإمبراطورية البيزنطية في الغرب، والإمبراطورية الفارسية الساسانية في الشرق .

٦ ـ سنة ٦٣٧ م البعثة المحمدية، وكتابة الرسول ﷺ إلى الملوك يدعوهم إلى الإسلام، وتقويض الإمبراطورية الفارسية والبيزنطية[١] .

البشارة الثانية : رؤيا دانيال عليه السلام التي وردت في كتابه في الفصل الرابع ـ ونظراً لطولها سأكتفي بإيراد موجز لها ـ وهي :(أنه رأى في منامه كأن الرياح الأربع هاجت، واصطك منها البحر، وصعد منه أربع حيوانات عظيمة، والحيوان الرابع مغاير لها من ناحية القوة والعزة، وفي رأسه عشرة قرون، وأن دانيال أوّل هذا الحيوان الرابع بـ: مملكة تكون في الأرض أجلّ وأفضل من جميع المملكات، تغلب على الأرض كلها ... أما القرون العشرة فهي إشارة إلى أنها تقوم في تلك المملكة عشرة

---

(١) انظر محمد ﷺ في التوراة والإنجيل والقرآن، ص ٦٩ – ٧٠ .

أملاك[1]) . فسر الطبري هذه الوحوش على أنها كالتالي: ـ الحيوان الأول دولة أهل بابل، والحيوان الثاني دولة أهل الماهين، والثالث دولة الفرس، والرابع دولة العرب .

ولكن المهتدي عبد الأحد داود أورد هذه النبوة بصورة أطول وقد رواها بالمعنى، وكانت مخالفة لما أورده الطبري خاصة فيما يتعلق بالوحش الرابع، وبـ«ابن الإنسان» وسأضطر إلى أن أورد الجزء المغاير حتى يكون القارىء على بينة من الأدلة التي استخرجها عبد الأحد من هذه النبوة، وهو قوله :(أما الوحش الرابع فهو أكثرجسامة وشراسة ممن سبقه، إنه وحش ذو قرون عشرة تطل من رأسه، وفي فمه أسنان حديدية، ثم ينطلق قرن صغير إلى الأعلى من بين القرون الأخرى، فتتحطم أمامه ثلاثة قرون ـ انظروا ـ أن عيناً بشرية وفماً بشرياً تبرز على هذا القرن وتبدأ في التفوه بأشياء عظيمة موجهة ضد الذات العليا ...ثم يحترق جسم الوحش الرابع بالنار، لكن قرن الكفر يظل حياً إلى أن يؤخذ ابن الإنسان محمولاً على السحاب، ويمثل أمام الحي السرمدي، فيتلقى منه القوة والشرف والملك إلى الأبد[2]) وفسر هذه الرؤيا بتفسير مغاير ـ نوعاً ما ـ لتفسير الطبري: فهو يرى أن الحيوان الأول هو الإمبراطورية الكلدانية ، والحيوان الثاني هو الإمبراطورية الفارسية ، والحيوان الثالث هو الإسكندر الأكبر[3]، والحيوان

(١) انظر الدين والدولة ، ص١٨١ – ١٨٢ . ودانيال ٧ .

(٢) انظر محمد في الكتاب المقدس ، ص ٨٦ .

(٣) يتفق عبدالأحد داود مع الطبري في تفسير الحيوانات الثلاثة الأولى .

الرابع هو الإمبراطورية الرومانية، والقرون العشرة هي الأباطرة العشرة الأوائل الذين اضطهدوا شعوبهم، أما القرن الصغير فهو قسطنطين. ويؤكد ذلك بالبراهين التالية :ـ

١ ـ أنه تغلّب على منافسيه الثلاثة وأسقطهم، كما أسقط ذلك القرن الصغير القرون الثلاثة .

٢ ـ مُثِّلت الوحوش الأربعة على أنها وحوش غير عاقلة؛ لكن القرن الصغير كان له فم بشري وعينان، إنه يملك المنطق والكلام والقدرة.

٣ ـ يتحدث هذا القرن عن أشياء عظام ضد الذات العليا: كنسبة الولد والشركاء والانبثاق إليها ..وقسطنطين هو الذي تولى كِبْرَ ذلك .

٤ ـ ذكرت الرؤيا أن القرن الصغير شن حرباً ضد أولياء الله، ولا جدال بأن قسطنطين اضطهد النصارى القائلين بوحدانية الله .

٥ ـ ورد في الرؤيا أن القرن الصغير المتكلم فكّر في تغيير القانون والزمان. وقسطنطين هو الذي أصدر مرسومه المتضمن خرق الوصيتين الأوليين من وصايا موسى عليه السلام وهما: الوحدانية، وتحريم صناعة الصور والتماثيل وتحريم تقديسها[١] .

(١) انظر محمد في الكتاب المقدس ، ص ٨٦ – ٩٤ .

وبإعادة النظر فيما فسر به كل منهما هذه الرؤيا نجد أن التعبير الذي تميل إليه النفس، وتؤيده القرائن هو ما ذهب إليه المهتدي عبد الأحد داود؛ وذلك لما يأتي :-

١ ـ أن النص اشتمل على عبارات وردت في حق الوحش الرابع لا يمكن أن تنطبق على محمد ﷺ مثل قوله : (وكان ينازع القديسين الأطهار فيقاومهم) . وهذا النص قد ورد عندهما معاً .

٢ ـ أن عبد الأحد داود قابل بين الرؤيا وبين الواقع الذي يرى أنها دالة عليه؛ فتطابقت وتماثلت، وأيد ذلك بالبراهين السابقة .

٣ ـ أن المهتدي الطبري لم يعمل فكره في هذه الرؤيا؛ وإنما اكتفى فقط بالنقل عمن فسر كتب النصارى .

أما الشاهد من هذا النص على نبوة سيدنا محمد ﷺ فهو قول دانيال على رواية الطبري : إن تأويل الحيوان الرابع : مملكة رابعة تكون في الأرض كلها وتدوسها وتدقها وتأكلها رغداً. وهذا النص دال ـ كما يرى الطبري على أن محمداً ﷺ هو آخر الأنبياء وخاتمهم، وأن النبوات كلها تمت به وتناهت عنده، وأن الدولة التي كانت امتداداً لحكمه ﷺ هي الدولة التي مثلها دانيال بالحيوان الرابع[1] .

ولكن المهتدى عبد الأحد داود يري أن موضع الشاهد من هذه النبوة هو قوله:(لكن قرن الكفر يظل حياً إلى أن يؤخذ ابن الإنسان محمولاً

---

(١) انظر الدين والدولة، ص ١٨٢ .

على السحاب ويمثل أمام الحي السرمدي). وحيث إن هذا النص ـ موضع الشاهد على رأي عبد الأحد ـ قد اشتمل على لفظة «ابن الإنسان» فقد اسهب في الكلام حولها؛ للتدليل على أن القصود بهذه اللفظة هو محمد ﷺ، وبما أن هذه اللفظة «ابن الإنسان» محل خلاف بينه وبين غيره من المهتدين الذين رأوا أن المسيح أطلق على نفسه «ابن الإنسان» وأطلقها عليه غيره؛ فهي إذاً عبارة دالة على بشريته، وبما أن هذه اللفظة وردت لأول مرة لدى دانيال ـ حسب استشهادهم ـ فإنني سأورد أقوالهم ومناقشتها هنا مهما كان موقع النص المستشهد به :ـ

تناول المهتدى عبد الأحد داود هذا اللفظ «ابن الإنسان» من جانبين: الجانب الأول: إثبات أن ابن الإنسان هو محمد ﷺ. ونفى في الجانب الثاني أن يكون المسيح عليه السلام هو المراد بابن الإنسان، وقد أورد عدداً من الأدلة والبراهين التي تؤيد ما ذهب إليه في كلا الجانبين، وسأحاول ـ جاهداً ـ أن أقدمها بصورة مختصرة جداً؛ رغبة في الإيجاز، وعدم الإطالة .

أولاً : الأدلة على أن محمداً ﷺ هو المعني بـ «ابن الإنسان» :ـ

١ ـ نبوة دانيال الذي تنبأ فيها أن جميع شعوب الأرض تخدمه، وقد تحققت هذه النبوة في محمد ﷺ الذي خضعت له المعمورة من البحر الإدرياتيكي إلى سورالصين، وكان الناس فريقين إما مؤمن به، وإما كافر به وجب عليه الخضوع للأمة الإسلامية وخدمتها،

ولم يكن في زمن دانيال حرف واحد حول وجود المسيح ولا محمد ﷺ .

٢ ـ تطابق ما ورد في نبوة دانيال مع حادثة المعراج .

٣ ـ رؤيا «إينوخ» أو«خانوخ» تؤكدأن ابن الإنسان هو محمد ﷺ

٤ ـ الرؤيا السبيلية تقول: إن ابن الإنسان سوف يظهر ويدمر الإمبراطورية الرومانية، ويخلص المؤمنين بإله واحد. وقد فعل ذلك محمد ﷺ .

٥ ـ وصف سفر «إينوك» ابن الإنسان بصفات لا تنطبق إلا على محمد ﷺ، مثل القضاء على دول الكفر، والانتصار للموحدين، والجهاد، وأنه منح السيف والشريعة .

٦ ـ كانت مهمة أو رسالة ابن الإنسان هي: إعادة النقاء لدين إبراهيم عليه السلام، وتوحيد الأمم تحت دين واحد. وقد فعل ذلك محمد ﷺ

٧ ـ أن ابن الإنسان هو آخر الأنبياء الذي أقام الحكم الإسلامي على أنقاض العبودية والاضطهادات، وأسند إليه إنقاذ المؤمنين من أيدي الكفرة .

٨ ـ ربط دانيال مجيء ابن الإنسان بهلاك قسطنطين ـ ومن المعلوم أن محمداً ﷺ جاء بعد قسطنطين .

٩ ـ اليهود والنصارى لا يحملون اسماً لدينهم سوى انتسابه إليهم، والتعبير الذي ورد عن دانيال ينطبق على ما في القرآن الكريم عن الإسلام وأنه هو الدين الحق .

١٠ ـ لم يعش على وجه الأرض مثل محمد ﷺ ، ويقدم مثل ما قدم من المنهج الشامل، والدين والكامل .

١١ ـ أن من صفات ابن الإنسان أنه يسترد ما ضاع. وقد استرد محمد ﷺ كل ما ضاع على البشرية، فقد استرد مكة والقدس من أيدي الوثنيين، ونشر الدين والسلام والبركة على وجه الأرض .

ثانياً : الأدلة على نفي لقب ابن الإنسان عن عيسى عليه السلام :

١ ـ لا يمكن أن يكون المسيح عليه السلام هو ابن الإنسان؛ لأن النصارى يعتقدون أنه ثالث ثلاثة ، فهو بهذا لا يصح أن يوضع في مصاف الآدميين حتى يطلق عليه لقب ابن الإنسان[١] .

٢ ـ من خلال الفحص الدقيق الناقد للقب ابن الإنسان نستطيع أن نثبت أن المسيح عليه السلام لم يتخذه لنفسه؛ إذ كثيراً ما يستعمله بصيغة الغائب .

٣ ـ أن من صفات ابن الإنسان أنه يدمر الدولتين العظيمتين ـ

(١) وهذا من باب الإلزام ؛ والحق أن الله تعالى قال عنه : ﴿لن يستنكف المسيحُ أن يكون عبداً لله﴾ سورة النساء، الآية ١٧٢ .

الفارسية والرومانية ـ ونجد أن المسيح عليه السلام لم يدمر هذه الدول وإنما دفع الإتاوة لقيصر وأمر أتباعه بذلك ـ كما في أناجيلهم ـ وإنما دمرت هذه الدول على يد محمد ﷺ .

٤ ـ حسب الرؤي فإن ابن الإنسان لم يقدَّر أنه يصلب، وإنما قدِّر أنه يقضي على عروش الكفر، والمسيح عليه السلام بخلاف ذلك؛ حيث زعموا أنه صلب ، ولم يقض على عروش الكفر .

٥ ـ الصفات الواردة في هذه الكتب لا يمكن أن تنطبق على المسيح، وإنما تنطبق حرفياً على محمد ﷺ .

٦ ـ لا يمكن أن يكون المسيح هو ابن الإنسان؛ لأنه ورد في رؤيا يوحنا أن المسيح كان حملاً مذبوحاً منذ تأسيس العالم .

٧ ـ تحدث دانيال عن مجيء ابن الإنسان، وأخبر المسيح أن ابن الإنسان قادم، ولا يمكن أن يتنبأ المسيح عن نفسه بأنه قادم .

٨ ـ المسيح كان يعرف من المراد بابن الإنسان، ولذلك لم يقبل أن يتلقب به؛ لأنه على يقين أن المهام التي أسندت إلى ابن الإنسان لن يقوم بها هو .

٩ ـ أعلن المسيح عليه السلام أن ابن الإنسان سوف يفرز الخراف عن الماعز. والخراف ترمز إلى الإسرائيليين المؤمنين بالله. والماعز ترمز إلى اليهود غير المؤمنين بالله، وقد كان المسيح مرسلاً إلى خراف بني إسرائيل لحثهم على الإيمان بالله حتى مجيء ابن الإنسان .

١٠ ـ أن ابن الإنسان هو سيد يوم السبت. أي المخول بإيقاف العمل به كيوم مقدس. بينما نجد أن المسيح التزم به، أما محمد ﷺ فقد استبدل به يوم الجمعة[١].

١١ ـ جميع العبارات التي يفهم منها أن المسيح هو ابن الإنسان عبارات ملفقة مدسوسة كاذبة .

١٢ ـ يعزو اليهود ألقاب « المسيح الموعود» و«ابن الإنسان» لآخر الأنبياء الذي سيحارب قوى الظلام ويهزمها، ثم يقيم الحكم الإلهي على الأرض، والمسيح عليه السلام رفض ـ كما في الأناجيل ـ أن يدعي المسيح المنتظر. وهذان اللقبان مترادفان والتنصل من أحدهما تنصل من الآخر[٢].

هذه هي أدلة المهتدي عبد الأحد داود على أن ابن الإنسان هو محمد ﷺ، وليس المسيح عليه السلام. أما من خالفه فإنهم اكتفوا فقط بمجرد ورود اللفظ عن المسيح، أو إطلاقه على الميسح من قبل غيره ـ في ظنهم ـ واستشهدوا به بعد ذلك على أنه بشر؛ لأنه ابن الإنسان[٣].

---

(١) سبق الحديث عن هذه الأيام الثلاثة الجمعة ، والسبت ، والأحد ، وبيان الفاضل منها في ص (٢٥٩) من هذا البحث .

(٢) انظر محمد في الكتاب المقدس، ص ٨٦–١٠٥، ٢٤٠–٢٦٤ . والإنجيل والصليب، ص١٨٤–١٨٥ .

(٣) انظر محمد ﷺ في التوراة والإنجيل والقرآن، ص١٠٨ – ١٠٩ . وسر إسلامي ، ص ٦٠ . والمسيح إنسان أم إله ، ص ٢٠٤ .

البشارة الثالثة : قال دانيال في الإصحاح السابع :(إن ملكوت الله وعظمة المملكة الممتدة تحت رقعة السماء كلها سوف تعطي لعباد الله تعالى وأوليائه. وسيكون ملكوتهم هذا مملكة أبدية، تخدمها جميع الممالك الأخرى، وتعمل بطاعتها[1]) إن هذه البشارة لتدل بوضوح على أن في الإسلام توجد وحدة لا انفصام لها بين الدين والدولة. فالإسلام ليس ديناً فحسب، بل إيضاً المملكة الدنيوية. ولا بد من إلقاء نظرة خاطفة على التدرج التأريخي لهذا الملكوت حتى بلغ غايته[2]، واكتمل بناؤه على يد سيدنا محمد ﷺ، وهذا التدرج هو كما يلي :-

١ - أن الإسلام قبل محمد ﷺ لم تمثله دولة تحكم باسمه وتدافع عنه، وإنما كان الإسلام ديناً قائماً في حياة الأقوام التي آمنت به، ولم تقم له دولة في حياتهم؛ بل كان السلطان والقوة في أيدى الكفرة الوثنيين ، في العموم الغالب ، ويستثنى من ذلك فترات حكم كل من سليمان ودواد ويوشع عليهم السلام .

٢ - إن المسيح عليه السلام قد بشر تلاميذه باقتراب ملكوت الله. وهذا الملكوت يعني وجود دين ومجتمع قوي من المؤمنين بالله، وهذا المجتمع يتسلح بالإيمان بالله وبالسيف لقتال أعدائهم الذين

---

(١) محمد فى الكتاب المقدس ، ص ١٣٤ . ودانيال ٧.

(٢) سأستكمل الجوانب المتعلقة بملكوت الله عند الحديث عن بشارة «متى» بسيدنا محمد ﷺ التى تصرح أن ملكوت الله ينزع من النصارى ويعطى لأمة أخرى ، وسبب تأخير الحديث عنه إلى تلك البشارة ، لأنها صرحت بنزع الملكوت . انظر ص ٦١٩من هذا البحث.

يريدون أن يحولوا بينهم وبين تبليغ كلمة الله إلى البشرية، أو بمعنى أوضح : إن ملكوت الله هو الإسلام. إذاً فالمسيح عليه السلام بشر تلاميذه باقتراب ظهور الإسلام على يد محمد ﷺ، وأكد لليهود أن النبي الذي تنتظره اليهود ليس يهودياً، ولا من نسل داود عليه السلام؛ بل هو من نسل إسماعيل عليه السلام، واسمه أحمد، وسيقيم الدولة الإسلامية وفق المنهج الذي ارتضاه الله لهم، وهذه الدولة مؤيدة بنصر الله ثم بسواعد المجاهدين في سبيله .

٣ ـ طبيعة هذا الملكوت وتكوينه: يتألف هذا الملكوت من المؤمنين بالله الذين يلازمهم ذكر الله سبحانه وتعالى في كل أحوالهم، فلا يقومون بأي عمل إلا ويبدءونه بذكر الله، ويحمدونه بعد الانتهاء منه .

وطبيعة هذا الملكوت أنه يتكون في جوهره من شقين: الأول: دين صحيح قائم على وجه الأرض وفق المنهج الذي ارتضاه الله في كتابه القرآن. والثاني: دولة إسلامية تقوم على هذا المنهج . ويتصف المؤمنون بهذا المنهج بما يأتي :ـ

أ ـ أنهم يكوّنون أمة واحدة تربطهم أخوة واحدة هي: أخوة الدين

ب ـ أنهم كما وصفهم دانيال: جماعة القديسين. وهذه صفة تنطبق على محمد ﷺ وأصحابه من المهاجرين والأنصار وعلى سائر المؤمنين بالله .

٤ ـ ديمومة هذه المملكة ورفعة شأنها : هذه الحقيقة أكدها دانيال بقوله :إن جميع الأمم تحت قبة السماء تخدم شعب الأبرار العامل بطاعة الله. ولم تتحقق هذه الصفة ـ وهي خدمة الأمم ـ إلا للأمة الإسلامية التي خدمتها الأمم في مشارق الأرض ومغاربها. ومن دواعي استمرار هذه الأمة وديمومتها أنها لا تعرف التمييز الطبقي في تشريعاتها بين أفرادها فالكل سواء أمام شرع الله، لا فرق بين الأبيض والأسود أو بين الحاكم والمحكوم[١] .

البشارة الرابعة : قال دانيال: (طوبى لمن أمّل أن يدرك الأيام الألف والثلاثمائة والخمسة والثلاثين[٢]) . قال المهتدي الطبري : (فأعملت فيه الفكر فوجدته يوحي إلى هذا الدين، وهذه الدولة العباسية خاصة؛ وذلك أنه لا يخلو دانيال من أن يكون أراد بهذا العدد: الأيام والشهور والسنين، أو سراً من أسرار النبوة يخرجه الحساب. فإن قال قائل : إنه أراد به الأيام. فإنه لم يحدث لبني إسرائيل، ولا في العالم بعد أربع سنين فرح ولا حادثة سارة، ولا بعدألف والثلاثمائة وخمسة وثلاثين شهراً؛ فإن ذلك مائة وإحدى عشر سنة وأشهر. فإن قالوا: عني به السنين. فإنما ينتهي ذلك إلى هذه الدولة؛ لأن من زمن دانيال إلى الميسح نحواً من خمسمائة سنة...

(١) انظر محمد في الكتاب المقدس ، ص ١٣٣ – ١٤٤ .

(٢) الدين والدولة ، ص ١٨٣ ، ولم يذكر الطبري رقم الفصل ، وهي موجودة في سفر دانيال الإصحاح ١٢ .

ومن المسيح إلى سنتنا هذه ثمانمائة وسبع وستون سنة ينتهي ذلك إلى هذه الدولة العباسية منذ ثلاثين سنة، أو يزيد شيئاً[1]) .

وبمقارنة هذا التأريخ الميلادي بالتأريخ الهجري تكون السنة التي أشار إليها هي سنة ٢٥٣ هـ تقريباً. ولعل في هذه البشارة سراً عجيباً وهو الإشارة إلى بلوغ الدولة الإسلامية غاية مجدها، وكمال سيطرتها، ونهاية فتوحاتها .

الثاني عشر : بشارات هوشاع :ـ

البشارة الأولى: قول هوشاع: (قال الرب: إني أنا الرب الإله الذي رعيتك في البدو، وفى أرض خراب قفر غير مأهول، ليس بها أنيس[2]) . قال المهتدي الطبري: فلسنا نعرف أحداً رعاه الله في البدو، وفي أرض قفر غير النبي ﷺ .

البشارة الثانية : قال هوشاع يصف أمة محمد ﷺ :(إنها أمة عزيزة لم يكن مثلها قط ولا يكون، وإن النار تحرق أمامها، وتتوقد خلفها الضرائر[3]) . ولم تنل أمة من العز والمنعة والسلطان في فترة طويلة وعلى رقعة واسعة كما نالت الأمة الإسلامية

الثالث عشر: بشارة عوبذياهو :ـ

ذكر المهتدي الإسكندراني أن نبياً من أنبياء بني إسرائيل يسمى

---

(١) الدين والدولة ، ص ١٨٣ .

(٢) المصدر السابق ، ص ١٦٧ . وهوشع ١٣ .

(٣) الدين والدولة ، ص ١٦٧ ، ولم أجد هذا النص في الطبعة التي بين يدي .

«عوبذياهو» خرج في سياحته فوجد اليهود ساكنين بأرض الحجاز، وأنهم أضافوه، فبكى بكاء شديداً! فسألوه مالسبب؟ فقال: نبياً يبعثه الله من العرب، تعضده الملائكة، يخرب دياركم، ويسبي حريمكم، وييتم أبناءكم. فعند ذلك طلب اليهود قتله فهرب منهم[1] .

الرابع عشر : بشارة ميخا :ـ

قال ميخا :(إنه يكون في آخر الأيام جبل بيت الرب مبنياً على قلال الجبال، وفي أرفع رؤوس العوالي، وتأتيه جميع الأمم، وتسير إليه أمم كثيرة، وهم يقولون: تعالوا نطلع جبل الرب[2]) . ويرى الطبري أن هذا النص يتضمن صفة مكة. بينما يرى الترجمان أن الجبل المشار إليه هو جبل عرفات، وأن الأمة المشار إليها في النص الذي أورده الترجمان [3] هي الأمة الإسلامية. وعلى كلا الحالين فهذه النبوة شاهدة ومبشرة بنبوة سيدنا محمد ﷺ، ومبينة صفة أمته، ومشاعر ملته .

وقد حرف آخر هذا النص في الطبعة التي بين يدي فصار هكذا (...هلم نصعد إلى جبل الرب، وإلى بيت إله يعقوب من طرقه، ونسلك في سبله؛ لأنه من صهيون تخرج الشريعة، ومن أورشليم كلمة الرب) . وقد أعماهم الله عن تحريف أول هذا النص؛ حتى يبقى شاهداً على

---

(١) انظر مسالك النظر ، ص ٥٤ – ٥٥ ، ولم أجد هذه البشارة في الطبعة التي بين يدي .
(٢) الدين والدولة ١٦٨ . وانظر تحفة الأريب ٢٧٨ ، وميخا ٤ .
(٣) وهو قول ميخا : (في آخر الزمان تقوم أمة مرحومة ، وتختار الجبل المبارك) .

الحقيقة، دالاً على النبوة. وقد توقع المهتدي الطبري مثل هذا التحريف فقال: (وإن شغب شاغب فقال: عني بيت المقدس. فكيف يصح له ذلك؟ وقد بين الله أن يكون ذلك في آخر الأيام، وكان بيت المقدس في زمان هذا النبي موجوداً، وإنما تنبأ النبي على شيء يحدث، لا على ما كان ومضى[1]) .

الخامس عشر : بشارة حبقوق :ـ

قال حبقوق :(إن الله جاء من التيمن، والقدوس من جبل فاران. لقد انكسفت السماء من بهاء محمد، وامتلأت الأرض من حمده، ويكون شعاع منظره مثل النور، يحوط بلده بعزه، وتسير المنايا أمامه، وتصحب الطير أجناده. قام فمسح الأرض، ثم تأمل الأمم وبحث عنها، فتضعضعت الجبال القديمة، واتضعت الروابي الدهرية، وتزعزعت ستور أهل مدين، ولقد حاز المساعي القديمة، وغضب الرب على الأنهار. فرجزك في الأنهار، واحتدام صولتك في البحار، ركبت الخيول، وعلوت مراكب الإنقاذ والغوث، وستترع في قسيك إغراقاً وترعاً، وترتوي السهم بأمرك يا محمد ارتواءً، وتحرث الأرض بالأنهار. ولقد رأتك الجبال فارتاعت، وانحرف عنك شؤبوب السيل، ونعرت المهاوي نعيراً ورعباً، ورفعت أيديها وجلاً وخوفاً، وتوقفت الشمس والقمر عن مجراهما، وسارت العساكر في بريق سهامك ولمعان نيازكك، تدوخ الأرض غضباً،

(١) الدين والدولة ، ص ١٦٨ .

وتدوس الأمم رجزاً؛ لأنك ظهرت لخلاص أمتك، وإنقاذ شريعة آبائك[1]) .
هذا النص أورده المهتدي الطبري بهذه الصيغة ، وورد لدى كل من الشيخ زيادة، والترجمان، وإبراهيم خليل أحمد: بصور مختلفة طولاً وقصراً، مع اختلاف يسير في العبارات، واتفاقهم على محتوى السطر الأول. واتفق أيضاً كل من الترجمان والشيخ زيادة وإبراهيم خليل على أن المراد بجبال فاران هي جبال مكة. وأشار الطبري والشيخ زيادة إلى أن هذه النبوة موافقة لنبوة موسى عليه السلام الواردة في سفر التثنية وهي قوله:(جاء الله من سيناء، وأشرق من ساعير، وتلألأ من جبال فاران) .كما أشار الشيخ زيادة إلى أن هذه النبوة موافقة لنبوة أشعياء التي ذكر فيها أن حوافر خيله مثل الصوان الذي ينبعث منه الشرر. وقد سبق الحديث عنهما[2]. وأكد المهتدي الطبري والشيخ زيادة على أن هذا الوصف الوارد في هذه النبوة عن الخيل والسهام والسيوف؛ إنما ينطبق على جيوش محمد ﷺ وقال المهتدي الطبري بعد أن أورد تطابق هذه النبوة مع حاله ﷺ: (فإن لم يكن هو الذي وصفنا ـ أي محمد ﷺ ـ فمن إذاً ؟ لعلهم بنو إسرائيل المأسورون المسبيون، أوالنصارى الخاضعون المستسلمون. وكيف يكون ذلك وقد سمّي فيها النبي مرتين ووصف عساكره وحروبه... [3])

(١) الدين والدولة ، ص ١٦٩ – ١٧٠ . وانظر تحفة الأريب ، ص ٢٧٨ . وانظر البحث الصريح ، ورقة ٤١/ ب . ومحمد ﷺ في التوراة والإنجيل والقرآن، ص ٧١ ، وحبقوق ٣ .
(٢) انظر ص ٥٣١ ، ٥٤٤ من هذا البحث .
(٣) الدين والدولة ، ص ١٧٠ .

وإن الاستفاضة في تأمل هذه النبوة ، واستخراج ما أشارت إليه، وبسطه، لتعجز عنه هذه الصفحات؛ لأنه يستغرق كتاباً، وليس المجال هنا مجال البسط والتوسع، وإنما هو الاستدلال والإشارة فقط . ولكن استوقفتني بعض العبارات التي اشتمل عليها هذا النص، ولم أر هؤلاء الذين مر ذكرهم تعرضوا لها، فأردت أن أقف عندها وقفة يسيرة تكشف مافي النفس، ولا تطيل البحث. وأول هذه العبارات هي قوله: (قام فمسح الأرض). وهذه العبارة تحاكي قوله ﷺ :(إن الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها، وإن ملك أمتي سيبلغ ما زوي لي منها[1] ...) أما الثانية فهي قوله: (لأنك ظهرت لخلاص أمتك، وإنقاذ تراث آبائك). فمن آباؤه؟ إنهم إبراهيم وإسماعيل، وما هو إرثهم؟ هل هو الملك أم الأموال أم ماذا؟؟ إنه التوحيد والرسالة قال تعالى: ﴿إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا والله ولي المؤمنين[2]﴾ وقال تعالى: ﴿قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين آمنوا معه إذ قالوا لقومهم إنا برءاء منكم ومما تعبدون من دون الله [3]﴾.

السادس عشر : بشارة صفنيا :ـ

قال صفنيا: (يقول الرب: أيها الناس ترجّوا اليوم الذي أقوم فيه للشهادة، فقد حان أن أظهر حكمي بحشر الأمم كلها وجميع الملوك؛

---

(١) رواه الإمام مسلم في صحيحه ، كتاب الفتن وأشراط الساعة ، باب هلاك هذه الأمة بعضهم ببعض . حديث ٢٨٨٩ .

(٢) سورة آل عمران ، الآية ٦٨ .

(٣) سورة الممتحنة ، الآية ٤ .

لأصب عليهم رجزي، وأليم سخطي، فستحترق الأرض كلها احتراقاً بسخطي ونكيري. هناك أجدد للأمم اللغة المختارة،؛ ليذوقوا اسم الرب جميعاً، ويعبدوه في ربقة واحدة معاً ويأتون بالذبائح في تلك الأيام من معابر أنهار كوش[1]). قال المهتدي الطبري معلقاً على هذه النبوة: وهذا صفنيا قد نطق بالوحي وأخبر عن الله بمثل ما أدى أصحابه، ووصف الأمة التي تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وتجتمع على عبادته، وتأتيه بالذبائح من سواحل السودان ومعابر الأنهار واللغة المختارة هي اللسان العربي المبين... وهي التي قد شاعت في الأمم فنطقوا بها.

السابع عشر: بشارة حجّي :ـ

قال حجّي :(ولسوف أزلزل كل الأمم، وسوف يأتي «حمَدا» «himada» لكل الأمم، وسوف أملأ هذا البيت بالمجد، هكذا قال رب الجنود، ولي الفضة، ولي الذهب. هكذا يقول رب الجنود، وإن مجد ذلك البيت الأخير يكون أعظم من مجد الأول. هكذا يقول رب الجنود، وفي هذا المكان أعطي السلام. هكذا يقول رب الجنود[2]). وقد ترجمت كلمتي «حمدا» و«شالوم» العبريتين إلى الأمنية، أو المشتهى، أوالسلام. وعندئذ تفقد هذه النبوة ما اشتملت عليه من معنى وتصبح ولا قيمة لها. ولكن الترجمة الصحيحة لهذه العبارات هي أن «شالوم» أو «شلاما»

---

(١) الدين والدولة ١٧١. صفنيا ٣ .

(٢) محمد في الكتاب المقدس ، ص ٥٠ ، وحجي ٢ .

و«حمدا» تترجم إلى الإسلام، وأحمد. وتؤدي نفس الدلالة التي تؤديها تلك العبارات السابقة وبنفس الأهمية. وبين المهتدي عبد الأحد داود أصول هذه الكلمات ووضح ما ذهب إليه من أنها تترجم إلى الإسلام، وأحمد، فقال: ـ

أ ـ إن كلمة « حمْدْا» تقرأ باللغة العبرية الأصلية هكذا : (في يافوا حمْداث كولَ هاجوييم) والتي تعني حرفياً : (وسوف يأتى حمَدا لكَل الأمم). وعليه فإن الحقيقة الناصعة تبقى بأن كلمة «أحَمد» هي الصيغة العربية لكلمة «حمدا» العبرية، وهذا التفسير تفسير قاطع لا ريب فيه. ولقد جاء في القرآن الكريم في سورة الصف: ﴿وإذ قال عيسى ابن مريم يابني إسرائيل إني رسول الله إليكم مصدقاً لما بين يدي من التوراة ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد[1]﴾.

ب ـ إن كلمة «شالوم» و«شلاما» بالعبرية و«سلام» و« إسلام» باللغة العربية هما مشتقتان من أصل واحد، وتعنيان نفس المعنى وهو السلام والإذعان أو الاستسلام .

وبعد هذا التوضيح من قبل هذا المهتدي لهذه الألفاظ ذكر عدداً من البراهين التي استند إليها فيما ذهب إليه ، وهي :ـ

١ ـ إن القرابة والعلاقة والتشابه بين هذين التعبيرين «حِمداً» و«أحمد» وكذلك التشابه في الأصل الذي اشتق الاسم منهما

(١) سورة الصف ، الآية ٦ .

لا يتـرك أدنى جـزء من الشك؛ لأن المفـهـوم من الجـملة هو (وسوف يأتي حمدا لكل الأمم) إنما هو «أحمد» أي محمد، ولا يوجـد أدنى صلة في أصل الألفـاظ ولا في تعليلهـا بين كلمـة «حـمـد» وبين الأسـمـاء الأخـري كـمـثل يسـوع أو المسيح أو المخلص.

٢ ـ لو سلمنا جدلاً بالصيغة العبرية لكلمة «حمده» وأنها مجرد معنى اسميّ لكلمات «أمنية أو مشتهى أو شهوة أو مدح» ؛ فإن هذا الجدل هو في صالح ما نطرحه من بحث هنا؛ وذلك لأن الصيغة العبرية تكون بحسب أصول الكلمات متساوية تماماً بالمعنى والتشبيه أو حتى في التطابق لكلمة «حمدا» وعلى أية حال فإن صلتها بـ«أحمد» أو «أحمدية» هي صلة قاطعة، وليس لها علاقة أبداً بـ «يسوع» أو «اليسوعية» .

٣ ـ إن هيكل «زورو بابل» كـان يجب أن يكون أعظم مـجـداً من هيكل سليمان عليه السلام؛ ذلك لأن «ملاخي» تنبأ بأن الرسول العظيم لا بد أن يزوره فجأة، وهذا حصل فعلاً عندما زاره الرسول محمد ﷺ ليلة الإسراء .

٤ ـ إن «أحـمـد» وهي الصيغة الأخرى لاسم محـمـد ومن نفس المصدر والتعبير ومعناه «الأمجد» ، وفي خلال رحلته الليلية ﷺ زار تلك البقعة المقدسة كما ينص القرآن الكريم على ذلك، وهناك أدىّ الصلاة المباركة بحضور جميع الأنبياء عليهم السلام

كما تدل أحاديثه الشريفة، وبهذا يتحقق المجد .

٥ ـ إن تسمية خاتم الأنبياء بـ«محمد»أو «أحمد» من أعظم المعجزات؛ لأنه أول اسم عرف بهذه الصفة في تأريخ البشرية[١].

الثامن عشر : بشارات زكريا عليه السلام :ـ

البشارة الأولى: قال النبي زكريا عليه السلام في الإصحاح الثامن: (هكذا يقول رب الجنود: في تلك الأيام يجتمع عشرة رجال من كل لسانات الشعوب ويتمسكون بذيل رجل حميد، أعني أبو حميد، ويقولون: لنذهب معك؛ لأننا سمعنا أن الله معك[٢]) أورد المهتدي الشيخ زيادة هذه البشارة بلفظها العبري ثم ترجمها إلى اللغة العربية، وأطال الكلام حول هذه البشارة واشتقاقات اسم «حميد وأحمد» وبين أنه ظل سنين طويلة وهو يقرأ هذه النبوة ويفهمها على وفق الترجمة اليهودية؛ حتى يسر الله له كتب أصول اللغة العبرية ـ وكانت شبه معدومة ـ فوقف من خلالها على حقيقة هذا اللفظ «ياأودي» وأنه إذا ترجم إلى اللغة العربية صار: «حميد» ثم بين أن الشعوب المذكورة في هذا النص هم القبائل الخارجة عن بني إسرائيل؛ لأنهم يسمون عند اليهود: الشعوبيين، الأمميين، وألحق ذلك بأربعة وجوه بين فيها توافق هذه النبوة مع حال سيدنا محمد ﷺ وأصحابه، وهذه الوجوه هي :ـ

---

(١) انظر محمد في الكتاب المقدس ، ص ٤٩ – ٥٤ .

(٢) البحث الصريح ، ورقة ٣٢ / ب . وزكريا ٨ .

١ ـ من عدد صحابته العشرة الكرام .
٢ ـ أنهم من ألسنة ووجوه الشعوب الأخرى .
٣ ـ أنهم من الأمم الأخرى، وليسوا من بني إسرائيل .
٤ ـ أن الرجل الذي اتبعوه كان اسمه حـــميداً، أحمد، وهو النبي ﷺ[1] .

وهذه النبوة تعزز نبوة حبقوق ونبوة حجي الذي ورد فيهما اسم محمد ﷺ صريحاً، وقد سبق الحديث عنهما[2] .

البشارة الثانية : قال زكريا :(إنه يكون الرب الإله يومئذ ملك الأرض كلها، ويكون يومئذ رباً واحداً، ويكون في ذلك اليوم حتى على لجام الفرس قدس الرب[3]) . قال الطبري معلقاً على هذه النبوة:(وقد صدقت النبوة، وصح الوحي، وصارالدين واحداً لا تثنية فيه ولا تثليث ... ومعنى قدس الرب ها هنا: اسم الرب واسم نبيه عليه السلام . وذلك موجود يومنا هذا على كل ملبس ومنزل وسلاح وغير ذلك[4]) .

التاسع عشر: بشارات ملاخي :ـ

البشارة الأولى: قال ملاخي مخبراً عن الله أنه قال :(انظروا، إنني أبعث برسولي، وسوف يمهد السبيل أمامي، وسوف يأتي فجأة إلى هيكله

---

(١) انظر البحث الصريح ، ورقة ٣٢ - ٣٤ / أ .
(٢) انظر ص ٥٩٦ ـ ٥٩٩ ـ من هذا البحث .
(٣) الدين والدولة ، ص ١٧٢ - ١٧٣ ، ولم يذكر الطبري موقع هذه البشارة من سفر زكريا وهي موجودة في الإصحاح ١٤ .
(٤) الدين والدولة ، ص ١٧٣ .

السيد الذي تبحثون عنه، ورسول العهد الذي ترغبون. انظروا إنه قادم. هكذا يقول رب الجيوش أو الجموع[1]) ويرى المهتدي عبد الأحد داود أن التحديد الدقيق لموضوع هذه النبوة أمر في غاية الأهمية؛ لأن الكنائس المسيحية اعتقدت منذئذ أن المقصود بها شخصان مختلفان. ومما يدحض هذا الزعم الذي انتهجته الكنائس ما يلي :ـ

١ ـ أن السيد أو الرسول الموعود كلف بتأسيس وإقامة دين قويم صالح، ومكلف بإزالة كافة العقبات التي تحول بين البشرية وربها، ومكلف أيضاً بأن يجعل الطريق سهلاً ممهداً مستنيراً ... وبالتأكيد فإن الرسول الرفيع الشأن المبعوث من الله لم يكن قادماً لإصلاح الطريق من أجل حفنة من اليهود؛ ولكن من أجل إقامة دين عام وثابت للناس كافة، والديانة اليهودية ديانة خاصة لشعب خاص، هذا بالإضافة إلى ما تشتمل عليه من طقوس وتضحيات، وخلوها من العقائد الإيمانية الإيجابية، كل ذلك يفقد هذه الديانة جوهرها، ويجعلها غير ملائمة إطلاقاً، وغير وافية باحتياجات الشعوب المختلفة، أما الديانة النصرانية فإن طقوسها السبعة، واعتقادها بالخطيئة الأصلية، وتجسد الإله والتثليث ـ وهي أمور لم تعهد في الديانات السابقة ـ بالإضافة إلى افتقادها إلى كتابها الأصلي الذي أنزل على مؤسسها عليه السلام؛ كل

(١) محمد في الكتاب المقدس ، ص ١١٦ . وملاخي ٣ .

ذلك يجعلها غير مؤهلة لأن تقدم خيراً للبشر. وإذا كان الرسول الخاتم مكلفاً بإلغاء هذين الدينين، وإقامة دين إبراهيم وإسماعيل ودين كافة الأنبياء على أسس وتعاليم تصلح للبشر كافة؛ فإن هذا الدين الذي أقامه ودعا إليه هو الصراط المستقيم، وهو أقرب الطرق الموصلة إلى الله عز وجل، وأسهل الأديان لعبادته، وأسلم العقائد الباقية على طهارتها ونقائها الأبدي. إذاً كان منوطاً بهذا الرسول المبشر به في هذا النص أن يرسخ هذا الدين، ويقيم الوحدانية، ويحول دون تدخّل الوسطاء بين الله والناس .

٢ ـ هذا النص أكّد على أن هذا الرسول المبشر به لا بد أن يصل بصورة مفاجئة إلى بيت المقدس، منطلقاً من الحرم الأول «مكة» وهذا ماتحقق في ليلة الإسراء، وهذا يعني أن مهمة هذا الرسول تطهير هذه البقاع من الوثنية، ويلقن روادها الوحدانية، والإيمان بالله الواحد الأحد. وإذا تحقق هذا فهو بمثابة بناء طريق جديد يربط العبد بربه، وهذا الطريق الذي شرعه هو دين عالمي شامل يدعو إلى إلغاء الوسائط بين الله وعباده، فلا قديس ولا قسيس، ولا سر مقدس. وهذا لم يتحقق إلا على يد الرسول المنعوت بأنه «محمد ﷺ» .

٣ ـ لم يكن يوحنا المعمدان هو الرسول الذي تنبأ به ملاخي، والرؤيا التي تنسبها الأناجيل الأربعة له متضاربة جداً، ولكن الشيء الوحيد الذي تتفق عليه هوأنه لم يمهد طريقاً قط؛ لأنه لم يكن

مزوداً بكتاب مقدس، كما أنه لم يؤسس ديناً جديداً، ولم يرفض ـ ولو شيئاً يسيراً ـ من شريعة موسى، ولم يضف إليها شيئاً، أما التعميد فهو الوضوء أو الغسل، وهو موجود في الديانة اليهودية، هذا بالإضافة إلى أن يوحنا سأل المسيح عليه السلام : هل أنت الذي سيأتي أم ننتظر سواك ؟ فلو كانت مهمته تمهيد الطريق أمام المسيح عليه السلام لما طرح هذا التساؤل .

ومما يدعم هذا الرأي القائل بأن يوحنا ليس هو النبي الذي تنبأ به ملاخي: أن اليهود لم تستقبل يوحنا كنبي، كما أن برنابا لم يذكره إطلاقاً في إنجيله، ومما يزيد هذا الأمر وضوحاً أن يوحنا أعلن اقتراب قدوم الرسول العظيم الذي سيعمد المؤمنين بالروح بدلاً عن الماء، ولو افترضنا جدلاً أن يوحنا هو الرسول الذي بعثه الله لتمهيد الطريق أمام المسيح عليه السلام فلا معنى ولا مغزى إطلاقاً لإقدام يوحنا على تعميد الجماهير في مياه نهر الأردن، بل كان واجبه أن يتبع المسيح فوراً ويلازمه.

٤ ـ آمنت جميع الكنائس أن «رسول الطريق» المشار إليه في هذه النبوة هو يوحنا وليس عيسى عليه السلام، غير أن اليهود لا يقبلون أياً من الاثنين ـ وقد سبق الكلام في الفقرة الماضية أنه لا يمكن أن يكون يوحنا هو الرسول المشار إليه ـ كما أنه لا يمكن أن يكون الدين الذي دعا إليه المسيح هو الذي تعتقده الكنيسة الكاثوليكية والبروتستانتية ...وهذا الدين الذي تعتقده هذه

الكنائس لا يمكن أن يكون هو الدين الذي أشار إليه ملاخي في هذا النص .

٥ ـ الشخص المبشر به في هذه النبوة له ثلاث صفات وهي : أنه رسول الدين، والسيد الآمر، ورسول العهد. وهو أيضاً مميز بثلاث علامات وهي : أنه يأتي فجأة إلى مسجده أو حرمه، ويبحث عنه الناس ويسعون إليه، وسيكون موضع محبة شديدة منهم. إذاً من يكون هذا الرجل الموصوف المميز ؟؟ إنه محمد ﷺ الذي جاء البشرية بكتاب مقدس لا يبارى، وقدّم دين الإسلام الذي هو أكثر الأديان عقلانية وبساطة ونفعاً، وكان وسيلة لهداية الملايين، والعديد من الأمم الكافرة في أرجاء المعمورة، التي حولها كلها إلى أخوة إيمانية متحدة[١] .

البشارة الثانية: قول ملاخي :(هأنذا أرسل إليكم إيليا النبي قبل مجيء يوم الرب، اليوم العظيم والمخوف، فيرد قلب الآباء على الأبناء، وقلب الأبناء على آبائهم؛ لئلا آتي وأضرب الأرض بلعن[٢]) . قال المهتدي النجار:(والمعنى أن الله يرسل قرب الساعة النبى أحمد ﷺ «فيرد قلب الآباء على الأبناء» يرد بني إسماعيل ـ أعمام بني إسرائيل ـ إلى حقيقة وحي الأنبياء والمرسلين من أبناء أخيهم إسحاق. «وقلب الأبناء

(١) انظر محمد فى الكتاب المقدس ، ص ١١٥ – ١٢٢ .

(٢) المنارات الساطعة ، ص ٦٥ . ولم يشر إلى موقع هذا النص من سفر ملاخي، وهو موجود فى ملاخي ٤.

على آبائهم» ويرد اليهود والنصارى على دين آبائهم الأنبياء نوح وإبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب وموسى وعيسى، قال تعالى : ﴿شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه[1]﴾.

تأمل ما في هذه البشارة من الوعد بمجيئه ﷺ قبل يوم القيامة مع قوله ﷺ :(بعثت أنا والساعة هكذا. ويشير بأصبعيه فيمدُّ بهما)[2].

هذه أسفار العهد القديم[3] شاهدة بنبوة محمد ﷺ، شهادة لا تقبل التضليل، مصرحة باسمه ولغته وصفة أمته صراحة لا تحتمل التأويل؛ فمن كان طالباً للحق اتبعه إذا قام عليه الدليل، فكيف إذا تظافرت عليه الأدلة والبراهين، والحق هنا شهادة العهد القديم بنبوة محمد ﷺ. فمن أراد أن يدفع اليقين بأوهن الشكوك، وأفسد التأويل، ويدعي ـ مماحكة ومجادلة ـ أن هذه النبوات والشهادات وردت في حق عيسى عليه السلام ـ فيقال له ليس بعد التصريح بذكر اسمه وصفته وخبره وبلده وأمته ـ مجال للتأويل والإحتمال. كيف وقد شهد المسيح عليه السلام بنبوته وأخبر تلامذته باقتراب

(١) المنارات الساطعة ، ص ٦٥ . والآية ١٣ من سورة الشوري .

(٢) رواه البخاري في صحيحه ، واللفظ له في كتاب الرقاق ، باب ٣٩ ، ومسلم في كتاب الجمعة ، ٨٦٧

(٣) وقد ذكر المهتدي الإسكندراني حادثة تؤكد البشارة بنبوة نبينا محمد ﷺ ، ولم يذكر السفر التى وردت فيه ، واجتهدت فى طلبها فى مظانها فلم أعثر عليها ، وهذه الحادثة هي : أن أحد ملوك بني إسرائيل وقع في الأسر فاستغاث بالله ، واستشفع بمحمد ﷺ فأنجاه الله . وقد سبق القول أن مثل هذا الاستشفاع ينافي كمال التوحيد . انظر مسالك النظر ص ٥٤ .

ظهور محمد ﷺ ؟؟ وهذه الشهادة وما يماثلها من شهادات العهد الجديد هي ما سيكون الحديث عنه في المطلب التالي .

المطلب الثاني: بشارات العهد الجديد :ـ

بشارات متى :ـ

البشارة الأولى: قال متى في الإصحاح الثالث مخبراً عن يوحنا المعمدان ـ يحيى عليه السلام ـ أنه قال :(أنا أعمدكم بالماء ـ وذلك للتوبة وغفران الخطايا ـ ولكن هناك شخص قادم بعدي وهو أقوى مني، لدرجة أنني لا أستحق حل سيور حذائه، وسيعمدكم بالروح والنار[1]) . هذه البشارة أوردها كل من المهتدي عبد الأحد داود والنجار، وأضاف إليها النجار بعض العبارات التي تذكر صفة هذا القادم المنتظر، وهو قوله:(الذي رفشه بيده، وينقي بيدره، ويجمع قمحه إلى المخزن، وأما التبن فيحرقه بنار لا تطفأ) وأوضح هذه العبارات فقال:(قوله: الذي رفشه بيده. ونسخة الآباء العيسويين :(الذي بيده المذري) إشارة إلى ما قام من حروب وجهاد مع الكفار لنصرة دين الله وإعلاء كلمته. وقوله: (وينقي بيدره) . بمعنى يطهر موطنه من الأصنام ومن عبدتها المشركين. وقوله: (ويجمع قمحه إلى المخزن) . أي يجمع صحابته والمؤمنين به عند بيت الله

(١) محمد في الكتاب المقدس ، ص ١٧١ . والمنارات الساطعة ، ٦٨ . ومتى ٣. ومرقس ١ . ولوقا ٣ .

الحرام.(أما التبن فيحرقه بنار لا تطفأ) . أي يقضي على عناصر الشر والفساد في العالم ، ويناهض أهل الشرك والضلالة وعبادة الأصنام[1]) .

أما عبد الأحد داود فقد اكتفى بهذا النص الذي أوردته، وأشار إلى هذه الزيادة في ثنايا الشرح والتحليل. كما أنه أطال النفس في استنطاق هذه النبوة من جانبين: الجانب الأول: نفى فيه أن يكون النبي الذي تنبأ به يوحنا هو عيسى عليه السلام. وفي الجانب الثاني: أثبت أن هذا النبي المبشر به هو محمد ﷺ. وقد قدّم في الجانب الأول البراهين التالية :ـ

١ ـ أن نفس كلمة «بعد» تستبعد عيسى بكل وضوح من أن يكون هو النبي المبشر به؛ لأن عيسى ويوحنا ولدا في سنة واحدة، وعاصر أحدهما الآخر، وكلمة «بعد» هذه تدل على مستقبل غير معلوم بُعْده .

٢ ـ أن يوحنا قدّم المسيح عليه السلام إلى قومه وطلب منهم طاعته واتباعه، إلا أنه أخبرهم بوضوح أن ثمة كوكباً آخر عظيماً هو الأخير الخاتم الممجد عند الله .

٣ ـ لم يكن عيسى هو المقصود عند يوحنا؛ لأنه لو كان الأمر كذلك لتبع عيسى وخضع له، ولكنا نجده على العكس من ذلك إذ نجده يعظ ويعمّد ويستقبل الأتباع في حياة المسيح عليهما السلام .

(١) المنارات الساطعة ، ص ٧٠ – ٧١ .

٤ ـ مع اعتقاد الكنائس النصرانية بأن المسيح إله أو ابن إله، إلا أن كونه معّمداً على يد يوحنا المعمدان يثبت أن الأمر بالعكس تماماً؛ فلو كان عيسى هو الشخص الذي تنبأ به يوحنا على أنه أقوى منه، وأنه سيعمد بالروح وبالنار ـ لما كان هناك ضرورة أو معنى لتعميده في النهر على يد يوحنا وهو الشخص الأقل منه .

٥ ـ تضاربت الأناجيل في موقف يوحنا من عيسى : فهو في أحدها يرسل التلاميذ يسألونه : هل أنت النبي الذي سيأتي أم ننتظر واحداً آخر ؟ أما يوحنا كاتب الإنجيل فقد أثبت أن يوحنا لما رأى عيسى قال: انظروا حمل الله. ففي النص الأول: يتبين أن يوحنا لم يكن يعرف حقيقة المسيح، وفي النص الثاني: ذكر وصفاً مغايراً للنبي المبشر به .

٦ ـ لا يمكن أن يكون يوحنا هو سلف عيسى المبشر به بالمعنى الذي تفسر فيه الكنائس بعثته، لأن من مهام هذا الرسول المبشر به أنه يمهد الطريق، وأنه يأتي فجأة إلى هيكله ويقيم السلام. فإذا اعتبر أن هذه المهام قد أسندت إلى يوحنا ـ فنستطيع أن نؤكد أنه فشل في تحقيقها فشلاً ذريعاً؛ لأن كل الذي قام به يوحنا تجاه عيسى عليهما السلام أنه استقبله على نهر الأردن وعمّده فيه ـ كما زعموا ـ.

أما البراهين أو الأدلة التي قدمها هذا المهتدي على أن يوحنا قد بشر بمحمد ﷺ فهي: ـ

١ ـ يتأكد من هذه النبوة شيء واحد وهو أن النبي الذي تمت البشارة بقدومه معروف لدى كافة الرسل والأنبياء؛ وإلا لما اعترف شخص معصوم هذا الاعتراف المتواضع .

٢ ـ أن إنكار الرسالة المحمدية هو إنكار أساسي لكل الوحي الإلهي، وكافة الرسل الذين بشروا به[1]؛ لأن جميع الأنبياء معاً لم ينجزوا العمل الهائل الذي أنجزه محمد ﷺ وحده في فترة قصيرة لم تتجاوز ثلاثة وعشرين عاماً .

٣ ـ اعتراف يوحنا بأن « محمداً» ﷺ أعلى منه وأسمى قدراً؛ يتضح ذلك من قوله «هو أقوى مني» وبمقارنة ما كان عليه يوحنا بما كان عليه محمد ﷺ ؛ نجد أن الواقع يشهد أن محمداً ﷺ كان هو الأقوى الذي بشر به يوحنا؛ يتضح ذلك من خلال الصورة المأساوية التي ترسمها الأناجيل لنهاية يوحنا حيث يسجن ثم يقطع رأسه ويقدم على طبق، بينما نرى محمداً ﷺ يدخل مكة دخول الفاتح العظيم، ويدمر الأصنام، ويطهر الكعبة، والكفار مستسلمون له ينتظرون حكمه فيهم .

٤ ـ أخبر يوحنا عن الغضب القادم أو العذاب القادم على اليهود والكفار المعاندين للرسل. وهذا العذاب الذي تنبأ عنه، منه ما تحقق بعد ثلاثين سنة في بني إسرائيل، ومنه ما أعلنه هو وأخوه

---

(١) يتفق المهتدى عبد الأحد داود مع المهتدي الطبري في هذه النقطة ، انظر الدين والدولة ، ص ١٣٠ وما بعدها .

المسيح عليهما السلام عن قدوم رسول الله الذي سوف ينتزع جميع الامتيازات من اليهود؛ ولم يتحقق هذا إلا على يد محمد ﷺ الذي دمر حصونهم، وطردهم من ديارهم، ولقد أنذرهم يوحنا من هذا العذاب الآتي إذا لم يؤمنوا برسل الله الصادقين وعلى رأسهم محمد ﷺ ـ بقوله: (من الذي أخبركم أن تهربوا من الغضب الآتي) .

٥ ـ أن هدف محمد ﷺ هو: إقامة دين الإسلام على الأرض، فقد اختفت الأوثان والأصنام من أمامه، وانهارت الإمبراطوريات أمام سيفه، وأصبح المسلمون في ملته متساوين، وتكونت منهم الجماعة المؤمنة، وتحققت بينهم المساواة، إذ لا كهنوت ولا طقوس، وليس هناك مسلم مرتفع، ولا مسلم منخفض، ولا توجد طبقية أوتمايز يقوم على العنصر والرتبة، فالإسلام هو الدين الوحيد الذي لا يعترف بأي كائن مهما عظم، ومهما كان مقدساً ـ كوسيط مطلق بين الله والبشر.

٦ ـ أن أتباع يوحنا كانوا يعرفون كل المعرفة أن عيسى عليه السلام لم يكن هو الشخص المقصود، وقد اعتنقوا الإسلام عندما جاء محمد ﷺ [١].

---

(١) انظر محمد في الكتاب المقدس، ص ١٦٦ - ٢٠٠.

البشارة الثانية: قال متى في الإصحاح الخامس مخبراً عن المسيح أنه قال:(الحق أقول لكم إلى أن تزول السماء والأرض، ولا يزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الناموس حتى يكون الكل[1]) قال المهتدي الهاشمي موضحاً هذه البشارة :(الكل هنا ـ كما سبقت إليه الإشارة ـ هو القرآن الكريم الذي فيه نبأ السلف، وأخبار الخلف، فيه قصص من سبق من الأنبياء وابتلاؤهم على أيدي أقوامهم، فيه هدى للمتقين، ووعيد للكافرين، وتنظيم للحياتين الدنيا والآخرة، روح من رب العالمين نزل على قلب بشر لم يؤت من قبل فنون الكلام[2]) .

وفي هذا النص إشارة إلى وجوب العمل بالتوراة والإنجيل إلى غاية محدودة وهي مجيء الكل؛ فإذا جاء الكل ـ وهو القرآن الكريم ـ بطل العمل بهما، وحان نسخهما، وأذن الله بزوالهما. والمراد بالزوال هنا زوال الحكم لا زوال الوجود.

البشارة الثالثة: قال متى في الإصحاح الحادي عشر: إن المسيح عليه السلام قال:(لم يقم في مواليد النساء نبي أعظم من يوحنا المعمدان، وأما الأصغر الذي في ملكوت السماء فأعظم منه[3]) هذه البشارة أوردها كل من المهتدي الشيخ زيادة وعبد الأحد داود، وقال الشيخ زيادة: إن من علماء النصارى من فسر هذا النص وقال: إن المعني به هو يوحنا الحواري،

(١) سر إسلامي ، ص ١١٦ . ومتى ٥ .
(٢) سر إسلامي ، ص ١١٦ .
(٣) البحث الصريح ورقة ٤٢ / ب. ومحمد في الكتاب المقدس ، ص ١٧٨ . ومتى ١١ . ولوقا ٧ .

ومنهم من قال: إن المعني به هو عيسى عليه السلام. ثم نقض هذه الأقوال بأن يوحنا الإنجيلي ما تسمى نبياً على الإطلاق، ولا وصف بأنه أعظم من كل الأنبياء، بل إن بعض النصارى قالوا: إن بطرس أعظم منه. وصريح هذه النبوة شاهد على أن الأصغر القادم هو نبي أعظم من كل الأنبياء .

أما من فسر هذه النبوة بأن المراد به عيسى عليه السلام فيرد ذلك أن عيسى عليه السلام لا يعتبر من مواليد النساء الطبيعية المعتادة؛ حتى يستدل بأن هذه البشارة دالة عليه، ومشيرة إليه؛ فإذا انتقضت هذه الوجوه لزم إسقاط الدعوى، وأن تكون هذه البشارة منصرفة إلى نبي آخر سبق أن بشر به موسى عليه السلام بقوله:(إن الرب إلهكم سيقيم نبياً من إخوتكم مثلي[1]) . ولفظة الأصغر الواردة في هذا النص قد تصدق على المختار ﷺ من حيث أنه آخر الأنبياء، وأن هذا الأصغر هو الأعظم بالمجد والشرف في رتبة النبوة[2] .

أما عبد الأحد داود فقد استفاد من هذه البشارة لتأكيد النبوة السابقة وقد أوردتُ عدداً من الأدلة التي استنبطها منها وهي تتعلق بتلك النبوة، أما ما يتعلق بهذه البشارة من كلامه فهو طرح بعض التساؤلات، وإيضاح بعض العبارات، وهذا الإيضاح والتساؤل هو:-

---

(١) سبق الحديث عن هذه البشارة في ص ٥٢٧ من هذا البحث .
(٢) البحث الصريح ، ورقة ٤٢/ب ، ٤٣/أ .

١ - تساءل هذا المهتدي لم خُصَّ يوحنا بأنه أعظم الرجال؟؟، وهل نادى عيسى حقيقة بهذا القول؟ وهل كان يوحنا أعظم من إبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام؟، وإذا كانت شهادة عيسى عليه السلام عن يوحنا صحيحة؛ فإن عظمته سوف تقتصر على نكرانه الذات والزهد في الدنيا، ودعوته الناس إلى التوبة، وإخباره عن ذلك النبي. أم أن عظمته ـ حسب اعتقاد الكنائس ـ من كونه ابن الخالة والمعاصر لعيسى؟؟! .

وهل كان يقصد المسيح عليه السلام أن يعلمنا أن يوحنا وجميع الأنبياء الأتقياء كانوا خارج ملكوت الله؟؟، ومن هو الأقل الذي كان أعظم من يوحنا ومن كل من سبقه؟، وهل يقصد عيسى بكلمة الأقل نفسه؟ أو الأقل بين النصارى المعمدين؟.

ولا يمكن أن يكون أراد بذلك نفسه؛ لأن ذلك الملكوت أو المملكة لم يكن قائماً في زمنه، وإذا كان قائماً فهو المؤسس له، ولا يمكن أن يكون هو الأقل. إذاً فهل المراد الأقل بين النصارى المعمدين؟. إن الكنائس تعتقد أن أي مسيحي تم تعميده يصبح أعظم من يوحنا المعمدان ومن كل الأبرار السابقين بمن فيهم إبراهيم وموسى ... وسبب هذا الادعاء العجيب هو أن النصراني المعمد مهما كان خاطئاً فله حق التمتع بالامتيازات التي تطلّع إليها الرسل الكرام؛ شريطة أن يؤمن بأن عيسى هو مخلصه؟؟!!.

٢ ـ يرى هذا المهتدي أن المسيح أعلن أن يوحنا المعمدان كان تجسداً جديداً للنبي إيلياء[١]، بينما قال يوحنا للوفد اليهودي: (إنه لم يكن إيلياء ولا المسيح ولا ذلك النبي[٢]) إذاً هناك تناقض في حقيقة يوحنا، وهذا التناقض ينسب إلى اثنين من الأنبياء المعصومين! كما أن هناك تناقضاً آخر ورواة هذا التناقض هم الإنجيليون، وهم أشخاص يزعم أنهم يوحى إليهم، وأن ما دونوه هو وحي، ففى أحد هذه الأناجيل يقال: إن إيلياء هو إلياس جاء قبل ذلك النبي[٣]. ويقول عيسى: إن يوحنا هو إيلياء. ويقول يوحنا: أنا لست إيلياء. وكلا القولين المنفي والمثبت وارد في الكتاب المقدس المزعوم. ومن المستحيل كل الاستحالة الوصول إلى الحقيقة والدين الحق من هذه الأناجيل؛ إلا إذا اعيد النظر فيها وجري تمحيصها من وجهة نظر إسلامية.

٣ ـ ورد في هذه البشارة عبارة: (ولكن الأصغر الذي في ملكوت السموات أعظم منه). ويرى عبد الأحد داود أن الأصغر المشار إليه هنا هو سيدنا محمد ﷺ؛ إذ هو الأصغر سناً في سلسلة الأنبياء وهو صفوتهم وسلطانهم ومجدهم[٤].

(١) متى ١١ : ١٤ ، و١٧ : ١٢ ولوقا. ١ : ١٧ .
(٢) يوحنا ١ .
(٣) متى ٤ : ٥ - ٦ .
(٤) محمد في الكتاب المقدس ، ص ١٦٨ - ١٨٠ .

ولعل مقصود عيسي عليه السلام من قوله «الأصغر» أى الأصغر سناً. هذا على فرض صحة نسبة هذا النص إلى عيسى عليه السلام.

البشارة الرابعة: قال متى في الإصحاح الحادي عشر:(وإن أردتم أن تقبلوا فهذا هو إيلياء المزمع أن يأتي[1]). قال المهتدي النجار بعد هذه النبوة: (أي إن أردتم أن تتبعوا فاتبعوا أحمد الذي سيبعث، وشدد عليهم في التمسك بهذه الوصية والمحافظة عليها فقال: «من له أذنان للسمع فليسمع»[2]). وهذه البشارة مماثلة وشاهدة ومصدقة لنبوة ملاخي، وقد سبق إيرادها في هذا البحث تحت عنوان: البشارة الثانية من بشارات ملاخي.

البشارة الخامسة: روى متى في الإصحاح السابع عشر ذلك الحوار الذي دار بين المسيح عليه السلام وتلامذته وهو:(قولهم: لماذا يقول الكتبة: إن إيلياء ينبغي أن يأتي أولاً؟. فأجاب وقال لهم: إن إيلياء يأتي أولاً، ويرد كل شيء[3]) وأردف المهتدي النجار هذه البشارة بقوله: (ونجد المحرفين يشيرون بأن هذا الكلام على يوحنا ـ أي سيدي يحيى ـ مع أن سيدنا يحيى ليس له شرع ولا كتاب).

وقد سبق القول في البشارة الثالثة من بشارات متى أن الأناجيل تضاربت في إطلاق اسم إيلياء على يوحنا نفياً وإثباتاً، كما أنها أوردت

---

(١) المنارات الساطعة ، ص ٦٧. ومحمد في الكتاب المقدس ، ص ١٦٨. ومتى ١١ .

(٢) المنارات الساطعة ، ص٦٧ .

(٣) المنارات الساطعة ص ٦٦. ومتى ١٧. ومرقس ٩ .

نفى يوحنا عن نفسه هذا اللقب؛ فتعين أن المبشر به في هذا النص هو نبي سوى يوحنا، وهو محمد ﷺ .

البشارة السادسة : قال المهتدي النجار: (مثلت الأناجيل أمة محمد بالكرم[1]، ومرة بالبيدر - جرن القمح[2] -، ومثلها سيدنا إشعياء بالنرجس[3]، ومثلها سيدنا حزقيال بشجر الأرز[4]) .

البشارة السابعة : قال متى في الإصحاح العشرين مخبراً عن المسيح أنه قال :(أما قرأتم قط في الكتب: إن الحجر الذي رذله البناؤون، هذا صار رأساً للزاوية، من قِبل الرب كانت هذه، وهي عجيبة في أعيننا، من أجل هذا أقول لكم: إن ملكوت الله تنزع منكم، وتعطي لآخرين، لأمة يصنعون ثمرتها، ومن سقط على هذا الحجر يترضض، ومن يسقط عليه يطحنه[5]) .

---

(١) انظر متى الإصحاح ٢٠ : ١ - ١٦ ، و٢١ : ٣٣ - ٤١ .

(٢) انظر متى الإصحاح ٣ : ١١ - ١٢ .

(٣) انظر إشعياء الإصحاح ٣٥ : ١ - ٤ .

(٤) حزقيال الإصحاح ١٧ : ٢٢ - ٢٤ ، و٣١ : ٣ - ٩، وهذه الشهادة وردت في المنارات الساطعة ، ص ٥٨ . ٧٢ وقد شاركه المهتدي الشيخ زيادة بالقول على أن المثل المضروب لعمال الكرم يراد به الأمة الإسلامية ، انظر البحث الصريح ورقة ٢٩ / أ .

(٥) المصدر السابق، ورقة ٢٩/ب. والإنجيل والصليب ٧٦ وما بعدها ، ولم يذكر هذه البشارة بنصها ولكنه تكلم عن ملكوت الله ، وسيأتي تفصيل الكلام عنه في هذه الصفحات إن شاء الله. وانظر المنارات الساطعة ٦٨ . وسر إسلامي ، ١١٤ - ١١٥ . ومحمد ﷺ في التوراة والإنجيل والقرآن ، ص ٧٣. ومتى ٢١ . ولوقا ٢٠ . والمزمور ١١٨ . وقد أوردت هذه البشارة ضمن بشارات متى وهي مذكورة في المزامير ؛ لأن هؤلاء أوردوها ضمن بشارات متى وأحالوا على المزامير .

أجدني مضطراً أمام هذه البشارة إلى تقسيم الكلام عنها إلى قسمين حسب ما ورد عن هؤلاء المهتدين :ـ

القسم الأول: يختص بالكلام عن الحجر الذي رفضه البناؤون، وهذا الحجر المشار إليه هو محمد ﷺ، فهو الحجر المتمم للبناء الذي ابتدأه الأنبياء من آدم حتى المسيح، وبيّن المسيح عليه السلام ما خُصَّ به محمد ﷺ من النصر والتأييد بقوله: (ومن سقط على هذا الحجر يترضض، ومن يسقط عليه يطحنه). وإلى هذا ذهب كل من المهتدي الشيخ زيادة والنجار والهاشمي. بينما يرى المهتدي إبراهيم خليل: أن الحجر المشار إليه هو إسماعيل عليه السلام الذي رفضه قومه. ولكن الذي رفضه قومه، ورفضه اليهود والنصارى هو محمد ﷺ

قوله: (من قِبل الرب) : أي مرسل من قبل الله حقاً وصدقاً[1] .

قوله: (عجيب في أعيننا). هذا القول يطابق قول إشعياء: إن اسمه عجيب[2]. أو أن تكون بمعنى عجيب؛ لأنه كريم في طبعه عربي غريب من غير بني إسرائيل[3] .

وإن قيل إن المسيح عني نفسه بهذا المثل فيقال :ـ

١ ـ أنه قال :(في أعيننا) ولم يقل في أعينكم .

---

(١) البحث الصريح ، ورقة ٣٢ / أ .

(٢) المصدر السابق ، ورقة ٣٢ / أ .

(٣) المصدر السابق ، ورقة ٣١ / أ . والمنارات الساطعة ، ص٦٨ .

٢ ـ أن خاتمة البشارة وهي قوله: (من سقط على هذا الحجر يترضض). تفيد جلياً أن هذه العبارة واردة في حق شخص آخر غير المسيح عليه السلام؛ لأن عيسى عليه السلام لم يرضّ غيره، ولم يسحق من سقط عليه.

٣ ـ لا يجوز عند علماء اللغة أن يعود اسم الإشارة على المتكلم وهو عيسى، إذاً فلا بد أن يعود على شخص أشار إليه عيسى وهو محمد ﷺ[١].

وفي هذه البشارة تماثل قوله ﷺ عن نفسه:(إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بني بيتاً فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية، فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون: هلا وضعت هذه اللبنة؟ فأنا اللبنة، وأنا خاتم النبيين[٢]).

وهذا القول منه ﷺ معجزة وأي معجزة، فمن أخبره ﷺ بوصفهم له بأنه حجر الزاوية؟ وهو الأمي الذي لا يقرأ ولا يكتب، ولم يتتلمذ على يد معلم أو راهب!! ولكنه الوحي الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، والحق الذي لا يختلف في كل عصر ومصر، فلا عجب أن تماثلت أقوالهم، واتفقت أمثالهم، أليس الجميع يخرج من مشكاة واحدة؟؟!!.

---

(١) البحث الصريح، ورقة ٣٢ / أ.

(٢) رواه البخاري في صحيحه واللفظ له في كتاب المناقب، باب ١٨، ومسلم في صحيحه كتاب الفضائل، حديث ٢٨٨٦.

القسم الثاني: يختص بالكلام عن نزع ملكوت الله من بني إسرائيل، ووضعه في أمة أخرى :ـ

والحديث عن ملكوت الله يتطلب الحديث عن حقيقته، وصفات أتباعه، وملكوت الله في تفسير الكنائس، وبيان أن النصرانية ليست ضمن ملكوت الله، وأن الملكوت نُزِع من بني إسرائيل وأعطي لأمة أخرى، وهذه الأمة هي الأمة الإسلامية .

حقيقته : يرى المهتدي عبد الأحد داود:(أن المعنى المراد من كلمة «الملكوت» إنما هو على الوجه الذي ذكره المسيح تكراراً بـ« كلام الملكوت» أو « كلام الله» عبارة عن إرادة ورضاء صاحب الملكوت جل جلاله... وبالطبع إن للبشرية شيئين دائمين هما «الإسلام» و«القرآن » وهو يقيم ديناً حقيقياً، وملكوت الله على الأرض. والقرآن هو أقدس كتاب في العالم يحتوي على إرادة الله ورضائه في تحقيق وتسهيل إدارة ملكوت الله[1] وفي موضع آخر من كتابه «الإنجيل والصليب» يرى أن الملكوت هو دين الإسلام[2]. والذى تؤيده القرائن والنصوص هو أن «ملكوت الله» الوارد في هذه البشارة وفي غيرها من نصوص العهد الجديد ـ هو الرسالة والوحي؛ لأن هذه البشارة تضمنت قول المسيح:(إن ملكوت الله تنزع منكم وتعطى لآخرين، لأمة تصنع ثمرتها). والنبوة

---

(١) الإنجيل والصليب ، ص ٨٢ - ٨٣ .

(٢) انظر ، ص ١٧٦ .

كانت في الحقبة التي سبقت البعثة المحمدية في بني إسرائيل، ولما أذن الله ببعثة محمد ﷺ، ورسالته هي الرسالة الخاتمة التي ختمت بها الرسالات الإلهية، وهو من غير بني إسرائيل ـ كان المنزوع من بني إسرائيل هو النبوة والرسالة لا أن المنزوع هو الإسلام؛ لأن بني إسرائيل وغيرهم من كافة الأمم مطالبون بالدخول في الإسلام، ولو نزع منهم الإسلام وأعطى غيرهم لما كان لدعوتهم إلى الإسلام معنى .

وقد قدم هذا المهتدي عدداً من البراهين على أن ملكوت الله هو الإسلام، أو هو إرادة الله وكلامه، وهذه البراهين هي :ـ

١ ـ أن الإنجيل عبارة عن التبشير بالسعادة الحقيقية، والسعادة الحقيقية موجودة ـ أيضاً في ملكوت الله الذي تقرر تأسيسه في المستقبل، إذاً فالسعادة الحقيقية ليست موجودة في الإنجيل؛ بل الإنجيل مبشر ومناد يدعو إليها، فهو وعظ وتبشير يبشر بالقرآن .

٢ ـ ليس الإنجيل مشعراً أن الكنيسة هي ملكوت الله، وليس هو مشعراً بألوهية المسيح؛ بل هو عبارة عن أمر إلهي تضمن وجوب انتظار ملكوت الله .

٣ ـ يخبر دانيال في أماكن كثيرة من كتابه عن دين الإسلام حتى لكأنه يخبر بقصة المعراج، ويبشر بتأسيس هذا الدين، وما منح هذا الرسول الخاتم من الملكوت والعزة والسلطان، وما يتبع ذلك من القضاء على دول الكفر في فارس والروم على أيدي أبناء هذا الدين .

٤ ـ ورد عن دانيال أنه قال: (أسس الدين، وسيمحون ويخربون أبدياً، آخذين من سلطنته، وسيعطى الملكوت وعظمة كل الملكوتات الكائنة تحت ظل السماء شرقها وغربها للقوم الذين هم مقدسو المتعال، ملكوته ملكوت أبدي، وكل السلاطين يطيعونه ويخدمونه[1]) . فهو يخبر عن علامات تأسيس هذا الملكوت وبعض أماراته، وهي أن تقوم حكومة دينية، وسيعطى لهذه الحكومة الملكوت والسلطنة وعظمة كل الملكوتات التي تحت ظل السماء، ومن أبرز صفات أفرادها أنهم يطيعون الله؛ لذلك وصفهم بأنهم «مقدسو المتعال» وهم أمة واحدة، وملة واحدة، وهي الأمة الإسلامية، وكل هذه الأمة مرتبطة بملكوت إسلامي رأسه الخلافة المنفذة لهذا الدين والقائمة عليه، ويتحقق لهذه الخلافة أن تخدمها كل الممالك وتطيعها .

٥ ـ هذا الملكوت تكفل الله بحفظه وحمايته من خلال الشريعة الغراء، المشتملة على الأحكام الشرعية، وهي شريعة باهرة موافقة للعقل، وهي التي تكفل السعادة الحقيقية للبشر؛ لأن البشر أمام أحكامها سواء إذ لا اعتبار للجنس أو اللون أو العرق[2].

---

(١) دانيال ٧ : ٢٦ – ٢٧ . والترجمة للمهتدي عبد الأحد داود في كتابه الإنجيل والصليب ص ١٨٨ .

(٢) انظر المصدر السابق ، ص ١٧٦ – ١٩٦ .

صفاته وخواصه :ـ

١ ـ من صفاته التأليف بين كل أنواع البشر من غير تفريق بين جنس أو عرق أو أمة أو بلد، وتوحيدهم بإخاء معنوي، وروابط دينية .

٢ ـ ملكوت الله ينشأ آناً فآنا، وينمو سنة فسنة، ويكبر عصراً فعصراً، ويتقوى على الدوام بدون انقطاع .

٣ ـ أفراد أبناء الملكوت على نسق واحد، يشابه أحدهم الآخر في كل وقت وفي كل زمان ومكان وفي كل الأحوال؛ فالإيمان والغاية واحدة .

٤ ـ ينفرد أبناء الملكوت بالسماح لأبناء الكفار أن يعيشوا فيما بينهم. ذلك أن أتباع الديانات الأخرى لا يرضون أن يعيش فيما بينهم أتباع ملة أخرى؛ أما أبناء الأمة الإسلامية فيوافقون على بقاء اليهود والنصارى بين ظهرانيهم إذا أدوا الجزية .

٥ ـ أبناء الملكوت هم ملح الأرض، وبقدر ما يحتاج الطعام إلى الملح تحتاج البشرية إليهم؛ لإصلاح أحوالها، وتهذيبها من الرذيلة، لأن في أفواههم الأقوال الحميدة والكلام الطيب .

٦ ـ كل حركات أبناء الملكوت وأطوارهم كالنور ساطعة متألقة، وكل من يراهم يفهم عاجلاً من كلامهم وأخلاقهم من هم، وإلي أي دين ينتسبون، وبأي كتاب يهتدون .

٧ ـ أبناء الملكوت لا يعطون القدس للكلاب، ولا يطرحون دررها أمام الخنازير، بمعنى أنهم يوصدون أماكنهم المقدسة في وجوه الكفار والمشركين، ولا يترجمون آيات كتابهم[١] إلى مئات اللغات متهالكين في بيعها وإهدائها إلى كل من يصادفون .

٨ ـ لا يجد أبناء الملكوت أي كلفة أو صعوبة في التوبة والاستغفار والصلاة والسجود لأجل التقرب إلى الله عز وجل، ولا حاجة إلى توسيط وسيط بين الله وعباده، وأن شفيعهم المطلق هو التوحيد[٢] .

ملكوت الله في تفسير الكنائس: ـ

كل الكنائس التي لا تحصى عدداً تدعي أن المسيح أسس كنيسة، وكل كنيسة واحدة تعرض هيكلها قائلة: أنا تلك الكنيسة، وأنا ذلك الملكوت .

النصرانية ليست ضمن ملكوت الله : ـ

ويؤكد المهتدي عبد الأحد ذلك بالبراهين التالية : ـ

١ ـ أن النصرانية تعترف بتأسيسها من قبل ثلاثة مؤسسين هم الآب والابن والروح القدس. وعلى ذلك ينبغي أن تكون غير ملكوت

---

(١) لايجوز أن تترجم آيات القرآن الكريم إلى أي لغة كانت ؛ لأن القرآن هو كلام الله ، وهو معجز في لفظه ومعناه، وإذا ترجم إلى أي لغة فإن هذه الترجمة ، لا تسمى قرآنا ، وإنما يجوز أن تترجم معاني القرآن الكريم وتفسيره .

(٢) انظر المصدر السابق ، ص ١٠٤ - ١٠٧ ، ١٢١ .

الله الذي بشر به المسيح عليه السلام، والذي أسسه ودعا إليه الله الواحد الأحد .

٢ ـ أن بولس لا يعرف ملكوت الله ، ولكنه كان يبحث عن ملكوت المسيح فقط .

٣ ـ كل الوسائل النصرانية كالصليب، والتعميد، والقربان المقدس، ودم الحمل المذبوح، وغفران الذنوب من قبل الراهب ـ لا تتفق مع ملكوت الله .

٤ ـ بما أن النصرانية تعتقد بالتثليث فهي ديانة وثنية شأنها شأن بقية الديانات الوثنية؛ وما دامت وثنية فلا يمكن أن تدخل أو تعتبر ضمن ملكوت الله الواحد الأحد الذي يمقت الوثنية والوثنيين .

٥ ـ تفتقر النصرانية إلى الكتاب المنزل المتضمن الأوامر النواهي وأحكام العبادات والمعاملات التي تتطلبها الحياة البشرية، وهذا الكتاب الشامل هو قوام الدين وأساسه، وبما أن النصرانية لا تمتلك ذلك؛ لأن كل كنيسة أو فرقة لها نظام خاص بها تتم وفقه عباداتها ومعاملاتها، هذا بالإضافة إلى أن هذه الكتب التي تعتمد عليها لم تكتب بالوحي الإلهي، ثم إن كتب التوراة تناقض الأناجيل ـ فإذاً هي تفتقد الكتاب المنزل الذي هو عماد الدين، وإذا عدم الكتاب؛ عدم الدين، ومن لا دين له فلا يمكن ـ بحال من الأحوال ـ أن يكون داخلاً في الملكوت؛ إذاً

فالنصرانية محرومة من الدين على هذا الأساس، فهي خارج ملكوت الله .

٦ ـ حسب الشريعة الموسوية فإن من لم يختتن يعدّ ملوثاً نجساً، والمسيح نفسه ختن في اليوم الثامن، وكان ملتزماً بالشريعة الموسوية. والنصرانية لا تدين بالختان، فلا يمكن أن يقبل المسيح النصارى الغلف في ملكوت الله [١].

نزع الملكوت من النصارى :ـ

أراد الله بهذه الأمة خيراً فبعث فيها خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ، وقد تنبأ حزقيال عن ذلك فقال في الإصحاح السابع عشر مخبراً عن الله أنه قال:(إني أنا الرب وضعت الشجرة الرفيعة، ورفعت الشجرة الوضيعة، وأيبست الشجرة الخضراء، وأفرخت الشجرة اليابسة. أنا الرب تكلمت وفعلت) ومعنى قوله: (وضعت الشجرة الرفيعة) . أي أنه أزال شرف الشجرة التي كانت رفيعة القدر بالنبوة والرسالة أبناء إسحاق ويعقوب. (ورفعت الشجرة الوضيعة) . أي شجرة سيدنا إسماعيل وهم ذريته بأن بعث فيهم رسولاً من أنفسهم[٢] . وعندما نفهم تأويل أول هذا النص يتضح المعني من آخره؛ فلا موجب للاستفاضة في الشرح والتحليل .

وقد صاحب نزع النبوة من بني إسرائيل تحويل القبلة من المسجد الأقصى إلى البيت العتيق وهو مكة .

---

(١) انظر المصدر السابق ، ص ٧٦ ، ٨٠ ، ٨٢ ، ١٥٦، ١٦٢، ١٧٥ ، ١٩٣ – ١٩٨ ، ٢٠٤ – ٢٠٨ .

(٢) انظر المنارات الساطعة ، ص ٥٥ – ٥٩ ، ومحمد ﷺ في التوراة والإنجيل ، ص ٧٤ – ٧٥ .

بشارات لوقا :ـــ

البشارة الأولى : جاء في إنجيل لوقا الإصحاح الثاني أنه ظهر جمهور من الملائكة في الليلة التي ولد فيها المسيح عليه السلام، وترنموا بنشيد سمعه منهم بعض الرعاة، وهذا النشيد هو:(الحمد لله في الأعالي، وعلى الأرض إسلام، وللناس أحمد[1]) ويري المهتدي عبد الأحد داود: أنه لا يمكن أن تكون هذه الأنشودة قيلت باللغة اليونانية ؛ وإنما كانت باللغة السريانية، وقد ترجمت هذه الأنشودة إلى اللغة اليونانية على الوجه التالي: (الحمد لله في الأعالي، وعلى الأرض سلامة، وفي الناس حسن رضا) . ولا بد من بيان الترجمة الحقيقية لكلمتي «إيريني= السلامة» و«يودوكيا=حسن الرضا» .

أما «إيريني eiriny» فقد ترجمت إلى سلامة ومسالمة وسلام. وهي بمعنى سلم وسلام ويماثلها في العبرية «شالوم» ذلك أن الكلمتين متماثلتان تماماً في نصوص الترجمة السبعينية والعبرية. ومن المعلوم أن لفظة «إسلام» تفيد معاني واسعة جداً، وتشتمل على ما تشتمل عليه ألفاظ السلم والسلام والصلح والمسالمة والأمن والراحة؛ إذاً إن كلمتي «إيريني، وشلم» تفيدان هذا المعنى بعينه، وعلى ذلك تكون الملائكة قالت: سيؤسس دين الإسلام على الأرض. وإذا لم تفهم «إيريني» على أنها دين الإسلام؛ فإن اللفظ يبقى لغزاً لا يمكن إدراكه .

---

(١) الإنجيل والصليب ، ص ٣٤، والنص من ترجمة المؤلف ، وانظر لوقا ٢ وقد ورد هذا النص في الطبعة التي بين يدي كالتالى : المجد لله في الأعالي ، وعلى الأرض السلام ، وفي الناس المسرة .

وتفسر الكنائس كلمة «إيريني» على أنها السلام، ويقولون: إن الوسيلة لتحقيق ذلك هو: الايمان بألوهية المسيح، وافتدائه الناس من الخطيئة بسبب موته على الصليب ... وأن ذلك يجلب السلام والطمأنينة للقلب، ويجعل المؤمنين به يحملون النوايا الطيبة، والإحسان المتبادل. ولكن الواقع يكذب ذلك؛ لأنه إلى يوم الناس هذا لا يوجد بين الطوائف النصرانية سلام عام، ولا مصالحة، ولا وحدة دينية، ولا حب متبادل .

وقد تقول الكنائس : إن الذي يحقق هذا السلام هو الطقوس السبعة وبقية الطقوس الكنسية. ولا تزال هذه الطقوس قائمة تمارس في كل كنيسة، وما يزال السلام مفقوداً، والطمأنينة مفقودة؛ إذ يجب الاعتراف أمام الكاهن أو القسيس بجميع الذنوب والخطايا صغيرها وكبيرها. فأين الطمأنينة والسلام ؟؟! .

وقد تحاول بعض الكنائس التوصل لهذا السلام عن طريق الصلاة، والعشاء الرباني، وقراءة الكتاب المقدس المزعوم .

ويقول المهتدى عبد الأحد داود : إن هذه العبادة تملأ صاحبها تعصباً، ونفوراً، وعزلة، وتزمتا، وكراهية للغير، حتى إنه ليفضل أن يلقى كلباً على أن يلقى مسلماً أو يهودياً، وإن هذا شعور كنت أجده في نفسي لما كنت قساً كاثوليكياً.

وبعد هذا التفنيد لهذه الوسائل المصطنعة لتحقيق السلام والطمأنينة فإن هناك ثلاث وسائل حقيقية فقط يمكن الحصول بواسطتها على السلام الحقيقي التام وهي :ـ

١ ـ الاعتقاد المتين بوحدانية الله المطلقة .

٢ ـ الخضوع الكامل والاستسلام لمشيئته المقدسة .

٣ ـ أن يكون الله سبحانه هو محور التفكير والتأمل [1] .

فمن يحقق هذه الوسائل الثلاث فهو مسلم حقيقي. والسلام الذي يحرزه عن طريقها يكون سلاماً حقيقياً وغير مصطنع .

أما كلمة «يودوكيا eudokia» فلم ترد في النسخة العبرية، ولكن ما الأصل الذي ترجمت عنه؟ إنه عدم محض وضياع، إنها بالتأكيد ترجمة حرفية لكلمة عبرية أو سريانية. وقد ترجمت هذه الكلمة «يودوكيا» إلى أمل صالح، وحسن رضا. لكن لدي الأثوريين النسطوريين كتاب يسمى «قودشادشليحى» ، وهو أقدم من مجمع نيقية بكثير، وجاءت هذه اللفظة في هذا الكتاب «سبرا طابا» أى «بشارة جيدة أو حسنة» وذلك عوض عن «يودوكيا» .

إذاً لدينا وثيقتان هما كتاب «قودشا» وكتاب «لوقا» ، فأيهما أحرى بالاعتبار؟ .

ولو كانت الملائكة قالت:«أمل صالح» لكان الواجب على لوقا أن يكتب عوضاً عن «يودوكيا» «ايلبيد آغسى» كما أنه لا يقال في اليونانية لحسن الرضا «يودوكيا» بل يقال: «ثليما» وبتتبع البنية الصرفية لهذه الكلمة يتبين أن الحرفين «eu» بمعنى حسن جيد صالح ... أما كلمة

---

(١) لعله قصد من هذا أن يملأ ذكر الله ومراقبته قلب الإنسان وفكره .

«دوكيا» فيقول هذا المهتدي: لا أعرف لها استعمالاً في شيء من كتب اللغة اليونانية، وإنما توجد كلمة «دوكوئه» وهي بمعنى الحمد، الاشتهاء، الشوق، الرغبة، بيان الفكر. أما الصفات المشتقة من الفعل «دوكسا» فهي حمد، محمود، نفيس، مشتهى ، مرغوب، مجيد .

ثم قارَنَ بين أصول هذه الكلمة اليونانية والكلمات العبرية التالية: «ماحماد، حمدا» ومعانيها، وتبين له أن الكلمة اليونانية «يودوكيا» يجب أن تماثل حرفياً الاسم العبري «حمدْا» والكلمتان تعنيان السرور، واللطف، والنفاسة. وأن الكلمة المماثلة في العبرية لكلمة «ماحامود» لا يمكن إلا أن تكون «يودوكسوس eudoxos»وهى بمعنى الشيء المرغوب فيه، المتطلع إليه، اللطيف، المشتهى، النفيس المرضى، المحبوب، المحترم..

وإن إطلاق اسم محمد على خاتم الأنبياء والمرسلين صلوات الله عليه وسلامه من قبل جده ليعتبر معجزة في تأريخ الأديان؛ لأن أهله كانوا لا يعلمون شيئاً عن النبوات العبرية ولا عن المخطوطات النصرانية الخاصة بنبي الإسلام محمد ﷺ. ولا يمكن أن يكون هذا الإطلاق من باب المصادفة؛ بل هو دال على العناية الإلهية والإلهام الإلهي .

ومن هنا يتبين أن المغزى الروحي للصيغ العبرية لكلمة «حمدا، محمود» هو الثنا، والمدح، والمشهور، والمحتفى به، والمجيد. ولا يمكن أن يكون شيء من المخلوقات أكثر شرفاً ومجداً وحسن ثناءٍ واستحقاقاً للمدح من محمد ﷺ، وإن مجده ليتفوق على مجد كل مخلوق آخر[1].

---

(١) انظر الإنجيل والصليب، ص ٣٣-٥٢، ١٠٢-١٠٣. ومحمد في الكتاب المقدس، ص ١٤٥-١٦٥ .

البشارة الثانية: قال لوقا في الإصحاح الحادي عشر من إنجيله :(إن المسيح قال لتلامذته: إني قد كنت أرسلتكم وليس معكم كيس ولا ترمال «يعني به المزود» ولا خف، فهل ضركم، ونقصكم ذلك شيئاً؟. قالوا: لا. قال: أما الآن فليشتر من لم يكن له كيس كيساً، ومن لم يكن له ترمال مزوداً، ومن لم يكن له سيف فليبع ثيابه وليشتر به لنفسه سيفاً)[1] قال المهتدي الطبري موضحاً موضع الدلالة من هذا النص:(ولم تزل سنة المسيح وفرائضه التي يستن بها ويدعو إليها هي المسالمة والاستسلام والانسلاب لا غير، فلما أمر تلامذته وأعلام دينه في آخر أمره أن يبيعوا ثيابهم ويشتروا السيوف؛ عرف أهل التمييز والفهم أنه إنما أشار بذلك إلى أمر آخر، وحدث متجدد بالنبى ﷺ، وأشار إلى سيوفه وسهامه التي وصفها الأنبياء قبله[2]) .

بشارات يوحنا :ـ

البشارة الأولى : لما ابتدأ يوحنا يعمّد الناس في نهر الأردن، وكان ذلك في زمن المسيح عليه السلام، تصدى له اليهود ـ المكتوب عندهم في التوراة أن المسيح آت وسيأتي بعده نبي ـ وسألوه سؤالا كما جاء في الإصحاح الأول:(هل أنت المسيح؟ هل أنت إيلياء؟، هل أنت النبي؟ وعندما أجابهم بالنفي قالوا : إذا لم تكن المسيح ولا إيلياء ولا ذلك النبي

(٢) الدين والدولة ، ص ١٦٨. ولوقا ٢٢ .

(٣) الدين والدولة ، ص ١٦٨ - ١٦٩ .

المنتظر؛ إذاً فلمـاذا تعـمّد[1] ؟؟) . قال المهتدي الهاشمي بعد هذه البشارة:(من سؤال اليهود ليوحنا نستطيع أن نستنتج أن هناك نبياً بشرت به كتبهم؛ حيث أن السؤال كان في عهد السيد المسيح، وأن إيلياء كان نبياً من أنبياء بني إسرائيل جاء بعد موسى وقبل المسيح[2]) . ويطرح المهتدي عبد الأحد داود عدة تساؤلات ملزمة حول هذا النص وهي :

من يعني أولئك الأحبار اليهود واللاويون بقولهم: ذلك النبي؟. وإذا كنتم تّدعون معرفتكم مقصد رجال الدين العبرانيين، فهل يعرف باباواتكم وبطارقتكم من هو ذلك النبي؟ وإذا كانوا لا يعرفون فما الفائدة الدنيوية من هذه الأناجيل المشكوك في صحتها؟ وإذا كان الأمر على العكس، وكنتم تعرفون من هو ذلك النبي فلماذا تبقون صامتين[3] ؟؟!.

ويستنتج المهتدي الشيخ زيادة من هذه البشارة: أن اليهود منذ زمن موسى إلى زمن مجيء المسيح عليهما السلام كان يتداول بينهم ـ نقلاً عن آبائهم وأجدادهم ـ أن الله يرسل نبياً . وهم بانتظار ثلاثة أفراد عظام هم: إيلياء والمسيح والنبي. فحيث جاء إيلياء والمسيح لم يبق إلا «النبي» الذي ينتظرونه، وقد ورد في هذا النص بعد المسيح فتعين أن هذا النبي هو محمد ﷺ ؛ لأنه قد جاء بعد المسيح عليهما الصلاة والسلام .

---

(١) البحث الصريح ، ورقة ٢٣ / ب . ومحمد في الكتاب المقدس ، ص ١٦٨ . وسر إسلامي ، ص ١١٠ . ويوحنا ١ .

(٢) سر إسلامي ، ص ١١٠ .

(٣) انظر محمد في الكتاب المقدس ، ص ١٦٨ .

وهذه البشارة تفند ادعاء اليهود أن بشارة موسى عن نبي يقيمه الله لهم[1]. دالة على يوشع بن نون؛ لأنه لو كان المقصود بها يوشع لما ظل اليهود إلى زمن المسيح يسألونه عن ذلك النبي. وتفند ـ أيضاً ـ ادعاء النصارى بأن بشارة موسى السابقة مقولة على المسيح عليهما السلام؛ لأن علماء اليهود قالوا ليوحنا:(إن كنت لست المسيح ولا إيلياء ولا النبي). وهذا يدل على أن هذا النبي غير المسيح عليه السلام[2] .

البشارة الثانية : قال يوحنا في الفصل الخامس عشر من إنجيله إن المسيح عليه السلام قال:(إن الفارقليط الذي يرسله أبي باسمي يعلمكم كل شيء) وقال ـ أيضاً ـ في الفصل السادس عشر:(إن الفارقليط لن يجيئكم مالم أذهب، فإذا جاء وبخ العالم على الخطيئة، ولا يقول من تلقاء نفسه شيئاً، لكنه يسوسكم بالحق كله، ويخبركم بالحوادث والغيوب) وقال ـ أيضاً ـ : (إني سائل أبي أن يرسل إليكم فارقليطاً آخر يكون معكم إلى الأبد[3]) ويرى المهتدي عبد الأحد داود أن النص الأخير لا يتضح المعنى المراد منه إلا بإعادة الكلمات المسروقة أو المحرفة فتكون الصيغة الصحيحة كالتالي: (وسوف أذهب إلى الأب، وسيرسل لكم رسولاً

---

(١) سبق الحديث عن هذه البشارة فى ص ٥٢٧ من هذا البحث .

(٢) انظر البحث الصريح ، ورقة ٢٣ / ب ، ٢٤ / أ .

(٣) الدين والدولة ، ص ١٨٤ . وانظر النصيحة الإيمانية ، ص ١٣٩ . وتحفة الأريب ، ص ٢٦٧ . والبحث الصريح ورقه ٢٤/ب. ومحمد في الكتاب المقدس ، ص ٢١٩. والمنارات الساطعة ٦٧. وسر إسلامي ، ص١١٣ ، ١١٧ . ومحمد ﷺ في التوراة والإنجيل ، ص ٤٧ ، والقرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم، ص١٢٥. ويوحنا ١٤ ، ١٦ ، وهي في الطبعات المحدثة « المعزي » بدلاً عن « الفارقليط» .

سيكون اسمه «البر قليطوس» ؛ لكي يبقى معكم إلى الأبد) والكلمات التي أضافها هي ما تحتها خط .

هذه البشارة تكاد أن تكون محل إجماع من هؤلاء المهتدين، وسيكون الحديث عنها من جانبين :ـ

الجانب الأول : بشارة المسيح عليه السلام بخاتم الرسل محمد ﷺ وذلك من خلال النقاط التالية:ـ

١ ـ أن هذا النبي الذي بشر به المسيح عليه السلام علّم الناس مالم يعلموه من قبل، ولم يكن في تلاميذ المسيح ومن بعدهم من علّم الناس شيئاً غير الذي كان علمهم المسيح[١] .

٢ ـ تضمن النص أن هذا الشخص المبشر به لا يتكلم من تلقاء نفسه، وأنه يخبر بالحوادث والغيوب، ولقد كان محمد ﷺ لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى، وقد تواتر عنه إخباره بالحوادث المقبلة والغيوب التي تحققت في حياته وبعد مماته. وتتفق هذه البشارة مع بشارة موسى عن هذا النبي المنتظر عندما أخبر أن الله قال:(وأجعل كلامي في فيه[٢]). وقد سبق الحديث عن هذه البشارة ضمن بشارات العهد القديم.

---

(١) انظر الدين والدولة ، ص ١٨٤ . والنصيحة الإيمانية ١٤٠ . وتحفة الأريب ، ص ٢٦٨ .

(٢) انظر المصدر السابق ، ص ٢٧٠ . ومحمد ﷺ في التوراة والأنجيل ، ص ٤٧ – ٤٨ . ومحمد في الكتاب المقدس ، ص ٢٢٨ . وسبق الحديث عنها في ص ٥٢٧ من هذا البحث .

٣ ـ أن هذا النبي المنتظر بكّت العالم على الخطيئة، ولا خطيئة أعظم من الشرك، ولم يقتصر عمل محمد ﷺ على اقتلاع الشرك من جزيرة العرب، وبعْثِ رسله وكتبه إلى ما جاوره من الدول والإمبراطوريات يدعوهم إلى عبادة الله وحده؛ بل لما لم تقبل دعوته استل سيفه مؤذناً بإعلان الحرب على الشرك مهما كان موقعه[1] .

٤ ـ أن الشخص المبشر به يؤنب العالم. ولقد اعتقد اليهود أنهم صلبوا المسيح عليه السلام وقتلوه. واعتقد النصارى أن المسيح قد صلب وأنه الله أو ابن الله . ولم يزل العالم يعتقد هذا الاعتقاد حتى جاء محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه وجلّى كل الحقيقة عن المسيح من أنه عبد الله ورسوله، وأنه لم يصلب ولم يقتل؛ بل رفع إلى السماء[2] .

٥ ـ في هذا النص صرح المسيح عليه السلام أن الشخص المبشر به هو «روح الحقيقة» ومحمد ﷺ هو الذي أظهر كل الحقيقة عن الله وعن وحدانيته ورسله وكتبه ودينه، وصحح كثيراً من الافتراءات والأكاذيب التي كانت مدونة ومعتقداً بها، فهو الذي وبّخ النصارى على اعتقادهم في الثالوث، وادعائهم أن المسيح هو ابن الله ، وكشف مفتريات اليهود والنصارى ضد أنبياء الله

(١) انظر محمد في الكتاب المقدس ، ص ٢٢٦ .
(٢) انظر المصدر السابق ، ص ٢٢٧ .

ورسله، وطهر ساحتهم من الدنس والعيب الذي ألحقه بهم اليهود[1] .

٦ ـ ذكر المهتدي الترجمان في سبب إسلامه أن أحبار النصارى كان لهم مجلس يجتمعون فيه، ويتذاكرون فيه أنماطاً من المسائل، فاختلفوا يوماً حول النبي الذي يأتي بعد المسيح والمسمى في الإنجيل « البارقليط» وانفض المجلس في ذلك اليوم ولم يصلوا إلى حقيقة هذا اللفظ، وقد تخلف عنهم في ذلك اليوم أكبر علمائهم، فلما رجع الترجمان إليه أخبره الخبر، وطلب الترجمان من هذا العالم أن يبين له الحقيقة فأخبره: أن «البارقليط» هو اسم من أسماء نبي المسلمين محمد بن عبد الله ﷺ[2] .

٧ ـ قال المهتدي الهاشمي :(إنه جاء في الإنجيل المكتوب باللغة القبطية الذي كتبه أحد البطاركة في سنة ٥٠٦ م ما معناه : الآتي بعدي يسمى: الفارقليط بندكراطور. أي الروح المنشق اسمه من اسم الحمد، سيبعث الحياة في أمة ليست لها من الحياة نصيب إلا الضلال في برية فاران كجحاش الأتن . وذكر

(١) انظر المصدر السابق ، ص ٢٢٦. ومحمد ﷺ في التوراة والإنجيل ، ص ٥٢ .

(٢) انظر تفاصيل هذه الحادثة في تحفة الأريب ، ص ٦٦ – ٧١ . وسبق إيراد مجملها في ص ٢٠٨ من هذا البحث .

أن هذا الإنجيل منزوع الغلاف، وذكر كاتبه في ديباجته أنه نقله من أصول الإنجيل الحقيقي[1].

٨ ـ استخرج هؤلاء المهتدون تطابق كلمة « البارقليط» مع اسم محمد ﷺ وصفته وبيان هذا التطابق كمايلي :ـ

أ ـ هذا الاسم «بارقليط» يوناني. وتفسيره باللغة العربية أحمد أو محمد أو محمود[2]. وقال المهتدي عبد الأحد داود: ومن المدهش أن الاسم الفريد الذي لم يعط لأحد من قبل كان محجوزاً بصورة معجزة لأشهر رسل الله وأجدرهم بالثناء، ونحن لانجد أبداً أي يوناني كان يحمل اسم «برقليطس» ولا أي عربي كان يحمل اسم أحمد[3].

ب ـ قال المهتدي عبد الأحد داود موضحاً هذا التطابق:(إن التنزيل القرآني القائل بأن عيسى ابن مريم أعلن لبني إسرائيل أنه كان «مبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد»ـ واحد من أقوى البراهين على أن محمداً كان حقيقة نبياً، وأن القرآن تنزيل إلهي فعلاً؛ إذ لم يكن في وسعه أبداً أن يعرف أن كلمة البارقليط كانت تعني أحمد

---

(١) سر إسلامي ، ص ١١٣ - ١١٤ .

(٢) انظر تحفة الأريب ، ص ٢٦٧ . ومحمد في الكتاب المقدس ، ص ٢٢٣ . ومحمد ﷺ في التوراة والإنجيل ، ص ٥١ .

(٣) محمد في الكتاب المقدس ، ص ٢٢٣ .

إلا من خلال الوحي والتنزيل الإلهي، وحجة القرآن قاطعة ونهائية؛ لأن الدلالة الحرفية للاسم اليوناني تعادل بالدقة ودون شك كلمتي «أحمد» و«محمد»[1] ﷺ .

جـ ـ أن اسم البارقليط لفظة يونانية يجتمع من معانيها في القواميس المعزي، والناصر، والمنذر، والداعي. وإذا ترجمت حرفاً بحرف إلى اللغة العربية صارت بمعني «الداعي» وهو من أسمائه ﷺ، وقد وصف في القرآن الكريم بمثل ذلك في قوله تعالى: ﴿ياأيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً. وداعياً إلى الله بإذنه ﴾ وقد فهم أوائل النصارى أن هذه اللفظة إنما تعني الرسول محمداً ﷺ[2].

ولقد اختلفت رواية هؤلاء لهذا اللفظة في صيغ متعددة فمنهم من أوردها بلفظها كما وردت في الأناجيل، ومنهم من أوردها كذلك واجتهد في إرجاع الكلمة إلى أصولها اليونانية ، وحاول بيان الصيغة الصحيحة لها. ولعل مرد ذلك إلى عدة أمور منها ـ

الأول: هذه اللفظة نقلها الإنجيلي الرابع «يوحنا» بلغته اليونانية، وهي قطعاً ليست لغة المسيـــح عليه السلام، ولم يعلم هؤلاء ولا من كان قبلهم ـ ممن لم يعاصر المسيح ـ ما هي اللفظة التي استعملها المسيح، هل كانت البرقليط أو الفارقليط أو البارقليط ...؟؟.

(١) المصدر السابق ص ٢٢٣ .

(٢) انظر البحث الصريح ، ورقة ٢٥ / ب. والآيتان ٤٥ ، ٤٦ من سورة الأحزاب .

الثاني : تخضع الترجمة من لغة إلى أخرى إلى إتقان المترجم لكلتا اللغتين ، ثم إلى توفيقه في اختيار الكلمة المناسبة في اللغة المنقول إليها .

أما الصيغ التي روى فيها هذا الاسم فهي كالتالى :-

١ ـ الفارقليط عند المهتدي الطبري [١].

٢ ـ البارقليط لدى المهتدي المتطبب والشيخ زيادة وإبراهيم خليل، وقال المهتدي إبراهيم خليل:(إن ملحوظة باهرة تستوقف الإنتباه هي التشابه بين كلمتي parakletos وperiklytos اليونانيتين. فالحروف الساكنة تتشابه تماماً، وإنما الخلاف في الحروف المتحركة فقط؛ الأمر الذي يزيد في احتمالات استعاضة كلمة مكان أخرى، أو حذف كلمة نتيجة عبور البصر «تخطى البصر» عند النسخ[٢]) .

٣ ـ أورد المهتدي الترجمان صيغتين هما: «بارقليط» و«باللطي براكلتس» ، ونص على أن الصيغة الأخيرة في الإنجيل[٣].

٤ ـ استعمل المهتدي عبد الأحد داود البارقليط كمصطلح، ولكنه يرى أن الصيغة اليونانية هي «بيريكلايت periclyte» و«براكليتوس paraklytos»[٤].

---

(١) انظر الدين والدولة ، ص ١٨٤ .

(٢) محمد ﷺ في التوراة والإنجيل ، ص ٥١. وانظر النصيحة الإيمانية ، ص ١٤٠ . والبحث الصريح ، ورقة ٢٥/ب .

(٣) انظر تحفة الأريب ، ص ٢٦٧ .

(٤) انظر محمد في الكتاب المقدس، ص ٢١١ : ٢١٨.

٥ ـ يرى المهتدي النجار أن المعزي الروح القدس الوارد في النص جاء في النسخة اليونانية هكذا«hepikahtoz» وبالإفرنجي «pericletos»[1].

٦ ـ «الفارقليط بندكراطور» لدى المهتدي الهاشمي[2].

ولقد انتصب المهتدي عبد الأحد داود مجتهداً في الدفاع عن هذا الاسم، ونفى أن يكون المراد به « المعزي أو الوسيط أو الشفيع » كما في بعض الترجمات المعاصرة، وبيّن أنه لا يدل على ذلك؛ وإنما يدل على محمد ﷺ بصفته الأكثر شهرة أو الأكثر مجداً وحمداً. وأستعرض ما قاله في الأسطر التالية :ـ

١ ـ أن الكلمة اليونانية التي تعني المعزى هي «باركلون» وليست «باركليتوس».

٢ ـ أن الاعتقاد بأن عيسى قتل على الصليب فداءً للمؤمنين من الخطيئة تركهم دون حاجة إلى عزاء، وإذا كانوا بحاجة إلى عزاء بعد تضحية المسيح وصلبه ـ حسب زعمهم ـ تصبح هذه العقيدة باطلة ومتهافتة .

٣ ـ لم يكن النصارى بحاجة إلى معزٍ بقدر ما كانوا بحاجة إلى محارب ظافر يسحق قوى الشر أمامهم، ويضع حداً لمتاعبهم واضطهادهم .

---

(١) المنارات الساطعة ، ص ٦٧ .

(٢) انظر سر إسلامي ، ص ١١٣ .

٤ ـ إن فكرة وسيط بين الله وبين خلقه هي أكثر استحالة من فكرة المعزى؛ إذ لا يوجد وسيط مطلق بين الله وخلقه إلا الوحدانية والعبودية .

٥ ـ أن الشفاعة تتوقف على إذن الله للشافع، ورضاه عن المشفوع له.

٦ ـ أن الإيمان بالوسطاء والشفعاء يقود البشر إلى عبادة الأضرحة والتماثيل وزيادة نفوذ الرهبان والقساوسة.

٧ – أثبت أن هذه اللفظة «باراكليتوس paraklytos» إنما تعني الأشهر أو الجدير بالحمد[1] .

والحقيقة أن الكلمة التي قالها المسيح بلغته التي خاطب بها قومه ـ فهم منها المخاطبون أن هناك رسولاً قادماً يسمى أحمد، وأن هذه الكلمة التي قالها لو حفظت كما نطق بها ثم ترجمت ترجمة أمينة إلى اللغة العربية لا يمكن أن تكون ترجمتها سوى «أحمد» ؛ لأن منهج القرآن في حكاية واقع ما أو حادثة ماضية : هو الالتزام بنص الواقع الذي حدث كما في قصة إبراهيم وموسى ويوسف وعيسى ومشركي قريش، وأوضح من ذلك ما أخبر الله عنه في القرآن من خبر المسيح مع قومه وأنهم قالوا: (المسيح ابن الله) . بلغتهم التي يتحدثون بها وترجمة مقولتهم تلك إلى اللغة العربية تطابق الحدث الماضي مع الخبر، والمسيح بنص القرآن بشر قومه برسول يأتي من بعده اسمه أحمد. ولو ذكر المسيح أنه سيأتيهم

(١) انظر محمد في الكتاب المقدس ، ص ٢١٦ – ٢١٨ .

مخلص أو معز أو محام لذكر الله ذلك في القرآن. فعلى ذلك فإن «البارقليط» أو «الفارقليط» إذا صحت نسبتها إلى عيسى عليه السلام – تكون إذا ترْجِمت إلى اللغة العربية: أحمد. والله الموفق والهادي للصواب .

هذا اللفظ «البارقليط»ـ لم يسلم من تحريف النصارى سواء كان هذا التحريف تحريفاً لفظياً أم تحريفاً دلالياً. فقد استبدل في الطبعات الحديثة بـ«المعزى» واعتبر دالاً على الروح القدس بدلاً من دلالته على خاتم الأنبياء والمرسلين. وفند هؤلاء المهتدون هذا الادعاء بالحجج التالية :ـ

١ ـ أن الروح القدس يوصف في العهد الجديد بأنه شيء آخر غير مشخّص، كما أنه ليس شخصية مستقلة، فوصف على أنه هبة الله، ووصف بالوصف المحير لا هو مذكر ولا مؤنث ...

٢ ـ أن آباء النصارى الأولين لم يفهموا أن الروح القدس هو البارقليط؛ وإنما اختلفت آراؤهم حول الروح القدس فبعضهم يصفه بأنه العنصر الإلهي في المسيح، وبعضهم يصفه بأنه صفة إلهية، وفيض إلهي، وبعضهم يجعلونه من مخلوقات الابن[1].

٣ ـ يري المهتدي موريس بوكاي أنه ثبت في النص أن «البارقليط» المفسر بالروح القدس يسمع ويتكلم. وبعد رجوعه إلى الاختلافات النصية؛ وجد أن النص يدل على استعمال كلمة

---

(١) انظر المصدر السابق ، ص ٢١٢ – ٢١٦ .

«الروح القدس» وخرج من ذلك أنه لا يمكن أن ينطبق هذا النص على الروح؛ لأن الروح في نظره ـ لا تسمع ولا تتحدث ـ وإنما ينطبق على بشر، واستنتج من ذلك أن «الباركليت» كائن بشري مثل المسيح قادر على الحديث والاستماع. إذاً المسيح يصرح بأن الله سيرسل فيما بعد كائناً بشرياً على هذه الأرض؛ ليقوم بواجب الرسالة والبلاغ. ويرى أن هذا هو التفسير المنطقي إذا أعطينا الكلمات معناها الفعلي[1].

٤ ـ لا تعني هذه العبارة أن النبي الآتي سيكون غير إنسان؛ ففي كتاب العهد الجديد اليوناني أن عبارة الروح القدس استخدمت للتعبير عن الإنسان الموحى إليه[2].

٥ ـ أن الروح القدس الذي حلّ على التلاميذ ـ كما يزعمون ـ وفُسر به الفارقليط لم يسم بارقليطاً[3].

البشارة الثالثة: قال يوحنا في الإصحاح الرابع عشر مخبراً عن المسيح أنه قال:(وأما المعزي الروح القدس الذي سيرسله الآب باسمي؛ فهو يعلمكم كل شيء، ويذكركم بكل ما قلته لكم[4]). وقد تبين في

---

(١) انظر القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة، ص١٢٧-١٢٩.

(٢) انظر محمد ﷺ في التوراة والإنجيل، ص ٥٣.

(٣) انظر البحث الصريح، ورقة ٢٥ / أ.

(٤) المنارات الساطعة، ص ٦٧. وانظر محمد ﷺ في التوراة والإنجيل، ص ٤٨، ٥٦ – ٥٧. ويوحنا ١٤.

البشارة السابقة أنه تم تحريف البارقليط إلى المعزي. كما تبين نفي الادعاء القائل بأن المعزي أو البارقليط هو الروح القدس .

البشارة الرابعة : قال يوحنا في إنجيله الإصحاح الرابع مخبراً عن المسيح أنه قال:(لا أتكلم ـ أيضاً ـ معكم كثيراً؛ لأن رئيس هذا العالم يأتي وليس له فيّ شيء[1]) قال المهتدي النجار: (أي ليس من بني قومي) . ولم يأت نبي بعد المسيح سوى محمد ﷺ .

البشارة الخامسة: قال يوحنا في إنجيله الإصحاح الخامس عشر مخبراً عن المسيح أنه قال:(وإذا جاء البارقليط الذي أرسله إليكم من عند الآب روح الحق، الذي من الآب ينبثق، هو يشهد لي، وأنتم ـ أيضاً ـ شاهدون[2]) .ويرى المهتدي الشيخ زيادة أن هذه البشارة تدل على رسولنا محمد ﷺ ؛ لأنه سميّ فيها بالبارقليط، ووصفه بأنه يشهد له، وسميّ ثانية بأنه روح الحق، وذكر أنه من الآب ينبثق. وهي بمعنى يرسل كما هي في قواميس اللغة اليونانية.

ويظهر من قوله: (هو يشهد لي) . أن عيسى عليه السلام قصد شخصاً آخر غير الحواريين؛ إذ لو كان الشاهد حاضراً لما قال: هو يشهد لي. بصيغة الزمان البعيد ـ كما في اللغة اليونانية ـ بمعنى سوف يشهد لي. وقال وأنتم ـ أيضاً ـ شاهدون بصيغة الزمان القريب[3] .

---

(١) المنارات الساطعة ، ص ٦٧ . ويوحنا ١٤ .

(٢) البحث الصريح ، ورقة ٢٤ / ب . ومحمد ﷺ في التوراة والإنجيل والقرآن ، ص ٤٨ . ويوحنا ١٥ .

(٣) انظر البحث الصريح ، ورقة ٢٥ .

البشارة السادسة: قال يوحنا في إنجيله الإصحاح السادس عشر مخبراً أن المسيح قال: (إن لي أموراً كثيرة أيضاً لأقول لكم، ولكن لا تستطيعون أن تحتملوا الآن، وأما متى جاء ذاك روح الحق فهو سيرشدكم إلى جميع الحق؛ لأنه لا يتكلم من نفسه، بل كل ما يسمع يتكلم به، ويخبركم بأمور آتية، ذاك يمجدني[1]) . قال المهتدي النجار: (وهذه البشارة في معنى قوله تعالى : ﴿وما ينطق عن الهوى. إن هو إلا وحي يوحى[2]﴾. وقال المهتدي الهاشمي معلقاً على هذه البشارة:(والمسيح يبصّر أمته بأن لديه أموراً كثيرة تفوق طاقة احتمالهم، وأنه سيأتي الوقت المناسب لمجيء الرسول الذي يعنيه بالروح الحق. فتكون العقول قد تفتحت، والقلوب قد ذهب عنها رينها، والنفوس قد ألهمت بعد فجورها تقواها، في هذه اللحظة ـ فقط ـ يكون الناس قد استعدت أفهامهم، واتسعت مداركهم؛ لاحتمال كل ما يلقى إليهم على لسان هذا النبي الذي لا يتكلم من نفسه؛ وإنما من وحي يوحى إليه من ربه بالقرآن[3]) .

ويذكر المسيح عليه السلام بعض أوصاف هذا الرسول الخاتم التي تساعد على تمييز شخصيته منها قوله:(ذاك يمجدني) . فمن صفات هذا الرسول أنه يمجد المسيح، ولم يأت أحد بعد المسيح ويمنحه من التمجيد والثناء ما يستحقه، ويرفع عنه وعن أمه افتراءات اليهود، ويضعه في المنزلة

---

(١) المنارات الساطعة ، ص ٦٧. ومحمد ﷺ في التوراة والإنجيل والقرآن، ص ٤٧ ، ٤٩ ، ٥٢ ، ٥٤ ، ٥٥، ٥٦ ، ٧٢ ، ٧٥. وسر إسلامي ، ص ١١٨. ويوحنا ١٦ .

(٢) المنارات الساطعة ، ص ٦٧ ، والآيتان ٣ ، ٤ من سورة النجم .

(٣) سر إسلامي، ص ١١٨ .

التي وضعه الله فيها ـ وهي العبودية والرسالة ـ سوى محمد ﷺ. ومن صفات هذا الرسول أنه سيرشد الخلق إلى أمور وحقائق لم يبلغها المسيح، وذلك في قوله: (ويخبركم بأمور آتية[1]).

بشارة سفر أعمال الرسل:

قال المهتدي الطبري أنه جاء في كتاب فراكسيس قول رئيس الحواريين: (إنه قد حان أن يبتدأ الحكم ابتداءً من بيت الله[2]) قال المهتدي الطبري:(وتفسير ذلك أن بيت الله الذي ذكره الحواري هو مكة، وفيها كان ابتداء الحكم الجديد لا من غيرها. فإن قال قائل : إنه عني به حكم اليهود. فقد كان أخبرهم المسيح أنه لا يترك في بيت المقدس حجر على حجر حتي ينسف ويبقى على الخراب إلى يوم القيامة، فقد وضح أن الحكم الجديد الذي ذكره الحواري هو دين الإسلام وحكمه[3]) .

بشارة بولس في رسالته إلى أهل غلاطية: ـ

قال فولس[4] في رسالته إلى أهل غلاطية :(إنه كان لإبراهيم ابنان أحدهما من أمة والآخر من حرة، وقد كان مولد ابنه الذي من الأمة كمولد سائر البشر، فأما مولد الذي من الحرة فإنه ولد بالعِدة من الله.

(١) انظر محمد ﷺ في التوراة والإنجيل والقرآن، ص ٥٥ .

(٢) الدين والدولة ، ص ١٨٦ .

(٣) الدين والدولة ، ص ١٨٦ . ولم أجد هذا النص في الطبعة التى بين يدى .

(٤) هكذا ورد عند المهتدي الطبري بالفاء .

فهما مثالان مشبّهان بالفرضين والناموسين، فأما هاجر فإنها تشبّه بجبل سينا الذي في بلاد أرابيا الذي هو نظير أوراشلم هذه، فأما أوراشلم التي في السماء فهي نظير امرأته الحرة[1]. قال المهتدي الطبري: (فقد ثبّت فولس في قوله هذا معاني جمّة :-

أولها: أن إسماعيل وهاجر قد كانا استوطنا بلاد العرب، وهي التي سماها بلاد أرابيا.

الثاني: أن جبل سينا الذي بالشام يتصل ببلاد البوادي بقوله: إن هاجر تشبّه بطور سينا الذي ببلاد أرابيا. وسينا هو الذي ذكرته التوراة في صدر هذه النبوات في قولها:(إن الرب جاء من سينا، وطلع لها من ساعير، وظهر من جبل فاران[2]. فشهد فولس هذا بأن الذي قالت عنه التوراة : إنه جاء من سينا: هو النبي ﷺ، وهو الذي ظهر في بلاد أرابيا. وأين يكون من الإبانة والإيضاح أكثر من تسمية بلاد أرابيا التي عني بها بلاد العرب .

الثالث: أن بيت المقدس هو نظير مكة .

الرابع : أن هذا الناموس الثاني والفريضة الثانية وهي «الشريعة الإسلامية» سماوية لا شك فيها؛ فقد سماهما باسم واحد، ولم يفرق بينهما بمعنى من المعاني .

---

(١) الدين والدولة ، ص ١٨٧ ، ورسالة بولس إلى أهل غلاطية ٤ .

(٢) سبق الحديث عن هذه البشارة في صدر هذا الفصل ، انظر ص ٥٣١.

فأما تقديمه الحرة، وقوله: (ابن الأمة لم يولد بالعدة). فذلك منه بالعصبية والميل، وفيما استشهدت به من قوارع التوراة على إسماعيل ما فيه كفاية وبرهان على أنه ـ أيضاً ـ ولد ليس بعِدة واحدة بل بعِدات كثيرة[1]) .

بشارة يوحنا في رسالته:

قال يوحنا في رسالته:(لا تؤمنوا يا أحبائي بكل روح، بل ميزوا الأرواح التي من عند الله، واعلموا أن كل روح يؤمن بأن يسوع المسيح قد جاء وكان جسدانياً فهو من عند الله، وكل روح لا يؤمن بأن المسيح كان جسدانياً فليس من عند الله[2]) . قال المهتدي الطبري : (وقد آمن النبي ﷺ بأن المسيح قد جاء، وأنه جسداني، وأنه روح الله وكلمته ألقاها إلى مريم؛ فروحه إذاً بشهادة يوحنا روح صادقة برّة من عند الله عز وجل[3]) .

ليست هذه البشارات التي أوردتها هي كل مافي التوراة والإنجيل، وليست ـ أيضاً ـ هي كل ما استطاع هؤلاء المهتدون استنباطه منهما؛ لأنهم أوردوا أمثالاً وصوراً منها للتدليل على نبوته ﷺ، ويؤكد ذلك قول المهتدي الترجمان:(ولو ذكرت جميع ما في كتب الأنبياء المتقدمين من ذلك ـ أي البشارات ـ لطال الكتاب، وأنا أرجو أن أجمع لبشارات جميع

(١) الدين والدولة ، ص ١٨٨ .

(٢) الدين والدولة ١٨٥ . ومحمد ﷺ في التوراة والإنجيل والقرآن. ص ٥٣ ، ٥٥. ورسالة يوحنا الأولى ٤ .

(٣) الدين والدولة ، ص ١٨٥ .

الأنبياء به كتاباً مجرداً لذلك[1]) . وقال المهتدي النجار بعد ذكره لعدد من البشارات :(وهذا قليل من كثير[2]) .

وقد استخلص المهتدي إبراهيم خليل خلاصة هذه البشارات بنبينا محمد ﷺ فوجد أنها تؤكد جانبين هما :ـ

١ ـ أنه الرسول الخاتم ولا نبي بعده .

٢ ـ أنه رسول الله للعالمين كافة. وأيد هذين الجانبين أو الوصفين بعشرين سبباً استخرجها من نصوص العهد القديم والجديد[3] .

وقال المهتدي الطبري بعد فراغه من الاستدلال بالبشارات: (ولقد صرح عدة منهم ـ أي من أنبياء بني إسرائيل ـ باسم النبي ﷺ، ووصفوه أيضاً وسيّافيه ورماته، وسير المنايا وسباع الطير أمام عساكره... فهذه ـ أي البشارات ـ كلها محققة لدينه، ومفخمة لشأنه، ومصدقة لما أدّت دعاته عنه[4]) .

هذه البشارات التي استعرضتُ جانباً منها تبيّن اتفاق كثير منها في ذكر اسمه ﷺ، وصفته، وصفة جهاده وجنوده، وبلده وأمته ولغته... فماذا يعني هذا التوافق والتعاضد؟ إن هذا التعاضد يعني أموراً كثيرة لعل من أبرزها ما يلي :ـ

---

(١) تحفة الأريب ، ص ٢٨٣ .

(٢) المنارات الساطعة ، ص ٦٦. وانظر شهادة الهاشمي بمثل ذلك في سر إسلامي ، ص ١١١ .

(٣) انظر محمد ﷺ في التوراة والإنجيل والقرآن، ص ٦١ – ٦٢. ونظراً لطولها آثرت الإحالة عليها ، رغبة في الإيجاز .

(٤) الدين والدولة ، ص ١٨٩ .

١ ـ أن هذه الرسالات كلها من عند الله، وهذه التحريف الذي طرأ عليها وأثبته القرآن، ولا ننفيه عنها ـ لم يستطع أن يخفي المعنى الذي ورد أصلاً في اللفظ المنزل .

٢ ـ أن كتب الله ورسله يصدق بعضها بعضاً، ويؤمن بعضها ببعض، فالسابق يبشر باللاحق، واللاحق يؤمن بالسابق، فإبراهيم آمن بمن سبقه من رسل، وسأل الله أن يبعث في ذريته رسولاً يزكيهم يعلمهم الكتاب والحكمة، وموسى آمن بإبراهيم وبمن سبقه وبشر بعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام، وعيسى آمن بمن سبقه وبشر بمحمد ﷺ .

٣ ـ أن ما ورد من الحق فلا يخرج عن الصدق، ولا يناقض بعضه بعضاً، وأن ما ورد من الباطل فلا يكون حقاً أبداً .

٤ ـ يتأكد من هذه النبوات شئ واحد؛ وهو أن هذا النبى الذي بشرت به الأنبياء معروف لديهم كافة .

٥ ـ أن ظهور الرسالة المحمدية والملة الإسلامية على يد خاتم الرسل يعتبر آية لنبوتهم؛ إذ تحقق صدق ما أخبروا به، وظهور ما بشروا به. ولو لم يظهر لبطلت النبوات فيه وفى إسماعيل عليهما السلام .

٦ ـ توافق هذه النبوات في حق محمد ﷺ يدل على فضيلته وانفراده بهذا الشرف الرفيع بين سائر الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه .

٧ ـ توافُق هذه النصوص مؤيد لما أخبر به ﷺ في القرآن والسنة من أنه مذكور في الكتب المتقدمة .

٨ ـ نستنتج من هذا التوافق عناية الله بهذه الأمة، ورعايته لها، وحفظه لدينها؛ فمن حفظه لدينها حفظ هذه الأدلة الدالة عليه والمبشرة به من كتب الأنبياء السابقين ـ عليهم صلوات الله وسلامه ـ لا لحاجة هذا الدين إليها، وإنما لإقامة الحجة على أهلها .

٩ ـ أن البشر على عتوهم وتمردهم واتباعهم لوحي الشيطان في محاولة طمس نور الله وإضلال عباده ـ لا يستطيعون أن يطفئوا نور الله، يقول الحق تبارك وتعالى بعد ذكره بشارة المسيح عليه السلام بهذا الرسول ﷺ : ﴿يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون[١]﴾ .

١٠ ـ رأينا في البشارات السابقة كيف أثبت هؤلاء المهتدون اسم النبي محمد ﷺ وصفته في التوراة والإنجيل، ورأينا كذلك كيف استبدلت هذه الأسماء وغيّرت الأوصاف في الطبعات الحديثة؛ كفراً وحسداً وحقداً .

وبعد نهاية الغرض من أثبات نبوة نبينا محمد ﷺ من خلال هذه الكتب المقدسة لدى اليهود والنصارى، وحيث قد تبين لك من خلال

(١) سورة الصف ، الآية ٨ .

مقابلة هذه النصوص التي تضمنتها كتب هؤلاء المهتدين بنصوص العهدين بطبعاتها الحديثه كيف حرفت النصوص، وكيف بدلت .. فقد آن الأوان لأن ينتقل البحث إلى عرض صور وأمثال لهذا التحريف . فإلى الفصل التالي .

الفَصۡلُ الثَّالِثُ

تحريف التوراة والإنجيل

ويشمل على المباحث التالية:-

١ ـ المبحث الأول : العهد القديـم .

٢ ـ المبحث الثاني : العهد الجديد .

تتجه وجهة البحث في هذا الفصل وجهة مغايرة لما سبق ـ نوعاً ما ـ فلئن كانت مسيرة البحث في الباب الأول هي التعريف والتقييم والنقد؛ فهي في الباب الثاني تتجه إلى الإثبات والنقض والتفنيد، فقد أثبتُّ ـ ولله الحمد ـ بأقوال هؤلاء المهتدين أن أساس الرسالات الإلهية هو التوحيد، ونقضت بأقوالهم ـ أيضاً ـ ادعاء النصارى في الأبوة والبنوة والثالوث والصلب... ثم أثبتُّ في الفصل الثاني ـ من هذا الباب ـ بشارة أنبياء بني إسرائيل بنبينا محمد ﷺ من خلال نصوص التوراة والإنجيل. واتجاه هذا الفصل هو الإثبات، ولكنه إثبات من نوع آخر، إنه إثبات تحريف التوراة والإنجيل، وضياع نسخهما الأصلية، وتدوينهما بعد مضي زمن طويل على نزولهما من قِبل من لم يصاحبوا هؤلاء الرسل، ولم يشاهدوا تلك الأحداث التي نقلوها .

والحديث عن تحريف التوراة والإنجيل يستدعي الحديث عن حقيقتهما، وأصولهما، وكتابتهما ... وهذه النقاط أو المسائل هي ما ستتجه إليه الدراسة والبحث في هذا الفصل.

حقيقة التوراة والإنجيل : إن التوراة والإنجيل كتابان أنزلهما الله على عبديه ورسوليه موسى وعيسى عليهما السلام، وقد اشتملا على الشريعة التي أنزلها الله عليهما، قال تعالى: ﴿ نزّل عليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه وأنزل التوراة والإنجيل[1]﴾ وقال عز وجل: ﴿ وكيف

(١) سورة آل عمران ، الآية ٣ .

يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله ثم يتولون من بعد ذلك وما أولئك بالمؤمنين. إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا [1]﴾ .

وقد كانت ـ كما أراد الله لها وفق حكمته وسابق تدبيره ـ كتباً مؤقتة بزمن، لذلك لم يتكفل الله بحفظها، وإنما استحفظ عليها أهلها فأضاعوها، قال تعالى: ﴿ بما استحفظوا من كتاب الله [2]﴾. ولم ترد في الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية الشريفة التي أشارت إلى التوراة والإنجيل ـ الإشارة إلى أجزائهما أو أقسامهما، بل إن القرآن أشار ـ فيما يتعلق بالإنجيل ـ إلى إنجيل مفرد أنزل على المسيح عليه السلام، وما يوجد في واقع النصرانية اليوم أناجيل متعددة وليس إنجيلاً واحداً. وليس بينها ما ينسب إلى المسيح عليه السلام. أما العهد القديم ـ المشتمل على التوراة ـ فيقع في تسعة وثلاثين سفراً تنسب الخمسة الأولى منها ـ فقط ـ إلى موسى عليه السلام .

وينبغي تجاه هذه التوراة والإنجيل التي بأيدي هؤلاء القوم عدة أمور هي :ـ

١ ـ الإيمان بأن الله أنزل التوراة على موسى عليه السلام، والإنجيل على عيسى عليه السلام، ولا جدال في أن ما أنزل عليهما كان وحياً من الله متضمناً ما أراد الله إبلاغه لتلك الأمم .

---

(١) سورة المائدة ، الآيتان ٤٣ ، ٤٤ .

(٢) سورة المائدة، الآية ٤٤ .

٢ ـ الإيمان بأنه دخلهما التحريف، وقد بينتُ شيئاً من هذا التحريف في هذا الفصل .

٣ ـ تضمنت التوراة والإنجيل عدداً من الأخبار والأحكام فما وافق منها كتاب الله وسنة رسوله ﷺ قبلناه؛ لأنه جاء مايصدقه في شرعنا، وما خالف ذلك رددناه، وماكان مسكوتاً عنه فلا يصدق ولا يكذب لقوله تعالى: ﴿ قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون[١]﴾ وقوله ﷺ: (لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم، وقولوا آمنا بالله وما أنزل .. الآية[٢])، ولا جدال في أن ما أنزل عليهما كان وحياً متضمناً ما أراد الله إبلاغه لتلك الأمم.

٤ ـ مع اعتقادنا اشتمالهما على التحريف والتبديل فنعتقد أنه لا تجوز إهانتهما؛ خشية أن يكون فيهما بقية من كلام الله .

(١) سورة البقرة ، الآية ١٣٦ .

(٢) رواه البخاري في صحيحه في كتاب الشهادات ، باب ٢٩ .

المبحث الأول : العهد القديـم

المطلب الأول : التـوراة التي أنزلـت على مـوسى عليـه السلام: ـ

بينتُ في مقدمة هذا الفصل حقيقة التوراة وأنها كتاب أنزله الله على موسى عليه السلام، قال تعالى : ﴿ قال ياموسى إني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين. وكتبنا له في الألواح من كل شئ موعظة وتفصيلاً لكل شيء فخذها بقوة وأمر قومك يأخذوا بأحسنها سأوريكم دار الفاسقين[1]﴾ هذا الكتاب الذي أنزل على موسى عليه السلام من المؤكد شرعاً وعقلاً أنه ظل مع موسى عليه السلام حتى وفاته، ولكن السؤال الذي يفرض نفسه: أين كانت التوراة بعد وفاته عليه السلام؟. وقبل أن استقرىء أقوال هؤلاء المهتدين للإجابة على هذا السؤال؛ نتلمس الهدى في القرآن الكريم حيث جاء فيه قوله تعالى : ﴿وأمر قومك يأخذوا بأحسنها[2]﴾. وقوله تعالى: ﴿ إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا[3]﴾. وقوله تعالى: ﴿ إن

(١) سورة الأعراف ، الآيتان ١٤٤ – ١٤٥ .

(٢) سورة الأعراف ، الآية ١٤٥ .

(٣) سورة المائدة ، الآية ٤٤ .

آية ملكه أن يأتيكم التابوت فيه سكينة من ربكم وبقية مما ترك آل موسى وآل هرون تحمله الملائكة إن في ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين[1]﴾ واختلفت أقوال المفسرين حول هذه البقية المشار إليها في الآية فقالوا : إنها عصا موسى ، وعمامته، وثيابه ولوحان من التوراة. وقيل البقية الجهاد[2]. وقوله تعالى عن المسيح عليه السلام أنه قال لبني إسرائيل: ﴿إني رسول الله إليكم مصدقاً لما بين يدي من التوراة[3]﴾ . وقوله تعالى مخاطباً المسيح عليه السلام: ﴿ وإذ علمتك الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل[4]﴾. هذه الآيات بعض ما في كتاب الله الكريم عن بقاء التوراة في بنى إسرائيل بعد زمن موسي بزمن طويل.

بل لا أبتعد عن الحقيقة إذا قلت إن بعض الألفاظ التي أنزلت على موسى عليه السلام كانت متوارثة فيهم حتى مبعث محمد ﷺ في القرن السابع الميلادي؛ يؤكد ذلك قوله تعالى : ﴿الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل[5]﴾ ويعزز هذا ما ورد في الحديث الصحيح المتعلق بقصة رجم الرسول ﷺ اليهوديين اللذين زنيا[6].

---

(١) سورة البقرة ، الآية ٢٤٨ .

(٢) انظر الجامع لأحكام القرآن ، تأليف أبى عبدالله محمد بن أحمد القرطبي ، طبعة دار الكاتب العربي ، تصويراً عن طبعة دار الكتب المصرية، جـ ٣ ، ص ٢٤٩ - ٢٥٠ .

(٣) سورة الصف ، الآية ٦ .

(٤) سورة المائدة ، الآية ١١٠ .

(٥) سورة الأعراف ، الآية ١٥٧ .

(٦) انظر صحيح البخاري ، كتاب المناقب، باب ٢٦. وصحيح مسلم ، كتاب الحدود حديث ١٦٩٩ .

وورد في القرآن الكريم إثبات التحريف فقال تعالى: ﴿من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه[1] ﴾. وقال تعالى: ﴿ وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون[2]﴾ .

وهنا سؤال يتبادر إلى الذهن وهو : يستفاد من الآيات السابقة استمرار العمل بالتوراة من قِبل أنبياء بني إسرائيل إلى زمن المسيح عليه السلام، وثبت أيضاً تحريف اليهود للتوراة، فمتى كان هذا التحريف؟ وكيف كان؟. ولا نملك الإجابة الحقيقية الشافية عن هذا السؤال. ولكن لعل التحريف الذي أصاب التوراة وأشارت إليه الآيات هو كما قال ابن القيم رحمه الله : (وأما التحريف فقد أخبر سبحانه عنهم في مواضع متعددة، وكذلك لي اللسان بالكتاب ليحسبه السامع منه وما هو منه. فهذه خمسة أمور :ـ

أحدها : لبس الحق بالباطل . وهو خلطه به بحيث لا يتميز الحق من الباطل .

الثاني : كتمان الحق .

الثالث : إخفاؤه وهو قريب من كتمانه .

الرابع : تحريف الكلم عن مواضعه ، وهو نوعان : تحريف لفظه، وتحريف معناه .

الخامس : ليّ اللسان به ليلبس على السامع اللفظ المنزل بغيره) [3] .

---

(١) سورة النساء ، الآية ٤٦ .

(٢) سورة البقرة ، الآية ٧٥ .

(٣) هداية الحيارى ، ص ١٠٩.

وهذا لا يمنع من بقـاء نسخ أصليـة من التـوراة لدى القلة منهـم، يوضح ذلك قوله تعالى: ﴿فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً[1]﴾ بعد قوله (ومنهم). وقال المهتدي السموءل :(«وكتب موسى هذه التوراة ودفعها إلى الأئمة من بني ليوى»[2] وكان بنو هارون قضاة اليهود وحكامهم؛ لأن الإمامة فيهم، وخدمة القرابين وبيت المقدس كانت موقوفة عليهم، ولم يبذل موسى من التوراة لبنى إسرائيل (أي بقية الأسباط) الا نصف سورة يقال لها: «هاأزينو»... وهؤلاء الأئمة الهارونيون الذين كانوا يعرفون التوراة، ويحفظون أكثرها؛ قتلهم «بخت نصر» يوم فتح بيت المقدس، ولم يكن حفظ التوراة فرضاً ولا سنة، بل كان كل واحد من الهارونيين يحفظ فصلاً من التوراة، فلما رأى عزرا أن القوم قد أُحرق هيكلهم، وزالت دولتهم، وتفرق جمعهم، ورفع كتابهم؛ جمع من محفوظاته ومن الفصول التي يحفظها الكهنة ما لفّق منه هذه التوراة التي بأيديهم الآن[3]) فيفهم من هذا النص أن هناك طائفة من بني إسرائيل كانت التوراة متوارثة فيهم، وأنه قتلهم «بخت نصر» في يوم واحد، وأن عزرا لفق لهم كتاباً هو الذي بأيديهم الآن، وهذا الرأي الذي ذهب إليه هذا

(١) سورة البقرة ، الآية ٧٩ .

(٢) هذا نص التوراة التي ينسبها اليهود الى موسى عليه السلام ، والترجمة للمهتدي السموءل .

(٣) إفحام اليهود ، ص ١٣٧ - ١٣٩ .

المهتدي وهو: ضياع التوراة في القرن الخامس قبل الميلاد ـ هو ماذهب إليه كثير من المحققين من علماء الإسلام .

ولكنني لما أستعرضت الآيات السابقة وقع في نفسي شئ؛ إذ تثبت الآيات بقاء التوراة إلى زمن المسيح عليه السلام، في حين يثبت من اطلعت على مؤلفاته من علماء المسلمين أو من هؤلاء المهتدين ـ أن التوراة فقدت قبل المسيح عليه السلام بزمن طويل .

فعند ذلك أعدت النظر في هذه الآيات استلهم منها الهداية والنور؛ فشرح الله صدري، وفتح على قلبي وأنار لي بصيرتي بأنه من المتيقن بقاء التوراة إلى زمن المسيح عليه السلام سواء كان هذا البقاء على هيئة نسخ خطية أو أخرى حجرية أو عبارة عن بقاء أفراد يحفظونها أو ما شابه ذلك؛ يؤكد ذلك قوله تعالى عن المسيح عليه السلام أنه قال لقومه: ﴿يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم مصدقاً لما بين يدي من التوراة[1]﴾، وتأمل قوله: (بين يدي) . إذ لو اندرست نهائياً حفظاً وكتابة؛ لما كان لذكر المسيح عليه السلام تصديق التوراة مغزى ولا معنى؛ لأنه يصبح من حق أي مدع أن يقول: ما جئت به وفق التوراة، ما دام أنه متيقن من ضياعها. وحيث إن هذا الفرض أو القول الذي ذهبت إليه ـ وهو بقاء التوراة إلى زمن المسيح عليه السلام ـ لم أجد من سبقني إليه، وقد يكون من القول على الله بغير علم عرضت هذه المسألة بأبعادها واحتمالاتها على سماحة

---

(١) سورة الصف ، الآية ٦ .

شيخنا سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز حفظه الله فأقرني فيما ذهبت إليه.

لكن لعل التحريف الذي أصاب التوراة حتى لم يبق منها نسخة صحيحة حدث بعد المسيح عليه السلام .

وعلى كل حال فليس ذلك ـ أي افتراض بقاء التوراة إلى زمن المسيح ـ دفاعاً عن اليهود ولا من باب إحسان الظن بهم؛ وإنما استئناس بكتاب الله «القرآن» ودفاع عن كتاب الله «التوراة» إذ ليس من المعقول أن تتدخل اليد البشرية لتعبث بهذا الكتاب بكامله قبل أن تنتهي الغاية منه.

المطلب الثاني : كتابة التوراة :ـ

تحدثت في المطلب السابق عن التوراة التي أنزلت على موسى عليه السلام وفي هذا المطلب أتحدث عن التوراة التي بأيدي اليهود والنصارى اليوم .

يعتقد عامة اليهود والنصارى أن التوراة[1] التي بأيديهم هي المنزلة على موسى عليه السلام، وأنه هو الذي كتبها لهم، بينما يرى هؤلاء المهتدون خلاف ذلك؛ إذ يؤكد المهتدي السموءل أن أحبار اليهود وعلماءهم لا يعتقدون أن هذه التوراة هي المنزلة على موسى عليه السلام للأسباب التالية:ـ

(١) المقصود بها الأسفار الخمسة الأولى : التكوين ، الخروج ، اللاويين ، العدد ، التثنية .

١ ـ أن موسى عليه السلام صان التوراة عن بني إسرائيل ولم يبثها فيهم، وإنما سلمها إلى عشيرته أولاد ليوي .
٢ ـ أن موسى عليه السلام لم يسلّم لبني إسرائيل سوى نصف سورة يقال لها «هاأزينو».
٣ ـ أن الأئمة الذين كانوا يحفظون التوراة قتلهم بخت نصر يوم فتح بيت القدس .
٤ ـ لم يكن حفظ التوراة فيهم واجباً ولا سنة .
٥ ـ أن عزرا لما رأي ما حلّ بأئمتهم جمع من محفوظاته ومن الفصول التي يحفظها الكهنة ما لفق منه هذه التوراة التي بأيديهم[1]. ولهذه الأسباب ضاعت التوراة واستبدل بها غيرها .

ويستند المهتدي إبراهيم خليل على نقد اليهودي «سبنيوزا» للتوراة حيث ذكر «سبنيوزا» في نقده أنه ورد في ثنايا الأسفار الحالية أن موسى كتب «سفر حروب الرب» و«سفر توراة الرب» و«سفر العهد»؛ وبما أن هذه الأسفار لا توجد، ولم تكن من بين الأسفار الخمسة الحالية؛ كان لزاماً أن نعتقد أن «توراة الرب» التي أنزلت على موسى تختلف اختلافاً كلياً عن هذه الأسفار. وجميع العبارات التي تحدثت عن هذا السفر في ثنايا هذه الأسفار تصفه بأنه كان قليلاً جداً، وهذا يدل على أنه أقل حجماً من الأسفار الخمسة .

---

(١) انظر إفحام اليهود ، ص ١٣٥ - ١٣٩ .

ويرى المهتدي إبراهيم خليل مستنداً على رأي «سبنيوزا» أن التوراة الحالية يمكن أن تحتوي على نصوص مما أنزل على موسى عليه السلام، ولكن لا يستطيع أحد أن يثبت أن هذه الأسفار الخمسة هي التي أنزلت على موسى عليه السلام، بل المؤكد ضد ذلك للأسباب التالية :ـ

١ ـ لا يمكن أن يكون موسى عليه السلام كتب مفتتح سفر التثنية؛ لأنه جاء فيه ما يفيد أن موسى دخل الأردن. وبعد هذه العبارة جاء فيه خطاباً لموسى: لا تعبر نهر الأردن[1]. ثم جاء فيه أيضاً: فمات هناك موسى عبد الرب في أرض مؤاب. ولا يمكن أن يروي موسى قصة وفاته .

٢ ـ ورد في سفر التثنية وسفر يشوع أن موسى عليه السلام كتب سفر موسى الأصلي كله على حافة المذبح؛ وهذا يدل على أن سفر موسى كان حجمه أقل بكثير من هذه الأسفار الخمسة

٣ ـ ورد في هذه الأسفار بعض العبارات التي تفيد قيام موسى ببعض الأعمال المتعلقة بالتوراة كقوله: وكتب موسى هذه التوراة وسلمها للكهنة. فعندما كمّل موسى كتابة كلمات هذه التوراة... ويستحيل أن يكون موسى قد قال ذلك ؛ بل لا بد أن يكون قائلها كاتب آخر سوى موسى عليه السلام .

---

(١) سفر التثنية ٣ : ٢٧ .

٤ ـ جاء في سفر التكوين عبارة : وكان الكنعانيون حينئذ في الأرض. ولا بد أن هذه الكلمات قد كتبت بعد موسى بزمن ليس بالقليل بعد أن طرد بنو إسرائيل الكنعانيين من هذه المناطق.

٥ ـ جاء في سفر التكوين قوله« يهوه يرأه» أى أن جبل المرايا سمي جبل الله . ومعلوم أن هذا الجبل لم يحمل هذا الاسم إلا بعد الشروع في بناء الهيكل؛ فهي إذاً تسمية متأخرة جداً عن زمن موسى .

إذاً نستنتج من ذلك النتائج التالية :ـ

١ ـ أن هذه الأسفار الخمسة التي يطلق عليها التوراة ليست هي التوراة التي أنزلت على موسى عليه السلام.

٢ ـ أن مؤلف هذه الأسفار شخص عاش بعد موسى بزمن طويل .

٣ ـ أن التوراة التى أنزلت على موسى عليه السلام تختلف اختلافاً كلياً عن هذه الأسفار الخمسة[1] .

أما روجيه جارودي وموريس بوكاي فاعتمدا على بعض الدراسات الغربية التي صدرت في هذا الشأن، وتوصلا إلى هذا التسلسل التأريخي ، واستخلصا منه النتائج ا لتالية:

١ ـ يؤكد بوكاي أن الأصل الذي اعتُمد عليه في تدوين التوراة ـ قبل أن يكون مجموعة أسفار ـ كان تراثاً شفهياً لا سند له إلا الذاكرة، وهي العامل الوحيد الذي اعتُمد عليه في نقل الأفكار.

(١) انظر الغفران بين الإسلام والمسيحية ، ص ٤١ ـ ٤٦ .

٢ ـ استغرقت كتابة العهد القديم ما يربو على تسعة قرون، وبلغات مختلفة، واعتماداً على التراث الشفهي، وقد مرت هذه الكتابة بمراحل عديدة من التصحيح والإضافة والإكمال .

٣ ـ في القرن الحادي عشر قبل الميلاد ظهرت هيئة الكتبة، ومن المحتمل إرجاع المدونات الجزئية للعهد القديم إلى هذه الفترة .

٤ ـ في القرن العاشر قبل الميلاد حرر النص المعروف بالرواية «اليهوية»[١] التي شكلت فيما بعد الأسفار الخمسة المنسوبة إلى موسى عليه السلام .

٥ ـ في نهاية القرن التاسع وأواسط القرن الثامن قبل الميلاد كانت فترة الرواية «الإيلوهيمية»[٢] .

٦ ـ في القرن السابع اتحد النص «اليهوى» بالنص «الإيلوهيمي»، ومن المحتمل أنه كتب فيه سفر التثنية .

٧ ـ في القرن السادس دوّن تلامذة حزقيال بعد وفاته رواية ثالثة لسفر التكوين، وهي التي عرفت باسم الرواية «الكهنوتية» إذاً دخل نص ثالث وأضيف إلى النصوص السابقة مع الاختلاف والتفاوت الزمني فيما بينها .

٨ ـ لم تتخذ كتب العهد القديم هيئتها الأولى إلا قبل قرن من الميلاد، ولم تكتسب شكلها النهائي إلا في القرن الأول بعد المسيح .

---

(١) اطلق عليها هذا الاسم لأن الله سمي فيها بـ «يهوه» .

(٢) اطلق عليها هذا الاسم لأن الله سمي فيها بـ « ألوهيم » .

٩ ـ تشتمل الأسفار الخمسة على وجود نصين متداخلين جنباً إلى جنب، ويحتوي كل منهما على خاصية تميزه عن الآخر وهما نص الرواية اليهوية والرواية الإيلوهيمية، وينقسم النص المسمى بالإيلوهيمى إلى قسمين أيضاً، وتم اكتشاف هذه النصوص وتمييزها والإفصاح عنها في القرن الثامن عشر الميلادي .

وفي القرن العشرين تم اكتشاف وتمييز ثلاثة مصادر في الوثيقة اليهوية ، وفي الوثيقة الإيلوهيمية أربعة مصادر، وفي سفر التثنية ستة مصادر، وفي النص الكهنوتي تسعة مصادر. ويؤكد كل من بوكاي وجارودي أن الفرض القائل أن موسى عليه السلام كتب التوراة ـ قد هجر تماماً في هذه الأيام، وهذا محل اتفاق منهم .

ويستخلصا من ذلك أن التوراة تعتمد علـي أربعة مصادر هي : الرواية اليهوية ، والرواية الأيلوهيمية، وسفر التثنية، والنص الكهنوتي، وكل وثيقة قد اعتمد في كتابتها على أكثر من مصدر، وبملاحظة أن الوثيقة الأولى وهي النص اليهوى قد كتبت في القرن التاسع أو العاشر قبل الميلاد، والوثيقة الأخيرة وهي النص الكهنوتي قد كتب في القرن السادس قبل الميلاد؛ نجد أن تدوين التوراة المنسوبة إلى موسى قد استغرق ثلاثة قرون ، هذا على أقل تقدير(١) .

---

(١) انظر : القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم . دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة ، ص ٢٠ - ٣٠. وما أصل الإنسان ؟ إجابات العلم والكتب المقدسة ، ١٥٠ - ١٥٥ . وفلسطين أرض الرسالات الإلهية ، ص ١٢٦ - ١٣٣ .

هذا ما يتعلق بالتوراة المنسوبة إلى موسى عليه السلام، أما ما يتعلق ببقية أسفار العهد القديم فيوضح بوكاى التسلسل التأريخي لتدوينها، وهو كما يلي: ـ

١ ـ في القرن السادس قبل الميلاد كتبت رسائل صفنيا وناحوم وحبقوق، وكذلك كتب تلامذة حزقيال كتابه بعد وفاته .

٢ ـ في القرن السادس وفى عام ٥٣٨ ق. م. تقريباً ظهرت كتب حجاي وزكريا وإشعياء الثالث وملاخي ودانيال وباروك .

٣ ـ في القرن الخامس قبل الميلاد حررت الأمثال تحريراً نهائياً وكذلك سفر أيوب .

٤ ـ في القرن الثالث قبل الميلاد ظهر سفر الجامعة، ونشيد الإنشاد، وكتابا أخبار الأيام، وكتب عزرا ونحميا.

٥ ـ في القرن الثانى ظهر كتاب ابن سيراخ .

٦ ـ في القرن الأول ظهر كتاب الحكمة لسليمان وكتاب المكابيين.

أما أسفار راعوث وأستير ويونس فيرى أنه من الصعب تحديد تأريخ تدوينها .

ويذكر هذا المهتدي بعض الملامح التي تظهر للقارىء من خلال دراسته لأسفار العهد القديم ـ سوى الخمسة الأولى ـ وهذه الملامح هي : ـ

١ ـ أن فيها تغييراً لأسماء الأعلام ، واختراعاً لشخصيات وأحداث لم تقع .

٢ ـ أنها تحتوي على أخطاء تأريخية ، وأمور مستبعدة تأريخياً أيضاً .
٣ ـ أن الوقائع التأريخية فيها مدروسة بشكل علمي، بمثل ماهي مدروسة بشكل وهمي، كما أنها لا تحفل بالدقة التأريخية .
٤ ـ أنها تتعدد فيها الروايات للحدث الواحد، ومن خلال هذا التعدد تختلط الروايات بالأساطير .
٥ ـ أنها تتأثر بالأجواء المحيطة بكاتبها ووقت كتابتها [١].

ويؤكد بوكاي أن ماقدمه من حقائق تتعلق بالعهد القديم لم يكن من باب إلقاء الكلام على عواهنه، ولم يكن وجهة نظر شخصية ؛ وإنما هي معلومات أثبتها متخصصون على درجة عالية من الكفاءة. وفي آخر استعراضه لمحتويات العهد القديم قدّم تساؤلاً مفاده: (كيف استطاع هذا المجموع المتنافر بمضمونه الذي يتكون من أسفار كتبت على مدى سبعة قرون على الأقل، وأتت من مصادر شديدة التنوع، ثم تجمعت بعد ذلك داخل مؤلف واحد؟ كيف استطاع عبر القرون أن يكون كلاً لا ينفصم ، وأن يصبح ـ مع بعض الاختلافات بين الجماعات الدينية ـ كتاب الوحي اليهودي المسيحي؟ كيف أصبح القانون ـ وهي كلمة يونانية ـ يرتبط بها عدم المساس[٢]) ؟؟ .

(١) انظر القرآن والتوراة والإنجيل والعلم ، ص ٢٤ – ٢٥ .
(٢) المصدر السابق ، ص ٣٧ .

ولا تعارض أبداً بين هذه الأقوال جميعاً[1]؛ لأن من المحتمل أن تكون النسخة التي كتبها عزرا هي إحدى النسخ أو الوثائق التي أشار إليها بوكاي، ولعلها هي النص الكهنوتي؛ إذ دوّنا جميعاً في القرن السادس قبل الميلاد. كما أن حركة التدوين للعهد القديم التي استمرت ثمانية قرون قبل المسيح لا تمنع من وجود حَفَظَةٍ أو نسخ محدودة أصلية فريدة، سالمة من التحريف والتبديل في زمن المسيح عليه السلام .

المطلب الثالث : تحريف العهد القديم :ـ

بعد أن أثبتُّ بأقوال هؤلاء المهتدين أن التوراة المتداولة اليوم ليست هي التي أنزلت على موسى عليه السلام ـ بل تمّت كتابتها هي وبقية العهد القديم على مدى تسعة قرون، ولم تأخذ هيئتها النهائية إلا بعد المسيح عليه السلام بقرن ـ يتحتم عليّ أن أتفحص نقدهم للعهد القديم وأعرضه أمام القارىء مبيناً فيه الأدلة والحجج التي أقاموها على تحريف العهد القديم، وقد تعددت الأدلة التي قدموها، كما تنوعت أنماط التحريف وصوره، وأول هذه الأدلة على التحريف هي :ـ

---

(١) وهي قول السموءل : بأن التوراة فقدت بعد فتح بيت المقدس ، وكتبها عزرا بعد سنة ٥٨٦ ق .م. وقول بوكاي : إن مرحلة كتابة التوراة استغرقت ثلاثة قرون ، ولم تأخذ شكلها الحالي إلا بعد المسيح بقرن. وما ذهبت إليه من احتمال بقاء نسخ من التوراة الأصلية إلى زمن المسيح .

الشهادة عليهم بالتحريف :-

شهد الله عليهم في محكم تنزيله بالتحريف فقال : ﴿ من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه[1] ﴾ وقال تعالى : ﴿ وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون[2] ﴾ وقال عز من قائل : ﴿ يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظاً مما ذكروا به [3] ﴾ وقال أيضاً: ﴿يحرفون الكلم من بعد مواضعه يقولون إن أوتيتم هذا فخذوه وإن لم تؤتوه فاحذروا[4] ﴾ وفي هذه الآيات شهادة عليهم بالتحريف والتبديل - وأي شهادة أعظم من شهادة الله - ولا معنى بعدها لطلب المزيد من الشهادات؛ ولكن لأن اليهود والنصارى لايؤمنون بالقرآن، ولأن منهج هذا البحث يفرض عليّ الاستزادة في هذا الباب رأيت أن أعرض شهادات أنبياء بني إسرائيل عليهم بالتحريف ثم شهادات هؤلاء المهتدين.

فقد شهد عليهم داود عليه السلام بالتحريف فقال :(يا بني البشر حتى متى يكون مجدي عاراً، حتى متى تحبون الباطل وتتبعون الكذب) وقال أيضاً :(ماذا يصنعه البشر بي اليوم : كله يحرفون كلامي[5]) . وشهد عليهم إشعياء بالتحريف فقال:(ويل للبنين المتمردين. يقول الرب. حتى إنهم يجرون رأياً وليس منى، ويسكبون سكيباً وليس بروحي، فيزدادوا

---

(١) سورة النساء ، الآية ٤٦ .

(٢) سورة البقرة ، الآية ٧٥ .

(٣) سورة المائدة ، الآية ١٣ .

(٤) سورة المائدة ، الآية ٤١ .

(٥) المنارات الساطعة ص ، ٩٢ ، وانظر مزمور ٤ : ٢ و ٥٦ : ٥ .

خطية على خطية... لأنه شعب متمرد أولاد كذبة، أولاد لم يشاءوا أن يسمعوا شريعة الرب[1]) . وشهد عليهم إرميا بالتحريف وصرح بتحريفهم فقال:(كيف تقولون نحن حكماء وشريعة الرب معنا؟. حقاً إنه إلى الكذب حوّلها قلم الكتبة الكاذب) وقال أيضاً: (أما وحي الرب فلا تذكروه؛ لأن كلمة كل إنسان تكون وحيه، وإذ قد حرفتم كلام الإله الحي رب الجنود إلهنا[2]) .

كما رأينا شهادة الله عليهم بالتحريف، ثم استعرضنا جانباً من شهادة أنبيائهم بذلك، يحسن أن ننتقل إلى شهادات هؤلاء المهتدين عليهم وهي كالتالي :-

١ - استشهد عليهم المهتدي بوكاي بشهادة المجمع المسكوني الثاني للفاتيكان المنعقد عام ١٩٦٢ م بأن العهد القديم يوجد به بعض الشوائب، كما يوجد به بعض النصوص الباطلة، ونص هذه الفقرة التي لا تحتمل التأويل كما أوردها بوكاي هي: (بالنظر إلى الوضع الإنساني السابق على الخلاص الذي وضعه المسيح، تسمح أسفار العهد القديم للكل بمعرفة من هو الله، ومن هو الإنسان بما لا يقل عن معرفة الطريقة التي يتصرف بها الله في عدله ورحمته مع الإنسان، غير أن هذه الكتب تحتوي على

---

(١) المنارات الساطعة ، ص ٩٢ ، وإشعياء ٣٠ : ١ ، ٩ .

(٢) المنارات الساطعة ، ص ٩٢ ، وإرميا ٨ : ٨ و ٢٣ : ٣٦ .

شوائب وشيء من البطلان، ومع ذلك ففيها شهادة عن تعليم إلهي) وهذا النص جزء من تصريح شامل صوّت عليه نهائياً بأغلبية ٢٣٤٤ صوتاً ضد ستة أصوات[١].

٢ ـ تأثرت اليهودية بالوثنيين المجاورين فصبغت الكتابات صبغة وثنية؛ فنتج عن ذلك توراة محرفة ابتغى من وراء كتابتها تحقيق رضا كافة الأطراف[٢].

٣ ـ قال المهتدي عبد الأحد داود:(ولو هدى الله بولس هذا؛ لرفض سفر التكوين، وأعلن أنه مملوء بالتزوير والأباطيل؛ حيث ينص مرتين على أن إبراهيم كان زوجاً لأخته، ولما جعل النبي إبراهيم كاذباً وهو المعصوم عن ذلك)[٣] . ثم قال في موضع آخر: (والواقع أنه أمر لا يصدّق وهو كون المؤلف أو على الأقل المحرر الأخير لهذا الكتاب ـ أي سفر التكوين ـ ملهماً من قبل الروح القدس كما يدعي اليهود والنصارى [٤]) .

٤ ـ قال السموءل :(ولهذه الطائفة ـ أي اليهود ـ من فنون الضلال والاختلال ما تنأي عن مثله العقول، ويخالفه المعقول والمشروع[٥]) .

---

(١) التوراة والإنجيل والقرآن والعلم ، ص ٦٠. وما أصل الإنسان ، ص ١٥٥ . ونص الوثيقة في الفصل الرابع ، ص ٥٣ من الوثيقة الخاصة بالعهد القديم .

(٢) انظر فلسطين أرض الرسالات الإلهية ، ص ١٢٧ .

(٣) محمد في الكتاب المقدس ، ص ٦٢ .

(٤) المصدر السابق ص ٧٨ .

(٥) إفحام اليهود ، ص ١٢٤ .

٥ ـ قال المهتدي بوكاي :(وقد كيّف قساوسة معبد القدس المفهوم البدائي للخلق مع أغراضهم الخاصة، عند كتابة النسخة الكهنوتية[١]في القرن السادس الميلادي، فنمقوا قصصهم بتفاصيل ثبت فيما بعد زيفها بالكامل[٢] .

إثبات التحريف بسبب اشتمال العهد القديم على التطاول على الله :ـ

١ ـ جاء في التوراة دعوات يتوسل بها اليهود إلى الله ليحقق لهم آمالهم وأحلامهم بالسيادة على جميع البشرية، وفي هذا الدعاء تطاول على الله من مثل قولهم:(يا إلهنا املِك على جميع أهل الأرض؛ ليقول كل ذي نسمة: الله إله إسرائيل قد ملك، ومملكته في الكل متسلطة) ويقولون في الصلاة :(وسيكون لله الملك في ذلك اليوم يكون الله واحداً) ويعنون بذلك أنه لا يظهر أن الملك لله إلا إذا صارت الدولة إلى اليهود الذين هم أمته وصفوته في زعمهم[٣] .

٢ـ جاء أيضاً في التوراة نداء ينادي به اليهودُ الله سبحانه وتعالي عما يقولون علواً كبيراً، وهذا النداء يتنزه البشر عن أن ينادوا به ملوكهم فكيف يوجه هذا النداء إلى الله وهو قولهم :(انتبه لم تنام؟ استيقظ من رقدتك[٤]) .

(١) هذه إحدى الوثائق الأربع التى انبثقت منها التوراة المتداولة اليوم .
(٢) ما أصل الإنسان ، ص ٢٢٩ .
(٣) إفحام اليهود ، ص ١٢٧ – ١٢٨ .
(٤) انظر المصدر السابق ، ص ١٣١ .

٣ ـ ورد في التوراة أن موسى صعد الجبل مع مشايخ أمته فأبصروا الله جهرة. وفى هذا تطلع إلى منازل لم تتحقق للأنبياء فكيف بمشايخ بني إسرائيل .

٤ ـ وصفت التوراة الله سبحانه وتعالى بصفات الندم والتراجع والبداء والمشقة ... وهذه الصفات لم تكن في التوراة المنزلة على موسى عليه السلام [١].

إثبات التحريف بسبب اشتمال العهد القديم على التطاول على الأنبياء: ـ

لا تستغرب تطاول اليهود على الأنبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، فقد تطاولوا على الله سبحانه وتعالى ووصفوه بالصفات التي لا تليق به سبحانه وتعالى، فهذا دأبهم وديدنهم، ومن سخف عقولهم وسفه أحلامهم أنهم تطاولوا على أنبيائهم الذين أرسلوا إليهم وحملوا إليهم الرسالة والتوحيد، وبنوا لهم مجدهم الغابر، ولم يقتصر الأمر على التطاول بل بلغ بهم الأمر إلى أن قتلوهم وهموا بصلب آخرهم. ومن هذا التطاول الذي تضمنته كتبهم وصف لوط عليه السلام بأنه شرب الخمر وزنا بابنتيه وهو لا يعرفهما، وهذا من أفحش المحال أن يكون شيخ كبير في السن، ونبي من الأنبياء، يسقى الخمر حتى يسكر سكراً حال بينه وبين معرفة ابنتيه، ثم يضاجعهما [٢]. وكذلك نسب يهوذا جد

---

(١) انظر المصدر السابق ، ص ١٣١ – ١٣٥ .

(٢) انظر المصدر السابق ، ص ١٤٧ – ١٤٩ . والمنارات الساطعة ، ص ٩٤. ومحمد في الكتاب المقدس ، ص ١٠٦ – ١٠٧ .

بني إسرائيل إلى الزنا، ووصف هارون عليه السلام بأنه صنع العجل وأمر بعبادته، ووصف سيدنا داود عليه السلام بالزنا والقتل، وأن سليمان بني معابد للأوثان وعبدها في آخر عمره[1].

ولقد جاء في سفر حزقيال ـ وهو معدود من أنبيائهم ـ الإصحاح الرابع: أن الله أمره أن يأكل خبز الشعير بعد أن يخبزه على «زبل الإنسان» أمام عيون بنى إسرائيل، ولما استعفي حزقيال من الله هذا الأمر؛ أمره الله تعالى أن يخبز شعيره على «زبل البقر»[2]. تعالى الله عن ذلك، وتنزهت أنبياؤه عن مثل ذلك .

وحاشاهم من ذلك فهم رسل التوحيد، ودعاة الفضيلة، وأعداء الرذيلة، وهداة الأمم إلى الحق والخير، وهم فوق ذلك رسل رب العالمين ﴿الله أعلم حيث يجعل رسالته[3]﴾

وكذلك ما ارتكبه اليهود في حق إسماعيل عليه السلام حينما حسدوه ما أنعم الله به عليه من كونه أول ولد إبراهيم ثم ابتلائه من الله بالذبح ، وأرادوا أن يحوزوا هذا الشرف إلى إسحاق فعند ذلك استبدلوا بكل العبارات الدالة على إسماعيل في العهد القديم عبارات يفهم منها

(١) انظر المصدر السابق ، ص ٦٢ . والمنارات الساطعة ، ص ٩٤ .

(٢) انظر البحث الصريح ، ورقة ١٧٠ ، وحزقيال ٤ : ٩-١٦ ونص الطبعة التي بين يدي : (وتأكل كعكاً من الشعير على الخرء الذي يخرج من الإنسان تخبزه أمام عيونهم ... فقال لي انظر قد جعلت لك خثي البقر بدل خرء الإنسان فتصنع خبزك عليه) . وهذا النص يليق بهذيان المجانين ولا يليق بنص كتاب مقدس .

(٣) سورة الأنعام ، الآية ١٢٤ .

أن المقصود إسحاق حيث استبدلوا بقوله:«الابن الوحيد» «الابن المفضل»؛ لأنهم يعلمون أن الابن الوحيد هو إسماعيل[1].

إثبات التحريف بالنقص والزيادة :ـ

١ ـ أثبت المهتدي عبد الأحد داود أن علماء بني إسرائيل ونساخهم ـ بدافع من الحقد والغيرة على إسماعيل عليه السلام الذي شرف بالعهد ـ قاموا بتحريف وإفساد كثير من صحائف كتبهم المقدسة؛ فحذفوا اسم إسماعيل عليه السلام من العبارة الثانية والسادسة والسابعة من الفصل الثاني والعشرين من سفر التكوين ووضعوا اسم إسحاق بدلاً منه، وقاموا أيضاً بحذف الوصف الخاص بإسماعيل وهو «ولدك الوحيد»؛ وذلك إنكار لوجود إسماعيل وحقه[2].

٢ ـ ورد في سفر التثنية رواية موسى عليه السلام لحادثة وفاته. وهذا لا يمكن بحال من الأحوال أن يكتب الإنسان حادثة وفاته بيده[3].

٣ ـ يدعي اليهود أنهم أبناء الله وأحباؤه، لذا تمت صياغة نصوص كثيرة من نصوص العهد القديم حتى تحقق هذا الزعم المتهافت؛

(١) انظر محمد ﷺ في التوراة والإنجيل والقرآن، ص ٣٣ .
(٢) انظر محمد في الكتاب المقدس ، ص ٦٠ .
(٣) انظر فلسطين أرض الرسالات الإلهية ، ص ١٢٩ ، والغفران بين الإسلام والمسيحية ، ص ٤٤ .

فيصفون أنفسهم بعناقيد العنب وسائر الأمم بالشوك. وهذا يدل على فساد عقولهم وفساد نظرهم .

٤ ـ لما كتب عزرا التوراة ـ وكان من الهارونيين ـ كره أن يتولى عليهم في مستقبل الأيام رجل من بني داود ـ بسبب ثارات كانت بينهم ـ فعند ذلك أضاف عزرا إلى التوراة فصلين طاعنين في نسب داود عليه السلام والأول منهما ما يتعلق بقصة بنات لوط، والآخر ما يتعلق بقصة ثامار التي زنى بها يهوذا جد داود في زعمهم [١] .

تحريف العهد القديم بسبب اشتمال الكتاب الواحد على أكثر من نص :ـ

ذكرت في المطلب السابق[٢] اشتمال السفر الواحد من أسفار العهد القديم على أكثر من نص، وكل نص له أسلوبه الذي يميزه عن الآخر، وعلي سبيل المثال يذكر المهتدي بوكاي أن ما يخص الخلق والطوفان والفترة التي تمتد من الطوفان إلى إبراهيم عليه السلام ـ وهي التي تحدث عنها سفر التكوين في إصحاحاته الأحد عشر الأولى ـ في رواية التوراة لهذه الأحداث في هذه الإصحاحات جزء من النص اليهوى يتبعه جزء من النص الكهنوتي، وليس النص الألوهيمي وارداً في هذه الفصول، وقد

(١) انظر إفحام اليهود ، ص ١٢٤ - ١٢٥ ، وص ١٥١ - ١٥٢ .
(٢) انظر ص ٦٦٧ من هذا البحث .

أورد هذا المهتدي جدولاً يبين فيه عزو كل فقرة من فقرات هذه الإصحاحات إلى الوثيقة التي تنتمي إليها[1] .

إثبات التحريف بإثبات التناقض بين روايات العهد القديم :-

١ ـ جاء في سفر التثنية الإصحاح الرابع عشر :(لا تقتل الآباء عوض البنين، ولا البنون عوض الآباء). وورد ضد ذلك في سفر الخروج، الإصحاح العشرين، وهو قوله:(اجتزئ ذنوب الآباء من الأبناء إلى ثلاثة وأربعة أجيال). كما تكررت صورة هذا التناقض في سفر واحد وهو سفر إرميا فقد جاء في الإصحاح الحادي والثلاثين :(ولكن كل واحد يموت بإثمه). وفي الإصحاح الثاني والثلاثين يقول:(وتروا إثم الآباء على حضن أبنائهم)[2] .

٢ ـ تذكر التوراة العبرانية في الإصحاح الخامس من سفر التكوين أن «شيث» لما كان عمره مائة وخمس سنين ولد «أنوش». بينما تذكر التوراة السبعينية أن «شيث» لما كان عمره مائتين وخمس سنين ولد له «أنوش» فالفرق بينهما مائة سنة [3] .

٣ ـ ورد في سفر التكوين روايتان عن خلق الله سبحانه وتعالى للسماء والأرض والإنسان والرواية الأولى مطولة وتحمل كثيراً من

(١) انظر التوراة والإنجيل والقرآن والعلم ، ص ٣٠ – ٣١و الإنجيل والصليب ، ص ١١٥ .

(٢) انظر البحث الصريح ، ورقة ٤٨ / ب – ٤٩ / أ .

(٣) انظر المصدر السابق ، ورقة ٤٦ / أ .

المخالفات العلمية والعقلية، بينما الثانية مختصرة جداً وتكاد تخلو من المخالفة العلمية .

٤ ـ ورد أيضاً في سفر التكوين روايتان متداخلتان لحادثة الطوفان، وتتناقض هاتان الروايتان في سبب الطوفان، ومدته ، وعدد ركاب السفينة، وتذكر أحدهما تأريخه الزمني، بينما تغفل الرواية الأخرى التأريخ[1] .

٥ ـ التناقض بين سفر الخروج وسفر التكوين في تحديد المدة التي بقي فيها بنو إسرائيل بمصر؛ إذ يذكر سفر التكوين أنهم بقوا أربعمائة سنة، بينما يذكر سفر الخروج أن المدة أربعمائة وثلاثون سنة[2] .

٦ ـ التناقض بين سفر الخروج وسفر العدد في عدد بني إسرائيل؛ إذ يذكر سفر الخروج أن عددهم كان وقت الخروج من مصر نحو ستمائة ألف مقاتل غير الأطفال، ولفيف عظيم بغير عدد. بينما يذكر سفر العدد أن بني إسرائيل كانوا وقت الخروج ستمائة ألف وثلاثة آلاف مقاتل وخمسمائة وخمسين رجلاً سوى سبط لاوي[3] .

---

(١) انظر التوراة والإنجيل والقرآن والعلم ، ص ٤٤ – ٤٥ ، و ٥٢ – ٥٣ .
(٢) انظر المصدر السابق ، ص ٢٥٤ ، والبحث الصريح ، ورقة ١٨٠ / أ .
(٣) انظر المصدر السابق ، ورقة ١٧٤ / أ .

٧ ـ التناقض بين سفر أخبار الأيام الأول وسفر عزرا في عدد أبناء سبط لاوي بفارق خمسة أشخاص بينهما[١] .

احتواء التوراة على أخطاء ومخالفات علمية وتأريخية :ـ

١ ـ جاء في سفر التكوين :(ليكن نور فكان النور. ورأى الله أن النور حسن، وفصل بين النور والظلمات، ودعا الله النور نهاراً والظلمة ليلاً، وكان مساء وكان صباح اليوم الأول) وحسب رواية التكوين لم تخلق الكواكب المنيرة في السماء إلا في اليوم الرابع، فكيف توجد النتيجة «النور» قبل وجود سببها وهي الكواكب .

٢ ـ ورد في السفر السابق: (لتنبت الأرض خضرة عشباً يحمل بذراً كجنسه... وكان صباح اليوم الثالث) ولا يمكن من وجهة النظر العلمية أن ينتظم العالم النباتي قبل ظهور الشمس التي ظهرت ـ حسب الرواية ـ في اليوم الرابع .

٣ ـ جاء في السفر المذكور أن الله استراح في اليوم السابع . وهذه أسطورة فضلاً عن أنها لم ترد في النص اليهوى الذي يسبق النص الكهنوتي ـ الذي أورد هذه الأسطورة ـ بعدة قرون[٢] .

ولم أقتبس في هذا الموضع من الملاحظ إلا الملاحظ الخالية من الاحتمال، أما الملاحظ التي يتوجه إليها الاحتمال، أو كانت تعتمد على

---

(١) انظر المصدر السابق ، ورقة ١٨٠ / أ .

(٢) انظر القرآن والتوراة والإنجيل والعلم .. ص ٣٩ – ٦٢. وما أصل الإنسان ، ص ١٥٠ – ١٧٠ .

دراسات علمية ظنية ليست يقينية؛ فلم أوردها هنا، وذلك مثل الفوارق الزمنية بين خلق الكون وآدم وإبراهيم والمسيح عليهم السلام ، وكذلك أيهما أسبق خلق الأرض أم خلق الشمس، وكذلك أيهما خلق أولاً حيوانات البر أم حيوانات البحر .

الترجمة :ـ

رأينا في المطلب السابق كيف افتقد الأصل الذي أنزل على موسى عليه السلام، وكيف تمت عملية الكتابة بعده، ورأينا كذلك المرحلة الزمنية التي قطعها العهد القديم حتى خرج إلى الناس بهذه الصورة، ومع ذلك فأقدم نسخة خطية عبرية لهذا الكتاب يرجع تأريخها إلى القرن التاسع الميلادي، أما الترجمة السبعينية للعهد القديم باللغة اليونانية فيرجع تأريخها إلى القرن الثالث قبل الميلاد(١). وعلى افتراض أن موسى عليه السلام قد وجد في القرن الثاني عشر قبل الميلاد؛ فنقول إن أقدم نسخة خطية وجدت بعد موسى عليه السلام بعشرين قرناً، وأقرب ترجمة يونانية وجدت بعد موسى عليه السلام بتسعة قرون. وعسير على المرء أن يدرك التحولات اللغوية والكتابية التي مر بها هذا الكتاب، ولكن إذا أخذنا في الحسبان الاعتبارات التي من الممكن أن تحوّل مسار واتجاه الترجمة؛

(١) انظر المصدر السابق ، ص ١٥٠ . والقرآن والتوراة والإنجيل والقرآن، ص ١٨ -١٩ . والغفران بين الإسلام والمسيحية ص ٣٠ .

نخرج بنتيجة أن هذه الترجمة لا يمكن أن تكون مماثلة ومطابقة للأصل الذي نقلت منه، ومن هذه الاعتبارات ما يلي :ـ

١ـ إذا فقد الإيمان، وفقد الضمير الحي الذي يؤرق صاحبه عند المخالفة ـ عندئذ لاتستبعد حصول التجاوزات .

٢ ـ تتأثر الترجمة قوة وضعفاً بسبب قوة وضعف المترجم في معرفة وفهم اللغة المنقول منها والمنقول إليها .

٣ ـ أن الترجمة تُصبغ بصبغة المترجم؛ لأنه من غير المعقول أن يتخلي المترجم ـ حال الترجمة ـ عن عقيدته وماضيه وثقافته وتطلعاته وآماله... وهذه كلها أمور تدفع المترجم لأن يصوغ الترجمة بالصيغة التي تميل إليها نفسه وتتفق مع مشربه إلى غير ذلك من الاعتبارات كاتجاه السلطة واتجاه الأمة .

٤ ـ يكفي في عدم التماثل أنه ترجمة وليس أصلاً .

وبإعادة النظر في الفصل الأول والثاني من هذا الباب وهما المتعلقان بالتوحيد ونبوة سيدنا محمد ﷺ ؛ نتوصل إلى الحقيقة التالية : وهي أن كل نص استشهد به هؤلاء المهتدون لبيان الحق في القضيتين السابقتين يعتبر دليلاً على التحريف، لأنه إما أن يستدل المخالف بهذا النص على غير ما يدل عليه؛ فيكون استدلاله من باب تحريف الدلالة، وإما أن تستبدل ألفاظه بغيرها، أو تزاد ألفاظ لتتفق مع ما يراد منها فيكون من باب تحريف الألفاظ، وسواء كان هذا النص المستدل به من العهد القديم، أم من العهد الجديد فهو دال على التحريف لا محالة.

المبحث الثاني : العهد الجديد

امتداداً للحديث عن الكتاب المقدس المزعوم، سيكون موضوع هذا المبحث «العهد الجديد» حقيقة وتأريخاً وسنداً ومتناً ...

المطلب الأول : الإنجيل الذي أنزل على المسيح عليه السلام :ـ

أنزل الله سبحانه وتعالى الإنجيل على عيسى ابن مريم عليه السلام، وضمنه الهدى والنور، والرسالة التي كلف بأدائها، والمنهج الذي ينبغي السير عليه، والشرع الذي يجب التحاكم إليه، قال تعالى : ﴿ وقفينا على آثارهم بعيسى ابن مريم مصدقاً لما بين يديه من التوراة وآتيناه الإنجيل فيه هدى ونور ومصدقاً لما بين يديه من التوراة وهدى وموعظة للمتقين. وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه[1]﴾ وقال عز وجل: ﴿ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم منهم أمة مقتصدة وكثير منهم ساء ما يعملون[2]﴾ ... هذا وصف الله للإنجيل في القرآن، فأين هذا الإنجيل؟ والجواب على هذا

(١) سورة المائدة ، الآيتان ٤٦ – ٤٧ .
(٢) سورة المائدة ، الآية ٦٦ .

السؤال عسير جداً؛ فلئن كانت اليهودية تدّعي في ماضيها الغابر أن موسى عليه السلام قد كتب بعض أسفار التوراة التي بين أيديهم، فإن النصرانية ـ ولله الحمد ـ لا تدعي أن في حوزتها أي مستند شرعي يرجع إلى المسيح عليه السلام، وكل الذي تملكه مجموعة أناجيل لمجموعة رجال يُدّعى لهم أنهم كتبوها بإلهام .

إذاً النصرانية تعترف بعدم وجود هذا الإنجيل ـ سواء كان هذا الاعتراف بلسان الحال أم بلسان المقال، فهل من الممكن العثور على هذا الإنجيل؟؟ وهل كان إنجيلاً واحداً أم كان متعدداً كما هي الحال بالنسبة لأناجيل النصارى؟ وما غايته؟ وهل خلّف المسيح عليه السلام إنجيلاً مكتوباً حتى يمكن لمن أتى بعده أن ينقل منه أو يطلع عليه؟؟.

إن الإنجيل المنزل على المسيح عليه السلام كان إنجيلاً واحداً؛ لأنه لم يرد في القرآن إلا بصيغة المفرد، وقال المهتدي الترجمان: (وما كان الذي أنزله الله، وجاء به عيسى إلا إنجيلاً واحداً لا تدافع فيه ولا اضطراب ولا اختلاف[1]) ولكن هل كتب هذا الإنجيل؟ يجيب على هذا السؤال المهتدي عبد الأحد داود قائلاً:(لم يصل إلى علمنا أن أحداً أبصر الإنجيل الشريف مكتوباً مرقوماً) ويقول أيضاً:(لم تكتب آية واحدة من الآيات والإلهامات الربانية النازلة على المسيح؛ وإنما بلّغها المسيح بصورة المشافهة،

(١) تحفة الأريب ، ص ١١٥ .

وتنوقلت عنه كذلك مشافهة[1]) . وينقل المهتدي بوكاي عن أ. كولمان في كتابه «العهد الجديد» ما يعزز هذا الرأي وهو قوله:(إن المبشرين لم يكونوا إلا متحدثين باسم الجماعة المسيحية الأولى التي ثبّتت التراث الشفهى، فقد بقى الإنجيل طيلة ثلاثين أو أربعين سنة في شكله الشفهي فقط، أو بالكاد[2]) ويقول المهتدي إبراهيم خليل :(الرسالة الموحى بها إليه ـ أي المسيح ـ من الله لم تصلنا في شكلها الحقيقي) ويقول أيضاً : (لا توجد وثيقة أصلية واحدة متعلقة بحياة المسيح) [3].

هذا الإنجيل الذي نقل عن المسيح عليه السلام مشافهة ـ وفق ما يراه هؤلاء المهتدون ـ ما غايته؟ يذكر المهتدي عبد الأحد داود أن غاية هذا الإنجيل هي عبارة عن :ـ

١ ـ التبشير بالسعادة الحقيقية .

٢ ـ التبشير باقتراب ظهور ملكوت الله .

٣ ـ إعداد بنى إسرائيل لمجيء الملكوت .

٤ ـ الإخبار بأن الإسلام سيظهر .

٥ ـ إصلاح بني إسرائيل .

٦ ـ اختصاص هذه الرسالة ببني إسرائيل [4] .

---

(١) الإنجيل والصليب ، ص ٨٧ ، ٩٢، وانظر ص ١٧ ، ٥١، ٦٥ ، ٢٠٧ ، ٢٠٩ منه .

(٢) القرآن والتوراة والإنجيل والعلم ، ص ٧٦ .

(٣) الغفران بين الإسلام والمسيحية ، ص ٢١ . ومحمد ﷺ في التوراة والإنجيل والقرآن ، ص ١٠٠ .

(٤) انظر الإنجيل والصليب ، ص ٤٣ ، ٦٣ ، ٦٨ - ٨١ ، ٩٢ - ١٠٠ .

وما من شك أن غايته الأولى هى إعلان العبودية لله تعالى، ولعلها هي المراد من قول هذا المهتدي: التبشير بالسعادة الحقيقية ؛ إذ لا سعادة بغير العبودية لله سبحانه وتعالى .

المطلب الثاني : كتابة العهد الجديد: ـ

ذكرت في المطلب السابق أن المسيح عليه السلام لم يخلّف إنجيلاً مكتوباً، ولا تنسب النصرانية إلى المسيح شيئاً من هذه الكتب. إذاً فمن كتب هذه الكتب؟ ولماذا سميت بهذا الاسم؟ومتى كتبت؟ وبأي لغة كتبت؟ وما أهداف كتبتها وغاياتهم من هذه الكتابة؟؟...

لقد ثبت أنه لم يكن في حوزتهم إنجيل مكتوب يعتمدون عليه، فلماذا أخذت ـ فيما بعد ـ كتب النصرانية اسم «إنجيل» ككتب «متى» و«مرقس» و«لوقا» و«يوحنا» ؟

يجيب على هذا التساؤل المهتدي عبد الأحد داود مؤكداً أن هذه التسمية خاطئة؛ وذلك لأن كلمة «إنجيل» كلمة يونانية ذات شقين هما «ايفنغليون» الشق الأول منها «ايو» بمعنى: مرحى، جيد، حقيقي. والشق الثاني «انغليون» وهو عبارة عن التبشير بالسعادة الحقيقية. وبما أن المسيح عليه السلام لم يتكلم باليونانية؛ وإنما كانت لغته هي السريانية، فإن اللغة السريانية تستعمل كلمة «سبرته» بدلاً من كلمة إنجيل. فنخلص من هذا إلى أن كلمة إنجيل عندما تتعلق بالمسيح تكون كلمة «سبرته» وهي تعني

الأمل، الطريقة، المذهبية، الفكرة المعنوية، ولا تستعمل هذه في حق الإنجيليين الكتبة، وعندما تضاف كلمة إنجيل إلى أحد هؤلاء الكتاب فإنها ينبغي أن تكون بمعنى موعظة أو وعظ؛ لأن تسمية هذه الكتب بالأناجيل لم تكن من قبل الكتبة الأربعة أنفسهم، ولم يكتبوها باليونانية، ولكنها أضيفت من قبل الكنيسة مؤخراً، أو سميت بها من قبل مجمع نيقية، ويؤكد ذلك أن الأقوام الآرامية لا تزال تسمى هذه الأناجيل مواعظ، فتقول مثلاً إنجيل المسيح موعظة متى، وهكذا بقية الأناجيل، والأقوام السريانية يعلمون أن الإنجيل مختص بالمسيح عليه السلام، ولا يلقبون تلك الكتب الأربعة بعنوان «إنجيل» بل يسمونها «كاروزوتا» أي موعظة[1]. وينقل المهتدي بوكاي كلام أحد الدارسين الغربيين للعهد الجديد فيما يتعلق بتسمية الأناجيل، وهو قوله: (منذ وقت مبكر جداً، منذ القرن الثاني استقر العرف على استخدام كلمة «إنجيل» للإشارة إلى الكتب التي كان القديس جوستين في نحو ١٥٠م يسميها أيضاً مذكرات الرسل[2]) فالحاصل إذاً أن هذه الكتب ليست أناجيل، ولكنها مواعظ، وليس لأي سفر من أسفار العهد الجديد أن يحمل اسم إنجيل؛ بل إن إطلاق اسم إنجيل على كتب متى ومرقس ولوقا ويوحنا يعتبر تعدياً وظلماً وتجاوزاً[3].

(١) انظر الإنجيل والصليب، ص ٢٤ - ٢٨ .
(٢) القرآن والتوراة والإنجيل والعلم، ص ٧٥ .
(٣) انظر الإنجيل والصليب، ص ٢٧ .

لما لم يكن في حوزة النصارى الأوائل إنجيل مكتوب من قبل المسيح ابن مريم عليه السلام ـ كما ذكر هؤلاء المهتدون ـ فمن الطبعي أن تكون الوسيلة الوحيدة لنقل تعاليمه ووصاياه هي الرواية الشفهية[1] .

وإذا كان مصدر هذه التعاليم والوصايا واحداً وهو إنجيل المسيح عليه السلام المنقول إلى أمته؛ فمن الطبعي أن يكون الامتداد الصحيح له تدويناً يستمد روحه من روحه، ويحدد اتجاهه تبعاً لوجهته؛ ولكننا نجد أن الفكر النصراني الذي صاحب حركة التدوين أصبح فكراً مزدوجاً:أحد قطبيه سامي توحيدي، وآخر إغريقي وثني مشرك. وهذا الازدواج في الفكر نشأ نتيجة صراع بين أتباع المسيح المؤمنين، وبين أتباع بولس من أبناء الأمم الوثنية، واستطاع أصحاب الاتجاه الأخير من تنحية أصحاب الاتجاه الأول شيئاً فشيئاً[2] .

وبعد أن تحقق انتصار أصحاب الاتجاه الأخير تمت صياغة النصوص المعتمدة والمقبولة لديهم، واستبعدت ـ في نفس الوقت ـ كل الوثائق الأخرى التي لم تكن توافق هذا المنحنى الذي اختاره أصحاب هذا الاتجاه.

ونتيجة لهذا الاستبعاد المتعمّد، ومع مرور الزمن فُقدت كثير من الوثائق والمدونات القديمة المتضمنة لأقوال المسيح عليه السلام، وأوصت الكنيسة بإخفاء ما بقي منها، ومن هنا جاء اسم الأناجيل المزورة [3] .

---

(١) انظر المصدر السابق ، ص ٩٨ .

(٢) انظر المصدر السابق ، ص ٧١. ومحمد في الكتاب المقدس ، ص ١٥٨ .

(٣) انظر القرآن والتوراة والإنجيل والعلم ، ص ٧٣ – ٧٤ ، ٩٨ – ٩٩. والغفران بين الإسلام والمسيحية ، ص ٢١ .

وبرغم هذا الاستبعاد، وهذا الإخفاء؛ فقد بقيت أناجيل متعددة ـ وإن كنا لا نستطيع أن نحدد الزمن التقريبي الذي تمت كتابتها فيه ـ إذ يؤكد المهتدي بوكاي أنه كانت هناك أناجيل كثيرة مثل أناجيل الناصريين، وأناجيل العبرانيين، وأناجيل المصريين، وإنجيل لوقا، وإنجيل توما، وإنجيل برنابا[1].

وينقل المهتدي المتطبب عن أحد أكبر علماء النصارى قوله:(إن كل واحد من التلاميذ الاثنى عشر، وكل واحد من الحواريين الاثنين والسبعين قد عمل إنجيلا[2]) .

ثم ظهرت بعد ذلك الأناجيل التي ستكوّن فيما بعد الركيزة الهامة في كتاب النصرانية، وعماد ملتها ـ في أواخر القرن الأول الميلادي وأوائل القرن الثاني الميلادي، وقد ذهب إلى هذا الرأي كل من المهتدي الترجمان والهاشمي وإبراهيم خليل [3]. بينما يرى كل من المهتدي عبد الأحد داود وبوكاي أن هذه الأناجيل لم تظهر إلا بعد كتابات بولس بوقت طويل جداً[4]. ويعزز ذلك أن الترجمة المسكونية للعهد الجديد ـ التي تظافر على إخراجها أكثر من مائة متخصص من الكاثوليك

---

(١) انظر القرآن والتوراة والإنجيل والعلم ، ص ٩٩ .

(٢) النصيحة الإيمانية ، ص ١٣٥ .

(٣) انظر تحفة الأريب ، ص ١٠٠ - ١١٥ . وسر إسلامي ، ص ٤٣ - ٤٤ ومحمد ﷺ في التوراة والإنجيل، ص ١٤٥ - ١٤٦ . والغفران بين الإسلام والمسيحية ص ١٦ - ١٨ .

(٤) انظر الإنجيل والصليب ، ص ١٥ . والقرآن والتوراة والإنجيل والعلم ، ص ٧٥ .

والبروتستانت ـ تؤكد على أن الكتابات الإنجيلية لم توجد إلا بعد عام ١٤٠ م ولم تكتسب صفتها الكنسية إلا بعد عام ١٧٠ م[١].

ولم تتخذ هذه الأناجيل هيئتها الحالية إلا بعد أن عبرت مراحل متعددة هي: ـ

١ ـ بعد رفع المسيح عليه السلام تكوّن تراث شفهي بتأثير تبشير التلاميذ ومبشرين آخرين .

٢ ـ تمت صياغة بعض هذه العقائد والأقوال والروايات المنسوبة للمسيح عليه السلام في هيئة كتاب؛ وذلك في المرحلة الثانية .

٣ ـ استعان كتبة الأناجيل بالتراث الشفهي، وبما تمت كتابته في المرحلة الثانية، حتي تمكنوا من صياغة نصوص تتكيف مع مختلف الأوساط، وتستجيب لاحتياجات الكنائس، وتصحح الأخطاء، وترد على الخصوم، وبهذا المنهج جمع كتبة الأناجيل كل بحسب وجهة نظره ماتوراثوه عن أسلافهم سواء كان كتابة أم مشافهة[٢]. ولا تزال إلـي يوم الناس هذا تتم عمليات الحذف منها والزيادة عليها والتصحيح لها ، وهذا ظاهر في الطبعات المحدثة لهذا الكتاب .

وتعتقد الكنيسة أن هذه الأناجيل معصومة عن الزيف والتحريف؛ لأنها كتبت بالإلهام الإلهي، حيث جاء في دستور الفاتيكان العقائدي

(١) المصدر السابق ، ص ٧٦ .

(٢) انظر المصدر السابق ، ص ٧٧ .

الصـادر عن المجمع المسكوني الثـاني للفـاتيكان الذي أُعِد بين عـامي ١٩٦٢ـ ١٩٦٥م ـ مـا يؤكـد هذه الدعـوى وهو قـولهـم:(لا يغـفل أي إنسـان عن أن من بين الكتب المقـدسة، بل حتى كـتب العـهد الجديد، كـان هناك ما يتـمتع عن حق بالإمتيـاز مثل الأناجيل باعتبـار أنه يكوّن شهادة حقيقية عن حياة ودروس الكلمة المجسدة ـ أي منقذنا ـ فدائماً وفي كل مكان حفظت الكنيسة ـ ومازالت ـ الأصل الرسولي للأناجيل الأربعة، والواقع أن ذلك هو الذي دعا إليه الرسل بأمر من المسيح، فقد نقلوا إلينا أنفسـهم والناس الذين كـانوا يحيطون بهم، وبتأثير من الوحي الإلهي للروح كتابات هي أساس الإيمان...[1]) .

ويعترض هؤلاء المهتدون على ما جاء في هذه الوثيقة؛ إذ يؤكد بعض هؤلاء أن هذه الأناجيل لم تكتب إلا بعد عـام ١٤٠ م ـ كـمـا سلف سابقاً ـ على أن هؤلاء الكتبة لم يكونوا شهوداً معاينين للأحداث التي أوردوها في كـتـبـهم[2] ؛ حيث يقول المهتدي بوكاي:(لم يعد مفـهوم المبشرين ـ أي كتبة الأناجيل ـ كشهود معاينين قابلاً للدفاع، وإن ظل حتى يومنا هذا مفهوم كثير من المسيحيين) . ويقول أيضاً :(إن الأناجيل لم تكتب بأقلام شهود معاينين للأمور التي أخبروا بها؛ إذ أنها ببساطة

(١) انظر المصدر السابق ، ص ٧٨ .

(٢) وقد خالف المهتدي الترجمان ، إذ يرى أن يوحنا معاصر للمسيح عليه السلام انظر تحفة الأريب ، ص ١١٤ ولعله ذكر ذلك من غير تمحيص أو تدقيق ، وإنما كتبه اعتماداً على ماتوارثه عن معلميه ، وتلقاه من كتب ملته قبل إسلامه .

تعبير المتحدثين باسم الطوائف اليهودية المسيحية المختلفة، عما احتفظت به هذه الطوائف من معلومات عن حياة المسيح العامة، وذلك في شكل أقوال متوارثة شفهية أو مكتوبة، اختفت اليوم بعد أن احتلت دوراً وسطاً بين التراث الشفهي والنصوص النهائية[1]) .

ويرى المهتدي عبد الأحد داود أن هذه الأناجيل الأربعة لا تظهر فيها الملامح الضرورية التي لا بد منها في أي كتاب يزعم أنه وحي، وأن النصارى يناقضون أنفسهم بشأنها؛ لأنهم يدعون أنها كلام الله ثم يؤكدون على أنها كتبت بالإلهام. ثم يوظف هذا المهتدي اعتقاد الكاثوليك في عدم مصداقية الأناجيل لتوهين صحتها؛ وذلك لأن الكاثوليك يرون أن الأناجيل لا تحتوي على كل الوحي، ثم يعرّف الإنجيل بناء على ما توفر لديه من براهين وخبرات سابقة بقوله:(إن الإنجيل كتاب ـ بعد تنزيل وحذف خمسة وتسعين بالمائة منه ـ إلهي أعلنه ووعظ به المسيح عليه السلام مشافهة[2]) .

ويقتفي أثر هذا المهتدي مهتد آخر هو إبراهيم خليل إذ يؤكد أن هذه الأناجيل لا يمكن أن تعتبر الإنجيل الموحى به إلى المسيح عليه السلام[3].

---

(١) القرآن والتوراة والإنجيل والعلم ، ص ١٣٠ ، ٢٨٤ ، وانظر ٢٧٠ منه. ومحمد في الكتاب المقدس ، ص٤٧ . وما أصل الإنسان ص ١٥٠ . والغفران بين الإسلام والمسيحية ، ص ٢١ .

(٢) الإنجيل والصليب ، ص ٢١٨ ، وانظر ١٢ ، ١٦ ، ٢١ منه . ومحمد في الكتاب المقدس ، ص ١٤٨، ٢٠٧ .

(٣) انظر الغفران بين الإسلام والمسيحية ، ص ٢١ .

ويعزز هذا الرأي الذي ذهب إليه هؤلاء المهتدون أن لوقا في مفتتح إنجيله شهد على نفسه وعلى من هم على شاكلته من الكتبة أنهم لم يعاينوا المسيح عليه السلام، ولم يتلقّوا ما كتبوه من طريق الوحي والإلهام؛ وإنما مصدرهم هو الروايات الشفهية المتوارثة في عهدهم حيث يقول:(إذ كان كثيرون قد أخذوا بتأليف قصة في الأمور المتيقنة عندنا كما سلمها إلينا الذين كانوا منذ البدء معاينين وخداماً للكلمة؛ رأيت ـ أنا أيضاً ـ إذ قد تتبعت كل شئ من الأول بتدقيق أن أكتب على التوالي إليك أيها العزيز..[1]) .

هذه الكتب التي مرت كتابتها بهذه الطريقة السالفة الذكر؛ لم تستقر ولم تأخذ صيغتها النهائية، ولم تكتسب صفتها الرسمية إلا في أواخر القرن الرابع الميلادي في مجمع قرطاجنة عام ٣٩٧ م. وهذا يعني أنه مضى على الكنيسة أربعة قرون ولم يكن لديها كتاب معتمد رسمي، بل لم يكن لديها أي عهد جديد كالذي نراه اليوم في حوزتها[2] .

بل إن القائمة الرسمية لأسفار العهد الجديد تنوعت من حين لآخر في القرون الأولي للعصر المسيحي، وكانت هناك مؤلفات معدومة القيمة أو ما يسمى اصطلاحاً بالأناجيل المزورة كانت تحتل مكاناً مؤقتاً في قائمة

---

(١) لوقا ١ : ١ – ٣. وانظر محمد في الكتاب المقدس ، ص ١٤٨. والقرآن والتوراة والإنجيل والعلم ، ص ٨٧ .

(٢) انظر المصدر السابق ١٠٠. ومحمد ﷺ في التوراة والإنجيل والقرآن ص ١٠٠ والغفران بين الإسلام والمسيحية ، ص ٣٢. والإنجيل والصليب ، ص ١٤. ومحمد في الكتاب المقدس ، ص ١٥٨ .

العهد الجديد في فترة من الفترات، على حين كانت هناك كتابات أخرى وردت في القائمة الحالية للعهد الجديد كانت مستبعدة في تلك القرون[1] .

وإذا كانت الكنيسة تعتقد أنها حفظت الأصل الإنجيلي الرسولي - كما تسميه - لهذه الأناجيل الأربعة؛ فإن هؤلاء المهتدين قد أكدوا على أن المخطوطات القديمة للأناجيل معدومة، وأن النسخ الخطية الموجودة الآن ترجع إلى القرن الرابع الميلادي، كما أن في العالم الآن أكثر من أربعة آلاف مخطوطة للعهد الجديد كلها كتبت بعد القرن الرابع الميلادي، وبين هذه النسخ الخطية اختلاف كثير في مواضع جسيمة، ولا يمكن الاعتماد عليها وهي بهذا التنافر والتضاد، ومن المحال الوصول إلى النص الأصلي لها[2] .

ويتفق كل من المهتدي بوكاي وإبراهيم خليل على أن كتبة الأناجيل الأربعة اعتمدوا على أربعة مصادر مختلفة عند كتابتهم لهذه الأناجيل، وأن هذه الوثائق أو المصادر التي اعتمدوا عليها لم تؤد إلى تحرير النصوص التحرير النهائي لهذه الأناجيل الشائعة اليوم، بل بينها وبين التحرير النهائي توجد تآليف وسيطة خاصة بكل إنجيل، وتلك الوسائط الأربع هي التي أدت إلى الصيغ النهائية للأناجيل الأربعة، وفي نفس

(١) انظر القرآن والتوراة والإنجيل والعلم ، ص ١٠٠ . والغفران بين الإسلام والمسيحية ، ص ٣٢ - ٣٣ .
(٢) انظر المصدر السابق ، ص ٢٠ - ٢١ . التوراة والإنجيل والقرآن والعلم ، ص ١٠٠ ، ١٠٣ . ومحمد ﷺ في التوراة والإنجيل والقرآن، ص ١٤٤ .

الوقت اُعْتمـد على هذه الوثائق في كتـابة أناجيل أخـرى غيـر هذه الأربعة.[1]

بعـد أن تناولت في الأسطر الماضيـة كـتابة العـهـد الجـديد بشكل مجمل، وبما أن العهد الجديد يشكل ـ في اعتقاد النصارى ـ الرسالة الإلهية التي بلّغها المسيح عليه السلام إلى أمته، وحيث إن العهد الجديد بأسفاره المتعددة لم يكتبه رجل واحد، بل تعدد الكتبة كما تعددت المصادر التي اعتمد عليها هؤلاء الكتبة؛ فإنه ينبغي أن أستعرض أقوال هؤلاء المهتدين في هؤلاء الإنجيليين على وجه التفصيل، بعد أن استعرضت كتاباتهم على وجه الإجمال :ـ

متى وإنجيله :ـ

يعتقد قدماء النصارى أن متى كاتب الإنجيل من الحواريين، وكان موظفاً تابعاً للضرائب أو الجمارك بكفر ناحوم. لكن من تطرق من هؤلاء المهتدين إلى كتابة العهد الجديد لا يوافقون على ذلك؛ إذ يرى المهتدي بوكاي أنه لا يوجد في عصرنا هذا من يعتقد هذا الاعتقاد. والذي تدل عليه القرائن أن هذا الإنجيلي كاتب يهودي لحماً وعظماً، ولا يمكن الوصول إلى اليقين بشأن اسمه، ولكن من الممكن أن نستنتج بعض صفاته من خلال كتابه، وهي أنه متبحر في الكتب المقدسة والتراث اليهودي، وأنه استاذ في فن التدريس، وأنه لم يستطع أن يتخلى عن

(١) انظر المصدر السابق ، ص ١٤٦ .والغفران بين الإسلام والمسيحية ، ص ٢١٤ . والقرآن والتوراة والإنجيل والعلم ، ص ٩٣ – ٩٧ .

يهوديته؛ فلا تزال آثارها بادية في كتابه، وهذه الصفات المذكورة لا تنطبق على موظف الجمارك الذي يدّعي أنه أحد حواريي المسيح عليه السلام.[1]

وشكك المهتدي إبراهيم خليل في نسبة هذا الإنجيل إلى متى الحواري ـ موظف الضرائب ـ ويرى أنه من المحتمل أن يكون أتباعه أو تلامذته هم الذين صنّفوا أقواله في هذا الإنجيل[2]. أما المهتدي الترجمان فيرى أن متى لم يدرك عيسى ولا رآه قط إلا في العام الذي رفع فيه إلى السماء[3]. بينما ذكر المهتدي الطبري أن متى من حواريي المسيح عليه السلام[4]. والذي تسنده الحجج والأدلة هو ماذهب إليه المهتدي بوكاي؛ لأنه قدّم من البراهين ما تطمئن إليه النفس، بالإضافة إلى اعتماده في ذلك على دراسات حديثة صدرت عن بعض أحبار النصارى في الغرب ممن اعتمدوا على تحليل النصوص ومقابلتها على أصولها.

أما تأريخ تدوين هذا الإنجيل : فيرى الترجمان أنه دوّن بعد رفع المسيح إلى السماء ولم يحدد التأريخ[5]. بينما يرى المهتدي الهاشمي وإبراهيم خليل أنه دوّن ما بين عامي ٨٥ ـ ٩٠ م[6]. بينما يخالف

(١) انظر المصدر السابق ، ص ٨٠ – ٨١ .
(٢) انظر محمد ﷺ في التوراة والإنجيل والقرآن، ص ١٤٥ .
(٣) انظر تحفة الأريب ، ص ١٠١ .
(٤) انظر الدين والدولة ، ص ١٩١ .
(٥) انظر تحفة الأريب ، ١٠١ .
(٦) انظر سر إسلامي ، ص ٤٣ . ومحمد ﷺ في التوراة والإنجيل والقرآن، ص ١٤٥ .

الجميع المهتدي بوكاي معتمداً على الترجمة المسكونية للعهد الجديد؛ إذ يقرر أنه لم تظهر الكتابات الإنجيلية إلا بعد عام ١٤٠ م [١] .

وكما اختلفت الأقوال في اسمه، وفى تأريخ تأليفه؛ فقد اختلفت ـ أيضاً ـ في الموضع الذي تم تدوينه فيه، فقيل إنه كتب في سوريا، أو ربما بأنطاكية، أو بفينيقيا، بل ربما بالإسكندرية[٢] .

الهدف من تأليفه: كتب متى إنجيله ليثبت أن المسيح عليه السلام يكمل تأريخ إسرائيل، وكان سبيله إلى تحقيق ذلك أنه دائماً يستشهد بفقرات من العهد القديم تشير إلى أن المسيح عليه السلام يتصرف كالمسيح الذي ينتظره اليهود، وأن هذا الإنجيل يعتبر إنجيل طائفة يهودية نصرانية تحاول أن تقطع العلاقات التي تربطها باليهودية مع الاحتفاظ ـ في نفس الوقت ـ بالتوافق مع مسار العهد القديم[٣] .

منهجه : أما المنهج الذي سار عليه في إعداد هذا الكتاب فيتضح من خلال السمات التالية :ـ

١ ـ أنه اعتمد في كتابته على مصادر مشتركة بينه وبين مرقس ولوقا، ولكن روايته لما ينقله تختلف في نقاط جوهرية عن صاحبيه مرقس ولوقا .

(١) انظر القرآن والتوراة والإنجيل والعلم ، ص ٩٨ .
(٢) انظر المصدر السابق ، ص ٨١ . وتحفة الأريب ، ص ١٠٣ .
(٣) انظر محمد ﷺ في التوراة والإنجيل ، ص ١٤٥ . والقرآن والتوراة والإنجيل والعلم ص ٧٩ – ٨٠ .

٢ ـ سمح لنفسه بحرية كبيرة إزاء نصوص العهد القديم، وكمثال على ذلك أنه حذف بعض أنساب المسيح عليه السلام [١] .

٣ ـ لا يبالي ولا يكترث في أن تقع التناقضات في كتابه، كما أنه غير دقيق فيما ينقله أو يقتبسه[٢] .

٤ ـ كان حريصاً في صياغته لهذا الإنجيل على أن يحقق الغرض الذي سعى من أجله إلى تأليفه وهو هداية فرقته؛ لذلك تعمّد الإكثار من ذكر المعجزات التي تنسب إلى المسيح عليه السلام ـ وإن لم تقع ـ حتى يثبت من خلالها أن نبوات العهد القديم قد تحققت فيه [٣] .

المآخذ على هذا الإنجيل : يؤخذ عليه أنه أورد فيه قصصاً خيالية مزورة، يستحيل تصديقها: كقصة قيام المسيح من قبره، وقصة حراس القبر، وحادثة تزلزل الأرض عندما أسلم المسيح الروح بعد صلبه ـ في زعمهم ـ وقيام القديسين من قبورهم عند موت المسيح قبل يوم السبت، ولم يخرجوا منها إلا غداة السبت، وكذلك ادعاء متى أن المسيح وعد تلاميذه أنه سيمكث في الأرض ثلاثة أيام وثلاث ليال، ومن خلال سياق

---

(١) انظر المصدر السابق ، ص ٨٢ ، ١١١ . وما أصل الإنسان ، ص ١٧٢ . والغفران بين الإسلام والمسيحية، ص ١٦ . وسر إسلامي ، ص ٤٣.

(٢) انظر محمد في الكتاب المقدس ، ص ١١٦ .

(٣) انظر محمد ﷺ في التوراة والإنجيل والقرآن ص ١٤٥ .

متى لهذه الحادثة يتبين أنه لم يمكث في الأرض سوى ليلتين ـ في زعمهم ـ كما أنه عبث بتسلسل نسب المسيح عليه السلام[1].

مرقس وإنجيله :ـ

الاعتقاد الشائع عن مرقس أنه كان مترجماً لبطرس، وكان هناك من يقول: إنه أحد الحواريين؛ بناء على أنه ورد في إنجيله حكاية الشاب الذي كان يلبس إزاراً، ولما حاول الجنود الإمساك به في حادثة صلب المسيح ـ كما يزعمون ـ هرب عرياناً. وقد استنتج البعض أن هذا الشاب الذي حاول أن يتبع المسيح هو كاتب إنجيل مرقس.

ويعترض من تطرق من هؤلاء المهتدين إلى كتابة العهد الجديد على هذا الاعتقاد الشائع، إذ يرى المهتدى الترجمان: أن مرقس لم يدخل في دين النصرانية إلا بعد رفع المسيح؛ إذ تنصر على يد بطرس، وأخذ عنه الإنجيل في مدينة روما[2]. ويؤكد المهتدي الهاشمي أنه لم يولد في زمن المسيح[3]. أما المهتدي بوكاي فإنه يؤكد أن المعلومات المتعلقة بهذه الشخصية نادرة جداً، مما اضطر المعلقين على العهد الجديد إلى أن يعتمدوا على تفاصيل وهمية، ويعتقدون أنها ذات قيمة، ولم يستطع بوكاي أن يحدد الملامح العامة لهذه الشخصية[4]. وينقل المهتدي إبراهيم

---

(١) انظر القرآن والتوراة والإنجيل والعلم، ص ٨٢ - ٨٣ - ، ٩٩. وتحفة الأريب، ص ١١٧، ٢١٢. ومحمد في الكتاب المقدس، ص ١٠٩. والمسيح إنسان أم إله، ص ١٣٥.

(٢) انظر تحفة الأريب، ص ١١١ - ١١٢.

(٣) انظر سر إسلامي، ص ٤٣.

(٤) انظر القرآن والتوراة والإنجيل والعلم، ص ٨٤.

خليل قول دائرة المعارف الفرنسية وقاموس الكتاب المقدس:(أن مؤلف إنجيل مرقس هو بولس[1]).

تأريخ تدوينه : يتفق كل من المهتدي الهاشمي وإبراهيم خليل وبوكاي على أنه أقدم الأناجيل الأربعة؛ إذ تم تدوينه بين عامي ٦٥ـ٧٠م. أما المهتدي الترجمان فقد أغفل التأريخ[2] .

مكان تدوينه: من المرجح أنه تم تدوينه في مدينة روما[3]. ولم يذكر هؤلاء المهتدون الغاية من تأليفه، عدا إبراهيم خليل أحمد فقد ذكر أنه صاغ تعاليم المسيح لتتواءم مع حاجة معاصريه[4] .

منهجه:

تبدو عدد من النقاط السلبية في منهجه، ولعل من أبرزها :ـ

١ ـ أنه يفتقر إلى التجردً فيما يطرحه من قضايا ومسائل.

٢ ـ أنه حرر كتابه دون أدني اهتمام بالتعاقب الزمنى للأحداث .

٣ ـ يظهر من هذا الكتاب أن مؤلفه كاتب غير حاذق، ويتميز عن بقية كتاب الأناجيل بأنه أكثرهم ابتذالاً في طرحه، كما أنه لا يعرف أن يحرر حكاية كاملة .

(١) انظر محمد ﷺ في التوراة والإنجيل والقرآن، ١٥٠ .

(٢) انظر المصدر السابق ، ص ١٤٥ . وسر إسلامى ، ص ٤٣ . والقرآن والتوراة والإنجيل والعلم ، ص ٨٥. وتحفة الأريب ، ص ١١٢ .

(٣) انظر المصدر السابق ، ص ١١٢ . والقرآن والتوراة والإنجيل والعلم ، ص ٨٥. ومحمد ﷺ في التوراة والإنجيل والقرآن، ص ١٤٥ .

(٤) انظر الغفران بين الإسلام والمسيحية ، ص ١٥ .

٤ ـ التناقض الفاضح بينه وبين متى ولوقا؛ إذ أورد على لسان المسيح ما يفيد أنه لن يقدم لأمته أي آية. بينما أورد متى ولوقا عدداً من الآيات التي قدمها المسيح عليه السلام للبرهنة على صدق رسالته[١] .

أما المصدر الذي اعتمد عليه في تدوينه لهذا الكتاب فقيل : إنه الروايات الشفهية التي تلقاها من تلاميذ المسيح أو من أتباعهم[٢]. بينما يخالف هذا الاتجاه كل من المهتدي الترجمان وإبراهيم خليل إذ يرون أن مرقس اعتمد على بطرس في كتابة إنجيله[٣] .

المآخذ على هذا الإنجيل :ـ

١ ـ تعترف الترجمة المسكونية للعهد الجديد أن خاتمة هذا الإنجيل ـ وهي الإصحاح السادس عشر الفقرات ٩ ـ٢٠ ـ ليست من كتابة مؤلفه الأول، وهي غير موجودة في أقدم مخطوطتين لهذا الكتاب واللتين يرجع تأريخهما إلى القرن الرابع الميلادي[٤]. ويعلق أحد أحبار النصارى على هذا النقص قائلاً: (لا بد أنه قد حدث حذف للآيات الأخيرة عند الاستقبال

(١) انظر المصدر السابق ، ص ١٥ . والقرآن والتوراة والإنجيل والعلم ، ص ٨٧ .
(٢) انظر سر إسلامي ، ص ٤٣ .
(٣) انظر تحفة الأريب ، ص ١١٢ . ومحمد ﷺ في التوراة والإنجيل والقرآن، ص ١٤٥ .
(٤) انظر المصدر السابق ، ص ١٥٩ ، ١٩٣ . والقرآن والتوراة والإنجيل والعلم ، ص ٨٦ .

الرسمى، أو عند النشر على العامة لكتاب مرقس في الجماعة التي ضمنته. ولا متى ولا لوقا ولا يوحنا ـ بالأحرى ـ قد عرفوا هذا الجزء المفقود. مع ذلك فقد كانت الفجوة لا تحتمل، وبعد ذلك بكثير، وبعد أن جرت بين الأيدي الكتابات المتشابهة لمتى ولوقا ويوحنا؛ تم توليف خاتمة محترمة لمرقس، وذلك بالاستعانة بعناصر من هنا ومن هناك لدى المبشرين الآخرين[1]) .

٢ ـ التناقض مع الأناجيل الأخرى، وسوء الصياغة، وركاكة الأسلوب[2] .

لوقا وإنجيله :ـ

يعتقد النصارى أن لوقا هو الطبيب الذي تحدث عنه بولس، ومقدمة إنجيله تؤكد ـ بشكل قاطع ـ أنه لم يكن من الحواريين، وأنه لم يكتب بإلهام أو وحي؛ وإنما كتب رغبة في مشاكلة من سبقه .

والحقيقة أنه كان وثنياً ثم تنصر على يد بولس بعد رفع المسيح عليه السلام، وليس بصحيح أنه هو الطبيب الذي يذكره بولس في رسائله؛ لأن القائلين بهذا الرأي يستندون إلى أنه وصف في إنجيله بعض الأمراض وصفاً دقيقاً. ولكن المعلومات المتعلقة بالأمراض التي وردت في إنجيله

---

(١) المصدر السابق ، ص ٨٦ .

(٢) انظر المصدر السابق ، ص ٨٥ .

ليست متعمقة في هذا المجال، وإنما يستخدمها ـ في الغالب ـ أي مثقف في عصره .

ولا يملك أي من هؤلاء المهتدين أو المعلقين النصارى معلومات يقينية بشأن هذه الشخصية، ويجزم المهتدي بوكاي ـ مستنداً على رأي أحد أحبار النصارى ـ: بأن الكاتب الذي كتب إنجيل لوقا كاتب روائي حقيقي[1] .

تأريخ تدوينه : يرى كل من المهتدي بوكاي وإبراهيم خليل: أن تأريخ تدوينه يمكن تحديده فيما بين ٨٠ ـ ٩٠ م[2]. أما المهتدي الهاشمي فيميل إلى أنه دوّن في أوائل القرن الثاني الميلادي[3]. ولم أجد من هؤلاء من ذكر مكان تأليفه سوى المهتدي إبراهيم خليل حيث ذكر أنه دون في مكان ما باليونان[4] .

وقد أوضح لوقا في مقدمة إنجيله أنه يرغب في تنسيق الروايات السابقة عن المسيح عليه السلام، والتوفيق بينها، والاستدلال منها على أن ما بشر به هو الصواب، ولقد صاغ هذه التعاليم والروايات وفق تعاليم بولس الوثنية، وكان هدفه من وراء هذه الكتابة دعوة غير اليهود. ويتضح موقفه

---

(١) انظر المصدر السابق ، ص ٧٨. وتحفة الأريب ، ص ١٠٧ . ومحمد ﷺ في التوراة والإنجيل، ص ١٤٦ .
(٢) انظر القرآن والتوراة والإنجيل والعلم ، ص ٨٨. والغفران بين الإسلام والمسيحية ، ص١٧ .
(٣) انظر سر إسلامي ، ص ٤٣ .
(٤) الغفران بين الإسلام والمسيحية ، ص ١٧ .

من اليهود ومقته لهم من خلال كتابه؛ إذ كثيراً ما يحذف الفقرات المتعلقة باليهود، والتى أوردها كل من مرقس ومتى، ويبرز كلمات المسيح عليه السلام في مواجهة كفر اليهود، ويبرز علاقة المسيح عليه السلام بالسامريين الذين يمقتهم اليهود[1] .

منهجه :

١ ـ إخضاع النصوص والروايات التي وقعت بين يديه لتأييد اتجاهه الفكري، وصياغتها وفق ما تملي عليه رغباته .

٢ ـ أنه اعتمد في كتابة كتابه على إنجيل متى ومرقس، كما أنه اعتمد ـ أيضاً ـ على ثلاث وثائق مفقودة، اثنتان منها مطابقة لما استخدمه متى، والثالثة وثيقة خاصة به .

٣ ـ يتناقض المؤلف مع نفسه؛ إذ يورد في إنجيله أن صعود المسيح عليه السلام تمّ في يوم الفصح، ويحدد في سفر الأعمال ـ وهو كاتبه أيضاً ـ تأريخ صعود المسيح بعد ذلك اليوم بأربعين يوماً، كما أنه يتناقض مع كل من متى ومرقس[2] .

---

(١) انظر المصدر السابق ، ص ١٧ . ومحمد ﷺ في التوراة والإنجيل. ص ١٤٥ - ١٤٦ ، والقرآن والتوراة و الإنجيل والعلم ، ص ٨٧ - ٨٩ .

(٢) انظر المصدر السابق ، ص ٨٨ - ٨٩. ومحمد في الكتاب المقدس ، ص ١٤٨. ومحمد ﷺ في التوراة والإنجيل والقرآن، ص ١٤٥ - ١٤٦ . والغفران بين الإسلام والمسيحية ، ص ١٧. وسر إسلامي ، ص ٤٤. وما أصل الإنسان ، ص ١٥٧ .

المآخذ عليه :

١ ـ حسب نسخة «البشيتا» لا يحتوي إنجيل لوقا على الفقرات ١٧ـ١٩ من الإصحاح الثاني والعشرين، وكذلك لا يوجد لدى النصارى النساطرة ما يسمى بالكلمات الأساسية المتعلقة بالقربان المقدس[١] .

٢ ـ التناقض بين إنجيل لوقا وسفر أعمال الرسل، وهما من تأليف رجل واحد، وكذلك التناقض بينه وبين متى ومرقس ومع ذلك يدّعى أنها كتبت بالإلهام، أو بالإرشاد من الروح القدس .

يوحنا وإنجيله :ـ

يعتقد النصارى أن كاتب الإنجيل الرابع هو التلميذ القريب من المسيح عليه السلام ابن زبيد أو ابن زبدي الصياد .

وبتفحص أقوال هؤلاء المهتدين عن هذا الكتاب وكاتبه؛ نجد أنهم لا يسلمون هذا الزعم، فلئن ذهب المهتدي الترجمان إلى أن الكاتب هو يوحنا الحواري[٢] . فقد خالفه غيره، إذ ذهب المهتدي عبد الأحد داود ـ ووافقه على ذلك كل من المهتدي بوكاي وإبراهيم خليل ـ إلى أنه من المستحيل التصديق بأن يوحنا الحواري هو كاتب هذا الإنجيل؛ لأن المؤلف الحقيقي ملّم بتعاليم الفيلسوف اليهودي «فيلون»، ومن غير المعقول أن

---

(١) انظر محمد في الكتاب المقدس ، ص ١٥٢ .

(٢) تحفة الأريب ، ص ١١٣ ، ١٦٢ .

يكون الرجل الموصوف بأنه صياد سمك ـ محيط بهذه الفلسفة البعيدة كل البعد عن إمكانية ذلك الرجل الصياد[1] .

ويذهب المهتدي إبراهيم خليل ـ معتمداً على قاموس الكتاب المقدس، والموسوعة الفرنسية ـ إلى أن مؤلف هذا الإنجيل هو بولس[2] .

أما المهتدي الهاشمي فلا يعير الاعتقاد الشائع أدنى اهتمام حيث قال عن إنجيل يوحنا:(كتب جزء منه في أوائل القرن الثاني، ولكنه لم يتم إلا في فترات متأخرة[3]) . وقد أيده على ذلك المهتدي بوكاي حيث ذكر أن هذا النص المنشور ينتمي لأكثر من كاتب[4].

تأريخ تدوينه : يذكر المهتدي إبراهيم خليل أن هذا الكتاب دوّن في أوائل القرن الثاني الميلادي، في الفترة ١١٠ ـ ١١٥ م. أما المهتدي الهاشمي فيذكر أنه لم يدوّن دفعة واحدة؛ وإنما كتب جزء منه في أوائل القرن الثاني ثم استكمل في فترات متأخرة، ولم يحدد زمن هذه الفترات. ولكن بوكاي يرجح أن كل الأناجيل ـ عدا إنجيل مرقس ـ لم تظهر إلا بعد عام ١٤٠م. أما المهتدي عبد الأحد فيؤكد أن الكنائس لم تعرف الإنجيل الرابع إلا في القرن الرابع بعد مجمع نيقية المنعقد عام ٣٢٥ م[5].

---

(١) انظر محمد في الكتاب المقدس ، ص ٢٠٨ . ومحمد ﷺ في التوراة والإنجيل والقرآن، ص ١٤٦ . والقرآن والتوراة والإنجيل والعلم ، ص ٩١ .

(٢) انظر محمد ﷺ في التوراة والإنجيل والقرآن، ص ١٥٠ .

(٣) انظر سر إسلامي ، ص ٤٤ .

(٤) القرآن والتوراة والإنجيل والعلم ، ص ٩١ .

(٥) انظر الغفران بين الإسلام والمسيحية ، ص ١٨ . والقرآن والتوراة والإنجيل والعلم ، ص ٩٨ . ومحمد في الكتاب المقدس، ص ١٦٠ .

مكان تدوينه : ذكر المهتدي الترجمان أن هذا الإنجيل تم تأليفه في مدينة سوس. ويخالفه المهتدي إبراهيم خليل فيذكر أنه دون في مدينة أفسس[1] .

الغاية من تأليفه: هي تصوير المسيح عليه السلام من وجهة نظر وثنية؛ تحقيقاً للاعتقاد فيه بأنه خالق العالم، ومنقذ البشرية. وهذا الإنجيل هو الوحيد الذي تضمن القول بألوهية المسيح عليه السلام [2].

منهجه : يعتبر هذا الإنجيل آخر الأناجيل الأربعة تأليفاً، مما أتاح لمؤلفه استعراض الروايات الواردة لدى الكتبة الآخرين، ثم الاختيار من هذه الروايات ما يؤيد دعواه بشكل صريح. وهذا الكتاب يحتوي على روايات غير واردة في الأناجيل الثلاثة الأخرى، كما أنه أغفل كثيراً من الروايات التي أوردها أصحابه، والذي يثير الدهشة هو أن هذا الفيلسوف يسرد حادثة العشاء الأخير سرداً موجزاً ـ وهو الحدث الهام في الديانة النصرانية ـ ولم يقف عنده أو يتأمله،كما أنه سلك في تأليفه لهذا الكتاب مسلك تحوير بعض الروايات السابقة وصياغتها بصيغة جديدة ليحقق منها المرامي التي ألف لأجلها هذا الإنجيل، وخير شاهد على ذلك روايته لحادثة ظهور المسيح عليه السلام لتلامذته على بحيرة طبرية بعد قيامه من بين

---

(١) انظر تحفة الأريب ، ص ١١٥ . والغفران بين الإسلام والمسيحية ، ١٨ .

(٢) انظر محمد ﷺ في التوراة والإنجيل والقرآن، ص ١٤٦ ، والقرآن والتوراة والإنجيل والعلم ، ص ٩١ . ومحمد في الكتاب المقدس ، ٢١٠ .

الأموات[1] ـ كما زعموا ـ ، وهي نفسها رواية لوقا لمعجزة صيد السمك التي وقعت في حياة المسيح عليه السلام[2]. وقد أشار لوقا في روايته لهذه الحادثة إلى وجود يوحنا الحواري ضمن من شاهد المعجزة مما سهل على من جاء بعده أن يضيف اسم يوحنا الحواري إلى الإنجيل الرابع، وإذا علمنا أن الإصحاح (٢١) يعتبر مضافاً إلى هذا الإنجيل، وليس من عمل مؤلفه الأول؛ سهل علينا إدراك كيفية تحويل النص من حدثٍ وقع في حياة المسيح إلى حدثٍ وقع بعد وفاته وبعثته ـ حسب زعمهم ـ[3].

المآخذ

١ ـ ذكر كل من المهتدي بوكاي والهاشمي أن هذا الإنجيل يتضمن عدداً من الفقرات التي لم تكن من كتابة كاتبه الأصلي، بل أضيفت إليه فيما بعد، ولعل من أبرزها الإصحاح الحادي والعشرين كاملاً والإصحاح الرابع الفقرات ٤ ، ٤٤، والإصحاح السابع الفقرات ٥٣ إلى الإصحاح الثامن الفقرة ١١[4].

---

(١) يوحنا ٢١ : ١ -١٤ .

(٢) لوقا ٥ : ١ - ١١ .

(٣) انظر القرآن والتوراة والإنجيل والعلم ، ص ٩١ - ٩٢ ، ١١٨ - ١١٩. والغفران بين الإسلام والمسيحية، ص ١٧ - ١٩. ومحمد ﷺ في التوراة والإنجيل ، ص ١٤٦. ومحمد في الكتاب المقدس، ص ١٥٨ .

(٤) انظر القرآن والتوراة والإنجيل والعلم ، ص ٩١. وسر إسلامي ، ص ٤٤ .

٢ ـ أنه انفـرد بذكـر روايات لم يوردها الإنجـيليـون الآخـرون وترك روايات أخرى وردت لديهم .

٣ ـ أنه كان يختار من الروايات ما يناسب اعتقاده، ويصوغ روايات أخرى صياغة مخالفة لما وردت عليه أصلاً لدى الكتاب الآخرين؛ حتى تكون مؤيدة لمشربه، وشاهدة ومؤكدة لما يدعو إليه.

٤ ـ أن العشاء الأخير للمسيح الذي تم فيه طقس القربان المقدس ـ كما زعموا ـ الذي يعتبر الدعامة الهامة في الاعتقاد االنصراني ـ يرد في هذا الإنجيل وقد افتقد كثيراً من مقوماته التي وردت لدى الكتبة الآخرين، في حين أنه أضاف إليه أشياء أخرى لم تكن واردة لديهم .

٥ ـ التناقض بينه وبين الأناجيل الأخرى .

٦ ـ الشك في نسبة هذا المؤلف إلى مؤلفه، كما أنه ليس من تأليف شخص واحد[1] .

بولس ورسائله :ـ

لقد كان بولس رجلاً يهودياً متعصباً ضد المسيح وأتباعه، ولقي منه تلاميذ المسيح العنت الكثير، ثم تنصر على يد «أنانيا» بعد رفع المسيح

(١) انظر محمد في الكتاب المقدس ، ص ١٥٨ . ومحمد ﷺ في التوراة والإنجيل والقرآن ، ص ١٤٦ . والقرآن والتوراة والإنجيل والعلم ، ص ٩١ - ٩٣.

عليه السلام؛ فهو لم يدركه ولا رآه في حياته[1]. وكان الذي دفعه إلى هذا التحول أنه سعى للقضاء على المسيحية في مهدها بالقتل والتشريد لأتباعها؛ فلما لم تفلح مساعيه؛ لجأ إلى الحيلة وهي ادعاء اعتناق النصرانية؛ حتى يوهم التلاميذ والأتباع بأنه منهم، وقد عبر نحو هذا الادعاء المراحل التالية :ـ

١ ـ التهجم على الحواريين بالنيل منهم .

٢ـ ادعى أن مايتحدث به تلقاه من المسيح عليه السلام مباشرة عن طريق الإلهام والرؤيا.

٣ ـ تشكيك الناس في اعتقادهم بأن عيسى عليه السلام رسول الله .

٤ ـ ادعى أنه رسول مكلف من قبل المسيح ثم من قبل الله بإبلاغ ما يدعو إليه .

٥ ـ قارن نفسه بالحواريين، وأنه مماثل لهم، ثم ادعى بعد ذلك أنه أفضل منهم .

٦ ـ جعل لنفسه مرتبة أعلى من مرتبة المسيح عليه السلام؛ لأن رسالة المسيح خاصة لبني إسرائيل، أما رسالته فهي عامة لكل الأمم.[2].

ويصف المهتدي الترجمان بولس بأنه :(كان أكبر أعداء النصرانية[3])

---

(١) انظر المصدر السابق ، ص ٧٣. وتحفة الأريب ، ص ١٠٧ – ١١١. ومحمد في الكتاب المقدس ، ص٦١. والله واحد أم ثالوث ، ص ٥٠. والمنارات الساطعة ، ص ٨٧ .

(٢) انظر المصدر السابق ، ص ٨٧ – ٩١ .

(٣) تحفة الأريب ، ص ١٠٩ .

كما يصفه المهتدي بوكاي بأنه خائن لفكر[1] المسيح عليه السلام، وبأنه العدو المتآمر على المسيحية [2]. وينعته المهتدي عبد الأحد داود :(بأنه فعل كل ما بوسعه كي يضلل ويفسد النصارى[3]).

تأريخ تدوينه لرسائله :ـ ذكر بوكاي أن بولس كتب رسالته إلى أهل «تسالونيكي»عام ٥٠م . ويتفق عبد الأحد داود مع بوكاي في أن بقية الرسائل ظهرت إلى حيز الوجود قبل الأناجيل [4].

الغاية من كتاباته : كان الهدف من اعتناقه النصرانية هو القضاء عليها ـ وهذا أحد أساليب اليهود في زعزعة الأديان ـ فمن الطبعي أن يكون الهدف الأول من كتاباته إلغاء تعاليم المسيح عليه السلام، واستبدال التعاليم التي يريدها بها، وبعد تنصره وجد أن هناك جماعات كثيرة من الوثنيين آمنوا بالمسيح عليه السلام؛ فاقترح عليهم ، بل أحلهم من كثير من تعاليم المسيحية الحقيقية كالوحدانية والطهارة والختان...

واستمراراً لهذا التنازلات التي قدمها للوثنيين؛ اتهم شريعة المسيح عليه السلام بأنها سبب لإحياء الخطيئة، ثم ادعى أن المسيح عليه السلام أبطل الشريعة، وأقام بدلاً منها العناية والتوفيق، حيث يقول :(فإن الخطيئة لن

---

(١) لي تحفظ على هذه العبارة ، وهي اطلاق مصطلح « الفكر » على الرسالات الإلهية ، إذ أنها ليست فكراً ، بل هي وحي من الله وتسميتها «فكر» غض من شأنها وتطاول على مصدرها .
(٢) انظر القرآن والتوراة والإنجيل والعلم ، ص ٧١ ، ٧٣ .
(٣) محمد في الكتاب المقدس ، ص ٦١ .
(٤) الإنجيل والصليب ، ص ١٥ . والقرآن والتوراة والإنجيل والعلم ، ص ٧٣ ، ٩٨ .

تسودكم؛ لأنكم لستم تحت الشريعة، بل أنتم تحت العناية[1]) وعند ذلك تنبه إلى أن هذا الادعاء سيعرضه للتهمة بالضلال فقال: (إن كل الأنبياء والصالحين لم يتبرروا بالشريعة؛ بل تبرروا بالإيمان فقط) .

وباختصار فإن تعليم بولس ينصب في غاية واحدة هي أن دم المسيح صار كفارة اعتق العالم وخلصه من لعنة الشريعة ومن أسرها، إذ يقول: (المسيح صار لعنة لأجلنا؛ إذ خلصنا من لعنة الشريعة[2]) . وهذه الكتابات ـ رغم مخالفتها للحق ـ قد انتشرت؛ لأنها لاقت هوى في نفس الإمبراطورية الرومانية الوثنية[3] . ويؤكد بوكاي أنه لو لم تظهر كتابات بولس في عالم النصرانية؛ لما ظهرت في ساحة الديانة النصرانية الكتابات الخصامية التي أصبحت الميزة الظاهرة لكتاباتها[4] .

المآخذ :ـ

١ ـ لعل من أبرز المآخذ على كتابات بولس أنها غيرت وجهة الديانة المسيحية من ديانة موحدة إلى ديانة كافرة، مما نتج عنه أن صبغت الكتابات التي جاءت بعده بهذه الصبغة .

٢ ـ أن رسائله تغص بالعقائد الباطلة المتناقضة [5] .

---

(١) رسالة بولس إلى أهل رومية ٦ : ١٤ .

(٢) رسالة بولس إلى أهل غلاطية : ٣ : ١٣ . وانظر الإنجيل والصليب، ص ١٦٢ – ١٧٠ . والقرآن والتوراة والإنجيل والعلم ، ص ٧١.

(٣) انظر محمد ﷺ في التوراة والإنجيل والقرآن ، ص ١٥٠ .

(٤) انظر القرآن والتوراة والإنجيل والعلم، ص ٧٣ .

(٥) انظر محمد في الكتاب المقدس ، ص ٦١ .

٣ ـ أن كتابات بولس كانت سبباً في ضلال النصرانية؛ لأنه كان يعتبر أن الشريعة هي التي تميت العبد وتحيي فيه الخطيئة[١] ..

ليست هذه المآخذ على هذه الكتابات هي كل ما فيها؛ وإنما دونت ههنا المآخذ التي تؤخذ عليها على اعتبار أنها كتابات مؤلفة لهدف معين، لا أنها كتابات يدعي فيها أنها كتبت بالوحي والإلهام. وستأتي المآخذ المتعلقة بالتحريف والتناقض وفساد الغاية في الصفحات التالية ـ إن شاء الله ـ .

ولسائل يسأل: لماذا تعددت الكتابات النصرانية، وتعدد مؤلفوها؟ وكيف حررت هذه الكتب؟ وما هو الطابع العام لهذه الكتابات؟! ...

ويجيب هؤلاء المهتدون على هذه التساؤلات بالنقاط التالية :ـ

١ ـ أن كل واحد من الكتبة حرر كتابه ليتلاءم مع أهدافه الشخصية وحسب وجهة نظره الخاصة[٢] .

٢ ـ حدث شقاق بين الفرق النصرانية في عصورها الأولى؛ فظهر في كل فرقة من يكتب لها كتاب دينها حسب ما تعتقده فرقته، فلذلك انطبعت هذه الكتابات بأنها كتابات ظرفية خصامية، ولذلك تعددت[٣] .

---

(١) انظر الإنجيل والصليب ، ص ١٦٤ .

(٢) انظر القرآن والتوراة والإنجيل والعلم ، ص ٧٨. والغفران بين الإسلام والمسيحية ، ص ١٥ .

(٣) انظر القرآن والتوراة والإنجيل والعلم ، ص ٧٨ ، ١٣١ . ومحمد في الكتاب المقدس ، ص ١٠٤ . والغفران بين الإسلام والمسيحية ، ص ١٩ . والنصيحة الإيمانية ، ص ١٣٥ . ومحمد ﷺ في التوراة والإنجيل والقرآن، ص ٣١ .

٣ ـ أن هذه الكتب تعرضت لما تعرضت له الذاكرة من النسيان والتبديل[١] .

٤ ـ افتقد كتابها الأمانة عند تدوينها، ودونت حسب الهوى[٢] .

٥ ـ أن هذه الكتابات تماثل ما يروى عن الوثنيين؛ لأنها لم تكتب لتقرير ما نقل عن المسيح عليه السلام، بل لإثبات عقائد حدثت في حياة النصارى بعد زمن متأخر عن المسيح عليه السلام[٣] .

٦ ـ خلال الحقبة الزمنية الطويلة التي مرت بالعهد الجديد كانت تضاف إليه هوامش جانبية؛ لدفع اعتراض، أو لتوضيح أمر غامض، أو لنفي أمر محتمل، أو لغير ذلك من الأسباب، وبعد فترة من الزمن دخلت هذه الهوامش في صلب الكتاب. وهذا يتفق مع ما استنتجه هؤلاء المهتدون من أن بعض إصحاحات وفقرات العهد الجديد ليست من تأليف الكاتب الأول؛ ولكنها مضافة إلى النسخ الأصلية[٤] .

وبعد هذا الاستعراض السريع لكتّاب العهد الجديد وكتاباتهم؛ نستخلص النتائج التالية ـ

---

(١) انظر المصدر السابق ، ص ١٤٧ .

(٢) انظر الغفران بين الإسلام والمسيحية ، ص ٢٠ .

(٣) انظر محمد ﷺ في التوراة والإنجيل والقرآن ، ص ١٤٧ .

(٤) انظر المصدر السابق ، ص ١٤٧ ، ١٥٣ .والقرآن والتوراة والإنجيل والعلم ،ص ٦٨ ,٧٣ ، ٨٧ – ٨٨، ١٠٢ – ١٠٣ . والإنجيل.والصليب، ص ٦٦ ، ١٦٠ . ومحمد في الكتاب المقدس ١٠٤ ، ٢٠٧ . والغفران بين الإسلام والمسيحية ١٥ ، ١٩ ، ٢٠ .

١ ـ الجهالة التامة في معرفة أصحابها، والشك في نسبتها إليهم، ولا يملك أي واحـد من المعلقين أو الشـراح للعـهـد الجـديد أية معلومات حقيقية عن أسمائهم أو بلدانهم، أو تأريخ تدوينهم لهذه الرسائل؛ وإنما يستندون على تخرصات وهمية ينون عليها نتائج يقينية فى ظنهم، وما بني على وهم فهو وهم أيضاً .

٢ ـ البعد الزمني بينهم وبين عهد الرسالة حيث لم يثبت لأي واحد منهم أنه تلقى عن المسيح عليه السلام ما بشر به، وتعترف الترجمة المسـكونية للعهد الجديد: (أنه لا توجد ـ على أي حال ـ أي شهادة تقول بوجود مجموعات من الكتابات الإنجيلية قبل عام١٤٠م[1])

٣ ـ الجهل بالتأريخ الحقيقي الذي تم تدوين هذه الكتابات فيه .

٤ ـ الجهل بالأماكن التي تمت فيها كتابة هذه المدونات .

٥ ـ أن بعض هؤلاء الكتبة كان كافراً حين رفع المسيح عليه السلام كما هو حال مرقس ولوقا ويوحنا وبولس .

٦ ـ ثبت أن بعض هذه الأناجيل تنسب لأكثر من كاتب، كما أن بعضها يشتمل على إصحاحات وفقرات ألحقت بالكتاب بعد تدوينه لأول مرة .

---

(١) القرآن والتوراة والإنجيل والعلم ، ص ٧٥ .

٧ ـ أنه مضى عليها قرابة أربعة قرون ولم تأخذ صفتها الرسمية الكنسية، أي أنها ظلت أربعة قرون ولم يُعترف بها ككتابات معتمدة، ولا يستبعد أنه جرى عليها في هذه الفترة كثير من التحريف والتبديل؛ لأنها لم تأخذ بعد الصفة الشرعية .

٨ ـ اشتمل متن هذه الكتب على كثير من التناقضات والعقائد الباطلة الكافرة، مما يؤكد عدم كتابتها بإلهام .

٩ ـ فساد الغاية التي ألفت من أجلها هذه الكتب؛ لأنها كتبت لأجل :(أن تتكيف مع مختلف الأوساط، وتستجيب لاحتياجات الكنائس، وتعبر عن تأمل في الكتاب المقدس، وتصحح الأخطاء، وترد على حجج الخصوم، بهذا الشكل جمع ودّون المبشرون ـ أي كتّاب الأناجيل ـ وحرروا ـ كل حسب وجهة نظره الخاصة ـ ما أعطتهم إياه الأقوال المتوارثة الشفهية[١]) . ويحدد أحد أحبار النصارى ـ وهوكانينجسر ـ الغاية التي ألفت من أجلها الأناجيل بقوله:(لا يجب الأخذ بحرفية الأناجيل؛ فهي كتابات ظرفية خصامية حدد محرروها كتابة تراث جماعاتهم عن المسيح[٢]) .

---

(١) المصدر السابق ، ص ٧٧ . نقلاً عن الترجمة المسكونية للعهد الجديد .

(٢) المصدر السابق ، ص ٧٨ .

١٠ ـ تبدو عملية التأليف القسرى بين الروايات التي اشتملت عليها هذه الكتب من محاولة تجميع أقوال المسيح، وربط الروايات بصيغ غامضة مثل «وبعد هذا» و«ما أن» مما يكشف للقاريء أنه لم تتم صياغتها النهائية في أول مرة دوّنت فيها .

١١ ـ التناقض بين دعوى المجمع المسكوني الثاني للفاتيكان الذي يدعي لها العصمة، وأنها كتبت بتأثير الوحي والإلهام. وبين ما تقرره الترجمة المسكونية للعهد الجديد من أن هذه الكتابات كتابات ظرفية خصامية .

١٢ ـ أنها غيّرت وجهة الديانة المسيحية من ديانة إسلامية موحدة إلى ديانة وثنية مثلثة كافرة .

١٣ ـ أن هذه الكتابات سارت بالأمة النصرانية إلى الوراء، وهذه غاية حتمية لكل أمة تتخلى عن الوحدانية وتستبدل بها الوثنية، يوضح ذلك المهتدي عبد الأحد داود بقوله:(إن الكتب الإنجيلية ـ مع الأسف ـ قد استعاضت عن أن تسوق البشر إلى الرقي إلى الإنقلاب الديني، إلى التكامل في دين موسى، بأن سارت بهم القهقري فرجعوا إلى الوراء، فبعد أن مات الإسكندر والقياصرة والرومانيون واليونانيون القدماء الكفار الوثنيون؛ إذا بإله اللاتين واليونان والكاثوليك والأرثوذكس الجديد ـ قد تجسّد في هيئة طفل يهودي وأكل وشرب وتاجر، وبعد أن تعلم صناعة النجارة،

صلب وقتل من قبل اليهود، ثم صار يؤكل ويشرب كل يوم في جميع الكنائس والمعابد[1] .

١٤ ـ شهادة كبرائهم بالتحريف والتناقض.

وبهذه النقاط السابقة يتحقق فساد المتن وتهافته، وكتاب انقطع سنده، وفسد متنه فلا تنتظر منه أن يحقق سعادة في حياة البشر، ولا فوزاً في الدار الآخرة .

المطلب الثالث: تحريف العهد الجديد :ـ

إن الطريقة التي تمت بها كتابة العهد الجديد، والتى افتقرت إلى سلامة المتن، وتواصل السند؛ تثبت أن هذا الكتاب لم يكتب بإلهام، وحينئذ تثبت نسبته إلى البشر، وإذا ثبت انتسابه إلى البشر فهو مطبوع بطابعهم من الضعف والنقص والجهالة والهوي... وهذا وحده كاف لإثبات تحريفه. ولكن الأدلة والشواهد التي قدمها هؤلاء المهتدون لإثبات هذا الأمر ـ التحريف ـ تفرض نفسها مما يستلزم استعراضها وبسطها في هذه العجالة السريعة. ويمكن أن تقسم هذه الأدلة والشواهد إلى ثلاثة أقسام، وهي كالتالي :ـ

(٢) الإنجيل والصليب ، ص ٦٦ .

أ ـ التحريف والكذب :ـ

١ ـ جاء في إنجيل متى أن الشيطان حاول إغواء المسيح عليه السلام ثلاث مرات: الأولى: أمر الشيطانُ المسيح أن يسأل الله سبحانه وتعالى أن يحول الحجارة خبزاً. والثانية: طلب منه أن يلقي بنفسه من رأس جبل. والثالثة : طلب منه الشيطان أن يسجد له [١]. وهذا النص كذب كله؛ لأن الله سبحانه وتعالى عصم أولياءه وأنبياءه من كيد الشيطان ومكره قال تعالى : ﴿إن عبادي ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من الغاوين[٢] ﴾وقال تعالى : ﴿إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون[٣]﴾. وشهد الشيطان بعجزه عن مخاتلتهم والكيد لهم كما أخبر الله سبحانه وتعالى عنه أنه قال: ﴿قال رب بما أغويتني لأزينن لهم في الأرض ولأغوينهم أجمعين. إلا عبادك منهم المخلصين[٤]﴾. وقال أيضاً كما أخبر الله عنه:﴿قال فبعزتك لأغوينهم أجمعين . إلا عبادك منهم المخلصين[٥]﴾.

---

(١) انظر النصيحة الإيمانية ، ص ٩٢. وتحفة الأريب ، ص ١٩١. ومحمد ﷺ في التوراة والإنجيل ، ص ١٢٦ . والمسيح إنسان أم إله ، ص ١٩٣ ، ومتى ٤ : ١ - ١٠ .

(٢) سورة الحجر ، الآية ٤٢ .

(٣) سورة النحل ، الآية ٩٩ .

(٤) سورة الحجر ، الآيتان ٣٩ - ٤٠ .

(٥) سورة ص ، الآيتان ٨٢ ، ٨٣ .

٢ ـ جاء في إنجيل متى تصوير حال الكون عند موت المسيح عليه السلام ـ كما يزعمون ـ وهو قوله:(وإذا حجاب الهيكل قد انشق إلى اثنين من فوق إلى أسفل، والأرض تزلزلت، والصخور تشققت، والقبور تفتحت، وقام كثير من أجساد القديسين الراقدين، وخرجوا من القبور بعد قيامته، ودخلوا المدينة المقدسة وظهروا لكثيرين). قال بوكاي : (وليس لهذه الفقرة من إنجيل متى مثيل في الأناجيل الأخرى، ولا نرى كيف استطاعت أجساد القديسين المعنيين أن تقوم عند موت المسيح ـ أي قبل يوم السبت كما تقول الأناجيل ـ وألا تخرج من قبورها إلا بعد قيامة عيسى، أي غداة السبت[1]) .

٣ ـ انفرد بطرس بذكر دخول المسيح عليه السلام إلى الجحيم ثلاثة أيام، وذلك لغرض إنقاذ من فيها من الأنبياء والأولياء!!. وهذا الخبر أو الحدث غاب عن جميع الكتبة فلم يضمنوه كتبهم، وإذا كان الجميع قد كتب بإلهام وبإرشاد من الروح القدس فلماذا انفرد بطرس بذكر هذا الخبر الهام؟ ولماذا لم يلهم الروح القدس بقية الكتبة هذا الخبر كما ألهم بطرس؟![2] .

---

(١) القرآن والتوراة والإنجيل والعلم ، ص ٨٢ – ٨٣. وانظر المسيح إنسان أم إله ، ص ١٣٤ – ١٣٥. ومتى ٢٧ : ٥١ – ٥٣ .

(٢) انظر الإنجيل والصليب ، ص ١٧ .

٤ ـ جاء في إنجيل متى في الإصحاح التاسع عشر أن المسيح عليه السلام قال للأعميين اللذين شفاهما :(لا يعلم أحد). وفي إنجيل مرقس الإصحاح الثامن: أنه قال للأعمى الذي شفاه : (اذهب إلى بيتك، وإن دخلت القرية فلا تقل لأحد). وفي إنجيل مرقس ـ أيضاً ـ في الإصحاح الخامس أن المسيح عليه السلام: لما أقام الميتة أمرهم بأن لا يعلم أحد. وفي إنجيل مرقس ـ أيضاً ـ الإصحاح السابع أن المسيح لما شفى الأخرس والأطرش أوصاهم أن لا يقولوا لأحد شيئاً[1].

وهذه الأخبار عن هذه الحوادث شاهدة ومؤكدة على أنها لم تكتب بإلهام؛ لأن هذا مخالف للشرع والعقل، أما مخالفته للعقل فمن غير الممكن أن يكون الرجل ميتاً أو أعمى أو أخرساً ثم يرد إلى الحياة، أو يشفى من مرضه ويطلب منه أن لا يخبر بذلك أحداً، لأن هذا الأمر يدرك بالحس دون إخبار ممن قام به هذا الأمر.

أما مخالفته للشرع؛ فلأن الأنبياء يقيمون الآيات ـ بعد أن يأذن الله بها ـ لأتباعهم ليؤمنوا بها وليزدادوا إيماناً مع إيمانهم، وعندما يطلب صاحب المعجزة التكتم على معجزته فهذا يدعو إلى الريبة فيه وفي صدق دعوته، ولم ينقل عن نبي من الأنبياء أنه أقام للناس آية ثم طلب منهم التكتم عليها .

---

(١) انظر البحث الصريح ، ورقة ١٥٤ ، ١٥٦ .

٥ ـ أن الأناجيل نسبت إلى المسيح عليه السلام عقوق والدته، ثم لم يكتفوا بذلك بل جعلوه من أولاد فارص، وفارص هذا ابن زنا كما صرح بذلك سفر التكوين [١].

٦ ـ ورد في متى الإصحاح الحادى والعشرين أن المسيح عليه السلام أدركه الجوع فرأى وهو يمشي شجرة تين فقصدها ليأكل منها؛ فلما لم يجد فيها ثمراً ـ لأنه لم يكن فصل التين ـ دعا عليها فيبست في الحال. ودلالة هذا التحريف في هذا النص أنه يلتمس التين في أشجار الناس في غير وقته، وهذا لا يفعله الصبية المجانين. ثم إن هذا الفعل مجاف للعدل فكيف ينسب إلى المسيح عليه السلام، ثم إن هذه الشجرة إما أن تكون مباحة لكل أحد، وإما أن تكون مملوكة لرجل معين. فإن كانت مباحة لكل أحد فلا يمكن أن يدعو عليها فتنقطع منفعة الناس منها، والمسيح وجميع الأنبياء جبلوا على رحمة الخلق والشفقة عليهم، وهذا العمل مناف لذلك. وإما أن تكون مملوكة فلا يمكن أن يأكل منها المسيح وهو لم يستأذن صاحبها مع ما عرف عنه من زهد وورع وتقى [٢].

---

(١) انظر المنارات الساطعة ، ص ٩٥. ومتى ١ : ٣ . والتكوين ٣٨ : ١٦ . ٣٩ .

(٢) انظر تحفة الأريب ، ص ٢٣٦-٢٣٨. والبحث الصريح، ورقة ١٦٥ - ١٦٦. ومتى ٢١. ومرقس ١١ .

وفي هذه القصة تناقض بين مرقس ومتى لأن التينة حسب رواية متى يبست في الحال. بينما حسب رواية مرقس لم تيبس إلا في صباح الغد.

٧ ـ أوردت الأناجيل الثلاثة متى ومرقس ولوقا النصوص المتعلقة بتأسيس القربان المقدس عندهم في أثناء العشاء الأخير للمسيح مع الحواريين. بينما يخلو إنجيل يوحنا من ذكر حادثة تأسيس القربان المذكور، ويقول المهتدي بوكاي :(إذا أردنا التفكير بموضوعية فإن أول ما يرد على الخاطر ـ على افتراض أن رواية الأناجيل الثلاثة صحيحة ـ هو فرض ضياع هذه الفقرة من إنجيل يوحنا الذي يسرد نفس الحدث[1]) .

٨ ـ جاء في إنجيل متى الإصحاح السابع عشر أن الفريسيين قالوا للمسيح عليه السلام: هل يحل للإنسان أن يطلق امرأته على أقل مسألة؟. فقال لهم: أما قرأتم في التوراة أن الذي خلق الذكر والأنثى قال: من أجل المرأة يترك الإنسان أباه وأمه ويجتمع بزوجته، ويكونان لحمة واحدة . قال المهتدي الترجمان معلقاً على هذا النص:(وهذا كذب على عيسى وعلى التوراة؛ فإن هذا الكلام ما قاله تبارك وتعالى، ولكن حكته الكتب النبوية عن آدم عليه السلام... وحاشا عيسى أن ينسب هذا إلى التوراة وهو كان

(١) القرآن والتوراة والإنجيل والعلم ، ص ١١٨ . وانظر تحفة الأريب ، ص ١٦٢ . ومحمد في الكتاب المقدس، ص ١٥٨ .

يحفظ التوراة والإنجيل معاً، فما يقول إلا ما قال الله فيهما. ولكن كذب عليه متى في هذا القول، وأصحابه الثلاثة لم يقولوه[1]) .

٩ ـ ويدل على التحريف ـ أيضاً ـ العزو المخالف للحقيقة، فقد قال متى في الإصحاح السابع والعشرين:(حينئذ تمّ ما قيل في إرميا النبي: وأخذوا الثلاثين الفضة ثمن المثمن الذي أثمنه بنو إسرائيل وجعلوها في حقل الفخار كما أمرني الرب) . وهذه الشهادة التي ذكرها متى ليست في إرميا؛ بل هي في زكريا في الإصحاح الحادى عشر. ويقول المهتدي الشيخ زيادة:(فالحاكم العاقل له أن يحكم في ثلاثة وجوه: إما بعدم معرفة متى الإنجيلي، أو أنه ما أدرك إن كان إرميا كتبها أو زكريا، أو بتحريف هذه الشهادة في إنجيله، وإما أن قلماً آخر غيّر موضعها في التوراة[2]) .

ومن هذا العزو المخالف ما نسبه مرقس في إنجيله الإصحاح الأول إلى إشعياء أنه قال: (إني بعثت ملكي أمام وجهك) وهذا الكلام لا يوجد في إشعياء؛ وإنما هو في ملاخي[3]. قال المهتدي الترجمان معلقاً على هذا

---

(١) تحفة الأريب ، ص ٢٣١ - ٢٣٣ .

(٢) البحث الصريح ، ورقة ١٦٠ . والحقيقة أن هذه أربعة وجوه .

(٣) انظر تحفة الأريب ، ص ١١٦ - ١١٧ . ومحمد في الكتاب المقدس، ص ١١٧ . ومرقس ١ . وملاخي٣ . وقد حرف نص مرقس فى الطبعة التى بين يدي إلى العبارة التالية (كما هو مكتوب في كتب الأنبياء). ولعلهم تنبهوا إلى هذا المأخذ فعدل النص ، وهذا من الكذب ، لأنه لم يرد هذا إلا عند ملاخي ، فكيف يكون مكتوباً في كتب الأنبياء ؟ وهو لم يكتب إلا فى كتاب واحد منهم .

العـزو الكاذب:(وهذا من أقـبح الكذب على أنبـيـاء الله؛ حـيث يسند لأحدهم ما ليس في كتابه[1]) .

١٠ ـ يؤكـد المهتـدي الترجمـان أن إنجيل يوحنا اشتـمل على ثلاثة نصوص كلها كذب، وهذه النصوص هي :ـ

أ ـ ما جاء في الإصحاح الخامس منه أن المسيح عليه السلام قال لليهـود: حقاً أقول لكم إن الابن لا يقدر أن يعمل أو يصنع إلا ما رأى أباه يصنعه. ومن المعلوم بالضرورة أن المسيح أكل وشرب ونام وتعب ، والمسيح عليه السلام لم ير الله سبحانه وتعالى يعمل شيئاً من ذلك. وعيسى عليه السلام لم يقل شيئاً من ذلك[2] .

وهذا يناقض ما جاء في إنجيل يوحنا من قول المسيح ـ كما يرويه يوحنا ـ (ليس أن أحـداً رأى الأب[3]) ويناقـــض ـ أيضـاً ـ مـا جـاء عن بولس وهو قـوله :(لم يره أحـد من الناس، ولا يقدر أن يراه[4]) .

ب ـ ما ورد في الإصحـاح السـابع عـشر منه أن المسيح عليـه السـلام تضـرع إلى الله قبل موته وقـال: (يا إلهي أنا أعلم

---

(١) تحفة الأريب ، ص ١١٧ .

(٢) انظر المصدر السابق ، ص ٢٢٦ .

(٣) يوحنا ٦ : ٤٧ .

(٤) رسالة بولس إلى تيمو ثاوس ، ٦ : ١٦ .

أنك دائماً تستجيب لي، فأسألك أن تنجي تلاميذي من كل شيء في الدنيا والآخرة). قال الترجمان:(ومعلوم بتواتر النقل عند جميع النصارى أن تلاميذ عيسى عليه السلام أكثرهم مات مقتولاً بالسيف، ثم صلب بعضهم، وسلخ جلد بعضهم، وعذبوا بأنواع العذاب، وحاشا أن يسأل الله رسوله عيسى عليه السلام أن يجنب تلاميذه كل شئ في الدنيا والآخرة ثم تنالهم هذه المثلات، وقبائح الموتات، ويوحنا هو الذي كذب هذه الكذبة على المسيح، وأصحابه الثلاثة لم يقولوا شيئاً منه البتة[1]) .

جـ ـ ما جاء في الإصحاح الخامس عشر منه أن المسيح عليه السلام قال: (لولا أني أتيت من المعجزات بما لم يأت به أحد قبلي؛ ما كانت لهم ذنوب بقلة إيمانهم بي) . قال الترجمان :(وحاشا عيسى أن يقول هذا؛ فإنه يعلم بالضرورة أن موسى عليه السلام أتى بمعجزات كثيرة عظيمة، وكذلك إلياس وإليسع عليهما السلام... فكيف يزعمون أن عيسى قال: أتيت من المعجزات بما لم يأت به أحد قبلي. بل كذب عدو الله يوحنا في هذا، وأصحابه الثلاثة لم ينقلوا شيئاً من ذلك[2]) .

---

(١) تحفة الأريب ، ص ٢٢٧ – ٢٢٩ . ولو صح أن هذا الدعاء قد صدر من المسيح عليه السلام ، فلا دليل في عدم النجاة على عدم الاستجابة .

(٢) المصدر السابق ، ص ٢٢٩ .

١١ ـ جاء في إنجيل متى الإصحاح الثامن والعشرين حكاية حراس قبر المسيح عليه السلام ـ كما زعموا ـ وهي قول متى: (إذ قوم من الحراس جاءوا إلى المدينة وأخبروا رؤساء الكهنة بكل ما كان فاجتمعوا مع الشيوخ وتشاوروا وأعطوا العسكر فضة كثيرة قائلين: قولوا إن التلاميذ أتوا ليلاً وسرقوه ونحن نيام) ويرى بوكاي معتمداً على رأي كانينجسر أن هذه القصة يستحيل تصديقها؛ إذ من غير المعقول أن هؤلاء الحراس العسكريين الوثنيين يذهبون بتقريرهم ليس إلى رؤسائهم الوظيفيين، وإنما يذهبون إلى كبار الكهنة الذين يرشونهم ليقولوا أكاذيب[١]) .

١٢ ـ ما افتراه يوحنا في إنجيله على عيسى عليه السلام أنه قال :(ما يصعد إلى السماء إلا الذي هبط منها) قال المهتدي الترجمان: (وهذا باطل وكذب على عيسى؛ فإن في التوراة أن إدريس وإلياس عليهما السلام صعدا إلى السماء ولم يكونا هبطا منها، بل في الأرض خلقا وعاشا إلى وقت صعودهما[٢]) بل إن واقع المسيح عليه السلام يكذب هذا النص؛ لأنه رفع إلى السماء وهو لم ينزل منها .

١٣ ـ أورد متى في إنجيله الإصحاح الأول حكاية رحلة المجوس الثلاثة الذين جاءوا من المشرق إلى بيت لحم في أيام ولادة

(١) القرآن والتوراة والإنجيل والعلم، ص ٨٢. وانظر محمد ﷺ في التوراة والإنجيل والقرآن، ص ١٦٨.
(٢) تحفة الأريب ، ص ٢٣٣ .

المسيح، وقد كان هناك نجم يوجههم حتى وصلوا إلى المكان الذي وضع فيه الطفل الوليد. ويصف المهتدي عبد الأحد داود هذا الحدث بقوله:(إن المادة المركزة لهذا الحدث التأريخي أو القصة الخيالية للحكماء القادمين من الشرق ـ تمثل أسطورة مقبولة تتألف من أكثر من ست عجائب، وكانت الكنيسة المسيحية وحدها هي القادرة على اختلاقها والإيمان بها) وبعد أن استعرض أحداثها المثيرة قال: (كل ذلك في الواقع أعاجيب مدهشة، لا يمكن أن تستسيغها إلا الخرافات النصرانية[1]) .أما المهتدى الترجمان فبعد أن أورد هذه القصة بكاملها قال : (هذا نص متى في إنجيله، وهو باطل وكذب وزور وبهتان؛ وبيان ذلك أن بيت لحم بينها وبين بيت المقدس خمسة أميال، فلو كان الملك رودس خائفاً من هذا المولود، وباحثاً عنه لسار بذاته مع الثلاثة النفر، أو بعث من ثقاته من ينصحون له في البحث عن المولود على أتم الوجوه، وهذا دليل على كذب متى في هذه الحكاية، وأيضاً فإن لوقا وماركس ويوحنا لم يذكروا شيئاً من هذا في أناجيلهم، ومتى لم يحضر المولد ـ أي مولد المسيح ـ ولكنه نقله من كذاب افتعله على ما نقله(٢) .

---

(١) محمد في الكتاب المقدس ، ص ١٤٥ .

(٢) تحفة الأريب ، ص ١٠٧ .

١٤ ـ وردت في الأناجيل عبارة « ابن الإنسان » ويذكر قاموس الكتاب المقدس أنه يوجد في الأربعة الأناجيل ثمانية وسبعون مثلاً يستخدم فيها المسيح هذه العبارة «ابن الإنسان» عن نفسه[1]. وقد بين المهتدي عبد الأحد داود أن هذه العبارة المقصود بها رسول الله ﷺ، وأن النصارى حرفوا هذا اللفظ وجعلوه مقولاً على المسيح عليه السلام [2] .

١٥ ـ نسبت الأناجيل الثلاثة «متى ومرقس ويوحنا» إلى المسيح عليه السلام إخوة وأخوات، يقول متى مخبراً عما قاله اليهود للمسيح عليه السلام:(أليس هذا ابن النجار؟ أليست أمه تدعى مريم، وإخوته يعقوب ويوسى وسمعان ويهوذا؟ أوليست أخواته جميعهن عندنا[3]) . ويؤكد المهتدي بوكاي أن الكلمتين اليونانيتين المستخدمتين للتعبير عن هذه العلاقة تعني بالفعل إخوة وأخوات. ويرى أنها ترجمة قاصرة لكلمتين من أصل سامي، وتعنيان أقرباء دون زيادة، وربما كان المقصود أيضاً أولاد العمة أو الخالة[4] .

---

(١) قاموس الكتاب المقدس ، نشر مكتبة المشعل ، بيروت ، ط ١٩٨١م ، ص ١٢٤ .

(٢) انظر محمد في الكتاب المقدس ، ص ٢٤٣ - ٢٤٤ ، وانظر الأدلة والبراهين التي قدمها هذا المهتدي على ذلك في هذا البحث ، ص ٥٨٢ .

(٣) متى ١٣ : ٥٥ -٥٦. ومرقس ٦ : ١ - ٦. ويوحنا ٢ : ١٢ ، ٧ : ٣ .

(٤) القرآن والتوراة والإنجيل والعلم ، ص ١٠٥ . ولا يمكن أن تدل هذه الكلمات على أن هذه القرابة من جهة العمة ؛ لأن المسيح عليه السلام ليس له أب مباشر حتى يكون له أبناء عمة .

١٦ ـ ذكر مرقس في إنجيله في الإصحاح الخامس عشر أن عيسى عليه السلام قال وهو على خشبة الصلب : إلهي إلهي لم خذلتني. قال المهتدي الترجمان معلقاً على هذا:(وهذا وإن كان كذباً على عيسى، وحاشا أن يكون الله خذله أو تمكن اليهود من صلبه، وإنما احتججنا على النصارى به؛ لأنهم رضوه من نصوص أناجيلهم، وهم مصدقون به[1]) .

١٧ ـ جاء في إنجيل متى الإصحاح السادس عشر أن المسيح عليه السلام قال لبطرس: (وأعطيك مفاتيح ملكوت السموات، فكل ما تربطه على الأرض يكون مربوطاً في السموات، وكل ما تحله على الأرض يكون محلولاً في السموات). قال المهتدي عبد الأحد داود:(ولا يعرف القديس مرقص ولا القديس لوقا شيئاً عن قوة المفاتيح التي أعطيت لبطرس، وبما أنهما لم يكونا هناك لم يسمعا بذلك[2]) .

١٨ ـ ذكر كل من متى ومرقس ولوقا أن الله تجلّى للمسيح عليه السلام وكلمه قائلاً: هذا ولدى الذي اصطفيته. وأن التلاميذ سمعوا كلامه. قال الترجمان معلقاً على هذا النص:(بل هذا كله من بهتانهم وجرأتهم على الله في الكذب عليه وعلى

(١) تحفة الأريب ، ص ١٩٤ . وانظر المسيح إنسان أم إله ، ص ١٩٨ .
(٢) محمد في الكتاب المقدس ، ص ٢٤٤ . ومتى ١٦ : ١٩ .

رسوله عيسى؛ ومقصودهم بجميع هذه الأكاذيب ترويج لعقائدهم في ألوهية المسيح وكونه ولد الله، تعالى الله عن ذلك، ثم أوقعهم الله ـ بعظيم قدرته وباهر حكمته ـ في التناقض، وتخاذل النقل، وتدافع اللفظ والمعنى، من حيث يشعرون أو لا يشعرون، فعليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين[1]) .

١٩ ـ جاء في الأناجيل الثلاثة «متى ومرقس ولوقا» قوله:(ها أنا أرسل أمام وجهك ملاكي الذي يهيء طريقك قدامك) ويرى المهتدي عبد الأحد داود أن النص الأصلي لهذا النص ورد فيه أن المتكلم هو الله، وأنه يخاطب المؤمنين، ولكن في الترجمات اللاحقة لهذه الأناجيل جعل المتحدث هنا هو الله مخاطباً المسيح، ثم استبدل لفظ الضمير الشخصي للمتكلم وهو قوله: (أمامي). بقوله :(أمامك)؛ حتي يكون هذا النص دالاً على المسيح لا أنه مشير إلى محمد ﷺ[2] .

٢٠ ـ ذكر المهتدي الإسكندراي أن النصارى نسبوا إلى المسيح عليه السلام أنه أحل لهم الميتة والدم ولحم الخنزير. ثم قال:(وحاشا المسيح من ذلك فإنه قال: ماجئت مبطلاً لشريعة موسى عليه السلام؛ بل جئت أكملها . وشريعة موسى حرمت الميتة والدم

(١) تحفة الأريب، ص ٢٢١. ومتى ١٧ : ١ – ٩. ومرقس : ٢ – ١٣. ولوقا : ٩ : ٢٨ – ٣٦ .

(٢) انظر محمد في الكتاب المقدس. ص ١١٧. ومتى ١١ : ١ – ١٥. ومرقس ١ : ٢. ولوقا ٧ : ١٨-٢٨ .

ولحم الخنزير[1]) . وذكر أيضاً أن النصارى نقلوا في أناجيلهم عن المسيح عليه السلام أنه حرم الختان. والختان سنة الأنبياء، وهو مفروض عليهم في التوراة [2]. وقد استبدل النصارى بالختان المعمودية[3] .

٢١ ـ يؤكد المهتدي الترجمان أن حكاية تجلي المسيح عليه السلام لبولس الواردة في الإصحاح التاسع من أعمال الرسل هي من الكذب، بل هي من الخيال المتهافت، حيث يقول: (هذه الحكاية كذب، أو هي من خدع الشيطان[4]) .

٢٢ ـ يورد كل من المهتدى إبراهيم خليل وبوكاي صوراً للكيفية التي تمت من خلالها عملية تحريف كتابهم، وينقل إبراهيم خليل عن مفسرى ذلك الكتاب قولهم:(إن الناسخ في بعض الأحيان قد يضع في النص ما لم يكن فيه، ولكن مايظنه أنه لا بد أن يتضمنه، فهو قد يثق بذاكرة مترددة، أو أنه يجعل النص يتطابق مع وجهات نظر المدرسة التي ينتمي إليها[5]) . أما بوكاي فبعد أن أورد شهادة أحد الآباء النصاري عن الكيفية التي تمت من خلالها صياغة وتأليف خاتمة إنجيل مرقس ـ قال: (ياله من

(١) انظر مسالك النظر في نبوة سيد البشر ، ص ٦٢ . ومتى ٥ .
(٢) انظر مسالك النظر ، ص ٦٢ . وغلاطية ٥ : ٢ -٣ ، ٦ : ١٥ .
(٣) رسالة كولوسي ٢ : ١١ -١٢ .
(٤) تحفة الأريب ، ص ١١٠ .
(٥) الغفران بين الإسلام والمسيحية ، ص ٢٠ .

اعتراف صريح بوجود التعديلات التي قام بها البشر على النصوص المقدسة !! ياله من اعتراف ذلك الذي تقدمه لنا تأملات هذا العلم اللاهوتي الكبير[1]) .

وينقل المهتدي إبراهيم خليل عن أحد علماء النصارى قوله: (إن الكتاب المقدس المتداول حالياً لا يحتوي على التوراة والإنجيل المنزلين، ولقد اعترف علماء باحثون أنفسهم باللمسات البشرية في إعداد هذا الكتاب المقدس[2]) .

ب : تناقض الأناجيل فيما بينها[3] :ـ

التناقض الأول : بين متى ولوقا فيما يتعلق بنسب المسيح عليه السلام، وهذا النسب للمسيح من جهة آبائه معدوم المعنى ؛ إذ ليس له أب ، وكان الأولى أن يكون النسب من جهة أمه مريم عليها السلام، أما التناقض الواقع بينهما في هذا النسب فيمكن استعراضه في النقاط التالية :ـ

١ ـ يورد لوقا أسلاف المسيح عليه السلام إلى آدم، بينما شجرة نسب المسيح عند متى تبدأ بإبراهيم عليه السلام .

---

(١) القرآن والتوراة والإنجيل والعلم ، ص ٨٧ ، وانظر ص ٩٩ ، ١٠٢ ، ١٣١ منه .

(٢) محمد ﷺ في التوراة والإنجيل والقرآن، ص ٣٢ . وانظر ما أورده الهاشمي في كتابه « سر إسلامي » ، ص ٤٤ – ٤٥ عن التحريف من خلال الطبعات الحديثة .

(٣) وغير خاف أن التناقص أثر من آثار التحريف.

٢ ـ اشتملت قائمة أسلاف المسيح عليه السلام عند لوقا على اثنين وأربعين اسماً، بينما هى عند متى سبعة وعشرون اسماً فقط، إذاً فعدد أسلاف المسيح مختلف في الإنجيلين، بالإضافة إلى أن الأسماء مختلفة بينهما .

٣ ـ قسّم متى أسلاف المسيح إلى ثلاث مجموعات ونص على أن كل مجموعة تتكون من أربعة عشر اسماً، بينما المجـــموعة الثالثة ـ من واقع إنجيله ـ لا تحتوي إلا على ثلاثة عشر اسماً فقط، ويعلق بوكاي على هذا التناقض قائلاً:(ولا شك أن نسب المسيح في الأناجيل موضوع قد دفع المعلقين المسيحيين إلى بهلوانيات جدلية متميزة صارخة تكافيء الوهم والهوى عند كل من لوقا ومتى [(١)]) .

التناقض الثاني : بين لوقا وكل من مرقس ومتى في خبر طفولة المسيح عليه السلام؛ إذ يوردها لوقا بتفصيل دقيق، بينما يرويها متى بصورة مغايرة، أما مرقس فإنه لا يذكر عنها أى شيء[(٢)] .

التناقض الثالث : بين الإنجيليين الأربعة في خبر تعميد يوحنا لعيسى ابن مريم عليهما السلام ـ كما زعموا ـ؛ إذ يروي مرقس ولوقا أن المسيح عليه السلام دخل ماء الأردن وتعمّد كأي شخص آخر على يد يحيى. أما

(١) القرآن والتوراة والإنجيل والعلم ، ص ١١٦، وانظر ١٠٤ – ١١٥ منه. والبحث الصريح ، ورقة ٤٣ /ب. وما أصل الإنسان ، ص ١٤٨ ، ١٧٢. والمسيح إنسان أم إله ، ص ٥٦ .

(٢) القرآن والتوراة والإنجيل والعلم ، ص ٨٨ .

متى فإنه لا يقنع بأن يرى عيسى أقل منزلة من يحيى، فيروي على لسان يحيى أنه قال للمسيح: إنني بحاجة لأن أعمّد على يديك، فهل جئت أنت لي ؟ولكن يوحنا يتناسى ذكر تعميد المسيح الذي ذكره الثلاثة من قبله ويبالغ في بيان منزلة المسيح إذ تقوّل على لسان يحيى أنه لما رأى المسيح صاح قائلاً: انظروا هذا حمل الله.[1] تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً .

التناقض الرابع : بين متى ولوقا ويوحنا في موقف يوحنا المعمدان من المسيح عليهما السلام حيث روى يوحنا في الإصحاح الأول من إنجيله أن يوحنا لما رأى المسيح قال: هذا حمل الله. تعالى الله عن ذلك. بينما يؤكد لوقا على أن المعمدان كان ـ وهو لا يزال جنيناً ـ يعرف عيسى ويعبده، وعيسى كان حينئذ صغيراً في رحم أمه. ويخالف الجميع متى في أن يحيى وهو في سجنه لم يكن يعلم بالطبيعة الحقيقية لرسالة المسيح[2] .

التناقض الخامس: بين الإنجيليين الأربعة فيما يتعلق بركوب المسيح عليه السلام على الدابة، إذ يذكر كل من متى ولوقا أنه كان راكباً الدابة[3] . أما مرقس فإنه يقول:(إنه راكب على جحش ابن الدابة[4]) . أما يوحنا فإنه يقول:(إنه راكب على الجحيش ابن الدابة[5]) وبعد أن أورد

(١) انظر محمد في الكتاب المقدس ، ص ١٦٧ . ومتى ٣ . ومرقس ١ . ولوقا ١ . ويوحنا ١ .

(٢) محمد في الكتاب المقدس ، ص ١٦٧ – ١٦٨ . ومتى ١١ . ولوقا ١ . ويوحنا ١ .

(٣) متى٢١ ، ولوقا ١٩ . والطبعة التي بين يدي لإنجيل لوقا ورد فيها : وطرحا ثيابهما على الجحش وأركبا يسوع .

(٤) مرقس ١١ .

(٥) يوحنا ١٢ .

الترجمان هذه النصوص علق قائلاً :(فانظروا ـ رحمكم الله ـ إلى اختلافهم البارد، وكذبهم الظاهر في قولهم : إنه ركب الجحيش ـ وصغره لصغر سنه ـ وما كان كذلك كيف يركبه الإنسان[1] ؟) .

ويستعرض المهتدي عبد الأحد داود نص متى فيما يتعلق بهذه الحادثة[2]، ويقابله بنص لوقا ويقول :(إن مشهداً كهذا سيظهر أقرب إلى الكوميديا منه إلى أبهة الموكب الملكي المهيب، بيد أن لوقا حذر ولم يقع في خطأ متى ، فهل كان هذان المؤلفان يستمدان الإلهام من الروح[3]) .

التناقض السادس : انفرد يوحنا في رواية خبر أول معجزة أظهرها الله على يد المسيح عليه السلام وهي تحويل الماء إلى خمر بعد أن نفدت في الوليمة التي دعي إليها. ولم يذكر هذه الحادثة أصحابه الثلاثة، وكان من المفترض أن تتظافر عليه النقلة؛ لأنها أول معجزة في نظرهم أظهرها لهم للبرهنة على صدق رسالته، قال المهتدي المتطبب معلقاً على هذا الحدث: (فإنهم ـ أي الثلاثة ـ كانوا قد تركوا ذكرها؛ لأنهم غابوا عنها، ولم يكن عندهم من اليقظة والعناية بأمر المسيح وأخباره ما يدعوهم إلى المسألة عنها، وما يؤمنكم أن يكونوا قد غابوا عما هو أعظم وأهم من هذه؟ فكيف يخفي خبر مثل هذه الآية على أمثالهم[4]) ؟ .

---

(١) تحفة الأريب ، ص ٢١٢ – ٢١٤ .

(٢) نص متى في الطبعات الحديثة هكذا . هوذا ملكك يأتيك وديعاً راكباً على أتان وجحش ابن أتان . متى ٢١ : ٥ – ٦ .

(٣) محمد في الكتاب المقدس ، ص ١٠٩ .

(٤) النصيحة الإيمانية ، ص ٨٣. ويوحنا ٢ .

التناقض السابع : بين يوحنا ومتى ومرقس إذ يذكر يوحنا في إنجيله في الإصحاح الخامس: أن المسيح عليه السلام قال لليهود: إن أبي الذي أرسلني هو يشهد لي، ولا سمع قط أحد صوته ولا رآه. وهذا قريب من الحق. ثم خالفه متى في اللفظ والمعنى فقال: إن المسيح طلع على جبل طابور ومعه بيترو وجافصو ويوحنا الحواري فلما استقروا على الجبل ... سمعوا صوت الأب من السماء يقول : هذا ولدي. ثم خالف يوحنا نفسه حيث نفى الرؤية في النص السابق ، ثم أثبتها بقوله مخبرا عن المسيح أنه قال: إن المسيح قال للحواريين: أنتم تعرفون أبي ورأيتموه. وذكر هذا النص أو قريباً منه مرقس. فبين هذه النصوص تناقض ظاهر مؤداه كفر صريح[1].

التناقض الثامن : بين متى ومرقس ولوقا في جزاء الزهد في الدنيا حيث قال مرقس مخبراً عن المسيح أنه قال : من يترك لوجهي داراً أو جناناً أو غير ذلك فإنه يأخذ قدر ما ترك مائة مرة في الدنيا وفي الآخرة الجنة. وقال متى: إنه يأخذ قدر ما ترك مائة مرة وله الجنة. وقال لوقا : إنه يأخذ أكثر مما ترك . فالأول ذكر الجزاء المضاعف في الدنيا ووعده بالجنة، والثاني ذكر الجزاء المضاعف والوعد بالجنة ، ولكنه لم يذكر الدنيا، أما الثالث فإنه أهمل العدد المضاعف ولم يذكر الدنيا ولم يذكر الجنة. وهذا الوعد من المسيح عليه السلام لأتباعه لم يورده يوحنا[2].

---

(١) انظر تحفة الأريب ، ص ٢١٩ - ٢٢٠. ويوحنا ٥ و ١٤. ومتى ١٧. ومرقس ٩ .
(٢) انظر تحفة الأريب، ص٢٣٠. ومرقس ١٠. ومتى ١٩. ولوقا ١٨.

التناقض التاسع : بين مرقس ومتى في آية الأعمى الذي شفاه الله على يد المسيح عليه السلام، إذ يذكر متى أن عيسى عليه السلام لما خرج من أريحا ناداه مكفوفان اثنان ... وأنه فتح أعينهما فصارا يبصران، ووردت هذه الحادثة لدى مرقس وذكر فيها أعمى واحداً فقط. والأناجيل لم تذكر أن المسيح عليه السلام مرّ بهذه البلدة إلا مرة واحدة؛ فكذب متى في كونهما مكفوفين، وكذب مرقس في كونه مكفوفاً وحداً؛ لأن القصة واحدة، فكل من هذين النصين يكذب الآخر[1] .

التناقض العاشر : بين متى ولوقا ويوحنا في خبرهم عن المسيح أنه قال: إن الشيطان أراد فساد يقينكم. ثم قال لبترو ـ أي بطرس ـ أنا رغبت من أبي ألا يجعل للشيطان سبيلاً على فساد يقينك. ثم إن بطرس هذا أنكر المسيحَ عليه السلام في حادثة صلبه ـ كما زعموا ـ وكفر به وارتد عن دينه بعد أيام. فكيف يدعون أن المسيح ابن الله، وأنه معصوم، ثم يخبر تلامذته بأن الشيطان ليس له طريق على إيمانهم، وبالذات بطرس ، ثم يكفر هذا التلميذ؛ وفي هذا وقوع الكذب في خبره، والتناقض في كتابهم[2] .

التناقض الحادي عشر : ناقض متى نفسه في خبره عن المسيح عليه السلام أنه وصف بطرس بأنه صاحب المنزلة العالية؛ إذ أعطاه مفاتيح السموات والأرض!! وبعد هذه الفقرة بفقرات يسيرة وفي نفس الإصحاح

---

(١) انظر تحفة الأريب ، ص ٢٠٨ - ٢٠٩ . والبحث الصريح ، ورقة ١٥٤ . ومتى ٢٠ . ومرقس ١٠ .

(٢) انظر تحفة الأريب ص ٢٢٣ـ٢٢٦ . ولوقا ٢٢ . ومتى ٢٦ . ويوحنا ١٨ .

يصفه المسيح بأنه شيطان حيث يقول له:(اذهب عني يا شيطان، أنت معثرة لي؛ لأنك لا تهتم بما لله، ولكن بما للناس) فتأمل هذا التناقض المريع إذ بعد أن أعطى مفاتيح السموات يصبح شيطاناً لا يهتم بما لله(1)!!.

التناقض الثاني عشر : بين متى ومرقس وذلك أن متى ذكر في إنجيله أن مريم زوجة زبداى جاءت للمسيح عليه السلام وقالت له : أريد منك أن ولديّ الاثنين يجلسان غداً في ملكوتك، أحدهما عن يمينك والآخر عن يسارك. ولكن مرقس أورد هذه القصة بشكل مغاير إذ قال: إن ولدي خالة عيسى ـ وهي امرأة زبداي ـ قالا له: يا معلم نحب منك أن تنعم علينا بما نطلبه منك فقال عيسى: أي شيء تريدان. قالا له: أنعم علينا بأن نجلس أحدنا عن يمينك والآخر عن يسارك في ملكوتك. ويتبين من نص متى أن الأم هي التي طلبت ذلك، بينما هما اللذان سألا المسيح لدى مرقس. ويوحنا ولوقا لم يذكرا هذه الحادثة إطلاقاً(2).

التناقض الثالث عشر : بين متى ومرقس في حكاية وصية المسيح عليه السلام لتلاميذه إذ قال لهم ـ كما يروى متى ـ لا تقتنوا ذهباً ولا فضة ولا نحاساً في مناطقكم ولامزوداً للطريق، ولا ثوبين ولا أحذية ولا عصا؛ لأن الفاعل مستحق طعامه. أما مرقس فكأنه أشفق عليهم أن يمشوا حفاة، وخاف عليهم ـ أيضاً ـ أن يمشوا مجردين من السلاح فأذن لهم

(1) انظر محمد في الكتاب المقدس ، ص ٢٤٥. ومتى ١٦ : ١٧ - ٢٣ .
(2) انظر تحفة الأريب ص ٢١٤-٢١٦. ومتى٢. ومرقس ١٠ .

بلبس النعال وحمل العصا، وأورد هذه الوصية قائلاً: لا تأخذوا شيئاً في الطريق غير عصا فقط، لا خرجاً ولا نحاساً في مناطقكم إلا نعالاً. !! فعلى الوصية حسب الرواية الأولى هم مجردون من كل شيء ، وعلى مقتضاها عند الثاني أُذن لهم بأخذ العصا والنعال[1] .

التناقض الرابع عشر : ناقض متى نفسه في إنجيله في الإصحاح الثالث حيث قال: إن يوحنا يأكل الجراد والعسل. ثم خالف نفسه في الإصحاح الحادي عشر إذ جاء فيه: جاءكم يوحنا لا يأكل ولا يشرب[2].

التناقض الخامس عشر : بين ترجمتي إنجيل لوقا ففي الترجمة اللاتينية عدد الحواريين اثنان وسبعون حوارياً. بينما عددهم في النسخة اليونانية سبعون حوارياً[3] .

التناقض السادس عشر : بين متى ومرقس في خبر سؤال التلاميذ يوحنا عن الصيام، إذ جاء عند متى :(أن تلاميذ يوحنا قالوا للمسيح : لأي شيء نصوم نحن ويصوم الفريزيون وتلاميذك لا يصومون) ؟. وقال مرقس :(إن الكتاب والفريزيون قالوا للمسيح : لأي شيء يصوم تلاميذ يوحنا وتلاميذك يأكلون ويشربون ولا يصومون) ؟. قال المهتدي الترجمان: (وهذا اختلاف ظاهر؛ لأن النص الأول فيه الفريزيون يصومون، وأن السائلين هم تلاميذ يوحنا. والنص الثاني فيه أن الفريزيين هم السائلون

---

(١) انظر البحث الصريح ، ورقة ٤٧ . ومتى ١٠ . ومرقس ٦ .

(٢) انظر تحفة الأريب ، ص ٢١٨ .

(٣) انظر البحث الصريح ورقة ٤٦/أ. ولوقا ١٠ :١٧.

بزيادة يحيى بن زكريا والكتاب معهم ولم يذكروا أنفسهم في صوم ولا إفطار[1]) .

التناقض السابع عشر: بين متى ومرقس ولوقا إذ ينفرد متى بذكر خبر آية يونس التي أشار إليها المسيح عليه السلام، وذلك أن الفريسيين خاطبوا المسيح قائلين : (يا معلم نريد أن نري منك آية. فأجاب المسيح وقال لهم: جيل شرير وفاسق ويطلب آية، ولا تعطي له آية إلا آية يونان النبي، لأنه كما كان يونان في بطن الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليال هكذا يكون ابن الإنسان في قلب الأرض ثلاثة أيام وثلاث ليال) . ويبرز المهتدي بوكاي جانباً من التناقض في هذا النص بقوله:(المسيح يعلن أنه سيظل ببطن الأرض ثلاثة أيام وثلاث ليال، ولكن لوقا ومعه مرقس يحددون موت ودفن المسيح بما قبل يوم السبت بيوم، وهذا بالتأكيد يجعل المكوث بالأرض ثلاثة أيام؛ ولكن هذه الفترة الزمنية لا يمكن أن تحتوي إلا على ليلتين ، وليس ثلاث ليال[2]) .

والتناقض الآخر الذي اشتملت عليه هذه النصوص لدى هؤلاء الثلاثة هو التناقض في حكاية هذه الحادثة؛ إذ يورد متى أن المسيح عليه السلام قال لهم: (ولا تعطى له آية إلا آية يونان النبي كما كان يونان في بطن الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليال هكذا يكون ابن الإنسان في قلب الأرض..)

---

(١) تحفة الأريب ، ص ٢١٦ - ٢١٧ . ومتى ٩ . ومرقس ٢ ، مع أن المهتدي أحال على الإصحاح الخامس من مرقس ؛ ولعل هذا بسبب اختلاف النسخ من زمن إلى آخر .

(٢) القرآن والتوراة والإنجيل والعلم، ص٨٣ ، ٨٥. وانظر البحث الصريح ورقة ٤٦/أ. وتحفة الأريب ص١١٧-١١٩ . ومتى ١٢ : ٣٨ ـ ٤٠ .

أما عند لوقا فإن المسيح قال : (هذا جيل شرير يطلب آية، ولا تعطى له آية إلا آية يونان النبي ؛ لأنه كما كان يونان آية لأهل نينوى كذلك يكون ابن الإنسان آية لهذا الجيل) وخالف الجميع مرقس فأتى بالنفي القاطع وهو قوله :(الحق أقول لكم لن يعطى هذا الجيل آية)[1]. والتناقض ظاهر في رواياتهم لهذه الحادثة ؛ لأن الفريسيين طلبوا من المسيح آية ـ ولم يتكرر هذا الطلب ـ فمتّى ذكر آية يونس وأن المسيح سيمكث في الأرض ثلاثة أيام وثلاث ليال. أما لوقا فذكر أن المسيح أشار إلى آية يونس وأنه ـ أي المسيح ـ سيكون آية لجيله. أما مرقس فنفى أن المسيح قدّم آية. وسلم يوحنا من التناقض في هذا إذ سكت ولم يذكر هذه الحادثة، وكل نص من هذه النصوص يكذب بقيتها ويحكم عليها بالتكاذب والتناقض والتحريف .

التناقض الثامن عشر : بين مرقس وبقية الثلاثة الكتبة، حيث يروي مرقس حدثاً لا يمكن أن يكون قابلاً للتصديق، فضلاً عن أن الأناجيل الثلاثة الأخرى تخالفه، وهذا الحدث هو أن الفريسيين طلبوا من المسيح آية فقال لهم:(لماذا يطلب هذا الجيل آية ؟ الحق أقول لكم لن يعطى هذا الجيل آية) . وما من شك في أن المسيح عليه السلام قدّم عدداً من

(١) متى ١٢ : ٣٨-٤٠ . ومرقس ٨ : ١١-١٢ . ولوقا ١١ : ٣٠ .

الآيات التي تبرهن على صدق رسالته، وقد روى بعضها في إنجيل متى ولوقا ويوحنا[1] .

التناقض التاسع عشر : بين يوحنا ومرقس ومتى في تعيين المسيح عليه السلام للذي يخونه ويدل اليهود عليه، حيث جاءت رواية هذه الواقعة عند يوحنا هكذا: (الذي نعطيه الخبز مصبغاً في المرقة. ثم أعطاه ليهوذا أشكريوط) ـ أي يهوذا الإسخريوطي ـ وجاءت الرواية لدى مرقس هكذا: (إن الذي يصبغ خبزه معي في القصعة هو الذي يخونني) وأوردها متى هكذا:(إن عيسى قال لهم: إن الذي يخونني هو معي في التلاميذ) قال الترجمان معلقاً على هذا التناقض:(وهذا اختلاف بيّن؛ لأن عيسى لم يتكرر منه هذا القول في مجالس حتى يزعموا أنه اختلفت عبارته فيها، وليس معنى قوله متحداً؛ فيكون كل واحد من الأربعة عبّر عن قوله بعبارة من عنده، بل تخصيصه ليهوذا أشكريوط بمناولة الخبز مصبغاً في المرقة يقتضي تعيينه وكشف أمره، وبقية ما نقلوه يدل على أنه أبهم عليهم شأنه، وهذا تناقض دل على الكذب من جميع الأربعة[2]) .

التناقض العشرون : بين الإنجيليين الأربعة في اقتصاص خبر اللحظات الأخيرة من حياة المسيح عليه السلام، ولعل أبرز النقاط التي وقع فيها التناقض في روايتهم لهذه الأحداث المزعومة وهي :ـ

---

(١) انظر القرآن والتوراة والإنجيل والعلم ، ص ٨٦ ، ومرقس ٨ ، ولوقا ٧ ، ومتى ١٢ ، ويوحنا ٢ .

(٢) تحفة الأريب، ص٢٠٨، وانظر ٢٠٦-٢٠٧ منه. ومتى ٢٦ . ومرقس ١٤ . ويوحنا ١٣ .

١ ـ التناقض في تحديد العشاء الأخير للمسيح عليه السلام مع تلاميذه؛ إذ تقول الأناجيل الثلاثة الأولى: إنه حدث في أثناء عيد الفصح. أما الإنجيل الرابع فيذكر أنه وقع قبل عيد الفصح. ويقول المهتدي بوكاي: (عندما ندرك أهمية عيد الفصح في الطقوس اليهودية، والأهمية التي اكتسبها العشاء الذي ودّع فيه المسيح حوارييه، فكيف يمكن تصور أن التراث الذي نقله المبشرون فيما بعد قد نسي زمن هذا العشاء بالنسبة إلى عيد الفصح[1]) .

٢ ـ تختلف رواية الآلام التي صاحبت اللحظات الأخيرة من حياة المسيح عليه السلام فيما بين هذه الأناجيل، وتتبين بشكل خاص بين الأناجيل الثلاثة وبين إنجيل يوحنا، إذ تحتل رواية الآلام والعشاء الأخير للمسيح عند يوحنا مساحة كبيرة تبلغ ضعف المساحة عند كل من مرقس ولوقا، ويزيد يوحنا بمقدار مرة ونصف على نص متى .

٣ ـ ينفرد يوحنا بسرد خطبة طويلة للمسيح عليه السلام وجهها إلى تلاميذه، تحمل في طياتها الوصية والوداع الأخير، وشغلت هذه الخطبة عند يوحنا أربعة إصحاحات من ١٤ ـ ١٧ ، وليس لهذه الخطبة أي أثر لدى الثلاثة الآخرين .

---

(١) القرآن والتوراة والإنجيل والعلم، ص ١١٧.

٤ ـ ينفرد متى ومرقس ولوقا بذكر صلاة المسيح عليه السلام في ضيعة جتسيماني، في حين أن يوحنا لا يشير إلى هذه الصلاة .

٥ ـ انفرد ـ كذلك ـ متى ولوقا ومرقس في إيراد تأسيس القربان المقدس في أثناء العشاء الأخير للمسيح مع تلاميذه، وهذا التأسيس هو تقديس الخبز والخمر، ولا يذكر ذلك يوحنا. بينما يورد تفاصيل تكميلية وإضافية للقربان المقدس كغسل المسيح عليه السلام أقدام التلاميذ، والإشارة إلى خبز الحياة، وهذا مما انفرد به يوحنا [١] .

التناقض الحادي والعشرون : بين مرقس ومتى ويوحنا في رواية حادثة الصليب، إذ يتفق متى ومرقس في أن المسيح عليه السلام لما مثل أمام المحكمة ـ كما يزعمون ـ ووجهت إليه عدد من الأسئلة والتهم كان ساكتاً لا يجيب سوى قوله: أنت تقول. أما يوحنا فقد أورد حديثاً طويلاً للمسيح عليه السلام في هذه الواقعة [٢] .

التناقض الثاني والعشرون : بين متى ولوقا ويوحنا في خبر حامل الصليب، إذ يذكر متى ولوقا أن حامل الصليب رجل قيرواني، حيث يقول متى: (امسكوا سمعان رجلاً قيروانياً كان آتياً من الحقل، ووضعوا عليه الصليب ليحمله) . أما يوحنا فإنه يقرر أن المسيح عليه السلام هو

---

(١) انظر المصدر السابق ، ص ١١٧ – ١٢١ . ومحمد في الكتاب المقدس ، ص ١٥٨ . والنصيحة الإيمانية، ص ٨٤–٨٥ . ومتى ٢٦ . ومرقس ١٤ . ولوقا ١٤ . ويوحنا ١٣ – ١٧ .

(٢) انظر المسيح انسان أم إله ص ١٣١–١٣٣ . ومتى ٢٧ . ومرقس ١٥ . ويوحنا ١٨ .

الذي حمل الصليب بنفسه، إذ يقول: (فأخذوا يسوع ومضوا به، فخرج وهو حامل صليبه[1]) .

التناقض الثالث والعشرون : بين متى ومرقس ولوقا ويوحنا في تصوير موقف المسيح عليه السلام على الصليب ـ كما يزعمون قاتلهم الله ـ إذ نجد أن متى ومرقس يصورانه فزعاً ملهوفاً يتضرع إلى الله ويعاتبه بقوله: إلهي إلهي لماذا تركتني. أما لوقا فإنه يصور المسيح قانعاً راضياً يسأل الله أن يغفر لهؤلاء القتلة؛ لأنهم لا يعلمون. أما يوحنا فإنه يصوره مترقباً كل خطوة نحو الموت كأنها خبر معلوم له، حتى إذا قاربت اللحظات الحرجة قال:«قد أُكمل» كأنها شهادة منه لهم بأنهم أتموا تحقيق ما طلب منهم[2] .

التناقض الرابع والعشرون: بين متى ولوقا في حكاية جانب من فرية الصلب، إذ أورد متى في الإصحاح السابع والعشرين من إنجيله:(أن عيسى صلب معه لصان؛ فكانا يشتمانه في حالة الصلب) . وخالفه لوقا في تصوير موقف اللصين إذ جعل أحدهما يشتم المسيح والآخر يدافع عنه، ويروي لوقا هذا الحدث في إنجيله الإصحاح الثالث والعشرين قائلاً: (إن أحد اللصين هو الذي هزأ بعيسى وقال له: إن كنت المسيح حقاً فخلص نفسك وخلصنا. فزجره اللص الآخر وقال له: ماتخاف الله! وتعلم أن الذي أصابه قد أصابك مثله، وأنت وأنا نستحق مافعل بنا، وهو لا

(١) انظر المسيح إنسان أم إله ، ص ١٣٣ . ومتى ٢٧ . ولوقا ٢٣ . ويوحنا ١٩ .

(٢) انظر المسيح انسان أم إله ١٣٣-١٣٤ . ومتى ٢٧ . ومرقس ١٥ . ولوقا ٢٣ . ويوحنا ١٩ .

يستحق شيئاً. ثم قال للمسيح: يا سيدي اذكرني يوم مجيئك من ملكوتك. فقال له المسيح: أقول حقاً إنك تكون معي في ذلك اليوم في جنة الفردوس). وهذا تناقض ظاهر؛ إذ ذكر متى أن اللصين يسبانه فوجبت لهما النار، أما لوقا فجعل واحداً يسب والآخر يدافع، وأوجب للأخير الجنة؛ والحدث واحد فلا مجال لاحتمال تكرر موقف اللصين، ولكن الكذب يفضح صاحبه[1] .

التناقض الخامس والعشرون : انفرد متى بذكر حادثة خيالية، ادعى أنها وقعت لما أسلم المسيح الروح، وهي تزلزل الأرض، وانشقاق الهيكل، وقيام القديسين من قبورهم[2]. وهذا الحادث بهذه الصورة لو وقع فعلاً لما سكت عنه الآخرون، ولأصبح آية معجزة ترغم أنوف الجاحدين على التصديق به، والإيمان برسالته .

التناقض السادس والعشرون : بين مرقس ولوقا بشأن صعود المسيح عليه السلام، إذ قال مرقس:(إن سيدنا المسيح لما قام من بين الأموات كلّم الحواريين ثم صعد إلى السماء من يومه)[3]. وقال لوقا في إنجيله: (انفصل عنهم المسيح وحمل إلى السماء)[4]. وجاء في أعمال

(١) انظر تحفة الأريب ، ص ٢١٠ – ٢١٢ . والمسيح إنسان أم إله ، ص ١٤٩ . ومحمد في الكتاب المقدس، ص ١٦٨ . ومتى ٢٧ . ولوقا ٢٣ .

(٢) المسيح إنسان أم إله ، ص ١٣٤ – ١٣٥ . والقرآن والتوراة والإنجيل والعلم ، ص ٨٢. ومتى ٢٧ .

(٤) مرقس ١٦ : ١٩ هذا النص حسب رواية المهتدي الترجمان ، بينما الطبعة التى اعتمد عليها المهتدى بوكاي لإنجيل مرقس لم تحدد تاريخ صعوده إذ أثبتت أنه رفع إلى السماء فقط . ولعل هذا من جراء التحريف الذى نزل بهذا الكتاب تلافياً للتناقض الصارخ حينما يحدد التاريخ.

(٤) لوقا ٢٤ : ٥١ .

الرسل :(أن عيسى صعد إلى السماء بعد قيامه من بين الأموات بأربعين يوما)[1]

إذاً إنجيل مرقس يورد هذا الحدث ويؤرخ صعوده في يوم قيامه من بين الأموات. وهذا التحديد جاء في نهاية الإصحاح الأخير من هذا الإنجيل الذي يقول البعض: إنه أضيف إلى هذا الكتاب. أما لوقا في إنجيله فلم يذكر التأريخ ، بينما يذكر في أعمال الرسل ـ والكل يعتقد أنه من تأليفه ـ أن المسيح عليه السلام صعد إلى السماء بعد أربعين يوماً.

هذا الحدث على أهميته في عقيدة النصارى ؛ لأنه يرتبط به تحديد العيد النصراني للصعود، لم يرد تحديد تأريخه في أي إنجيل من الأناجيل الأربعة ـ حسب الطبعات الحديثة ـ في حين أنه لم ترد الإشارة إليه نهائياً في الإنجيل الأول والرابع، وذُكر تحديده في سفر أعمال الرسل فقط[2] .

التناقض السابع والعشرون : بين متى ومرقس ولوقا ويوحنا بشأن الفترة التي استغرقتها رسالة المسيح عليه السلام، فهي عند الثلاثة الأولين استمرت عاماً واحداً، أما عند يوحنا فقد تمتد لأكثر من عامين[3] .

التناقض الثامن والعشرون : في إنجيل متى نفسه إذ نقل عن المسيح عليه السلام نصوصاً تفيد حصر رسالته وقصرها على بني إسرائيل كقوله:

---

(١) أعمال الرسل ١ : ٢ .

(٢) انظر القرآن والتوراة والإنجيل والعلم ، ص ١٢١ – ١٢٣ . وتحفة الأريب ، ص ١١٩ – ١٢٠ .

(٣) انظر القرآن والتوراة والإنجيل والعلم ، ص ٩٣ . والإنجيل والصليب ، ص ٩١ .

(إلى طريق أمم لا تمضوا، وإلي مدينة للسامريين لا تدخلوا، بل بالحرى اذهبوا إلى خراف بيت إسرائيل الضالة). وقوله :(لم أرسل إلا إلى خراف بيت إسرائيل الضالة). ثم بعد ذلك يناقض متى نفسه ؛ رغبة في تعميم رسالة المسيح عليه السلام إلى كل الأمم فيقحم النص التالي في خاتمة إنجيله وهو قوله: (فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم[1]) .

التناقض التاسع والعشرون : بين متى ويوحنا إذ افترى متى وعداً على لسان المسيح عليه السلام وعَدَه لتلامذته فقال لهم :(ها أنا معكم دائم الأوقات إلى انقضاء العالم) وهذا الوعد يكذبه الواقع والشرع والعقل ويناقضه يوحنا؛ لأنه أخبر بمجيء شخص آخر قادم بعده حيث يقول:(وأما متى جاء ذاك روح الحق فهو يرشدكم إلى جميع الحق؛ لأنه لا يتكلم من نفسه) فإذا كان عيسى عليه السلام باق بقاء الزمن فلا داعي لتبشيره بمن يأتي بعده، وإذا بشر بمن يأتي بعده، وأنه يرشدهم إلى كل الحق فلا مبرر لبقائه إلى الأبد[2].

وأخيراً هذا كلام نفيس للمهتدي عبد الأحد داود، أحببت الاستئناس به في ختام هذه التناقضات ينعي فيه على النصارى عقولهم التي قبلت تلك التناقضات واعتقدت مؤداها، ودافعت عنها دفاع المستميت حيث يقول:(ويبدو أن هؤلاء القسس والرعاة واللاهوتيين والمدافعين النصارى

(1) انظر المصدر السابق ، ص ٧١ – ٧٢ ، والقرآن والتوراة والإنجيل والعلم ، ص ٨٠. ومتى ١٠ : ٥ – ٦، ١٥ : ٢٤ ، ٢٨ : ١٩ .

(2) انظر الإنجيل والصليب، ص ٨٧. ومتى ٢٨. ويوحنا ١٦ .

لهم منطقهم الغريب الخاص بهم في الجدل، ولديهم ميل خاص للأمور الغامضة والسخيفة، ومنطقهم لا يعرف التوسط أو تمييز الاصطلاحات أو الفكرة المحددة للألقاب والتسميات التي يستخدمونها، ولديهم ذوق يحسدون عليه في الميل إلى الأقوال المتناقضة التي لا يمكن التوفيق بينها! والتي لا يستطيع أحد غيرهم ابتلاعها كابتلاع البيض المسلوق، فهم قادرون على الاعتقاد دون تردد أن مريم كانت عذراء وزوجة في وقت معاً، وأن يوسف كان القرين والزوج، وأن جيمس «يعقوب» ويوسى وسمعان ويهوذا كانوا أبناء عمومة وإخواناً لعيسى في الوقت عينه، وأن عيسى إله كامل وبشر كامل، وأن ابن الله وابن الإنسان والحمل وابن داود كلها تشير إلى الشخص نفسه، وهم يتغذون بتعاليم متنوعة تمثلها هذه الاصطلاحات ... وهم يعبدون المصلوب، ويعبدون الله تعالى، كما لو كانوا يقبّلون الخنجر الدامي لقاتل أخيهم في حضرة أبيهم)[1] .

وبعد هذا الاستعراض لصور من تحريف الأناجيل وتناقضها وتكاذبها؛ يحسن أن استعرض شهادة المجمع المسكوني الثاني للفاتيكان في دستوره العقائدي عن التنزيل الذي أُعِدّ فيما بين عامي ١٩٦٢ـ١٩٦٥م التي تقول :(لا يغفل أي إنسان عن أن من بين كل الكتب المقدسة ـ بل حتى كتب العهد الجديد ـ كان هناك مايتمتع عن حق بالامتياز مثل الأناجيل باعتبار أنها تكون شهادة حقيقية عن حياة ودروس الكلمة

(١) محمد في الكتاب المقدس ، ص ٢٣١ .

المجسدة ـ أى منقذنا ـ فدائماً وفي كل مكان حفظت الكنيسة وما زالت الأصل الرسولي للأناجيل الأربعة ، والواقع أن ذلك هو الذي دعا إليه الرسل بأمر المسيح، فقد نقلوا إلينا أنفسهم والناس الذين كانوا يحيطون بهم، وبتأثير من الوحي الإلهى للروح كتابات هي أساس الإيمان، ونعني الإنجيل المربع متى ومرقس ولوقا ويوحنا [1]) . فهل بعد هذا التحريف والتناقض والكذب البيّن يدّعي أنها كتبت بإلهام، ولو صدرت هذه الشهادة في زمن النصرانية الغابر لوجد لها عذراً؛ أما أن تصدر في هذا العصر الذي شهد كثيراً من الاكتشافات العلمية والمخطوطات الأثرية والتدفق العلمي الذي ينقض هذه الشهادة من أصلها؛ فلا عذر لهم في هذا، ولكنني على يقين أن من أعد هذا الدستور على علم بهذه التحريفات والتناقضات، ولكنه أصدر هذا البيان؛ رغبة في إضفاء هالة من المديح على هذا الكتاب المتهافت تحجب الأنظار عن رؤية عواره .

وينقض هذ الدستور ـ بالإضافة إلى ما قدمت من أدلة ـ شهادة الترجمة المسكونية للعهد الجديد في قولها عن الأناجيل :(إنها نصوص تتكيف مع مختلف الأوساط، وتستجيب لاحتياجات الكنائس ، وتعبر عن تأمل في الكتاب المقدس، وتصحح الأخطاء، وترد بهذه المناسبة على حجج الخصوم، بهذا الشكل جمع المبشرون ـ أي كتبة الأناجيل ـ كل

(١) نقلاً عن القرآن والتوراة والإنجيل والعلم ، ص ٧٨ .

بحسب وجهة نظره ما قد أعطتهم إياه الأقوال المتوارثة الشفهية [1] .

جـ ـ التناقض بين العهد القديم والعهد الجديد :ـ

يعتبر العهد الجديد هو الامتداد الطبعي للعهد القديم، وبناء على ذلك كان من المفترض أن يتفقا ولا يختلفا؛ لأن المصدر الذي يعتمدان عليه واحد وهو الوحي ـ في زعمهم ـ والأحداث التي تحدثا عنها واختلفا فيها واحدة، فلماذا حصل التناقض والاختلاف ؟ .

إن التناقض والاختلاف نتيجة حتمية للكتابات المدفوعة بالهوى، والمسبوقة بالغاية الفاسدة، وهذه التناقضات بين العهدين كثيرة جداً، ولعل من أبرزها ما رقمه هؤلاء المهتدون في أبحاثهم ودراساتهم وهي ما يلي:ـ

التناقض الأول : بين سفر الأيام الأول وإنجيل متى فيما يتعلق بنسب المسيح عليه السلام حيث انقص متى ثلاثة أسماء بين داود والمسيح عليهما السلام، وتتضح صورة التناقض بينهما من خلال الجدول التالي :

النسب حسب سفر الأيام	النسب حسب إنجيل متى
يهوشافاط	يهوشافاط
يورام	يورام
أخزيا	....
يوآش	....

(١) الترجمة المسكونية للعهد الجديد نقلاً عن المصدر السابق ، ص ٧٧ .

أمصيا	....
عزريا	عزيا
يوثام	يوثام

فتبين من هذا الجدول أن متى قد انقص أخزيا، ويوآش، وأمصيا. كما أنه حُرِّف اسم عزريا[1] .

التناقض الثاني : بين متى وسفر الأيام الأول فيما يتعلق ـ أيضاً ـ بأنساب المسيح عليه السلام، وفيما يلي جدول بهذه الأسماء التي وقع الخلاف فيها بينهم :ـ

النسب حسب سفر الأيام	النسب حسب متي
يوشيا	يوشيا
يهوياقيم	يكنيا
يكنيا	شألتيئيل
فدايا	زربابل
زربابل	أبيهود
حننيا	ألياقيم

وكما ترى في هذا الجدول يبدو التناقض ظاهراً .

وقد استخلص المهتدي الشيخ زيادة أوجه التناقض من هذا النسب في النقاط التالية :ـ

(١) انظر البحث الصريح ، ورقة ٤٣ / ب. ٤٤ / أ . وسفر الأيام الأول ٣. ومتى ١ .

١ ـ أن متى جعل يوشيا أباً ليكنيا، بينما حسب رواية سفر الأيام الأول يكون يوشيا جداً ليكنيا .

٢ ـ أن متى جعل شألتيئيل أباً لزربابل بينما في سفر الأيام أن أباه فدايا.

٣ ـ أن متى جعل من أبناء زربابل أبيهود، وفي سفر الأيام الأول عدد أولاد زربابل سبعة وليس من بينهم أبيهود .

٤ ـ أن بقية أسماء هذه السلسلة مختلفة لدى متى عنها في سفر الأيام الأول[1] .

التناقض الثالث : بين سفر التكوين وإنجيل لوقا فيما يتعلق بأنساب المسيح عليه السلام ـ أيضاً ـ إذ أورد سفر التكوين تسعة عشر اسماً فقط بين إبراهيم وداود عليهما السلام. أما لوقا فإنه يذكر عشرين اسماً؛ حيث أضاف اسم «قينان» بعد «أرفكشاد» وبهذا يكون لوقا كرر اسم «قينان» مرتين بينما هذا الاسم لم يرد في سفر التكوين إلا مرة واحدة [2] .

وردّ المهتدي الشيخ زيادة على الدعوى المتعلقة بهذه المسألة والقائلة: إن التوراة اليونانية موجود في بعض نسخها «قيانانين» ـ بأن التوراة العبرية التي هي الأصل لا يوجد فيها إلا «قينان» واحدٌ؛ فإذا ثبت صحة التوراة اليونانية أثبتنا نحن وأصحاب هذا القول تزوير التوراة العبرية. وإن ادعى

(١) انظر البحث الصريح ، ورقة ٤٤ . وسفر الأيام الأول ، ٣ ، ومتى ١ .

(٢) انظر البحث الصريح ، ورقة ٤٥ . والقرآن والتوراة والإنجيل والعلم ، ص ١١١ . والتكوين ١١ ، ولوقا ٣ .

المعتقدون بصحة التوراة العبرية صحتها؛ أثبتنا نحن وإياهم تزوير التوراة اليونانية وإنجيل لوقا، فالتزوير واقع عليهم لا محالة [1] .

التناقض الرابع : بين سفر الملوك وإنجيل يوحنا في المدة التي استغرقها بناء الهيكل؛ إذ ورد في سفر الملوك الأول أن بناء الهيكل تمّ في سبع سنين. بينما استغرقت عمارة الهيكل ستاً وأربعين سنة عند يوحنا [2] .

التناقض الخامس بين سفر التثنية ورسالة بولس إلى أهل رومية في وراثة الخطيئة ومعاقبة الأبناء بذنوب آبائهم، حيث جاء في التثنية :(لا تقتل الآباء عوض البنين، ولا البنون عوض الآباء) ويناقض هذا القول ما زعمه بولس من قوله في رسالته إلى أهل رومية:(لأنه كما بمعصية الإنسان الواحد جعل الكثيرون خطاة، هكذا أيضاً بإطاعة الواحد سيجعل الكثيرون أبراراً[3]) .

التناقض السادس : بين سفر التكوين وأعمال الرسل في خبر شراء إبراهيم عليه السلام للمغارة؛ إذ يذكر سفر التكوين أن إبراهيم قد اشترى «مغارة المكفيلة» من حبرون ابن صوحر من بني حث في حبرون. بينما يذكر في أعمال الرسل أن إبراهيم عليه السلام قد اشتراها من بني حمور أبي شكيم. وقد وقع التناقض بين هذين النصين في الأمور التالية :ـ

(١) انظر البحث الصريح ، ورقة ٤٥ .
(٢) انظر البحث الصريح ، ورقة ، ٤٨ / أ . والملوك الأول ٦. ويوحنا ٢ .
(٣) انظر البحث الصريح ، ورقة ٤٨ / ب – ٤٩ / أ والغفران بين الإسلام والمسيحية ، ص ١٠٦ – ١٠٧ . والتثنية ٢٤ . ورسالة بولس إلى أهل رومية ٥ .

١ ـ موقع المغارة؛ إذ يذكر في التكوين أنها في حبرون. بينما يذكر أعمال الرسل أنها في شكيم .

٢ ـ في اسم البائع فهو حبرون بن صوحر الحثي. وفي سفر الأعمال لم يذكر اسم الرجل المباشر للبيع وإنما اكتفى بنسبته إلى بني حمور أبي شكيم .

٣ ـ الاختلاف في القبيلة التي ينتمي إليها البائع فهو من بني حث في التكوين. بينما نجد أن سفر الأعمال يذكر أنه من بني حمور[1].

التناقض السابع : بين يوحنا وما يرويه هو عن التوراة حيث افتتح إنجيله بعبارات تؤكد ألوهية المسيح عليه السلام وأزليته، وأنه ابن الله. تعالى الله عما يقول الكافرون علواً كبيراً. لكنه ينقل في إنجيله في الإصحاح التاسع عشر قول اليهود:(أجابه اليهود: لنا ناموس، وحسب ناموسنا يجب أن يموت؛ لأنه جعل من نفسه ابن الله)[2] .

التناقض الثامن : بين رسالة بولس إلى أهل كولوسي وبين سفر الملوك الأول، وهذا تناقض يتضح بإحالة كتب العهدين على فقرات ورسائل منها لا توجد اليوم في واقعها. فقد ذكر المهتدي الشيخ زيادة أن بولس في

---

(١) انظر البحث الصريح ، ورقة ٤٥ / أ ، والتكوين ٢٣ ، وأعمال الرسل ٧ .

(٢) انظر محمد ﷺ في التوراة والإنجيل والقرآن ، ص ١٧٤. ويوحنا ١ ، ١٩ .

رسالته إلى أهل كولوسي أوصاهم أن يقرءوا رسالة اللاذقية. وهذه الرسالة غير موجودة في ثنايا العهدين، ويذكر سفر الملوك الأول أن عدد أمثال سليمان عليه السلام ثلاثة آلاف مثل، وتسابيحه ألف وخمسمائة تسبيحة. ويقول المهتدي الشيخ زيادة: (نتأكد إعدام رسائل اللاذقية، ونقص أمثال سليمان وتسابيحه التي ليس باق منها ولا ثلثها[1]) .

---

(١) البحث الصريح ورقة ، ١٦٨ . ورسالة بولس إلى أهل كولوسي ٤ . والملوك الأول ٤ .

البَابُ الثالِثُ

المقارنة بين مناهجهم التي سلكوها في كتبهم
ويشتمل على ثلاثة فصول : -

١ - الفَصۡل الأوَّل : المقارنة بين مناهج المتقدمين فيما بينهم .

٢ - الفَصۡل الثاني : المقــارنــة بــين منــاهـــج المعاصرين فيما بينهم .

٣ - الفَصۡل الثالِث : المقــارنــة بــين منــاهـــج المتقدمين ومناهج المعاصرين.

مقدمة : ـ

كان الحديث في الباب الأول عن التعريف بهؤلاء المهتدين، ثم تحدثت في الباب الثاني عن القضايا الرئيسة التي كانت محل الخلاف بين الإسلام واليهودية والنصرانية، وسيكون الحديث ـ بحول الله وقوته ـ في هذا الباب عن المناهج العلمية التي سلكها هؤلاء المهتدون ليصلوا من خلالها إلى هدفين هما: الوصول إلى الحق الذي يورث الطمأنينة، ويحقق السعادة في الدنيا، والفوز والفلاح والسعادة في الدار الآخرة. والهدف الثاني هو إبلاغ هذه الحقائق التي توصلوا إليها إلى بني قومهم ومن يأتي بعدهم.

وقد ضمنوا هذه الحقائق والمعارف والبراهين في كتب علمية رائدة وصلت إلينا؛ لذلك تباينت أهداف هذه الكتب، واختلفت وسائلها، وتنوعت أساليبها ما بين أسلوب علمي يعتمد على الدليل والبرهان من غير حاجة إلى تنميق أو بيان، وبين أسلوب أدبي رفيع يضمّن الأدلة تضميناً، ويسوق الحجج والبراهين بعضها تلو بعض، تأسر النظر، وتأخذ باللب، وكما تنوعت الأساليب فكذلك تعددت القضايا التي تمت دراستها في هذه الكتب، فنجد مثلاً أن المهتدي السموءل قد تطرق في كتابه «إفحام اليهود» إلى أكثر مواطن النزاع بين اليهودية والإسلام، وكذلك المهتدي المتطبب في كتابه «النصيحة الإيمانية في فضيحة الملة النصرانية» حيث فضح أمرها، وكشف سرها، وهتك سترها في حين أنك

تجد مثلاً مؤلفات ـ من هذه الكتب ـ قد خصصت لمعالجة مسألة واحدة ككتاب «المسيح إنسان أم إله» و «الغفران بين الإسلام والمسيحية» و«محمد في الكتاب المقدس» .

إذاً كانت أساليبها متنوعة، وموضوعاتها مختلفة؛ ولكنها اتفقت في الغاية التي سعت إليها، وهي ـ ولا شك ـ غاية سامية شريفة، تظهر جوانبها في النقاط التالية :ـ

١ ـ الإقرار بوحدانية الله، والاعتراف له بالعبودية، والشهادة بأن الله أرسل رسله صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وأنزل عليهم كتبه؛ ليعبدوا الله وحده لا شريك له، وأن تقوم الحجة على الخلق في ذلك، والشهادة ـ أيضاً ـ بأن هذا الجانب المشرق ـ الوحدانية ـ هو أساس كل الرسالات الإلهية .

٢ ـ الشهادة بأن محمداً ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين، وهو الذي بشرت به الرسل من قبل، وشهدت له الكتب السابقة، وأكدت هذه الكتب أنه لا ينبغي أن يعمينا التعصب عن الإذعان للحق والتسليم له بعد ما تبين لهم .

٣ ـ أن الإسلام الذي دعا إليه محمد ﷺ هو دين الله الذي لا يبتغي غيره، ولا يقبل ديناً سواه، وهو الإسلام الذي آمن به نوح وإبراهيم وموسى وسائر المرسلين صلوات الله عليهم أجمعين .

٤ ـ التأكيد على فساد اليهودية المبدلة، والنصرانية المحرفة، والشهادة على كتبها بالتحريف، وعلى أتباعها بالضلال .

٥ ـ أن هذا المسلك الذي سلكوه ـ وهو اعتناق الإسلام بعدما تبين لهم الحق ـ هو المسلك الذي يفرضه الدين، ويمليه العقل، وتجنح إليه الفطرة، وتأنس إليه الروح، وينقاد له البدن في استسلام للبارى عز وجل... فإذا اتضح الدليل، وقامت الحجة، وتقشعت الظلمة، وتبين الحق فما الداعي للارتساف في أغلال الماضي، وضلال الديانات المحرفة، واتباع الآباء والأسلاف، والجمود معهم على تقاليد بالية، وميراث لا يستحق إرثه، رفضه كثيرون من ذويه، فالعقلاء استبدلوا به خيراً منه، ومن سواهم ممن رفضه ـ ولم يطلعوا على الإسلام ـ لم يجدوا بديلاً يملئون به فراغ أرواحهم؛ فظلوا في حيرة لا مخرج منها إلا بالإسلام، أو الموت على غير دين يرضاه الله، نعوذ بالله من الخذلان .

٦ ـ أنهم أرادوا أن يثبتوا لبني قومهم أنهم بتركهم ملتهم واعتناقهم الإسلام لم يكفروا؛ بل أكدوا لهم ـ والحال هذه ـ أن الله بدلهم بكفرهم إيماناً، وبتكذيبهم تصديقاً؛ إذ تصديقهم بمحمد ﷺ تصديق لكل الأنبياء، لأن الإيمان به لا يستوجب الكفر بمن سبقه من الأنبياء ، بل على النقيض من ذلك؛ فإن إيمانهم بمحمد ﷺ يستوجب منهم الإيمان والتصديق بكافة الأنبياء والمرسلين من قبله تصديقاً جازماً لا مراء فيه ولا تردد .

٧ ـ بعد أن استبان لهم السبيل، واتضحت لهم المحجة، وهداهم الله لهذا الدين، وشرح صدورهم له... رأوا لزاماً عليهم دعوة غيرهم

من قومهم للإسلام لسببين هما :ـ

أ ـ الإيفاء بالعهد والميثاق، والخوف من كتمان الحق فيتجه إليهم وعيد الله الذي ذكره في قوله: ﴿إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدي من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون[1]﴾.

ب ـ الرغبة الصادقة في هداية من اطلع على هذه المصنفات، ودعوته للإسلام من خلالها؛ لينعموا بما نعموا به في الدنيا والآخرة .

٨ ـ رمت هذه الكتب ـ فيما رمت إليه ـ إلى دفع الشبهات التي يلصقها أهل الكتاب في الإسلام وأهله، وهذه الشبه توجه للمهتدي بعد إسلامه لغايتين هما :ـ

أ ـ محاولة ثني هذا المهتدي عما عزم عليه .

ب ـ العمل على تشويه الصورة الحقيقية للإسلام، وإثارة الشكوك حوله؛ حتى يكوّنوا لأتباعهم ـ ممن لم يعرفوا حقيقة الإسلام ـ حصانة تمنعهم من اعتناقه أو مجرد الاطلاع عليه أو القرب منه، لئلا تبهر حقيقةُ الإسلام أبناءَ ملتهم، فيندفعوا إليه .

(١) سورة البقرة ، الآية ١٥٩ .

فانبرى هؤلاء المهتدون يحطمون هذه الشبه من أمامهم وينسفونها نسفاً، مستعينين عليها بعد الله بما ورد في كتابهم، وبما تقره العقول الصحيحة والفطر السليمة .

٩ ـ أرادوا أن يثبتوا من خلال هذه المؤلفات أن الدين الذي كانوا عليه لم يبق على الصورة التي جاءت بها الرسل؛ بل طمست معالمه، ومسخت أصوله، وبدلت فروعه، وتأثر بغيره من أديان الوثنية، فالتوحيد الذي كان ناصعاً في أول صدر دعوته تحول إلى وثنية، وعبدت الأنداد مع رب العباد، والعبادة التي نزلت على أنبيائهم، وتعبد بها أسلافهم تحولت واستبدل بها غيرها ... بل إن الكتب التي كانت وحياً من عند الله لم يحفظها البشر كما كان ينبغي لها أن تحفظ، بل تلاعبت بها الأيدي البشرية، وصاغتها صياغة تنطلق من أهواء وأحقاد وضغائن، وبعد تطاول الدهور، وتعاقب العصور؛ أصبحت هذه الكتب المحرفة مستنداً للعقائد والعبادات الباطلة، لأن ما بني على باطل فهو باطل .

وإن هذا الدين الذي كانوا عليه لو كان صحيحاً، ولو سلم من التدخل البشري في عقائده وعباداته وكتبه ـ لقادهم حتماً إلى الإسلام والإذعان له؛ لأن هذه الرسالات بعضها متمم لبعض، فالسابق يبشر باللاحق، واللاحق يصدق السابق ويدافع عنه .

١٠ ـ يعمل أصحاب النفوذ على تحريض السلاطين وذوي الاختصاص والمصالح للإضرار بالمهتدي، والتضييق عليه؛ لعله يرجع عن دينه فيدفعه ذلك إلى التأليف وبيان وجه الحق الذي لاح له فلم يسعه إلا اتباعه .

١١ ـ خلال الرحلة من دين إلى آخر ومن ملة إلى أخرى قد تساور الإنسان بعض الشكوك، وتثور لديه بعض الشبه فيحاول جاهداً تجلية هذه الشبه، وإزالة هذه الشكوك، فيجتهد باحثاً عن أوجه الحق، ومناحي الهدى؛ فيثمر ذلك وقوفاً على أدلة وبراهين ويقين لم يكن قد اطلع عليه أو مرَّ به؛ فيرى لزاماً عليه أن يبين ذلك للناس .

الفَصْلُ الأَوَّلُ

المقـــارنـــة

بين مناهج المتقدمين فيما بينهم

لم يكن هؤلاء المهتدون يمثلون مدرسة واحدة، أو أمة واحدة، أو طائفة واحدة، أو بلداً واحداً، أو عصراً واحداً؛ وإنما كانوا مختلفى المشارب، متنوعى الانتماء عقيدة وبلداً؛ لذا كان لزاماً أن تختلف مناهجهم التي انتهجوها في إعداد هذه الكتب «الوثائق»، وسيكون مدار الحديث في هذا الفصل عن مناهج المتقدمين، في حين سيكون الفصل الثاني مخصصاً لمناهج المعاصرين، وسيكون الفصل الثالث مخصصاً للمقارنة بين هذه المناهج .

مناهج المتقدمين :ـ

يستطيع الدارس لهذه الكتب أن يتبين المناحي العامة التي سلكها مؤلفوها في إعدادها، ولعل أبرز هذه المناحي ما يلى :ـ

١ ـ أنهم اخضعوا ما تلقوه من نصوص وعبادات واعتقادات عن كتبهم، أو توارثوه عن أجدادهم ـ للتمحيص الدقيق والامتحان؛ فما ألفوه خيراً تمسكوا به، وما وجدوه باطلاً ردوه وتخلصوا منه. وقد أمكنهم من ذلك وأقدرهم عليه أمور منها :ـ

أ ـ أنهم كانوا قبل إسلامهم على مستوي عالٍ من البصيرة في دينهم، والفقه في شريعتهم، والإحاطة بكتبهم، والإلمام بتأريخهم وسائر أحوال أهل ملتهم ـ كل ذلك مكنهم من الكشف عن مواطن الزلل، والإبانة عن مواقع الخلل، فكانت أبحاثهم في غاية التدقيق، وأدلتهم في قمة التسديد، وحججهم دامغة، وبراهينهم قاطعة .

ب ـ كان لأكثرهم دراية واسعة بعلوم المنطق والحساب والطب؛ فأكسبتهم هذه العلوم دربة فكرية تؤهلهم للنقد، وتمدهم بالحجج والبراهين، كما هذبت عقولهم فرفضت كل خرافة بالية، وكل أسطورة فارغة؛ فلا تنقاد إلا لما أيده الدليل .

٢ ـ استقراء الكتاب والسنة النبوية المطهرة؛ للاستدلال من خلالهما على أنهما تضمنا من العقائد المحكمة، والشرائع الجامعة، والآيات البينة الظاهرة ـ ما يوجب ضرورة قبول نبوة نبينا محمد ﷺ، والتأكيد على أنهما احتويا الشئ الكثير من ذلك الذي لا يجحده إلا معاند مكابر .

٣ ـ دراسة مؤلفات علماء المسلمين ـ في مجال مقارنة الأديان ـ ومقارنتها ومقابلتها مع بعضها، وتبين مواضع النقص فيها، وبيان الثغرات عليها، ثم محاولة التأليف لسد هذا النقص، وملء هذه الثغرات حيث يقول المهتدى الترجمان: (فكنت شديد الحرص على أن أضع في الرد عليهم موضوعاً بطريق النقل، وحقيقة الإنصاف بالعقل، يجمع بين النقل والقياس، وتتفق عليه العقول والحواس[1]) .

٤ ـ استحضار حقائق التأريخ ومسلّماته والاستشهاد بها على أنما حدث في تأريخ الأمة الإسلامية ليس بدعاً بين الأمم؛ بل له ما

---

(١) تحفة الأريب ، ص ٥٤. وانظر إفحام اليهود ، ص ٨٦ .

يماثله في تأريخ الرسل السابقين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين. ثم صياغة هذه الحقائق والمسلّمات في براهين ساطعة تؤيد ما وجدوه من الحق والنور .

٥ ـ جمع هؤلاء المهتدون في ثنايا كتبهم بين الأدلة العقلية والنقلية، فاتحفوا القارىء بأدلة نقلية من التوراة والإنجيل لا تجد لها اليوم ذكراً في الطبعات الحديثة لهذه الكتب، ولم توجد بعض هذه الأدلة في مصنفات المسلمين إلا بعد ورودها لدى هؤلاء، بل إنهم أوردوا فيها أدلة نقلوها من كتب أنبياء بني إسرائيل، ولا تجد لهذه الكتب أثراً في كتاب العهد القديم المتداول اليوم، كما قدموا عدداً من الأدلة العقلية والحسية كالتواتر والإجماع والأقيسة المنطقية التي لا محيد عنها، وألزموا الخصم بعدة أمور ـ لا مهرب منها ـ إما أن يذعن لها؛ فيعلن إسلامه، وإما أن يرفضها فيخرج من دينه وملته .

٦ ـ التزموا في هذه المصنفات الأمانة العلمية في عرض عقائد الخصم عرضاً رائعاً، كيف لا وقد تربوا على هذه العقائد منذ نعومة أظفارهم، ثم أرادوا أن ينقضوها ولا يستقيم لهم نقضها مع الإخلال في عرضها؛ لأن ذلك يتيح للخصم أن يحتج عليهم بأن العرض ناقص، والنقد كاذب .

كما التزموا الأمانة ـ أيضاً ـ في نقل النصوص ـ موضع الشاهد ـ نقلاً دقيقاً، وأحياناً كثيرة لمزيد من العناية في الدقة والتثبت ينقلون النص في هيئته الأصلية من لغته الأساسية كالعبرية أوالسريانية أو اللاتينية، ثم يترجمون النص ترجمة صحيحة تكون شاهدة لما أرادوا إثباته أو نفيه، وأظهرت هذه المصنفات لمؤلفيها قدرة فائقة في معرفة اللغات التي دوّن بها العهد القديم والجديد، مما يؤكد أن لهؤلاء المهتدين دراية واسعة وشاملة بهذه اللغات، ويؤكد ـ في الوقت نفسه ـ مدى الرعاية والعناية التي لقيها هؤلاء المهتدون من مشايخهم وأحبارهم، وإنك لتعجب حين تجد الواحد منهم يجيد لغتين أو ثلاثاً من لغات العهد القديم أو الجديد، وإن هذا التميز لمما يزيد حجتهم، ويرفع قدرهم، ويعلي مكانتهم.

كما التزموا الأمانة العلمية ـ أيضاً ـ في نقل أقوال الفرق التي اضطروا للرد عليها في هذه المصنفات؛ فكان منهجهم استعراض أقوال كل فرقة على حدة، ثم الرد عليها بصحيح المنقول من كتابهم، وإلزامهم بما يعتقدونه من دينهم وكتابهم ولو كان محرفاً، والرد عليهم بصريح المعقول مما تقتضية العقول وتسلم له النفوس .

٧ ـ إلزام أهل الكتاب بما يقبلونه من دينهم ومقابلة ذلك بما عند المسلمين، وإثبات أنها متماثلة في المصدر والوسيلة وإمكانية الحدوث .

٨ ـ اتفقوا على الإيجاز والاختصار، ورغم هذا الاختصار فقد حشدوا في هذه المصنفات نصوصاً كثيرة جداً من نصوص العهد القديم والجديد؛ رغبة في جلاء الحق وبيانه، وأكثر ما توسعوا فيه أبواب البشارة بنبوة نبينا محمد ﷺ، وذكروا ـ أيضاً ـ أن بإمكانهم الإطالة في ذكر هذه البشارات وتعدادها؛ ولكن ـ مع ذلك ـ آثروا الإيجاز خوفاً من ملل القارئ، هذا من جانب، ومن جانب آخر رأوا أن الحجة تقوم على الخصم بما أوردوه.

٩ ـ الجدل بين الأديان جدل قديم، تؤججه الإثارة، ويغلب عليه الحقد والكذب من جانب المكابر والمعاند؛ إلا أن هؤلاء المهتدين تأدبوا بأدب القرآن الوارد في قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا كونوا قوّامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنئان قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى﴾[1]. فظهر في كتاباتهم التجرد التام عن الهوى والتعصب الممقوت، ولم يمنعهم ذلك من إظهار غيرتهم لله ولدينه، أو من مقتهم الشديد وكراهيتهم للوثنية السابقة التي كانوا عليها.

١٠ ـ الحرص على الرفق في مجادلة الخصم، فلم تكن هذه الكتابات منفرة ولا مستهجنة؛ بل كان سياجها الحكمة، ودثارها السكينة، وشعارها الصدق، وديدنها الرفق، ابتعدت عن الظلم والبغي على الخصم بسبب اعتقاده ومكابرته.

---

(١) سورة المائدة، الآية ٨.

١١ ـ حاول هؤلاء المهتدون صياغة هذه المؤلفات باسلوب جزل اللفظ، سلس العبارة، يجمع إلى قوة الحجة، وضوح الدليل، ورصانة الكلم. يقول المهتدي الطبري: (ومن ألف كتاباً في مثل هذا الفن الجليل الهادي المستنير العام المنفعة لأهل الأديان كلهم كان جديراً أن يجعله مفهوماً سهلاً، وأن يخاصم ويساجل خصمه، ولا يعلو عليه ولا يربي، بل يفهم ولا يبهم، وينصف ولا يظلم، ويستعمل الرفق ويحسن سياقه[1]) .

١٢ ـ إن المتتبع لسير حياة هذه المجموعة المباركة، والعقبات التي واجهتهم قبل وبعد إسلامهم، وكذلك التجربة التي عبروها نحو الملة الإسلامية، ثم يضيف إلى ذلك دراسة واعية متأنية لمصنفاتهم التي حشدوا فيها الأدلة الدالة على فساد أديانهم السابقة، والبراهين التي ظهرت واستعلنت لهم على أن الإسلام هو الدين الحق الذي لا يقبل الله من أحد ديناً سواه، ثم إعلانهم الخضوع الكامل والاستسلام التام لله رب العالمين ـ لا بد أن يلمس ـ وبصورة واضحة ـ استقلالهم الفكري، وتميزهم العلمي، ولعل أبرز مظاهر هذا الاستقلال والتميز ما يلي :ـ

أ ـ الأدلة الدالة على فساد دينهم التي استنبطوها من كتبهم .

ب ـ البشارات التي استخرجوها من كتبهم ، والتي تؤكد على أن الأنبياء السابقين عليهم السلام بشروا بمجيء هذا

(١) الدين والدولة ، ص ٣٥ .

النبي الخاتم، ووصفوه، وذكروا رسالته ، ونعتوا جهاده وأصحابه وبلده ...

جـ ـ البراهين التي استنبطوها من الشريعة الإسلامية للتدليل من خلالها على أن هذه الشريعة مماثلة للشرائع السابقة في هيئتها ومصدرها ووسائل تبليغها، بل إنها تفوقت عليها فيما اشتملت عليها من شرائع جمعت بين العدل والفضل والكمال .

د ـ ظهر في هذه المؤلفات جوانب من الإبداع في التأليف، والجودة في التصنيف، والإضافة والتجديد، كما أنها خلت من النقول الكثيرة التي يلمس من خلالها أن المؤلف يردد ما سبق به، وقيل من قبله، وأنه متأثر بمن نقل عنهم؛ بل كانت هذه المؤلفات نتيجة بحث ومقارنة، فكل ما فيها عبارة عن نص من كتبهم المعتمدة، أو دليل عقلي، أو برهان حسي، أو قياس محكم... ويتخلل ذلك ربط وإلزام وتحليل واستنباط .

١٣ ـ تميزت بعض كتابات هذه الفئة بروح النقد المباشر للمعتقدات والأفكار يظهر ذلك جلياً من عناوين هذه المؤلفات مثل «إفحام اليهود» و « النصيحة الإيمانية في فضيحة الملة النصرانية» و «تحفة الأريب في الرد على عباد الصليب» ولعل الذي أكسبها هذه الصبغة هو المقت الشديد للحال التي كانوا عليها، بالإضافة

إلى ما اشتمل عليه دينهم السابق من خرافات وأساطير لا تقبل بها العقول الصحيحة ولا الفطر السليمة؛ مما دفعهم إلى أن يواجهوا هذه المشاكل في دينهم بمثل هذا عسى أن يكون هذا الأسلوب المباشر في الطرح والمواجهة موقظاً لقلوب قوم لازالوا في طغيانهم يعمهون .

ونجد لهم العذر في انتهاج هذا المنهج إذا أخذنا في الاعتبار حملات التشكيك والاستعداء التي واجهتهم إبان إسلامهم من بني قومهم، ثم إننا نلمس في هذا الاتجاه دليلاً صادقاً على صحة إيمانهم؛ إذ تبرز فيه كراهيتهم للكفر وأهله، حيث قال تعالى : ﴿لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم[1]﴾وقال ﷺ :(ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار)[2].

١٤ ـ انفرد كل من المهتدي السموءل والطبري ـ من بين سائر المتقدمين ـ بوضوح أثرهما على من جاء بعدهم من علماء الإسلام فيما نقلوه عنهما من أدلة نقلية وعقلية .

---

(١) سورة المجادلة ، الآية ٢٢ .

(٢) رواه البخارى في صحيحه واللفظ له في كتاب الإيمان باب ٩ ، ومسلم في صحيحه كتاب الإيمان حديث ٦٧ .

الفَصل الثاني

المقـــارنــــة

بين مناهج المعاصرين فيما بينهم

في الفصل السابق استعرضت مناهج المتقدمين، وسيكون الحديث في هذا الفصل عن مناهج المعاصرين، وبيان المميزات التي استقلت بها، وأثرها على الحركة العلمية في مجال مقارنة الأديان، ومدى التجديد والإسهام الذي شاركت فيه في هذا المضمار، ومن أبرز هذه المناهج[1] مايلي :ـ

١ ـ لقى العهد الجديد والقديم من التحريف مالا مزيد عليه، ثم تكاثرت نسخه، وتعددت ترجماته؛ مما اضطر هؤلاء المهتدين إلى تعدد طرقهم التي سلكوها للوصول من خلالها إلى تحقيق بعض هذه النصوص، وهذه المسالك هي :ـ

أ ـ المقابلة بين النسخ القديمة للعهدين كالعبرية واليونانية والسريانية واللاتينية والعربية؛ لبيان الحق أو إثبات التحريف .

ب ـ الرجوع إلى قواميس اللغات القديمة للتأكد من أصل كلمة ما، وما يمكن أن تترجم به، أو تؤدى إليه .

جـ ـ إرجاع الكلمات ـ موضع الشاهد ـ إلى أصولها ، وذلك بالرجوع إلى أصل الكلمة في اللغة التي وردت فيها أول مرة، ثم بيان تدرج هذه الكلمة في اللغات ، وكيف حرفت في اللغة الثانية والثالثة ...واستمر التحريف وكل ترجمة تزيدها تحريفاً وبعداً عن مصدرها الأصلي ، حتى وصلت

(١) سأذكر من مناهج المعاصرين ما انفردوا به عمن سبقهم ، أما السمات المشتركة بينهم وبين المتقدمين فرأيت أن تكون ضمن الفصل الثالث من هذا الباب ؛ رغبة في الاختصار ومجانبة التكرار .

إلينا، ثم بيـان أصل الكلمـة في اللغـة الأولى ووجـوه اشتقاقها، وصحة ترجمتها في اللغات التي نقلت إليها ، ثم كيف ينبغي أن تكون ترجمتها في اللغة العربية. والحقيقة أن المهتدي عبد الأحد داود بذل جهداً مضنياً وجباراً في استقصاء التحولات اللغوية للمفردة الواحدة من لغة إلى أخرى ، وسار عبر رحلة طويلة بين العبرية والآرامية واليونانية واللاتينية . والهدف الذي رمى إليه أن يخرج من ضيق المعنى بعد تحريفه، إلى سعة الدليل المستفاد من النص قبل تحريفه ، ويبين خطأ المترجمين وهل كان قصداً أم خطأً. وقد أعانه على ذلك معرفته لكثير من اللغات القديمة التي قل من يجيدها في العصر الحاضر ، بالإضافة إلى توافر نسخ التوراة والإنجيل لديه بعدة لغات قديمة .

د ـ المقارنة والاستقصاء والاستنطاق: وذلك بأن يجمع الألفاظ التي تتحدث عن القضية محل النزاع، ويقارنها بغيرها، ثم يستنطقها لتكون شاهدة لحجته، مؤيدة لنظريته، دالة دلالة يقين على أن ما يقوله هو الحق الذي يسنده البرهان، لا ما قاله أئمة الكفر من الأحبار والرهبان.

هـ ـ أحياناً يربط الكلمة ـ محل النزاع ـ بما يتفق معها، ويختلف عنها، ويتعارض معها من سائر نصوص كتبهم المعتمدة، ويبين التناقض، ويذكر التعارض، ويوضح تدخل

الكنيسة، ثم يطرح عدة تساؤلات ملزمة، وبعد ذلك يدلي برأيه، مؤيداً بالنصوص وبمضامينها ودلالاتها .

و ـ اعتمد العرض المتدرج للقضية ـ موضع المناقشة ـ فيذكر أولاً أصولها، وكيف استقرت في ذهن الخصم عن طريق التصور الخاطيء لها، موضحاً الصورة الحقيقية لها والمكان اللائق بها، وينفي انتساب الخصم لها، من خلال النصوص المسلّمة لديهم، كما فعل في مفهوم « ملكوت الله » لدى النصارى .

ز ـ يأتي إلى قضية مسلّمة لدى الخصم ، فيعيد لها الحياة من واقع الترجمة، ويجعلها شاهدة لما يقول، مستعيناً بعد ذلك بمقدمات عقلية موجبة .

وهذه الفقرات الخمس الأخيرة مما انفرد به المهتدي عبدالأحد دواد، ولم أجد من سبقه إليها .

حـ ـ بعض فقرات العهد القديم غامضة جداً مما يصعب فهمها أو إدراك ماترمي إليه، ولكن الله وفق هؤلاء لشرح بعض الرموز ببعض، فما غمض هنا فسّر هناك، وبهذا استطاعوا أن يستخرجوا من النصوص الجامدة نصوصاً شاهدة لما ذهبوا إليه.

٢ ـ اشترط المهتدي عبد الأحد داود صفات يرى أنه ينبغي على من

يريد أن يسلك هذا السبيل أن يجتهد في تحصيلها ومراعاة تطبيقها في نفسه، وهذه الصفات هي :ـ

أ ـ أن يتقن دراسة العقائد والأحكام التي تضمنها الدين الذي يرد عليه وينتقده، وأن يميز بين أصوله وفروعه .

ب ـ أن يخلص النية في قصده وعمله، وأن يبرهن للقاريء على حسن نيته، وأنه يبتغي من وراء ذلك البلاغ والدعوة لا التشفي والانتقام .

جـ ـ أن يكون ملماً بالدين الذي يدعو إليه عارفاً بما يشتمل عليه هذا الدين من عقائد وأحكام ومحاسن وأمور غيبية .

د ـ أن يكون متصفاً بالأخلاق والآداب الحميدة التي يحث عليها دينه؛ حتى يكون قدوة في قوله وعمله .

٣ ـ الانتصار للحق من خلال الاستشهاد بأقوال النصارى القدماء؛ لدحض افتراءات وشبهات النصارى المحدثين، وهذا مما انفرد به المهتدي الشيخ زيادة .

٤ ـ مما تميزت به مناهج المعاصرين ما انفرد به المهتدي الهاشمي من عقد المقارنة بين الإسلام وسائر الديانات البشرية أو الإلهية المحرفة، وتبين له ـ بعد المقارنة ـ أن كفة الإسلام راجحة في كل مسألة أو قضية أخضعها للمناقشة أو المقارنة.

٥ ـ مراعاة العرض المتدرج للقضية موضع المناقشة هبوطاً أو علواً؛

حتى يبيّن للقارئ كيف كانت؟ وإلى أي مدى بلغت، وخير مثال على ذلك مسألة تأليه المسيح عليه السلام، وهذا المسلك مما انفرد به المهتدي محمد مرجان .

٦ ـ تخصيص مؤلفات مستقلة لدراسة قضايا خاصة؛ مما أعطى هذه الدراسات شمولاً للقضية المدروسة، وعمقاً في الطرح، واستيعاباً في التناول، وخير مثال على ذلك كتاب «الإنجيل والصليب»، و«محمد في الكتاب المقدس»، و«المسيح إنسان أم إله»، و«الغفران بين الإسلام والمسيحية» .

٧ ـ انفرد المهتدي النجار في أنه حاول الموافقة أو المطابقة بين القرآن والتوراة والإنجيل فيما يريد نفيه أو إثباته؛ ليبين للقاريء مدى التطابق بين هذه الكتب في القضايا محل النزاع .

٨ ـ اتسمت كتابات المتقدمين بقلة النقل عن المصادر المتعددة؛ لأنهم اعتمدوا على الكتب المعتمدة المقدسة لدى كل طائفة، مما أغناهم عن كثرة النقول التي مصدرها الدراسات المقارنة .

أما المحدثون فقد ظهرت في مصنفاتهم كثرت النقول عن الدراسات المحدثة، والتي كان محور ارتكازها نقد التوراة والإنجيل؛ ولعل مرد ذلك إلى مايلي :ـ

أ ـ لما ظهرت الثورة على الكنيسة أصبح من السهل نقد ما استندت إليه من رجال كان يدّعي لهم الوحي والإلهام، وكتب كانت محل القداسة والإجلال، وطقوس كانت

موضع الرعاية والعناية، ومحط الاهتمام والتلقين... فتناولت هذه المواضيع الأقلام، وراجت بين الجماهير، وتلقفتها الأيدي، وطارت بها الركبان ووجد فيها هؤلاء ضالتهم والحق ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق بها .

ب ـ تيسرت سبل الاتصال، وصاحب ذلك التقدم في وسائل الطباعة والنشر فما يطبع في أي بلد من السهل التقاطه واقتناؤه، في حين حرم منها الأقدمون .

جـ ـ الرغبة في إلزام الخصم وإقامة الحجة عليه من كتب علمائه، من باب من فمك أدينك.

٩ ـ تميز كل من المهتدي بوكاي وعبد الأحد داود بعظيم أثرهما على من جاء بعدهما ـ ممن صنف في هذا المجال ـ ويظهر ذلك من كثرة النقول عنهما ، والاستشهاد بأقوالهما، والركون إلى النتائج التي توصلا إليها .

١٠ ـ انفرد بوكاي باتباع المنهج المقارن في دراسته للتوراة والإنجيل والقرآن، وكان مجال المقارنة في المجالات التالية :ـ

أ ـ المقارنة بين المادحين والقادحين للكتاب المقدس .

ب ـ المقارنة بين روايات التوراة ونتائج الدراسات العلمية الحديثة.

جـ ـ المقارنة بين الأناجيل وبين نتائج الدراسات العلمية الحديثة.

د ـ المقارنة بين الأناجيل فيما بينها لبيان التناقض والتحريف والتدخل البشري .

هـ ـ المقارنة بين القرآن وبين نتائج الدراسات العلمية الحديثة .

و ـ المقارنة بين القرآن وبين التوراة والإنجيل .

ز ـ المقارنة بين القرآن والحديث النبوي الشريف .

ولعل أبرز النتائج التي توصل إليها من خلال هذه المقارنات: أن كل ما ورد في القرآن من حقائق عن الكون والإنسان متفق مع العلم الحديث[1]، في حين اشتملت التوراة والإنجيل على روايات لا يمكن أن تتفق مع العلم الحديث .

١١ ـ ظهر في بعض هذه المصنفات عدم الوقوف أمام نصوص القرآن الكريم والسنة الصحيحة؛ ولعل مرد ذلك إلى عدم استيعاب وفهم الآيات والأحاديث المتعلقة ببعض القضايا التي تمت دراستها .

١٢ ـ انفرد بوكاي باتباع منهج ـ سائد في أوروبا ـ يعتمد على تناول القضية موضع الدراسة بعقل متجرد عن أي اقتناع سابق أو فكرة ما. وهذا المنهج أوقعه في لبس واضح فيما يتعلق بالسنة النبوية الصحيحة حيث يقول عنها:(إنها لا تؤلف بأي شكل من الأشكال كتباً تحتوى على تنزيل مكتوب... في هذه الكتب ـ أي كتب السنة ـ المنتشرة جداً دعاى تحتوي على أخطاء من وجهة النظر العلمية، وخاصة فيما يتعلق بالوصفات الطبية[2]) .

ولا يفوتني تقدير نيته الحسنة في هذا المضمار؛ لأنه أراد من وراء

---

(١) على المسلم أن يعتقد أن كل ماجاء في القرآن والسنة فهو حق ينبغي أن يؤمن به ، ويسلم له من غير انتظار إقامة براهين محسوسة على تصديقه ، كما لا يجوز أن تخضع نصوص القرآن والسنة الصحيحة لدراسة مقارنة يتوقف علي نتائجها الإيمان بما تضمنه القرآن والسنة . وإن إيماناً يرى صاحبه أنه بحاجة إلى مثل هذه الدراسات حتى يزيد ويرسخ لهو إيمان ضعيف ، وإن إيماناً بحاجة إلى قول بشر حتى يزيد إيمانه بقول رب البشر لهو ضعيف ضعيف .

(٢) القرآن والتوراة والإنجيل والعلم ، ص ١٤٩ .

ذلك إثبات صحة القرآن الكريم، وأنه وحي إلهي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ولكن لعل الذي أوقعه في دركات هذا المنهج ما يلي:ـ

أ ـ إذا أخذنا في الاعتبار احتواء كتب العهدين على معلومات تتعارض مع الدين والعلم والعقل، وموقف الكنيسة من العلم في القرون الماضية؛ مما أحدث ردة فعل عنيفة صاحبت النشاط العلمي في هذا العصر، وافتقادهم إلى الدين الصحيح الذي يرشدهم إلى الحق ... كل ذلك دفع العلماء الغربيين إلى اتباع منهج متحرر من أي اعتقاد سابق أو فكرة معينة؛ رغبة في الوصول إلى الصواب الذي يؤيده العلم. وهذا المهتدى واحد من هؤلاء بل لعله من أبرزهم، فلا ينبغي أن نفصله عن واقعه ثم نحاكمه إلى واقع آخر لم يعايشه ولم يألفه.

ب ـ لعله أجرى هذه الدراسات والمقارنات التي أخضع فيها القرآن والسنة لهذا المنهج ـ قبل إسلامه .

الفَصْلُ الثالِثُ

المقـــارنـــة

بين مناهج المتقدمين

و

مناهج المعاصرين

اتفقت غاية هذه الجماعة المباركة من تصنيف هذه المصنفات، وتشاكلت أساليبهم، واتحدت أو كادت أن تتحد نتائجهم، وتنوعت مناهجهم وهذا التنوع حمل بين طياته سمات مشتركة فيما بينهم، وأخرى مختلفة أملتها ظروف الزمان والمكان والقدرات؛ فأثمرت ـ مجتمعة ـ نتائج إيجابية لفتت إليها الأنظار، واستعان بها أصحاب الاختصاص بالنقل تارة، وبالاحتجاج بهم تارة وبالإحالة عليهم تارة ثالثة...

وإن أبرز الملامح المشتركة بين مناهج هؤلاء مايلي :ـ

١ ـ إن أعظم منّة على العبد في الدنيا أن يهديه الله للإسلام، وإن أعظم شكر لله على هذه النعمة أن يجعل كل عمل يقوم به، وكل قول يقوله ـ في مرضاة الله يبتغي به وجه الله. ولقد كانت هذه المؤلفات من هؤلاء المهتدين شكراً لله على هدايته لهم للإسلام .

٢ ـ اتسمت هذه المصنفات في الجد في البحث المبني على التأمل والامتحان والنقد لكل ما توارثوه عن آبائهم وأسلافهم، أو بمعنى آخر عرض الإرث السابق على بساط البحث فما كان حقاً استمسكوا به، وما كان باطلاً رفضوه وحذروا الناس منه .

٣ ـ المحاكمة إلى نصوص كتبهم المعتمدة، واعتقاداتهم القائمة في واقع حياتهم، والاستشهاد بها عليهم وإلزامهم بما تدل عليه .

٤ ـ أرسل الله الرسل، وأنزل الكتب، وخلق الله في الإنسان العقل

وجعله مناط التكليف؛ فمن الطبعي أن يتفق الكتاب المنزل من الله، والعقل المخلوق بأمره... وهؤلاء المهتدون استعانوا بهذه الحقيقة البدهية في رحلتهم الفكرية نحو الإسلام؛ فما وجدوه متفقاً مع الفطرة، مؤيداً من قبل العقل قبلوه، وما أنفت منه الفطرة ورفضه العقل رفضوه .

٥ ـ لم تكن هذه المؤلفات قائمة على العاطفة المجردة، أو الكلمة المثيرة، أو الادعاء المتهافت، ولم تكن معتمدة على الأدلة الساقطة، أو البراهين المتعارضة... وإنما قدمت الحجة الناصعة، وأتحفت بالدليل القاطع، وجادت بالبرهان الصادق، وجاءت بكلمة الفصل، وابتعدت عن التعصب الممقوت، والجمود المذموم؛ فأصابت المحز وقطعت في المفصل .

٦ ـ تميزت هذه المصنفات بالأمانة العلمية في نقل النصوص، وفي عرض العقائد، وفي حكاية أقوال الفرق .

٧ ـ اتسمت هذه المؤلفات بالنزاهة، والتجرد من الهوى، وعدم التسليم لما يظن أنها حقائق مسلّمة غابرة، ومناقشة العقائد وفق العدل الذي قرره الله في كتابه الكريم في قوله: ﴿ياأيها الذين آمنوا كونوا قوّامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنئآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى[١]﴾.

٨ ـ الانطلاق نحو نقد اليهودية والنصرانية من أساس متين عماده

(١) سورة المائدة ، الآية ٨.

العلم الواسع بالدين السابق، والإحاطة بتأريخه، والتجربة التي عاشها فيه، والتمكن من اللغات السابقة التي دوّنت بها كتبهم، والخبرة بأساليبهم في مهاجمة الدين الإسلامي، ثم التعمق في الإسلام وتأصيل معلوماتهم من الكتاب والسنة ومؤلفات المسلمين .

٩ ـ تميزت هذه الجماعة المباركة بالاستقلال الفكري في هذه الدراسات العلمية؛ فلم تكن صدى لما سبقها، كما لم تكن اجتراراً بارداً لما ألف في هذا المجال .. ولو كانت كذلك لما كانت موضع الحفاوة والقبول ممن جاء بعدهم، ولكنها التجديد والإضافة والإبداع الذي يدل على الاستقلال الفكري، والرسوخ العقدي والتجرد من ربقة الكفر، وأسر الإرث السابق، والتقليد البليد .

١٠ ـ حرص الجميع على الإيجاز وعدم الإطالة، ومع ذلك فقد حشدوا النصوص حشداً بديعاً على القضايا التي تعرضوا لها بالنقد والدراسة، وهذه الأدلة والبراهين التي قدموها ليست كل مافي حوزتهم؛ لأنهم اعتذروا للقاريء عن عدم الإسهاب، لأنهم يرون أنما قدموه تقوم به الحجة، ويسلّم له العاقل، ويذعن له طالب الحق .

١١ ـ مما يزيد من قيمة هذه المؤلفات، ويرفع من قدرها، ويعلي من

شأنها أن أصحابها لم يؤلفوها بعد إسلامهم مباشرة، فتحمل ـ من حيث لا يشعرون ـ القلق النفسي، والصراع الفكري، وغبش التصور، وخطأ الحكم؛ لأن الحكم على الشيء فرع عن تصوره. وإنما أُلِّفَت بعد فترة من الاستقرار النفسي، والرسوخ العقدي، والفهم الصحيح للدين الإسلامي، إذ بعضها لم يؤلف إلا بعد مضي أكثر من ثلاثين سنة على إسلام مؤلفها. فهي إذاً إعادة قراءة للماضي ببصيرة الحاضر بعد التحول الحادث .

١٢ ـ الحرص والحماس والرغبة الصادقة في هداية بني قومهم إلى هذا الدين الذي شرفوا بالانتساب إليه .

١٣ ـ الحرص على الكتابة باسلوب واضح مفهوم يجمع بين جزالة اللفظ وقوة الدليل، وسمو الغاية .

وبعد هذا الاستعراض السريع لأهم السمات المشتركة بين مناهج المتقدمين ومناهج المعاصرين؛ يحسن استعراض المناحي التي تميزت بها مناهج كل طائفة عن الطائفة الأخرى، ولن أطيل في ذكر تفاصيل هذه النقاط؛ لأنني سبق وأن ذكرتها في الفصل الأول والثاني من هذا الباب .

أما المناهج التي تميز بها المتقدمون فهي :ـــ

١ ـ أنهم اخضعوا ماتلقوه من نصوص وعبادات واعتقادات من كتبهم، أو ما توارثوه عن أجدادهم ـ للتمحيص الدقيق .

٢ – استقراء الكتاب والسنة .
٣ ـ دراسة مؤلفات علماء الإسلام في هذا المجال لمحاولة استكمالها والإضافة عليها .
٤ ـ استحضار حقائق التأريخ ومسلماته لتكون شاهدة لما أثاروه من قضايا .
٥ ـ إلزام أهل الكتاب بما يلتزمونه من دينهم.
٦ ـ إتحاف الأمة بنصوص من نصوص العهدين لا تكاد تجد لها اليوم أثراً .
٧ ـ النقد المباشر .
٨ ـ عدم الاستعانة بالمصادر المتعددة والاكتفاء بالكتب المعتمدة لدى كل ملة .
٩ ـ أن السابقين كانوا أوفر علماً من اللاحقين، ويتبين ذلك من قلة الملاحظات والمآخذ على كتبهم، ولعل مرجع ذلك إلى أمور منها: ـ

أ ـ وجود العلماء السابقين الأجلاء على ساحة الأحداث، فيتتلمذون عليهم، وينقلون عنهم، وينهلون من علمهم، ويرشدونهم إلى الحق .
ب ـ قيام المهتدين بدراسة مؤلفات علماء الإسلام في هذا المجال وفي غيره من المجالات المختلفة قبل الإقدام على التأليف؛ مما زادهم رسوخاً وعمقاً وفهماً للإسلام .

جـ ـ أن ثقافة المعاصرين من هؤلاء كثقافة كثيرين من أبناء الأمة الإسلامية في الوقت الحاضر، ثقافة فكرية معاصرة هشة، لم ترتبط بجذورها، ولم يصاحبها التأصيل العلمي .

أما المناهج التي تميز بها المعاصرون فهي :ـ

١ ـ المقارنة بين نسخ وتراجم العهد القديم والعهد الجديد والرجوع إلى قواميس اللغات القديمة للاستعانة بها على معرفة بعض الألفاظ الواردة في العهدين .

٢ ـ المقارنة بين الألفاظ الواردة في العهدين والربط بين ما يتفق منها وما يختلف .

٣ ـ حل رموز الكتاب المقدس بعضها ببعض .

٤ ـ الانتصار للحق بأقوال النصارى القدماء والرد من خلالها على النصارى المحدثين .

٥ ـ عقد المقارنة بين الأديان سواء كانت بشرية أو إلاهية محرفة من جانب، وبين الإسلام من جانب آخر .

٦ ـ مراعاة العرض المتدرج للقضية موضع الدراسة .

٧ ـ تخصيص مؤلفات مستقلة لقضايا خاصة .

٨ ـ محاولة الموافقة بين القرآن والتوراة والإنجيل .

٩ ـ كثرة النقل عن الدراسات الحديثة التي وجّهت لنقد التوراة والإنجيل .

١٠ ـ كما اتسمت بعض كتابات المتقدمين بأنها نقد مباشر، فقد اختفى هذا الطابع في كتابات المحدثين .

١١ ـ كما تميز من بين المتقدمين كل من الطبري والسموءل بعظيم أثرهما على من بعدهما، فقد تميز كل من المهتدي عبدالأحد داود وبوكاي بتأثيرهما على من جاء بعدهما من أصحاب هذا الاختصاص .

١٢ ـ تفرد بوكاي باتباع المنهج المقارن بين التوراة والإنجيل والقرآن والعلم .

١٣ ـ تفرد بوكاي ـ أيضاً ـ بإخضاع القرآن والسنة النبوية لمنهجه المبني على عدم التسليم لأي اعتقاد سابق لم يثبته العلم التجريبي الحديث .

١٤ ـ ظهر في بعض كتابات المعاصرين عدم الوقوف أمام القرآن الكريم والسنة النبوية موقف التسليم والقبول .

١٥ ـ تبين لي التشابه ـ إلى حد كبير ـ بين مناهج المتقدمين فيما بينهم، بينما ظهر التفاوت بين بعض مناهج المتأخرين .

وفي الحقيقة أن هؤلاء وأولئك هم رواد هذا المنهج؛ فهم الذين وضعوا أسسه، وشيدوا أركانه، ونصبوا شواهده، وأقاموا حججه، واحتج

بأقوالهم وحالهم من جاء بعدهم من علماء المسلمين من رواد هذا الفن. ويمكن تحديد وتسمية المناهج التي سلكوها حسب المصطلحات الحديثة بأنهم سلكوا : المنهج التأريخي، والمنهج المقارن، والمنهج التحليلي .

ومما يلفت الانتباه أنني لم أعثر في ثنايا كتب المهتدين المتأخرين على أي نقل عن كتب المتقدمين من إخوانهم، بل لم أعثر على أي نقل فيما بينهم[1]. وإن نقل منها علماء المسلمين المتقدمين والمتأخرين ـ ولعل مرد ذلك إلى أن كل واحد يتوافر لديه من الأدلة والبراهين - على ما يريد تأكيده أو نفيه - ما يغنيه عن الرجوع إلى تلك المصنفات السابقة عليه، وهذا يؤكد ما قلت سابقاً[2] من استقلالهم وتميزهم الفكري، ويحتمل أنهم تركوا النقل قصداً؛ مخافة أن يظن بهم تقليدهم، والسير في ركابهم، والظن بهم، وأنهم أعجبتهم تلك المصنفات فساروا خلفها من غير تمحيص أو تدقيق أو روية ... فكأنهم أرادوا أن يقولوا للقارىء ـ بلسان الحال ـ: إن لدينا من البراهين والحجج والشواهد ـ سوى ماقدموا ـ أدلة تدفع الباطل، وتخضع المعاند، وتبيّن الحق، وتدفع الشبه، وتحطم زيف الإرث السابق .

وفي نهاية هذا الفصل أجد أن هناك سؤالاً يفرض نفسه وهو: لم كثرت الردود على النصاري ـ في هذا المجال ـ ولم يكن لها ما يماثلها في الرد على اليهود؟ وللإجابة على هذا السؤال أقول .

(١) ويستثنى من ذلك المهتدي المتطيب فقد نقل عن المهتدي الطبري ولم يذكر المصدر، انظر كتاب «النصيحة الإيمانية فى فضيحة الملة النصرانية»، ص١٣٨ وقد سبقني بالإشارة الى ذلك محقق هذا الكتاب

(٢) انظر ص ٧٧٦ من هذا البحث .

أولاً : أن اليهود أقلية، فلا يمكن أن تقارن نسبة هؤلاء بأولئك .

ثانياً : أن أكثر كتب علماء الإسلام ـ في هذا الفن ـ ردود على كتب وردت من النصارى فيستفاد من ذلك أن اليهود لم يكونوا يهاجمون الإسلام من خلال الكتب التي تنتقص الإسلام وتدعوا إلى اليهودية، عدا نزر يسير منها لا يستحق أن يذكر، وهذا راجع إلى الأسباب الآتية :ـ

١ ـ الذل الذي ضربه الله عليهم بسبب كفرهم بالله، وقتلهم الأنبياء وتحريف الكتاب قال تعالى : ﴿وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير الحق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون[1]﴾. فلا يستطيعون أن يواجهوا مواجهة علنية سواء كانت بالسلاح أم بالسنان بسبب هذا الذل .

٢ ـ أنهم يرون أن دينهم خاص بهم فلا يدعون إليه .

٣ ـ أن بعض كتابات النصارى التي ترد على المسلمين غايتها الدفاع عن النصرانية المحرفة، وتشكيك المسلمين في دينهم، ودعوتهم إلى الدخول في دين النصرانية... مما يضطر علماء المسلمين إلى الرد عليها وتفنيد ماجاء فيها. ولم يكن اليهود في موطن القوة حتي يهاجموا .

(١) سورة البقرة ، الآية ٦١ .

٤ ـ أن الكتابة تلجئهم إلى إبراز أنفسهم، وهم من الذل لا يحتملون ذلك؛ فيكتفون بالعمل في الخفاء، من تدبير الدسائس والمكائد، وادعاء الإسلام للكيد له من داخله .

٥ ـ أن هذه الأمة ـ اليهود ـ أمة شعارها العزلة، ودينها الانطواء على النفس.. فمن الطبعي أن تكون الكتب الصادرة عنها قليلة والردود عليها قليلة تبعاً لذلك .

الباب الرابع

الأثر العلمي والدعوى لمسلمي أهل الكتاب

ويشتمل على أربعة فصول وهي : -

١ - الفصل الأول : استفادة الدعاة منهم في إثراء الحجج والبراهين على قوة الإسلام.

٢ - الفصل الثاني : أثرهم على العلماء المسلمين في مجال التأليف في مقارنة الأديان.

٣ - الفصل الثالث : أثرهم في إزالة الشبهات.

٤- الفصل الرابع : أثرهم في دعوة غير المسلمين.

مقدمة : -

في الأبواب السابقة اتجه البحث إلى التعريف والتنقيب والتمحيص والاستشهاد والنقد والمقارنة .. وفي هذا الباب يتجه البحث إلى وجهة أخرى هي بيان أثر هؤلاء المهتدين على من أتى بعدهم من رواد هذا الفن. فقد أوضحت فيه أثرهم على الدعاة، ومدى استفادتهم منهم في تقديم الحجج والبراهين، ثم ذكرت أثرهم على العلماء المسلمين في مجال التأليف في مقارنة الأديان، وأحطت بجهادهم في كشف الشبهات التي يثيرها اليهود والنصارى في وجوه المسلمين، وكان ختام هذا الباب في ذكر صور من دعوتهم لغير المسلمين إلى الإسلام .

الفَصْل الأوّل

استفادة الدعاة منهم
في
إثراء الحجج والبراهين
على قوة الإسلام

أنزل الله القرآن على رسوله محمد ﷺ، وأنزل معه مثله وهو السنة: ﴿وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم[1]﴾، وضمنهما كل ما تحتاج إليه البشرية من منهج متبع وصراط مستقيم، وحذرها من كل شر، ورد عنها كل باطل...فليست الأمة الإسلامية بعد هذا الخير العظيم من الكتاب والحكمة بحاجة إلى ما سواهما من قول بشر .

ولكن طرأ على البشرية ماطرأ من التغير والاختلاف، وكلما ابتعدت عن منهج الله زاد هذا التفرق والاختلاف، وقد أشار القرآن الكريم إلى هذه الظاهرة فقال تعالى: ﴿وما كان الناس إلا أمة واحدة فاختلفوا[2]﴾ وهذه الأمم المختلفة منهم الوثني والمجوسي واليهودي والنصراني والملحد... وهؤلاء كلهم لا يؤمنون بهذا القرآن ولا يدينون بالإسلام؛ فكان من باب إقامة الحجة على المعاند الذي يرفض القرآن والسنة ـ الاستناد إلى إحقاق الحق بأقوال المهتدين من أبناء تلك الأمم، وهذا منهج رسمه الله لنا في محكم كتابه فقال:﴿سل بني إسرائيل كم آتيناهم من آية بينة ومن يبدل نعمة الله من بعد ماجاءته فإن الله شديد العقاب[3] ﴾وقال تعالى: ﴿وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين كفروا للحق لما جاءهم هذا سحر مبين﴾ إلى قوله : ﴿قل أرأيتم إن كان من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم إن الله لا يهدي القوم

(١) سورة النحل ، الآية ٤٤ .

(٢) سورة يونس ، الآية ١٩ .

(٣) سورة البقرة ، الآية ٢١١ .

الظالمين[1]﴾. وقال ﷺ: (لو آمن بي عشرة من اليهود لآمن بي اليهود[2])
فكان هذا الإيراد لهذه الشهادة، وهذا الإخبار عن إيمان يهود ـ منهجاً سارت عليه الأمة الإسلامية فيما بعد ذلك؛ فكانت تعتمد في حجاجها وجدالها ـ بالإضافة إلى ماورد في القرآن والسنة ـ على ما جاء عن طريق هذه الأفواج المؤمنة من أبناء تلك الأمم؛ لأن إلزام الخصم من واقع ما يعتقد من أبرز المسالك الجدلية الملزمة للخصم ...ألم تر أن كتب دلائل النبوة وكتب السيرة تدلنا على شغف علمائنا الأفاضل بما ورد عن أهل الكتاب من خبره ﷺ ونعته في الكتب المتقدمة.

ولم يكن هذا الاعتماد من علمائنا على أثر هؤلاء إلا لأنهم وجدوا فيها أدلة راسخة، وحججاً قوية، وبراهين ثابتة، ولقد كانت هذه الأدلة محل العناية والحفاوة من كبار علماء الإسلام ودعاته؛ إذ يرى شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله أن من وجوه العلم بأن الأنبياء قبل محمد ـ ﷺ وعليهم أجمعين ـ بشروا به: (إخبار من وقف على تلك الكتب وغيرها من كتب أهل الكتاب، ممن أسلم وممن لم يسلم، بما وجدوه من ذكره بها[3]). وكما يرى شيخ الإسلام ابن القيم رحمه الله أن من طرق معرفة الأخبار والبشارات بنبوته ﷺ في الكتب المتقدمة اعتراف من أسلم من أهل الكتاب بأنه مذكور في كتبهم فيقول:(الرابع: [أي من الطرق]

---

(١) سورة الأحقاف ، الآيات ٧ – ١٠ .

(٢) رواه البخاري في صحيحه في كتاب مناقب الأنصار ، باب ٥٢ واللفظ له. ومسلم في صحيحه في كتاب صفات المنافقين وأحكامهم ، حديث ٢٧٩٣ .

(٣) الجواب الصحيح ، جـ ٣ ، ص ٢٨٢ .

اعتراف من أسلم منهم بذلك، وأنه صريح في كتبهم، وعن المسلمين الصادقين منهم تلقّى المسلمون هذه البشارات وتيقنوا صدقها وصحتها بشهادة المسلمين منهم بها مع تباين أعصارهم وأمصارهم وكثرتهم واتفاقهم على لفظها، وهذا يفيد القطع بصحتها، ولو لم يقر بها أهل الكتاب، فكيف وهم مقرون بها لا يجحدونها، وإنما يغالطون في تأويلها والمراد بها [1] .

ومما يؤكد عِظَم الدور الذي قام به هؤلاء الرواد، وأثرهم على دعاة الأمة الإسلامية قول ابن القيم رحمه الله:(وأما كعب الأحبار فقد ملأ الدنيا بما في النبوات المتقدمة من البشارة به، وصرح بها بين أظهر المسلمين واليهود والنصارى، وأذّن بها على رؤوس الملأ، وصدّقه مسلمو أهل الكتاب عليها، وأقروه بما أخبر به، وأنه كان أوسعهم علماً بما في كتب الأنبياء، وقد كان الصحابة يمتحنون ما ينقله ويزنونه بما يعرفون صحته؛ فيعلمون صدقه[2])

هذه شهادة بعض دعاتنا فيما لمسوه منهم، أما ما وجدته من الأدلة الدالة على ما جاءت به الرسالة الخاتمة فيما يتعلق بالقضايا التي تناولتها هذه الدراسة المتواضعة مما هو مبثوث في مصنفاتهم وآثارهم فأكثر من أن يحيط به هذا الفصل؛ إذ هذه الأدلة هي محور هذه الرسالة، ولكن سأذكر في هذه العجالة أدلة كل قضية تناولوها بالنقد والتحليل وهي: -

(١) هداية الحيارى ، ص ٢٠٦ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٢٢٧ .

الأول : الأدلة النقلية من كلام المسيح عليه السلام على نفي ألوهيته وعددها ثلاثون دليلاً.

الثاني: الأدلة النقلية من كلام تلامذته وحوارييه على نفي ألوهيته وعددها سبعة أدلة .

الثالث: الأدلة العقلية التي استدل بها هؤلاء المهتدون على نفي ألوهية المسيح عليه السلام وعددها ستة أدلة .

الرابع: الأدلة النقلية التي استدل بها النصارى على ألوهية المسيح عليه السلام وفندها هؤلاء المهتدون وعددها تسعة أدلة .

الخامس: الأدلة الحسية التي استدل بها النصارى على ألوهية المسيح عليه السلام وفندها هؤلاء وهي المعجزات والآيات التي أظهرها الله على يديه، أو ادعى النصارى أنها ظهرت على يديه .

السادس: أثبت هؤلاء المهتدون من خلال كتب النصارى أن المسيح عليه السلام بشر .

السابع : نقل هؤلاء عن كثير من النصارى القدماء والمحدثين أقوالاً موثقة تؤكد رفضهم لألوهية المسيح

الثامن : إبطال دعوى النصارى بنوة المسيح عليه السلام لله رب العالمين، وتفنيد الأدلة التي استدلوا بها على ذلك وعددها سبعة أدلة .

التاسع : نفي هؤلاء اتحاد اللاهوت بالناسوت بتسعة أدلة .

العاشر : نفي الصلب بسبعة عشر دليلاً .

الحادي عشر : أكد هؤلاء المهتدون انحراف أهل الكتاب: عقيدة وعبادة وعملاً .

الثاني عشر: أقام المهتدي الطبري عشرة أدلة تؤكد نبوته ﷺ ، وكل دليل منها كاف للتدليل على نبوته .

الثالث عشر: استشهد هؤلاء المهتدون على نبوته ﷺ بست وتسعين بشارة وردت عن الأنبياء السابقين على نبينا ﷺ وعليهم أجمعين مما ورد في كتب أهل الكتاب .

الرابع عشر: إثبات تحريف العهد القديم وتناقضه .

الخامس عشر: إثبات تحريف العهد الجديد باثنين وعشرين دليلاً .

السادس عشر: إثبات تناقض الأناجيل فيما بينها بتسعة وعشرين تناقضاً.

السابع عشر: إثبات تناقض التوراة مع الأناجيل .

الثامن عشر: فنّد هؤلاء المهتدون خمساً وعشرين شبهة مما يثيرها أهل الكتاب في وجوه المسلمين .

التاسع عشر: تواتر الأخبار والأدلة عنهم في هذه القضايا مع تباين أعصارهم واختلاف أمصارهم .[1]

(١) انظر ما يؤكد هذا التواتر : الجواب الصحيح ، جـ ٣ ، ص ٢٩٧ ، والأجوبة الفاخرة ، ص ١٧٠ .

أما إفادتهم للدعاة في إثراء الحجج والبراهين ـ عدا ماذكر ـ فليس في الإمكان حصرها؛ لأن ما خلفوه من ثروة علمية وفكرية ودعوية كانت كالمورد العذب كل يرد عليه وينهل منه ما يناسبه، ويستدل به على ما يريده، ولكن الذي تيسر استنتاجه من هذه الثروة العلمية فهو كما يلي: ـ

أولاً: تصحيح بعض الأخطاء التي وردت في بعض المصنفات الإسلامية في هذا الفن وهي كما يلي: ـ

١ ـ ظن كل من القرطبي ـ مؤلف كتاب الإعلام ـ والقرافي وشيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم رحمهم الله ـ أن كلاً من متى ويوحنا كانا من الحواريين[١]، ولعل لهم عذرهم في هذا الظن؛ إذ كان هذا الأمر هو المنقول والمتعارف عليه في عهدهم حيث ورد عن المهتدي الطبري ـ وهو من قدماء المهتدين ـ مثل هذا الظن[٢] . بينما اعتبر المهتدون المتأخرون ـ استناداً منهم على دراسات حديثة ـ أن جميع كتبة العهد الجديد لم يكونوا من الحواريين[٣] .

٢ ـ يعتقد اليهود والنصارى أن إبراهيم عليه السلام ـ بحكم تفضيله لإسحاق ـ قد منحه العهد والميراث المضاعف. وقد ذهب إلى

---

(١) انظر الإعلام ، ص ٤٢٤ . والأجوبة الفاخرة ، ص ٢١. والجواب الصحيح ، جـ ٤ ، ص ٧ . وهداية الحيارى، ص ٢١٨ .

(٢) انظر الدين والدولة ، ص ١٨٥ ، ١٨٦ ، ١٩١ .

(٣) انظر محمد ﷺ في التوراة والإنجيل والقرآن ، ص ١٤٤ - ١٤٧. وسر إسلامي ، ص ٤٣ - ٤٤. والقرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم، ص ٧٥ - ١٠٣. والإنجيل والصليب ، ص ٣١ .

قريب من هذا القرطبى في كتابه الإعلام حيث قال: (بل مفهومه وظاهره أن الذي منعه [1] الله لإسماعيل إنما هو ميراث في إبراهيم، وهو حظه في ماله وأعطاه إسحاق[2]) . وقد فند هذا الاعتقاد كل من المهتدي عبد الأحد داود والنجار وإبراهيم خليل[3]، وقد استقصيتُ أدلتهم في هذه القضية عند الكلام على الشبهة الثامنة في الفصل الثالث من هذا الباب .

٣ ـ وجد د. أحمد السقا محملاً للتناقض الوارد في إنجيل متى بين خصوصية رسالة المسيح عليه السلام لبني إسرائيل وعمومها لكل الأمم ـ بأن التخصيص كان في بداية دعوته، أما في نهايتها فكانت عامة، إذ يقول عن النص الوارد بشأن قصرها على بني إسرائيل :(وهذا في بدء دعوته، وفى نهايتها قال: انطلقوا إلى الأمم[4]) . بينما يؤكد المهتدي بوكاي أن تعميم رسالة المسيح إلى كل الأمم من صنيع متى وليس من كلام المسيح عليه السلام[5] .

٤ ـ وردت عبارات كثيرة في الإناجيل تعزى إلى المسيح عليه السلام يصف فيها نفسه بـ«ابن الإنسان» فاستدل بها القرافي على

---

(١) كذا في الإعلام ، ولعل الصواب : أن الذى منعه الله إسماعيل .

(٢) المصدر السابق، ص ٢٣٤ .

(٣) انظر محمد في الكتاب المقدس ، ص ٥٥ – ٦٥ . والمنارات الساطعة و ص ٥٩ – ٦٠ . ومحمد ﷺ في التوراة والإنجيل والقرآن ، ص ٣٣–٤٢ .

(٤) انظر كتاب الإعلام للقرطبي ، ص ٢٧٤ هوامش المحقق. ومتى ١٥ ، ١٨ .

(٥) انظر القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم ، ص ٨٠ .

بشرية المسيح[1]. بينما يؤكد المهتدي عبد الأحد داود أن الرسول ﷺ هو المراد بلفظة أو مصطلح «ابن الإنسان»[2].

٥ ـ استشهد القرطبي بقول إشعياء : (هذا غلامي المصطفى[3]...) على أن المسيح عليه السلام بشر. في حين أورد هذا النص كل من المهتدي الإسكندراني والترجمان والنجار وإبراهيم خليل على أنه بشارة بنبينا محمد ﷺ[4] .

ثانيا: مؤلفات المهتدين: خلّف لنا هولاء المهتدون مجموعة طيبة مباركة من المصنفات التي خُصصت لنقد اليهودية والنصرانية: مصادر وعقيدة وعبادة وعملاً ومنهجاً. أثْرت ميدان الصراع العقدي بين الأمة الإسلامية وخصومها، وأمدت الأمة بأسلحة بيانية نافذة تستعين بها ـ بعد الله ـ في هذه المواجهة الشرسة .

وقد تنوعت هذه الكتب لتشمل كافة أغراض الأمة في هذا الصراع فهذه كتب تنقد مصادر اليهودية والنصرانية، وأخرى تنتقدها في عقيدتها وعباداتها، وثالثة تبيّن للأمة عِظم الكيد الخفي والمعلن الذي يمارسه اليهود والنصارى في أوساط هذه الأمة بغية تهويدها أو تنصيرها.

---

(١) انظر الأجوبة الفاخرة ، ص ٦٩ .

(٢) انظر محمد في الكتاب المقدس ، ص ٩٥ ، ٢٤٠ .

(٣) انظر الإعلام ، ص ٥٠ ، وإشعياء ٤٢ .

(٤) انظر مسالك النظر ، ص ٥٩ . وتحفة الأريب ، ص ٢٧٩ . والمنارات الساطعة ، ص ٦٤ . ومحمد ﷺ في التوراة والإنجيل والقرآن ، ص ٤١ .

ومما يعلي من قيمتها، ويرفع من شأنها أنها أصابت المحز وقطعت في المفصل؛ لأنها صدرت ممن كانوا على رأس الهرم العلمي أو العملي في ملتهم السابقة، فهم إذاً أدرى بالثغرات إذ كانوا يوارونها، وأخبر بالمخططات إذ كانوا يباشرونها .

ومما حققته هذه المصنفات ـ وينتظر أن تحقق مزيداً منه ـ أن كل واحد من هذه المصنفات يمثل وثيقة إدانة لدين صاحبها قبل إسلامه شاهدة في الماضي والحاضر والمستقبل، فتستقبلها الأجيال جيلاً بعد جيل، يسترشد بها المهتدي، وتنير الطريق أمام الحائر، وتهدي من جعلها الله سبباً في هدايته، وتفضح كيد الأعداء؛ حتى تأخذ الأمة حيطتها وحذرها. كما يمكن أن تترجم هذه المؤلفات فتؤدي نفس الغرض الذي قامت به في اللغة الأصلية، بل قد تكون ترجمتها أعظم أثراً، وأجدى نفعاً من بقائها في لغتها الأولى، كما نقلت مؤلفات المهتدي عبد الأحد داود من التركية إلى العربية، ومن الإنجليزية إلى العربية .

ثالثاً : استفادة الدعاة منهم: من نعم الله على هذه الأمة أنك لا تجد فيها ذلك الانفصام البغيض الموجود في الديانات الأخرى بين العلم والعبادة، وبين العلم والدعوة؛ فعبادنا هم دعاتنا، وعلماؤنا هم عبادنا، وعلماؤنا ـ أيضاً ـ هم دعاتنا. وسترى في الفصل الثاني من هذا الباب مدى إفادة علمائنا من مسلمي أهل الكتاب نقلاً واقتباساً واستئناساً، فكل نص نقلوه، وكل دليل استدلوا به، وكل حالة استأنسوا بها فهي تمثل أثراً من آثارهم على دعاتنا .

رابعاً: إسلام كل فرد منهم يمثل وثيقة إدانة: لا يزال الصراع محتدماً بين الوحدانية والوثنية، وبين التوحيد والتثليث، وبين الإسلام والكفر.. واستمر هذا الصراع طويلاً حتى استيئس الصليبيون من جدوي الحملات العسكرية؛ فلجأوا إلى أساليب ماكرة تثخن في الإصابة ولا تكلف المحارب أنفساً ودماءً. فكان إسلام هؤلاء الرواد صفعة في وجه الحملات الصليبية من جانبين. الأول: أنه شهادة على دينهم بالأفول. والثاني: الانتصار المعنوى للأمة المستهدفة؛ إذ تتسلل إليها القيادات العلمية والعملية لتعلن وقوفهم معها .

وهذا التحول يمثل أعظم حجة في يد الداعي المسلم يستشهد بها على مناوئيه في زمن استفحل فيه شأن المجابهة الفكرية. ألم تر أن النصارى يحتجون علينا باعتقاد غلاة الرافضة بتحريف القرآن[1]. وهم أول من يعلم كذب الرافضة في هذه الدعوى، فهل نستهين بهذا الجانب؟؟!! .

(١) روى احتجاجهم هذا الشيخ رحمة الله بن خليل الرحمن الكيرانوى فى كتابه «إظهار الحق» نشر المكتبة العصرية بيروت ، بعناية عبدالله بن إبراهيم الأنصارى ، جـ٢ ، ص ٢٠٢ - ٢٠٩ .

الفَصل الثاني

أثرهم على العلماء المسلمين
في
مجال مقارنة الأديان

ويشتمل على مبحثين هما : –

١ – تأثر المسلمين بمسلمي أهل الكتاب .

٢ – تأثر العلماء المسلمين بمسلمي أهل الكتاب في مجال مقارنة الأديان .

المبحث الأول
تأثر المسلمين بأهل الكتاب

كانت البشرية قبل مبعث محمد ﷺ مختلفة الملل، متفاوتة النحل، فمنهم الوثني والمجوسي واليهودي والنصراني ... ولما بعث الله رسوله بالهدي ودين الحق، ودعا الناس إلى عبادة الله وحده... وأذن الله لهذا الدين بالانتشار ـ دخلت فيه هذه الأمم أفواجاً تلو أفواج، ونتج عن هذا التدافع الضخم نحو الإسلام أمور إيجابية، وأخرى سلبية .

فأما الأمور الإيجابية: فإقامة دين الله في الأرض، وتحقيق العبودية له، وتحقيق شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، ونصرة الحق، وتكثير أتباعه، وإضعاف الباطل وتضييق نطاقه .

أما السلبيات فهي :ـ

١ ـ دخل في دين الله فئام من الناس وهي لم تتخل عمّا تحمله من عقائد مخالفة للإسلام؛ فنتج عن ذلك افتراق في صفوف الأمة الإسلامية، وفساد في عقائدها كالغلو في علي رضى الله عنه، وكالقول بخلق القرآن ..

٢ ـ كانت هذه الأمم قبل إسلامها تحتفظ ببعض تراثها العلمي، وبعد إسلامها تم تعريب هذا التراث فأدخل على الأمة فلسفة وخلافاً لا تزال تعيش آثاره السيئة إلى اليوم .

٣ ـ من بين الأمم التي دخلت في دين الله اليهود والنصارى، وهم الذين لا يزالون يملكون كتباً تنسب إلى الأنبياء عليهم السلام، وبما أن القرآن الكريم والسنة النبوية ورد فيهما ذكر بعض الأمم الغابرة، والأحداث الماضية؛ فقد كان المجال واسعاً ورحباً لانتقال أخبار هذه الأمم وأحداثها إلى المؤلفات الإسلامية في بعض المواضع الخاصة التي تتناسب معها كالحديث والتفسير والتأريخ، وهو ما عرف اصطلاحاً بـ «الإسرائيليات» .

ولم تكن هذه الإسرائيليات لتجد لها مكاناً في مؤلفات العلماء المسلمين إلا لأنها وردت عن علماء من أهل الكتاب أسلموا فحسن إسلامهم، فكان العلماء المسلمون يسألونهم فيما خفي عليهم من أخبار الأمم الماضية مما ورد خبره مقتضباً في الكتاب والسنة .

وكان لهذه المرويات الأثر السلبي على حياة الأمة الإسلامية في عقيدتها ومؤلفاتها وتصوراتها .

المبحث الثاني

تأثر العلماء المسلمين بمسلمي أهل الكتاب في مجال مقارنة الأديان

ويشتمل هذا المبحث على ثلاثة مطالب هي :ـ

المطلب الأول : الأدلة التي قدمها هؤلاء المهتدون إلى الأمة الإسلامية :ـ

إن المكانة العلمية، والقيادة الدينية، والدربة الفكرية، والتجربة العملية التي عاشها هؤلاء المهتدون في ملتهم السابقة مكنتهم بعد إسلامهم من استمرار العطاء، وتجديد البذل، ومواصلة الخطوات على طريق الدعوة؛ فاتحف هؤلاء الأمة الإسلامية بثروة علمية هائلة في نقد التوراة والإنجيل، وما يتبع ذلك من إلزام اليهود والنصارى بالتوحيد الخالص، وإثبات نبوة نبينا محمد ﷺ، وقد كان عماد هذه الثروة المقدمة : الكتاب المعتمد ـ بأصوله القديمة ولغاته العتيقة ـ والأصل المتبع، والعبادة القائمة .

وتلقى علماء الأمة الإسلامية هذا العطاء المتواصل بالبشر والترحاب؛ فأشادوا به حيناً، ونقلوا عنه حيناً آخر. ولم يكن هذا النقل عنهم من باب الحاجة إلى الأدلة؛ لأن عندهم الكتاب والسنة وقد جمع الله فيهما كل ما تحتاج إليه البشرية من بيان للحق ودمغ للباطل، بالإضافة إلى أن التوراة

والإنجيل كانا متوافرين لديهم بلغة عربية مما هيأ لهم الاطلاع عليهما واستنباط الأدلة منهما[1] .

ولكن كان هذا التلقي من باب إلزام الخصوم، والاعتماد عليها في

(١) قال أحد الباحثين المعاصرين : (وإن الحكم على ما كتبه المسلمون في هذا الحقل (أي مقارنة الأديان) لا يكون صحيحاً إلا بعد كشف هذه النصوص - التي كتبها المهتدون - وتحقيقها ودراستها ومقارنتها ، وإن ذلك سيعدل أو سيغير أحكاماً كثيرة سابقة على بعض المؤلفين وبعض المؤلفات) ص ٢٣ من مقدمة النصيحة الإيمانية . وهذا الحكم بهذا التعميم غير صحيح على إطلاقه ؛ لعدة أمور منها : -

١ - يمتلك العالم المسلم حقائق يقينية عن الله سبحانه وتعالى وردت في القرآن والسنة تتعلق بالجدل مع أهل الكتاب ، وهذه الحقائق تضيء له الطريق ، وتمنح حكمه الإصابة والتسديد .

٢ - توافر نسخ التوراة والإنجيل باللغة العربية - وهي حجة ملزمة لأهل الكتاب - بأيدي العلماء المسلمين يمكنهم من بيان تناقضها ، وإثبات تحريفها ، واستنتاج الأدلة منها .

٣ - معرفة بعض علماء الإسلام لبعض اللغات التى كتبت بها كتب أهل الكتاب أمكنهم من الاطلاع والترجمة والمجادلة عن وعي وبصيرة وعلم .

٤ - يتمتع العلماء المسلمون بعقلية موسوعية فذة ساعدتهم على دراسة اليهودية والنصرانية والرد عليهما من خلال كتبهم المعتمدة وأصولهم المتبعة ، وفي الأمثلة التالية خير شاهد على ذلك ، إذ يقول أبو عبيدة الخزرجي : (وقد أوردت فى هذا الرسالة من الأدلة ما فيه الكفاية على سوء ما انتحلوه ، ولم أنقل من التوراة والإنجيل والزبور وصحف الأنبياء إلا ما هو بأيديهم فى وقتنا هذا .. إلى أن يقول : **فلم أورد من ذلك إلا ماقرأته فى كتبهم العبرانية ووقفت عليها بنفسى** ، وطالعت فيها بعض تفاسيرهم وشافهتهم بها) بين الإسلام والمسيحية، تحقيق د. محمد شامة، نشر مكتبة وهبة ، ١٩٧٢م. ص ٩٥٢ وهذا الكتاب اسمه : (مقامع هامات الصلبان) وهذا التبديل لعنوان الكتاب من تحريف المحقق . ويقول القاضي الباجى : (وعندنا من علم شريعتكم ، واختلاف أخباركم في ملتكم ، وما تورده كل طائفه من شبهكم في الأقانيم ، والاتحاد ، ومعنى اللاهوت والناسوت والجوهر ، وغير ذلك من تنميقات أناجيلكم مالو أبدينا إليهما اليسير منه لحيّرهما وبهرهما وعلما أن عندنا من جملها وتفاصيلها مالم ينته إليه أحدٌ من أهل ملتكم ، ولا وصل إلى تفريعه وتتبع معانيه أولكم وآخركم) رسالة راهب فرنسا إلى المسلمين وجواب القاضي أبي الوليد الباجي عليها ، تحقيق د. محمد الشرقاوي ، نشر الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد ، الرياض، ١٤٠٧ هـ ، ص ٦٥ . وانظر إلى أقوال مماثلة وقريبة منها : الأجوبة الفاخرة للقرافي ، ص ١٠٥ . والإعلام للقرطبي ، ص ٧٩ ، ١٨١ . وبين المسيحية والإسلام ، ص ١٥٧ ، ١٨٩ ، ٢٠٦ ، ٢١٤ .

بيان ماذكره القرآن والسنة مجملاً من مثل إثبات التحريف، وبيان خبره ﷺ في كتبهم، وتفنيد الجزئيات التي يستلزم الجدل معهم عرضها على بساط البحث .

ولذا نجد إشادة العلماء المسلمين بهذا التراث العلمي الذي خلّفته لنا هذه المجموعة المباركة ـ مبثوثة في مصنفاتهم، كما نجد توثيق هذا التراث ومقارعة الخصوم به، ومجادلتهم من خلاله وتحديهم لليهود والنصارى بأعيان هؤلاء المهتدين، كما قال شيخ الإسلام ابن القيم رحمه الله: (وعندنا ممن وفقه الله للإسلام منكم من يوافقكم ويقابلكم ويحاققكم عليها[1]) وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله :(ومن أعلم الناس بمقالاتهم من كان من علمائهم وأسلم عن بصيرة بعد الخبرة بكتبهم ومقالاتهم[2]) .

أما الأدلة التي قدمها هؤلاء المهتدون إلى الأمة الإسلامية ـ في مجال مقارنة الأديان ـ فكثيرة جداً لا يأتي على أفرادها الحصر، وقد سبق ذكر كثير منها في فصول هذا البحث، ولكن لعل في بيان أنواعها كفاية إن شاء الله. فأقول :ـ

تتمثل هذه الأدلة المقدمة في خمسة أصناف هي :ـ

الصنف الأول : نصوص الكتب المعتمدة لديهم المنسوبة إلى أنبيائهم، والتي تؤكد الحق الذي جاء به الإسلام، أو تصدق الخبر الذي حمله إلينا

---

(١) هداية الحيارى ، ص ٢٢٧ ، وانظر أيضاً ٢٠٦ منه .

(٢) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، جـ ٢ ، ص ٣١٣ ، وانظر أيضاً جـ ٢ ، ص ٢١٧ ، جـ٣ ، ص ٢٨٢ ، ٢٩٥ منه .

القرآن الكريم والسنة النبوية، أو تنفي الشبه والادعاءات الباطلة التي يثيرها اليهود والنصاري في وجوه المسلمين .

الصنف الثانى : الأدلة العقلية وتتمثل في القياس، والتواتر، والإلزام، وضرب المثل، وإقامة البراهين المحسوسة، وتفنيد الأدلة العقلية التي يعتمد عليها الخصوم في مجادلتهم.

الصنف الثالث : المقارنة بين ما تضمنه القرآن الكريم من حقائق علمية عن الكون والإنسان، وبيان ما توصل إليه الإنسان في هذا العصر من اكتشافات علمية حديثة. ثم مقارنة هذه الاكتشافات بما احتوت عليه التوراة والإنجيل من معلومات مماثلة .

الصنف الرابع : التصحيح ويتمثل في بعض الأحكام المخالفة، أو التصورات الخاطئة التي تصورها بعض العلماء المسلمين في مسائل خاصة في هذا المجال .

الصنف الخامس : استنتاج أدلة جديدة تجمع بين الدليل العقلي والنقلي: ورائد هذا الصنف المهتدي عبد الأحد داود؛ إذ استنتج أدلة عديدة في هذا الفن مما يتعلق بإثبات خبره ﷺ في صحف الأنبياء، أو إضافة أدلة لم يسبق إليها كما في بيانه لحقيقة «الملكوت» أو الغاية من الإنجيل .

المطلب الثاني : أثرهم على العلماء المسلمين في النقل المباشر عنهم :ـ

سبق الحديث في المطلب السابق عن إشادة العلماء المسلمين بما خلّفه مسلمو أهل الكتاب من ثروة علمية ضخمة في مجال نقد اليهودية والنصرانية، ولم تكن هذه الإشادة لمجرد المدح رغبة في استعطاف آخرين منهم لا يزالون على شاكلتهم؛ وإنما لأنهم وجدوا فيها ضالتهم من نصوص قوية، وأدلة عقلية ملزمة، ومنهج سديد، وبراهين ناصعة لا تدفع، وحجج قاهرة لا يمكن تجاهلها أو التغاضي عنها، واستتبع هذا المدح والإشادة الأخذ منهم، والنقل عنهم، وسلوك منهجهم في نقد التوراة والإنجيل .

وقد استقصيت بعض مؤلفات العلماء المسلمين في هذا المجال لغرض معرفة أثر هؤلاء المهتدين عليهم، فوقفت على شيء كثير من هذا التأثير المتمثل في النقل والاقتباس، الذي يؤكد ويبين أهمية هذا الجانب .

ولقد حال دون بلوغ بعض ما في النفس من تتبع آثارهم ورصدها؛ حتى يكون المطلع على بصيرة ـ أن منهج كثير من المؤلفين القدامى عدم النص ـ في كثير من الأحيان ـ على المصدر الذي اعتمد عليه؛ مما يستعصي على المتتبع بيان الأثر الحقيقي لأولئك على هؤلاء. وما تيسر لي من ذلك قسّمته إلى أربعة أقسام، وكل قسم جعلته على هيئة جدول حتى يتضح المصدر المنقول عنه من المصدر الناقل، وهذه الأقسام هي

كالتالي :ـ

القسم الأول: أثرهم على العلماء المسلمين في إلزام اليهود والنصارى بالتوحيد الخالص:

المصدر المنقول عنه	المصدر المنقول عنه المصدر الناقل
إفحام اليهود	هداية الحيارى، ص: ٢١٢ ـ ٢١٤ ، ٢٥٧ـ ٢٦٨ .
إفحام اليهود	إغاثة اللهفان، ج٢، ص: ٤٤٢ ـ ٤٤٧، ٤٤٩ـ٤٥٤، ٤٥٥ ـ ٤٥٦، ٤٧١ ـ ٤٧٩ .
رسالة الحسن بن أيوب	الجواب الصحيح، جـ٢، ص ٣١٣ ـ ٣١٧، ٣١٨ ـ٣٤٣، ٣٥٠ ـ ٣٦٠ ، جـ ٣، ص ٣ـ٤[1] .
الإنجيل والصليب	مقارنة الأديان جـ٢ المسيحية، د.شلبي، ص ١٢٦، ١٣٧، ١٥٥، ١٦١ ،١٦٢، ١٧١، ٢٣٣، ٢٦٧ .
الإنجيل والصليب	في مقارنة الأديان النصرانية والإسلام، للطهطاوي، ص ٥٣، ٦٨ ، ٧٨، ٨١ .
المنارات الساطعة	في الدعوة إلي الإسلام بين غير المسلمين، ص ١٥٣ ـ ١٥٥.
محمد ﷺ في التوراة والإنجيل والقرآن	في مقارنة الأديان النصرانية والإسلام ص ٨٣ .
الأديان في كفة الميزان	المصدر السابق، ص ٩٨، ١١٣، ١٢٠ ـ ١٢٨، ١٣١ـ ١٣٤ .

(١) وكثير من استدلالات شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله المبثوثة في كتابه تكاد تكون مستندة إلى هذا النقل، كالقول باتباع المتشابه، وعدم ورود ما يستندون إليه إلى الأنبياء ، ونفى ألوهية المسيح وعمدتهم فيه ، وجعلهم صفات الله أقانيماً ، وتفنيد استدلالهم بالشمس على المساواة.

المصدر المنقول عنه	المصدر الناقل
الأديان في كفة الميزان	مقارنة الأديان جـ٢ : المسيحية، ص ٢٣٨، ٢٤٠ .
الله واحد أم ثالوث	في الدعوة إلى الإسلام بين غير المسلمين، ص ١٥١ - ١٥٢.
الله واحد أم ثالوث	في مقارنة الأديان النصرانية والإسلام،ص ١٤٤، ١٥٨، ١٩٤، ٢٢٩.
المسيح إنسان أم إله	المصدر السابق،ص ٦٠، ٦٤، ٧٢ ، ٢٣٩ .
المسيح إنسان أم إله	في الدعوة إلي الإسلام بين غير المسلمين،ص ١٥٢ .
مصدر مجهول لم يسم صاحبه.	هداية الحيارى، ص ٣٠٧ .

القسم الثانى : أثرهم على العلماء المسلمين في إثبات نبوة نبينا محمد ﷺ :-

المصدر المنقول عنه	المصدر الناقل
الدين والدولة	الجواب الصحيح،جـ ٣، ص ٣١٩ - ٣٢٢[1].
إفحام اليهود	في مقارنة الأديان ، د. الشرقاوى، ص ٢٢٦ .
إفحام اليهود	يوحنا المعمدان، للسقا، ص ٧٩ .
إفحام اليهود	هوامش تحقيق كتاب الرد على النصارى للجاحظ، ص٥٣ .

(١) إن كثيراً من النبوات التى أوردها شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله فيما بين صفحتي ٣١٨ - ٣٣٢ من جـ ٣ مشعرة بنقلها عمن أسلم ؛ إذ تسبق غالبًا بقوله : وقالوا كما أنه قال في ص ٣١٣ : قال المستخرجون لهذه البشارة ... مما يعضد ما ذكرته آنفاً .

المصدر المنقول عنه	المصدر الناقل
إفحام اليهود	المسيا المنتظر، ص ٥٢، ٥٦، ٦٣، ٢٦٥ .
إفحام اليهود	محمد نبي الإسلام، ص ١٩، ٢٠، ٦٦ .
تحفة الأريب	المصدر السابق، ص ٢٣ .
خلاصة الترجيح للشيخ زيادة	المسيا المنتظر، ص ١٦٧ .
الرسالة الهادية للحبر اليهودي عبد السلام	محمد نبي الإسلام ، ص ٢٣ ، ٢٤ .
الإنجيل والصليب	المسيا المنتظر، ص٦٩ .
الإنجيل والصليب	بشائر الرسالة المحمدية، ص ٤٧، ٤٨، ٥٠، ٥٢.
الإنجيل والصليب	نبوة محمد من الشك إلى اليقين،ص ٢٩٥، ٣٠١ .
الإنجيل والصليب	مقارنة الأديان جـ ٢ المسيحية،ص ٦٩ .
المنارات الساطعة	في الدعوة إلى الإسلام بين غير المسلمين،ص١٥٦، ١٥٨.
المنارات الساطعة	بشائر الرسالة المحمدية، ص٥٣ .
سر إسلامي	المصدر السابق،ص ٥٥ ـــ ٥٦ .
محمد ﷺ في التوراة والإنجيل والقرآن	نبوة محمد من الشك إلى اليقين، ص٣٠٥ ـ ٣٠٦
المصدر السابق	هوامش تحقيق كتاب النصيحة الإيمانية،ص١٣٩ ـ١٤١.
المسيح إنسان أم إله	المسيا المنتظر، ص١٥٩ ، ١٦٠ .

القسم الثالث: أثرهم على العلماء المسلمين في إثبات تحريف التوراة والإنجيل: ـ

المصدر المنقول عنه	المصدر الناقل
إفحام اليهود	إغاثة اللهفان جـ٢، ص ٤٨٨ ـــ ٤٩٦ .
إفحام اليهود	الأجوبة الفاخرة للقرافي، ص ٧٨ ـــ ٨٣ .
إفحام اليهود	هوامش تحقيق كتاب الرد على النصارى للجاحظ، ص٥٤، ١٢١ .
إفحام اليهود	في مقارنة الأديان، للشرقاوي،ص١١٦ ـــ ١١٩، ١٩٩ .
الإنجيل والصليب	في مقارنة الأديان النصرانية والإسلام، ص ٢٥، ٢٥٦ .
الإنجيل والصليب	نبوة محمد من الشك إلى اليقين،ص ٢١٩، ٢٢٠، ٢٢٣
الإنجيل والصليب	مقارنة الأديان جـ٢ المسيحية،ص ١٤٣، ١٤٤، ٢٠٥، ٢٠٧ .
المنارات الساطعة	في مقارنة الأديان النصرانية والإسلام،ص ٢٧٧ .
محمد ﷺ في التوراة والإنجيل والقرآن	نبوة محمد من الشك إلى اليقين، ص ٢١٩، ٢٢١، ٢٢٢، ٢٢٥، ٢٢٧.
الله واحد أم ثالوث	في مقارنة الأديان النصرانية والإسلام،ص ٢٨٣ .
المسيح إنسان أم إله	المصدر السابق ،ص ٢٣٩ .
القرآن والتوراة والإنجيل والعلم	في مقارنة الأديان، ص ١٤٥، ١٦٦، ١٦٧، ١٦٨، ١٦٩، ١٧٢، ١٧٥، ١٧٧، ١٨١، ١٨٤، ١٨٥، ١٨٦ .
المصدر السابق	هوامش تحقيق كتاب تحفة الأريب،ص١١٨، ١٦٦، ١٨٧
ما أصل الإنسان	في مقارنة الأديان ، ص ١١١ .

القسم الرابع: أثرهم على العلماء المسلمين فى موضوعات أخرى تتعلق بنقد التوراة والإنجيل عدا الأقسام الثلاثة السابقة :ـ

المصدر المنقول عنه	المصدر الناقل
إفحام اليهود	إغاثة اللهفان، جـ١ ، ص ٢٦٧ ـ ٢٦٩ .
إفحام اليهود	هوامش تحقيق كتاب الرد على النصارى، ص ٩٥ .
ملف إسرائيل	نهاية اليهود، ص ١١١ .
وهب بن منبه	الإعلام للقرطبي،ص ٢٦٨ . افاد منه فى مجال الترجمة

ولا يفوتني في نهاية هذا المطلب أن أوضح أن هذا البحث المتواضع يعتبر من آثارهم على الحركة العلمية في مجال نقد التوراة والإنجيل؛ إذ هو سبر لمنهجهم، ورصد لأدلتهم، وتتبع لجدالهم، ودراسة لمؤلفاتهم، وكتابة عن حياتهم، وبيان مدى أثرهم على من بعدهم من العلماء والدعاة المسلمين، وأثرهم في دعوة غيرهم من بني قومهم إلى الإسلام .

الفَصْلُ الثالِثُ

أثرهم في إزالة الشبهات

توطئة : لست هنا في مقام استجداء أقوال هؤلاء المهتدين للدفاع عن الإسلام، ونفي الشبه عنه، وإقامة الدليل على بطلانها؛ فهذا أمر قد كفيناه بنصوص القرآن الواضحة، وسنة رسولنا ﷺ الوافية. ولله الحمد .

ولكن الغرض من استعراض هذه الشبه التي فندوها، وسوق الأدلة التي قدموها؛ إنما هو من باب إقامة الحجة على المعاندين من اليهود والنصارى الذين لايؤمنون بالقرآن الكريم .

وإن من إعجاز هذا القرآن أنك لا تجد شكاً أو شبهة رمي بها الإسلام إلا وفي كتابه الإجابة عنها والتفنيد لها، ولعل من حكمة الله البالغة أن جعل خصوم الرسالة في عصرها الأول من أذكى الناس ـ وإن لم يرزقوا زكاءً ـ لأنهم لم يتركوا فرية أو شبهة أو تكذيباً أو طعناً يمكن أن تتفتق عنه عقول البشرية إلا طرحوه على محمد ﷺ فتأتي الإجابة عليه من ملك السموات والأرض في هذا الكتاب الكريم، فلا تكاد جميع الشبه التي رمي بها الإسلام على مختلف عصوره تخرج عن تلك الشبه التي أثيرت في وجه محمد ﷺ، قال تعالى : ﴿ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيراً[1]﴾. وقال تعالى : ﴿ما يقال لك إلا ما قد قيل للرسل من قبلك﴾[2]

---

(١) سورة الفرقان ، الآية ٣٣ .

(٢) سورة فصلت ، الآية ٤٣ .

ولقد أخبر سبحانه وتعالى في محكم تنزيله أن رغبة هؤلاء وأولئك ـ من إثارة الشبه ـ إطفاء نور الإسلام فقال تعالى: ﴿يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون[1]﴾. ولا يستغرب مستغرب كيف تتفق غاية هؤلاء وأولئك؛ لأن الله سبحانه وتعالى أخبرنا عن سبب هذا الاتفاق وأنه تشابه القلوب الذي يؤدي إلى تشابه الأقوال والأعمال، قال تعالى: ﴿كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم تشابهت قلوبهم[2]﴾.

وللتدليل على هذا التشابه نورد بعض الشبه التي أثارها الكفار في وجه محمد ﷺ وستجد أنها هى بنفسها التي تبعث بين آونة وأخرى في هذا العصر :ـ

١ ـ قال كفار قريش عن هذا القرآن: إنه قول بشر. فقال تعالي مخبراً عن ذلك : ﴿ إنه فكر وقدر. فقتل كيف قدر. ثم قتل كيف قدر. ثم نظر. ثم عبس وبسر. ثم أدبر واستكبر. فقال إن هذا إلا سحر يؤثر. إن هذا إلا قول البشر[3]﴾ وقال تعالى : ﴿قل لئن إجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً[4]﴾ وقال بعض المعاصرين: إن هذا القرآن من تأليف محمد ﷺ.

(١) سورة الصف ، الآية ٨ .

(٢) سورة البقرة ، الآية ١١٨ .

(٣) سورة المدثر ، الآيات ١٨ - ٢٤ .

(٤) سورة الإسراء ، الآية ٨٨ .

٢ ـ قال كفار قريش عن هذا القرآن كما أخبر الله عنهم : ﴿وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلاً﴾ ثم قال تعالى معقباً: ﴿قل أنزله الذي يعلم السر في السموات والأرض[1]﴾وقال بعض المعاصرين : إن محمداً ﷺ استكتب التوراة والإنجيل .

وهذه الشبه التي سيتناولها البحث لم تكن شبهاً محدثة تتطلب ردوداً مبتكرة؛ وإنما هي اجترار لما ردده الكفار الذين عاصروا فجر الإسلام. فكل شبهة أثيرت في وجه محمد ﷺ فقد تكفل الله بتفنيدها في محكم تنزيله .

ولقد راعى هؤلاء المهتدون في ردهم لهذه الشبه العقول التي وجهوا إليها خطابهم، وهي عقول يهودية أو نصرانية لا تعقل ولا تؤمن بالقرآن الكريم ولا بنبوة سيد المرسلين؛ فجعلوا جلّ تفنيدهم معتمداً على مالدى القوم من كتب معتمدة، أو أصول متبعة، أو عقائد سائدة. وهذه الشبه التي تناولوها بالدراسة والتحليل هي :ـ

الشبهة الأولى : أن القرآن يؤيد التثليث، ولا يعترف بالوحدانية؛ لأنه يشتمل على «بسم الله الرحمن الرحيم» فالله هو «الآب» والرحمن هو «الابن» والرحيم هو«الروح القدس». تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً .

---

(١) سورة الفرقان ، الآيتان ٥ ، ٦ .

هذه الشبهة أوردها المهتدي مرجان وفندها بالأدلة التالية :ـ

١ ـ أن الذي أثار هذه الشبهة من النصارى قد تناسى أن كلاً من صفتي «الرحمن والرحيم» هما من صفات الله التي لا تعد ولا تحصى، وليست هذه الصفات جزءاً أو عنصراً لله سبحانه وتعالى، والله سبحانه متصف بصفات عديدة دالة على كماله وعظمته وربوبيته وألوهيته .

٢ ـ لو اعتبرنا أن كل اسم أو صفة دال على جزء أو أقنوم للزم من ذلك تعدد الآلهة بعدد الصفات والأسماء الواردة في القرآن الكريم أو السنة النبوية، ولم يقتصر الأمر على التثليث بل يتعدى ذلك إلى التسبيع كما في أول سورة غافر وهو قوله تعالى: ﴿حم. تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم. غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول لا إله إلا هو إليه المصير[1]﴾. أو يتعدى الأمر ذلك إلى اعتقاد سبعة عشر إلهاً كما في آخر سورة الحشر.

٣ ـ استشهد المدعي لهذه الفرية ببعض الألفاظ العامية أو الصيغ المعتادة كألفاظ القسم أو الطلاق. وفي الحقيقة أن هذا الاستشهاد بهذه الألفاظ تحميل لها فوق ما تحتمل من جانب، ومن جانب آخر فإنه يدل على افتقار هذه الشبهة إلى الدليل؛ لأنه إدعى أن القرآن يؤيد التثليث ثم استند ـ فيما بعد ـ لتأكيد دعواه على ألفاظ عامية أو صيغ معتادة .

(١) سورة غافر، الآيات ١ ـ ٣ .

٤ ـ ادعى صاحب هذه الفرية أن المسلم عندما يفتتح صلاته بالتكبير « الله أكبر » فإنه يرمي إلى مقارنة الله بآخر، وأن هذا الاعتقاد يماثل اعتقاد النصارى بالآب والابن. ويرى المهتدي مرجان أن هذا الاعتقاد مبني على المغالطة؛ لأن التكبير والتعظيم الذي يفتتح به المسلم صلاته دال على أن الله أكبر وأعظم من كل شيء، وأنه سبحانه ليس كمثله شيء، وأنها تعني تفرده سبحانه بالإعظام والإجلال والإكبار[1] .

الشبهة الثانية : أن لله سبحانه وتعالى عدداً من الأسماء والصفات ولا يمكن التوفيق بينها إلا إذا آمنا بالتثليث .

هذ الشبهة ـ أيضاً ـ حكاها المهتدي مرجان وفندها بالأدلة التالية :ـ

١ ـ أن المدعي لهذه الفرية يعتنق مذهب الثنوية الذي يعتمد على تقسيم الآلهة إلى إلهين متعارضين كل منهما يحمل صفة مناقضة لصفة الإله الآخر، وكل إله يقوم بعمل لا يقوم به الإله الآخر، فهذا إله الخير وذاك إله الشر !! .

٢ ـ أن المدعي لهذه الشبهة قد هدم الأساس الذي تقوم عليه عقيدة الثالوث في الوقت الذي أراد فيه تأييدها ومساندتها؛ لأن عقيدة الثالوث قائمة على الاعتقاد بمشابهة المخلوقات للخالق، وبأن

(١) انظر الله واحد أم ثالوث ، ص ٥٣ – ٥٧ .

البشر وسائر الحيوانات مكونة من ثلاثة أجزاء كالثالوث. ولو أخذنا الإنسان الذي هو صورة الله ومثاله كما تقرر عقيدة التثليث ـ تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً ـ لوجدناه يتصف بعدة صفات متعارضة متناقضة كالرحمة والقسوة والعفو والانتقام والحنان والبطش ...

٣ ـ يلزم على هذا الزعم أن يتصف المخلوق بصفات لا يتصف بها الخالق، كما يلزم على ذلك أنه يلزم لخلق إنسان متعدد الصفات أن يشترك في خلقه عدد من الآلهة، كل إله يسبغ عليه صفته الخاصة به وبهذا تجتمع الصفات في المخلوق ولا تتوافر في الخالق، وهذا الزعم لا يقول به أحد من البشر؛ حتى إن الوثنيين لا يعتقدون أن المخلوق أفضل وأكمل من الخالق !![1].

الشبهة الثالثة : ينكر النصارى على المسلمين اعتقادهم أن في الجنة أكلاً وشرباً وغرفاً وقصوراً، والذي دفعهم إلى ذلك اعتقادهم أن كل أكل فلا بد له من فضلة...

وكيف ينكرون علينا ذلك وعندهم في التوراة أن إبراهيم عليه السلام أطعم الملائكة دقيقاً ولحماً وزبداً ولبناً. كما أطعمهم لوط خبزاً وفطيراً[2]. فكيف يجوزون أن تأكل الملائكة في هذه الدنيا وليس من طبيعتهم

---

(١) انظر المصدر السابق ، ص ٥٧ – ٦٠ .

(٢) انظر سفر التكوين ١٨ : ٦–٨ و ١٩ : ٣ .

الأكل والشـرب، ويمنعـون أن يأكل البشـر في الآخـرة وهو طبيعتـهم وجبلتهم ؟؟ .

ومما يدفع اعتراضهم على الأكل في الجنة أن جميع العقلاء تسلّم أن الجنين يلبث في بطن أمه خمسة أشهر بعد أن تنفخ فيه الروح يتغذى غذاءً كاملاً تقوم به حياته من طريق سرته، وليس من طريق شرايينه، ولا ينتج عن هذا الغذاء ما ينتج عن سائر الأغذية؛ فالذي خرق النواميس لهذا الجنين في هذا المكان هو القادر على خرق النواميس والسنن في الآخرة .

ولقد فند كل من المهتدي الطبرى والترجمان هذه الشبهة وذلك من خلال إيراد عدة نقول من العهدين تؤكد أن في الجنة أكلاً وشرباً وقصوراً وغرفاً، ومن هذه النقول مايأتي :-

١ - قول المسيح عليه السلام لتلامذته حين شرب معهم : (إني لست شارباً من ابنة هذه الكرمة حتي أشربها معكم تارة أخرى في ملكوت السموات[١]) . فأثبت أن في الجنة أكلاً وشرباً، وإذا ثبت هذا ثبت غيره من باب أولى .

٢ - وعد المسيح عليه السلام تلاميذه بأنهم سيأكلون ويشربون معه في الجنة كما روى ذلك لوقا من قوله: (ستأكلون وتشربون على مائدة أبي[٢]) .

(١) انظر الدين والدولة ، ص ٢٠١. وتحفة الأريب ، ص ٢٤٧. ومتى ٢٦ .

(٢) انظر الدين والدولة ، ص ٢٠١. ولوقا ٢٢.

٣ ـ قال المسيح عليه السلام واصفاً ما أعده الله لأوليائه في الدار الآخرة كما روى ذلك يوحنا من قوله: (ما أكثر الغرف والمساكن عند أبي[١])

٤ ـ استدل المهتدي الترجمان على وقوع الأكل والشرب في الجنة بأن آدم وحواء عليهما السلام كانا يأكلان في الجنة، وأن سبب هبوطهما إلى الأرض أنهما أكلا من الشجرة التي نهاهما الله عن الأكل منها[٢].

٥ ـ استند المهتدي الترجمان ـ أيضاً ـ لإثبات هذا الجانب على إجماع الكتب الإلهية والرسل بأن في الجنة من أنواع الفواكه ولحوم الطير وسائر ماتشتهيه النفس وتلذه العين .

٦ ـ يرى المهتدي الترجمان أن هذا الرأي الذي ذهب إليه النصارى فيه مخالفة للمعقول والمنقول، وأثبت أنهم بهذا القول يشابهون الفلاسفة الملاحدة[٣] .

الشبهة الرابعة : ومما ينكرون علينا الختان. وهو من سنن الفطرة، قال رسول الله ﷺ : (الفطرة خمس: الختان، والاستحداد، ونتف الإبط، وقص الشارب، وتقليم الأظافر[٤]) . وهو من سنن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام

---

(١) انظر الدين والدولة ، ٢٠١ . ولم أجد هذا النص في الطبعة التي بين يدي، وانظر تحفة الأريب، ص٢٥١-٢٥٣ إذ أورد فيها نصوصاً مماثلة تلزمهم بما أنكروه علينا .

(٢) انظر المصدر السابق ، ص ٢٤٧ . والتكوين ٢ ، ١٣ . وحزقيال ٢٨ .

(٣) انظر تحفة الأريب ، ص ٢٤٨ - ٢٥٠ .

(٤) رواه البخاري في صحيحه ، كتاب الاستئذان ، باب ٥١ .

كما أخبر بذلك الصادق المصدوق حيث قال : (اختتن إبراهيم النبي عليه السلام وهو ابن ثمانين سنة بالقدوم[1]) .

وهذا الأمر الذي يعيبنا فيه النصارى مذكور في كتبهم على أنه شريعة مفروضة وسنة متبعة[2]، بل إن عيسى عليه السلام كان مختوناً إذ جاء في إنجيل لوقا: (ولما تمت ثمانية أيام ليختنوا الصبي سمي يسوع[3]) ويوم ختانه من أكبر أعيادهم .

وأوصى المسيح تلامذته بالختان فقال : (لهذا أعطاكم موسى الختان، ليس أنه من موسى بل من الآباء ففي السبت تختنون الإنسان[4]) واستمر العمل بهذه السنة في عصور المسيحية الأولى حتى جاء بولس وبث في روعهم أن الختان لا ينفع شيئاً، وأوحى إليهم أن المعمودية تقوم مقام الختان، حيث قال: (لأنه في المسيح يسوع لا الختان ينفع شيئاً ولا الغرلة بل الإيمان[5]) ثم جاء أتباعه من بعده فأنكروا علينا هذه السنة الجارية في دينهم .

الشبهة الخامسة : ومما يعيبه اليهود والنصارى على شريعة الإسلام إباحة الطلاق. وقد انتصب لتفنيد هذه الشبهة ثلاثة من هؤلاء المهتدين

---

(١) رواه مسلم في صحيحه ، كتاب الفضائل ، حديث ٢٣٧٠

(٢) انظر التكوين ١٧ ، ٣٤. واللاويين ١٢. والخروج ١٢. ويشوع ٥. وإنجيل لوقا ٣. ويوحنا ٧ .

(٣) لوقا ٣ : ٢١. وانظر تحفة الأريب ، ص ٢٤٥ - ٢٤٦. والدين والدولة ، ص ١٩٦ - ٢٠٢ .

(٤) يوحنا ٧ : ٢٢ .

(٥) رسالة بولس إلى أهل غلاطية ٥ : ٦. وانظر رسالته إلى أهل كولوسي ٢ : ١١ - ٢١ .

هم : الطبري والترجمان والهاشمي، واعتمد الهاشمي على الأدلة العقلية في حين اقتصر كل من الطبري والترجمان على الأدلة النقلية، وهذه الأدلة هي :-

١ - قال المهتدي الطبري : (وإن أنكروا الطلاق فكتبهم تخيبهم سعياً[1]) هكذا أوردها هذا المهتدي على وجه الإجمال، ومما جاء في جواز الطلاق في التوراة ماورد في سفر التثنية في الإصحاح الرابع والعشرين:(إذا أخذ رجل امرأة وتزوج بها فإن لم تجد نعمة في عينيه لأنه وجد فيها عيب شيء وكتب لها كتاب طلاق ودفعه إلى يدها وأطلقها من بيته ومتى خرجت من بيته ذهبت وصارت لرجل آخر[2]) .

٢ - قال المهتدي الترجمان : (وأنتم يامعشر النصارى لم تدينوا في التزويج بما شرعه الله في التوراة ولا في الإنجيل؛ وإنما تمسكتم في ذلك بقول بولس[3]) ولقد جاء في تعاليم بولس مايفيد جواز أن تتزوج المرأة من رجل آخر بعد زوجها الأول وهو قوله:(ولكن إن مات الرجل فهى حرة من الناموس حتى إنها ليست زانية إن صارت لرجل آخر[4]) .

---

(١) الدين والدولة ، ص ١٩٦ .

(٢) تثنية ٢٤ : ١ -٢. وانظر لمزيد من تشريعات الطلاق في اليهودية والنصرانية تثنية ٢٢ :١٧ - ١٩ ، ٢٨ - ٢٩. وإشعياء ٥ : ١. وإرميا ٣ :٨. ومتى ٥ : ٣١ ، ١٩ : ٣. ومرقس ١٠ : ١١ -٢١. ويظهر من سفر مرقس أن من حق المرأة أن تطلق زوجها .

(٣) تحفة الأريب ، ص ٢٤٢ .

(٤) رومية ٧ : ٢-٣ .

٣ ـ أن تحريم الطلاق في الدين النصراني جر على الأمة النصرانية ويلات عظيمة؛ مما اضطر بعض النصارى إلى نقد هذا التشريع والخروج عليه، وإقرار الطلاق أمام الاحتياجات البشرية، رغم مخالفته للقواعد الكنسية. وواقع العالم النصراني اليوم شاهد بذلك .

٤ ـ أن الإسلام لم يقرر الطلاق ابتداء وإنما شرع عدة وسائل لعلاج المشاكل التي ينشأ عنها الطلاق؛ حتى تحقق هذه الوسائل الحيلولة دون وقوع الطلاق لأول وهلة، ومن هذه الوسائل الصلح بين الزوجين قال تعالى : ﴿وإن امرأة خافت من بعلها نشوزاً أو إعراضاً فلا جناح عليهما أن يصلحا بينهما صلحاً والصلح خير[1]﴾. ومنها أيضاً اللجوء إلى التحكيم قال تعالى : ﴿وإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكماً من أهله وحكماً من أهلها إن يريدا إصلاحاً يوفق الله بينهما إن الله كان عليماً خبيراً[2]﴾. ومنها أيضاً أن يطلق الرجل امرأته طلقة واحدة رجعية؛ مما يتيح للزوجين الخيار في استئناف الحياة الزوجية في فترة العدة .

٥ ـ أن الإسلام يشرع الطلاق عندما يتعذر الوفاق لحماية كيان الإسرة .

٦ ـ أن الطلاق في الإسلام علاج لا يلجأ إليه إلا عند الضرورة[3] .

---

(١) سورة النساء الآية ١٢٨ .

(٢) سورة النساء ، الآية ٣٥ .

(٣) انظر الأديان في كفة الميزان ، ص ١١٥ – ١١٩ .

الشبهة السادسة : أن الصالحين يتزوجون. وقد فند المهتدي الترجمان هذه الفرية بالأدلة التالية :ـ

١ ـ يجمع المسلمون والنصارى على أن منزلة النبي أ على من منزلة الولي، وأن جميع الأنبياء تزوجوا ما عدا يحيى وعيسى عليهما السلام، بل إن داود وسليمان تزوجا من نساء كثيرات[١] .

٢ ـ ورد في التوراة مشروعية الزواج، ولم يتضمن هذا التشريع التفريق بين فئة وأخرى، وأورد الترجمان هذا النص الذي يؤكد ذلك: (يحل للرجل أن يتزوج من النساء قدر مايقدرعلى نفقتهن[٢]) .

٣ ـ أنما يلتزمه النصارى اليوم من تشريعات الزواج لم يكن هو المشروع لهم من الله في التوراة والإنجيل؛ لأن مايدينون به في هذا المجال هو ما شرعه لهم بولس، وهو مخالف لماجاءت به الأنبياء، وتعتقد عامة النصارى أن ذلك التشريع هو الحق، أما علماؤهم فيعلمون أن الحق خلاف ذلك[٣] .

ومما ينقض هذه الفرية أنهم رضوا بأن يوصف الله سبحانه بأنه ذو صاحبة ـ تعالى الله عمايقولون علواً كبيراً ـ وقد نزه سبحانه نفسه عن

---

(١) انظر تحفة الأريب ، ص ٢٣٩ – ٢٤١. وصموائيل الأول ١٨ : ١٩ ، ٢٠ ، و ٢٥ : ٣٩ – ٤٢. صموائيل الثاني ٣ : ١ – ٥ ، و٥ : ١١ – ١٦ ، وسفر الملوك الأول ١١ : ١ – ٣ .

(٢) تحفة الأريب ، ص ٢٤٢. ولم أجد هذا النص بلفظه ، ولكن هناك عدة نصوص في العهد القديم تتضمن بعض ذلك منها مثلاً : التكوين ٤ : ١٩ ، ٢٣ ، و ٣٧ : ٢. والتثنية ٢١ : ١٥. وصموائيل الأول ١ : ٣ .

(٣) انظر تحفة الأريب ، ص ٢٤٢ – ٢٤٥ .

ذلك فقال: ﴿بديع السموات والأرض أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة وخلق كل شيء وهو بكل شيء عليم[1]﴾. ولم يرضوا لعبادهم ورهبانهم أن يتزوجوا، ثم عابوا علينا أن اتبعنا شرع الله وسنة أنبيائه في هذا المنحى .

الشبهة السابعة : ومما ينكرون علينا الإقسام بالله. وماذا في هذا؟؟! هل نحن أول أمة أقسمت بالله؟وهل نبينا محمد ﷺ أول نبي أقسم بالله؟ إن التوراة تحدثنا أن النهي عن القسم الكاذب هو أحد الوصايا العشر[2]. وقد تعددت رواية العهدين للقسم سواء أكان هذا القسم صادراً عن الله، أم من أحد أنبيائه، قال دانيال عليه السلام: (إن الملك الذي تراءى رفع يديه إلى السماء وأقسم بالمنعم الدائم أن جميع ماقال كائن لا محالة[3]) . وجاء في سفر التكوين :(وقال بذاتي أقسمت يقول الرب[4]) .

الشبهة الثامنة : يعتقد اليهود والنصارى أن الابن البكر الشرعي لإبراهيم عليه السلام هو إسحاق، وأن هذا الابن هو الذي قدمه أبوه قرباناً لله تعالى وفداه الله بكبش عظيم، كما يعتقدون أن العهد المبرم بين الله وإبراهيم عليه السلام كان عهداً مبرماً بين الله وإسحاق عليه السلام؛ وأنه لذلك هو المستحق لوراثة عهد أبيه...

---

(١) سورة الأنعام ، الآية ١٠١ .

(٢) خروج ٢٠ : ٧ .

(٣) الدين والدولة ، ص ١٩٦ . ودانيال ١٢ : ٧ .

(٤) تكوين ٢٢ : ١٦ ، وانظر أمثلة من رواية العهدين للقسم ما يلي : تكوين ٢١ : ٢٣ ، و ٢٦ : ٢٨ ، و ٥٠ : ٢٥ ، والعدد ٥ : ١١ – ٢٨. ويوشع ٢ : ١٢ ، و ٩ : ١٥ ، ١٨. وإرميا ٢٩ : ١٨. وإشعياء ١٤ : ٢٤ ، ٦٥ : ١٦. ولوقا ١ : ٧٣. ومرقس ٦ : ٢٣. وأعمال الرسل ٢ : ٣٠ .

وهذه المسألة محل خلاف بين اليهود والنصارى وبين المسلمين، وعلى هذه المسألة ـ أيضاً ـ يستند اليهود في ادعاء حقهم في وراثة كل الأرض التي ذكرت في التوراة ـ والتي من بينها فلسطين ـ أن الله سيورثها ذرية إبراهيم من بعده، وبما أنهم يعتقدون أن الابن البكر الشرعي لإبراهيم هو إسحاق فمن حقه وراثة أبيه، وبما أنهم من ذرية إسحاق ـ كما يزعمون ـ فهم الورثة لما خلّفه. وقد غابت عن هؤلاء أمور منها :ـ

١ ـ أن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده .

٢ ـ أن الله وعد بالتمكين في الأرض للذين آمنوا وعملوا الصالحات قال تعالى: ﴿وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً يعبدوننى لا يشركون بى شيئاً ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون[1]﴾.

٣ ـ أن إبراهيم وإسماعيل وإسحاق هم من رسل الله صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وهم من أئمة الحنفاء المسلمين، والمسلم لايرثه الكافر، وبنو إسرائيل قد كفروا بالله وقتلوا الأنبياء ـ كما يشهد عليهم بذلك سفرا إشعياء وإرميا ـ فليس من حقهم وراثة هؤلاء الأئمة المسلمين.

(١) سورة النور ، الآية ٥٥ .

٤ ـ أن هذه الهجرة اليهودية التي نشهدها اليوم إلى فلسطين، وهذا التنادي اليهودي ماهو إلا علامة من علامات نبوة نبينا محمد ﷺ حيث قال: (لا تقوم الساعة حتى يتقاتل المسلمون واليهود؛ فيقتلهم المسلمون، حتى يختبيء اليهودي من وراء الحجر والشجر، فيقول الحجر والشجر: يامسلم! ياعبد الله! هذا يهودي خلفي فتعال فاقتله. إلا الغرقد؛ فإنه من شجر اليهود[1]) .

ولكن هل هذا الادعاء اليهودي المتعلق بكون إسحاق هو بكر إبراهيم عليهما السلام هل تؤيده الكتب التي بأيديهم أم تعارضه؟ وهل هؤلاء المهتدون ـ الذين كانوا من أحبار اليهود والنصارى ـ يرون أن الحق في جانب المسلمين أم في جانب اليهود والنصارى؟؟ .

إن الأدلة التي قدمها هؤلاء المهتدون تؤكد تأكيداً جازماً لا لبس فيه ولا غموض أن الابن البكر الشرعي لإبراهيم عليه السلام الذي أُمر بذبحه هو إسماعيل، وأنه هو الوريث الشرعي لعهد أبيه، وأن محمداً ﷺ ـ وهو ابن إسماعيل ـ وأمته من بعده هم الأوفياء لذلك العهد، وهم الأحق بهذا الإرث.

ويمكن تقسيم الأدلة التي استدل بها هؤلاء المهتدون إلى قسمين هما :ـ

القسم الأول: الأدلة على أن الذبيح هو إسماعيل عليه السلام :ـ

(١) رواه البخاري في صحيحه في كتاب الجهاد والسير، باب ٩٤. ومسلم في صحيحه واللفظ له في كتاب الفتن وأشراط الساعة، حديث ٢٩٢٢

الدليل الأول: استدل كل من المهتدي الإسكندراني والنجار وإبراهيم خليل بنص التوراة على أن الذبيح هو إسماعيل، وهذا النص جاء في سفر التكوين الإصحاح الثاني والعشرين من قوله : (خذ ابنك وحيدك الذي تحبه).. إلى أن قال: (بذاتي أقسمت يقول الرب: إني من أجل أنك فعلت هذا ولم تمسك ابنك وحيدك عني أباركك مباركة وأكثر نسلك كثيراً[1]) وقال الإسكندراني بعد هذا النص: (وهذه الآية تدل على أن الذبيح هو إسماعيل عليه السلام من نص التوراة؛ لأنه ما كان لإبراهيم وحيد إلا إسماعيل، فإنه بعد هذه القصة بشرته الملائكة بإسحاق عليه السلام[2]). ويذكر المهتدي إبراهيم خليل أنه حدث تغيير في بعض الترجمات الحديثة للتوراة فاستبدلت بعبارة «الابن الوحيد» «الابن المفضل»؛ حتى يكون النص دالاً على إسحاق بدلاً من دلالته على إسماعيل[3] .

الدليل الثاني : أكدت التوراة على أن إسماعيل عليه السلام كان يوما ما ابناً وحيداً لإبراهيم عليه السلام، وأن إسحاق عليه السلام لم يكن وحيداً لأبويه؛ لأنه ولد بعد أن بلغ إسماعيل أربعة عشر عاماً، وهذا الأمر صريح في التوراة حيث جاء في سفر التكوين في الإصحاح السابع عشر:

(١) انظر المنارات الساطعة ، ص ٦٠ ولقد كان المنهج المتبع الذي التزمت به أني عندما أورد نصاً من كتبهم فإني اعتمد على النص الذي قدمه الأقدم منهم ، لكن في هذه المسألة رأيت أن النص الذى قدمه الإسكندراني ليس مباشراً ، فآثرت النص الذي قدمه النجار .

(٢) مسالك النظر ، ص ٥٩ – ٦٠ . وانظر محمد ﷺ في التوراة والإنجيل والقرآن ، ص ٣٣ وما بعدها .

(٣) انظر المصدر السابق ، ص ٣٣ .

(وكان إبراهيم ابن تسعة وتسعين سنة حين ختن في لحم غرلته، وكان إسماعيل ابنه ابن ثلاث عشرة سنة حين ختن في لحم غرلته. في ذلك اليوم عينه ختن إبراهيم وإسماعيل ابنه[1]) .

الدليل الثالث: أكد المهتدي الهاشمي أن اليهود أصحاب التوراة الحقيقية قالوا في التلمود: إن الذبيح هو إسماعيل[2].

الدليل الرابع : يعزز المهتدي الهاشمي الدليل السابق بدليل استنبطه من التوراة وكان استنباطه عجيباً بديعاً؛ لأنه استدل من تسلسل أماكن النبوة الواردة في سفر التثنية على أن الذبيح هو إسماعيل حيث قال: (والذي يزيدنا تأكيداً ـ أي على أن الذبيح إسماعيل ـ أن سفر التثنية وهو من الأسفار التي كتبت بعد رحيل موسى عليه السلام وضع سلسلة جميلة للأنبياء، وأعاد ذكر «فاران» بعد إشارة «بيت لحم» مكان مولد السيد المسيح، حيث قال في الإصحاح الثالث والثلاثين : (جاء الرب من سيناء ـ مكان تكليم موسى ـ وأشرق لهم من ـ بيت لحم ـ وتلألأ من فاران «مكة»[3]) .

الدليل الخامس: تدعي اليهود ـ حسداً منهم ـ أن الابن المفضل المحبوب لإبراهيم عليه السلام هو إسحاق عليه السلام؛ حتى يسوغوا لأنفسهم إمكانية ادعاء أن الذي قدّم قرباناً هو إسحاق، وأنه هو المستحق

(١) المنارات الساطعة ، ص ٦٠. وانظر مسالك النظر. ص ٥٩ ، ومحمد ﷺ في التوراة والإنجيل والقرآن ، ص ٣٣ .
(٢) انظر سر إسلامي ، ص ١١٢ .
(٣) المصدر السابق ، ص ١١٣ .

لوراثة عهد أبيه؛ لأنه هو المفضل. ولكن كتبهم تخيبهم سعياً، وتكذبهم صراحاً؛ حيث أثبت المهتدي النجار أن التوراة أوردت توسل إبراهيم عليه السلام إلى ربه في إسماعيل أن يبارك في عمره وهو قوله: (وقال إبراهيم لله: ليت إسماعيل يعيش أمامك[1]) ثم قال هذا المهتدي بعد ذلك: (وجزى الله سيدنا إسماعيل على صبره وبلائه وحرصه على طاعة ربه والانقياد لأبيه: ﴿قال ياأبت أفعل ماتؤمرستجدني إن شاء الله من الصابرين﴾ فخلد ذكره، وبعث من نسله سيد الأنبياء، وخاتم المرسلين[2]).

الدليل السادس: أن التوراة الحقيقية ذكرت أن الملائكة بشرت إبراهيم بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب، والذي يؤكد ذلك أن القرآن نقل إلينا نص هذه البشارة وهي قوله تعالى: ﴿وامرأته قائمة فضحكت فبشرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب[3]﴾. والقرآن والتوراة كتابان أنزلهما الله فلا بد من اتفاقهما؛ وماذاك إلا لأن المصدر واحد، فمن غير المعقول أن يبشر إبراهيم بذرية إسحاق ثم يؤمر بذبحه بعد بلوغه؛ لأن البشارة بذريته دليل على استمرار حياته بعد بلوغه حتى يتزوج ثم يخلّف أولاداً، ثم إنه يلزم من الأمر بالذبح بعد الإخبار بالذرية التناقض في خبر الوحي، وهذا أمر لا تقره أي شريعة إلهية .

(١) المنارات الساطعة ، ص ٦١. والتكوين ١٨ : ١٨ .

(٢) المنارات الساطعة ، ص ٦١. والآية ١٠٢ من سورة الصافات .

(٣) سورة هود ، الآية ٧١ .

والقرآن أيضاً يدل على أن الذبيح هو إسماعيل، لأن الله سبحان وتعالى لما أخبر عن ابراهيم أنه قال : ﴿رب هب لي من الصالحين. فبشرناه بغلام حليم. فلما بلغ معه السعي قال يا بني إني أرى في المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترى قال يا أبت أفعل ما تؤمر ستجدني إن شاء الله من الصابرين[1]﴾. وبعد تمام هذا الخبر وذكر هذا الابتلاء، ذكر سبحانه بشارته لإبراهيم باسحاق وهو قوله : ﴿وبشرناه بإسحاق نبياً من الصالحين﴾[2] فهذه الآيات تدل دلالة قاطعة على أن المبشر به في قوله ﴿فبشرناه بغلام حليم﴾ غير المبشر به في قوله ﴿وبشرناه باسحاق نبياً من الصالحين﴾ .

وفي هذه الآية دليل أيضاً ألا وهو أن الله سبحانه وتعالى بشر إبراهيم بإسحاق ، وأنه يكون نبياً من الصالحين . فكيف يخبر الله أنه سيكون نبياً ثم يزعم من يزعم أن الله أمره بذبحه.

إن هذا الزعم يؤدي إلى تناقض في هذه الأخبار، والله سبحانه وتعالى منزه عن التناقض في وحيه وخبره وخلقه .

القسم الثاني : أن إسماعيل عليه السلام هو البكر وهو الابن الشرعي لإبراهيم، وأنه هو المستحق لوراثة عهد أبيه :ــ

وهذا العهد الذي أكد هؤلاء المهتدون أحقية إسماعيل له هو ما نصت عليه التوراة أنه من حق الابن البكر ــ وقد سبق في الأسطر الماضية

(١) سورة الصافات ، الآيات ١٠٠ – ١٠٢ .

(٢) سورة الصافات ، الآية ١١٢ .

بيان أن الابن البكر هو إسماعيل ـ وهذه البكريَّة حسب شريعة التوراة تخوّل له أحقيته بعهد أبيه، وامتلاك النصيب الأوفر من ميراثه، وهذا الميراث هو الذي تدعي إسرائيل اليوم بسببه أحقيتها في امتلاك فلسطين وماجاورها من النيل إلى الفرات، ولذلك يسمونها أرض الميعاد .

أما الأدلة التي استنبطها هؤلاء المهتدون من العهدين في شأن هذه القضية فهي كما يلي: ـ

الدليل الأول: بدافع من الحقد والغيرة افترى اليهود والنصارى على إسماعيل عليه السلام، ووصفوه بأنه ابن غير شرعي لإبراهيم عليه السلام، وماذاك إلا لأنه ابن جارية. ولكن هل يستقيم لهم هذا الزعم؟؟ .

يؤكد المهتدي إبراهيم خليل أن هذا الأمر ـ الولادة من جارية ـ إذا اعتبر مغمزاً أو مطعناً في حق إسماعيل؛ فهو متجه وبنفس القوة والقدر إلى أربعة من أسباط بني إسرائيل وهم «دان» و «نفتالي» ابنا يعقوب عليه السلام من جارية زوجته راحيل، و«جاد» و«أشير» ابنا يعقوب عليه السلام من «زلفة» جارية زوجته «ليئة» وقال هذا المهتدي بعد هذا الاستدلال : (فكيف بهم يعترفون بهؤلاء أبناء شرعيين ليعقوب؟ وينكرون ذلك على إسماعيل الابن الشرعي لإبراهيم[1]) وقال المهتدي عبد الأحد داود بعد استعراض هذا الأمر:(وهل يوجد قانون بشري أو سماوي يعتبر ولادة ابن العم والعمة أكثر شرعية من ولادة من كان أبوه كلدانياً وأمه مصرية[2]) ؟؟. يعني بذلك إسماعيل .

(١) محمد ﷺ في التوراة والإنجيل والقرآن ، ص ٣٤ .

(٢) محمد في الكتاب المقدس ، ص ٦٢ .

الدليل الثاني: أكد كل من المهتدي عبد الأحد داود وإبراهيم خليل على أن شريعة التوراة نصت على أحقية الابن البكر في العهد والوراثة، حيث جاء في سفر التثنية :(إذا كان لرجل زوجتان، وكانت إحداهما مفضلة عنده على الأخرى، وكان لكل واحدة منهما ولد، وإذا كان ابن غير المفضلة هو الولد البكر؛ فإن الولد البكر هو المرشح ليحل محل أبيه في تحمل الحكم وولاية العهد، وليس ابن الزوجة المفضلة ، وعليه فإن الولد البكر سوف يرث ضعف إرث أخيه) قال المهتدي عبد الأحد داود بعد إيراده لهذا النص: (وعلى ضوء ذلك أليس هذا القانون من الوضوح بما يكفي ليخرس جميع الذين يختلفون ويتنازعون حول أحقية إسماعيل كي يأخذ مكانة أبيه في الدعوة وولاية العهد[1]) ؟ .

الدليل الثالث: أن العهد المبرم بين الله وإبراهيم كان عهداً مبرماً بين الله وبين إسماعيل في نفس الوقت، يؤكد ذلك المهتدي عبد الأحد داود إذ نقل جواب المسيح عليه السلام كما ورد في إنجيل برنابا ـ عن هذا العهد من قوله:(إن العهد بين الله وإبراهيم كان موضوعه إسماعيل، وإن أكثر الناس تمجيداً وحمداً إنما هو من سلالة إسماعيل، وليس من سلالة إسحاق عن طريق داود[2]) .

ويرى المهتدي إبراهيم خليل أن علامة هذا العهد وهو«الختان» وأنه قد ختن إبراهيم وإسماعيل قبل أن يولد إسحاق عليهم السلام، وذلك

---

(١) محمد في الكتاب المقدس ، ص ٦٢ . وانظر التثنية ، ٢١. ومحمد ﷺ في التوراة والإنجيل والقرآن ، ص ٣٧ – ٣٨ .

(٢) محمد في الكتاب المقدس ، ص ١١٣ .

بنص التوراة حيث جاء :(هذا هو عهدي الذي تحفظونه بيني وبينكم وبين نسلك من بعدك يختن منكم كل ذكر ...فيكون عهدي في لحمكم عهداً أبدياً..فأخذ إبراهيم إسماعيل ابنه وجميع ولدان بيته ... وختن لحم غرلتهم في ذلك اليوم عينه كما كلمه، وكان إبراهيم ابن تسعة وتسعين سنة حين ختن في لحم غرلته، وكان إسماعيل ابن ثلاث عشرة سنة حين ختن[1]) ومن المعلوم أن إسحاق لم يولد إلا بعد بلوغ إبراهيم مائة سنة كما نص على ذلك سفر التكوين[2]. ولا تزال هذه الشعيرة «الختان» قائمة في الأمة الإسلامية إلى يوم الناس هذا، في حين تخلى عنها النصارى واستعاضوا عنها بالمعمودية؛ فاستبدلوا بشريعة الله شريعة بولس .

ويؤكد المهتدي عبد الأحد داود أن اليهود كانوا يعرفون بأن العهد كان من حق إسماعيل ولذلك حرفوا كتابهم؛ حتي تندثر هذه المزية إذ يقول:(ولقد كان اليهود دائماً وأبداً على غيرة من إسماعيل؛ لأنهم يعرفون جيداً بأنه كان يجسّد ويمثل العهد، وبختانه أبرم وختم هذا العهد، وإنه بدافع من ذلك الحقد وتلك الضغينة قام النساخ وفقهاء الشريعة عند اليهود بتحريف وإفساد الكثير من صفحات كتبهم المقدسة، فشطبوا اسم إسماعيل من العبارات الثانية والسادسة والسابعة من الفصل الثاني والعشرين في كتاب سفر التكوين ووضعوا اسم إسحاق بدلاً منه[3]) .

---

(١) انظر محمد ﷺ في التوراة والإنجيل والقرآن ، ص ٣٧. والتكوين ١٧ .

(٢) انظر التكوين ٢١ : ٥ .

(٣) محمد في الكتاب المقدس ، ص ٦٠ .

بينما يرى المهتدي إبراهيم خليل أن من فضل الله على هذه الأمة أن ميثاق الله لإبراهيم لم يتحرف إطلاقاً، حيث جاء في سفر التكوين:(قال إبرام أيضاً إنك لم تعطن نسلاً وهو ذا ابن بيتي وارث لي، فإذ كلام الرب إليه قائلاً : لا يرثك هذا بل الذي يخرج من أحشائك هو يرثك) ونص هذا الميثاق : (في ذلك اليوم قطع الرب مع إبرام ميثاقاً قائلاً : لنسلك أعطى هذه الأرض من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات) وقال هذا المهتدي: (عندما أراد الله مجازاة إبراهيم لأمانته؛ بأن أخذ على نفسه ميثاقاً لتوريث إبراهيم ونسله أرض الميعاد لم يكن إسحاق في الصورة[1]). أى لم يكن موجوداً بعد .

الدليل الرابع : يستند كل من المهتدي النجار وعبد الأحد داود إلى الواقع المشاهد عبر التأريخ، وأن هذا الواقع يؤكد أحقية ذرية إسماعيل عليه السلام بذلك الميراث المنصوص عليه في الدليل السابق، يقول المهتدي عبد الأحد داود: (وهذا الميراث الذي يستحقه إسماعيل لكونه الابن البكر ... إنما عني به إخضاع كل الأرض الممتدة من النيل إلى الفرات، واحتلالها إلى الأبد، حيث كان يسكن هذه الأرض عشر أمم مختلفة، وهذه البلاد لم تخضع أبداً لذرية إسحاق؛ ولكنها خضعت لذرية إسماعيل، وكان هذا تحقيقاً حرفياً وفعلياً لأحد الشروط التي قام عليها العهد بين الله وإبراهيم)[2] عليه السلام.

---

(١) محمد ﷺ في التوراة والإنجيل والقرآن، ص ٣٦. ومحمد في الكتاب المقدس، ص ٥٨. والتكوين ١٥.
(٢) محمد في الكتاب المقدس ، ص ٥٨ ، وانظر ص ٦٤ منه. والمنارات الساطعة ، ص ٦٠

الدليل الخامس : نصوص العهد القديم تؤكد أن إسماعيل وذريته من بعده هم المستحقون لذلك الإرث، وهم الذين تنبأ عنهم أنبياء بني إسرائيل بأن لهم المجد التليد، والفخر المنيف، ابتداءً من ذكر سفر التكوين لأبناء إسماعيل بما فيهم قيدار جد العرب[1] ، وانتهاءً بما جاء على لسان إشعياء وإرميا وحزقيال ، وهذه نصوصهم :ـ

قال إشعياء :(كل غنم قيدار تجتمع إليك، كباش نبايوت تخدمك، تصعد مقبولة على مذبحي، وأزين بيت جمالي[2]) وقال أيضاً مخبراً عن هذا الرسول محمد ﷺ الذي ينحدر من سلالة إسماعيل : (هو ذا عبدي الذي أعضده، مختاري الذي سرت به نفسي، وضعت روحي عليه؛ فيخرج الحق للأمم.. لا يكل ولا ينكسر حتى يضع الحق في الأرض وتنتظر الجزائر شريعته) وقال أيضاً : (أنا الرب قد دعوتك بالبر فامسك بيدك واحفظك وأجعلك عهداً للشعب ونوراً للأمم[3]) .

وقال إرميا :(فاعبروا جزائر كتيم وانظروا وارسلوا إلى قيدار وانتبهوا جداً، وانظروا هل صار مثل هذا[4]) .

وقال حزقيال :(كل العرب وكل رؤساء قيدار تجار يدك بالخرفان والكباش والأعتدة[5]) . قال المهتدي إبراهيم خليل معلقاً على هذه

(١) تكوين ٢٥ : ١٢ – ١٦ .
(٢) إشعياء ٦٠ : ٧ .
(٣) إشعياء ٤٢ : ١ –٦ .
(٤) إرميا ٢ : ١٠ .
(٥) حزقيال ٢٧ : ٢١ . وانظر محمد ﷺ في التوراة والإنجيل والقرآن ، ص ٣٩ .

النصوص : (وهذا دلالة هامة على أن ذرية قيدار صارت مرموقة عند الله سبحانه، وليست هذه الشهرة عفواً، ولكن بهدف رباني، وغرض لا مثيل له؛ ليؤكد لبنى إسرائيل أن من نسل هذا يولد الذي حياته وأعماله ـ فضلاً عن سمو ذاته ـ سيتحقق فيه النصيب المضاعف لحقوق البكر من المجد لسلالة إسماعيل ولا ريب[1]) .

وهذه النصوص تدفع الادعاء النصراني المتهافت القائل بأن هذه البركات إنما تحققت للمسيح عليه السلام؛ ومما يدفع هذا الادعاء أن إشعياء أخبر أن هذا الرسول القادم من ذرية إسماعيل ستنتظر الجزائر شريعته، ويكون نوراً للأمم، ويخرج الحق لهم ـ بينما نجد أن المسيح عليه السلام أخبر أن رسالته مقصورة على بنى إسرائيل، حيث أوصى تلاميذه قائلاً كما جاء في إنجيل متى: (إلي طريق أمم لا تمضوا وإلي مدينة للسامريين لاتدخلوا؛ بل اذهبوا بالحري إلى خراف بيت إسرائيل الضالة[2]) .

الشبهة التاسعة : قولهم : إنّا لم نجد أحداً من الأنبياء تنبأ به قبل مجيئه. وقد فند كل من المهتدي الطبري والمتطبب هذه الفرية من خلال الوجوه التالية :ـ

١ ـ لا يلزم لصدق نبي في نبوته أن يبشر به من سبقه من الأنبياء؛

---

(١) المصدر السابق ، ص ٣٩ .

(٢) متى ١٠ : ٥ ـ ٦. وانظر محمد ﷺ في التوراة والإنجيل والقرآن ، ص ٣٩ ـ ٤١ .

لأن الشاهد على صدق نبوته هو ما يدعو إليه من الحق، ومايقيمه الله على يديه من الآيات الباهرة والمعجزات الظاهرة .

٢ ـ إذا كانت النبوة لا تثبت ولا يجب قبولها إلا بتقدم النبوات عليها، فإنه يلزم من صدّق بنبوة نبى من الأنبياء الذين لم تتقدمهم نبوة ـ الخروج من الهدي إلى الضلال ومن الرشد إلى الغي .

٣ ـ أن موسى وداود وإشعياء وإرميا ـ وهم عندهم من أفاضل الأنبياء ـ لم يتقدم عليهم نبوة، ولم يبشر بهم من سبقهم، وعلى قولهم هذا فمن آمن بهم فقد خالف الحق إلى الباطل بقبوله إياهم، وهم لا يقولون بذلك[١] .

وكذلك فإن نوحاً وإبراهيم عليهما السلام أنبياء بإجماع كل الأمم ولم يتقدم عليهم من تنبأ بمجيئهم. أما نبينا محمد ﷺ فقد تواترت بحقه شهادات الأنبياء المتقدمين من لدن إبراهيم حتى عيسى عليهم السلام، وقد أفردتُ لهذه الشهادات فصلاً كاملاً من فصول هذا البحث[٢] .

الشبهة العاشرة : قولهم: إنّا لم نجد في القرآن ذكر آية ولا نبوة لما جاء به. ويلزم على هذا القول مايأتي :ـ

١ ـ أن النبي إذا لم يكن له آية أو نبوة فلا يجب قبول نبوته ولا

(١) انظر الدين والدولة ٤٨ – ٤٩ . والنصيحة الإيمانية ، ص ١٣٨ – ١٣٩ .

(٢) انظر الفصل الثاني من الباب الثاني من هذا البحث .

تصديق خبره؛ فكيف قبلوا داود عليه السلام نبياً وليس في زبوره آية .

٢ ـ أنه يلزم لتصديق الأنبياء أن تذكر آياتهم في كتبهم .

٣ ـ أن من الأنبياء من جمع الله له بين الآية والنبوة مثل موسى وعيسى ... ومنهم من له آية وليست له نبوة مذكورة في كتابه مثل إليسع فإنه أحيا ميتين، ومنهم من لم تذكر له آية ولا نبوة ولا خبر مقنع في كتابه وهو معدود في زمرة الأنبياء مثل ملاخي وحجي وناحوم إنما كتاب أحدهم في ثلاث أو أربع ورقات. ومنهم مريم النبية وحنة النبية فإن هاتين ليس لهما كتاب ولا نبوة ولا آية ولا دلالة وقد عدوهما في الأنبياء، فلم عددتم هؤلاء في الأنبياء وكفرتم بمن جاء بأعظم نبوة، وأقام أعظم الآيات البينات[1] .

أما نبوة نبينا محمد ﷺ فشعارها التوحيد الذي هو دعوة الأنبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين كما في قوله تعالى: ﴿شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائماً بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم[2]﴾. وقوله تعالى: ﴿قل هو الله أحد. الله الصمد. لم يلد ولم يولد. ولم يكن له كفواً أحد[3]﴾. أما شريعته فهي الشريعة الخاتمة

(١) انظر الدين والدولة ، ص ٤٩ – ٥١ .

(٢) سورة آل عمران ، الآية ١٨ .

(٣) سورة الإخلاص ، الآيات ١ – ٤ .

والرسالة الجامعة احتوت على كل خير، وحذرت من كل شر[1].

أما آيات نبوته فأكثر من أن تحصر وأشهر من أن تذكر، تاجها هذا القرآن الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، شهد بفضله وعلوه المسلم والكافر... ومن هذه الآيات التي أظهرها الله له آية الإسراء والمعراج وذلك أنه أسري به في ليلة واحدة من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، ثم عرج به إلى السماء فتلقى من ربه ما شاء الله وعاد من ليلته إلى بيته وذلك قوله تعالى: ﴿سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير[2]﴾.

الشبهة الحادية عشرة : قولهم: إن المسيح عليه السلام أنبأنا أنه لا نبي بعده؛ لذلك فهم لا يؤمنون بنبوة نبينا محمد ﷺ. ولكن هل يستقيم لهم ذلك الادعاء؟؟ وهل يؤيده كتابهم واعتقادهم؟؟.

يؤكد المهتدي الطبري والمتطبب أن هذا الادعاء خلاف ما ورد في كتابهم، و على النقيض مما يعتقدونه؛ وذلك لأن المسيح عليه السلام بشّرهم بنبي يأتي بعده مرسل من ربه، يخبرهم بكل ما أُعدّ لهم، ويعلمهم بكل شيء، حيث قال: (أنا ذاهب إلى أبي وأبيكم، وربي

(١) انظر الدين والدولة ، ص ٥٤ – ٩٧ وفي هذه الصفحات الأبواب الستة الأولى من هذا الكتاب وقد خصصها المؤلف لبيان نبوته وآياته التي أظهرها الله على يديه أو أخبر بها فوقعت في حياته أو بعد مماته .

(٢) سورة الإسراء ، الآية ١ .

وربكم؛ ليبعث لكم البارقليط الذي يأتيكم بالتأويل، وذلك أنه يأخذ من الذي أخذت، وهو روح الحق الذي لا يتكلم من قبل نفسه؛ إنما يتكلم كما يقال له يقول، وكل شيء أعِدّ لكم يخبركم به[1]) وقال أيضاً: (إن البارقليط الذي يرسله أبي باسمي هو يعلمكم كل شيء[2]).

قلت هذا قول المسيح عليه السلام عن هذا الرسول الآتي بعده، وأنتم تدّعون أنه أخبر أن لا نبي بعده. وهذان الخبران يكذب أحدهما الآخر، وهما منسوبان إلى المسيح عليه السلام، ويلزم على ذلك: إما أن يكون المسيح كاذباً. وحاشاه من ذلك، والكذب ممتنع بحقه؛ لأنه رسول معصوم صادق مصدق، وإما أن يكون أحد الخبرين كاذباً يقيناً، والكذب ورد على أحدهما من ناقله ومختلقه، وليس من قائله، فلننظر أيهما الخبر الكاذب؟؟! .

إن الخبر الأول الذي تضمن البشارة برسول يأتي من بعده؛ يصدقه الواقع، ويشهد له التأريخ، وتؤيده الرسالة التي خلّفها من بعده، وآمنت بها الألوف المؤلفة من البشر من اليهود والنصارى وسائر الأمم، وشهد بصدقه كبراء النصارى في الماضي والحاضر؛ وفي صدق هذا الخبر تكذيب للخبر المدعى الذي استندت عليه النصارى في هذه الفرية .

(١) النصيحة الإيمانية ، ص ١٣٩. ويوحنا ١٥ .

(٢) النصيحة الإيمانية ، ص١٤٠ - ١٤١ حيث أورد عدداً من النصوص المشابهة لهذا النص. وانظر يوحنا ١٥ .

ويرى المهتدي الطبري أن الأناجيل تضمنت الإخبار عن عدد من الأنبياء الذين جاءوا بعد المسيح عليه السلام من مثل بولس وأغابوس وبرنابا وشمعون ولوقيوس ومنايل، وجاء في أعمال الرسل : (وفي تلك الأيام انحدر أنبياء من أورشليم إلى أنطاكية[1]) وجاء فيه أيضاً : (وكان في أنطاكية في الكنيسة أنبياء ومعلمون برنابا وسمعان[2]) .

ولم تقتصر النبوة في هذه الفترة على الرجال بل كان هناك نساء متنبئات كما جاء في أعمال الرسل: (فدخلنا بيت فيلبس المبشر... وكان لهذا أربع بنات عذاري كن يتنبأن [3]) . إذاً اتضح أنه كان بعد المسيح عليه السلام رسل وأنبياء. وذكر هؤلاء الأنبياء من باب الإلزام ، والحق أنه لم يكن بين المسيح ومحمد صلي الله عليهما وسلم نبي؛ لقوله ﷺ : (أنا أولى الناس بعيسى، الأنبياء أبناء علات، وليس بيني وبين عيسى نبي[4]) . كما أنه لم يكن من بين أنبياء الله ورسله امرأة لقوله تعالى: ﴿وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً نوحي إليهم من أهل القرى[5]﴾ .

الشبهة الثانية عشرة : قالت النصارى : إن رسول الله ﷺ لم يعرّف بالقيامة، ولم يبشر بالبعث والنشور غير المسيح.

---

(١) أعمال الرسل ١١ : ٢٧ .
(٢) المصدر السابق ١٣ : ١ .
(٣) المصدر السابق ٢١ : ٩. وانظر الدين والدولة ، ص ٥٢ .
(٤) رواه مسلم في صحيحه في كتاب الفضائل ، حديث ٢٣٦٥ .
(٥) سورة يوسف ، الآية ١٠٩ .

هذه الشبهة لولا أن المهتدي الطبري أوردها لما أوردتها في هذا البحث المتواضع؛ ليس بسبب صعوبة تفنيدها، وغموض أمرها؛ وإنما لتهافت مبناها، وسقوط معناها، وذلك أن أمر الموت والقبر والبعث والنشور والقيامة مما حفلت به هذه الرسالة الخالدة، فتكاثر ذكره فيها، وتنوع وصفه من خلالها ، وليس هذا اعتسافاً؛ وإنما نقول هذا القول لوضوح أدلته، وتعدد براهينه، وتوافر وصف أحوال الدار الآخرة فيها ابتداءً من القبر وما فيه من نعيم أو عذاب، ثم ذكر مايكون في الدار الآخرة من بعث وحساب وميزان وصراط وقنطرة وجنة أو نار، وما في الجنة من أصناف النعيم، ودرجات المنعمين، ورؤية رب العالمين، ومافي النار من أهوال الجحيم، ودركات المعذبين، وسماع خطبة إبليس اللعين من مثل ماهو مبثوث في سور القرآن الكريم كسورة إبراهيم ، والزمر ، و«ق» ، والواقعة، والقيامة، والحاقة، والزلزلة، والقارعة ... وما هو مبسوط في كتب السنة النبوية .

وإن هذه الشبهة التي أثارها النصارى تحمل شاهد نقضها؛ وذلك لأنهم يرون أن القيامة لم يذكرها أحد سوى المسيح عليه السلام، وفي توراتهم ما يؤكد أن أنبياء بني إسرائيل دعوا قومهم إلى الإيمان بالآخرة[1]، والاستعداد لها بالعمل الصالح، كما ذكر ذلك المهتدي الطبري فقال: (قال موسى النبي عن الله تعالى: أنا وحدي وليس سواي

(١) بل ما من نبي إلا دعا قومه إلى ثلاث خصال : الإيمان الله ، والإيمان بالدار الآخرة ، والإيمان بالرسول المرسل إليهم .

إله، أنا أُميت وأنا أُحيي) ونقل هذا المهتدي قول دانيال عليه السلام : (إنه سيبعث من الأجداث قوم كثير، بعضهم إلى الحياة الدائمة، وبعضهم إلى البوار[1]).

الشبهة الثالثة عشرة: أن النبي ﷺ آمن بالتوراة والإنجيل قولاً وخالفهما فعلاً .

وقد تصدى لهذه الفرية المهتدي الطبري وأبطلها من خلال البراهين التالية: ـ

١ ـ أن الله تبارك وتعالى حكيم عليم رحمن رحيم، وليس للعباد الاعتراض عليه فيما يأمر به؛ بل عليهم السمع والانقياد له، قال تعالى: ﴿وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم[2]﴾.

٢ ـ أن الله سبحانه وتعالى أمر موسى عليه السلام بالبشارة بمحمد ﷺ قائلاً:(إن الله يقيم نبياً من بين إخوتكم مثلي فاسمعوا له، فإن من لم يسمع له كنت أنا المنتقم منه[3]) . فقد ظهر هذا النبي الذي بشر به موسى عليهما السلام، واستن بسنن الله، وصدق بموسى وعيسى ولم يخالفهما في التوحيد؛ بل وافق

---

(١) الدين والدولة ، ص ٢٠٤ وقد ذكر هذا المهتدي أربعة نصوص عن أنبياء بني إسرائيل كلها تؤيد ما ذكر آنفاً . وانظر لمزيد من حديث أنبياء بني إسرائيل عن القيامة : مزمور ١٦ و ٧٣. وإشعياء ٢٦ . مما يبين تهافت هذه الدعوى .

(٢) سورة الأحزاب ، الآية ٣٦ .

(٣) التثنية ١٨ : ١٨ .

سائر الأنبياء في تجريد التوحيد والصلاة والزكاة والصيام والختان والقصاص والذبائح والطلاق وجهاد الكفار... وإن اختلفت هيئات هذه العبادات، كما أنه جدد لأمته سنناً وفرائض شأنه في هذا شأن سائر الأنبياء والمرسلين .

٣ ـ أن التسليم لمثل هذه المقولة يلزم منه أن تبطل سائر الرسالات؛ وذلك لأن لكل رسول رسالته، ولكل أمة شرعتها التي تميزها عن غيرها، قال تعالى: ﴿لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا[1]﴾.

وكل نبي يؤمن بمن سبقه من الأنبياء والمرسلين، قال تعالى: ﴿ آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير[2]﴾ فلو وضعت هذه الفرية موضع التطبيق للزم على ذلك بطلان رسالة كل رسول أتى بشرع يخالف فيه من سبقه .

وهذه الفرية تتجه إلى المسيح عليه السلام كما تتجه إلى محمد ﷺ؛ وذلك لأن المسيح عليه السلام آمن بموسى عليه السلام وخالفه في كثير من الشرائع التي سنها لأمته، ومما خالف فيه المسيح عليه السلام شريعة التوراة ما رواه متى في إنجيله من أن المسيح عليه السلام: (كان يسير بين

(١) سورة المائدة ، الآية ٤٨ .

(٢) سورة البقرة ، الآية ٢٨٥ .

الزروع في يوم سبت، فجاء التلاميذ فجعلوا يفركون السنبل ويأكلون[1]) فلم يغير ذلك ولم ينكره. وجاء في إنجيل متى ـ أيضاً ـ أن المسيح عليه السلام قال لمن حضره من بني إسرائيل: (سمعتم التوراة تقول : إن من طلق امرأته فليقدم لها كتاب طلاق. أما أنا فأقول لكم: إن من طلق امرأته إلا لسبب الزنا فقد عرضها للزنا، وإن من تزوج مطلقة فإنه قد فجر[2]). وقال ـ أيضاً ـ: (قد سمعتم ما قيل في التنزيل : السن بالسن والعين بالعين. فأما أنا فإني أقول لكم: إن من ضربك على خدك فوله الخد الآخر، ومن سألك شيئاً فلا تمنعه[3]) حتى قال قومه مصرحين بذلك: (إن العتيقة عبرت وسلفت، وجاءت الحديثة وظهرت[4]). يعنون بالعتيقة التوراة، وبالحديثة الإنجيل. قال المهتدي الطبري عن المسيح : (فلم يدع عيداً إلا أبطله، ولا سبتاً إلا أحله، ولا ذبيحة إلا نهى عنها، ولا مذبحاً إلا عطّله، ولا كاهناً إلا فجّره وفسّقه[5]).

بل إن النصرانية قبلت من بولس أن يغيّر شريعة دينها، وخير مثال على ذلك قوله:(إن الختان ليس بشئ، ولا الغرلة بشيء[6]) فأبطل شريعة الختان .

(١) متى ١٢ : ١ .
(٢) متى ١٩ : ٨ – ١٠ .
(٣) متى ٥ : ٣٨ – ٤٢ .
(٤) الدين والدولة ، ص ٢٠٢ .
(٥) المصدر السابق ، ص ٢٠٢ .
(٦) رسالته إلى أهل غلاطية ٥ : ٦. وانظر رسالته إلى أهل كولوسي ٢ : ١١ – ١٢. وانظر لما سبق الدين والدولة ، ص ٢٠١ – ٢٠٣ .

الشبهة الرابعة عشرة : أن المهاجرين والأنصار دخلوا في دين الله من غير آية [1]. يروي لنا المهتدي الطبري استناده على هذه الشبهة أيام نصرانيته قائلاً: (فكانت هذه عندي حجة قوية جداً، مازلت مغتراً بها، عمياً عنها؛ حتى إذا انسلخت من دينه ـ أي دين عمه وهو النصرانية ـ رأيت الجواب عنها سهلاً، والمخرج فسيحاً[2]) وذلك من خلال البراهين التالية :ـ

١ ـ أننا إذا عارضناهم بمثل هذه الحجة بطلت نبوات عدة أنبياء من أنبيائهم؛ إذ ليس دخول جماعة في دين نبي من الأنبياء من غير آية رأوها مما يبطل نبوة ذلك النبي .

٢ ـ أن امتناع النبي من إظهار آية في وقت ما لا يوجب تكذيبه؛ لأن حزقيال أتته جماعة من بني إسرائيل يريدون امتحانه ورفض أن يقيم لهم آية، وكذلك المسيح عليه السلام أتته جماعة من اليهود تسأله آية فقال: (إن القبيلة الخبيثة الفاجرة تطلب آية، ولن تعطى آية، ما خلا آية يونان النبي) ولا يأتي النبي بالآية إلا بعد إذن الله له قال تعالى : ﴿ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك وما كان لرسول أن يأتي بآية

---

(١) هذه الشبهة كما يروي المهتدي الطبري أنه لم يقل بها أحد من علماء النصارى في قديم الدهر وحديثه سوى عمه أبي زكار . انظر الدين والدولة ، ص ١٨٩ ، ١٩٥ .

(٢) المصدر السابق ، ص ١٩٠ .

إلا باذن الله فإذا جاء أمر الله قضي بالحق وخسر هنالك المبطلون﴾[1].

٣ ـ أن المسيح عليه السلام آمن به رؤساء الحواريين الأولين، من غير أن يريهم آية، ويشهد لذلك ما رواه متى في إنجيله أن المسيح عليه السلام كان يسير في ساحل البحر فرأى أخوين أحدهما شمعون ـ الذي لقبه الصفا ـ وأخاه أندراوس وهما يصيدان السمك في البحر فقال لهما وأومأ إليهما اتبعاني أجعلكما بعد يومكما هذا تصيدان الناس، وأنهما رفضا من فورهما شباكهما واتبعاه[2].

وهذا الادعاء رغم أنه ليس بحجة ـ كما سلف ـ فإنه يدل على أن قائله كان جاهلاً جهلاً تاماً بسيرة الرسول ﷺ وأصحابه؛ وما ذاك إلا لأن الله أكرم نبيه وأظهر على يديه من الآيات والبراهين ما يؤمن على مثلها البشر. فآمن به من آمن عن تسليم ويقين، وكفر به من كفر عن ضلال وغيّ وسفه وكِبْر.

الشبهة الخامسة عشرة : أن الرسول ﷺ كان أمياً. وقد أحسن المهتدي الطبري في تفنيد هذه الشبهة من خلال الوجوه التالية: ـ

١ ـ أن الله سبحانه وتعالى خص كل واحد من أنبيائه بما اقتضته حكمته تعالى. فمنهم الخطيب البارع مثل داود، ومنهم من

(١) سورة غافر ، الآية ٧٨ .

(٢) انظر الدين والدولة ، ص ١٨٩ – ١٩٥ ، ومتى ٤ .

أحيا الميت مثل عيسى عليه السلام، ومنهم من فلق البحر وهو موسى عليه السلام، ومنهم الحكيم الكاتب مثل سليمان عليه السلام .

٢ ـ لا ينقص من قدر بعض الأنبياء، ولا ينقص من مكانتهم ـ عدم اتصافهم ببعض الصفات التي اتصف بها غيرهم. فلم يزر بداود عليه السلام أنه كان أمياً، ولم ينقص من قدر موسى وإبراهيم عليهما السلام ألاّ يكون الله رفعهما إلى السماء كما رفع عيسى عليه السلام .

٣ ـ أن الله جعل أمية محمد ﷺ آية باهرة، وحجة قاطعة؛ لأنه لم يتتلمذ على يد معلم، ولم يختلف إلى مجالس الأدباء ثم أتى بكتاب بهر أهل اللغة ، وأعجز أهل الفصاحة، وتحداهم الله أن يأتوا بمثله، أو بعشر سور من مثله مفتريات، قال تعالى : ﴿قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين[1]﴾. وقال تعالى: ﴿ فأتوا بسورة من مثله[2]﴾. إذاً لم يأت بهذا الكتاب الذى جاء به بسبب بيان أو حكمة أرضية بل هو الوحى من الله.

إذاً فالأمية التي عابه بها أهل الكتاب غير مزرية به؛ بل هي حجة وبرهان[3].

(١) سورة هود ، الآية ١٣ .

(٢) سورة البقرة ، الآية ٢٣ .

(٣) انظر الدين والدولة ، ص ١٠٤ – ١٠٧ .

ولو كـان الرسـول ﷺ كاتباً لأنكره أهل الكتاب وجحدوا نبوته، وكذبوا رسالته؛ ذلك أن أنبياءهم أخبرتهم أن خاتم الأنبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليه سيكون أمياً لا يقرأ ولا يكتب، كما ذكر الله ذلك في كتابه فقال عز من قائل: ﴿الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل [1]﴾. وقال تعالى : ﴿وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذا لارتباب المبطلون﴾[2]

ويتضح من ذلك أن هذه الشبهة وما يماثلها مما يثيره اليهود والنصارى في وجوه المسلمين ليست شبهاً حقيقية تستحق الاحتجاج بها والرد عليها؛ ذلك لأنهم أول من يعلم أنها لا تنقص من قدْر المسلمين، ولا تحط من شأنهم، إما لأن هذا الأمر مما يعهد في الرسالات الإلهية السابقة، أو لأنهم يعلمون من كتبهم أن هذا الأمر من صميم الدين الإسلامي قال تعالى: ﴿وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً[3]﴾.

الشبهة السادسة عشرة : أن البلاغة ليست من آيات النبوة؛ لأنها مشتركة في الأمم كلها .

إن القدر المشترك من البلاغة بين سائر الأمم هو ما أمكن مجاراته ومماثلته ومحاكاته، وهذا القدر لا يمكن ـ بحال من الأحوال ـ أن يعد آية من آيات النبوة؛ لاشتراك البشر في القدرة عليه .

---

(١) سورة الأعراف ، الآية ١٥٧ .

(٢) سورة العنكبوت ، الآية ٤٨ .

(٣) سورة النمل ، الآية ١٤ .

أما أن ينفرد شخص من بين سائر البشر بنوع من البلاغة ولا يستطيع أحد أن يجاريه فيه أو يضارعه، ثم يتحدى جميع الخلق الإنس والجن على أن يأتوا بمثله[1] وفيهم الأديب البارع، والكاتب الحاذق، والخطيب المفوه وهم حريصون على إبطال حجته ثم يعجزون عن ذلك ـ لدليل باهر على أن هذه البلاغة آية من آيات النبوة التي لا تنطوي تحت القدر المشترك بين سائر الأمم .

وقد انتصب كل من المهتدي الطبري والمتطبب لتفنيد هذه الشبهة وكان التفنيد كالتالي: ـ

١ ـ أنه لم يقدر أحد من العرب مع كثرتهم وفصاحتهم على الإتيان بمثله مع وجود الدافع الذي يحدوهم إلى ذلك .

٢ ـ أنه لا يوجد كتاب لدى أي أمة من الأمم جمع من التوحيد والتهليل والثناء على الله، والتصديق بالرسل والأنبياء، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والترغيب في الجنة والتحذير من النار كما جمع هذا القرآن .

٣ ـ بعد عقد المقارنة بين جميع الكتب السابقة المشهورة وبين القرآن الكريم تبين أن كفة القرآن هي الراجحة، وأنه لا يوجد في القرآن شيء مما يوجد في هذه الكتب من الإسفاف واللغو والفضول؛ وذلك لأن هذه الكتب المشهورة : إما في أخبار الدنيا وآدابها

---

(١) هذا التحدي هو ماجاء في قوله تعالى : ﴿قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً﴾ سورة الإسراء ، الآية ٨٨ .

وهذه لن تذكر مع القرآن لاختلاف غرضها ومغزاها فلذلك لن تذكر مع كتب التنزيل، وإما أن تكون هذه الكتب من الكتب الدينية، وأول موجوداتها التوراة والإنجيل وعامة مافيها أنساب بني إسرائيل وأخبار تنقلاتها ورحلاتها، وسيرة المسيح وخبره عليه السلام، مع نزر يسير من السنن والشرائع كما تحتوي على شيء كثير من الشرائع والأوامر التي تنفر منها الطباع ، وشيء من لعن بني إسرائيل وبشاراتهم بالخزي والبوار، ويظهر ذلك بشكل جليّ في سفري إشعياء وإرميا[1] .

ومزية أخرى لهذا الكتاب وهي أن كل مافيه وحي من الله، ولا تُدّعى هذه المزية العظيمة لغيره من الكتب؛ بل إن التوراة والإنجيل الموجودة الآن لا تدعي ذلك ولا يُدّعى لها ذلك ولله الحمد .

الشبهة السابعة عشرة : أن محمداً ﷺ نشر الإسلام بحد السيف، وأقام دينه بالقوة .

منذ أن أمر الله الملائكة بالسجود لآدم، ومنذ أن رفض إبليس ذلك السجود كبراً وفسقاً والصراع قائم بين الحق والباطل، وبين حزب الله وحزب الشيطان .

حزب الله يريد تحقيق العبودية لله في الأرض، وحزب الشيطان يريد إغواء البشرية؛ حتى تدخل النار معه، ولا تزال الحرب بينهما قائمة منذ

(١) انظر الدين والدولة ، ص ٩٨ – ١١٣ . والنصيحة الإيمانية ، ص ١٤٢ – ١٤٣ .

ذلك الحين تتلقف رايتها أيدي الأنبياء والصالحين من اتباعهم، كلما خرّ شهيد حملها تابع موحِّد جديد، ولا تزال هكذا حتى ينزل المسيح عليه السلام ويكسر الصليب ويقتل الخنزير ويحكم بالإسلام .

إذاً فالجهاد شريعة ربانية، وسنة نبوية، لا خلاف في ذلك ، فقد ورد ذكر الجهاد ومجالدة الكفار صريحاً في القرآن والتوراة، وجاء مفهوم الجهاد محرفاً في الإنجيل. ولكن القرآن الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه أخبر أن عيسى عليه السلام سأل قومه النصرة على الأعداء فنصره الحواريون كما أخبر الله تعالى عنه أنه قال: ﴿كما قال عيسى ابن مريم للحواريين من أنصاري إلى الله قال الحواريون نحن أنصار الله فآمنت طائفة من بني إسرائيل وكفرت طائفة فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين[1]﴾.

فالمعركة بين الإسلام والكفر مستمرة ولا تزال قائمة، ولقد أخبر الله سبحانه وتعالى عن أماني المشركين وأهل الكتاب من اليهود والنصارى في رد المسلمين عن الإسلام فقال: ﴿ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفاراً حسداً من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق[2]﴾ وقال ـ أيضاً ـ: ﴿مايود الذين كفروا من أهل الكتاب ولا المشركين أن ينزل عليكم من خير من ربكم[3]﴾ كما أخبر

---

(١) سورة الصف ، الآية ١٤ .

(٢) سورة البقرة ، الآية ١٠٩ .

(٣) سورة البقرة ، الآية ١٠٥ .

سبحانه وتعالى عن استمرار هذه الأمنية فقال:﴿ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا[1]﴾ ثم أخبر سبحانه عن غاية هذه الأمنية في دخيلة أنفسهم فقال عز من قائل: ﴿ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم[2]﴾.

والتأريخ يشهد لذلك ممثلاً في حروب المسلمين مع الفرس والتتار والروم ثم الحروب الصليبية ومن بعدها حملات استعمار القوى الغربية للدول الإسلامية في هذا العصر .

إذاً هذه المسألة أو الشبهة تتكون من شطرين هما :ـ

الشطر الأول: من عاب على الإسلام والمسلمين حمْلهم راية الجهاد لإعلاء كلمة الله، والذي يعيب هذا الأمر لا يعيب الإسلام فحسب؛ بل يتطاول على الحكيم في حكمه و على الخبير في خبره وأمره وشرعه، ويتهم الرسالات الإلهية لأنها كلها جاءت لإقرار هذه الشعيرة «الجهاد» .

والشطر الثاني: من عاب الإسلام لأنه انتشر بقوة السيف ، والذي يثير هذه الشبهة أحد رجلين: إما حاقد قد علم الحق فأراد أن يواريه ـ حسب زعمه ـ بما يثيره من شكوك وشبه. وإما جاهل لا يعرف كيف انتشر الإسلام؛ فهو إمعة سمع الحاقدين يقولون قولاً فقال مثلهم.

وقبل أن انتقل إلى الأدلة والبراهين التي قدمها هؤلاء المهتدون لتفنيد هذه الشبهة يحسن إيراد شواهد مختصرة من تشريعات الحرب التي وردت

(١) سورة البقرة ، الآية ٢١٧ .

(٢) سورة البقرة ، الآية ١٢٠ .

في التوراة والتشريعات التي وردت في القرآن أو السنة النبوية الشريفة :-

١ ـ جاء في سفر التثنية : (حين تقترب من مدينة لكي تحاربها استدعها للصلح فإن أجابتك إلى الصلح وفتحت لك فكل الشعب الموجود فيها يكون لك للتسخير ويستعبد لك، وإن لم تسالمك بل عملت معك حرباً فحاصرها وإذا دفعها الرب إلهك إلى يدك فاضرب جميع ذكورها بحد السيف، وأما النساء والأطفال والبهائم وكل مافي المدينة كل غنيمتها فتغنمها لنفسك وتأكل غنيمة أعدائك... وأما مدن هؤلاء الشعوب التي يعطيك الرب إلهك نصيباً فلا تستبق منها نسمة بل تحرمها تحريماً[1]) إنها إبادة تامة تامة .

٢ ـ قارن ما سبق ـ ولا سواء ـ مع ماجاء في القرآن الكريم من قوله تعالى: ﴿لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم[2]﴾. ومع ماجاء في السنة النبوية من وصية رسول الله ﷺ لقواده ورؤساء جيشه حيث كان يقول : (إذا أمّر أميراً على جيش أو سرية أوصاه في خاصته بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيراً. ثم قال اغزوا باسم الله، في سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله،

(١) التثنية ٢٠ : ١٠ – ١٨ ، وانظر لمزيد من تشريعات التوراة في إبادة الخصوم : تثنية ٧ : ١ – ٦. وصموائيل الأول ١٥ : ٣. وسفر القضاة ٥ : ٢٢ – ٣١. ويشوع ٦ : ٢١ ، ٢٤ و٨: ٢٤ – ٢٩ ، و١٠ : ٢٢ .. إلخ. والملوك الثاني ٥ : ١٦ .

(٢) سورة الممتحنة ، الآية ٨ .

اغزوا ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليداً. وإذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى ثلاث خصال فأيتهن ماأجابوك فاقبل منهم وكف عنهم، ثم ادعهم إلى الإسلام، فإن أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم...فإن هم أبوا فسلهم الجزية، فإن هم أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم، فإن هم أبوا فاستعن بالله وقاتلهم[1]) .

ولقد كان رسول الله ﷺ ينهى عن قتل النساء والصبيان[2] .

وبعد هذا الاستعراض لهذه التشريعات فقد آن أوان استعراض الأدلة التي قدمها هولاء المهتدون، وقد كانت على قسمين هما:ـ

القسم الأول: الأدلة على أن الجهاد شريعة ربانية وسنة نبوية:ـ

١ ـ جاهد إبراهيم عليه السلام أربعة من الملوك وأنقذ من أيديهم جميع البلاد التي استولوا عليها ، واسترد جميع الغنائم التي حازوها .

٢ ـ جاهد يوشع بن نون ـ خليفة موسى ـ عليه السلام واحداً وثلاثين ملكاً من ملوك الشام وقتلهم، ولم يترك في مدينة «عاني» نسمة ما .

---

(١) رواه مسلم في صحيحه ، في كتاب الجهاد والسير ، حديث ١٧٣١ .

(٢) انظر صحيح البخاري كتاب الجهاد والسير ، باب ١٤٨ .

٣ ـ أن داود عليه السلام غزا بلداً من بلاد الشام فلم يذر فيها رجلاً ولا امرأة إلا قتلهم وساق جميع الأنعام غنيمة له[١] .

٤ ـ أن موسى ويوشع عليهما السلام قد قتلا ألوفاً في حروبهم مع خصومهم، ويذكر المهتدي عبد الأحد داود هذه الحروب مقارناً لها بحروب محمد ﷺ قائلاً: (وإنه لمن الجدير بالذكر في هذه المناسبة أن كل الدم الذي أُريق في معارك بدر وأحد والغزوات الأخرى التي قادها محمد شخصياً لم تزد في مجموعها عن واحد بالمائة من الدم الذي أراقه يوشع، ومع ذلك لم تقع ولم تسجل أية حادثة واحدة فيها قسوة أوظلم على أحد من رسول الله، فلقد كان رؤوفاً نبيلاً شهماً ومتسامحاً[٢]) .

٥ ـ لئن نهى المسيح عليه السلام في بداية دعوته عن الحرب؛ فقد نسخ ذلك فيما بعد بقوله: (ليبع كل امرؤ منكم ثوبه وليشتر لنفسه سيفاً) وفي قوله: (لا تظنوا أني جئت لأزرع سلماً بل حرباً[٣]) .

القسم الثاني : الأدلة على أن الإسلام لم ينتشر بحد السيف :ـ

١ ـ يرى كل من المهتدي الطبري والمتطبب والشيخ زيادة أن الرسول ﷺ لم يلجأ للجهاد إلا بعد أن استبانت الحجة، وظهرت الآيات

---

(١) انظر الدين والدولة ص ١٩٦-١٩٧ . والنصيحة الإيمانية، ص١٣٨ ومابعدها. وصموائيل الثاني ١٢ : ٢٦-٣١

(٢) محمد في الكتاب المقدس ، ص ٢٦٢ ، وانظر البحث الصريح ورقة ٢٠ / ب .

(٣) انظر الدين والدولة ١٩٩ - ٢٠١ . ومتى ٥ : ٤٠ . ولوقا ٢٢ : ٣٦ و ١٢ : ٥١ .

الدالة على صدقه، ثم قابل الكفارُ كل ذلك بالتكذيب والمكابرة والصد عن سبيل الله، إذ يقول المهتدي المتطبب:(وأما قولكم: إن محمداً ﷺ جاء بالسيف دون الحجة والمعجزة؛ فهذا قول من لم يعرف الأخبار والسير، ولم يقف على ماتقدم من الآثار. فالنبي ﷺ كان يتيماً فقيراً إلى أن أكرمه الله عز وجل بالرسالة، فدعا الناس إلى الله ثلاث عشرة سنة، وهو في أول أمره كان وحده ثم في قلٍّ من أصحابه، يسعى بين أحياء العرب ويقول: قولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله تملكوا بها العرب، وتدين لكم العجم، فمنهم من يسخر به، ومنهم من لا يلتفت إليه، ومنهم من يمسك عنه؛ حتى أظهر الله تعالى الإسلام وقوي أمره وهاجر إلى المدينه، ثم أُمر بالقتال بعد ظهور المعجزة، وقيام الحجة، ووضوح الدلالة، وما أشهر سيفاً إلا بعد الإنذار والإعذار؛ فمن خالف بعد ذلك وعاند قوتل حتى ظهر أمر الله وهم كارهون[1]) .

٢ ـ لم يكن الجهاد والقتل هو الوسيلة الأولى التي استخدمها ﷺ ضد الكفار؛ بل كان يدعوهم إلى الإسلام ويجادلهم بالرفق واللين ثم ينذرهم ويتوعدهم وبعد ذلك يعرض عليهم الجزية

(١) النصيحة الإيمانية ، ص ١٤١. وانظر الدين والدولة ، ص ١٠٨ - ١٠٩. والبحث الصريح، ورقة ٢٠ .

حقناً لدمائهم وحفظاً لأرواحهم؛ فإن رفضوا كل ذلك كان الجهاد والقتال لمن رفض الحق ووقف في سبيله[1].

٣ ـ يري المهتدي الطبري أنه لولا الجهاد لما استطاعت الدولة الإسلامية حماية ثغورها وتوفير الأمن، وصيانة الأعراض والدماء والأموال، ويؤكد أن أي أمة تتخلى عن القيام بواجب الحماية والدفاع تنتقل من العز إلى الذل، ومن القوة إلى الضعف[2].

٤ ـ ينفرد المهتدي عبد الأحد داود برأي مفاده: أنه رغم كثرة الرسل الذين أرسلهم الله لتزكية البشرية بالقول والموعظة الحسنة، ورغم طول المدة الزمنية التي أمهل الله البشرية فيها؛ إلا أنها لم تستجب لنداء الله، ولم تلب دعوة رسله... فحينئذ أرسل الله رسوله محمداً ﷺ إلى الناس كافة؛ فتكالبت عليه أمم الأرض لإجهاض دعوته الخاتمة، والحيلولة بينها وبين الناس، فبعد ذلك أذن الله له بإعلان الحرب على هذه النفوس المريضة الظالمة وكان الهدف من جهاده النصر لا الانتقام، وهزيمة العدو لا إبادته، وباختصار إقامة دين الإسلام على الأرض[3].

٥ ـ يرى المهتدي الهاشمي أن الحرب في الإسلام تختلف عن الحرب في الشرائع السابقة؛ وماذاك إلا لأنها تجب لرد العدوان،

---

(١) انظر المصدر السابق ، ورقة ٢٠ . والدين والدولة ، ص ١٩٧ .

(٢) انظر المصدر السابق ص ١٩٩ .

(٣) انظر محمد في الكتاب المقدس ، ص ١٨٥ .

ولتأديب من نكث العهد، ولحماية الدولة الإسلامية[١]. وكما تختلف غايات الحرب في الإسلام فكذلك تختلف نتائجها عن نتائج الحروب في الملل السابقة إذ أن المسلمين يبيحون لأهل البلد المفتوح بقاءهم على ملتهم ويعاملونهم معاملة حسنة، ويكفلون لهم من الحقوق كما يكفلون لسائر المسلمين، ويلزمونهم من الواجبات مايلتزم به سائر المسلمين[٢].

الشبهة الثامنة عشرة : ادعاؤهم أن النبي ﷺ نسب الشر إلى الله. لو لم ينقل عنه ﷺ إلا إخباره أمته بقوله تعالى: ﴿وما أصابك من سيئة فمن نفسك[٣]﴾ وقوله تعالي: ﴿أولما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنى هذا قل هو من عند أنفسكم[٤]﴾.

---

(١) سبق الحديث في بداية هذه الفقرة أن الجهاد شريعة ربانية وسنة نبوية .

(٢) انظر الأديان في كفة الميزان ، ص ١٧٤ ، ولعله يقصد من قوله : ويلزمونهم من الواجبات . أي الواجبات الدنيوية لا الواجبات التعبدية .

(٣) سورة النساء ، الآية ٧٩ .

(٤) سورة آل عمران ، الآية ١٦٥ . ولمعرفة القول الحق في هذه المسألة أستشهد بقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله إذ يقول : (لا يجيء في كلام الله تعالى وكلام رسوله ﷺ إضافة الشر وحده إلى الله ؛ بل لا يذكر إلا على أحد ثلاثة وجوه : إما أن يدخل في عموم المخلوقات ، فإنه إذا دخل في العموم أفاد عموم القدرة والمشيئة والخلق ، وتضمن ما اشتمل عليه من حكمة تتعلق بالعموم . وإما أن يضاف إلى فالأول كقوله تعالى : ﴿الله خالق كل شيء ﴾ ونحو ذلك ، ومن هذا الباب أسماء الله المقترنة كالمعطي والمانع ، والضار والنافع ... وأما حذف الفاعل فمثل قول الجن : ﴿ وانا لا ندري أشر أريد بمن في الأرض أم أراد بهم ربهم رشداً ﴾وإضافته إلى السبب كقوله تعالى : ﴿من شر ماخلق﴾ مجموع فتاوي شيخ الإسلام ابن تيمية ، جمع وترتيب عبدالرحمن بن قاسم وابنه محمد ، تصويراً عن طبعة عام ١٣٩٨ هـ ، جـ ٨ ، ص ٩٤ - ٩٥ .

وقد تصدى المهتدي الطبري لهذه الفرية وأورد عدداً من نصوص العهدين التي تنسب إلى اليهود والنصارى مانسبوه إلينا، منها ماجاء في سفر الخروج أن الله قال لموسي: (إني جاعل قلب فرعون قاسياً لئلا يخرجكم من أرض مصر[1]). وكذلك ماقاله بولس في رسالته إلى تيموثاوس:(إن البيت العظيم ليس يكون فيه أواني الذهب والفضة فقط؛ بل يكون فيه أواني الخشب والفخار، أيضاً منها للكرامة ومنها للهوان[2]) قال الطبري بعد هذا النص : (يعني الدنيا ومن فيها من سعيد وشقي[3]) .

الشبهة التاسعة عشرة: ميله ﷺ للملاذ الحسية .

يقتضي المنهج المتبع في إعداد هذا البحث استقصاء جميع الأدلة التي استدل بها هؤلاء المهتدون، والحجج التي أقاموها، والبراهين التي نصبوها، والشبه والمفتريات التي فندوها ... ولولا هذا المنهج لما أوردت هذه الشبهة، وما ذاك إلا لأن القريب والبعيد والمسلم والكافر الذي اطلع على سيرته ﷺ يعلم علم اليقين أن هذا الرسول كان أزهد خلق الله في متاع الدنيا وزخرفها، ولن استطرد في الاستدلال على هذه المسألة[4]، ولكن لعل النقول التالية تبيّن جانباً من زهده ﷺ في الدنيا بعامة، فضلاً عن

(١) الخروج ٤ : ٢٠ .

(٢) ٢ : ٢٠ .

(٣) الدين والدولة ، ص ٢٠٦ .

(٤) لم يكن من منهجي أن أبحث عن أدلة مساندة للأدلة التي يقدمها المهتدي للتدليل على مسألة ما . ولكن رأيت أن الأدلة التي قدمها المهتدى الشيخ زيادة لتفنيد هذه الشبهة غير كافية ؛ فأوردت ما أوردت رغبة في مزيد من التفنيد .

ميله لملاذها ومتاعها بخاصة، وهذه النقول هي :ـ

١ ـ وِصَالـــه ﷺ صيام النهار بصيام الليل، ويشهد لذلك مارواه البخارى ومسلم في صحيحيهما عن عبد الله بن عمر: (أن النبي ﷺ واصل فواصل الناس فشقّ عليهم فنهاهم، قالوا: إنك تواصل. قال: لست كهيئتكم؛ إني اظل اطعم وا سقي[١]) . وهذا الوصال لا يفعله من تعلق قلبه في الدنيا ومتاعها؛ وإنما هو دأب من أعرض عن الدنيا وتعلق قلبه بما أعده الله للمؤمنين في الدار الآخرة .

٢ ـ مارواه البخاري ومسلم عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه في خبر دخوله على الرسول ﷺ حين اعتزل نساءه وهو قوله: (حتى جئت رسول الله في مشربة له يرقى عليها بعجلة، وغلام لرسول الله ﷺ أسود على رأس الدرجة، فقلت له: قل هذا عمر بن الخطاب. فأذن لي. قال عمر: فقصصت على رسول الله ﷺ هذا الحديث فلما بلغت حديث أم سلمة تبسم رسول الله ﷺ وإنه لعلى حصير مابينه وبينه شيء، وتحت رأسه وسادة من أدم حشوها ليف، وإن عند رجليه قرضاً مصبوباً، وعند رأسه أهب معلقة، فرأيت أثر الحصير في جنبه، فبكيت! فقال: مايبكيك؟. فقلت: يارسول الله إن كسرى وقيصر فيما هما فيه وأنت رسول

(١) وهذا الإطعام والسقيا إنما هو طعام وشراب معنوي ، وإلا لو كان طعاماً وشراباً حسياً لما عدّ ذلك صياماً، والحديث رواه البخاري في صحيحه واللفظ له في كتاب الصوم ،. باب ٢٠ ، ومسلم في كتاب الصيام حديث ١١٠٢ .

الله!!. فقال: أما ترضى أن تكون لهم الدنيا ولنا الآخرة[1]) . هذا أثاث منزله، وجميع مدخراته وممتلكاته تبكي القلب، وتستدر الدمع، فأين الميل للملاذ؟؟! إنها وأيم الله حياة من رغب عن الدنيا، وآثر الآخرة .

٣ ـ مارواه الإمام أحمد في مسنده عن أبي هريرة رضى الله عنه قال: (كان يمر بآل النبي ﷺ هلال ثم هلال ـ أي شهر ثم شهر ـ لا يوقد في شيء من بيوتهم النار، لا الخبز ولا الطبيخ. فقالوا: بأي شيء كانوا يعيشون يا أبا هريرة؟!. قال: بالأسودين التمر والمـــاء[2]) . الله أكبر! هذا هو قوت الذي يوصف بأنه يميل للملاذ الجسدية؟؟! كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذباً .

هذه الشبهة أوردها المهتدي الشيخ زيادة وفندها بما يلي: ـ

١ ـ هذه الملاذ التي تمتع بها رسول الله ﷺ لم تكن من الملاذ المحرمة أو المذمومة؛ لأن الله خلقها لأجل التمتع بها وشكره عليها، فهذه الملاذ لم تخلق إلا للتمتع بها يدل لذلك الدليل العقلى فضلاً عن الدليل النقلي .

٢ ـ لو كانت هذه الملاذ الجسدية والمتع الدنيوية مذمومة لامتنع

---

(١) انظر الحديث بتمامه في صحيح البخاري كتاب تفسير القرآن ، تفسير سورة التحريم ، باب ٢ ، ومسلم كتاب الطلاق ، حديث ١٤٧٩ .

(٢) المسند جـ ٢ ، ص ٤٠٤ ، ٤٠٥ .

الأنبياء والصالحون من الاستمتاع بها، وقد ورد في الإنجيل أن بعض النصارى صنعوا ولائم كثيرة[1] .

الشبهة العشرون : التعدد .

التعدد شريعة إلهية أباحها الله وأمر بها أحكم الحاكمين في كتبه المنزلة؛ لحكم تجلّ عن الحصر، ومنافع يعجز عن إدراكها البشر، وهو سنة نبوية؛ لأن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام كان من سنتهم التعدد؛ تحقيقاً لأمر الله، وتكثيراً لحزبه وجنده، واستجابة لنداء الفطرة .

هذه المسألة يثيرها كثير من النصارى في وجوه المسلمين، وإثارتهم لها نتيجة حتمية أوصلهم إليها دينهم المحرف؛ وذلك أن الأنبياء كان من سنتهم التعدد، فلما جاء بولس وهمّ بتحريف الديانة النصرانية ضمّن بعض رسائله عبارات توحي بعدم شرعية التعدد ـ وإن كان في بعضها بعض العبارات التي توحي بجوازه ـ وتبعه النصارى على هذا، وظنوا أن هذا الأمر هو الشرع الذي أنزله الله وجاءت به رسله، وهذا الظن قادهم إلى الاعتراض على المسلمين في تعديدهم لنسائهم .

وقد تصدي لهذه الفرية كل من المهتدي الشيخ زيادة والهاشمي[2] وقدموا عدداً من الأدلة، وهذه الأدلة هي :ـ

---

(١) انظر البحث الصريح ، ورقة ١٩ . والتكوين ٢١ : ٨ ، و٢٩ : ٢٢ . وإشعياء ٢٥ : ٦ .ومتى ٢٣ : ٦ . ومرقس ١٢ : ٣٩ .

(٢) ناقش المهتدي الشيخ زيادة هذه الشبهة على أنها موجهة للنبي ﷺ ، في حين ناقشها المهتدي الهاشمي باعتبار أنها موجهة إلى الإسلام، فرأيت أن أجمع أدلتهما في موضع واحد ؛ لأن القضية واحدة وهي التعدد .

١ ـ أن إبراهيم عليه السلام وأبناءه من بعده قد ورد عنهم أنهم تزوجوا من نساء كثيرات، وكذلك يعقوب وداود وسليمان عليهم السلام .

٢ ـ يفهم من قول بولس في رسالته إلى تيطس، وهو: (إن كان أحد بلا لوم بعل امرأة واحدة)[١] وقوله في رسالته إلى تيموثاوس : (فيجب أن يكون الأسقف بلا لوم بعل امرأة واحدة[٢]) ـ أن الأولى للأسقف أن ينتخب امرأة واحدة، ويظهر من ذلك أنه مباح لغير الأسقف الزواج من أكثر من امرأة وحدة .

٣ ـ أن هذا الأمر الذي عابه النصارى على رسولنا ﷺ لم يكن ممنوعاً في بني جنسه أو في قبيلته حتي يتنزه عنه لأجل النبوة[٣] .

٤ ـ يرى المهتدي الهاشمي أن التعدد علاج رباني ناجع لعدة ظروف تحتاجها طبيعة المجتمع .

٥ ـ أن علاقات الإنسان الدولية تحتم الحروب والمنازعات، وينتج عن هذه الحروب وفاة عدد كبير من الرجال، ويستشهد ببعض

---

(١) ١ : ٦ .

(٢) ٣ : ٢ .

(٣) انظر البحث الصريح ، ورقة ١٨ / أ . وفي الحقيقة أن هذا التسويغ غير كافٍ ؛ لأن أمته ﷺ قبل مبعثه لم تكن أمة ربانية فتكون تصرفاتها جائزة شرعاً ، وإنما كانت أمة جاهلية تعبد الصنم، وتحكم الهوى ، ولو احتج لهذا الأمر بأن الله أباحه له بقوله تعالى : ﴿ يا أيها النبي إنا أحللنا لك أزواجك اللاتي آتيت أجورهن وما ملكت يمينك مما أفاء الله عليك.... إلى قوله : لكيلا يكون عليك حرج وكان الله غفوراً رحيماً ﴾ سورة الأحزاب ، الآية ٥٠ ، وبأن الله أمره وأمر أمته بقوله : ﴿ فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع ﴾ سورة النساء الآية ٣ ، لكان أجود وأقوم لحجته .

الإحصائيات التي صدرت بعد الحرب العالمية الثانية التي بينت أن عدد النساء أصبح أكثر من عدد الرجال في كثير من الدول.. وفي هذه الأحوال يصبح التعدد مطلباً للأمة حتى تستطيع أن تتجاوز الأزمة. وفى ختام تفنيده لهذه الشبهة قال: (والأسباب التي من أجلها أباح الإسلام تعدد الزوجات تجلّ عن الحصر[1])

الشبهة الحادية والعشرون : زواجه ﷺ من زينب بنت جحش امرأة زيد رضي الله عنه .

هذه الزوجة هي الوحيدة من بين نسائه التي زوجها الله لنبيه ﷺ من فوق سبع سموات، حتى إن صاحبتها لتفاخر سائر أزواجه بقولها: (زوجكنّ أهاليكن، وزوجني الله تعالى من فوق سبع سموات[2]) ولو كان مبعث هذا الزواج الرغبة النفسية لرسول الله ﷺ، والميل الطبعي المسبوق برؤية خاطفة ... لما خصّ بهذه المزية، وهي أن يتولى الله سبحانه وتعالى تزويجه منها، ولم يتبوأ هذا العقد أو هذا الزواج هذه المزية إلا لعظيم التبعة التي تحملها رسول الله ﷺ بسببه من المنافقين المناوئين للدعوة المفترين على الرسالة والرسول، وعِظم المهمة التي سيواجه المجتمع لأجلها في مقارفة أمر لم يألفه ذلك المجتمع وهو زواجه من مطلقة ابنه بالتبني التي أراد الله إبطالها بهذا الزواج قال تعالى: ﴿فلما قضى زيد منها وطراً

(١) الأديان في كفة الميزان ، ص ١٢١ ، وانظر ص ١١٩ – ١٢٢ منه .

(٢) رواه البخاري في صحيحه في كتاب التوحيد ، باب ٢٢ .

زوجناكها لكي لا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم إذا قضوا منهن وطراً وكان أمر الله مفعولا[1]﴾.

وقد حكى هذه الشبهة المهتدي الشيخ زيادة ثم فندها من خلال الوجوه التالية :ـ

١ ـ لقد كان من عادة العرب أن يتزوجوا من مطلقات غيرهم .

٢ ـ كان الاعتقاد السائد في أمة العرب قبل نزول القرآن أنه يحرم على الرجل أن يتزوج مطلقة ابنه بالتبني فأمره الله بالزواج بها؛ حتى يكون ذلك شريعة لأمته من بعده، وإبطالاً لعادة جاهلية كانت متبعة في أمته .

٣ ـ أقرت شريعة التوراة الطلاق، كما أقرت الزواج من مطلقة[2] .

٤ ـ أن النصارى يزورون على عيسى أنه قال: (فى البدء خلقهما الله ذكراً وأنثى[3])ولو صح هذا عن عيسى عليه السلام لأصبح الزواج لازماً له عليه السلام ولسائر الرهبان الذين يتعبدون بالتبتل.

٥ ـ أنكم تتهمون الأنبياء عليهم السلام بأمور منافية للشريعة والجبلة، ولم يذكر في كتابكم تخطئتهم وحاشاهم مما افتريتموه عليهم[4] .

---

(١) سورة الأحزاب ، الآية ٣٧ .

(٢) انظر التثنية ٢٤ : ١ – ٤ .

(٣) متى ١٩ : ٤ .

(٤) يريد ما ألصقه اليهود بلوط ويعقوب وداود صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ، وانظر لما سبق البحث الصريح ، ورقة ١٨ – ١٩ .

الشبهة الثانية والعشرون : أن هذا القرآن قول بشر[1] .

عندما تعرض هذه الشبهة على العقل فإنه يستنتج عدداً من البراهين العقلية التي تفندها، وهأنذا أضع بين يديك بعض هذه البراهين على وجه الاختصار وهي: ـ

١ ـ أن الله سبحانه وتعالى تحدى الإنس والجن على أن يأتوا بمثله فعجزوا، ثم تحداهم أن يأتوا بعشر سور من مثله، ثم تحداهم أن يأتوا بسورة فعجزوا مع أنه مكون من نفس الحروف التي يتحدثون بها، ولم تكن تنقصهم البلاغة والبيان .

٢ ـ أن هذا القرآن رغم عدد سوره الكثيرة، وآياته العديدة، ورغم ما اشتمل عليه من أحكام وأخبار وعقائد وحكم ـ إلا أنك لا تجد فيه آية تناقض أخرى، أو خبراً يكذب الآخر، أو حكماً يتعارض مع حكم آخر .

٣ ـ أنه مضى عليه منذ نزوله إلى الآن أكثر من أربعة عشر قرناً ولم يتطرق إليه النقص أو الزيادة، ولم يستطع البشر أن يحرفوا فيه حرفاً واحداً، ولو أحضرت مخطوطة لهذا الكتاب من أي بلد مهما كان زمان كتابتها ثم قارنتها بأي نسخة لهذا الكتاب؛ فإنك لن تجد فيه حرفاً واحداً مختلفاً عن موضعه .

(١) انظر إفحام اليهود ، ص ١٤٦ . والقرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم ، ص ١٤٥ .

٤ ـ اشتماله على أمور غيبية سابقة أخبر بها ولم يكن لدى العرب الذين نزل بلغتهم القرآن أى ذكر لها أو خبر عنها، وإخباره عن حوادث مستقبلية وقعت كما أخبر .

وبعد هذه البراهين العقلية يحسن الانتقال إلى الأدلة التي قدمتها هذه المجموعة المباركة ممن تعرض لهذا الزعم بالدراسة والمناقشة.

هذا الزعم حكاه كل من المهتدي السموءل وبوكاي. أما السموءل فقد اكتفى بقوله: (زعموا وأفرطوا في دعواهم إلى أن نسبوا الفصاحة المعجزة التي في القرآن إلى تأليف عبد الله بن سلام[1]) أما المهتدي بوكاي فقد أورد عدداً من الأدلة التي تدحض هذا الزعم ويغلب عليها طابع المقارنة والاستقراء، وهذه الأدلة هي :ـ

١ ـ أن محمداً ﷺ كان أمياً ثم جاء بكتاب تفوّق فيه على سائر بني جنسه إعجازاً وبلاغة وأدباً، وصرح فيه بحقائق علمية لم يكن في مقدور الإنسان في ذلك العصر مجرد التفكير فيها، ومع تعاقب السنين لم يستطع الإنسان أن يكتشف فيها أقلّ خطأ .

٢ ـ عقد بوكاي مقارنة بين القرآن الكريم وبين النتائج التي توصل إليها العلم الحديث فيما يتعلق بالخلق والفلك والحيوان والنبات والجنس الإنساني ... فتبين له أن القرآن الكريم لم يتضمن أي معلومات مخالفة لما توصل إليه العلم الحديث .

---

(١) إفحام اليهود ، ص ١٤٦ .

ثم عقد مقارنة بين التوراة والإنجيل وبين النتائج التي توصل إليها الإنسان في العصر الحديث في نفس الموضوعات السابقة ـ فتبين له أن هناك تبايناً واختلافاً بينهما، واستنتج من ذلك أن التوراة والإنجيل تدخلت فيهما اليد البشرية وأقحمت فيهما كثيراً من النصوص التي أدت إلى عدد من المخالفات والمغالطات العلمية في حين سلم القرآن الكريم من ذلك؛ لأنه كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

ومن خلال هذه المقارنات فند الدعوى القائلة بأن محمداً ﷺ إنما اعتمد في تدوينه لهذا الكتاب على روايات التوراة والإنجيل، وبين أن اختلاف الروايات بينها يجعل من المستحيل أن يصدق هذا الزعم إذ يقول: (فإن الاتهام لا يتمتع بأي أساس،كيف يمكن لإنسان منذ أربعة عشر قرناً تقريباً أن يصحح إلى هذا الحد الرواية الشائعة في ذلك العصر وذلك باستبعاد أخطاء علمية، وبالتصريح بمبادرته وحده بمعطيات أثبت العلم أخيراً صحتها في عصرنا!! هذا فرض لا يمكن الدفاع عنه. إن القرآن يعطي عن الخلق رواية تختلف تماماً عن رواية التوراة[1]) . هذا الزعم بالإضافة إلى أنه يفتقر إلى دليل يعتمد عليه. فما الذي يدعو محمداً ﷺ إلى إدخال تصحيح في نقله لروايات التوراة تجعلها بعيدة عن أي انتقاد علمي .

(١) القرآن والتوراة والإنجيل والعلم ، ص ١٧٣ .

٣ ـ إن كثيراً من الحقائق العلمية المرتبطة بالخلق التي تحدث عنها القرآن الكريم لم تكتشف دقائقها وأبعادها، ولم يتوصل إليها البشر إلا في العصر الحديث. فكيف يدعى أن محمداً ﷺ تلقاها من البشر؟؟!

٤ ـ يدعي بعض المفكرين الغربيين أن الحقائق العلمية التي اشتمل عليه القرآن ترجع إلى تقدم العلماء العرب، وأن محمداً ﷺ قد استلهم دراساتهم في القرآن. ولكن الحقائق المسلّمة تؤكد أن الفترة التي استغرقها نزول الوحي على محمد ﷺ كانت فيها المعارف العلمية تعيش فترة ركود منذ أزمنة بعيدة، وأن عصر الحضارة الإسلامية العلمية والازدهار العلمي الذي كان تابعاً لها لم تظهر بوادره إلا بعد مرور قرن من الزمان على نهاية التنزيل الإلهي للقرآن الكريم .

٥ ـ تميز القرآن الكريم بميزة مهمة وهي ثراء الموضوعات التي تحدث عنها مثل الخلق وعلم الفلك وعالم الحيوان والنبات والجنس البشري... وجميع المعلومات الواردة في هذا الشأن تتفق مع ما توصلت إليه الاكتشافات العلمية والدراسات الحديثة في الوقت الراهن، ولو كان مؤلف هذا القرآن بشراً من أبناء القرن السابع الميلادي؛ لما استطاع أن يحقق هذا التوافق البديع[١] .

---

(١) انظر القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم ، ص ١٤٥ – ١٥٠ ، ١٧٣ ، ٢٤٢ ، ٢٦٨ ، ٢٨٥ – ٢٨٦ .

الشبهة الثالثة والعشرون : يعترض اليهود على المسلمين أنهم ينسبون إلى الله كتاباً ينقض بعضه بعضاً، إي ينسخ بعضه بعضاً .

هذا الاعتراض حكاه المهتدي السموءل وفنده تفنيداً عجيباً لم أر من سبقه إليه، وقد عوّل في هذا التفنيد على نصوص كتبهم ، وما تقتضيه أصولهم، وما يمارسونه من عباداتهم. وقد خلص من تفنيده لهذه الفرية بأن النسخ لازم لهم على أصولهم، وبمقتضي كتبهم، ولا مخرج لهم إلا التسليم له والقبول به، وقد كانت مجادلته لهم في هذا الأمر كالتالي: ـ

١ ـ يقال لليهود: هل كان قبل التوراة شرع أم لا؟ فإن جحدوا كذبوا بما جاء به سفر التكوين من أن الله شرع لنوح عليه السلام القصاص في القتل حيث قال: (سافك دم الإنسان فليحكم بسفك دمه) وبما جاء في سفر التكوين ـ أيضاً ـ مما شرعه الله لإبراهيم عليه السلام من الختان وغيره[1]. وإن أقروا بأن ذلك شرع؛ فيقال لهم : هل التوراة جاءت بزيادة على تلك الشرائع أم لا؟ فإن لم تكن أتت التوراة بزيادة فقد صارت عبثاً ، ومادامت عبثاً فلا ينبغي أن تكون صادرة عن الله تعالى. فيلزم من ذلك أن التوراة ليست من كلام الله، وهذا كفر على حسب ملتكم، وإن كانت التوراة جاءت بزيادة فيتوجه إليهم السؤال التالي: هل في تلك الزيادة تحريم ماكان مباحاً؟ وإن أنكروا ذلك بطل قولهم بعدم النسخ من وجهين :ـ

(٢) انظر سفر التكوين ٩ و ١٧ .

الوجه الأول: أن التوراة حرمت الأعمال في يوم السبت بعد أن كانت مباحة، وهذا هو النسخ.

الوجه الثاني : أنه لا معنى للزيادة في الشرع إلا تحريم ما تقدمت إباحته، أو إباحة ما تقدم حظره.

وقد يحتجون علينا بأن الحكيم لا يحظر شيئاً ثم يبيحه؛ لأنه يكون كمن أمر بشيء وضده. وقد أجاب السموءل عن هذا الاحتجاج: بأن من أمر بشيء وضده في زمانين مختلفين غير مناقض أوامره؛ وإنما يكون مناقضاً بينها لو كان الأمران في وقت واحد .

ويرى اليهود أن النسخ المكروه هو إباحة المحظور، والتوراة حظرت أموراً كانت مباحة، ولم تأت بإباحة محظور. والحق أن من أحلّ ما حرمه الشارع مساوٍ لمن حرم ما أحله الشارع؛ لأن كلاً منهما قد خالف الشارع، فإذا جاز أن تأتى التوراة بتحريم ماكان حلالاً على إبراهيم عليه السلام ومن قبله؛ فجائز أن تأتي شريعة أخرى تحلل ماكان محرماً في التوراة. ولا يغب عن بالك أن المحظورات تنقسم إلى قسمين: قسم يكرهه الله لعينه فيحرمه في كل الأزمنة وكل الشرائع، وقسم لا يكرهه الله لعينه فهذا يكون محرماً في بعض الأزمنة دون بعض، ويتوقف هذا التحريم على ما يصاحبه من ملابسات .

٢ ـ إذا جاء رسول مؤيد بالمعجزات والآيات، وظهرت على يديه أعلام النبوة فجائز أن يأتي بشريعة تنسخ من أحكام الشريعة السابقة سواء كان هذا النسخ بالتحليل أم بالتحريم، وسواء وافق العقول

البشرية أم خالفها؛ لأن الأوامر الإلهية منزهة عن الوقوف عند مقتضى العقول البشرية، وإذا كانت هذه الأوامر أو الشرائع صادرة عن الله فما الذي يمنع أن يحرم ما كان حلالاً أو يبيح ما كان حراماً في الشريعة السابقة؟؟ .

٣ ـ لا زلتم أيها اليهود! تعتقدون أنكم على ملة موسى عليه السلام، وقد جاء فيها أن من مسّ عظماً أو حضر ميتاً عند موته فإنه يصير نجساً نجاسة لا يطهره منها إلا رماد البقرة التي كان الإمام الهاروني يحرقها، ولأنكم عدمتم رماد البقرة والإمام الهاروني؛ فقد جعلتم من مسّ عظماً أو حضر ميتاً عند موته ـ طاهراً يصلح للصلاة. وهذا هو النسخ، وإن لم تقروا بذلك فأنتم أنجاس إلى اليوم لعدم سبب الطهارة .

وإذا كنتم أنجاساً فلم تعتزلون الحائض؟ فإن قلتم: إن ذلك من أحكام التوراة. فيقال لكم: إن الغرض من ذلك هو الطهارة وأنتم أنجاس، بل نجاستكم أعظم من نجاسة الحائض، ولِمَ تفرقون بين الحائض من ملتكم ومن غير ملتكم؟؟ وهذا التفريق لم يرد في التوراة؛ فهذا كله تقوّل على الله سبحانه أو نسخ منكم لما شرعه الله لكم .

٤ ـ يعتقد اليهود أن جميع مافي كتب فقهائهم نقله الفقهاء عن الأحبار عن الثقات من السلف عن يوشع عن موسى عليه السلام

عن الله تعالى. ولكن المتأمل في حالهم يجد أن هناك مسائل كثيرة وقع فيها الخلاف والاجتهاد. فيلزم على هذا الاختلاف في المسألة الواحدة أن يكون كل من خالف فيها فهو ينقل مذهبه نقلاً مسنداً إلى الله عز وجل. ويلزم على ذلك شناعة لا مخرج لهم منها وهي: أنهم جعلوا الله سبحانه وتعالى قد أمر في تلك المسألة بشيء وخلافه، وهذا هو النسخ .

وإن قالوا: إن هذا الخلاف غير مستعمل الآن لأن الأولين كانوا بعد اختلافهم في المسألة يرجعون بها إلى أصل واحد. فيقال لهم: إن رجوعهم بعد الاختلاف إلى الاتفاق على مذهب واحد؛ إما لأن أحدهم رجع عما نقل، أو طعن في نقله. فيلزمه السقوط عن العدالة، وأما أن يكون الفقهاء قد اجتمعوا على نسخ أحد المذهبين، أو تكون رواية أحدهما ناسخة لرواية الآخر. وهذا هو النسخ .

٥ ـ نصت شريعة التوراة على تحريم الزيادة عليها حيث جاء فيها:(لا تزيدوا على الأمر الذي أنا موصيكم به شيئاً ولا تنقصوا منه شيئاً[١]) ولكن نجد أن اليهود قد زادوا في صلاتهم الدعاء التالي: (اللهم اضرب ببوق عظيم لعتقنا، واقبضنا جميعاً من أقطار الأرض إلى قدسك) وهذا الدعاء لم يرد عن موسى عليه

---

(١) التثنية ٤ : ٢ .

السلام، بل أحدث في صلاتهم بعد موسى بدهر طويل.

وكذلك نجد أن اليهود سنّوا لأنفسهم صيام أيام معينة كصيام يوم إحراق بيت المقدس، وصوم يوم حصاره، وصوم صلب هامان. ولم تكن هذه العبادات مما شرعه موسى عليه السلام لهم؛ بل زيدت لأسباب حدثت بعد رحيله. وهذه الزيادات في هذه العبادات نسخ للآية السابقة التي تحرم الزيادة على شريعة التوراة .

٦ ـ جاء في شريعة التوراة أن الله اختص من بني إسرائيل الأبكار؛ ليكونوا خواص في الخدمة. ولكن لما جاء موسى عليه السلام من ميقات ربه ومعه الألواح ووجد القوم عاكفين على عبادة العجل، وقف بطرف القوم ونادي : من كان لله فليحضرني. فانضم إليه بنو ليوي ولم تنضم إليه البكور؛ فلما خذله البكور، ونصره أولاد ليوي قال الله له كما في التوراة :(وقد أخذت الليوانيين عوضاً عن كل بكر في بني إسرائيل[1]) وهذا النص يدل على أن الله عزل الأبكار عن ولاية الاختصاص، وأخذ أولاد ليوي عوضاً عنهم .

واليهود لا يقدرون على إنكار ذلك، وهذا يلزمهم القول بالنسخ .

٧ ـ جاء في التوراة المحرفة أن يهوذا بن يعقوب قد زنى بزوجة ابنه وهو لا يعلم أنها هي ـ وهذا من ظلمهم وافترائهم ـ فلما علم

(١) الخروج ١٣ : ١٥ .

بأنها قد حبلت من الزنا أفتى بإحراقها. وهذا يدل على أن شريعة ذلك الزمان أن يحرق الزاني. ثم جاء فيما بعد ذلك في التوراة نسخ هذا الحكم واستبدال الرجم به .

٨ ـ افترضت شريعة التوراة على اليهود تقديس يوم السبت، والراحة فيه وعدم المشقة، وقد تم هذا التشريع عليهم في أول إعطائهم المن في صحراء سيناء، ثم لما أنزل الله عليهم اللوحين وخالفوهما وعبدوا العجل؛ فرض الله عليهم صيام ذلك اليوم وقيام جميع نهاره .

وإذا اتفق صوم هذا اليوم في يوم السبت فإنكم تؤدون فيه الصيام رغم ما فيه من المشقة، ورغم أن فرضية يوم السبت تحتم عليكم الراحة والدعة فيه. وهنا يتبين أن فريضة الصيام قد نسخت فريضة السبت[1] .

الشبهة الرابعة والعشرون : ومما يعيبونه على المسلمين تسميهم بأسماء الأنبياء عليهم الصلاة والسلام .

وهذه الشبهة كمثيلاتها من الشبه السابقة لا تستحق إثارتها والرد عليها؛ لتهافتها وسقوط لفظها ومدلولها. وماذا في تسمّينا بأسماء الأنبياء والمرسلين عليهم صلوات الله وسلامه؟ والنفس مجبولة على التأسي بأعلام الهدى ومصابيح الدجى، والاقتداء بهديهم، واقتفاء أثرهم، ولم ننفرد نحن بهذا الأمر؛ فلا يزال اليهود والنصارى إلى يوم الناس هذا يتسمون بيعقوب وموسى وإلياس .

---

(١) انظر لما تقدم إفحام اليهود ، ص ٨٦ – ٩٠ ، ٩٣ – ١٠٢ ، ١٥٤ – ١٥٧ .

قال المهتدي الترجمان مفنداً هذه الشبهة :(كيف تنكرون علينا ذلك ونحن قد تسمينا بأسماء الأنبياء تبركاً بذلك؟ وهم من جنس بني آدم صلوات الله عليهم، وكيف لا تنكرون على أنفسكم حيث تسمون أسماء الملائكة جبريل وميكائيل وعزرائيل[1])

وفي ختام هذه الشبه يتبين أمور منها: ـ

١ ـ أن هذا الذي يعيبونه علينا قد جاء به إلينا رسول مُصَدّق فلا داعي للشك في خبره والاعتراض على أمره؛ لأنه لا يأمر من تلقاء نفسه، وإنما هو مبلغ عن ربه، وكل شريعة جاء بها ففي الشرائع السابقة مايماثلها أو قريب منها، بل إن شريعته تفوقت عليها؛ لأنها الشريعة الخاتمة .

٢ ـ هذه الشبه رغم تهافتها وتساقطها ـ تؤكد حقيقة قرآنية وردت في عدد من الآيات من مثل قوله تعالى: ﴿وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً[2]﴾ وقوله :﴿يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون[3]﴾ وقوله تعالى: ﴿تشابهت قلوبهم[4]﴾.

---

(١) تحفة الأريب ، ص ٢٥٤ . وعزرائيل ليس من أسماء الملائكة .
(٢) سورة النمل ، الآية ١٤ .
(٣) سورة الصف ، الآية ٨ .
(٤) سورة البقرة ، الآية ١١٨ .

إذاً فهم قوم بهت؛ إذ يثيرون شبهاً ليست حقيقية، فهم أول مقتنع أنها ليست كذلك؛ وإنما ليصدوا عن سبيل الله.

٣ ـ أن كثيراً من هذه الشبه لولا الأمانة العلمية، وما ألزمت به نفسي في هذا المنهج ما أوردتها؛ لأنها لا تستحق أن تسمى شبهاً.

٤ ـ مما يؤكد تكاذبها وتهافتها التناقض بينها ففي حين يعيب النصارى الأمية على محمد ﷺ نجد من يقول: إنه استكتب التوراة والإنجيل أو تعلمهما[1].

٥ ـ أن هذه الشبه لا تستحق الاحتجاج بها والاعتماد عليها؛ لأن القائل بها أحد ثلاثة: إما عالم أن هذا الأمر الذي يعيبه على الإسلام موجود في الرسالات السابقة؛ فليس عيباً أن يجدد الإسلام ما اندرس من معالم الشرائع السابقة. وإما أنه يعلم أن هذا الأمر من صميم الإسلام؛ لأنه وجد في كتابه ما يؤكد ذلك مثل أميته ﷺ وجهاده وصفته وصفة أمته وأصحابه ورسالته الخاتمة. وإما أن يكون غراً ساقطاً لا في العير ولا في النفير؛ إذ لا يعلم خبر الرسالات السابقة، ولا يعلم ما اشتمل عليه كتابه من الإخبار بهذا النبي الخاتم وشريعته الخاتمة... وهذا لا يستحق أن تضيع الأوقات وتسوّد الأوراق في الرد عليه.

---

(١) قارن بين الشبهة ١٥ والشبهة ٢٢ من هذه الشبه السابقة.

الفَصْلُ الرَّابِعُ

أثرهم في دعوة غير المسلمين

شهد العالم منذ بزوغ الرسالة المحمدية تحولاً نحو الإسلام من أبناء الأمم الأخرى تتوجه مجموعة مباركة من رواد الفكر وطلاب العلم وقيادي تلك الأمم، ومما يؤكد صدق هذا التحول قيام هذه المجموعة بممارسة الدعوة إلى الإسلام في أوساط أقوامها؛ رغبة في هدايتهم إلى النور، وإنقاذاً لهم من الظلمات، وهذه الممارسة من العسير احتواؤها في وريقات يقدمها طالب علم؛ والسبب أنها لم تنل حظها من الرصد والتتبع على مدار التأريخ؛ لأنها ـ في العموم الغالب ـ لا تتجسد في أثر فكري محسوس يخلده الزمن وتتوارثه الأجيال ـ باستثناء التأليف ـ إذ تبرز هذه الممارسة من خلال الدعوة الشفهية، والمناظرة الجدلية، والرسائل الشخصية، إضافة إلى أنها تتم حسبة لله ابتغاء ثوابه مما يضفي عليها نوعاً من الإسرار بها .

ويستطيع الباحث أن يستخرج من هذا التحول عدداً من الجوانب المضيئة لعل من أبرزها: البرهنة على عظمة هذا الدين، ـ الإسلام ـ وصدق هذا التوجه، وسلامته من الشك والريبة والدغل .

وهذا الاقبال المنقطع النظير على الإسلام يعدّ ـ بحق ـ رافداً من روافد انتشار الإسلام في أرجاء المعمورة؛ لأنه يؤكد ضمناً أن الإسلام دين يجمع بين الدين والدنيا، وبين الروح والجسد، وبين العقل والفطرة، وبين العلم والعبادة؛ إذ استقطب جميع أصحاب الاتجاهات العلمية والفكرية المختلفة ولم يضق بها ذرعاً؛ بل أفسح لها المجال تتفيأ ظلاله، وتستنير بنوره، وفتح لهم آفاقاً جديدة، ولم يكن كالديانات السابقة المحرفة التي لا

تَعتبر - في أحسن أحوالها - أن هناك تلازماً بين الدين والعلم، فكان إسلام هؤلاء الرواد داعٍ لمن خلفهم إلى إعادة النظر في التراث الذي ورثوه، وفي هذا المنهج الذي سلكه هؤلاء القادة.

بل إن دور هؤلاء الرواد المهتدين في دعوة غير المسلم إلى الإسلام يكاد يكون أعظم من دور الداعي المسلم[1] للأسباب التالية :-

١ - يتمتع الأحبار والرهبان لدي عامة اليهود والنصارى بمنزلة عظيمة لا توجد لدى غيرهم؛ والسبب في ذلك أنهم منحوا أنفسهم حق التشريع، وحق المغفرة وتكفير السيئات، ومرتبة القبول أو الطرد من حظيرة الدين... وقد أخبرنا الله سبحانه وتعالى في محكم تنزيله عن هذه المرتبة فقال: ﴿اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إلهاً واحداً لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون[2]﴾ وثبت عن رسول الله ﷺ أنه قال: (لو آمن بي عشرة من اليهود؛ لآمن بي اليهود[3]) قال ابن حجر: (فالمراد عشرة مختصة؛ وإلا فقد آمن به أكثر من عشرة[4]) .

---

(١) وذلك من جانب التأكيد على أن الإسلام إنما هو امتداد للرسالات السابقة، وأن الديانة اليهودية والنصرانية لم تبق على هيئتها الأولى؛ بل دخلها التحريف والتبديل، وإلا فالداعي المسلم أرسخ علماً، وأكثر إحاطة وشمولاً، وأسلم من الوقوع في اللبس والخلط في بقية الجوانب الأخرى كالعقائد والعبادات .. وما ذاك إلا لأنه تردد في هذه العلوم منذ نعومة أظفاره، وتلقاها غضة كما وردت، فضلاً عن أنه سلم من تلقي العلم الفاسد والاعتقاد الكاسد على أيدي القساوسة والأحبار.

(٢) سورة التوبة، الآية ٣١.

(٣) رواه البخاري في صحيحه في كتاب مناقب الأنصار، باب ٥٢.

(٤) فتح الباري بشرح صحيح البخاري، تأليف الإمام الحافظ أحمد بن حجر العسقلاني رحمه الله، جـ٧، ص٢٧٥.

وفي قصة وفد نجران إلى النبي ﷺ التي أخرجها البخاري في صحيحه ما يؤيد ذلك وهي: (جاء العاقب والسيد صاحبا نجران إلى رسول الله ﷺ يريدان أن يلاعناه. قال: فقال أحدهما لصاحبه: لا تفعل! فوالله لئن كان نبياً فلاعنّا لا نفلح نحن ولا عقبنا من بعدنا. قالا: إنا نعطيك ماسألتنا، وابعث معنا رجلاً أميناً ولا تبعث معنا إلا أمينا. فقال: لأبعثن معكم رجلاً أميناً حق أمين[1]). ويتبين من هذه القصة كيف قبلت أمتهما أن تدفع الجزية امتثالاً لما انتهى إليه رأى السيد والعاقب .

وفي إنجيل متي ما يؤيد هذه المزية لهؤلاء الأحبار والرهبان وهو قول المسيح عليه السلام لبطرس ـ كما يزعمون ـ :(وأنا أقول لك أيضاً: أنت بطرس وعلي هذه الصخرة أبني[2] كنيستي، وأبواب الجحيم لن تقوى عليها، وأعطيك مفاتيح ملكوت السموات فكل ما تربطه على الأرض يكون مربوطاً في السموات، وكل ما تحله على الأرض يكون محلولاً في السموات[3]) .وهذه المزية لهؤلاء الأحبار والرهبان التي تقدم بعض ما يؤكدها تمنح لقولهم القبول، ولرأيهم الإذعان؛ فإذا رأت منهم العامة الخروج من ملتهم ودعوتهم إلى الخروج منها

(١) رواه البخاري في صحيحه في كتاب المغازي، باب ٧٢.

(٢) كذا في إنجيل متى.

(٣) متى ١٦ :١٨-١٩.

والانصياع إلى الحق الذي وجدوه فحينئذ تكون الإستجابة أعظم والاتباع أسرع.

٢ ـ أنهم اطلعوا على حقائق في كتبهم عن الإسلام وعن رسوله ﷺ قد يجهلها كثير من الدعاة المسلمين.

٣ ـ مما يمنحهم قوة في التأثير على المدعوين ما يتمتعون به من إدراك للأساليب المؤثرة فيهم وإحاطة بكتبهم، ومعرفة باللغات التي دوّنت فيها... هذا إذا أُخذ بعين الاعتبار أن كثيراً من عامة اليهود والنصارى لم يطلعوا على كتبهم ولا يعلمون ما تشتمل عليه؛ بل يكتفون بحفظ بعض العبارات التي يرددونها في صلاتهم، وبعض الأناشيد التي يترنمون بها في مناسباتهم الدينية، فإذا أقام المهتدي لهم الحجة من واقع كتبهم على صحة هذا الدين؛ فإذا العقول تقبل ما قاله، وإذا النفوس تسلم له مقاله.

٤ ـ من مقومات الحوار الهادف ضرب المثل، وإيراد القصة، وحكاية التجربة، نلمس ذلك واضحاً من الأمثال المضروبة في القرآن الكريم والسنة النبوية، وكذلك اقتصاص القصص التي تورث العظة والعبرة: ﴿فاقصص القصص لعلهم يتفكرون (١)﴾.

وعندما يتحدث المهتدي إلى بنى قومه وأصحاب ملته السابقة، ويروي لهم رحلته نحو الإسلام، ويقص عليهم خبره، ويقيم لهم الأدلة على سلامة مسلكه... فإن ذلك يكون أوقع لدى السامع،

(١) سورة الأعراف، الآية ١٧٦.

وأبلغ في التأثير من الداعي المسلم ولادة ونشأة؛ لأن الشيطان سيجد المدخل إلى المدعو سهلاً ميسوراً إذ يوحي إليه أن هذا الداعي يريد أن يخرجك من ملتك إلى ملته، وأنه يرغب في تكثير حزبه وسواد أتباعه... ولن تجد هذه المسوغات طريقها إلى عقل المدعو إذا كان المتحدث إليه أحد المهتدين؛ لأنه يرى أن هذا المهتدي لو لم يجد في هذه الملة التي انتقل إليها خيراً لما كفر بملته السابقة وخرج منها .

٥ ـ أن الأدلة التي يقدمها إلى المدعوين تكون أبلغ وأوقع؛ بسبب أنه استضاء بنور الوحي، واهتدى بهدي السنة فأثمرت بيده سلاحاً ونوراً مضيفاً إليهما ما يعلمه من مقاتل دينه والثغرات التي اطلع عليها في سابق حياته قبل هدايته .

٦ ـ أن انتقالهم إلى الإسلام كان نتيجة بحث ومقارنة ودراسة متأنية غايتها معرفة الحق واتباعه، فكان إسلامهم يتم بعد قناعة تامة بجدوى الانتقال، ومعرفة أبعاده اللاحقة، وهذا مما يضفي على منهجهم سلامة في الطرح والمناقشة، وثراءً في الحجج والبراهين المقدمة .

٧ ـ أنهم أقدر في رد الشبهات التي يثيرها اليهود والنصارى؛ وما ذاك إلا لخبرتهم الواسعة بدينهم وكتبهم المعتمدة، فيكون رد الشبه أسرع، وتفنيدها أبلغ؛ لأنه يعتمد في التفنيد على أصول المدعي

وكتبه، وما من شك أن هذا المهتدي يكون أعظم إحاطة بها من هذا المفتري .

كما أن المدعي ـ لتمام يقينه بأن هذا المهتدي أعلم منه بكتابه، وأنه قد أسلم عن قناعة ـ فإنه ينتقل من إثارة الشبه ضد الإسلام إلى إثارة الشبه المتعلقة بالشخص نفسه، وهذه تفنيدها أيسر؛ لأن المهتدي أعلم بنفسه، ولأن واقعه يكذب هذا المدعي .

ومما يعطي لهذا التحول أهمية بالغة ما نلمسه هنا وهناك من أوجه تكالب اليهود والنصارى على هؤلاء المهتدين؛ لغرض صدهم عن هذا القرار الذي اتخذوه، والحيلولة بينهم وبين الإسلام، ولولا قوة تأثيرهم على الأتباع والمدعوين لما انزعجت الأوساط الكنسية، ولما حاربتهم الكنيسة بشتي الوسائل والطرق التي تحول بينهم وبين دعوة غيرهم من اليهود والنصارى، فمن هذه الوسائل :ـ

١ ـ ما يمارسه المنافقون: من اليهود المندسين في الصف الإسلامي من التحريض على هؤلاء المهتدين، واستعداء السلاطين المسلمين عليهم، ويتضح ذلك جلياً في الكتاب الذي تلقاه المهتدي السموءل بعد إسلامه، وقد جاء في جوابه لهذا الكتاب :(فمن أين له أن تأخير الإذعان والإشهار لم يكن لتوخي وقت، أو لمحاذرة عدو؟... إلى أن قال: أما ما ختم به[1] كلامه فذاك أمر

(١) كذا في الكتاب ولعل العبارة التي أثارت هذا المهتدي ليقول هذا القول قد سقطت من الكتاب.

مرفوع على الحقيقة، إلا أن الملوك والسلاطين جرت عادتهم أن يخصُّو كل واحد بما يرونه له أهلاً؛ حراسة للمراتب من تطاول غير الأكفاء[1] .

٢ ـ تأليف الكتب: عندما يهتدي المهتدي ويؤلف كتاباً أو أكثر مشتملاً على حكاية تجربته، ومقيماً الأدلة والبراهين على تهافت دينه السابق... فيقض مضاجعهم هذا الكتاب؛ لما يعلمون من عظيم أثره فيما بينهم[2]، فحينئذ ينبري أحدهم للرد على ذلك الكتاب طمعاً في تفنيد مافيه[3] ، وأني لهم ذلك؛ إذ الباطل أعجز من أن يزهق الحق﴿ بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق[4]﴾ .

٣ ـ الرسائل الخاصة: من الوسائل التي يلجئون إليها لصد هذا المهتدي أو ذاك عن الإسلام كتابة الرسائل الخاصة التي تحمل السم الزعاف؛ إذ تجمع بين طياتها إثارة الشك والشبهة، وطرح السؤال الهازيء، وعرض التساؤلات المتعننة، والتذكير بما فاته

(١) إفحام اليهود، ص ١٨٧-١٨٩ .

(٢) سبق الحديث فى المبحث المتعلق بالمهتدي النجار كيف أن النصارى دفعوا أموالاً عظيمة لصاحب المطبعة على ألا يطبع كتاب هذا المهتدي «المنارات الساطعة» انظر ص ٢٧٣ من هذا البحث.

(٣) وخير مثال على ذلك كتاب : تنقيح الأبحاث للملل الثلاث. تأليف سعيد بن منصور بن كمونه اليهودي، ويكاد يكون هذا الكتاب رداً على ما تضمنه كتاب إفحام اليهود.

(٤) سورة الأنبياء، الآية ١٨ .

من مكانة علمية ومنزلة إجتماعية، والتخويف من العقبات التي أمامه، والتعريض بما سيجده لدى قومه لو تراجع عن إسلامه[1].

٤ ـ التضييق على المهتدي في مصدر رزقه: في محاولة يائسة منهم لإجباره عن التراجع عن الإسلام، وقد تم هذا مع المهتدي إبراهيم خليل إذ عندما أراد أن يعلن إسلامه افتتح محلاً تجارياً؛ حتي يؤمن لنفسه لقمة عيش كريمة تعوضه عن الدخل الثابت الذي كان يتقاضاه عن عمله التنصيري، ولما علم النصارى بذلك تكالبوا عليه؛ حتي يكون عبرة لغيره، ويصور هذا المهتدي الموقف قائلاً : (تكتل أرباب البيوتات التجارية الكبيرة عن التعامل معي، ووجدت نفسي في عزلة عن النشاط التجاري، وبالتالي كان لهذا الموقف تأثير قوي على رغيف العيش، وتغلبت على هذه المشكلة بالاستعانة [بالله ثم] بما ادخرته من مال[2])

٥ ـ التضييق على المهتدي في عمله: وقد واجه المهتدي مرجان نوعاً من ذلك إذ يقول: (تعرضت لمحاولات عديدة للاعتداء على حياتي، ولكن الله سبحانه وتعالى سلمني منها، كما أثار رجال الدين النصارى البلبلة والشائعات حولي، وجرت محاولات الايقاع والتأثير عليّ في العمل والوشاية ضدّي عند الرؤساء

(١) انظر لتأكيد ذلك إفحام اليهود، ص ١٨٥-١٨٦.

(٢) المستشرقون في العالم العربي والإسلامي، ص٢٣.

وغيرهم؛ مما أثّر في عملي وفي اختياري لبعض المواقع، ومازالت المؤمرات تلاحقني[1]) .

٦ ـ الإغراء : تلجأ الكنيسة أحياناً إلى الترهيب كما تبين في الأوجه السابقة، كما تتخذ الترغيب مدخلاً إلى نفس المهتدي لعله يجدي أو يحقق مالم يحققه الترهيب؛ ولكن هيهات أن يخرج الإيمان من القلب إذا دخله، وقد عرضت الكنيسة على المهتدي النجار أصنافاً من الإغراءات كالمال والمنصب؛ ولكنه آثر الدار الآخرة على الدنيا وزخرفها .

٧ ـ القتل: هؤلاء القوم لا يتورعون عن اتخاذ أى وسيلة تحقق لهم آمالهم، حتى لو كانت هذه الوسيلة القتل، فقد ذكر المهتدي مرجان أن شاباً قبطياً أسلم على يديه؛ فلما علمت الكنيسة بذلك قتلته [2]. وقد جاء في قصة ذلك الراهب النصراني مع المهتدي الترجمان أنه أشارعليه بالإسلام، وحذره من أن العامة إن علمت بإسلامه سيقتلونه[3] .

صور من دعوتهم

من الطبعي أن تتنوع جهود هؤلاء المهتدين في دعوة غير المسلم إلى الإسلام؛ لأن الله سبحانه وتعالى كما قسم الأعمار والأرزاق وفاوت بينها

(١) مكاتبات خاصة بيني وبين هذا المهتدي.

(٢) المصدر السابق.

(٣) انظر تحفة الأريب، ص٦٩-٧١.

لحكم لا نعلمها، فكذلك تتفاوت الهبات الفكرية البشرية فهذا مبدع في جدله، وذاك بارع في خطابته، وآخر متفنن في تأليفه، ورابع قد أوتي اسلوباً سلساً وأدلة مسددة... إلى آخر منن الله على البشر .

وهؤلاء المهتدون طرقوا عدداً من الوسائل التي أمّلوا فيها تحقيق بعض مآربهم في إنقاذ المدعوين من الظلمات إلى النور، فمن هذه الوسائل مايأتي :ـ

١ ـ أن التحول من الملة السابقة إلى الإسلام يعتبر دعوة صامتة، بل هو دعوة في سكينة؛ إذ هو رفض للموروث السابق، وإعلان مباشر على أن الإسلام هو الدين الحق، ويزيد من قيمة هذا التحول إذا كان من قام به من علْية القوم علماً أو عملاً؛ فيكون هذا الانتقال لفتة إلى العامة والاتباع، وموقظاً لهم من سباتهم الطويل، وداعياً لهم إلى إعادة النظر في المسلك والاتجاه .

٢ ـ الدعوة الشفهية: وسيلة الأنبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، ولاتزال هذه الوسيلة من أنجع الوسائل التي يعْبر من خلالها الداعي إلى قلوب المدعوين؛ لأنها تحمل فيض القلب، وحرارة المشاعر، وصدق اللهجة، ويلمس من خلالها المدعو روح الاشفاق عليه، وإخلاص النصيحة له، كما يستطيع الداعى عبر هذه الوسيلة حكاية تجربته السابقة، واقتصاص خبره، والإشارة بما آل إليه أمره، والتنديد بما كان عليه في سابق أيامه.

وقد تبين لي أن كلاً من المهتدي النجار وإبراهيم خليل ومرجان والهاشمي قد اعتمدوا على هذه الوسيلة ـ كما اعتمدوا على غيرها ـ في دعوة غيرهم إلى الإسلام، حيث يقول إبراهيم خليل :(ولا زلت المجاهد الأمين لله ولرسوله الكريم، والداعي إلى الإسلام الحنيف لا سيما بين أهل الكتاب[1]) . ويقول المهتدي مرجان: (إن دعوتي ونشاطي قد أثرا في كثير من غير المسلمين مما أدى إلى اعتناقهم الإسلام صراحة، ومنهم بعض أفراد عائلتي... وكثيرين في بلاد كثيرة... هذا فضلاً عن أن كتبي قد ترجمت إلى لغات عديدة، واستفاد منها كثيرون من غير المسلمين في دول كثيرة ارسلوا إليّ بخطابات تؤكد اقتناعهم، وإن كان كثيرون ـ سواء من العرب أو من غيرهم من غير المسلمين ـ لا يعلنون صراحة الإسلام رغم اقتناعهم بعظمته ومحاسنه؛ وهذا يحدث بسبب ظروف عديدة[2]) . وكذلك النجار قام بالدعوة في بلده[3].

٣ ـ المكاتبات الخاصة : تبين لي حرص هذه الفئة المباركة على هداية غيرهم للإسلام، والذي يؤكد هذا الحرص أنهم لم يتركوا سبيلاً ـ يرجون من خلاله هداية قومهم ـ إلا طرقوه، فقاموا بالدعوة الشفهية، وألفوا الكتب، وأقاموا المناظرات، وكتبوا

---

(١) المستشرقون والمبشرون فى العالم العربي والإسلامي، ص٢٥.

(٢) مكاتبات خاصة بيني وبينه.

(٣) مقابلة خاصة، وانظر سر إسلامي، ١٠، ١٦.

المكاتبات الخاصة التي تجتمع مع الكتاب المؤلَف في أمور وتفترق في أمور أخرى هي التي تميزها من مثل كونها لا تكون إلا بين من تربطهم ببعضهم البعض وشائج القربى وعلائق المودة، فتطبع هذه الرسائل بطابع الود... وقد حملت لنا آثار هؤلاء الهداة المهتدين صوراً من ذلك، إذ أرسل السموءل رسالة إلى أبيه قال عنها:(وكتبت كتاباً إلى أبي.. وأوضحت له في ذلك الكتاب عدة حجج وبراهين مما أعلم أنه لا ينكره، ولا يقدر على إبطاله[1]) وكذلك المهتدي الشيخ زيادة كاتب أحد المدعوين في مصر إذ أرسل إليه ذلك المدعو خطاباً يحمل عدة تساؤلات، فكانت إجابته على هذه الأسئلة كتابه القيم «الأجوبة الجلية»، وأورد شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في كتابه القيم «الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح »رسالة بعث بها المهتدي الحسن بن أيوب إلى أخيه وأوضح له فيها عدداً من الأدلة والبراهين[2].

٤ ـ تأليف الكتب: لعل الأثر الشاهد الباقي على جهود هذه المجموعة المباركة في مجال مجادلة الخصوم، وإفحام المعاندين، وإقامة الحجة على المبطلين، ودعوة المدعوين، ونصب الشواهد والبراهين ـ هو الكتاب الذي خلّفوه لمن بعدهم، فهو وثيقة

(١) إفحام اليهود، ص٧٣.
(٢) انظر هذه الرسالة في الجواب الصحيح، نشر مكتبة المدني، جـ٢، ص٣١٣ وما بعدها.

الماضي وشاهد الحاضر، ودليل المستقبل، ضمنوه خالص النصح، وراجح الأدلة .

وقد كان لهؤلاء الرواد الذين تناولتهم هذه الدراسة المتواضعة النصيب الأوفر، فهاهي كتبهم عامرة بها دور الكتب ومكتبات طلبة العلم، وإن الدارس لهذه الكتب سيتبين له أن الغرض الذي ألفت من أجله كان غرضاً سامياً وشريفاً وهو الدعوة إلى الله، يقول المهتدي الطبري موضحاً غرضه من تأليف كتابه:(فقد نخلت لكم نصحي، واعلموا أني لم أرد بما كتبت تفاخراً ولا تكاثراً؛ بل ما عند الله الذي لا يخيب راجيه[1]) . ويقول المهتدي السموءل:(والغرض الأقصى من إنشاء هذه الكلمة: (أي كتاب إفحام اليهود) الرد على أهل اللجاج والعناد، وأن تُظهر ما يعتور كلمتهم من الفساد[2]) . ويقول المهتدي الهاشمي عن هذا الغرض:(فكان من ألزم الواجبات التي أراها فرض عين أن أشكر المنعم الذي أنعم عليّ بنعمته الكبري أن هداني للإيمان... وصِدْق إيمان المؤمن يتجلى في عمله، ومن أجل الأعمال التي يقوم بها المؤمن نشر رسالة الله عزوجل وتفنيد المزاعم التي يزعمها أعداء الله، وإظهار الحقائق التي طمست معالمها فغابت عن أهل الملل والنحل والأديان الأخرى... إلى أن يقول عن

(١) الدين والدولة، ص٢٠٩، وانظر، ص٣٥ منه.

(٢) إفحام اليهود، ص٨٦، وانظر تحفة الأريب، ص ٥٤-٥٧.

كتابه: وكذلك وجدت أنه من ألزم المستلزمات أن يكون بين يدى المسلم الذي يريد أن يجلو غوامض ما آلت إليه هذه الملل والنحل على يدي كهنتها وقادتها ... كتاب بقلم عبد من عباد الله آتاه الله هدى وعلماً هوّن عليه ترك دين آبائه وأجداده، يشرح في الدوافع التي دفعته للإيمان، ويضمنه الأسباب التي زجّت به في معركة فكرية عاتية اقتلعته من براثن الشرك والضلال فصيرته من رجل يضمر العداء للإسلام وأهل إلى مجاهد في سبيل الله ونصرة الإسلام، وحولته من واقف يلصق التهم الكاذبة إلى معتل المنابر في موقف رسول الله ﷺ يدعو الناس إلى التمسك بدينهم والعمل بكتاب ربهم وسنة نبيهم[1]».

٥ ـ المناظرة : ومن ضمن الوسائل التي لجئوا إليها لنشر الإسلام، وإلجام الخصوم، وقمع الباطل، وإظهار الحق، ـ المناظرة، وقد عقدت مناظرة بين جماعة من المنصرين وجماعة من الدعاة الإسلاميين شارك فيها المهتدي إبراهيم خليل، وانتهت هذه المناظرة بإسلام هؤلاء القساوسة، وإتماماً للفائدة فقد تولت الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد طبع مداولات هذه المناظرة في كتاب هو: مناظرة بين الإسلام والنصرانية .

---

(١) سر إسلامي، ص١٠-١١، وانظر ص١٦ منه.

٦ ـ اتخاذ العلم وسيلة للدعوة: اتخذ الغرب الكافر العلم وسيلة للقضاء على الدين المحرف الذي رفض كل تجديد في المعارف العلمية سواء على مستوى الوسائل أم على مستوى النتائج، وفي هذه البيئة التي اتخذت العلم إلهاً كما تعبّدت لغيره من سائر المعبودات كالمال والوطن والجنس ـ سخّر بعض هؤلاء العلم وجعلوه شاهد إثبات على أن العلم الصحيح لا يتعارض مع الدين الصحيح، وأثبتوا من خلال العلم ـ أيضاً ـ تحريف الديانتين اليهودية والنصرانية، وسلامة الإسلام وكتابه من هذا التحريف.

الخَاتمَـة

وتشتمل على ما يلي :-

أولاً : ماذا استهدفتُ تحقيقه في هذه الدراسة .

ثانيـاً : نتائج البحث .

ثالثـاً : توصيات البحث .

رابعاً : بحوث مستقبليه مقترحة .

أولاً : ماذا أستهدفت تحقيقه في هذه الدراسة :ـ

حاولتُ عبر هذه الدراسة المتواضعة التي تناولت بعض مسلمي أهل الكتاب وبيان شيء من آثارهم في الدفاع عن القضايا القرآنية ـ أن أستعرض حياتهم قبل الإسلام وبعده، وأتلمّس من خلال الكتاب والمقابلة الدوافع التي استنهضت هممهم نحو الإسلام، وأقف على العقبات التي واجهتهم عند إعلان إسلامهم وبعد دخولهم فيه، وأدرس مؤلفاتهم القيّمة التي خلّفوها لمن جاء بعدهم، مبيناً قيمتها العلمية، وموضحاً المآخذ عليها إن وجدت، ومستقصياً الأدلة والبراهين والحجج التي وردت فيها، ومتتبعاً أثرهم على من بعدهم من العلماء والدعاة، وأثرهم على الحركة العلمية في إثرائها بهذه المصنفات، وعلي الحركة الدعوية في إمدادها بالأدلة المسددة والبراهين الملزمة والحجج القاطعة، وفي إسعافها بنسف الشبه التي تعترض طريقها .

ثانياً : نتائج البحث :ـ

توصلت من خلال هذا البحث المتواضع إلى عدد من النتائج التي أسأل الله أن ينفع بها، وقسمتها إلى قسمين هما :ـ

القسم الأول: نتائج البحث المستنبطة من دراسة مؤلفاتهم، ولعل من أبرزها مايلي :ـ

١ ـ أثبت هؤلاء المهتدون أن أساس الرسالات الإلهية هو التوحيد .

٢ ـ أكدت هذه الجماعة المباركة أن التوراة والإنجيل المتداولة بأيدي اليهود والنصارى قد اشتملت على تعدٍ على مقام الألوهية، وتطاول على جلال الربوبية، ومحادة لله بوصفه بصفات لا تليق به. وكل هذا التطاول والتعدي لم تأت به الأنبياء والرسل، ولم ينقل عن أصحابهم؛ إنما هو من صنيع أصحاب الأهواءِ ومتبعي الشهوات .

٣ ـ أثبت هؤلاء سلامة مقام النبوة من كل ما ألصقه به أعداء الأنبياء وقتلة المرسلين من المغضوب عليهم والضالين، كما أثبتوا تنزيه المسيح عليه السلام أن يدعي لنفسه الانتساب لمقام الألوهية أو البنوة، ونقلوا أقوال حوارييه التي تثبت هذا التنزيه، وتؤكد بشريته وعبوديته وسمو رسالته .

٤ ـ أثبت هؤلاء المهتدون ـ بما لا يدع مجالاً للشك ـ أن اليهودية والنصرانية لم تبق على الأصل الذى جاءت به الرسل، بل دخلها التحريف والتغيير والتبديل والعبث؛ ففقدت الكتب المنزلة، واستبدلت بها غيرها مما استكتبه البشر، وحرفت العقائد عن وجهتها، وبدلت العبادات بغيرها، واجتالتهم الشياطين عن دينهم، كما أكدوا على أن من أسباب انحراف اليهودية والنصرانية عن مسارها الصحيح ـ تأثرها بالديانات الوثنية والفلسفات الإغريقية والرومانية .

٥ ـ أثبت هؤلاء المهتدون أن كلاً من ألوهية المسيح، وبنوته، وألوهية الروح القدس، والتثليث، والصلب والكفارة ـ التي تعتبر قطب الرحى في الديانة النصرانية ـ أنها دخيلة عليها من الأمم الوثنية التي جاورتها عبر تأريخها الطويل، ولم تكن هذه العقائد الباطلة واردة في رسالة المسيح عليه السلام، ولم ينقل عن الحواريين ما يؤيدها .

٦ ـ نصب هؤلاء المهتدون أكثر من ثلاثين دليلاً من أقوال المسيح عليه السلام تدل على عبوديته ونفيه الألوهية عن نفسه .

٧ ـ نقل هؤلاء المهتدون عن حواريي المسيح ومعاصريه سبعة نصوص تؤكد بشرية المسيح وتنفي عنه الألوهية وتثبت له الرسالة .

٨ ـ أقام هؤلاء المهتدون ستة أدلة عقلية دالة على نفي ألوهية المسيح عليه السلام .

٩ ـ فنّد هؤلاء المهتدون تسعة أدلة مما يستدل بها النصارى على ألوهية المسيح عليه السلام .

١٠ ـ أثبت هؤلاء بالنقول الموثقة أن كثيراً من النصارى القدماء والمحدثين يرفضون هذه العقيدة الباطلة .

١١ ـ نفى هؤلاء بنوة المسيح وبينوا سبب ضلال النصارى فيها .

١٢ ـ تتبع هؤلاء المهتدون الألفاظ التي يتشبث بها النصارى في إدعاء بنوة المسيح وفندوها وعددها سبعة ألفاظ .

١٣ – نفى هؤلاء المهتدون اتّحاد اللاهوت بالناسوت بتسعة أدلة .

١٤ ـ نقض هؤلاء المهتدون التثليث من خلال سبعة أوجه، وأثبتوا أن هذه العقيدة الباطلة مستمدة من الوثنية، كما نصبوا خمسة عشر دليلاً تنقض هذه العقيدة .

١٥ ـ نفى هؤلاء عقيدة الصلب بسبعة عشر دليلاً ، وبينوا أن هذه العقيدة ترجع إلى أصول وثنية موغلة في القدم .

١٦ ـ أثبت هؤلاء المهتدون ـ بما لا يدع مجالاً للشك ـ أن الأنبياء والمرسلين بشروا بنبوة نبينا محمد ﷺ، ونقلوا أكثر من ست وتسعين بشارة من بشارات الأنبياء الواردة في التوراة والإنجيل .

١٧ ـ نصب المهتدي الطبري عشرة مقاييس معتبرة وجدها متوافرة ومجتمعة للنبي ﷺ لم يجتمع مثلها لأحد سواه، وأثبت أن من اجتمعت له تلك الخصال وجبت له النبوة.

١٨ ـ عقد المهتدي بوكاي مقارنة بين القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم فيما يتعلق بالكون والإنسان والحيوان وخرج منها بالنتيجة التالية : إن كل مافي القرآن الكريم من حقائق ومعلومات عن هذه المخلوقات فهو متفق مع ما توصل إليه العلم الحديث، ثم استنتج من ذلك أن هذا القرآن وحي إلهي لم يتدخل فيه البشر. وأن كل مافي التوراة والإنجيل مما يتعلق بهذه المخلوقات فهو محرف مما يدل على صياغة بشرية وتدوين بشري لا يمت إلى الوحي بصلة .

١٩ ـ أثبت هؤلاء المهتدون ضياع التوراة المنزلة على موسى عليه السلام، وأن هذه التوراة المتداولة عمل بشري لا يمت إلى الوحي بصلة، كما بينوا تناقض أسفارها فيما بينها

٢٠ ـ أكد هؤلاء المهتدون ضياع الإنجيل المنزل على المسيح عليه السلام، وأن هذه الأناجيل المتداولة لم تكتب في زمنه كما أنها لم تكتب في زمن الحواريين، وأثبتوا تحريفها باثنين وعشرين دليلاً .

٢١ ـ أثبت هؤلاء المهتدون تناقض الأناجيل فيما بينها بتسع وعشرين تناقضاً .

٢٢ ـ أثبت هؤلاء المهتدون تناقض التوراة مع الأناجيل .

٢٣ ـ أثبت هؤلاء المهتدون أن التوراة والإنجيل رغم ما أصابها من تحريف وتبديل فلا تزال بعض عباراتها ـ التي أعماهم الله عن تحريفها ـ شاهدة بالحق ناطقة بالصدق .

٢٤ ـ ذهب كثير من هؤلاء المهتدين إلى أن التوراة فقدت عام ٥٨٦ ق.م. وتبعهم على ذلك كثير من العلماء المسلمين المهتمين بهذا الفن. وبعد استقراء آيات القرآن الكريم والدراسة والتثبت تبين لي أن التوراة بقيت منها نسخة أو نسخ ـ مما هو محفوظ في الصدور، أو مسطور في الأوراق ـ إلى زمن المسيح عليه السلام .

٢٥ ـ فنّد هؤلاء المهتدون أكثر من أربع وعشرين شبهة مما يثيره اليهود والنصارى في وجوه المسلمين، واعتمدوا في تفنيدهم لها على المنقول والمعقول .

٢٦ ـ أكد المهتدي السموءل أن النسخ ـ الذي تنكره اليهود ـ جائز عقلاً وواقع شرعاً، ووراد في الرسالات الإلهية، كما أنه وارد في التوراة، وقائم في واقع الأمة اليهودية .

٢٧ ـ أكد هؤلاء المهتدون أن الابن الذبيح لإبراهيم عليهما السلام هو «إسماعيل» وأنه هو المستحق لوراثة حكم وعهد أبيه .

٢٨ ـ تبين لي بعد الدراسة والمقارنة والمتابعة الأثر العظيم لهؤلاء المهتدين على علماء الأمة الإسلامية ودعاتها في مجال مقارنة الأديان؛ إذ نقلوا عنهم النقول الكثيرة، واستشهدو واحتجوا بهم، وقابلوا بهم قومهم، ومما يؤكد عظم هذا الأثر إشادة العلماء الجهابذة بدورهم ومكانتهم وثقلهم العلمي .

٢٩ ـ يتبين لدارس مصنفات هذه الفئة المباركة عدد من الجوانب المضيئة التي أشرقت بها مصنفاتهم، وأنارت الطريق لمن جاء بعدهم، ولعل من أهمها[1] :ـ

---

(١) سبقني فضيلة الدكتور محمد الشرقاوي في دراسته الوجيزة التي بعنوان « المهتدون إلى الإسلام من علماء اليهود والنصارى وكتاباتهم الجدلية » المطبوعة ضمن مقدمة كتاب النصيحة الإيمانية – إلى الإشارة إلى بعض هذه الأمور .

الأول : لم يكن إسلامهم مجرد نزوة عاطفية، أو رحلة فكرية، أو جموحاً ذهنياً؛ بل كان منبثقاً عن دراسة واعية للإسلام، واطلاع شامل على منهجه، وقناعة راسخة بمبادئه، وقبول تام لشرائعه .

الثاني : الاستقلال الفكري الذى أبعد اللاحق عن تقليد السابق، ومكّن الجميع من الإبداع في التدليل والتعليل والتخلص من التبعية والتقليد، والخروج على الموروث البالي ونقده وبيان تهافته وتناقضه وتكاذبه.

الثالث : الحماس في الدعوة إلى الإسلام، والرغبة الصادقة في إنقاذ بني جلدتهم من الظلمات... يلحظ ذلك كل من وقف على آثارهم ونهل من معارفهم، ويؤكد هذا ذلك الخطاب الرقيق الموجه إلى المدعوين، والكلمات المشفقة، والألفاظ الحانية التي حفلت بها مؤلفاتهم .

الرابع : النية الحسنة الصادقة التي أثمرت هذا التحول نحو الإسلام، ومما يدعم القول بهذا هذا الحماس المنقطع النظير في الدعوة إلى الإسلام، وهذا النقد الهادف البناء لليهودية والنصرانية كتباً وعقيدة ومسلكاً .

ولو كان هذا التحول مدخولاً فيه، أو كان نتيجة لحالة نفسية معينة لما أبدعوا في مصنفاتهم ودفاعهم عن الإسلام، ونقدهم لدينهم السابق؛ لإن المتشكك والمنهزم نفسياً يتوارى عن الأنظار، ويحتاج إلى علاج يعيده إلى الصواب، وهؤلاء ألفوا وأبدعوا وجددوا، وأقاموا طريقاً مذللاً لمن جاء بعدهم فهم رواد في هذا المسلك، ومنارات هدي يهتدي بها الساري في ظلمات الجهل والشرك .

الخامس : قوة الجدل، وبراعة الاستدلال، والاحتجاج بالمنقول والمعقول المؤيد بالنصوص التي ترجمها هؤلاء ترجمة ذاتية من اللغات القديمة التي دوّنت بها تلك الأسفار .

السادس : الريادة في المنهج الذي أسسوه في مجال مقارنة الأديان، فقد أقاموا منهجاً سديداً يجمع بين الاعتماد على المنقول والاحتفاء بالمعقول، والمحاكمة إلى الأصل المتبع والكتاب المعتمد والعبادة القائمة، والمقايسة والترجيح .

السابع : تميّز هؤلاء بسعة الثقافة، والمعرفة التامة باللغة العربية وبغيرها من اللغات التي دونت بها التوراة والإنجيل، والاطلاع على العلوم الأخري كالرياضيات والطب والفلك ...مما كان له أكبر الأثر في إثراء عقليتهم واعتمادها على الدليل، وهجرها لكل تقليد لا يورث إلا ضلالاً.

الثامن : تؤكد هذه المصنفات أن أصحابها كانوا متبحرين بدينهم السابق علماً وعملاً.

٣٠ ـ هذه المصنفات رغم علو كعب أربابها، ورغم احاطتهم بدينهم السابق وكتبه المعتمدة، ورغم هذا الحماس المشكور في الدعوة إلى الإسلام، واستفراغ الوسع في الذب عن حياضه؛ إلا أن الدارس لهذه الكتب ينبغي أن يتعامل معها بحذر، إذ لا يخلو بعضها من تقصير هنا، أو هفوة هناك، أو فهم خاطيء لبعض القضايا. وهذا كله لا ينقص من قدرها ولا يغض من شأنها .

القسم الثاني: نتائج البحث التي تم استنباطها من إسلام هؤلاء وإسلام غيرهم ممن شملتهم هذه الدراسة :ـ

١ ـ فزع الأوساط اليهودية والنصرانية من تحول هذه الجموع إلى الإسلام، واتخاذ كافة السبل للحيلولة بينهم وبين الإسلام من الترغيب والترهيب، فإذا لم تفلح هذه المساعي لجئوا إلى تدابير أخرى تخفف وطأة هذا التحول على من خلفهم، وتحذرهم مما صنعوا، وتحاول القضاء على السبل التي تسببت في هذا التحول.

٢ ـ يواجه المهتدون إلى الإسلام عقبات كثيرة من بني قومهم بعد إسلامهم لعل من أبرزها الخوف على النفس، والتضييق على وسيلة الرزق، والمضايقة في الأعمال التي يتولونها، والوشاية ضدهم، وتأليب صدور أبنائهم وإخوانهم وعشيرتهم عليهم .

٣ ـ أكد جمع غفير ممن شملتهم هذه الدراسة ـ من سائر المهتدين ـ أنهم كانوا يعيشون صراعاً نفسياً قاتلاً لم يخرجهم منه إلا الإسلام الذي يوفق بين الدين والدنيا وبين الروح والجسد وبين العلم والعبادة .

٤ ـ ذكر جماعة من سائر المهتدين أن غموض الديانة النصرانية ونفور العقل منها هو الذي دفعهم إلى هجرها والبحث عن البديل الواضح والصراط السوي .

٥ ـ يكاد يجمع كثير ممن شملتهم هذه الدراسة من سائر المهتدين على أمرين هما :ـ

الأول ـ عدم وجود النشر الكافي عن الإسلام باللغات التي يتكلمون بها .

الثاني : تشويه صورة الإسلام من خلال الكتاب ووسائل الإعلام المتواجدة في بلادهم التي تسيطر عليها حكومات البلاد الكافرة، إذ كل المعلومات التي تلقوها في مدارسهم عن الإسلام كانت أكاذيب ملفقة. وهذا يدعو الهيئات الإسلامية والدعاة إلى مضاعفة الجهود في نشر الكتب التي تتحدث عن الإسلام ، والمساهمة في محاولة تصحيح تصور الآخرين عن الإسلام .

٦ ـ تبين لي أن كثيراً ممن دخل في الإسلام دخل بعد بحث واطلاع ودراسة ومقارنة أدت بهم إلى اعتناق الإسلام، وهذا يدل على أمور منها :ـ

الأول : أن الإسلام له من الجاذبية ما يجعله ينتشر بنفسه إذا سلم من كثير من العقبات والحواجز .

الثانى : يقصير دعاة الأمة في الدعوة إلى الإسلام عبر الوسائل المشروعة المتاحة التي يمكن الاستحواذ عليها مما يتيح لمريد الإسلام التعرف عليه دون اللجوء إلى المقارنة والمقايسة والبحث المرير .

٧ ـ من يطلع على سير هؤلاء المهتدين يلمس منهم فرحاً عظيماً وشكراً لله سبحانه وتعالى الذى هداهم إلى هذا الخير العظيم .

٨ ـ كثرة المنضوين تحت لواء الإسلام من النصارى، وقلة المهتدين إليه من اليهود. ولعل مرد ذلك إلى قلة اليهود، وشعورهم بالانتساب إلى الشعب المختار كما يزعمون، وعدم السماح للنشء بمخالطة الآخرين؛ ولذلك يحرصون على العزلة، ويقيمون في أحياء خاصة بهم لا يساكنهم فيها غيرهم .

ثالثاً : توصيات البحث :ـ

أولاً : الاستعانة بالمبرزين منهم في عقد المناظرات والندوات مع أهل الكتاب التي يشاركهم فيها إخوانهم من العلماء المسلمين؛ حتى يسددوهم فيما يتعلق بالتأصيل الإسلامي، ويكون دور هؤلاء المبرزين إقامة الحجج والبراهين استناداً على علمهم السابق؛ إذ هذا المسلك يؤتي أعظم الثمار إن شاء الله، وقد عقدت مناظرة من هذا القبيل ـ في الخرطوم عام ١٤٠١هـ ـ انتهت بإسلام المناظرين من أهل الكتاب .

ثانياً : ينبغي على المؤسسات الإعلامية الإسلامية أن تولي مؤلفات هذه الفئة المباركة ـ سواء السابق منها واللاحق ـ عناية فائقة من ناحية الإشادة بها والعرض عنها والدراسة لها على صفحاتها؛ لأن ذلك يرفع الروح المعنوية لهؤلاء المهتدين، ويزيد اليقين بهذا الدين، ويفتح آفاقاً جديدة لمن لا يزالون يتخبطون في دياجير الظلام .

ثالثاً : على دور النشر وطلبة العلم من أصحاب هذا الاختصاص المساهمة في تحقيق ونشر مؤلفات هؤلاء المهتدين، وإعادة نشر ماطواه

النسيان أو كاد أن يفتقد، وخير مثال على ذلك أن كتاب «الإنجيل والصليب» طبع الطبعة الأولي عام ١٣٥١هـ ولم يطبع بعدها، وكذلك كتاب «المنارات الساطعة» الذى طبع الطبعة الأولى عام ١٣٦٩هـ ولم أعثر على نسخة منه في أي مكتبة، ثم وجدته بعد بحث طويل وشاق لد أحد الإخوة في مصر، وكثير من هذه المؤلفات توفي أصحابها فتوقفت مسيرة نشرها مرة ثانية .

رابعاً : ينبغي على المراكز الإسلامية والمحاكم الشرعية التي تستقبل هؤلاء المهتدين مراعاة الجوانب التالية :ـ

١ ـ تزويد المهتدي بالكتب التي تحقق له الفهم الكامل للإسلام عقيدة وعبادة ومعاملة وأخلاقاً .

٢ ـ إقامة دورات نظرية وتطبيقية لهؤلاء المهتدين يشرح لهم من خلالها الإسلام .

٣ ـ تحصين المهتدي من العقائد المخالفة والأفكار الضالة التي ينتسب أهلها إلى الإسلام؛ حتى لا ينتقل من ضلال إلى ضلال .

٤ ـ التفريق بين سائر المهتدين وبين العلماء والمبرزين منهم؛ إذ ينبغي أن يلقي في روع هؤلاء العلماء المهتدين أن عليهم أن يتتلمذوا على العلماء المسلمين، وأن يبين لهم العلماء خطر التقول على الله وعظمة الافتراء عليه؛ فليس مجرد إعلانه للإسلام يخول له التحدث باسم الإسلام دعوة وتأليفاً وفتيا... وهو لم ترسخ قدمه

بعد، ولم يتعمق في معرفة أبعاد هذا المنهج عقائد وتأصيلاً وأحكاماً وشرائع .

كما ينبغى على المؤسسات الإعلامية التي تتعامل مع هؤلاء إبان إسلامهم أن ترفق بهم، وألا تحملهم مالا يطيقون، وأن تعرف القدر والإطار الذى ينبغي أن تستفيده منهم. فليس من المعقول أنه عندما يشهر أحد المبرزين إسلامه يتوافد عليه مندوبو المؤسسات الإعلامية فينهالون عليه بالأسئلة، ويطلبون منه إعطاء رأيه في أجدى وسائل الدعوة، ويسألونه إيجاد الحلول لكثير من آلام الأمة الإسلامية. إنهامعضلة تحتاج إلى من يصححها في رؤوس هؤلاء الإعلاميين[1] .

خامساً ـ مؤازرة من يحتاج إلى مؤازرة من هؤلاء من خلال توثيق صلته بالمراكز والهيئات الإسلامية، ومساعدته في إيجاد العمل الذى يغنيه عن الحاجة والعوز، وإيواء الخائف على نفسه، وأن تتكاتف معهم الهيئات والمراكز الإسلامية؛ حتى تساعدهم على اجتياز العقبات التي تواجههم إبان إسلامهم .

سادساً ـ تأليف كتاب شامل يتحدث عن الإسلام، ويراعى عند تأليفه مخاطبة كافة العقليات الكافرة، ويترجم إلى جميع اللغات الممكنة .

(١) انظر ما يؤكد ذلك المجلة العربية ، العدد ١٧٧ ، عام ١٤١٢هـ ، ص ٩٢ ، ومجلة الفيصل ، العدد ١١١ ، عام ١٤٠٦هـ ، ص٣٨ .

سابعاً ـ ذكر كثير ممن أسلموا أن المعلومات الأوليه التي تلقوها عن الإسلام كانت أكاذيب ملفقة عن الإسلام. فينبغي تكثيف نشر الكتاب الإسلامي عبر اللغات المختلفة.

ثامناً ـ الاستفادة من هذه التجارب الإيمانية عبر وسائل الإعلام المختلفة التي يمكن استخدامها لتحقيق أغراض الدعوة .

رابعاً : بحوث مستقبلية مقترحة : ـ

أولاً : إعادة تناول هذا الموضوع من جانب آخر ألا وهو كتابات الغربيين المعاصرين من أهل الكتاب وتحليلها لاستنباط البراهين الملزمة منها للعقلية الغربية المعاصرة؛ لأن هذه المؤلفات أقدر على مخاطبة واقناع تلك العقلية بنفس الأساليب التي تقبلها، وبنفس البراهين التي تسلم لها. إذ يتسم هذا العصر بطابع الجدل والغزو الفكري أكثر من اعتماده على قوة السلاح، وفي إعادة بضاعتهم إليهم بعد إعادة صياغتها إلزام لهم ودلالة على الطريق السوي .

ثانياً : دراسة شهادات الذين أسلموا سوآء من أهل الكتاب أم من غيرهم؛ لاستخلاص الأمور التالية منها : ـ

١ ـ استجلاء الأسباب التي تدعوهم إلى الدخول في الإسلام، لاستثمارها في مجال الدعوة .

٢ ـ معرفة كافة العقبات التي تواجههم بعد إسلامهم، ومحاولة إيجاد الحلول المناسبة التي تساعدهم على اجتيازها .

٣ ـ معرفة مدى النقص وجوانب القصور في فهمهم للإسلام حتى يمكن تلافيها بمزيد من التأليف والنشر.

٤ ـ معرفة الأساليب التي اتبعت معهم وكان لها أعظم الأثر عليهم؛ للاستفادة منها في تجديد أساليب الدعوة ووسائلها .

٥ ـ دراسة إقامة مؤسسة إسلامية عالمية تستقطب هؤلاء المهتدين وتوجههم الوجهة السليمة بدلاً من أن تستقطبهم الفرق الضالة .

٦ ـ استخراج الرواسب الفكرية التي لا تزال عالقة في أذهانهم عن أديانهم السابقة، ووضع الحلول السليمة لإزالتها .

ثالثاً : تخصيص دراسات خاصة مستقلة عن بعض الشخصيات التي تسلم في الوقت الحاضر ويكون لها أثر فكرى ملموس في بيئتها وفي غيرها، وقد يكون لدى هذا الفرد بعض التصورات الخاطئة عن الإسلام بسبب حداثة عهده بالإسلام، فتتناول هذه الدراسة بيان أثره، وتقييم دوره، ومناقشته ونقده إن تطلب الأمر ذلك .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على محمد وآله وصحبه أجمعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

الفهارس

وتشتمل على التالي :

أولاً : فهرس المصادر والمراجع .

ثانياً : فهرس الموضوعات .

أولاً: فهرس المصادر والمراجع :ـ

الأول : القرآن الكريم وعلومه:ـ

١ ـ القرآن الكريم
٢ ـ تفسير القرآن العظيم، تأليف أبى الفداء إسماعيل بن كثير القرشى، نشر دار المعرفة ، بيروت، ١٤٠٣ هـ .
٣ ـ الجامع لأحكام القرآن ، تأليف محمد بن إبراهيم بن أحمد الأنصارى القرطبى، نشر دار الكتاب العربى للطباعة والنشر، ١٣٧٨هـ
٤ ـ فى ظلال القرآن ، تأليف سيد قطب ، نشر دار الشروق ، الطبعة السابعة ، ١٣٩٨هـ .

الثانى : كتب السنة النبوية :ـ

٥ ـ سنن أبى داود ، للإمام سليمان بن الأشعث السجستانى ، مراجعة وتعليق محمد محيى الدين عبد الحميد ، نشر دار الفكر .
٦ ـ سنن الترمذى ، للإمام أبى عيسي محمد بن عيسي الترمذى ، تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف، نشر دار الفكر ، ١٤٠٠ هـ .
٧ - سنن الدارمى، للإمام عبد الله بن الرحمن الدارمى، تحقيق عبد الله هاشم ، نشر حديث أكاديمى باكستان ١٤٠٤هـ.

٨ - صحيح البخارى للإمام محمد بن إسماعيل البخارى ، نشر المكتبة الإسلامية ، تركيا ١٩٧٩م.

٩ - صحيح مسلم للإمام مسلم بن الحجاج القشيرى ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى ، نشر دار إحيا التراث العربى ، بيروت ١٣٧٤هـ .

١٠- فتح البارى بشرح صحيح البخارى تأليف أحمد بن علي بن حجر العسقلانى .

١١ - كشف الخفاء ومزيل الألباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس ، تأليف إسماعيل بن محمد العجلونى ، عني بطبعه أحمد القلاش نشر مؤسسة الرسالة

١٢- المسند، تأليف الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله ،نشر دار الفكر، الطبعة الثانية ١٣٩٨هـ.

١٣- الموطأ ، تأليف الإمام مالك رحمه الله، نشر دار النفائس، بيروت، الطبعة الرابعة ١٤٠٠هـ .

الثالث: معارف إسلامية منوعة :ـ

١٤- أحكام أهل الذمة ، تأليف شيخ الإسلام ابن القيم، تحقيق صبحى الصالح، نشر دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠١هـ.

١٥- إغاثة اللهفان فى مصائد الشيطان ، تأليف شيخ الإسلام ابن القيم تحقيق محمد عفيفى نشر المكتب الإسلامى بيروت ، الطبعة الأولي، ١٤٠٧هـ .

١٦- السيرة النبوية للإمام الذهبي، تحقيق حسام الدين المقدسي ، نشر دار الكتب العلمية بيروت ، الطبعة الثانية ١٤٠٢هـ .

١٧- شرح العقيدة الطحاوية ، تأليف على بن أبي العز الحنفي ، حققها جماعة من العلماء نشر المكتب الإسلامي، الطبعة الثامنة ، ١٤٠٤هـ.

١٨- الطريق إلى جماعة المسلمين، رسالة ماجستير مقدمة إلى الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، إعداد حسين بن محسن جابر ، نشر دار الدعوة في الكويت، الطبعة الثانية ،١٤٠٦هـ .

١٩- مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ، جمع وترتيب عبد الرحمن بن قاسم وابنه محمد ، تصويراً عن طبعة ١٣٩٨هـ.

الرابع : كتب مقارنة الأديان:ـ

٢٠- الأجوبة الفاخرة ،تأليف أحمد بن إدريس المالكي القرافي ، نشر دار الكتب العلمية ببيروت ، الطبعة الأولي ، ١٤٠٦هـ.

٢١- إظهار الحق، تأليف رحمة الله بن خليل الرحمن الكيرانوى ، نشر المكتبة العصرية بيروت، بعناية عبدالله بن إبراهيم الأنصاري .

٢٢- الإعلام بمافي دين النصاري من الفساد والأوهام وإظهار محاسن دين الإسلام وإثبات نبوة نبينا محمد عليه الصلاة والسلام ، تأليف الإمام محمد بن أحمد القرطبي ، تحقيق د. أحمد السقا ، نشر دار التراث العربي ، القاهرة .

٢٣- الإنسان فى ظل الأديان ، تأليف د. عمارة نجيب ، نشر مكتبة المعارف ، الرياض، ١٤٠٠هـ .
٢٤ - بشائر الرسالة المحمدية ، تأليف محمد عزت الطهطاوى ، نشر مكتبة النور ، القاهرة ، الطبعة الثانية ،١٤٠٢هـ .
٢٥- بين الإسلام والنصرانية ، وهو مقامع هامات الصلبان ، تأليف أبى عبيدة الخزرجى ، تحقيق د.محمد شامة ، نشر مكتبة وهبة، القاهرة، ١٩٧٢م .
٢٦- تنقيح الأبحاث للملل الثلاث ، تأليف سعيد بن منصور بن كمونة اليهودى ، تحقيق موسي برلمان ، طبع ونشر جامعة كالفورنيا عام ١٩٦٧م .
٢٧- الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، تأليف شيخ الإسلام ابن تيمية ، طبع ونشر مكتبة المدنى .
٢٨- رسالة راهب فرنسا إلى المسلمين وجواب القاضى أبي الوليد الباجى عليها، تحقيق د. محمد الشرقاوى ، نشر الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإشاد، الرياض، ١٤٠٧هـ .
٢٩- العقائد الوثنية فى الديانة النصرانية، تأليف محمد طاهر التنير ، نشر مكتبة ابن تيمية، الكويت، الطبعة الأولي ، ١٤٠٨هـ .
٣٠ - العهد القديم والعهد الجديد، طبعة البروتستانت،عام ١٩٧٠م .

٣١- الفكر الإسلامى فى الرد على النصاري ، تأليف عبد المجيد الشرفي، نشر الدار التونسية للنشر، تونس ،١٩٨٦م .
٣١ - فى الدعوة إلي الإسلام بين غير المسلمين ، تأليف محمد عزت الطهطاوى ، نشر مكتبة دار التراث ، القاهرة طبعة ١٣٩٩هـ .
٣٢- فى مقارنة الأديان ، تأليف د.محمد الشرقاوى، نشر دار الهداية ، القاهرة، الطبعة الأولي ١٤٠٦هـ .
٣٣ - فى مقارنة الأديان بين النصرانية والإسلام ، تأليف محمد عزت الطهطاوى ، نشر مكتبة النور ، القاهرة ، الطبعة الثانية ١٤٠٧هـ .
٣٤- لا لجارودى ووثيقة إشبيلية ، تأليف سعيد عبد المقصود ظلام، نشر دار المنار، القاهرة، الطبعة الأولي ١٤٠٧هـ .
٣٥- محمد نبى الإسلام فى التوراة والإنجيل والقرآن ، تأليف محمد عزت الطهطاوى ، نشر مكتبة النور ، القاهرة، الطبعة الأولي ١٩٧٢م .
٣٦- المختار فى الرد على النصاري ، للجاحظ، تحقيق د. محمد الشرقاوى ، نشر دار الصحوة ، القاهرة ، الطبعة الأولي ،١٤٠٥هـ .
٣٧- المسيا المنتظر ، تأليف د. أحمد السقا، نشر مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، الطبعة الأولي ، ١٣٩٧هـ .
٣٨- مقارنة الأديان ، تأليف د.أحمد شلبى ، نشر مكتبة النهضة المصرية، الطبعة السادسة، ١٩٨١م .

٣٩- المناظرة الكبري ، تأليف رحمة الله بن خليل الرحمن الكيرانوى ، تحقيق د. محمد عبد القادر خليل ملكاوى ، نشر دار ابن تيمية ، الرياض ، الطبعة الأولي،١٤٠٥هـ .
٤٠- نبوة محمد ﷺ من الشك إلي اليقين ، تأليف فاضل صالح السامرائى، نشر مكتبة القدس، بغداد ، الطبعة الأولي ، ١٣٩٨هـ .

٤١- نهاية اليهود ، تأليف محمد عزت محمد عارف ، الطبعة الأولي ١٤١٠هـ .
٤٢- هداية الحيارى فى أجوبة اليهود والنصاري ، تأليف شيخ الإسلام ابن القيم ، تحقيق د. أحمد السقا، نشر دار الريان للتراث .
٤٣- يوحنا المعمدان بين النصرانية والإسلام ، تأليف د. أحمد السقا ، نشر دار التراث العربى ، الطبعة الأولي ١٣٩٩هـ .

الخامس: مؤلفات هؤلاء المهتدين :-

٤٤- الأديان فى كفة الميزان ، تأليف محمد فؤاد الهاشمى ، نشر دار الكتاب العربى ، القاهرة .
٤٥- الإسلام دين المستقبل ، تأليف روجيه جارودى، ترجمة عبد المجيد بارودى ، نشر دار الإيمان، بيروت .
٤٦- إفحام اليهود ، تأليف السموءل بن يحيي المغربى، تحقيق د. محمد الشرقاوى ، نشر الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد ، الرياض ، ١٤٠٧هـ .

٤٧- الله واحد أم ثالوث ؟؟، تأليف محمد مجدى مرجان ، نشر دار النهضة العربية ، القاهرة، الطبعة الأولي

٤٨- البحث الصريح فى أى ما هو الدين الصريح ، تأليف الشيخ زيادة النصب رأسى (مخطوط) .

٤٩- تحفة الأريب فى الرد على عباد الصليب ، تأليف عبد الله بن عبد الله الترجمان، تحقيق عمر الداعوق ، نشر دار البشائر الإسلامية، الطبعة الأولي ، ١٤٠٨هـ .

٥٠- خلاصة الترجيح، اختصره محمد بن علي بن عبد الرحمن الطيبى الدمشقى ، نشر فى هوامش إظهار الحق ، طبعة المطبعة العلمية عام ١٣١٥هـ .

٥١- الدين والدولة ، تأليف علي بن ربّن الطبري ، تحقيق عادل نويهض، نشر دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، الطبعة الرابعة ١٤٠٢هـ.

٥٢- الرسالة السبعينية بإبطال الديانة اليهودية ، تأليف إسرائيل بن شموائيل الأورشليمى، تحقيق عبد الوهاب طويلة ، نشر دار القلم ، دمشق، الطبعة الأولي ١٤١٠هـ .

٥٣- سر إسلامى، تأليف محمد فؤاد الهاشمى ، نشر دار الحرية ، القاهرة .

٥٤- فردوس الحكمة، تأليف علي بن ربّن الطبرى ، تحقيق محمد زبير الصديقى ، طبعة مطبعة آفتاب ببرلين، ١٩٢٨م .

٥٥- فلسطين أرض الرسالات الإلهية، تأليف روجيه جارودى ، ترجمة د. عبد الصبور شاهين، نشر دار التراث ، القاهرة .
٥٦- فى سبيل حوار الحضارات، تأليف روجيه جارودى ، ترجمة د. عادل العوّا، منشورات عويدات ، بيروت ، الطبعة الأولي ١٩٧٨م .
٥٧- الغفران بين الإسلام والمسيحية ، تأليف إبراهيم خليل أحمد ، نشر دار المنار ، القاهرة ، الطبعة الأولى ،١٤٠٩هـ .
٥٨- القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم دراسة الكتب المقدسة فى ضوء المعارف الحديثة، تأليف موريس بوكاي ، نشر دار المعارف ، مصر، ١٩٨٢م .
٥٩- كيف أسلمت ، محاضرة ألقاها روجيه جارودى فى مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بالرياض ضمن محاضرات الموسم الثقافى لعام ١٤٠٦هـ ، مطبوعة على الآلة الكاتبة .
٦٠- ما أصل الإنسان؟ إجابات العلم والكتب المقدسة ، تأليف موريس بوكاى ، ترجمة ونشر مكتب التربية العربية لدول الخليج بالرياض، الطبعة الأولي، ١٤٠٦هـ .
٦١-محاضرات فى مقارنة الأديان ، تأليف إبراهيم خليل أحمد ، نشر دار المنار ، القاهرة الطبعة الأولي، ١٤٠٩هـ .
٦٢- محمد ﷺ فى التوراة والإنجيل والقرآن ، تأليف إبراهيم خليل أحمد، نشر دار المنار، القاهرة، الطبعة الخامسة ١٤٠٥هـ .

٦٣- محمد فى الكتاب المقدس ، تأليف عبد الأحد داود ، ترجمة فهمي شما ، من مطبوعات رئاسة المحاكم الشرعية بدولة قطر، الطبعة الأولي ،١٤٠٥ .
٦٤- مختصر الأجوبة الجلية لدحض الدعوات النصرانية ، اختصره محمد بن علي بن عبد الرحمن الطيبى، نشر فى هوامش إظهار الحق طبعة المطبعة العلمية ، عام ١٣١٥هـ .
٦٥- مسالك النظر فى نبوة سيد البشر ـﷺـ تأليف سعيد بن الحسن الإسكندرانى ، تحقيق د. محمد الشرقاوى، نشر مكتبة الزهراء، القاهرة ،١٤١٠هـ .
٦٦- المستشرقون والمبشرون فى العالم العربى والإسلامى ، تأليف إبراهيم خليل أحمد ، نشر مكتبة الوعى العربى ، ١٩٦٤م .
٦٧- مستقبل الإسلام فى الغرب ، تأليف روجيه جارودى ، ترجمة رفيق المصرى ، نشر دار العلم ، جدة، الطبعة الأولي ١٤٠٥هـ .
٦٨- المسيح إنسان أم إله؟؟ ، تأليف محمد مجدى مرجان ، نشر مكتبة الحرمين ، الرياض ، الطبعة الثانية .
٦٩- ملف إسرائيل دراسة للصهيونية السياسية ، تأليف روجيه جارودى ، ترجمة د. مصطفي كامل فودة ، الطبعة الأولي ، ١٤٠٣هـ .
٧٠- المنارات الساطعة فى ظلمات الدنيا الحالكة ، تأليف محمد زكى الدين النجار ، نشر المؤلف نفسه، عام ١٣٦٩هـ .

٧١-المناظرة بين الإسلام والنصرانية ، وهو خلاصة الحوار الإسلامى النصرانى الذى أقيم فى الخرطوم ، ونشر من قبل الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد ، الرياض ، ١٤٠٧هـ .

٧٢- النصيحة الإيمانية فى فضيحة الملة النصرانية ، تأليف نصر بن يحيي المتطبب ، تحقيق د. محمد الشرقاوى ، نشر دار الصحوة، القاهرة ، ١٤٠٦هـ .

٧٣- وعود الإسلام ، تأليف روجيه جارودى ، ترجمة ذوقان قرقوط، نشر مكتبة مدبولى ، القاهرة ، الطبعة الأولي ، ١٩٨٤هـ .

السادس : دراسات عن هؤلاء المهتدين :-

٧٤- حوار مع الاستاذ رجاء جارودى ، أجرى الحوار سعد الدين عام ١٩٨٤م ، نشر مكتبة وهبة ، القاهرة ، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ .

٧٥-رجال ونساء أسلموا ، تأليف عرفات كامل العشى ، نشر دار القلم، الكويت، الطبعة الثالثة ،١٩٨٦م .

٧٦- رحلتى من الكفر إلى الإيمان ، قصة إسلام الكاتبة الامريكية مريم جميلة، تأليف محمد يحيي ، نشر دار المختار الإسلامى ، القاهرة ، ١٤٠٥هـ .

٧٧- روجيه غارودى ، تأليف سيرج بيرو تينو، ترجمة منى النجار ، نشر المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الأولي ،١٩٨١م .

٧٨- كيف ولماذا اعتنقوا الإسلام ، تأليف د. محمد إبراهيم الحسن ، ود. إبراهيم المعتاز ، نشر دار المريخ ، الرياض ، الطبعة الأولي ، ١٤٠٩هـ .
٧٩- لماذا أسلمنا ، مجموعة مقالات لعدد من المهتدين ، ترجمة مصطفى جبر، نشر الرئاسة العامة لإدرات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد ، الرياض ، ١٤٠٤هـ .
٨٠- لماذا أسلم هؤلاء ، تأليف أحمد حامد ، نشر مطبوعات الشعب، مصر ١٩٧٦م .
٨١- لماذا أسلمت نصف قرن من البحث عن الحقيقة ، تأليف محمد عثمان الخشت، نشر مكتبة القرآن ، القاهرة ، ١٤٠٦هـ .

السابع : كتب عن التنصير :-

٨٢- الإرساليات التبشيرية ، تأليف د. عبد الجليل شلبى ، نشر منشأة المعارف الإسكندرية .
٨٣- التبشير والاستعمار فى البلاد العربية، تأليف مصطفي خالدى ، وعمر فروخ، نشر المكتبة العصرية ، بيروت، ١٩٨٧م .
٨٤ - ملامح عن النشاط التنصيرى فى الوطن العربى، تأليف إبراهيم عكاشة ، نشر جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، الرياض، ١٤٠٧هـ .

الثامن : تأريخ البلدان :ـ

٨٥- اتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان ، تأليف أحمد بن أبى الضياف ، تحقيق لجنة من كتاب الدولة ، نشر كتاب الدولة للشئون الثقافية فى الجمهورية التونسية .
٨٦- الإخوان المسلمون بين عبد الناصر والسادات من المنشية إلى المنصة ١٩٥٢-١٩٨١م، تأليف د. زكريا سليمان بيومى، نشر مكتبة وهبة، القاهرة ، الطبعة الأولي ، ١٤٠٨هـ .
٨٧- الأدلة البينة النورانية على مفاخر الدولة الحفصية ، تأليف أحمد الشماع، طبع فى مطبعة تونس عام ١٣٥٥هـ .
٨٨- أزمة الحضارة الغربية ، تأليف عبد القادر طاش، نشر كتاب المختار .
٨٩- أوربا فى القرنين التاسع عشر والعشرين، تأليف هاردلدتمبرلى، وأ.ج.جرانت، ترجمة محمد علي أبو درة ، ولويس اسكندر، نشر مؤسسة سجل العرب .
٩٠- إيران ، تأليف محمود شاكر ، نشر مؤسسة الرسالة .
٩١- إيران فى سنوات الحرب العالمية الأولي ، تأليف فوزى شويل ، نشر مركز دراسات الخليج العربى، فى جامعة البصرة ، ١٩٨٥م .
٩٢-البداية والنهاية ، تأليف أبى الفداء إسماعيل بن كثير القرشى، نشر دار الفكر، بيروت .
٩٣- التأريخ الإسلامى ، تأليف محمود شاكر، نشر المكتب الإسلامى ، بيروت ، الطبعة الأولي ، ١٤٠٥هـ .

٩٤- التأريخ الأوربى المعاصر ، تأليف د. جلال يحيي، نشر المكتب الجامعى ، الإسكندرية، ١٩٨٣م

٩٥- تأريخ الثورة الفرنسية ،تأليف البير سوبول، ترجمة جورج كوسى، نشر منشورات بحر المتوسط، بيروت.

٩٦- تأريخ الدول الإسلامية بآسيا وحضارتها ،تأليف د. أحمد محمود الساداتى، نشر مكتبة نهضة الشرق، ١٩٨٧م .

٩٧- تأريخ الدولتين الموحدية والحفصية ، تأليف أبى عبد الله بن إبراهيم الزركشى ، تحقيق محمد ماضور، نشر المكتبة العتيقة ، تونس ، الطبعة الثانية ١٩٦٦م .

٩٨- تأريخ الرسل والملوك ، للإمام محمد بن جرير الطبرى ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، نشر دار المعارف ، الطبعة الرابعة .

٩٩- تأريخ العراق ، تأليف فاروق عمر فوزى ، نشر مكتبة النهضة ، بغداد ، ١٩٨٨م .

١٠٠- التأريخ المعاصر:أوربا من الثورة الفرنسية إلى الحرب العالمية الثانية، تأليف عبد العزيز نوار ، وعبد المجيد نعنعى، نشر دار النهضة العربية بيروت ، ١٩٧٣م .

١٠١- التيارات السياسية المعاصرة ، تأليف عبد الحميد البطريق ، نشر دار النهضة العربية ، الطبعة الأولي ١٩٧٤م .

١٠٢- الحلل السندسية فى الأخبار التونسية ، تأليف محمد بن محمد الأندلسى ، تحقيق محمد الهيلة ، نشر دار الغرب الإسلامى ،

بيروت ، الطبعة الأولي ١٩٨٤م .

١٠٣- دراسات فى التأريخ الأوربى الحديث والمعاصر ، تأليف د. خليل مراد ، وجاسم الحسن ، نشر جامعة الموصل .

١٠٤- سياسة الاحتلال تجاه الحركة الوطنية ، تأليف مصطفي الحاس ، وجبر يوسف ، نشر الهيئة العامة للكتاب فى مصر ، ١٩٧٥م .

١٠٥- صفحات من تأريخ تونس، تأليف محمد الخوجة، تحقيق حمادى الساحلى ، نشر دار الغرب الإسلامى ، الطبعة الأولى، ١٩٨٦م .

١٠٦- العراق فى التأريخ ، جماعة من المؤلفين ، طبع دار الحرية، ١٩٨١م .

١٠٧- الفتنة الطائفية فى مصر جذورها وأسبابها ، تأليف جمال بدوى ، نشر المركز العربى للصحافة ، القاهرة .

١٠٨- المسلمون والأقباط فى إطار الجماعة الوطنية ، تأليف طارق البشرى ، نشر الهيئة العامة للكتاب فى مصر ، ١٩٨٠م .

١٠٩- مصر الحديثة بين الانتماء العقائدى والقومى ، تأليف د. زكريا سليمان بيومى، نشر مكتبة وهبة ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٣هـ .

١١٠- مصر والشام فى عهد الأيوبين والمماليك ، تأليف سعيد عبد الفتاح عاشور ، نشر دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٧٢م .

١١١- من الحرب والمجتمع فى أوربا ، تأليف برايد بوند، ترجمة سمير عبد الرحيم الجلبى ، نشر دار المأمون للترجمة ، بغداد ، ١٩٨٨م .
١١٢- موسوعة التأريخ الإسلامى ، تأليف د. أحمد شلبى ، نشر مكتبة النهضة العربية ، الطبعة الثانية ، ١٩٨٢م .

التاسع : كتب التراجم:ـ

١١٣- أبحاث الندوة العالمية لتأريخ العلم عندالعرب، المنعقد فى جامعة حلب ٥ ـ ١٣٩٦/٣/١٢هـ ، نشر معهد التراث العربى فى جامعة حلب، الطبعة الأولى ١٩٧٧م .
١١٤- إخبار العلماء بأخبار الحكماء ، تأليف على بن يوسف الشيبانى القفطى ، طبع مطبعة السعادة بمصر .
١١٥- أعلام العرب والمسلمين فى الطب، تأليف على بن عبد الله الدفاع ، نشر مؤسسة الرسالة ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٤هـ .
١١٦ ـ تأريخ الأدب العربى ، تأليف كارل بروكلمان، نقله إلى العربية د. يعقوب بك، ود. رمضان عبد التواب، نشر دار المعارف بالقاهرة، الطبعة الثالثة.
١١٧- تأريخ التراث العربى، تأليف فؤاد سزكين ، ترجمة د. محمود فهمى حجازى ، نشر جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، الرياض ،١٤٠٣هـ .
١١٨- تأريخ الحكماء للزوزونى ، نشر مكتبة المثنى ، بغداد .

١١٩- تراث العرب العلمى فى الرياضيات والفلك ، تأليف قدرى طوقان، نشر دار الشروق ، بيروت .
١٢٠- تراجم المؤلفين التونسيين ، تأليف محمد حافظ، نشر دار الغرب الإسلامى ، بيروت ، الطبعة الأولي ، ١٩٨٢م .
١٢١- شجرة النور الزكية (التتمة)، تأليف محمد مخلوف، نشر دار الكتاب الإسلامى ، بيروت .
١٢٢- شذرات الذهب. تأليف عبد الحى بن أحمد ابن العماد الحنبلى، نشر دار المسيرة ، بيروت ، عام ١٣٩٩هـ .
١٢٣- عيون الأنباء فى طبقات الأطباء ، تأليف أحمد بن القاسم ابن أبى أصيبعة، نشر دار الثقافة ، الطبعة الثانية ، ١٩٨١م .
١٢٤- الفهرست ، تأليف محمد بن أبى يعقوب بن إسحاق الوراق المعروف بابن النديم، تحقيق رضا تجدد، طبعة طهران ، ١٣٩١هـ .
١٢٥- كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون، تأليف حاجى خليفة، طبع وكالة المعارف الحلبية ، ١٣٦٠هـ .
١٢٦- كنوز الأجداد ، تأليف محمد كرد على ، نشر دار الفكر للطباعة بدمشق ، الطبعة الثانية ١٤٠٤هـ .
١٢٧- مروج الذهب ومعادن الجوهر ، تأليف أبى الحسن بن على المسعودى ، نشر دار الأندلس ، بيروت ، الطبعة الرابعة، ١٤٠١هـ .

١٢٨- معجم البلدان ، تأليف ياقوت الحموى ، نشر دار بيروت ، ١٤٠٠ هـ .
١٢٩ - معجم المؤلفين ، تأليف عمر رضا كحالة ، نشر دار إحياء التراث العربى .
١٣٠- موجز تأريخ الرياضيات، تأليف هاشم الطيار، ويحيي عبد سعيد، طبع جامعة الموصل.
١٣١- هدية العارفين ، تأليف إسماعيل باشا البغدادى ، نشر مكتبة الإسلامية طهران، وكذلك طبعة مطبعة مكتبة المثنى ببغداد .
١٣٢- الوافى بالوفيات ، تأليف صلاح الدين الصفدى ، اعتناء بيرند راتكه، نشر دار النشر فرانز شتاينر ، ١٣٩٩هـ .
١٣٣- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، تأليف أبى العباس أحمد بن خلكان ، تحقيق إحسان عباس ، نشر دار الثقافة ، بيروت .

العاشر : كتب فى مناهج البحث :-

١٣٤- أصول البحث العلمى ومناهجه، تأليف د. أحمد بدر ، نشر وكالة المطبوعات، الكويت، الطبعة السابعة ،١٩٨٤م .
١٣٥- دليل الباحث فى العلوم السلوكية ، تأليف د. صالح بن حمد العساف ، نشر المؤلف نفسه، الطبعة الأولى عام ١٤٠٦هـ .
١٣٦- مدخل إلى البحث فى العلوم السلوكية ، تأليف د. صالح بن

حمد العساف، نشر المؤلف نفسه ، الطبعة الأولى عام ١٤٠٩هـ .

الحادى عشر : المعاجم والفهارس :ــ

١٣٧ – الفهرس العربى لكلمات العهد الجديد اليونانية ، تأليف القس غسان خلف ، نشر دار النشر المعمدانية ، بيروت ، ١٩٧٩م .

١٣٨ – فهرس الكتاب المقدس ، تأليف جورج بوست، نشر دار الثقافة ، القاهرة ، الطبعة السادسة ١٩٩١م .

١٣٩ – قاموس الكتاب المقدس ، تأليف لجنة من ذوى الاختصاص ، نشر دار الثقافة ، القاهرة، الطبعة السابعة ، ١٩٩١م .

١٤٠ – المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوى ، تأليف وترتيب جماعة من المستشرقين، نشر د.أ.ى. ونسنك، مكتبة بريل فى ليدن، ١٩٣٦م .

١٤١ – المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، وضعه محمد فؤاد عبد الباقى ، نشر دار الفكر ، الطبعة الثانية ، ١٤٠١هـ .

الثانى عشر : الدوريات :ــ

١٤٢ – مجلة الأزهر ، عدد ٢ ، عام ١٤٠٨هـ .

١٤٣ – مجلة الإسلام المصرية ، عدد ٣٢، عام ١٣٥٨هـ .

١٤٤ – مجلة الأمة عدد ٢٩ ،٤٠ ،٦٤ ،٦٧ .

١٤٥ – مجلة البحوث الإسلامية عدد ٢٣ .

١٤٦ – مجلة حضارة الإسلام ،عدد ١ ،٢ ، ١٣٩١هـ .

١٤٧- مجلة الحوادث ، عدد ١٢٧٤ ، عام ١٩٨١م .

١٤٨- جريدة عكاظ ، عدد ٨٨٤٦ .

١٤٩- مجلة الفيصل ، عدد ٩٩, ١٠٧, ١١١ ،عام ١٤٠٦هـ .

١٥٠- المجلة العربية ،عدد ٦, ٥٤, ٥٥ ،عام ١٤٠٢هـ وعدد ١٧٧ ، عام ١٤١٢هـ .

١٥١- مجلة المسلمون ، عدد ٢, ١٢, ١٦, ٢٠, ٣٨, ٤٢, ٤٣ .

١٥٢ - مجلة منار الإسلام ،عدد ٦, ٨ ،عام ١٤٠٨هـ ، وعدد ٤, ٨ ،عام ١٤٠٩هـ .

١٥٣- مجلة النور ، عدد ٤٩ ، ٥١ ، عام ١٤٠٨هـ .

الثالث عشر : تقارير ولقاءات ومكاتبات :-

١٥٤-تقرير : تساؤل حول مؤتمر الحوار الدولى للوحدة الإبرهمية، ضمن سلسلة تقارير المعلومات الصادرة عن وزارة الثقافة والشئون الإسلامية فى الكويت ، طبع على الآلة لاكاتبة .

١٥٥- تقرير : انفتاح الشيوعية على الأديان . ضمن سلسلة تقارير المعلومات الصادرة عن وزارة الثقافة والشئون الإسلامية فى الكويت ، طبع على الآلة الكاتبة .

١٥٦- مكاتبات خاصة مع المهتدى محمد مجدى مرجان .

١٥٧ - لقاء مع المهتدى إبراهيم خليل أحمد .

ثانياً: فهرس الموضوعات :ـ

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة